3833

MILLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM: Y. Carullah
ESKİ KAYIT No. 84
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

صفاته بخبير الالفاظ وصل منا هناك تصاريف الصفات ومنه قيل في المفازة تاله العين وسطها وقيل اصله
وراه من وليه وله فقلب الى او همزة ويكون الاله اسما لما يوله نحوه ومن الناس من قال ان ذلك من الاشتياق اليه نحوه
اما بتحير او اما اراده وقصد اكما انه تسبح له ذلك وعلى هذا قال تسبح له السموات والارض ومن فيهن وذلك اما
تسخير واما اراده ومنهم من قال ذلك مختص بالعقول التي فطرها الله واشار اليها بقوله فطرة الله التي فطر الناس
عليها الا ان العقول بفطرتها داله على وحدانيته ومنبهة عن وجوب شكر ما لم يدريها صاحبها كما قال الله تعالى
وقد خاب من دسيها ومنهم من قال ذلك مختص بالاحوال التي ينقطع الانسان عن غيره فينفصل بفكره و
اليه اشار بقوله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ومنهم من قال ذلك مختص بالعباد الخاصين والعباره عنه كالعبان
عنه بالمحبوب والمراد المشار اليها بقوله تعالى سوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وبقوله الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقد اطلق بعض الاوليا وبعض القدما عليه تعالى لفظ المعشوق والمشوق
الا ان ذلك كرهه اهل العلم لامرين عدم التوقيف فيه وكون العشق في هذه اللغة متعارفا في اللذات البدنيه
**الرحمن الرحيم** الرحمة في اللغة رقة مقتضية للتعطف والتفضل فمبداها الرقة التي هي
انفعال ومنتهاها العطف والفضل الذي هو فعل فالانسان اذا وصف بالرحمة فتارة يراد به حصول
المبدا الذي هو الرقة منه وتارة يراد به المنتهى الذي هو الفعل دون المبدا الذي هو الانفعال منزه عن
الانفعالات وعن كل نقص تعالى الله عن ذلك وعلى ذلك روي فان الرافة انعصار القلب عن مشاهده
شي مقتضيه الاغاثة فمتى وصف الانسان به صح ان يراد به المبدا الذي هو انعصار القلب واذا وصف
به البارئ فليس يراد به الا الغاية التي هي الاغاثة وعلى ذلك الجود فانه اختصاص بخلق مقتض ان لا يدخر
عن المحتاج ما ينتفع به على ما يجب ومتى ما وصف به البارئ تعالى فالمراد به النهاية التي هي ترك الادخار
دون الاختصاص بخلق بهذا التفسير اعني في الرحمة على ما روي عن التابعين حيث قالوا الرحمة من الله
انعام وافضال ومن الادميين الرقة والتعطف وهذه الطريقة اطرد واسد واشبه بنظر السلف ثم
نظر من يحتاط في تفسير ذلك اعلم ان الوصف يختلف معانيه باختلاف الموصوفين وذلك انه قال
تامل ذلك لم تتصور انه قد يكون من مبدا المعنى ومنتهاه ما يوفى بعده فان قيل لنا العالم وان كان

من ضعف عن المدح فان مبداه ان يختص الموصوف به بمعلومات ما يخرج بها عن حد الجهالة ووسطه
ان يحصل له معلومات كثيرة يفوق بها اكثر العلما وغايته ان يحيط بجميع المعلومات حتى لا يخفى عليه شي ولا يعتريه
سهو ولا غفلة ولا نسيان ومعلوم ان المبدا يصح لاكثر الخلايق ووسطه ليس الا لخصائص من الانبياء و
الحكما وغايته ليس الا لله تعالى وذلك ظاهر لمن القى السمع وهو شهيد فاما لفظ الرحمن فليس الا لله
كلفظة الله فانهما اسمان اختص بهما البارئ تعالى باتفاق من اجل ذلك قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى فالرحمن هو الذي كثرت رحمته وتكررت ووسعت كل شي
ولذلك فسر بانه الذي يكون منه تعطف بعد تعطف وتفضل بعد تفضل ه واما الرحيم فقد
يوصف به غيره اذا كان معناه الذي كثرت رحمته وعلى ذلك نديم وندمان فان النديم هو الذي
كثرت منادمته والندمان هو الذي مع كثرة ذلك منه تكررت عنه ولذلك قال اهل اللغة ندمان ابلغ
من النديم والفاظهم دالة على ذلك فان العرب اذا ارادوا زيادة معنى زادوا في اللفظ في الامر العام
كما انا نحكي بالالفاظ المعنى نحو قطع وقطّع وكبار وكبّار واحمر واحمار وذلك فصل قد احكم في غير هذا الموضع
فان قيل ما الفايدة في الجمع بينهما مع ان الرحمن يقتضي معنى الرحيم اذ هو ابلغ منه قيل ان الله تعالى لما خلق
الدارين وكان في دار الدنيا منعما على المومن والكافر واختصت رحمته بالمومنين في الاخرة و
لذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وكان تعالى وكان بالمومنين رحيما جمع بين الوصفين واما ذكر الرحيم
بعد الرحمن فذكر خصوص بعد عموم وروي عن عطا انه قال كان الله اختص بالرحمن فلما تسمى بذلك بعض
الكفار قال الرحمن الرحيم اذ كان الاسمان معا لم يوصف غير الله به بوجه وقد مر ذكر الله تعالى اذ هو اخص
الاسما والرحيم والرحمة مشتق بعضها من بعض وقد دل على ذلك قوله عليه السلام لما خلق الله الرحم
قال انا الرحمن وانت الرحم شققت لك اسما من اسمي فوعزتي وجلالي لاصلن من وصلك ولاقطعن
من قطعك ومعنى ذلك ان الله تعالى لما جعل من نفسه ومن عباده سببا كما انه كتب على نفسه الرحمة
لعباده واوجب عليهم من نعمائه شكر نعمته لما كان هو السبب الاول في وجودهم وخلق قواهم وقدرتهم
وساير خيراتهم كذلك ايضا جعل بين ذوي الرحم بعضهم مع بعض سببا اوجب به على الاعلى المتوفر

على المدن وعلى الادون بو فترا على فصار بين الرحيم والرحمن مناسبة معنوية كما ان بينهما مناسبة لفظية
ولهذا اعظم شكر الوالدين بقرنه بشكره في قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك نبيهما انهما السبب الصوري في
وجود الولد كما ان الله تعالى السبب الحقيقي في وجود كل موجود **الحمد لله** الحمد ثنا الفضيلة والشكر
مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا ولما كانت النعمة لا تخرج عن كونها فضيلة صار الحمد منطويا على معنى الشكر فكل شكر حمد وليس
كل حمد شكرا ولكون الحمد اعم قال ابن عباس الحمد لله هو الشكر لله والاستغذار والمقر لنعمه وقال عليه السلام الحمد راس
الشكر وما شكر الله عبد لا يحمده ولذلك قيل الحمد لله شكرا ولم يقل شكرت الله حمدا ولكون الشكر بالفعل كما يكون
بالقول قيل دابة شكور اذا ظهر سمنها باكثر علف له وقال تعالى اعملوا آل داود شكرا واما الفرق بين الحمد والمدح
فالحمد اخص لانه لا يستحق الا بالفعل الاختياري والمدح قد يستحق بما يكون من قبل الباري تعالى يقال فلان ممدوح على
وجوده وممدوح على حسنه ولا يقال محمود والمدح ما يقال للاشياء في الاشياء النافعة التي لم تبلغ الغاية كالثروة
والجلالة والجود والحمد يقال في ذلك وفيما فوقه فيقال الجود محمود والله تعالى محمود وقل ما يقال الله تعالى
ممدوح ودخول الالف واللام في الحمد للجنس تنبيها ان الحمد كله في الحقيقة له يستحقه سواه وان كل حمد لغيره
فهو عارية له والله تعالى هو المستحق له في الحقيقة اذ هو سبب كل نعمة وخير ولذلك قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
ان قيل لم لم يقل احمد الله بل قال لان ذلك يتعلم منه لعباده كانه قال قولوا بسم الله والحمد لله بدلالة قوله قل الحمد لله
وسلام على عباده وقيل ان ذلك كقول الرجل اثني الحمد في كذا الامير فيا تى بلفظ الغايب لكون ابلغ
وقيل ان قيل عن مقدر في هذا الموضع لان الله حمد نفسه لتعديه في حمده لاله ما روى عن النبي صلى الله عليه
ليس شيء احب الى الله من الحمد اثنى على نفسه فقال الحمد لله وان ارفع حمدا ان يرفع من حامد واعرفهم بالمحمود
اقدرهم على ايفا حقه في الحمد وما حامد ارفع منه واعرف بذاته واقدر على حمده منه تعالى ولا محمود ارفع منه و
اعلى وقال بعضهم كل ثنا اثنى الله على نفسه فهو في الحقيقة اظهار بفعله حمده لنفسه من الآية واظهار
لكمالات افعاله المقتضية حمده وكان فعله الحمد لله تقرره الحمد لله ظاهر الآية وعلى ذلك حمله شهد الله انه لا اله
الا هو فان شهادته لنفسه الحالية للاشياء الدالة على وحدانيته ناطقة بالشهادة له وعلى هذا قال ذو النون لما شهد الله
لنفسه انطق كل شيء بشهادته ففي كل شيء له شاهد يدل على انه واحد وعلى ذلك قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده

وقوله سبح لله ما في السموات والارض ان قيل كيف استحسن حمده لنفسه وقد علم في الشاهد استقباح حمد الانسان
نفسه حتى قيل الكلم بالذكر لا يحسن وان كان حقا قال مدح الرجل نفسه قيل انما قبح ذلك من الانسان لانه لا يخلو من احد
الامرين النقص فيه ظاهر ولو لم يكن الا في كون اثار الصنعة عليه وحاجته الى الكمال من خفي عليه نقصه فقد خدع
عنه عقله ثم مدح الانسان نفسه ليس بقبيح على الاطلاق فان ذلك يستحسن عند تنبيه المخاطب على ما خفي
عليه من حال المخاطب كقول عالم يحث المتعلم على الاخذ عنه اسمع مني فانك لا تجد فيه مثلي وعلى ذلك قول
يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ان قيل الحمد لله خبر ويقتضي خبرا فما الفائدة في ايراده في الكلام
قيل اما في القرآن فلما بين الله تعالى اني تلاوته واما في غيره فقليلا ينفك من حمده في شيء من الاحوال
كما لا ينفك من نعمه اعترافا لنعمها وكانه هو المخبر به **رب العالمين** الرب في الاصل
التربية يقال ربه ورباه ورببه ومنه الرباب وتالد زيادة معنى تصور منه ومنه قيل لان يربني رجل من قريش
احب الي من ان يربني رجل من هوازن فرب العالمين هو المتكفل بمصلحتهم ولا يقال الرب مطلقا بالالف
واللام الا لله تعالى وتسميتهم اياه بذلك النظر الى الحقيقة وقال بعض المحققين في الفرق بين قوله
يا ايها الناس اتقوا ربكم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله تعالى حيث خاطب الناس كافة حثهم على اتقائه
بربوبيته الالهية لاشتراكهم كلهم في معرفتها وتصورهم اياها وحيث خاطب المؤمنين حثهم على اتقائه بلا واسطة
والعالم اسم الفلك وما يحويه وجميع ما فيه من الجواهر والاعراض وهو في الاصل اسم لما يعلم به وفاعل كثيرا
ما يجي في اسم الالة التي يفعل بها الشيء كالطابع والخاتم والقالب فجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالالة
في الدلالة على صانعه واما جمعه فقد قيل ان الله تعالى بضعة عشر عالما ولما كان في جملتها الناس جمعهم
اذ من شان الانسان اذا شاركه غيره في اللفظ ان يكون الحكم في اللفظ له وقيل انه عني اصناف
الخلائق من الملائكة والجن والانس دون غيرها واليه ذهب ابن عباس ومجاهد وقيل عني به الناس وجعل
كل واحد منهم عالما قال ذلك جعفر بن محمد وقال العالم عالمان عالم كبير وهو الفلك بما فيه وعالم صغير و
هو الانسان وقال كل انسان عالما لان فيه جواهر العالم الاكبر من الاخلاط الاربعة وان لحمه كالارض
الرخوة وعظامه كالجبال ودمه في العروق كالمياه في الانهار ونفسه كالريح وشعره كالنبات وفيه من

الملك العقل ومن البهائم الشهوة وقال ومن النبات النمو والتغذي قال فصار عالما يعلم به وحدانيته كما يعلم
بالعالم الكبير ولذلك قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال عليه السلام اعلمكم بنفسه اعلمكم بربه وقيل
فيما انزل الله تعالى في السفر الاول من عرف نفسه فقد عرف ربه والى ذلك اشار بقوله تعالى ولا تكونوا
كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم نبههما انهم لو تفكروا في انفسهم لما خفي معرفته عليهم وقال المفضل بن سلمة العرب
تقول العالمين بالياء في موضع النصب والجر والرفع الا قوما من كنانة يقولون اللذون قال ويدل على ذلك
ان فاعلا لم يجمع جمع السلامة قال وعلى ذلك المقتوين والعشرين والبرحين وذكر ان من قال العالمون
صدر فيه عليه السهو حيث لم يجد ذلك في موضع الرفع كما وجد الذين في موضع الرفع وذلك المبرد ان هذا هو
من قابله لانه راي ذلك في القران اما خفضا او نصبا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
قيل الملك الذي يملك الامر والنهي في الجمهور وانما شرط الجمهور لان كل انسان يملك ذلك في نفسه وما
يختص به ولا يقال له ملك وهذا انما هو بالنظر العامي فاما بالنظر الخاصي فهو في الحقيقة اسم لمن يملك السياسة
من نفسه او منها ومن غيرها والملك ذلك من نفسه اجل ملك واكبر سلطان ولذلك قيل الحكيم هو الملك
المعظم وقال ان تغلب الانسان شهوته بل هذا قال عليه السلام لمن سال اي الاعمال اشد قال جهادك هواك
وقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وحجة من قرا ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم وقوله الملك يومئذ
لله والملك مصدر الملك لا المالك واما المالك فهو الضابط للشي المتصرف فيه بالحكم ومنه ملكت
العجين والوكيل وان كان ضابطا للشي متصرفا فيه فانه لا يقال له مالك لما كان بيد غيره ويقال للصبي و
المعتوه مالك لما كان ذلك لهما حكما وان لم يكن لهما فعلا وحجة قارئه قوله قل اللهم مالك الملك فجعل الملك
مملوكا وقال الامر يومئذ لله وقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا فان قيل الخ قيل قال بعضهم مالك ابلغ
لانه يقال مالك الدراهم والحيوانات والريح ولا يقال ملكها وقيل الملك ابلغ لانه لا يكون الا مع تعظيم فكانهما مختلفان
في الحقيقة فان الملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة
على اي وجه كان فان قيل على اي وجه اضيف الى اليوم قيل اضافة الملك فعلى حد يا سارق الليلة اهل الدار في انه اتسع
في الظرف فجعله مفعولا به واما المالك المضاف الى المفعول به لانه تعالى هو موجده وضابطه واذا اضيف

الى الوقت غير الله فيقال فلان مالك يوم كذا فانما هو على تجوز اذ كان حقيقة اليوم والوقت ليس
يملك لغيره واما اختصاص ذلك اليوم مع كونه في الحقيقة مالكا لجميع الاشياء وفي جميع الازمنة لامرين احدهما
انه قد ملك في الدنيا قوما اشياء تبطل عنهم الحكم لهم يوم القيامة ولذلك قال لمن الملك اليوم وقال يرث الارض
ومن عليها وقال الامر يومئذ لله والثاني على وجه التعظيم لانهم يجعلونه ما يستعظمونه كما قالوا بيت الله
وناقة الله وتعظيمه اياه على وجه ان اليوم الاخر لا انقضاء له ولا فناء وجميع ما في الدنيا فان وقد علم ان الباقي
اشرف من الفاني فاما الدين فالاخر القول وان الدين لواقع وقيل الدين عبارة عن الشريعة لقوله ان الدين عند الله
الاسلام ومعناه يوم جزاء الدين وقيل الدين الطاعة اي يوم جزاء الطاعة وخص الطاعة وان كانت الجزاء
عنها وعن المعصية لان حصولها ان كل واحد يطيعه في ذلك ولذلك قال ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا والثاني ان الطاعة هي المقصودة بالجزاء ولاجلها خلقنا وعلى ذلك قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقرئ مالك بالنصب فقيل هو نداء وعلى هذا اتسع في اللفظ عدول عن الخبر الى
الخطاب وقيل نصبه على المدح والعدول عن الخبر الى الخطاب وقيل نصبه على المدح والعدول عن الخبر
الى الخطاب حينئذ يكون في قوله اياك نعبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
قال بعض النحويين اياك كله اسم واحد وقال بعضهم الكاف هو الاسم وايا صلة له وهذان لا تنافي بينهما في الحقيقة
لان ذلك نظر من جهتين وذلك ان الضمير المتصل اذا قدم او فصل بينه وبين المتصل به لحسن النطق
به مفردا انضم اليه ايا ليصير بذلك كالاسم مستقلا فمن قال الضمير هو الكاف فانما اعتبر ذلك قبل انضمام
ايا اليه ومن قال اياك واياه بكماله اسم فانما اعتبر ذلك بعد انضمام ايا الى الضمير والعرب كما انهم يحذفون
بالحروف المركبة افادة المعنى فقد يأتون ببعضها تهذيبا للفظ وتحسينا له بدلالة ادخالهم الحرف بين الحرفين
المتنافرين في التركيب لئلا يتنافر النطق بهما وذلك قد اتسع الكلام فيه في غير هذا الكتاب ... جعل
وصله ليحسن اللفظ الضمير اذا قدم لما لم يحسن ان يقال كك اكرمت وه كما انهم لما ارادوا
الوصف باسم الجنس في نحو مررت برجل ذي طول واتى بالذي لما ارادوا ان يوصف المعرفة بالجمل وعلى
ذلك انهم مع الكاف في نحو ليس كمثله شي لما لم يحسن ادخال الكاف على الضمير فيقال كك وكه

والعبادة الذل ومنه طريق معبد وفي التعارف الانقياد بالخدمة قال تعالى اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي
والعبد على ضربين عبد الايجاد والتسخير وذلك يطلق على كل الموجودات على قوله تعالى ان كل من في السموات
والارض الا اتى الرحمن عبدا وعبد على طريق التخصيص وذلك قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
واستثناء ابليس بقوله الا عبادك منهم المخلصين وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
فعلى ذلك يصير ان يقال فلان ليس عبد الله وعلى هذا قيل فلان عبد الهوى وعبد الشهوة وعبد الطاغوت
وقال تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وعلى ذلك قال عليه السلام
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة والاستعانة طلب المعونة وهي ضربان ضروري في الامر
وغير ضروري فالضروري ما لا يتم للانسان الفعل من دونه وبوجوده يوصف الانسان بالاستطاعة للفعل
وبعدمه يوصف بالعجز عنه وهي على القول المجمل اربعة بنية صحيحة للفاعل وتصوره للفعل وتأتي المادة
له والمادة التي يفعل بها وذلك مصور في الكاتب وانه يحتاج الى بنية صحيحة وهي العضو والى تصوره لما
يعمله من المعرفة والى الآلات كالدواة والقلم والى مادة يوجد الفعل فيها وهي الكاغد وغير ضروري وهو
ما يصح للفاعل الفعل من دونه لكن ربما تكون فيه الصعوبة لمن يقصد مكانا بعيدا ويعجزه مركوب له
مركوبا فيسهل عليه طريقه فغير الضروريات لا يمكن حصره ويصح التكليف من دون حصوله وهو المعتبر
عنه بالتوفيق والتسهيل ويسميه العامة سعادة الجد وحسن البخت وتيسيره ودفع ضده يستفاد
كثير من الادعية فاذا ثبت هذه الجملة فالاستعانة بالله طلب الامرين فحصول الضروريات من المعاون
يوصل الى اكتساب الثواب وحصول غير الضروريات منها يسهل علينا السلوك اليها فان قيل كيف
قال اياك نعبد ولو قال نعبدك كان اوجز منه لفظا قيل ان عادتهم ان يقدموا من الفاعل والمفعول
ما القصد الاول اليه والاهتمام متوجه نحوه وان كان في ذكر الجملة الفضلات جميعا يقول بالامير استخف
الجند اذا كان القصد الاول ذكر امر وقع استخفاف الجند به والامير استخف بالجند اذا كان القصد
الاول الى ان انه تم على الاستخفاف بهم ولما كان القصد الاول في هذا الموضع ذكر المعبود دون الاخبار
عن الحال عبادتهم كان تقديم ذكره اولى وعلى نحو هذا قوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون



وايضا ففي تقدم ذكر المعبود اشارة الى اثبات الحكم لله المذكور ونفيه عن غيره نحو قولك اياك ارجو تنبيها انك
لا ارجو الا اياك واذا قال ارجو اياك فليس فيه هذا المعنى وعلى هذا فسر ابن عباس وقال معناه نوحدك ونخشاك
وقال بعضهم انما نبه تعالى بتقديم ذكره ان يكون نظر العابد من المعبود الى العبادة لا من العبادة الى المعبود
وعلى ذلك فضل ما حكى الله تعالى عن نبينا عليه السلام اذ قال لا تحزن ان الله معنا فقدم ذكر الله تعالى
الى نفسه على ما حكى عن موسى عليه السلام حين قال ان معي ربي فقدم ذكر نفسه ونظر منها الى ربه ان قيل لم كرر
اياك فقيل لو قال اياك نعبد ونستعين لكان يصح ان يتصور ان الاستعانة بغيره وكان اعادته ابلغ ان
قيل لم قدم العبادة على الاستعانة وحق الاستعانة ان يكون مقدمة اذ لا سبيل الى العبادة الا بمعونته قيل قد
قالوا هو على التقديم والتأخير وقيل الواو لا يقتضي الترتيب والوجه في ذلك ان الله تعالى علم خلقه بذلك
ان يقدموا حقه ثم يسألوه ليكونوا مستحقين للاجابة ويجوز ان يكون قوله اياك نستعين في موضع
الحال نحو قول الشاعر ه بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت
فقوله لم تكثر القتلى بها في موضع الحال ه

## قوله اهدنا الصراط المستقيم

الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وهوادي الوحش متقدماتها لكونها طالبة لسائرها وخص ما كان
دلالة بفعلت نحو هديته الطريق وما كان من الاعطاء بافعلت نحو اهديت الهدية واهديت الى البيت
فان قيل كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال تعالى كتب عليه
انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قيل ان ذلك على حسب استعمال اللفظ على التهكم
كما قيل وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع والهداية هي الارشاد الى الخيرات قولا وفعلا
وهي من الله تعالى على منازل بعضها مترتب على بعض لا يصح حصول الثاني الا بعد الاول ولا الثالث
الا بعد الثاني فاول المنازل اعطاؤه العبد القوى التي بها يهتدي الى مصلحته اما تسخيرا واما طوعا
كالحواس الخمس والقوة الفكرية وبعض ذلك قد اعطاه الحيوانات وبعضه خص به الانسان
وعلى ذلك قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله تعالى الذي قدر فهدى وهذه الهداية
اما تسخيرا واما تعليم والى نحوه اشار بقوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقوله تعالى بان ربك اوحى لها

وقال في الانسان ما اعطاه من العقل وعرفه من الرشد انا هديناه السبيل وقال وهديناه النجدين وقال
في ثمود واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وثانيها الهداية بالدعاء وبعثه الانبيا واياها عنى بقوله
بقوله تعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا وبقوله ولكل قوم هاد وهذه الهدايه منسوبة تارة الى الله عز وجل
وتارة الى النبي عليه السلم والى القران نحو ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وثالثها هداية يوليها صالحي
عباده بما اكتسبوه من الخيرات وهي الهداية المذكورة في قوله وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى
صراط الحميد وقوله اوليك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهذه الهدايه هي المعنية بقوله ويجعل لكم نورا تمشون به ويصح ان ينسب هذه الهداية الى الله تعالى
فيقال هو اثابهم بها حيث انه هو السبب في وصولهم اليها ويصح ان يقال اكتسبوها من حيث انهم وصلوا
اليها باجتهادهم فمن قصد سلطانا مسترفدا فاعطاه يصح ان يقال السلطان خوله ويصح ان يقال فلان
اكتسبه بسعيه ولا نظر الى ذلك على الامرين قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقويهم
وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم فنسبه ان ذلك جزاؤهم وتفضلا جميعا
وهذه الهدايه يصح ان يقال هي مباحة للعقلا كلهم ويصح ان يقال هي محظورة الا على اوليايه لما كان
في جميع العقلا ان يترشحوا لنيلها ومن قبل انه لم يبلغ منها الا قبل ان يتشكل الانسان بشكل
مخصوص بتقدم عبادات وقد قال بعض المحققين الهدى من الله كثير ولا يبصره الا البصير ولا يعمل
به الا اليسير الا ترى الى نجوم السما ما اكثرها ولا يهتدي بها الا العلما وقال بعض الاوليا انما مثل هداية
الله مع الناس كمثل سيل مر على غدران وعدران فيتناول كل وادي منها بقدر سعته ثم تلا قوله
تعالى وانزل من السما ما فسالت اودية بقدرها وقال بعضهم هي كمطر اتي على اراضين فينتفع كل
ارض بقدرها وقال بعضهم ترشحها للانتفاع به والمنزلة الرابعة من الهدايه التمكين من مجاورته في
دار الخلد واياها عنى الله تعالى بقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا فاذا ثبت ذلك فمن الهداية ما لا ينفى عن احد بوجه ومنها ما ينفى عن بعض
ويثبت لبعض من هذا الوجه قال تعالى لنبيه عليه السلم انك لا تهدي من احببت وقال ليس عليك

هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم فانه عنى الهداية التي هي التوفيق
وادخال الجنة دون التي هي الدعا لقوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال في الانبيا وجعلناهم
ايمة يهدون بامرنا فقوله تعالى اهدنا الصراط فسر على وجوه بحسب انظار مختلفة الى الوجوه المذكورة الاول
انه على الهداية الفائتة وامرنا بدعاء ذلك وان كان مؤتى فعله لا محالة لتربيتنا وابانة الدعا كما امرنا بان
نقول اللهم صل على محمد الثاني قيل وهنا الطريقة الشرع الثالث احرسنا عن استغوا الشهوات لقوله واستهوا الشهوات
واعصمنا من الشبهات الرابع زدنا هدى استصلاحا كما وعدت بقولك ومن يؤمن بالله يهد قلبه وقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى الخامس قيل علمنا العلم الحقيقي فذلك سبب الخلاص وهو المعبر عنه بالنور
في قوله يهدي الله لنوره من يشاء السادس قيل سوال الجنة لقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن
يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري
من تحتهم الانهار الاية فهذه الاقاويل اختلفت باختلاف انظارهم الى ابعاض الهداية وجزئياتها ويصح ان
يكون الجمع مرادا بالاية اذ لا تنافي بينها وقوله تعالى

## الصراط

يقال الصراط والزراط والسراط والاصل سرطت الطعام وزردته اذا ابتلعته وسمي بذلك تصورا انه اما يبتلعه سالكه
او يبتلع هو سالكه الا ترى انه قيل فلان اكلته المفازة اذا اضمرته او اهلكته واكل المفازة
اذا قطعها وعلى هذا النحو قال ابو تمام رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وما الروض ينهل ساكبه
وقيل قيل ارضاعا لها وبلا اضطحلها وسمي الطريق اللقم والملتقم على هذا النحو وذلك في
معنى الملتقم كالنقض والرفض في معنى المنقوض والمرفوض والمستقيم العام بالقسط قال امير المومنين
على صراط اذا اعوج المولد مستقيم وذلك قد تصور على حسب احدهما انه اشارة الى ان الطريق
المستقيم باضافتها الى طرق الضلال كثيرة على هذا قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وروي عن النبي صلى الله عليه ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى
جنبتي الصراط ستور مرخاة وعلى راس الصراط داعي يقول ادخلوا الصراط ولا تعوجوا ثم قال الصراط الاسلام
والستور المرخاة محارم الله وذلك داعي القران وعلى هذا فسر الاية فقيل الصراط المستقيم القران

وقبل السلام وقبل سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كله اشارة الى شيء واحد وان اختلفت العبارات

والثاني ان طرق النجاة وان اضافة بعضها الى بعض كثير لكن بعضها افضل وبعضها اعدل واقصد الطريق الطرق

المستقيم الذي هو طريق السابقين دون طريق المقتصدين والظالمين وان كانا مؤديين الى النجاة ايضا لكنها

ابعد المدرك انه قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فجعل ثلثهم مصطفين

ولكون بعض الطرق اقرب من بعض قال النبي عليه السلم في قوم انهم يدخلون الجنة قبل اخرين بكذا سنة

قوله عز وجل **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** الانعام ايصال الاحسان

الى الغير والنعمة تقال فيما يرتضيه العقل وان كان كريه المنظر والنعمة قد تقال فيما يستلذ الهوى وان كان

كريه العاقبة وهذا هو الحقيقة وان كان قد يسمى الانسان بسوء تصوره بعض ما يستلذه هواه نعمة وان كان وخيم

العقبى ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فهي بالقول المجمل ضربان

دنيوي واخروي فالدنيوي ضربان موهبي ومكتسبي فالموهبي يلنته اشرفها العقل وقواه من الفهم والحفظ

والفكر والنطق ثم البدني وقواه من الصحة والقوة والجمال والكمال ثم ما يكتنفه من الخارج كالمال والجاه

والاقارب والاصدقاء فاما المكتسب فاربعة الحكمة والعفة وعنها يصدر الجود والنجدة وعنها يصدر

الصبر والعدالة وهي بلثه عدالة في نفس الانسان وذلك بان يجعل هواه تابعا للعقل وعدالة بين العبد

وخالقه وذلك في توفية حق العبادات وعدالة بين كل انسان وغيره في المعاملات وهذه الاربعة

يطوى عليها العبادة المامور بها في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما الاخروي فرضاء

الخالق ومعاشرة الملائكة وبقاء الابد والغناء عن كل حاجة الا اليه تعالى ودل على ذلك قوله اعد لهم

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا

الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الاية فالنعمة الحقيقية التي لا غنا

عنها وبنال بها الخير المطلق هي الاخروية فاما الدنيوية فضربان ضرب هو نافع ضروري في الايصال الى

الخير المطلق وهي المكتسبات فانها ضرورية فيه اذ لا يمكن الوصول الى نعم الاخرة الا بها او ببعضها ولذلك

قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وضرب غير ضروري وقد يكون نافعا في بلوغ المقصد

٧

وما دونها نحو المال والجاه والقوة والجمال وكذلك لا يقال في المال انه نعمة على الاطلاق فقد يكون

لزيد نعمة وعلى عمرو نقمة ولهذا قيل رب مغبوط بامر هو داؤه ومرحوم لامر هو شفاؤه ولهذا قال بعض

الصالحين يا من منعه عطا وقال اخر يا من استحق بمنعه الشكر سواه وعماد كل ذلك في ايصالنا الى المقصود

من نعم الاخرة توفيق الله عز وجل فقد قيل لبعض الحكماء ما الذي لا يستغنى عنه في كل حال فقال التوفيق

اذا ثبت معرفة انواع النعم على ان قوله تعالى الذين انعمت عليهم يعني من سهلت عليهم طريق الفوز

باعطائهم ما يمكنهم منه ومنعهم ما يثبطهم عنه ومن المفسرين من قال اراد به عرفهم مكايد الشيطان وخيانة

النفس ومنهم من قال عني الانعام عليهم بالعلم والفهم وكل هذا ابعاض الجملة فالوجه ان يجري ذلك على

العموم في كل ما يصح ان يكون نعمة بدلالة قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وهؤلاء المنعم عليهم

المعنيون بقوله الذين انعمت عليهم هم المذكورون في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وبقوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين

من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح قوله تعالى **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ**

**عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** اصل الغضب غليان دم القلب ارادة للانتقام ومبدأ الغضب

للفعال مكروه بدلالة قوله عليه السلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار

وقال عليه السلم اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه

فمن وجد من ذلك شيئا فليلزم الارض والغضب والغم يوثران في النفس وهما من اصل واحد الا انه متى

كان معه الطمع في الوصول الى الانتقام كان غضبا واذا لم يكن معه الطمع كان غما ولذا الغم والحزن

مما ينال الانسان ممن فوقه والغضب ما يناله ممن دونه فيختلفان بالاضافة لا بالذات ولهذا قال

بعض المحدثين فحزن كل اخي حزن اخو الغضب وما ثبت ذلك فالغضب من الصفات

التي لو خلينا ومجرد العقل لم نجوز وصف الباري عز وجل بها لكن لما اطلقنا عليه ذلك لما جوزنا السمع ونسخ

لنا الشرع على معنى صحيح وهو انه قد تقدم ان الصفات التي مبداها انفعالات ومنتهاها فعل متى

وصف به الباري تعالى اريد بها المنتهى دون المبدا فاما المراد بالغضب في صفته تعالى ارادة الانتقام

وعلى هذا اكثر المتكلمين فقال بعضهم هو اراده الانتقام وقال بعضهم هو ذم العصاة وقال بعضهم هو حسن
من العقاب يضاد الرضا وقال بعضهم هو الانتقام وقال بعضهم استحقاق البطش لاستكبار امره وهذه التفاسير
عنه متقاربه كلها اذ ترجع الى منتهى الغضب دون مبدائه واما الضلال والخطا فالعدول عن الطريق
المستقيم ومن الصواب سوا كان العدول عن ذلك عمدا او سهوا وسوا كان يسيرا او كثيرا والصواب
من الشي يجري مجرى القرطاس من المرمى في انه هو الصواب وما فيه ضلال وخطا ولهذا قالت الحكما
كوننا مصيبين من وجه واحد وكوننا ضالين من وجوه كثيرة ولهذا روى عن بعض الصالحين انه راى النبي
عليه السلم في منامه فقال له ما الذي شيبك يا رسول الله حيث قلت شيبتني هود واخواتها فقال قوله
فاستقم كما امرت ومن تاب معك فلصعوبة الصواب في كونه واحدا قال عليه السلم استقيموا ولن تحصوا وعلى هذا
النظر قال من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد فاخطا فله اجر واحد واذا ثبت ان كل عدول عن
الغرض المقصود يقال له خطا وضلال وان الصواب في نهاية الصعوبة علم انه ليس كل خطا وضلال يستحق العقاب
الدايم بل كما قد يسمى اكبر الكباير نحو الكفر ضلالا او باطلا او خطا فقد يسمى بذلك اصغر الصغاير ولاجل ان ذلك كما
تشكل اذ ارينا بعض الاوليا موصوفا بالضلال او الخطا كما ارينا الكافر موصوفا بهما فقد يتقارب الوصفان
جدا موصوفا بهما متباعدان فغرض الضلال والخطا عريض والتفاوت بين ادناه واقصاه كثير ولذلك قال
تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى اي وجدك غير مهتد الى ما سبق اليك من النبوة والعلم
ونحوه قوله ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقد يعبر عن سوء الاختيار بالضلال نحو قوله فعلتها اذا وانا من
الضالين ويعبر عن الخيبة بالضلال والغي والخطا كما قال في الكفار ان المجرمين في ضلال وسعر وههنا اليهود والنصارى
النصارى وقد دل على ذلك قوله في اليهود من لعنه الله وغضب عليه وقوله في النصارى ولا تتبعوا اهوا قوم
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل ان قيل كيف قصر على ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب
عليه قيل هو كذلك لكن خص تعالى كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم في صفات
ذم ان قيل ما الفايدة في ترادف الوصفين واحدهما يقتضي الاخر قيل ان اقتضا احدهما الاخر من حيث المعنى وليس من
شرط الخطاب ان نقتصر في الاوصاف على ما يقتضي وصفا اخر دون ذلك الاخر الا ترى انك تقول حي سميع



بصير والسمع والبصر يقتضي الحياة ثم ليس من شرط ذلك ان يكون ذكره لغوا وانما ذكر غير المغضوب
عليهم لان الكفار قد شاركوا المومنين في انعام كثير عليهم فبين بالوصف ان المراد ما ليس من النعم
العامه بل ذلك نعمة مخصوصة وقوله غير اذا خفض فصفة ويصح ان يوصف به ما فيه الالف واللام وان كان
الجنس بغير ومثل واخواتها لكونه قريبا من النكرة ولا يصح ان يوصف به ما فيه الالف واللام ودل على العهد
ولا ساير المعارف نحو خفضه على البدل واذا نصب فعلى الحال من الضمير في عليهم او من الذين وقال الاخفش
ويصح ان يكون استثناء ولم يجوز ذلك الفرا لان الاستثناء لا يعطف عليه بلا لا تقول جاءني القوم الا
زيدا ولا عمرا وقال ابو علي الفسوي رحمه الله من جعله استثناء فانه يقول ادخل عليه لا حملا على المعنى لان معنى
قولهم اتاني القوم الا زيدا اتوني لا زيدا وتجعل لا زايدة وقال ابو علي الجبائي في قوله غير المغضوب عليهم
زلة عظيمة في النحو فقال ذكر المغضوب بلفظ المفرد وهو يعني الجماعة فقال الجبائي ان هذا لحن في سعة الكلام
وخفي عليه ان المتعدي بالجار يدخل التثنية والجمع على الضمير المتصل به دون لفظ المفعول

**قوله تعالى آمين** قيل هو اسم الفعل كصه ومه معناه استجب عليه الحسن واليه ذهب
الاخفش ويدل على كونه اسم فعل ان موسى عليه السلم كان يدعو وهرون عليه السلم يومن فقال تعالى اجيبت
دعوتكما فاستقيما فكما ان قول موسى ربنا اطمس على اموالهم الآية جملة فكذلك قول هرون آمين جملة من
حيث المعنى وقال مجاهد وابن جبير وجعفر بن محمد هو اسم من اسماء الله تعالى وقال ابو علي الفسوي تاول ما قالوه
ان هذا الاسم لما تضمن الضمير المرفوع وهو ذكر الله قال هو اسم الله لا ان الكلمة كما هو اسم وما روي عن امير المومنين
رضي الله عنه انه قال آمين خاتم رب العالمين ختم به دعا عبده فقد قيل ان ذلك ليس تفسيرا لآمين وانما هو وصف
له ومن قال آمين بالمد فقد قال الاخفش هو اسم اعجمي نحو هابيل وقال غيره بل هو على مثال عاصين
وليس يعني انه جمع ولان النون فيه تفتح كما تفتح في عاصين وانما يريد ان لفظه كلفظه وقيل المد
فيه زيادة للمد نحو سباع وانظور في يبع وانظر

## سورة البقرة

**قوله عز وجل الم** اختلف الناس في الحروف التي هي في اوايل السور
فقالوا فيها اقوالا اجملها مراد باللفظ وغير مشاف على السير ولكن بعضها مفهوم بلا واسطة وبعضها مفهوم

بواسطة ماذهب اليه المحققون من اهل اللغة كالفراء وقطرب وموقول ابن عباس وكثير من التابعين
على ما سبق من بعد وبيان هذه الحروف لما كانت هي عنصر الكلام ومادته التي تركب منها بين تعالى ان
هذا الكتاب من هذه الحروف التي اصلها عندكم تنبيها لكم على اعجازه وانه لو كان من عند البشر لما عجزتم
مع تظاهركم عن معارضته واما اختصاص هذه الحروف وهذا العدد المخصوص وكونها في سور معدودة وجعل
بعضها مفردا وبعضها ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا ثم تجاوز ذلك واختصاصها ببعض الحروف
ثم لم تجاوز ذلك واختصاصها ببعض الحروف دون بعض فعنها عجاب وبراح اذا اطلع عليها علم انه كما وصفه
تعالى بقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقول في ذلك ان حروف التهجي قد قيل هي ثمانية
عشر وقيل تسعة وعشرون وهذا الخلاف من حيث ان الالف حرف لصورة له في اللفظ
حتى قال بعض الناس الالف في حروف التهجي حرف لا ساكن ولا متحرك وانما هو مدة لا اعتداد له وقيل ان
الله تعالى جعل هذه الحروف طبقا للعدد الذي هو اصل العلوم ولتوهم ارتفاعه ارتفع سائر العلوم
لان عقود الاعداد ثنائية وعشرون احادي تسعة وعشرات هي تسعة ومايات هي تسعة والف
وهو واحد ثم الباقي مكررات وجعلها ايضا طبقا لمنازل القمر هي ثنتيه وعشرون الى عز ذلك
من العجاب واما لام الف فمركب من حرفين ولا اعتداد به في حصر المفردات وقد قال بعض المحققين
ان ذلك يجب ان يقال لم وذلك انهم لما اردوا التعريف صورة لفظ الالف مفردة ولم يكن سبيل الى النطق
به مفردا اذ لا يكون الا مدة ضم اليها اللام ليمكن النطق به وخص ذلك اللام لعلة مذكورة في موضعها فاذا
ثبت ذلك فقد قيل ان السور التي ذكر في اوايلها هذه الحروف تسع وعشرون وجعل ذلك تنبيها
على عدد حروف التهجي اذا عري منها الالف وقد ذكر هذه الحروف مفردة وثنائية الى الخماسية تنبيها ان
الكتاب المنزل على رسوله مركب من كلماتهم التي هي اصولها اما مفردا واما ثنائيا الى الخماسي وان اصول
اليه كلامهم لا تجاوز ذلك وجاءت سور مفتتحة بمفردات وتسع سور بالثنائيات وثلاث عشرة
بثلاثيات وسورتان برباعيات وسورتان بخماسيات وذلك ص وق ون وطه و
يس وطس وست من الجواميم والم في ستة سور والراء في خمس سور وطسم في سورتي والمرا

والمص وكهيعص وحم عسق فجعل عدد الثلاثي اكثر تنبيها ان اكثر تراكيب كلامهم الثلاث
وباقيها اقل وانما جعل الثلاثي ثلاثة عشر تنبيها ان اصول الثلاثي المستعمل ثلاثة عشر منها الجامد المستعمل
وذلك فعل كفلس وفعل كقفل وفعل كقرد وفعل كبجل وفعل كعضد وفعل كابل وفعل كعنق وفعل كبل
وفعل كعنب وفعل كصرد وثلثة للافعال فعل فعل فعل ولم يبن فعل امافي الاسماء فلانه لم يوجد بهذا
به وامافي الافعال فان الفعل في الاصل حب ان بني الفاعل وسند اليه دون المفعول واما التسعة الثنائية
فتنبيها ان اجناس الكلم على حرفين تسعة اضرب ثلثة للحروف ان ومن ومذ اذا جر به وثلثة للاسماء
واذ ومذ اذا رفع به وثلثة للافعال في المستعمل نحو قل وبع وخف واما الثلاثة المفردة فتنبيها ان
الحروف ثلثة اضرب مفتوح ومكسور وساكن نحو له وبه ولم التعريف واما الرباعيات والخماسيات
فتنبيها ان لكل واحد منها مايصار اصلا ويلحقا به اما الاصل فكجعفر واما الملحق بها فكقرد ومحمد وانتصر من
حروف التهجي على النصف منها وهو اربعة عشر حرفا من غير تكرير ليدل على حكم عجيب وهو ان نصفها
بالذكر اورد فيها الحروف المجهورة والمهموسة والشديدة ومابين شديدة واللينة والمطبقة وحروف
البدل ومالا يصح فيه الادغام ومالا يدغم فيما قاربه ولا يدغم ماقاربه فيه ومالا يدغم فيما قاربه ويدغم ماقاربه
فيه من حروف الحلقة ومن الحروف التي للعرب دون العجم من كل ذلك ما يوزج واختيار النصف
فانه احرج نصفه ومن كل ما يوزد لاختيار التنصف نصفه باسقاط حرف او زيادة حرف واما الحروف
المزافية والحلقية والزوايد فقد زند منها على النصف لخاصية فيها فمن ذلك الحروف المجهورة
وهي ما اشبع الاعتماد على منبعه ولم يجر معه النفس وهي تسعة عشر حرفا جمعها ازاد ظي غبخ لك ضور
اذ قطع اسقط منها الالف الزايدة التي قيل فيها انها لم تعتد بها من حيث لا يكون المدة وذكر
نصفها في هذه الاربعة عشر وهي تسعة جمعها ان يقطع امر والمهموسة وهي ما ضعف الاعتماد على منبعه
وذلك عشرة جمعها ستشحثك خصفه ذكر منها في هذه الاربعة عشر نصفها وهي ما جمعها صه حسك
والشديدة وهي ثنيه جمعها اجدت طبقك ذكر نصفها وجمعها اوطك وباقيها وهو احد عشر اذا اسقط
منها الالف فنصفها عشرة يجمعها حث على نصره واللينة حرفان سوى الالف الواو واليا في

وفي هذه الاربعة عشر احدهما وهو الياء المطبقة اربعة ص ض ط ظ ذكر اثنان منها وهما الصاد
والطاء وحروف البدل اثنا عشر حرفا فيما ذكره سيبويه يجمعها احد طوت منها ذكر منها ستة يجمعها اقطعين
فتترك باقيها واما لم يجز حرى غير ذلك في ان ترك منها الالف ثم نصف بل زيد الى نصف باب
البدل وهو ان الالف في باب البدل اكثر من سائر الحروف فلم يجز الاخلال بها في باب الابدال واما على
غير طريقة سيبويه فقد جمع حروف البدل لتشبيه عشر فقد منها اللام بدلا من النون في اصلان
والصاد بدل من السين في الصراط والثامن الفا في فروخ الدلو والفا من الثاني في حدث وحدف
وثوم وفوم والعين من الهمزة في عنعه ثم خذ قوله اعن تهمت من حرقا مزلة في ان تسمت
والباء من الميم في قولهم ما اسمك في ما اسمك والزاء من السين في قولهم وقراى سقر فعلى هذا في هذه
الحروف من التسعة عشر تسعة وهي الستة المذكورة واللام والصاد والعين وما لا يصح فيه الادغام
اثنان الهمزة والالف في ذكر احدهما وما لا يدغم ولا يدغم فيه قالوا واو واليا اذا انفتح ما قبلهما وقد ذكر
احدهما واما الحرف التي لا يدغم فيها قاربها ويدغم ما قاربها فهي الميم والراء والشين والفا
فالضاد والحاء وقد ذكر احدهما واما الحروف الذلقية فهي التي دلقت وسهلت على اللسان
فستة جمعها رمل فنب وحروف الحلق وهي ستة الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
فقد ذكر من النوعين اكثر من النصف للتنبيه على كثرة وقوعها في الكلام اقل ما ينفك رباعي
وخماسي من حرف احرفين او ثلثة من هذه الحروف فلما كثر وقوعها في الكلام رتد المذكور منها
على ذلك واما الزوايد فعشرة جمعها اليوم تنساه ووقع في هذه الحروف منها سبعة لحاصله
فيها وهي التنبيه على ان البناء من الكلمة قد تلحق سبعة احرف بالزيادة فهذه هي التي زاد المذكور منها
على النصف لفائدة مختصة وحكمة تقتضيه وما روي عن ابن عباس ان هذه الحروف اختصار من
كلمات فمعنى الم انا الله اعلم ومعنى انا الله اعلم والمر فاشارة منه الى ما تقدم وبيان ذلك ما ذكره

بعض المفسرين ان قصد بهذا التفسير ليس ان هذه الحروف مختصة بهذه المعاني دون غيرها
وانما اشار بذلك الى ما فيه الالف واللام والميم من الكلمات منبها ان هذه الحروف منع هذه
الاسماء ولو قال ان اللام يدل على اللعن والميم على المكر لكان كذبا ولكن جرى في المثال الاول الرحمن
كانه قال هذه الحروف هي احراز ذلك الكتاب ومثل هذا في ذكر تنبيها على نوعه قال ابن عباس في
قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم انه الماء البارد في الشتاء ولم يرد ان النعيم ليس الا هذا بل اشار
الى بعض ما هو نعيم تنبيها على سائره فكذلك اشار هذه الحروف الى ما تركب منها وعلى ذلك ما روي
المسري عنه ان ذلك حروف اذا ركبت حصل منها اسم الله تعالى وكذا ما روي عنه انه قال في
اقسام غير مخالف لهذا القول وذلك ان الاقسام الواردة في فواتح السور انما موضع واحد تنبيه
عليها فيكون قوله الم ذلك الكتاب في تقدير جملة مقسم بها وقوله لا ريب فيه جوابها ويكون اقسامه
بها تنبيها على عظم موقعها وعلى عجز ناعن معارضة كتابه المولف منها فان قيل لو كان قسما لكان
فيه حرف القسم قيل ان حرف القسم يحتاج اليه اذا كان المقسم به مجرورا فاما اذا كان مرفوعا نحو
ايم الله او منصوبا نحو يمن الله فليس يحتاج الى ذلك وقاله زيد بن اسلم والحسن والمجاهد وان جرى
انها اسما السور فليس بخلاف الاول وكل سورة سميت بلفظ متلو منها فله معنى في السورة معلوم
وعلى هذا القصايد والخطب المسماة بلفظ منها يفيده معنى فيها وكذلك قاله ابو عبيدة وروي
ايضا عن مجاهد وحكاه قطرب والاخفش ان هذه الفواتح دلايل على انها السورة التي قبلها
وافتتاح ما بعدها فان ذلك يقتضي من حيث انها لم تقع الا في اوايل السور واقتضى ان لا
معنى سواه وما ذكر ان هذه الحروف قصد بها الرد على من قال ان النبي عليه السلام كان تلقف ما يدعيه
القران من بعض الاعجمين وذلك في قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فذلك ينبيه على ان هذه الصورة المخصوص بها القران
هي من النظم الذي اصوله عندكم وذلك ان القوم لم يدعوا ان لفظ هذا القران اعجمي وانما ادعوا ان
معناه ماخوذ عنهم ولهذا قال تعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فاذا المعنى يرجع الى ما تقدم بانه

منبيه على اعجازه وما قاله وقطرب انه قصد بها صرف اسماع المشركين الى الاستماع اليه كما تواصوا
بان لا يسمعوا له حتى قال تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فانا نشير به ايضا
الى المعنى المتقدم لانه تعالى انما قصد بصرف اسماعهم تنبيههم على عجزهم عن معارضته وان من حقكم اذا
عجزتم عن مثله ان تتدبروا آياته وان تعرفوا انه حق فلا تلغوا فيه وروى عن ابن عباس انه قال الالف
من الم دلالة على الله واللام على جبريل والميم على محمد فذلك ان القرآن من الله ابداؤه و
ان الواسطة جبريل ومنتهاه الى محمد اصح وادل على ما تقدم وقد بينه مخرج الالف الذي هو
مبدا مخارج الحروف على المبدا وهو الله تعالى ومخرج اللام الذي هو اوسط المخارج على جبريل و
مخرج الميم الذي هو منتهى المخارج على المنتهى الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم فكانه قال من هذه
الحروف الدالة على الاسباب الثلثة حصول الكتاب الذي عجزتم عن الاتيان بمثله وما قاله الرسي ان
اسرار هذه الحروف جروف لجمل فان ذلك من علوم خاصتهم وقد بينه بما على مدى ذلك غير متسع
ان يكون مع المعنى الاول مرادا بدليل انه ان النبي عليه السلم لما اتاه اليهود فسالوه عما انزل عليه دلهم عليهم
الم فحسبوه وقالوا ان هذا كان قد اعطى احدا وسبعين سنة لقصير المدة فهل غيره فقال الرد المرد المص
فقالوا خلطت علينا فما ندري بايها ناخذ فدلالة النبي عليه السلم ذلك عليهم وتقريعهم على استنباطهم
دليل على انه لا يمتنع ان يكون في كل واحد دلالة على مدة واما ما حكي عن الزجاج ان هذه
الحروف ذكرت علما منه تعالى انه يكون في هذه الامة من يزعم ان القرآن ليس بكلام الله وانما هو
حكاية كلامه فاراد ان يبين ان القرآن ما كتب وجزء عن اعاضه واجزاءه بالحروف التي هي
معلومة انها محدثة فان هذا القول من الوهي بحيث يستغني عن اظهار بطلانه اذ لا يقول احد ان
الكتاب الذي هو كتاب ليس مولف من هذه الحروف وان كانوا قد اختلفوا في القرآن هل هو مقصور على
الكتاب او المراد به ما وعد به ﴿ **قوله تعالى ذلك الكتاب** ﴾
قال ابو عبيدة معنى هذا الكتاب وقال غيره هو الكتاب وطن بعض من لم يقو في العلم
ان قولهم ذلك قدح في هذا وهو ليس الامر على ما ظنوه انما قصد هذا المفسران سمى ان



الاسم الذي فيه الالف واللام هو الخبر لانه وصف الخبر منتظر كقوله تعالى ان كان هذا هو
الحق والفصل كما مع المضمرات فانه يقع بالمبهمات فان قيل اذا كان المعنى ما قدمت في ان ذلك
الكتاب مهملا قيل ذلك الكتاب الم فانه قد علم ان حروف التهجي اعم معنى من الكتاب اذ كان
حروف التهجي كما تكون الكتاب المشار اليه قد تكون شعرا وخطبة ورسالة وقد تقرر ان العام اذا اخبر عنه
بالخاص كان كذبا بخلاف قولهم الحيوان انسان واذا اخبر عن الخاص بالعام كان صدقا نحو قولهم الانسان
حيوان محصل من ذلك انه اذا قيل الم ذلك الكتاب كان كذبا على هذا واذا قيل ذلك الكتاب
الم كان صدقا قيل في ذلك جوابان احدهما ان نجعل ذلك الكتاب مبتدا والم خبره مقدما وتقديره
على كون العناية به اصدق كما تقدم والثاني انه قد يقال الانسان زيد بمعنى غير معنى زيد انسان وهو
ان يراد كمال الانسانية موجود في زيد فكانه قيل كمال حروف التهجي موجود في هذا الكتاب
والكتاب في المعارف اسم المكتوب اي المنظوم كما به وقد يعبر عن المنظوم عبارة قبل ان
يكتب بالكتاب ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ قال المفسرون معناه لا شك فيه
فان قيل كيف نفى الريب عنه وقد علم شك كثير من الناس فيه قيل في ذلك اجوبة
الاول ان ذلك نفي على معنى النهي نحو قوله ولا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج بدليل
قوله فلا تكونن من الممترين وقوله فلا يكن في صدرك حرج فان قيل الشك لا يقصد الانسان
فكيف نهي عنه قيل اللفظ لذلك والمعنى حث على التدبر والتفكر اللذين ينفي الشك والثاني
انه تعالى وان كذا اذا تحققت منه الريبة وارابني او بمعنى الريبة قال الشاعر

احوذي الذي ان ريبة قال انما اريب وان عابته ران عابه

فالقرآن لا ريب فيه وان كان فيه ارتياب من بعض الكفار والعالث ان تقول هذا لا ريب
فيه والقصد الى انه حق تنبيها ان الريب يرتفع عنه عند التدبر والتامل والرابع انه لا ريب
في كونه مولفا من حروف التهجي وقد عجزتم عن معارضته والخامس لا ريب فيه للمتقين ويكون خبر
لا ريب فيه وقوله تعالى للمتقين هدى نصب على الحال او خبرا بتدا مضمر في موضع الحال

## قوله عز وجل هدى للمتقين

قد تقدم الكلام في الهداية واما اختصاص
المتقين فلان الهداية نصب العلم ليهتدى به الناس فعلى هذا وضع هذا المبدأ وذلك نصب العلم
للكافة وغايته وضوا الهتدا به فقارة تعتبر المبدأ فيقال هذى للناس لانه نصب لينتفع به الكل
في الهتداء وتارة تعتبر الغاية وضوا الهتدا به فعال هدى للمتقين لما لم يمتدوا به غيرهم ومثاله
من بنى مسجدا مباحا للكافة يصح ان يقول بنيت هذا المسجد للناس كافة اعتبارا بالمبدأ ويصح ان
يقول بنيته للمصلين فيه اعتبارا بالغاية وطريقة اخرى وهي ان اللام في قول القايل خرجت
للطرفة تعال على وجهين احدهما ان المقصود بالخروج الطرفة والثاني ان الحاصل منه الطرفة لانه قصد
به وعلى ذلك قوله والتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فضوا هدى للمتقين تنبيه على
حصول الهدى لهم وان كان القصد لهم ولغيرهم وطريقة ثالثة اذا تاملت تصور عنها جواب مسايل
كثيرة في القرآن وهو ان الله تعالى جعل لنا طبين طبا بدنيا وطبا دينيا وكل واحد منهما ضربان احدهما اعم
الصحة والاخر خط الصحة وقد اجرى العادة ان الدرك لخط به الصحة غير الدرك يعالج به الصحة اما في
طب البدن فالذي يعالج به الصحة الصغائر والرذيلة واما الدرك لخط به الصحة فالغذاء والطعام
واما في الطب الديني والدرك لحوز به الصحة صقل العقل واستعماله في تدبر الدلالات وتعرف
المعجزات ومعرفة النبوات والدرك لخط بها الصحة تدبر الكتاب المنزل وتتبع سنن النبي المرسل
فكما ان من لم يستفد الصحة في الطب البدن اذا تعدى كان ذلك ضررا عليه ومتى استعمل ذلك
وتهذب فيه جلب بالاستماع الى القرآن نفعا وعلى ذلك قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا الى قوله فزادتهم رجسا الى بعضهم ومانوا وهم كافرون واما التقوى فهو جعل النفس في
وقاية مما خاف هذا حقيقته ثم يسمى تارة الخوف تقوى والمتقوى خوفا على تسمية المقتضى
باسم المقتضى والمقتضى باسم المقتضى وفي التعارف حفظ النفس عن كل ما يوثم ولهذا قال الاول
ترك الخطور وذلك لان بعض المباح مما يوثم ولذلك قال عليه السلام من يرتع حول الحمى يوشك ان يقع



فيه وقيل من لم جعل بينه وبين محارم الله سترا من حلال يحقق ان يقع فيها وقوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين اى تاركين للخطورات وقال فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فجعل المتقي في الآيتين غير المصلح والمحسن والثاني من منازل
السلوك ان تعاطى الخير مع حب الشر واياه عنى الله تعالى بقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
والثالث التبرء من كل شيء سوى الله عز وجل بالسكون الى النفس والى شيء من المقتنيات
والجاه والاعراض وهو المعنى بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وما وعدناه بقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى واياهم بقولهم ورجاناه بقوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله لعلهم
يتقون فهذه المنازل مرتب بعضها على بعض وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الوجوه الثلاثة
فقيل عنى به الذاكرين لمحارم الله وقال ابن عباس عنى به الخائفين عقوبته الراجين رحمته وقال
بعض الحذاق من معناه هدى للمتقين اى وصله للمتطهرين انه عن الاغيار الذين نزعوا عن قلوبهم
حب الشهوات وهذا نظر منهم الى الغاية

## قوله تعالى الذين يومنون بالغيب

الايمان التصديق بالشيء وليكون التصديق الزاعن علم وبذلك قال تعالى الا من شهد بالحق
وهم يعلمون فالايمان اعم للاثة اشياء علم الشيء واقرار به وعمل بمقتضاه ان كان لذلك المعلوم عمل
كالصلاة والزكاة وهذا هو الاصل ثم قد يستعمل في كل واحد من هذه الثلاثة وبعال فلان مومن
ويعنى به اعتقد انما لحصن دمه وماله واياه عنى النبي عليه السلام بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وبذلك حكم عليه السلام على الحارثة
التي عرضت عليه فسالها ما سالها ثم قال اعتقها فانها مومنة وبعال مومن وراديه انه لعرف الدلالة
الواقعة التي يحصل معها سكون النفس واياه عنى النبي عليه السلام بقوله من قال لا اله الا الله محصل له اصل
الجنة ويقال مومن وبعنى به انه يسكن قلبه الى الله من غير يلتفت الى شيء من عوارض الدنيا
اياه عنى الله تعالى بقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اليه وبقوله اولئك كتب
في قلوبهم الايمان والغيب ما لم تقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول وانما يعلم اما بنوع علم

فانها هي

ما او الاستشهاد بها عليه نحو الخبر الصادق وهو الذي في شيء قوم فلزمهم اسم الملحد لان الجاحد دفع
اخبار الغيب وقول شريك الغيب هو القرآن وقول عطاء انه القدر تمثيل لبعض ما هو غيب وليس ذلك
خلاف منهم بل كل اشارة الى الغيب تمثال ولذلك ما روى ابو جمعة انا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلنا يا رسول الله هل قوم اعظم منا اجرا آمنا بك واتبعناك قال ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين
اظهركم ياتيكم بالوحي من السماء بل قوم من بعدكم ياتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه
اولئك اعظم اجرا منكم فتبين منه عليه السلام ان من بعده يحتاج الى نظر اكثر من نظر الذين شاهدوه فقد
كلفوا اكثر من اخبار الغيب وقوله بالغيب في موضع المفعول لقوله بالآخرة هم يوقنون وقال بعضهم
معناه يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين الذين اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
انما نحن مستهزؤون وقوى بما قالوا بقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله من خشي الرحمن
بالغيب وقول الشاعر    وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا
ويكون بالغيب على هذا في موضع الحال ومفعول يؤمنون محذوف وقال بعض المتأخرين من المتكلمين
يحمل قوله بالغيب على الغيبين وخفي عليه ان ذلك لا يصح فان بالغيب في القول الاول مفعول
وفي القول الثاني حال ولا يصح ان يقال ضربت راكبا وراكبا يكون مفعولا لضربت وحالا للفاعل
والوجه هو القول الاول لانه مستوعب لمعنى الثاني وزايد عليه اذ كل من آمن على الوجه الاول
فلا شك انه خلاف من يقول انما نحن مستهزؤون وقيل معنى قوله يؤمنون بالغيب يعني بالقلب
والنور الذي اتاهم الله وهو العقل ومعناه آمنوا بقلوبهم بخلاف من اخبر الله تعالى عنهم بقوله
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ومن حكى عنهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
وهذا ايضا يرجع الى الاول عند التحقيق وقيل يؤمنون من آمن فلان اي صار ذا امن نحو اغد واجرب
ومعناه صاروا ذوي امن بظهر الغيب بان ما اخبروا به حق فيطمئن قلوبهم بذكر الله قوله
تعالى ويقيمون الصلوة اقامة الصلوة توفية حدودها وادامتها وتخصيص الاقامة
تنبيه انه لم يرد ايقاعها فقط ولهذا لم يأمر بالصلوة ولم يمدح بها الا بلفظ الاقامة نحو اقم الصلوة وقوله



والمقيمين الصلوة والذين يقيمون الصلوة ولم يقل المصلين الا في المنافقين حيث قال فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون وكذلك تنبيه ان المصلين كثير والمقيمين لها قليل كما قال عمر رضي الله عنه
الحاج قليل والركب كثير ولهذا قال عليه السلام من صلى ركعتين مقبلا بقلبه على الله خرج من ذنوبه كيوم
ولدته امه فذكر مع قوله صلى الاقبال بغاية تنبيها على معنى الاقامة وبذلك عظم ثوابه وكثير من الافعال
التي حث الله تعالى على توفية حقه ذكره بلفظ الاقامة نحو ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ونحو واقيموا
الوزن بالقسط تنبيها على المحافظة على تعديله وقال بعضهم على الجائي الصلوة لما جاوزه القيام صح ان يعبر
عن المصلي بالقيام وهذا بعيد لان المجاور للصلوة القيام لا الاقامة ثم مع القول المتقدم لا يحتج على هذا
قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق لفظ مشترك يقال للعطاء الجاري تارة وللنصيب تارة
ولما يصل الى الجوف ويتغذى به فقوله انفقوا مما رزقناكم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون يعني نصيبكم من النعمة وقوله
وفي السماء رزقكم تنبيه ان الحظوظ بالمقادير وقوله وانفقوا مما رزقناكم ومما رزقناهم ينفقون
محمول على المباح دون المحظور لامرين احدهما انه حث على الانفاق ومدح لفاعله ولا يحث ولا يمدح بانفاق
المحظورات والثاني باضافته اليه وتمكينه منه حيث قال ومما رزقناهم ومن شرط ما يضاف
اليه من الافعال مفصلا ان يحسن الا وصل فالافضل وان كان قد يضاف الافعال كلها على سبيل العموم
يعني انه هو السبب الذي لولاه تعالى لم يحصل ولم يكن بوجه والظاهر من انفاق ما رزقه الله
المال وذلك عام فيما اخرج من الزكوة المفروضة ومن العطايا النافلة بدلالة ان ذلك مدح ومن المدح
قد يستحق بالفرض والنفل وما روي عن ابن عباس انه عنى الصلوة المفروضة والزكوة المحدودة
فانه ذكر اوكد ما يستحق به المدح اذ لا يعتد بالنفل ما لم يؤد الفرض ولذلك قال عليه السلام ان الله تعالى
لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وروي عن ابن مسعود ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى
اللقمة يضعها في في امرأته فالانفاق من الرزق في النظر العام من المال كما تقدم واما النظر الخاص فقد
يكون الانفاق من جميع المعاون التي اتانا الله عز وجل من النعم الباطنة والظاهرة كالعلم والقوة والجاه
والمال الا ترى الى قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه وبهذا النظر عد الشجاعة وبذل الجاه

أط المقيم

وبذل العلم من الجود حتى قال الشاعر والجود بالنفس أقصى غاية الجود وقال آخر
خير جود باله وجاهه والجود كل الجود بذل الجاه وقال الحكيم الجود التام بذل العلم فسماح الدنيا
عرض زائل ينقصه الإنفاق إذا ازدحم عليه قوم ثلم بعضهم حال بعض والعلم بالضد فهو باق وإن تركوا على
النفقة ولا يثلم تناول البعض حال الباقين وإلى هذا ذهب بعض المحققين فقال ومما رزقناهم ينفقون
أي مما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون فعلى هذا عام في كل ذلك ه قوله عز وجل
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة
هم يوقنون الإنزال والوحي متقاربان لكن الاستعمال الإنزال على اعتبار حال المنزل
والمنزل إليه بالشرف والمنزلة لا بالكلام والوحي هو الإشارة والإلقاء وذلك على ثلاثة أضرب بينها
الله تعالى في قوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه
ما يشاء فالأول من ذلك الوحي والإنزال الذي نبه تعالى وهو لأولي العزم من الرسل بسفير يرونه
والثاني سماع من غير رؤية كما سمع موسى عليه السلام في ابتداء نشأته والثالث بالإلهام والإلقاء في الروع وذلك
ضربان إما الإلقاء في الروع في حال اليقظة وهو المعبر عنه بالنفث في الروع وعليه نبه بقوله عليه السلام إن
في أمتي لمروعين وقوله إن يك في هذه الأمة محدث فعمر بن الخطاب وقوله إن روح القدس نفث
في روعي وإما الإلقاء إليه في المنام وذلك ضربان إما ظاهر من المنام لا يحتاج إلى تعبير وإما ملوح ورمز
يحتاج إلى تعبير ولهذا قال عليه السلام الرؤيا الصادقة الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة
فالذي يكون في المنام بالإلقاء في الروع قد يكون لغير الأنبياء والذي يكون بالسماع من غير رؤية قد يكون
لغير أولي العزم من الرسل والذي يكون بالسفير المرئي لا يكون إلا لأولي العزم وعلى هذا حال الإنزال
فقد ذكر الله تعالى الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وقال وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج
وقال وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومعلوم أن ذلك بالتمكين والإلقاء في الروع بالهداية إليه واليقين
أقوى إدراكات العقل ولهذا قيل هو مشاهدة الغيوب بعين القلوب سمي به أنه أقوى
إدراكات العقل كما أن رؤية البصر أقوى إدراكات الحواس ولصعوبة إدراكه قال عليه السلام



أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين ولذلك قالوا اليقين اطمئنان القلب اعتبارا بثمرته وقال تعالى
وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين واستعمله في الريبة تنبيها على
ما تقدم والكلام في ترتيب الآيتين ونظمهما صعب وذلك أنه كما أن تفصيلا للمتقين فالوجه أن
تفصيل ذلك لأن الأفضل لا يدخل أحد القسمين في الآخر نحو أن يقال العرب بدوي وحضري أو شاعر
وغير شاعر أو تميمي وغير تميمي فأما أن يقال شاعر وتميمي فلا يصح ومعلوم أن بعض ما عطف عليه إحدى
الآيتين داخل في جملة الأخرى وإن كان ذلك ليس تفصيلا وإنما هي صفات للمتقين ويكون في بعض ذكر
ذلك تخصيصا عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة على سبيل التخصيص فالوجه أن لا يبالي الذي
ثانيا ه قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون يجب أن يعلم هل هاتان الصفتان لموصوفين أو لموصوف واحد فنقول وبالله تعالى
الموصوف أنه قد قيل إن الإشارة في كلتا الآيتين فمعناهما خاص فالأولى أشير بها إلى الذين آمنوا
عن الشرك والثانية إلى الذين آمنوا من أهل الكتاب وهو قول ابن عباس واستدل على تقوية ذلك
بأنه كما صنف الكفار بعد ذلك فجعلهم مجاهرا ومنافقا كذلك صنف المؤمنين فجعلهم مؤمنا عن
شرك ومؤمنا عن غير مخالف في النبوة فعلى هذا قوله والذين يؤمنون بما أنزل إليك كأنه قيل
هذا الكتاب هدى للمسلمين الذين هذا وصفهم ولأهل الكتاب الذين جمعوا من الإيمان كل ما
تقدم ذلك وقد قيل فيه قول ثالث وهو أن الإيمان ضربان ضرب يمكن أن يدرك جملته بالعقل وإن
لم يمكن إدراك تفاصيله إلا بالشرع وذلك ثلاثة أشياء ذكرها في الآية المتقدمة وهي أفضل
ما يؤدى بالقلب واللسان وذلك الإيمان بالقلب أي التوحيد وأفضل ما يؤدى بالجوارح وهو الصلاة
وأفضل ما يؤدى من الأملاك وهو الزكاة وذلك صفات المتقين ثم ذكر بعد ذلك تكملة الأحوال
من أبواب الإيمان فيما لا سبيل إلى معرفته إلا بالسمع وهو الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة على
الرسل المتقدمة والإيقان بيوم القيامة قال وإنما أعاد الذين تنبيها أن هذه الثلاثة سبيلها
غير سبيل الأول وقد قيل فيه قول رابع وهو أن الإيمان ضربان ضرب هو معرفة سبيل الحق

وطلب الوسيلة اليه وهو المشار اليه بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وبقوله وابتغوا اليه الوسيلة وضرب ثم هولاء السالكين اليه المشار اليه بقوله ادع الى
سبيل وبقوله قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وبقوله وجاهدوا في الله
حق جهاده فالمعنيون بالآية الاولى هم المواظبون لسبيل الله بالايمان به والعبادات البدنية
والمالية والثانية المجتهدون في التوصل اليه هم الذين يعرفون حقائق مراد الله بما انزله على انبيائهم
وعنايتهم الله تعالى وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد وبقوله افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وهم المراد بقوله ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا فعلى هذا يرجع قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم الى الصنف الاول
واولئك هم المفلحون الى الصنف الثاني **قوله تعالى اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون** قد تقدم القول في ذكر الهداية بما اغنى عن
الاعادة فاما الفلح فاصله الشق ومنه قيل الحديد بالحديد يفلح وسمي الاكار فلاحا اعتبارا
بمبدا فعله وهو شق الارض ومن قال هم المكاري فلاحا لقول الشاعر
وفلاح يسوق لها حمارا [illegible] فانه اراد اكارا يسوق حمارا
محكما انه لو قال اكارا يسوق حمارا لم يكن حسن ان يقال الاكار هو المكاري كذلك هذا وسمي الظفر
فلاحا اعتبارا بكشف الكرب ثم الفلاح تارة يعتبر باعراض الدنيا فيقال افلح فلان اذا ظفر
بما يريده وقول من قال الفلاح البقاء لقول الشاعر
ورجوا الفلاح بعد عاد وحميرا … فما اعني الفرح والبقاء بعض الفرح
فاذا ذلك عام موضع موضع خاص وقد استعمل الفلاح في الآخرة لما هو في الحقيقة ظفر وفرح ولذلك قال
عليه السلام لا عيش الا عيش الآخرة وقوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان **قوله تعالى
ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون** الكفر في اللغة عبارة عن الستر ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص



والزراع لستره البذر في الارض وليس ذلك باسم كما ظن بعض اهل اللغة لما سمع قول الشاعر
القت ذكاء يمينها في كافر … فان ذلك على اقامة الوصف مقام الموصوف في قول الشاعر
فالكه اذ نادى من الكافر … اي الاكام وسمي القبر بكفر الزلك وكفر النعمة سترها فقال كفر كفرانا
وكفورا اخو شكر شكرا وشكورا وهو كافر وكفور وشاكر وشكور وحقيقة الكفر ستر نعم الله تعالى
ولما كانت نعمة تعالى بالقول المجمل ثلاثة نعم خارجة كالمال والجاه ونعم بدنية كالصحة والقوة و
نعم نفسية كالعقل والفطنة صار الشكر والكفر بثلاثة انواع بحسبها واعظم الكفر ما كان مقابلا
للنعمة فيها متوصل الى الايمان واستحقاق الثواب ومن مال تلك النعم ما الكفران فهو الكافر المطلق
ولذلك صار الكفر في الاطلاق جحود الوحدانية والنبوة والشرائع وقوله تعالى سواء في الاصل
مصدر كالعلاء والثناء المتعارف يستعمل في وسط الشيء المعتبر استواؤه بطرفيه ومنه سواء الدار
واما السيان فهي الشيئان المعتبر احدهما بالآخر في المساواة الشيء مع المساوي كالمثل والمثل
في معنى المثائل والمماثل فاذا قيل سواء زيد وعمرو فمعناه كلاهما واحد وحصولهما في وسط واحد اذا
قيل سيان زيد وعمرو فمعناه كل واحد منهما مساو الآخر وانما جاز قولهم علي اقمت ام قعدت
من حيث ان القايل اذا قال اقمت ام قعدت منه بابهام الامر على استوا الحالين لديه وان كان
القصد الاول بهذا الكلام الى الاستفهام دون المساواة فلما صار فيه معنى الاستوا جاز ان
يقال ذلك يعني انما اقتضاه هذا السؤال سواء عندك واكثر النحويين جعله سواء مبتدا وما بعده
خبره واذا اكمل جملة حصلت خبر المبتدا فلا بد من ان يكون فيها ضمير مسطور او مقدر الى
هذه الجملة فانه لا ضمير فيها بوجه وذكر بعضهم ان المبتدا هاهنا مقدر وقد دل عليه لفظ الاستفهام
وسواء خبره والجملة قد تدل على المخبر عنه نحو كذب كان شرا له اي كان الكذب شرا له وهذا
لا يعتد به لاحد لامور منها انه لا يكسر الباب على هذا لان الباب مطرد في ان الجملة اذا كانت
خبرا فلا بد لها من ضمير يرجع الى المخبر عنه والثاني اذا قلنا سواء عليهم القيام والقعود لخبر عن القيام
والقعود بالسواء عن السواء بالقيام والقعود والثالث ان سواء نكرة غير موصوفة و[illegible]

الاستدلاله ومال الله على السوك في نصرة المدست ابراول ابك اذا املت سوا مو خبر في الكلام للابتدا
واذا املت هو مبتدا فالحمله بعده خبره وهذا اسا وقطاعلى التيقه بر المتقدم وتشهد لصحة ما قلناه قولهم
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فان قولهم تسمع دل على مبتدا او قولهم خير خبره كانه قيل تسمع
وسماعك بالمعيدي خير والاندار اخبار فيه تخويف كما ان التبشير اخبار فيه سرور وقولهم نهرت
يقتضي معنى خشيت وخفت واما قولهم نذرت فذلك لغلة قول يقتضي خوفا من حدوث او رجا
لسرور ان قيل كيف قال سوا عليهم لا لانه وقد علم انه قد امن من الذين كفروا اقوم قيل ليان
من امن ليناقض مقتضى الايه وذلك انه تعالى نفى انهم ينتفعون بالانذار مع حصول الكفر فاما اذا
فارق الكفر وهو الجحود فانه لم يمتنع ان ينتفعوا بالانذار لقولك المريض سوا اطعمته او لم تطعمه لم ينفعه
الطعام تنبيها انه مادام مرضه حاصلا لم ينفعه ذلك وقد اقتضى ان ينتفع بذلك اذا زال
مرضه وقد تقدم ان الطب يجري ازالة المرض وحفظ الصحة ان الانذار يجري مجرى الغذا الحافظ
للصحة وان النظر في الادلة المقتضية للتوحيد واثبات الرسل جار مجرى الدوا المفيد للصحة و
المريض لم ينتفع بالغذا لم يزل مرضه فتبين ان الذي في قلبه مرض من الكفر لم ينفعه ما يجري مجرى
الغذا مادام به المرض وعن روي عن ابن عباس ما يدل على هذا وهو انه قال عنى به الجاحدين
لنعمه وان الماء الذي لا ينفعهم مع كفرهم وقيل ان ذلك حكم على جميعهم لان النبي عليه السلام كان يحب
ان يومنوا باجمعهم وايمان بعضهم ليس يقتضي ان الحكم على الكل كاذب وقيل الاية نزلت في
اليهود الذين جحدوا النبوة النبي صلى الله عليه مع ظهور المعجزات لهم ولم تومن احبارهم وقال الربيع
نزلت في قادة الاحزاب الذين نزلت فيهم قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
دار البوار الاية وقيل لم يدخل في الاسلام منهم الا نفر اليسير هل حصل لهم الايمان الموصوف
في قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فان
قيل اذا علم انه لم ينجع فيهم الانذار فما فايدة حث النبي عليه السلام على انذارهم قيل من الله تعالى
في الاية ما هو تنبيه على الجواب عن ذلك لانه قال سوا عليهم ولم يقل عليك ليبقى للنبي عليه السلام



فضل السعي والانذار ففي الابلاغ فايدتان فايدة له في استحقاق الثواب بما كلفه من الانذار وفايدة
لهم ان قبلوا انجحوا وان حرموا الفايدة لعيوب فانه عليه السلام لم يحرم فايدة الابلاغ وعلى ذلك قال سوا عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم تنبيها على هذا المعنى وقال فيما خاطب به الكفار وذمهم لعبادتهم
الاصنام سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون فقال عليكم لما كان ذلك راجعا الى الداعين دون
المدعوين وجوزان يصح ان يكون قوله لا يومنون وقوله سوا عليهم مع خبره اعتراض في موضع الحال ويصح
ان يكون الجملة التي هي سوا عليهم مع خبره خبر ان وقوله لا يومنون حال موكدة او تفسير لذلك لانه اذا قيل
سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يعلم من ظاهره ان هذا الاستوا الحاصل هو في ان يومنوا او في ان لا يومنوا
فبين ذلك **قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** الختم والطبع الاثر
الحاصل عن نقش ويتجوز به في امور فيقال ختمت كذا اي استوثقت من الشي والمنع منه نظرا
الى الحاصل من المنع بالختم على الكتب والابواب ويقال ذلك ويعنى به تحصيل الاثر نظرا الى النقش
الحاصل عن الطابع اذا طبع به ويقال ذلك ويعنى به بلوغ اخر الشي نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احراز
الشي ومنه قيل ختمت القران ويقال ذلك لما يستدل به على الشي نظرا الى الختم المناشير المستدل
على منشيها واما المراد من الاية فقد قيل للانسان بالقول المجمل ثلثة انواع من الذنوب يقابلها
في الدنيا ثلث عقوبات الاول الغفلة عن العبادات وذلك صاحبها جسارة على ارتكاب الذنوب
وهي المشار اليها بقوله عليه السلام ان المومن اذا اذنب كان بورث نكتة سودا في قلبه فان تاب
ونزع استغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تغلق قلبه والثاني الجسارة على ارتكاب المحارم
اما لشهوة تدعوه اليه او شرارة حسنته في عينه وذلك رينه وقاحة وهي المعبر عنها بالرين
في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والثالث الضلال وهو ان يسكن الى اعتقاد
مذهب باطل واعظمه الكفر فلا يكون يلتفت منه بوجه الى الحق وذلك يورثه هيأة تمرنه على
استحسانه للمعاصي واستقباحه للطاعات وهو المعبر عنه بالختم والطبع كما عبر عنه بذلك في

قوله وختم على سمعهم وقوله [illegible] طبع الله على قلوبهم وسمعهم [illegible]
بالاقفال في قوله تعالى ام على قلوب اقفالها [illegible]
القلب في قوله وقالوا قلوبنا في اكنة وجعل الاكنة عليها في قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان
يفقهوه وبعدم العقل في ايات كثيرة ويجب ان يتصور ههنا [illegible] الشبهة [illegible]
من الايات وهي ان الهداية من الله ضربان احدهما العقل الذي ركب فطرته التي فطر الناس عليها [illegible]
توهم [illegible] نفعا ارتفع التكليف والثاني العلم المحصل للانسان بالفكر والروية بواسطة ما اعطي من نور الهداية
الاولى التي اشار النبي عليه السلام فيما قال لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى خالقهم بالصلوة والصيام
فتقرب انت بالعقل تسبقهم بالدرجات فاذا كان كذلك وجب ان يتصور ان هذه الهداية
ثانية متاحة للكافة لكن لا سبيل الى لقائها وتناولها والانتفاع بها الا لمن جلا بصيرته [illegible] وطهر قلبه
لقبولها وقد نبه تعالى على ذلك بقوله قد افلح من زكاها والكافر من حيث جعل البصيرة لم يزل مطموسا لم
[illegible] تناولها وادام تناولها صح ان يقال انه لم يهد الله اليها اذ كانت الهداية الثانية انما تحصل
للاهتدا وادام لم يهتد بها صح ان يقال انه ممنوع منها ومصروف كما قال سأصرف عن اياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
ثم بين سببه الى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين وتصور بعض الناس ان ذلك الختم منع
من الله تعالى للكافرين عن الايمان واستدل به على جواز تكليف ما لا يستطاع وهذا التصور فاسد
فان الانسان في هذه الحالة وان كان لا سبيل له الى الايمان في الحال فذلك بما كسبت يداه
من اهمال نفسه فمن سدد سهما من يده فانه وان كان لا يقدر على رده فقد كان من قبل سهلا عليه ان
يضبطه ولا يرمي به الم تر انه تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
فجعل الكفر علة الطبع على قلوبهم وقال بعض المتكلمين ان الختم والكن لو كان مانعا من الايمان
لما انكر الله تعالى على الكفار حيث قالوا قلوبنا غلف وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب وهذا ليس بصحيح اسند لا له وذلك ان المنع حاصل لكن [illegible]



[illegible] على [illegible] والقوم لم يتصوروا ذلك [illegible] نبههم الله عليهم بما قالوه واما ما قال علي
الجبائي في ان الختم سمة جعلها الله تعالى في قلب الكافر [illegible] فقلوبهم كالكتابة في
قلوب المؤمنين [illegible] الاعتقادات التي [illegible] الجوارح [illegible] كما قال الشاعر
[illegible] لست بمبصر اذا [illegible]
وذلك ان هذا الختم لا سبيل الى اثباته الا بالسمع عن جهة [illegible] واصحاب هذه الكتابة ان كانت محسوسة
فمن حقها ان يدركها الحاسة وان كانت معقولة والاعتقاد ايضا معقول فالملائكة غير مفتقرة
في شيء من المعقولات الى الاداة والبراهين كما يحتاج اليها البشر وقال ابو القسم البلخي ان ختم الله عليها
شهادته على صاحبها بانه لا يؤمن وقال تخصيص القلب بذلك لاختصاصه بالاعتقادات كما يخصص
الرجل بالمشي واليد بالبطش اذا قيل مشت رجله وبطشت يده وقد جعل الله تعالى في قوله اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم جملتها مطبوعا عليها وفي هذه الاية وفي قوله وختم على
سمعه وقلبه وجعل على سمعه وبصره وقلبه وجعل على بصره غشاوة البصر مغشيا عليه مفردا
عن القلب والسمع فقد قيل ان ذلك لاختصاص البصر بمعنى وهو انه لما كان يحتاج في ادراك مدركه
الى نور من خارج كما يحتاج الى نور من داخل والقلب والسمع يستوي حالهما في ادراك مدركهما في
الضوء والظلمة خص البصر بالغشاوة تنبيها ان النور ممنوع منه فلا يحصل له الانتفاع وايضا فان
ما يدركه القلب والسمع لا يختص بجهة دون جهة وما يدركه البصر يختص بجهة المقابلة فجعل ما يمنعهما
من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وجعل ما يمنع البصر من خاص فعله الغشاوة
المختصة بجهة دون جهة واكثر ما ذكر الله القلب والمقصود به العقل والمعرفة وكان ذلك عبارة
عن المعنى بالوعاء على هذا قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقوله تعالى
ام لهم قلوب يعقلون بها وقوله عليه السلام استفت قلبك وان افتاك المفتون واما افراد السمع
مع القلب والبصر فقد قيل ان السمع في الاصل مصدر فاجري مجرى اصله وقيل اراد موضع سمعهم
وقيل المضاف الى الجمع يصح جمعه على الاصل وافراده على المجاز اعتمادا على المضاف اليه كقول

الشاعر    اما عظامها فبيض واما جلدها فصليب    والغشاوة ما تغشى به كالعلاوة
والعلافة وعشي منه لكن غلب في اداة ما يشتمل كالعمامة والقلادة ولذلك عشيان كغليان ومن نصب غشاوة
فعلى تقدير جعل على ابصارهم غشاوة ومن رفع فعلى القطع والاستيناف والعذاب الاليم من التعذيب
وكان الاصل من قولهم ماعذب والتعذيب ازالة ذلك كالعذب كقولهم مرضته وقذيته ازلت
المرض والقذى والفرق بين العذاب والعقاب ان العقاب لا يقال الا فيما كان مجازاة وكان مؤدى
المتعقب للجرم المتقدم والعذاب يقال فيه وفي غيره ووصفه بالعظيم بسبب انه اذا قوبل بسائر جنس
ما يجانسه تقصر عنه **قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله**
**وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** الناس جماعة حيوان ذي فكر وروية واختلف
في لفظه فقيل هو من قولهم اناس حذف همزته وتقديره بعد الحذف عال وقيل ذلك من قولهم ناس
ينوس اي اضطرب وتسميته بذلك لكونه ذا اضطراب ابدا على غيره اما ببدنه او ببدنه وفكره معا
فلا انسان بالفكر كدرا ابدا على سائر الحيوان وقيل هو مقلوب من نسي نحو جذب وجبذ ولهذا ابوك
ولهي ابوك وكذا قال ابن عباس في الانسان انه سمي بذلك لانه عهد اليه فنسي فالانسان على ذلك
افعلان اصله انسيان بدلالة تصغيره على انيسيان وقيل سمي انسانا وانسا لانه لا قوام له الا بانس
بعضهم ببعض ولهذا قيل خلق الانسان مدنيا بالطبع من حيث ان الواحد لا قوام له في حيوته
بجميع اسبابه فيحتاج البعض الى البعض ليستتب لهم امورهم ولانه اذا لم يكن له مسكون الى من جنسه
لم تطب حيوته وعلى ذلك دل قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وهذا المعنى رمقه الشاعر فقال

من كان في الدنيا بغير حبيب    فحيوته منها حيوة غريب
من كان في حور الجنان لادم لو لم يكن حوا امر مرغوب
قد كان في الفردوس يشكو وحشة منها فلم يانس بغير حبيب

وقد روي انه سمي انسانا لانه نسي العهد وهذا من حيث اللفظ لا يصح لكن من حيث المعنى يصح ان
يقال عني به انس بالتنجم فنسي العهد والله اعلم • واما القول فيقال على اوجه الاول للفظ المبرز بالعبارة



والثاني للمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ والثالث للمذهب نحو فلان يذهب الى قول ابي حنيفة
والرابع للعناية الصادقة بالشيء نحو فلان يقول كذا والخامس للدلالة الحسية عن الشيء نحو امتلا
الحوض وقال قطني والسادس في استعمال المتنقص عبارة عن الحد نحو قول الجوهر كذا وقول
العرض كذا اي حدهما ولا استعمال القول على اوجه مختلفة قال تعالى يقولون بافواههم وقال ويقولون
في انفسهم والاصل في ذلك العبارة لكن عبارة عن سببه به كتسمية العنب خمرا في قوله تعالى
اني اراني اعصر خمرا والفرق بين القول والكلام ان الكلام لا يطلق الا لجملة مفيدة لفظا او تقديرا
والقول قد يقال لبعض الجملة فاذا كل كلام قول وليس كل قول كلاما ولذلك قال سيبويه قلت
في كلامهم حكى به ما كان كلاما لا قولا فاورد ذلك مع رد المقر في النفس ان الكلام موضوع لجملة
مفيدة وقد بين الله تعالى في هذه الاية ان في الناس من يدعي الايمان بالله والمعاد ويتوكلون
في قوله ودعواه وذلك كقوله واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وقوله يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم كل ذلك تنبيه على ان الايمان غير نافع ولا مقبول الا بمقدم البينة والاخلاص
ومطابقة المقال والفعال وقال ابو علي الجبائي هذه الاية تدل على ان اقرار من اقر بالله اذا لم يكن
عارفا به لا يكون ايمانا بالله وظاهر الاية لا يدل على ما زعم لان من يقول امنت بالله لا يكون بهذا
القول مؤمنا الا بعد ما ليه والمخالف لا يخالف في ذلك وانما يقول انه يصير مؤمنا اذا تفوه بالشهادتين
وقال ابو علي ايضا ان الاية تدل على بطلان قول من زعم ان جميع المكلفين عارفون بالله وان الكفار من
سوى المنافقين لو كانوا بالله عارفين فكانوا بحضرة النبي عليه السلام مقرين لكان يجب ان يكون اقرارهم
بذلك ايمانا لانهم لان من عرف الله واقر به لم يكن اقراره غير ايمان فلما بين تعالى انهم غير مؤمنين
بما اخبروا به علمنا انهم لم يكونوا يعرفونه وليس في الاية دلالة على ما قال لان الله تعالى قال
يقولون امنا بالله وباليوم الاخر ثم نفى عنهم الايمان بهما واحد لا يقول ان معرفة الانسان بالله وباليوم
الاخر ضروري وان ادعوا معرفة الله تعالى وجدها وثانيا ان احدا لا يقول ان الاقرار بالله على وجه الخداع
ايمان والله تعالى قد اخبر انهم خادعون الله بهذا القول وثالثا ان الايمان المنفي عنهم يبين مع الاقرار

بل يكون النفس المذكور في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وبابعان من يقول
معرفة الله ضروره بذكر ان ذلك لاحصل الا عن سبب يقدح كالعلم للخبر بالاخبار المتواترة لاحصل
المتقدم سماع مخصوص وكذلك الله معرفة الله تعالى ضروره ان ذلك موجود في الانسان بالقوه
كوجود الماء في البحر وابد لها من اقداح به يخرج ومتى لم يحصل السبب لم يكن الثمر كذلك المعرفة بالله

## قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون

الخداع ازال الغير عما هو بصدد ان يمر به على
خلاف ما يخفيه منه قيل خدع الضب اذا استتر في جحره واستعمال ذلك فيه لما اعتقدوا ان
الضب انه يعد عقربا يلدغ من يدخل يده في جحره قالوا العقرب نوات الضب ولا عتقاد الخديعة
فيه قالوا اخدع من ضب وطريق خادع مخالف لما تقتضيه ظاهره والمخدع كانك جعلته خادعا
لمن رام تناول ما فيه لانه بيت في بيت وقولهم خدع الريق اذا قل فتغير يتصور منه هذا المعنى
والاخر عان تصور منهما الخداع لاستتار مما تارة وظهورهما اخرى وفي الخبر من رعى الساعة
سنون خدعة اي مفتاحا لها لتلونها بالجدب تارة والخصب اخرى ان قيل لم قال يخادعون الله
وهم لم يقصدوا بفعلهم خديعته قيل بعضهم انه اراد تعالى يخادعون رسول الله فحذف المضاف
وهذا اعتبار اللفظ دون المعنى فاما اعتبار المعنى فانهم لما قصدوا خديعة النبي عليه السلم
وقد اسا تعالى ان معاملة الرسول معاملة الله تعالى حتى قال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله جعلهم مخادعين لله لخديعتهم النبي عليه السلم فان قيل الخداعة
من بين اثنين وقد علم ان ذلك لم يكن من الله ولا من الرسول صلى الله عليه فكيف قال
يخادعون الله قيل قد قال اهل اللغه وكثير من المفسرين ان الخديعة من الله هي مجازاته ايا هم
مثل فعلهم فسمي مجازاه الشيء باسمه وكذلك قالوا في المكر والمزو ونحوهما مما وصف به نفسه ولا يليق
به وعلى ذلك قول الشاعر فيجهل فوق جهل الجاهلينا ووجه اخر وهو انه قد
تقدم ان مخادعتهم الله عز وجل في الحقيقه مخادعة الرسول لما كانوا يراؤون المؤمنين ليريهم انهم



حكم المشركين وحكمهم في الاحكام مجرى المنسلخ ويطلعهم على الاسرار دون المحرمين وكثير من
القول محرمهم تصوروا ان ذلك عنه لهم خداع كما ان الاول منهم له خداع فاخرج اللفظ على حسب
وهمهم وحسبانهم لا ما عليه حقيقة الامر وقد يطلق الحكم على المعنى عباره على حسب اعتقاد المحاطين
في الخبر عنه لا على ما عليه حقيقة الامر كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم على زعمك في
قول الشاعر خذها حذيف فانت الصيد الصمهد وما حكى الله تعالى عن موسى في قوله وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا فان قيل كيف وصف تعالى نفسه بانه خادعهم في قوله يخادعون الله
وهو خادعهم قيل هو على ما تقدم ووجه اخر في هذا اللفظ ولحوانه مما وصف الله تعالى نفسه به من
الصفات التي يزه تعالى عما تصور من ظواهر معانيها نحو قوله تعالى وهو شديد المحال وقوله ومكروا
ومكر ومكرنا مكرا وقوله لما من مكر الله الا القوم الخاسرون وقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين كل ذلك قد قيل فيه قول من تصوره متحريا بالحق تلج قلبه واستقرب
ما كان من قبل يستبعده وهو ان المكر والخديعة انما هو استرال الغير عما هو بصدد ان يمر به على
خلاف ما يخفيه وتحراه مستعمل على وجهين احدهما قاصدا باستزال الغير من رشد الى ضلال
وذلك قبيح والثاني استزال الغير من ضلال الى رشد وذلك جميل وهو كما يفعله الاب
البار بابنه من يخدر يستجره به الى ترك شرب دواء مر فقول خدعت ابني عما كان يتعاطاه
من القبيح ومكرت به حتى فتحته في عينيه وقد علم ان هذا الفعل فان اطلق عليه لفظ الخديعة
والمكر فهو فعل حسن فاذا المكر والخديعة انما هو استرال الغير عما هو بصدد ان يمر به على
خلاف ما يخفيه منه قيل يستعمل وهو ان المكر والخديعة انما هو استرال الغير عما هو بصدد ان يمر به
خلاف ما يخفيه وتحراه مستعملا على وجهين احدهما قاصدا باستزال الغير من رشد الى ضلال
وذلك قبيح والثاني استزال الغير من ضلال الى رشد وذلك جميل وهو كما يفعله الاب
البار بابنه من يخدر يستجره به الى ترك شرب دواء مر فقول خدعت ابني عما كان يتعاطاه
من القبيح ومكرت به حتى فتحته في عينيه وقد علم ان هذا الفعل فان اطلق عليه لفظ الخديعة
والمكر فهو فعل حسن فاذا المكر والخديعة وان كان لفظهما مستشنعا فقد يقصد به وجه محمود وبالعكس
من ذلك فعل العدالة فقد يحراه الانسان لاستقوا غيره واضلاله وهو مستقبح وان كان
لفظ العدالة مستحسنا فاذا كان كذلك ما يعد فسادا وجورا ومكرا مخديعة وقد يكون صلاحا
وعدلا ورشدا وما يعد صلاحا وعدلا ورشدا قد يكون فسادا وجورا ومكرا وهذا النظر قال
بعض الباحثين كل قبيح من العبد فهو حسن من الله تعالى ومعنى بذلك ان الفعل القبيح وحسن
حسب المقاصد ولهذا قال عليه السلم الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال نية المؤمن خير

عمله وبهذا النظر قال بعض المحققين وقد سئل عن شيء يقبح اطلاقه في الله تعالى مع وروده في الشرع
فاتبعه وتنح من سؤال الشيء عنده وتعاله عمن شك ذا كما وهذا ظاهر لمن جلى بصيرته
وتامل حقيقته ونبه بقوله وما يخدعون الا انفسهم ان وبال خدعهم راجع الى نفسهم لا على الله وعلى
المؤمنين كقولك ما ظلمت فلانا وما ظلمت الا نفسك وذلك في الحقيقة اعظم خدعه وظلم وجور فان
الله تعالى لما افاض عليهم النعم المباركة والخير السرمدي وسهل لهم السبيل اليه ثم غفلوا عنه ومالوا الى زخارف
الدنيا صاروا في الحقيقة خادعين لانفسهم ظالمين لها ولذلك وصفهم في القران بظلم انفسهم في غير
موضع وانهم خسروا اما ويمكرون الا بانفسهم ولانه قيل من خدعك وقد عرفت خديعته فقد خدع نفسه
معلوم ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء فمن خادعه فقد خدع نفسه قوله وما يشعرون اصل هذا اللفظ الشعر
ومنه الشعار الثوب الذي يلي الجسد فيقال اشعرته ثوبا ثم يقال على التشبيه بذلك اشعرته هما واستشعر
سرورا او شعرت كذا يستعمل على وجهين تارة يوخذ من مس الشعر ويعبر به عن اللمس وعنه استعمال المشاعر
للحواس فاذا قيل فلان لا يشعر فذلك ابلغ في الذم انه لا يسمع ولا يبصر لان حس اللمس اعم من حس السمع
والبصر وتارة يقال شعرت كذا اي ادركت شيئا فيقال فلانا لم يشعر به اي اصبت شعره نحو فادته وراسته
وكان ذلك اشارة الى نحو قولهم فلان يشق الشعر في كذا اذا دقق النظر فيه ومنه اخذ الشاعر
لادراكه دقائق المعاني ⁂ وقوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا المرض ضربان جسمي ونفسي وكلاهما خروج عن الاعتدال الخاص بهما فالجسمي معروف
والنفسي كالجهل والجبن والبخل والحسد والحرص وسائر الرذائل الخلقية وسميتها بالمرض اما لكونها مانعه
عن ادراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل واما لكونها ذريعة الى سلب الحياة الحقيقية
التي هي في الدنيا لسان صدق وفي الاخرة بقاء الابد كما وصفه تعالى في قوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان
واما الميل النفسي الى الاعتقادات الرديه مثل الميل المريض الى الاشياء المضرة ولكون هذه الاشياء متصوره
بصورة المرض قيل دوي صدر فلان ونغل قلبه وقال عليه السلام اي داء ادوى من البخل وقوله تعالى في قلوبهم مرض
عبارة عن نفاقهم وشكهم وعداوتهم وقول ابن مسعود والحسن وقتادة انه شك وقول غيرهم انه حب الدنيا

واتباع الهوى وقول اخر انه حسد واخر انه غم واخر انه السكون الى الدنيا وكلها اشارات على
سبيل المثال الى ابعاض ما ينطوي عليه معنى المرض والاختلاف فيهم فيه ومعنى قوله فزادهم الله مرضا
على اوجه الاول كما تقدم ان ما انزله الله حرك من النفس محركات الغذاء الحافظ للصحة ومتى تناوله المريض
الذي لم يزل مرضه لم ينفعه بل يضره والثاني ان هذه الزيادة في المرض هي ما كان الله تعالى يوتيه نبيه و
المؤمنين من النعمة وتزيد زيادة في مرض المنافقين وذلك كقولك لمن اعطاك شيئا قد اكمدت
عدوي وهو لم يقصد اكماده ولكن لما تولد من فعله بل ذلك صح نسبته اليه وعلى ذلك قول الشاعر
يا مرسل الريح جنوبا وصبا ان غضبت قيس فزدها غضبا اي زدنا البلاء ليزدادوا غضبا وعلى
ذلك قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك طغيانا وكفرا ولا اختلاف المعنى في قوله فزادهم الله مرضا اي جعل مورده مورد خير او مورد دعا فان
الدعاء من الله واجب وان كان منا رغبة وطلبا ويجوز ان يكون ذلك راجعا الى حال الاخرة ومعناه من
في قلبه مرض فان الله يزيده في الاخرة الى مرضا نحو قوله ومن كان في هذه اعمى واضل سبيلا وهذا او
الاول مرجعا الى معنى لانهم اذ ازدادوا في الدنيا عداوة للنبي عليه السلام ازدادوا الشك في الاخرة استحقاق
عذاب ⁂ قوله تعالى ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون
اليم بمعنى مولم نحو سميع وخصيب بمعنى مسمع ومخصب وقوله بما كانوا يكذبون اي بسبب كذبهم
او بدل كذبهم كقولهم هذا بذاك وجه من قرا بالتخفيف انه قبله كذب وهو قوله وما هم بمؤمنين
وهو به اشبه لانه في صفة المنافقين وقد قال تعالى فيهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
ومن قرا يكذبون فلقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولان التكذيب ابلغ اذ كل مكذب بشيء كاذب
وليس كل كاذب مكذبا ⁂ قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مصلحون الفساد خروج الشيء عن الاعتدال
والصلاح على الضد والافساد اخراجه عن الاعتدال والفساد عام في الكفر والضلال وكل ما هو
ضار والصلاح عام في الايمان والرشد وكل نافع فقوله لا تفسدوا في الارض عام في كل ذلك

وقول ربيعه وقتاده ونحن مجاهد انشالوا الكفار ومثله لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها من قال عنى
بذلك كسر الله لهم فانه تمثيل لما ذا يكون فساد ايها ان ذلك عام فانه اذا كان ذلك فساد
فما فوقه من قتل النفس الزكيه بغير حق ونحوه اولى بذلك والخطاب في الايه للمنافقين وما روى
عن سلمان ان اهل هذه الايه لم ياتوا بعد فيجوز ان يكون معنى قوله انه سيكون من يعرض من حاله في ذلك
شبيه بحال المشاهدين فان الايه متصله بما قبلها والضمير فيها ليس الا لمن تقدم ذكره وقولهم انما نحن
مصلحون فيه تنبيه انهم يتصورون افسادهم بصورة الاصلاح لما في قلوبهم من المرض كما مال انمن زين
له سوء عمله فرآه حسنا وقوله زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقوله وحسبوا انهم حسنون صنعا فمال
الحسن من ذلك الى شيء مسجد قباضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين **قوله تعالى**
**الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** الا تقرير للاثبات لان
لا للنفي والالف للاستفهام واجتماعهما تقتضي اثباتا نحو اليس والم ان قيل ما الذي يفيد تعريف
قوله المفسدون وادخال لفظة هم عليه قيل اما التعريف فمقتضى كون الكلام جوابا او كالجواب
واما ادخال لفظة هم فيقتضي اثبات الحكم للمذكور ونفيه عن عداه نحو ان تعال زيد منطلق
فمقول اثبت بل عمرو منطلق ولما كان في قولهم انما نحن مصلحون تعريض انكر المفسدون
رد الله تعالى عليهم بقوله الا انهم هم المفسدون وقد تقدم ان شعرت يستعمل على وجهين
احدهما معنى احسست والثاني معنى فطنت فقوله وما يشعرون في الايه الاولى ينفي الاحساس
عنهم وفي هذه الايه نفي الفطنه عنهم لان معرفه الصلاح والفساد تدرك بالفطنه وفي الايه
التي بعدها نفي العلم فان قيل كيف نفي الحس اولا ثم الفطنه ثم العلم ومعلوم ان ما لا حس له فلا
فطنه له ولا علم قيل ان في هذه نفي هذه الثلثه على هذه الوجه تنبيها لطيفا ومعنى دقيقا وذلك
انه متى زال الاول ان في استعمال الحذاقه نهاية للجهل الذي على عدم الحس ثم من في الثاني
انهم لا فطنه تنبيها على ان ذلك لازم لهم لان من لا حس له لا فطنه له ومن لا فطنه له لا علم له
ثم بين في الثالث انهم لا يعلمون تنبيها ان ذلك ايضا لازم لهم لان من لا فطنه له فلا علم له فاذا من



الفاظ الايه اشاره الى قياس ظاهر والزام واجب لمن تاملها وتدبرها **قوله تعالى**
**واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن**
**السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** قولهم الناس لكل اسم
نوع فانه يستعمل على وجهين احدهما دال على المسمى وفاصل بينه وبين غيره والثاني وجد المعنى
المختص به وذلك هو الذي يمدح به في نحو اذا الناس ناس والزمان زمان ونحو قولك زيد رجل
وهذا الفرس فرس وبيان ذلك ان كل ذلك ما اوجده الله في هذا العالم يصلح الفعل خاص به ولا
يصلح لذلك الفعل سواه كالفرس للعدو والشديد والبعير لقطع الفلاة البعيده والمجر لجر الحشب
والمحت لحته وعلى ذلك الجوارح كاليد والرجل والعين والانسان احد ان يعلم ويعمل بحسبه وكل
شيء لم يوجد كاملا مما وجد خلق له استحق اسمه مطلقا بل قد ينفى عنه نحو قولهم ما ان ليس بانسان
اي لم يوجد فيه المعنى الذي خلق لاجله فاذا ثبت ذلك فقوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله سواسم جنس لا غير وقوله كما امن الناس كما يفعل من وجد فيه تمام فعل الانسانيه التي تقتضه
العقل والتمييز فاذا قول ابن عباس انه عنى كما امن اصحاب النبي عليه السلام وقول غيره انه عنى كما امن
الذين اسلموا من اليهود مثل عبد الله بن سلام واصحابه كلاهما صحيح لان كلا الفريقين حرك بما اقتضاه
فعل الانسانيه وقوله تعالى قالوا انومن كما امن السفهاء استفهام على جهة النفي نحو اتطع من لو شاء الله
اطعمه ومعناه لا نومن ان السفهاء تعريضا باصحاب النبي عليه السلام والسفه خفة في البدن او في
المعال يقتضيها نقصان العقل فالحلم رزانه في البدن يقتضيها زيادة العقل وعنه استعير زمام
سفيه وريح سفيه ان قيل كيف عدهم بانهم لا يعلمون قيل لهم ذلك عند الله بل يعلم امر عليهم
وانهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال جهلت ولم تعلم بانك جاهل وذاك لعمرك تمام الجهالة وكل ما ذم
به الكفار من انهم لا يعلمون ويرا يبصرون ولا يسمعون فتنبيه انهم لم يستعملوا هذه الالات وما شكروا
**قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا**
**الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون**

قال الخليل كل شيء استقبلته او صادفته فقد لقيته واما الالقية اي طرحته فاصله جعلته حيث يلقى
اي تصادف ثم جعل عبارة عن الطرح والملقى المطروح الذي لا يحجزه شيء عن لقا المارة به ولقي من
اللقوة كناية بذلك عنها ثم كثر حتى صار معروفا بالدار وخلا الى انا صار خاليا وخلا المكان طورا وطورا
براجع والشياطين جمع الشيطان فقيل هو فعلان من شاط اذا احترق غضبا وذلك لما قال وخلق
الجان من مارج من نار وذلك لما اختص به من فضل القوة الغضبية وقيل هو فيعال من شطن اي تباعد
ومنه بير شطون وقيل للحبل الطويل شطن والشيطان كل عارم من الجن والانس والحيوانات وعلى
ذلك قال الشاعر شياطين ترمو بعضهن على بعض وقال لو ان الشيطان الرباب العسل
وقال بالسلة القفير الشيطان وسمي الحية شيطانا لذلك وقيل هو فعلان من قع لهم وقد نشط على الاحنا
الطل ومعنى الاية انهم يراوون المومنين فاذا عادوا الى مردتهم ادعوا انهم معهم وعلى دينهم وانهم
مستهزؤن بالمومنين ه **قوله عز وجل الله يستهزئ بهم ويمدهم**
**في طغيانهم يعمهون** الهزؤ اظهار جد يراد به مزح او ما هو في الظاهر كالمزح يقال
هزئت واستهزأت كحو اجبت واستجبت والصحيح ان الاستهزاء ارتياد الهزؤ وان كان قد يعبر
به عنه وكذا الاستجابة في الاصل معناها مخالف للاجابة وان كان قد يجري مجراها والهزؤ وان
كان يعبر به عنه اذا اريد به المزح لا يصح منه تعالى كما لا يصح منه اللعب واللهو والطلاقة
عليه اما ان يراد به المجازاة عنه اما لمقابلة اللفظ باللفظ واما مع مقابلة اللفظ مراعاة مطابقه
ما لكونه مماثلا له في القدر فسماه لذلك باسمه نحو قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وان الله تعالى لما امهلهم لطول المدة التي يمكنهم ان
يتوبوا فيها فلم يحصل ذلك منهم سمي امهاله هزؤا ولانه لما استدرجهم من حيث لا يعلمون صار ذلك
كالهزؤ واما لان الهزؤ لما لا ينفك من العيب سمي العيب اطلق لفظ الهزؤ نحو قوله اذا سمعتم ايات
الله يكفر بها ويستهزأ بها اي يعاب ويرات لا استهزاؤها في الحقيقة او لما يفعل بهم في الاخرة وهو انهم
لما قدروا انهم يهزؤون وقد عرف خديعته فقد خدعته او لما روي في الخبر ان المستهزئين بالناس في الدنيا



يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم وذلك قوله فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون وعلى هذه الوجوه قوله سخر الله منهم واصل المد الجر ومنه المدة ومد الجرح
ومد النهر ومده نهر اخر وامداد الجيش وامداد الانسان بالطعام وقال بعضهم اكثر ما جاء الامداد في
المحاب الخير نحو قوله وامددناهم بفاكهة وقوله ايمدهم به من مال وبنين قال وما كان من المد فبالشر نحو ونمد له
من العذاب مدا وقال واخوانهم يمدونهم في الغي والطغيان في المصادر كالعدوان والكفران يقال طغى
يطغو او طغى نحو صنعا وحكي طغيت والفرق بين عدا وطغى ان العدوان تجاوز المقدار المامور
بالانتهاء اليه والوقوف عنده وعلى ذلك قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه اي من تجاوز معكم
المقدار المامور بالانتهاء اليه فتجاوزوا معه بقدره ليكون العدالة محفوظة في المجازاة بالتعدي واما
واما الطغيان فتجاوز المكان الذي وقفت فيه وكان من احل ما وطعله من المعارف العقلية و
المواقف الشرعية فعلم موضعها فتجاوزها فقد طغى وعلى ذلك نحو له انا لما طغى الماء حملناكم في
الجارية اي تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل والبغي طلب تجاوز قدر الاستحقاق تجاوزه ام لم يتجاوزه
واصله الطلب واستعمل في التكبر لان المتكبر طالب منزلة ليس لها باهل والعمه في البصيرة كالعمى في البصر
وهو التردد في الضلالة يقال رجل عامه وعمه فقوله في طغيانهم يعمهون يصح ان يتعلق بقوله يمدهم فيكون
ذلك عبارة عن خذلانهم عن فيبقيهم لا يتجلى عليهم بل يسد طريقه على انفسهم باعراضهم عنه ويصح
ان يتعلق بقوله يعمهون معناه مدتهم استصلاحهم وهم مع ذلك يعمهون **قوله عز وجل**
**اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت**
**تجارتهم وما كانوا مهتدين** المبايعة ضربان مبايعة سلعة بناض
فيقال للدافع السلعة بايع وللدافع الناض مشتري ومبايعة سلعة بسلعة او ناض بناض فيصح ان
يقال لكل واحد منهما بايع ومشتري وذلك بحسب ما يتصور في الثمن والمثمن فاي سلعة تصور فيها
بصورة الثمن فاخذه بايع والاخر مشتري ولهذا صار البايع والمشتري من الاسماء المشتركة المعدودة
في باب الاضداد والمشاراة وان كانت موضوعة لمعاملة في اعيان على وجه مخصوص فقد يتجوزون بها

في كثير من المعارف فيقال لمن ادرج عن شيء في يده محصلا له بغيره قد باعه وقد به تعالى ذلك
لمن رغب عن شيء تعالى عنه وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية معناه
اراد منهم ان يبذلوا مهجهم واموالهم في سبيله فيجعل لهم بذلك الخطير منى ذلك شرك وقد تقدم ان الهدى
يقال على اربعة اوجه الاول ما جعله الله للانسان بالفطرة والثاني ما جعله له بالوحي والثالث ما يكتسبه
الانسان بالفكر والنظر والعمل والرابع نهاية الهدى في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وكذلك الضلال
على اربعة اوجه مقابل للهداية فالاول اصناعة الانسان ما جعله الله بالفطرة من العقل الغريزي وذلك
بان لا تزكيه كما قال تعالى وقد خاب من دسيها والثاني اصناعته بما انزله الله تعالى على السنة الانبيا
والثالث ما يكتسبه الانسان بالفكر والنظر والعمل والرابع ان يترك ما يستحق به نهاية الهدى
في الدنيا والثواب في الآخرة وقد علم من هذا ان من الضلال ما يكون كفرا ومنه ما يوجب صغيرا وكذلك
الهدى فمنه ما يوجب السلام منه ومنه ما يوجب قدر الورع وكل من رغب عن منزلة من الهدى الى ضدها
من الضلال فقد اشترى ذلك الضلال بما له من الهدى لكن منه ما يستحق به النار كالشرك
والكبائر ومنه ما هو متجافى عنه كالصغائر فاذا ثبت ذلك وقول من قال عنى به الذين اضلوا الهدى
الذي جعله الله لهم بالفطرة وقول مجاهد انه عنى به الذين امنوا ثم كفروا وقول من قال استحبوا الضلال
على الهدى وقول من قال اشتروا النار بالجنة لا اختلاف بينهم الا باختلاف العبارات فقط وكذلك
قول من قال من الزم فعل الخيرات ثم اخل به فقد استرى الضلالة بالهدى وما استعمل في ذلك
المشاراة قال تعالى فما ربحت تجارتهم والربح والخسران ينسبان مرة الى صاحب السلعة ومرة الى
السلعة ومرة الى الصفقة اذ لا اشتباه فيه ونحو قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم و
نفى انهم كانوا مهتدين اي طالبين للهدى تنبيها انهم لو طلبوه لوجدوه **قوله عز وجل**
**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت**
**ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات**
**لا يبصرون** التمثيل تصوير شيء بالطاهر واصله من مثل اذا انصب والتمثال



الشيء المصور وسمي الوصف مثلا اذ هو مثال للموصوف يدل عليه كالمثال في دلالته على ما يوصل له
والمستوقد طالب الوقود واخذ وقد يقال للوقد كما يقال للحب مسجيب والنار جزاء مخصوصة ذو
النور والضيا واحدهما مشتق من الآخر من حيث انه قل ما ينفك احدهما عن الآخر ولهذا قال نفس
من نورك فاستعمل فيه الاقتباس الذي هو النار ويقال اضاءت الشيء فضاء واضاء والطرق الآية
ان يكون متعديا بالادخال حرف التانيث فيه والآية مثل ضربه الله لمن اباه ضربا من الهدايه و
المعاون المفسيه او البدنيه او الخارجيه فاضاعه لم يتوصل به الى نعيم الابد كما اول من ذلك
ذلك هو موقف اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة وقول من قال هو في الدين امنوا ثم كفروا
وقول من قال هو موقف اظهار الايمان بلسانه حقنا لدمه كل ذلك داخل في عمومه وكذلك قول
من قال انه يعني من لم يصح له احوال المراد فاوقفه مبتدا بالدعوى الى احوال المحبة فاحب الله
عنهم ما جعل لهم من النور بعد المراد فبقي متحيرا في حال الدعوى وقد نبه تعالى على شبههم بمستوقد
نارا اضاع نورها على حزنهم ونكسهم فيما اضاءه من الهدى وقوله ذهب الله بنورهم الاظهر ان
يكون ذلك راجعا الى المشبه الذي هو في قوله مثلهم دون المشبه به الذي هو قوله الذي
استوقد نارا واحتضر ولو بسط الكلام لقيل فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بناريهم ذهابه بنورهم وقد
قيل ان ذلك راجع الى المشبه به وان الذي قد يستعمل في الجمع كاستعماله في الواحد استدلالا
بقول الشاعر فان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم فعال استعد رد
الى لفظ الذي ثم قال بنورهم ردا الى معنى الجمع وانما قال على هذا بنورهم ولم يقل بناريهم ان
المراد من النار ههنا النور الذي يصحب الطريق فتركه اياهم في ظلمات انما هو كتركهم اياه في
قول التوفيق منه فلما تركوه تركهم كما قال تعالى نسوا الله فنسيهم وانما قال في ظلمات لانه عنى
عن ظلمة صدورهم وظلمة عقولهم في الدنيا وظلمة يوم القيامة التي ينزعها الموصوفون بقوله تعالى
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم **قوله عز وجل صم**
**بكم عمي فهم لا يرجعون** الصم صلابة من اكتناز الحجارة ومنه قيل حجر اصم وصخر

صما وقناة صماء وقيل لراس القارورة الصمام والبكم اعتقال اللسان واصله من ... الاخرس ... يعبر يقال في علم البصيرة والبصر جميعا فمن ترك الصفات ... والاخرس ... عن تعرف حالهم ولم يتم تدبرها صح ان يستعمل هذه الالفاظ فيهم ... عن تعرفه واعمى عن ادراكه والهيئة منشئة على الهيئة الاولى ... معشر ... يحسب ... وقوله لا يرجعون اي لا يعودون الى الطريقة الرشد وقيل معناه لا يرجعون جوابا اي لا يردونه قوله تعالى

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الصيب فيعل

من صاب يصوب وذلك يقال للسحاب والمطر وان كان الصيب في السحاب اكثر والصوب يقال في المطر وكان المطر سمي صوبا لمجيئه على الصواب اما اعتبارا بالوقت المحتاج اليه فيه واما القدر المعتدل على حسب قوله تعالى انزل من السماء ماء بقدر وعلى طريقة نظر من وصف المطر بقوله م فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي وصاب السهم اذا توجه نحو الرمية على الصواب وقد شبه العقل والقران بل العلوم كلها بالمطر والسما من حيث انه سبب الحيوة الابدية كما ان الماء سبب الحيوة الدنيوية والسماء في هذا الموضع يجوز ان يكون السحاب وان يكون المطر ومن فيه للتبعيض وقوله فيه ظلمات يقتضي معنى الصيب السحاب فالفرق بين ان يقال صيب في ظلمة وبين ان يقال صيب فيه ظلمة ورعد ... اما الكلام في ماهية الرعد والبرق فليس يليق بهذا الموضع والصاعقة يستعمل في كلها ... عظيم مدرك ومسموع وانما قال او كصيب لانه من حيث انه يدل على احد الشيئين ويستعمل في الاباحة والتخيير



وفيه تنبيه على انه ان شبه بهذا فصواب وان شبه بها فصواب وهذا المعنى في لفظه ان ... قيل ... كيف ... الوجه الوظيف في ذلك وقد قال في الاول مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ... بليغ ... تعالى او كصيب قيل قد اجيب عن ذلك بانه اراد كاهل صيب من السماء وقيل ان ذلك ... في المعنى وذلك ان التشبيه تارة يكون به مطابقا للمشبه في اللفظ وتارة يكون به على ما يقتضيه المعنى دون اللفظ على ذلك قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم ومعناه كحرث قوم ظلموا انفسهم ... ما شبه ريح ... فيه المعنى دون اللفظ وعلى ذلك قول الشاعر

فلا تنه حطان من عوف منازله كما رقش العنوان في الرق كاتب

وتقديره كعنوان رقشه الكاتب وهذا النوع من التشبيه يقال له التشبيه الملفف والاية تناولت على وجهين احدهما انه شبه حال المتحيرين الذين اشتروا الضلالة بالهدى بمن حصل في ليلة مطيرة مظلمة راعدة بارقة خاف من ابرقها وصواعقها ... خوفا ان يصعق فيكون هذا في شغل الكلام بالمشبه به ووصفه بما يعظم من غير ان يكون في تفاصيل صفة المشبه به ما يرجع الى المشبه طريقة العرب على ذلك قول لبيد افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها هو مشبه الناقة بالوحشية ثم ذكر انها مسبوعة مخذولة ولا اختصاص للناقة بهذا الوصف والثاني انه شبه ما ان الله الانسان من المعاون التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي فيه حيوة كل ذي حيوة وما فيه من المشاق المبهمة والعوارض المشكلة بظلمات وجمع الظلمات تنبيها على كثرة العوارض وشبه ما فيه الوعيد بالرعد وما فيه من الايات الباهرة بالبرق ثم ذكر حال كل واحد من هذه الاشيا فقال اذا سمعوا وعيدا تصاموا عنه كحال من يهوله الرعد فيخاف من صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهذا معنى قوله والله محيط بالكافرين ثم ذكر انهم اذا ارادوا الهمّ امارشد ... اور قد استعمل ... ... غمضوا ... وذلك قوله كلما اضاء لهم مشوا فيه ثم بين انه ان اعرض

لهم شهد او عن لهم حصيه خبر دافرقضوا وذلك معنى قوله واذا اظلم عليهم قاموا وقوله
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم بنيه على انهم يصرفون اسماعهم وابصارهم عما فيه نجاتهم و
تاملا فيه صلاحهم وانما جعل الله لهم السمع والابصار لسفعهم ولو شاء الله لجعلهم الحاله التي يخلقون
النسهم عليها بشدها وتعطيلها وذلك ينبيه على انه انما اعطاهم هذه الالات لينتفعوا بها

## قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

قد علم ان الناس يستعمل على وجهين
احدهما المشار به الى الصورة المخصوصه وذلك عام في الصغير والكبير والعاقل وعن العاقل
والثاني المشار به الى المختص بقوى العلم والعمل المحكم وهو المستعمل على طريق المدح ولذلك تقابل
فلان اكثر انسانيه من فلان لاختصاص هذا المعنى بقبول الزيادة والنقصان وهذا المعنى هو المراد
في هذا الموضع والعباد نهايه الذلل في الخدمه وبذل الطاعة وذلك في مقابله اعظم النعم
ولم يستحقها غير الله تعالى فهو الذي له اعظم النعم والعباده تعالى في الله اشد استحقاق الحب
وتحرك الحق وعمل الخير وعباده الله تعالى قد يكون في افعل المباحات يكون في اداء الواجبات
وذلك اذا قصد بالفعل وجه الله تعالى وتحرك به مرضاته قال بعض الحكماء مباحات اولياء الله
كلها واجبات وواجباتهم نوافل فقيل كيف يكون ذلك قال لانهم لا يقنعون على تناول
مباح لهم كالاكل والشرب حتى يضطروا اليه فيصيروا تاركين لها متحنثين وملتزمون من الفرائض
فوق ما يلزمهم حتى يصير فرضهم متنفلا وبهذا النظر قل عند اكل الصالحين ترك الرجحان
انه لا يتناول الا اذا اشتد به الجوع ووجب عليه الاكل امساكا لرمقه الا ترى ان كثيرا من
المحظورات تصير مباحا عند الضرورات بل ربما يصير عليه من الواجبات ان قيل ما الفرق بين قوله
اعبدوا الله ومن قوله اعبدوا ربكم قيل في قوله اعبدوا ربكم الجاب العباده بواسطه دونه انعمه التي بها
ترسيهم وقوامهم وفي قوله اعبدوا الله الجاب عبادته مراعاته عز وجل من غير واسطه وعلى ذلك قوله
يا ايها الناس اتقوا ربكم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حيث ذكر الناس ذكر معه الرب وحيث



ذكر الايمان ذكر الله لما تقدم واما الخلق فتقدير الاعراض الجسمانيه وايجادها وقد يقال
مقيد القدره من غير ايجاد كقول الشاعر

واراك تفري ما خلقت وبعض القوم خلق ثم لا تفري

واستعمال الخلق في الاجسام والخلق في القول والافعال وجعلت خلقت للتكوين واخلقت للافساد
نحو فريت وافريت وذلك نحو اخلقت الثوب فخلق واخلق ولما كان الشيء الخلق كثيرا ما يلين
قيل صخر اخلق والصخره خلقا اي ملسا ومن اجل ان الخلق لا يستعمل الا في ايجاد الاجسام واعراضها
امتنع قوم من اطلاق الخلق على القرآن فراعوا في هذا الوجه دون الوجه الاخر فالوا ولا يكاد
يقال في وصف الكلام مخلوق ومخلق الا اذا اريد المقول المنشئ وعلى هذا قال تعالى حكايه عن
الكفار في وصفه ان هذا الا خلق الاولين ولا يكاد يستعمل الخالق مطلقا الا في وصف الله
تعالى وقيل في الجهله يستعمل في المقدم كل التقدم على اربعة اوجه تقدم بالزمان نحو ادم قبل
نوح وتقدم بالذات وهو في كل سببين متى قوي ارتفاع احدهما ارتفع معه الاخر واذا لم يرتفع
ارتفاع الاخر لم يرتفع معه الاول كالحركة مع العلم وتقدم بالشرف نحو تقدم الامير للحاجب وهذا
النظر استعمال العتيق في الشريف وان كان موضوعه لما تقدم زمانه نحو قولنا تمر عتيق وتقدم
بالرتبة الوضيعه نحو قولنا لواحد قبل الاثنين وقوله الذين هاجروا ثنايا اولي نوع الفضلاء وغيرهم
من جميع الاشياء وفي ذلك بنيه ان الله تعالى خالقنا وخالق كل ما تقدمنا وكل ما سبب
في وجودنا وحصولنا من الماء والمكنه والارض منه والسماء والارض وسايرما لو قومناه مرتفعا لحصل
واخرج الكلام مخرج المقرر عند المخاطبين انه تعالى خالق الكل ومبدع الجميع فعلم ذلك عندهم اما
موجود واما ممكن وجوده ولهذا قال دلني ما لهم من خلقهم ليقولن الله ولعل ذكر بعضهم ان معناه معنى كي
في غاية القرآن قال ان لعل شك والشك لا يصح على الله تعالى فكما لا يصح ان يقول اردوا واشكر
واظن فلان ذلك لا يصح ان يقول لعل وعسى بمعنى ذلك فثبت ان معناه اذا اورد معنى كي وهذا تصور
بعيد وذلك ان القايل اذا قال افعل كذا لعلك تفلح صح ان يكون لعلك حال للمخاطب لم يعلم وانا

طامع راج لقلة الحرث ويصح ان يكون للمخاطب بمعنى وانت طامع في فلاحك وانما دلت دلالة ان الطمع
انما يكون لمن يخفى عليه العواقب علم انه لا يصح ان يكون لله تعالى اذا اورد في كلامه فصار ذلك للمخاطب
كانه قال اعبدوا ربكم راجين تقاكم واخراج الكلام على ذلك ان من شرط المكلف ان يكون واقفا
بين الرجاء والخوف ولذلك قال في مدح المؤمنين يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يرجون رحمته ويخافون
عذابه ولذلك الكلام في عسى وهذا قول سيبويه وطرق محققي النحويين واما التقوى فقد تقدم ان
لها ثلث منازل الاول ترك الكفر والثاني ترك المحارم التي حظرها الشريعة والثالث حفظ الخواطر
والنيات والاحتراز مما اللذات رجاء ما الله تعالى ها هنا دون الاولين اذ لا يصح فعل الصالح
مع وجود الكفر وحقيقة التقوى جعل النفس في وقاية من كل ما يبعد عن الله تعالى وفي هذا قال
بعض المحققين التقوى ان يتجنب الانسان لغاية جهده الاخلاق الحيوانية ويتخصص بالاخلاق
الملكية فلا يكون متكبرا كالنمر ولا مهينا كالكلب ولا حقودا كالجمل ولا عمرا كالثور ولا جاهلا كالحمار
وقد نبه بالامتنان العباد لله على المبالغة بالى نهاية التقوى التي يستحق بها جوار الله تعالى نحو قوله
عز وجل اعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون

## قوله عز وجل الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم

جعل لفظ عام في الافعال كلها ويتصرف على ثلثة اوجه تارة يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى
مثل قولك جعل زيد يقول كذا قال الشاعر

فقد جعلت قلوص ابني سهيل ... من الاكوار مرتعها قريب

وتارة يجري مجرى اوجد
فيتعدى الى مفعول واحد وجعل الظلمات والنور وتارة يجري مجرى صير وكون فيتعدى
الى مفعولين نحو قوله تعالى جعل لكم الارض فراشا وتقول جعلته خارجا اذا حملته على الخروج
واذا اخبرت عنه بالخروج او حكمت له سواء كان خارجا او لم يكن والفراش والبساط متقاربان



وهو كل مفترش من ثوب او غيره والبناء لكل مرتفع من حائط وغيره والقصد بالاية الى ما جعله الله
تعالى للناس من النعم الواصلة اليهم من الارض والسماء وما بينهما ودل على ذلك بظاهر الآية وافرادها من الحواس
وقد بسط ذلك المعنى بابلغ من هذا في قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب وهذا المعنى على مقتضى ظاهر اللفظ وقد قال بعض المفسرين ان الله مع ارادته المعنى
جعل ذلك مثلا فذكر انه جعل فراشا اي مركبا من قولهم افترشت ... يريد اذا ركبته والسماء اشار
الجنة مقرا ومنزلا وجعل ما يصل الينا من الوحي والعلم ماء وبا ثمره من الاعمال الصالحة التي هي سبب
الحيوة الابدية ثمرات وهذا اذا جعل مثلا فليس ببعيد اذ قد علم ان السماء جعل مثلا لكل منزلة
رفيعة كقول الشاعر

نالوا السماء فامسكوا بعنانها ... حتى اذا كانوا بها استمسكوا

ولا منزلة ارفع من الجنة ولما كانت الجنة في السماء على ما روي في الخبر صح ان يعبر به عنها وقد جعل الارض
مركبا لنا لما روي في الخبر اجعلوا الدنيا مطية تبلغكم الى الاخرة واجعلوا الاخرة مقركم ومحط رحالكم
وجعل الماء مثلا للعلم والحكمة حتى قيل في قوله تعالى والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون انه عنى بالماء القرآن بدلالة انه علقه بالسماع وليس الماء
مما يسمع وفي قوله عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها انه عنى به القرآن كذلك روي
عن ابن عباس ويروى ان رجلا قال لابن سيرين رايت في منامي كان انا سقيتني وانا اشرب منه
وكنت عطشان فقال انه يعرض عليك علم انت محتاج اليه وتاتي ان تقبله وجعل الثمر مثلا لما يحصل
من الافعال الصالحة عن ذلك البيان وقد جعل الله تعالى الماء والثمر مثلا في قوله ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء الاية وجعل بعضهم ذلك مثلا على وجه
اخر فقال الارض مثل الابدان والسماء مثل العقل والماء مثل لما افاض الله علينا من العلوم
المكتسبة التي تحصل بوساطة العقل والثمرات التي جعلها الله تعالى رزقا مثل لما يحصل
من الافعال التي يقتضيها العلوم والله اعلم وهذا يكون ابلغ في المعنى لا يحصل مع المعنى
المحسوس معنى معقول والله اعلم

الأرض

## قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

كل عاقل اذا تامل ادنى نظر انه لابد للموجودات من موجد ايجادها على الفها فحينئذ ان يقال لهم انتم
تعلمون وهذا الوجه قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله ومعلوم انهم لا يقولون
ذلك الا بادنى تامل واعتبار وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
قد تقدم الكلام في الريب واما الفرق بين الشك والمرية والريب والارابة والتخيين
والحدس والوهم والخيال والحسبان والظن فانه يذكر هنا اذا كانت معرفته نافعة فنقول
والله تعالى الموفق ان الشك هو وقوف النفس بين نسبتين متقابلتين بحيث لا ترجح احداهما
على الاخرى امارة والمرية هي التردد في المتقابلين وطلب الامارة مأخوذ من مرى الضرع اذا مسحه
للدر فكأنه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن والريب ان يتهم في الشك
امرا ما فيكشف عما توهمت فيه والارابة ان يتوهم فيكشف حالا ما توهمت ولهذا قيل
القرآن فيه ارابة وليس فيه ريب والتخيين توهم الشر عن امارة والحدس اسراع الحكم بما يأتي به
الهاجس من غير توقف فيه مأخوذ من حدس في سيره اي اسرع والوهم صورة تحصل في نفسك سواء كان
لها وجود من خارج كصورة انسان ما او لم يكن لها وجود كذلك مثل عزرائيل والخيال تصور ما ادركه
الحاسة في النفس والحسبان اعتداد عن امارة اعتددت به سواء كان له وجود في الحقيقة
او لم يكن وهو مشتق من حسبت الحساب والظن اعم معنى من ذلك كله فانه اعتقاد عن امارة
ما مما قد تبين متى كانت تلك الامارة ضعيفة جدا كما اذا سمعت حلت وحبت ومتى كانت قوية جدا
جدا علمت ولترددك من هذين قال اهل اللغة ظننت قد يكون بمعنى علمت ومتى كانت الامارة قوية
كانت الامارة قوية ولحق بباب العلم استعمل معه ان المشددة او المخففة نحو الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وقوله علم ان سيكون منكم مرضى ومتى كانت ضعيفة استعمل معه ان المختصة بالمعدوم من الفعل
نحو قوله تعالى نظن ان نفعل بها فاقرة وقد تقدم الكلام في الانزال والتنزيل وفي معنى العبد واما

الند والشبه والمساوي والشكل والمثل متقاربة المعنى بينها فروق الند للشيء هو المشارك
له في الجوهر وان خالفه في الكمية والكيفية وشبهه مماثله في الكيفية وان خالفه في غيرها ومساويه
مماثله كلها وان خالفه في غيرها وشكله مماثله في القدر والمساحة ويدل على هذا الفرق انه اذا
قيل ما هذا فيقال ند كذا او يقال له هذا فيقال مساو له كذا او يقال كيف هذا فيقال شبهه كذا فتح
المخاطب متى عرف المشبه به ولو قال له هذا فقال شبهه كذا او يقال كيف هذا فيقال مساو له وهذا
لم يقنع به والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما اراد الله شيئا وقال له كن فيكون والضد
وهذا نظر منه الى بعض الاضداد وذلك ان الشيئين قد يشتركان في الجوهر ثم يختلفان في فصل
كالانسان والفرس فانهما مشتركان في الحيوانية ومتفصلان في كثير من المعاني فمن اعتبر في مثل
ذلك ما بينهما من الفصل قال الند هو الضد او المخالف ولان اهل اللغة يطلقون الضد على
المتعاديين وعلى المختلفين كثيرا على ما يدل عليه كلامهم في الاضداد وقوله ولا تجعلوا لله اندادا عام
في النهي عن الشرك المطلق وعن الالتفات المذمومة الى الشرك المتباعد بقوله وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون ولهذا قال ابن عباس في هذه الآية هو قول الرجل لولا اتباح الكلب لخرج
على اللص وقيل هو نهي لقوم كانوا يقولون ان شاء الله وشاء رسول الله وقال علي لهم امتلان
امتلان قولوا ان شاء الله فانزل الله تعالى هذه الآية ان قتل ما وجه قولكم وانتم تقولون حان ذلك
ان جعلته خبرا مستانفا فلا بد له من ذكر معلوم يقترن به حتى يحصل به تمام الخبر وان جعلته حالا
يصير تقديره لا تجعلوا لله اندادا في حال علمكم وذلك غير صحيح لان جعل الاند محظور في كل حال
قيل ان ذلك حال للنهي وليس الاتيان به شرطا لقصر الحكم على هذه الحال وانما هو تنبيه
على قبح فعلهم لان من ترك القبيح مع علمه بقبحه اعظم جرما واد اعيل لان يكفر معاندا فذلك نهي عن
الكفر وعن الضلال وكذلك هذا وعلى هذا قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فان قوله
وانتم تعلمون عام فمن حصل له العلم بذلك ومن لم يحصل له التمكن من العلم به فقد يوصف من حصل له التمكن
من الشيء او الترجح له بذلك الشيء لكتمينهم البصير خيرا والصبي ناطقا والنائم عالما وقد تقرر ذلك

تخصيص اضافه العبد الى الله في كثير من المواضع تنبيه على مدحه في كونه مطيعا له منصرفا عن امره
وانه غير معرج على غيره وراموتن لسواه لمن سماهم عبده الطاغوت وعبد الدرهم والدينار وبنبيه
انه ممن وصفهم بقوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه وبنبيه
انه جرى مجرى الملك الموصوف في قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ثم لاضافته
بنون الملوكه مبالغه في الاختصاص وفضل اضافه الى الله تعالى على هذا الوجه فللمبالغه والسوره
المنزله في فضائلها تران الله اعطاك سوره وتنال للحيط بالمدنه سوره لحيطانه تحملها وتسمى القطعة
من القران بذلك لكونها محاطة السور بالمدنه او لكونها منزله من القران كما تقدم
ومن قال سوره بالهمز فمن اسارت اى ابنت قطعه وكان ذلك قطعه مفرزه من جمله وقوله
من مثله قيل من مثل القران وقيل من مثل النبي من البشر بنبيها ان مثله ليس في طوق البشر
فمن على الوجه الاول للتبعيض وعلى الثاني للابتداء **وقوله عز وجل وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين**
الشهاده تبين الشي الحاضر وقولهم شهد فلان مشهد فلان معناه حضر وان كان قد تبين به ولما كان
من الشي على ضربين بين بالبصر وبين بالبصيره والحضور على ضربين حضور بالذات وحضور
بالتصور صار الشهاده مستعمله على اوجه حسب ذلك فمثال ذلك لحصول في مكانه ومنزله ومنه
قيل استشهد فلان وهو شهيد كانه حضر وبين ما كان بحضره واستعمال ذلك فيه كاستعمال
القرب نحو قوله الملائكه المقربون ولهذا المعنى قال ان الذين عند ربك وقال في الشهداء
بل احياء عند ربهم وقالوا انا شاهدنا هذا الامر اي عاينا به منصوره اشاره الى قولهم ليس
الخبر كالمعاينه وقالوا ما شاهدت لي ناصره وعلى نحوه قال ان الله معنا
وقالوا احمل الله واما الشهاده المعارفه فاصلها الحضور بالقلب والتبيين ثم يقال ذلك
اذا عبر عنه باللسان ولذلك سمي الطلق لفظ الشهاده على ما ظهر من اللسان دون حصوله
في القلب عد كذبا كقوله تعالى في المنافقين حيث قالوا نشهد انك لرسول الله



فلكم وقال والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ثم يقال لكل قائل على
شي شهادة وان لم يكن قولا فقوله وادعوا شهداءكم من دون الله قد فسر على كل ما يعضيه لفظ
الشهاده قال ابن عباس معناه اعوانكم وقال مجاهد معناه الذين يشهدون لكم وقال غيرهما ايتكم
نحو ونزعنا من كل امة شهيدا وكانا عن ذلك الكبر ابهم امرين وهم كقولهم فلان يحضره الفواد
وهو من اهل البيت وبضده يحيى من قيل فيه يحلفون ويقضي الناس امرهم وهم بعيب وهي عمياء
ما شعروا واما الصدق فانه يحتاج انه مطابقه المخبر المخبر عنه لكن حقيقته وتمامه ان تطابق في ذلك
ثلثه اشيا وجود المخبر عنه على ما اخبر عنه واعتقاد المخبر فيه ذلك وعن دلاله واماره وحصول
العباره مطابقا لهما فمتى حصل ذلك وصف بالصدق المطلق ومتى لم تقع ثلثها بوصف بالكذب
المطلق ومتى حصل اللفظ والمخبر عنه والاعتقاد خلافه صح ان يوصف بالكذب الامر ان
الله كذب المنافقين في اخبارهم انك لرسول الله لما كان اعتقادهم غير مطابق لقولهم واذا قال
لك من اعتقد كون زيد في الدار ان زيدا في الدار ولم يكن منه صح ان يقال كذب وان كان قوله
مطابقا لاعتقاده ولما كان اللسان ترجمان القلب صح ان يقال صدق في اعتقاده او كذب وقد يتجوز
ايضا بذلك في جميع الافعال فيقال كل فعل عمل على ما يجب صدق ولما كان خلافه كذب و
يقال ايضا لكل شي لعتقد فيه اعتقادا ما فوجده مطابقا لذلك صدق وان وجد بخلافه قيل كذب
ووجه الاية ان الله تعالى يخبرهم بان كل ادعوا اعوانكم كانصاركم ومستعينوا كل ناصر لكم غير الله
الذي هو مرجع الكل وانظروا هل في طوقكم الاتيان بمثله نبههم على ان ذلك محال وانى به مجهز مثله
لقدرتهم مع تظاهركم على الاتيان بمثله ولجواز ان يكون قوله من دون الله دنا لهم اي ادعوا اعوانكم
التي من عاديكم الاستغاثه بهم الذين هم غير الله ولجواز ان يكون معناه وادعوا شهداءكم الذين لكم دون
الله فان الاستغاثه به ليس لكم وعلقه بقوله ان كنتم صادقين منبها ان اقامه الدليل على
الشي الصدق ليس بقصر فتحزكم عند دلاله على انكم كاذبون في دعواكم **فوله عز وجل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار**

الا ان لفظ الفعل اعم معنى من سائر اخواته نحو الصنع والابداع والاحداث والخلق والكسب والعمل
وذلك ان الابداع اكثر ما يقال في ايجاد عن عدم وليس حقيقة ذلك الا لله تعالى والاحداث
يقال في ايجاد الاعيان والاعراض معا والعمل لا يقال الا فيما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم وقيل علم
وعمل حتى قال بعض الادبا قلب لفظ العمل عن لفظ العلم تنبيها انه من مقتضاه والصنع يقال لايجاد
الصورة في المواد كالصياغة والبنا فان الصائغ يوجد صورة الخاتم والخلخال في الذهب والفضة
والبنا يوجد صورة البنا في الطين والكسب يقال اكثره في اجتلاب المنافع وقد يقال ايضا في اجتلاب
المضار مقتدا والخلق قد تقدم القول فيه وقد امر الله تعالى بالتقوى على بضعة اوجه وخص كل وجه
عصابة من الناس وذلك بحسب اختلاف مراتبهم من العلم وتمكنهم من الايمان الاول حث على
تقواه برويته وصدانيته دون الوسايط وذلك في قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وجعلها على
ثلث مراتب على حسب ما سنه تعالى في سياسة الاصناف الثلثة من الناس الخاصة والعامة و
العامة وبهذا الاعتبار قسمهم تعالى ثلثة اقسام في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات واشرف هذه المنازل تقوى الله تعالى من غير روية الوسايط بلا مخافة ورجا
ولذلك عظم ثوابه بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وهم المعنيون
بقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعبر عنهم بقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية والموقود الحطب الذي يوقد به ولذلك غيرنا نحو ذفاف الحطب لان
الذفاف هو الذي يوقد به ولما كانت نار الدنيا تحتاج الى ذفاف يوقد به ونار جهنم مستغنية عن
ذلك بل يكفي في اتقادها بالناس والحجارة التي ليست من عادة النيران المشاهدة ان تتقد بها عظم
امرها بذلك ومن قال اراد بذلك حجارة الكبريت فانا عنى ان الحجارة تلك النار كحجارة الكبريت
لنار الدنيا وقوله اعدت اصله من العد وهو الاحصا لكن العد يتجوز به على اوجه فيقال شي معدود
ومحصور للقليل مقابلة لما لا يحصى كثرة ويقال على الضد من ذلك نحو جيش عديد وانهم لذو عدد اي كثرة
وذلك مقابلة لما لا يحتاج الى حصره وتعداده لقلته ولهذا قيل لما عد للكثير والاعداد من العد كالاسقا

الانسان



من الشيء تجاوزا قيل اعددت هذا لك اي جعلته معدا لك لمراده تتناول منه بحسب حاجته اليه وقد
الزمهم الله تعالى بهذه الاية الحجة بانكم ان لم تاتوا بمثله فقد ادحضتم حجته وان لم تاتوا بمثله لزمتكم الحجة ووجب
عليكم ان تتقوا عقابه وفصل بين الشرط والجزاء الحكم حزم ان لا تاتوا بمثله وذلك بالغ في اعجاز الوجود
تحدم على ما احرم به وذلك مثل قوله لئن اجتمعت الجن والانس على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله فان قيل كيف خص الكافرين بالنار دون الفاسقين قيل يجوز ان يكون اراد ان هذا الضرب
من النار مختص بالكفار ومن المخصوصة ايضا بقوله ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وقوله ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ثم اذا قيل اعد هذا لزيد لا يقتضي ان لا يكون معد لغيره بل قد يكتفي باعظم الشيئين
عن الاخر نحو سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر معه البرد فيكون النار على هذا الوجه للجنس وعلى الاول للنوع

قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من
قبل واتوا به متشابها الاية اصل بشرته تلقيته بما يبشره وجه طلق

وذلك ان من شان من اتى بخبر سار ان يكون طلق الوجه ومن اتى بخبر بخلافه يكون عابس
الوجه وقيل معنى بشرته اطلعت بشرته بما اخبرته فان من ناله سرور صار دمه منتشرا في صفحة وجهه
ومن ناله سو انقبض دمه فاصفر او اسود وقيل بشرته اظهرت له خبرا دل بشرته على المسرة به لان
ظاهره فاستعير لظاهر الخبر البشرة وذلك لكثرة ما يدل وجه الشي على باطنه فان قيل فاذا كانت
البشارة للاخبار السارة فما وجه قوله فبشرهم بعذاب اليم قيل ان مثل ذلك قد يستعمل على سبيل
التهكم نحو تحية بينهم ضرب وجمع بينهما ان السار لهم الاخبار بالعذاب الاليم فما الظن بما وراه والايمان
لما كان في الاصل التحقيق والتصديق قيل ما ذكر الله تعالى الاقتران به الاعمال الصالحة تنبيها

ذلك

ان الاعتقاد لا يغني من دون العمل فالعلم اس والعمل بنا ولا غنا للاس ما لم يكن بنا كما لا بنا ما لم يكن
له اس ولذلك قيل لولا العمل لم يطلب علم ولولا العلم لم يكن عمل فاذا احدهما ان يتلازما والجنه
اصله المستتر عن حس البصر وسمي الجن لاستتاره عنه ثم اشتق من الجن الفعل فقيل جن الليل وبني
على فعل بنا عامه الادوا الخوف كلم وحم ولقي والجنان القلب لكونه مستورا عن البصر وجن الليل والجن
كذلك وقيل البستان ذي الاشجار جنه لاستتاره بها والجنه قيل يسمى تشبيهًا بجنة الارض وان
كان بينهما بون وقيل سمي بذلك لانه ستر في الدنيا حقيقته ما اعد الناس فيها من عظيم الالا وبذلك
اخبر تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين وانما قال جنات بلفظ الجمع لما قال ابن عباس
ان الجنان سبع الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون
والجري المر السريع ويقال ذلك في الماء والرياح والفرس والسحاب ويقال للسهل والوكيل المحقق
في الحال جري والانسان عالم في الجري الذاهب وفيما كان طبعا ومنها والذات يقال للماء الجاري ولما وقع
منه من خشب ونحوه ولجري الماء والغرب ايضًا ان قيل لم قال تحت من تحتها الانهار وقد علم ان الما
في البساتين اذا كان جاريا على وجه الارض ليس منها اذا كان جاريا تحتها قيل عنى انهارا جاريه تحت
الاشجار لا تحت الارض وقد روي عن مسروق ما يدل على ذلك وهو ان انهار الجنه على غير اخدود
احاديد قيل كيف قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وما كان من قبل قد فني وعدم قيل لفظه هذا
واخواته يشار بها الى العين الموجود طورا والى الجنس طورا او النوع من حيث ما هو نوع ليس يفني النوع وجه
وانما الذي يفنى هي الحركات وعلى ذلك يقول في الاشاره الى نهر جار هذا الما لا يفنى وان لا يفنى
من ذلك الجزء المشاهد منه وانا نعني به النوع المعلوم وقوله من قبل هو المتقدم وقيل عني بذلك
ما اوتوه قبل ذلك في الجنه واليه ذهب الحسن ويحيى بن ابي كثير فقالا اذا اتي احدهم بصحفه فاكل منها
ثم يؤتى باخرى يقول هذا الذي رزقنا من قبل فيقول له الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وقال
ابن عباس رزقنا من قبل اي في الدنيا شبهه ورجح ابن جرير هذا الوجه وقال ان قوله كلما عام تقتضي
انهم قالوا ذلك في كل مره من غير تخصيص ومتى جعل ذلك الاول اقتضى ان يكون ذلك مخصوصًا

٢٠

بخلاف ما تقتضيه عموم الايه وقال بعض المفسرين قول ابن عباس في قوله هذا الذي رزقنا من
قبل في الدنيا يعني ثواب ما رزقنا من المعارف كقوله ذوقوا ما كنتم تعملون قال ويدل على صحه هذا ان
ابن عباس قال ليس في الجنه من اطعمه الدنيا الا الاسما والمتشابه المتماثل في الكيفيه ولهذا يقال فيما
لا يتميز احدهما عن الاخر متشابه وكذلك الواقع من الكلام بين معنيين يتصاعد متشابه والتشبيه في الشي
ما يقع فيه من مشابهه الغير يقوله واتوا به متشابها قيل هو تفسير لقوله هذا الذي رزقنا من قبل اي
تشبهه اسما ولونا لا طعما وحقيقه وقيل عني متماثلا في الكمال اي لا تفاوت فيه كما لطعم الدنيا
وقال بعض المفسرين ان الايه مثل لا على الحقيقه ونبه على كونه مثلا بقوله بعده ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا الايه قال والانهار مثل لمجاري الخيرات كقولك ينابيع الحكم وانهار العلم والرزق
لم يعن به ما يؤكل فقط وانما هو كقولك رزقت فهما وعلما والثمره اسم لما يتحصل عن الشي كقولهم ثمره العلم
العمل الصالح وثمره العمل الصالح الجنه ومعناه كلما اعطوا في الجنه جزا لما رزقوا من المعارف والاعمال
في
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي هذا ثواب الذي رزقنا في الدنيا وهذا القول وان كان لمجازه مساغ
في اللغه فتركه لما روي عن السلف في تفسير الايه وقد طعن في هذه الايه وامثالها من الايات
قوم من المتفلسفين والطبيعيين وقالوا ان الجنه لا يصح فيها الاكل والشرب فان الاكل لا يطلب
الا عن جوع والجوع مرض واذى والاكل دواء له ولا مرض ولا اذى يوجد في الجنه ثم ان الطعام
يصير بعضه ثفلا بعد طبخ المعده اياه فيخرج من السبيل وبعضه يصير غذا يتحلل في البدن بعد ما يتحلل
منه والخارج به البدن عن الاعتدال وكل ذلك لا يصح الا في دار الكون والفساد دون دار الخلد
والبقا وهذا كلام من نظر الى الاجسام في الاخره نظره اليها في هذه الدنيا وهي مركبه تركيبها
معرضًا للاستحالات ولم يعلم ان الله تعالى قادر على ان يعيدها اعاده لا يعتورها الاستحالات
ويجعل لها اطعمه تتلذذ بها فلان يكون لها ثفل ولا تغير منكر وقد دل على ذلك تعريضًا وتصريحا
اما اعادتها على وجه معرى من الاستحالات فقوله تعالى وننشيكم فيما لا تعلمون وبقوله عليه السلام
اهل الجنه جرد مرد مكحلون واما ان اطعمتها لا تستحيل فبقوله عليه السلام في اهل الجنه لا يبولون ولا يتغوطون

وهذا كلام من نظر الى الاجسام في الاخره نظره الى الطبيعه

وانما هو عرق خرج من اجرامهم مثل المسك ويقول ابن عباس ليس في الجنة شئ مما في الدنيا الا الاسماء فان الله سمى الماء واللبن والخمر والسندس والحرير والكافور والزنجبيل والمسك ووصف لكم ما في ايديكم لتحلوا عندكم ولكي يهتدي اليه قلوبكم وليس لهذا القول وجه الا التوقف او لدخول الاجتهاد فيه وروي ان يهوديا سال النبي عليه السلام انزعم ان في الجنة طعاما واكلا وشربا ومن اكل وشرب كانت له حاجة فقال النبي عليه السلام والذي نفسي بيده ان فيها اكلا وشربا وكما وكما وخراجا منهم عرق اطيب من ريح المسك فقال رجل صدق رسول الله حلق الله دودا يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون فخلف عسلا سائغا فقال عليه السلام هذا مثل طعام اهل الجنة وفي هذا اشاره عجيبة فانه اذا كان اكل دود اطهر مستحيل فخلف عسلا طيبا سائغا طول مدة فلا تحقره فساء فكيف بسكر ان متناول اهل الجنة طعاما معرى من العفونات والاستحالات يخلف منه مسكا والذي يستبعده بعض الناس من ذلك هو انهم يرون ان تصوروا ابدا ما تناوله الاطعمة لاستحالة فيها ولا تغيرها ولا يكون منها مصورات وتصور ذلك محال وفي ذلك ان التصور هو ادراك العلم حيال ما ادركه من الحس وما ادركه الحس جزوه ولا اكله كيف يمكنه تصوره ولو كان للانسان سبيل الى تصور ذلك لما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ولما قال عليه السلام مخبرا عن الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجعله الموجب ان يكون معلوما ان النقصانات منتفية عن الجنة لها من الاعدام وليس في الجنة اعدام اذا الجنة في غايته الكمال والتمام ﴿ قوله عز وجل ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون الزوج يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى في الحيوان المزاوجة ومن القرينين في غيرها كزوج الخف والنعل ولكل ما معه اخر يقارنه له مماثلا كان او مضادا مركبا معه او مفردا ﴿ قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشكالهم ومواقفتهم في الدين ولم يرد الرجل وحليلته فقد يكون تحت المؤمن الكافرة وتحت الكافر المؤمنة وقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين لي اثنين اما من حيث الاعداد

ايم ان يهوديا سأل النبي عليه السلام



ومن حيث التركيب تنبيها انه تعالى هو الفرد من كل وجه وما سواه زوج من وجه ما والزوجية اي الاثنوية تقتضي كونها محدثة والله طهر تعالى في الاجسام والاخلاق والافعال جميعا وقيل في قوله وثيابك فطهر اي نفسك يقال من الاوساخ وذلك مخاطبة الكافة وان كان لفظه للنبي عليه السلام وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ومعلوم انه لم يرد تطهيرا عن نجاسة في ثوب وبدن وانما اراد تطهير النفس التي يستحق بها المدح والخلود والبقاء الدائم واصله لما يطول مكثه ومنه قيل للاثافي والحجارة الحرد والجلد اسم للجزء الذي يبقى من الانسان على حالته ما دام حيا ﴿ قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا هو الحياء عارض للانزعاج من القبيح وذلك من الوقاحة والخجل فان الوقاحة هي الجراءة على الافعال القبيحة من غير مبالاة والخجل احتصار النفس عن الفعل والحياء ما خوذ من لفظ الحيوة التي يراد بها العلم والعقل ووجه ذلك ان الحياء اسم العقل او اول اماراته منه تظهر من الصبي ولهذا قال عليه السلام من لا حياء له فلا ايمان له ان الحياء اول ميزاته من العقل والايمان اخر ميزاته له ومحال ان يحصل اخر الميزاة لمن لم يحصل له الاولى واما الحياء الذي هو الفرج فسمي بذلك لكونه مستحيا من ظهوره ومن اجل ذلك قيل شورت فلان اي جعلته محل من يظهر شواره للناس وفرجه والضرب اصله فوقع شئ على شئ ثم يجوز به على انطار مخلفه ولما قيل ضربت الدهر ودهم ضرب لبن مصوغ استعير منه ضربت المثل والكلام في المثل والمثل قد تقدم ومعنى قوله مثلا ما للمبالغة في التنكير فان معنى الخبر اما ان يكون معرفة فيكون موصوله او نكرة وذلك على بابه او جهة اما موصوفة نحو قوله رب بيت ما خرج النفوس من الامر له فرجت كحل العقال هم او مبتداء بالصفة وذلك في قولهم ما رحس بهذا على مذهب سيبويه واما بعا لما هم منكور تنبيها انه لم يقصد به

بهذا

معين لحورات رجلا تا وقوله فما فوقها قيل معناه مادونها وانما عنى ما فوقها من الصغر ففسره
بدون وظن بعض اهل اللغه ان فوق يكون بمعنى دون فاخرجه في جمله ما صنف من الاضداد
والحق لفظ عام لصدق المقال وصواب الفعال تقول حق كقولك صدق وفعل حق كقولك
صواب وقيل الحق هو الدرك لانه احد في دلالة ضده ولهذا وصف الله تعالى به في قوله ويعلمون
ان الله هو الحق المبين والمراد منا تقضي نزوع النفس الى الشئ مع الحكم بانه ينبغي ان يفعل او
ان لا يفعل واذا وصف البارئ تعالى به فلا يصح ان يكون فيه النزوع اذ هو منزه عن ذلك
والحق ايضا اخص من المراد فان فيه مع المراد دلاله من اللفظ على بعض ما احد الشيئين
على الاخر والايمان هاهنا الاعتقاد الصادر عن العلم وان كان في التعارف يقتضي مع الاعتقاد
قولا وعملا حسب ما تقتضيه والكفر هاهنا الاعتقاد الكاذب عن تعمد ومعنى الآيه ان الكفار
لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم قد تلا عليهم قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وقوله وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه قالوا الا
يستحي ربك عن ذكر الذباب والعنكبوت فانزل الله تعالى ان الاعتبار بالحكمة لا بصغر
الجثه وكبرها ان قيل من حق مطابقه قوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم
اي يقول واما الذين كفروا فلا يعلمون قيل لما كان الايمان صادرا عن العلم والعلم تقتضي
سكون النفس وطمانينه القلب وذلك لا يقتضي مرجعه ومسايله ذكر ما يقتضاه ولما كان
الكفر منبع الجهل التام وتمام الجهل الاعراض عن الحق على سبيل الانكار سماه بما يمنع
العروف عنه على تمام جمله

## قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين

الكلام في الاضلال والهدايه فاما
الفاسق فهو الخارج عن حجر الايمان من قولهم فسقت الرطب عن قشره وكل كفر فسق
وليس كل فسق كفرا واكثر ما يقال الفاسق لمن الزم حكم الاسلام واقر به او بعضه ثم فعل
ما هو اقل للكافر الاصلي فاسق فلانه اخل بحكم ما الزمه العقل واقتضاه والفطره والفاسق



في الحد الله عن الاسلام لثلث درجات التغابي والانهماك والجحود فالتغابي يتركب بعض
الذنوب مع استقباحه من نفسه والانهماك يرتكبها غير مبال بها والجحود يرتكبها مستصوبا
اياها والكبير والكثير في العدد والعدود ان المنفصله ان تقابلا كيف قال يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا او الكثير والقليل انما يتقابلان في شيئين احدهما بالاخر والناس اذا اقروا وافرقوا فمن فحكمت
على احدهما بالكثير فالاخر لا محاله قليله فكيف جعلها كثيرين قيل ان ذلك باعتبارين
وقوله يضل به كثيرا يعني من حيث العدد ويهدي به كثيرا يعني من حيث الفضل والشرف
وعلى هذا قول الشاعر قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا اي يحكم عليها بالكثره اعتبارا
بالاضافه الى غيرها

## قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون

النقض فسخ المبرم واصله في طاقات الحبل والنكث مثله لكنه يقال في المتلبد كالكسيه
والجنيبه والعهد كل امر شانه ان يراعى كاليمين والمشاركة والمبايعه ويقال العهد للدار المراعاة
بالرجوع اليها والتدبر المراعى وللطريق للتعهد والميثاق اسم لما يتوثق به الوثاقه والعهد المأمور
حفظه ضربان عهد اخذ بالعقل وعهد اخذ بالرسل والماخوذ بالرسل مبني على الماخوذ بالعقل
ولا يصح الى بعده او معه وقد حملت الآيه عليهما وذلك هو المذكور في قوله واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وفي قوله واذ
اخذ الله ميثاق النبيين وقد عظم الله تعالى امر العهد وتوعد على الاخلاف في آي كثيره
كقوله فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآيه وقال فبما نقضهم ميثاقهم وقال ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا واما ذمهم
بقطع ما امر الله به ان يوصل فيهم برفض الخيرات وتعاطي السيات وذلك ان القاطعين
الناس يحصل من بغض الجميع والعداله وبغضها سبب كل فساد فان القوم اذا اجبوا وعدلوا اصلحوا

يعتبر

واذا تواصلوا تآلفوا واذا تآلفوا تعاونوا واذا تعاونوا عمروا واذا عمروا عمّروا والعكس اذا تباغضوا
تظالموا واذا تظالموا تدابروا واذا تدابروا تخاذلوا واذا تخاذلوا لم يعمل بعضهم لبعض فهلكوا ولهذا قال عليه السلام لا تقاطعوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله وقال المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف
ولذلك حثنا على الاجتماعات في الجماعات والجمعات لكون ذلك سببا الى الألفة بل لذلك
عظم الله تعالى المنة على المؤمنين بايقاع الألفة بين المؤمنين فقال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا
ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وليس ذلك في
الانسان فقط بل لولا ان الله تعالى ألف بين الاركان المتضادة لما استقام العالم ولذلك قال عليه السلام
بالعدل قامت السموات والارض ومتى تصور هذه الجملة علم ان الآية في بيان الذم لهم وقول قتادة
انه امر بصلة الارحام وقول غيره انه ذم لهم بقطيعتهم النبي عليه السلام لما كان منهم الى الاغلاظ ما يقتضيه
عموم الآية ولما شرحنا اجزاء المعنيات الثلث من الهلاك والابرام والقطع وكان
الفاسق بالقول المجمل على ثلث طبقات بعضها فوق بعض فكذلك ناقض العهد على ثلث طبقات
ناقض عهده في اوامر النافلة وناقض عهده في اوامر المفروضة وناقض عهده في اركان الدين
وذلك اعظم الثلاثة وكذلك قاطعوا ما امر الله به ان يوصل قاطع لبعض ما يشير به عقله
تابعا لهواه قاطع لبعض ما يأمر به العلم وسوء وقاطع العصمة بينه وبين الله وكذلك الخاسر خاسر ماله
في اشغاله به عن الدار الآخرة وخاسر بدنه في غير خدمة الله وخاسر عقله في اهماله عن اقتباس
ما يفيده الحيوة الابدية وذلك اعظم الخسران المنبأ عنه بقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا وقوله ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم فلكل منزلة من الفسق منزلة نقض العهد
ومنزلة من القطع ومنزلة من الخسران تلازمه فالاول في كل ذلك مخطئ والثاني فاسق والثالث
كافر ثم منازل كل واحد منهم تتفاوت قوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه بلغ
ترجعون كيف استخبارها هنا لا استفهام والفرق بينهما ان الاستخبار قد يكون



تنبيها للمخاطب وتوبيخا ولا يقتضي جهل المستخبر والاستفهام بخلاف ذلك فكل استفهام
استخبار وليس كل استخبار استفهاما والحيوة يستعمل على اوجه يقال للقوة النامية في النبات
والحيوان حيوة ومنه قيل نبات حي اذا كان ناميا وعلى ذلك قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها وقوله عز وجل واحيينا به بلدة ميتا والثاني للقوة الحساسة الحاسة وبه سمي
الحيوان حيوانا والثالث القوة المختصة بالانسان من العقل والعلم والايمان وذلك
لكونها سببا للحيوة الابدية وعلى ذلك قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقوله استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وعلى نحوه قوله لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
والموت يستعمل في فقد كل واحد منها تقابلهما واما وصف الباري جل ثناؤه بالحي فليس يتصور منه
ضد بلا موت فانه تعالى الدائم الباقي الذي به حيوة كل حي ومعنى الآية قيل كنتم
امواتا اي ترابا ونطفة فاحياكم بان انشأكم وخلقكم ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم
يوم ينفخ في الصور ثم اليه ترجعون اي تردون الى دار الثواب والعقاب وذلك نحو
قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ونبه بمثل هذه الآيات على ان القادر على الابتداء قادر
على الاعادة كما قال وهو اهون عليه وقال بعض اهل الحقائق الآية خطاب للمؤمنين لا على الانكار
بل على تعظيم المنة عليهم وتبعيد الكفر منهم بعد تحققهم بالايمان فقد قيل ما رجع من رجع الا من الطريق
اي لا ينكر الله احد بعد تخصصه بالمعرفة الحقيقية وانما يرتد ويشكك من لم يبلغها فمحال
ان يصير العارف جاهلا وليس بمحال ان يصير الجاهل عالما فقوله كنتم امواتا اي
جهالا فاحياكم بما افادكم من العقل ورشحكم له من العلم كما قال او من كان ميتا فاحييناه وهذا
اعظم الحجة واولى بالاعتبار به والتنبيه عليه لمن القى السمع وهو شهيد ثم قال ثم يميتكم
الموت المعروف الذي لا بد ان يتناولكم ثم يحييكم الحيوة المحققة ثم تثابون
الثواب الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السماء فسوهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

الاستواء طلب السواء الى المساواة وهي وسط الشيء سواء لتساوي مساحة الجوانب كلها
اليه وقيل للعدل سواء لكونه وسطا للظلم والجور ام ان قيل قوله تعالى خلق لكم ما في
الارض جميعا يقتضي ان كل ما في الارض خلق لاجل الانسان والانتفاع به ومعلوم ان في الارض
كثيرا مما لا نفع للانسان فيه بل فيه المضار كالحيات والعقارب والسموم والشرار من الناس
قيل الاشياء الضارة في الظاهر لكل نوع منها خاصة فمنها نفع للانسان او نفع لما فيه للانسان
فاجرا العالم اذا تاملتها اما ان تكون قرارا للانسان او غذاء له او غذاء لما هو غذاء له او دواء له
او ينتفع به نفعا ما على وجه وذلك بين في انواع الاشياء واجناسها فاما نفع جزئياتها في
ان تقال ما نفع هذه الحية بعينها فلا سبيل لنا اليه واخرا العالم بعضها يحتاج الى البعض
وموجد بالحكمة ولذلك قال الحكماء ليس في العالم شيء ضارا بالاطلاق وانما الضار صار بالاعتبار
الى حزناته ان قيل كيف ذكر هاهنا انه خلق ما في الارض قبل السماء وقد قال والارض
بعد ذلك دحاها ومعلوم ان ما في الارض محال وجوده قبل وجودها قيل قد ذكر في هذا جوابان
احدهما انه تعالى خلق جوهر الارض ثم دحاها وبسطها بعد خلق السماء والثاني خلق السماء بعد
خلق الارض ودحوها وانما وقعت الشبهة من قوله والارض بعد ذلك دحيها ومعلوم
ان ما في الارض محال وجوده قبل وجودها قيل قد ذكر في هذا جوابان احدهما انه تعالى خلق جوهر
الارض ثم دحاها وبسطها بعد خلق السماء والثاني ان خلق السماء بعد خلق الارض ودحوها
وانما وقعت الشبهة من قوله والارض بعد ذلك دحيها لان بعض الناس تصور له من جهة
القراءة ان قوله بعد ذلك ظرف لقوله دحاها واعتبر في بعد الزمان وليس كذلك وان تقدير
الآية والارض بعد ذلك ثم ان دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها كقوله تعالى ائنكم لتشد



خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها وليس بناها وصف السماء بل تقدير ام السماء
اشد خلقا ثم استونف فقيل بناها بينها ان من قدر على ذلك اعادتكم قادر ثم قال والارض
بعد ذلك اي الارض بعد السماء اشد خلقا من اعادة خلقكم وذلك ان السماء فيها من عجائب
الصنعة اعظم خلقا من الارض ثم الارض اعظم من الانسان وليس يريد بقوله بعد الموقت
وانما يريد الترتيب في الشرف والرفعة فان قيل لم نصب الارض ولم يرفعها كما رفع السماء
قيل لان الدحو استجاره وقوله والارض ليس يدخل في الاستجار لانه لو كان استجارا
لقال من الارض لكن استعاره فاضمر له فعلا لم يدخل من شاقي رحمته والظالمين اعدلهم
وذلك الفعل مما دل عليه آتيتم اشد من العرف وقوله ثم استوى الى السماء فالاستواء ان
كان في الاصل للانتقال الدال على الاستقال فقد يراد به التوفر على اصلاح الشيء وجمع
المراد هاهنا وعلى ذلك الآيتان نحو قوله فاتيهم الله من حيث لا يحتسبوا ولكون اللفظ
متجوزا هاهنا قال بعضهم معناه استولى وقال الحسن اقبل على خلقه وقال ابن عباس
استوى امره عليه وقيل معنى سوتهن لي تحرك السواك العدالة وذلك لما جعل فيهما من
التركيب المتعادل المشار اليه بقول النبي صلى الله عليه بالعدل قامت السموات
ان قيل لم ذكر السماء قال وضوهن قيل لما عنى بالسماء السموات رد الضمير الى المعنى
ومجاز ذلك ان السماء على ضربين اسم موضوع لاجزاء غير متشابهة نحو الدم واللحم والماء
والارض واسم موضوع لاجزاء متشابهة نحو اليد والرجل والرجل والمائة فما كان من
الاول فانه يقع على بعضه اسم كله ويفارق بين ان يذكر بلفظ الواحد او بلفظ الجمع و
السماء من هذا الباب لانه كما يقال لقطاع اللحم ولكل قطعة منها منفصلة كان او متصلة
لحم ان لك السماء والله اعلم

قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني
جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

قال انى اعلم ما لا تعلمون اذ تعلق بمضمر فى موضع المفعول به اى اذكر
تقديره اذكر اذ ذكرته وقول لبى عبيدة ان اذ من مثل هذه المواضع زايدة ليقتصر منه فى الظن
والملك اصله ملاك مقلوبا عن مالك والرسالة المحفوظة فى الفم من الك الفرس
اللجام اذا حركه وروى ان الملائكة على اضرب جواض يتميزون بتميز ابنائها فى الفضيلة وادون
منهم اولوا الجنحة وجماعة يقال لهم الجن ولم يقرب الى الناس وقد يقال للصالح من الناس
ملك على هذا ان هذا الا ملك كريم وقول الشاعر فلست لانسى ولكن لملاك
والخليفة والخلف يتقاربان من حيث ان خلف فلانا اذا قام مقامه والخلف والسلف
متضادان كخلف وقدام ان قيل ما وجه استخلاف الله تعالى والخلافة انما يكون النيابة عن
الغير اما لغيبته او موته او عجزه وذلك لا يجوز على الله تعالى قيل بل يكون على غير ذلك
وهو ان يستخلف المستخلف غيره امتحانا للمستخلف او تهذيبا له او يستخلفه لقصور المستخلف عليه
ان يقبل التأثير من المستخلف بالجر المستخلف وذلك ظاهر فى الاشياء المهينة والطبيعية
فان السلطان جعل الوزير بينه وبين رعيته ادنى اقرب الى قبولهم منه وكذلك الواعظ جعل
من العامة والحكماء ان العامة من الواعظ اقبل منهم من الحكيم وليس ذلك بحجر الحكيم بل لحجر العامة
عن القبول منه وعلى هذا اللحم والعظم لما تباعدا بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم جعل
الله تعالى الحكمة بينهما الضارب التى بينهما ولها مناسبة اليهما ليأخذ ذلك من اللحم ويعطيه
العظم ولذلك جعل الله الرسل من الملك الذى هو من قبله تعالى ومن العباد لفضل قوتهم اعظم
ليأخذوا الحكمة منه ويوصلوها الى الناس وبهذا الوجه قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
والخليفة يقال للواحد والجمع وهاهنا جمع فان الخليفة لم يرد به ادم وحده بل اراد به هو وصالحوا اولاده
فهم خلفاؤه وعرفه بقوله تعالى اولئك حزب الله ونصاره لقوله عز وجل ليعلم الله من ينصره
ورسله وعباده لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وعمارة فى الارض لقوله واستعمركم فيها
والمقصود واحد وهذه العبارات وان اختلفت بحسب الاعتبارات وقيل سماهم خليفة لكونهم



بعد جان سكنوا الارض فان كل من تولى شيئا بعد اخر يعد خليفة على ذلك قوله واذ اذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ه وقوله خلفا من بعدهم عاد واما السفك والسبك والسفح والسبن
والشن والصب فمتقاربة وبينها فروق فالصب اعم هذه الالفاظ والسفك يقال فى الدم و
الدمع والسبك فى الحواهر المذابة والسفح فى الصب من الاعلى كسفح الجبل وعنه استعير السفاح
والشن للصب عن القربة ونحوها والسن بقارنة لكن استعير السن فى اماقة الحديد وعنه سنت
السن والشن استعمل فى الغارة فى لبس الدرع وذلك التشبيه للدرع بالماء واحرز الكيتبة باجرا
السيل واما السبح فاصله من السبح اى سرعة الذهاب فى الماء واستعير كم النجوم فى الفلك
وجرى الفرس وقال تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا اى سعة ذهاب وسبحته عن كذا
اى نزهته وتسبح الله تعالى ينزهه بالقول والحكم وسبحان مصدر لكن وجعل السبحة للتسبيح
وسمى الصلوة بها لكونها تسبيحا والحرز ان المستعمل فى التسبيح يقال له سبحة ومعنى نسبح بحمدك
اى نسبحك والحمد لك او نسبحك بان نحمدك والتقديس التطهير وقوله نقدس لك قيل معناه
نطهر انفسنا لك اشارة الى قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وليس ذلك
اظهار الاهلية على حسب ما تقول مجتهد حب ان يفوض اليه صاحب حضرة ما فقول استعفى
غيرك وانا مجتهد فى خدمتك وعلى ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وليس قوله
انى جاعل فى الارض خليفة على سبيل المشاورة فالمشاورة استشهاد علم من المستشار والله
منزه عن ذلك وانما ذلك اعلام كما علامه انا نكبر امن الكائنات لمصلحة ما فان قيل
فمن اين حكمت الملائكة على الانسان بالافساد فى الارض وسفك الدماء ذلك اما ادعاء علم
الغيب او الحكم بالظن والتخمين وهم منزهون عن ذلك قلنا قد قيل انهم قاسوا على من كان
يسكن الارض قبل من الجان فافسدوا فيها وقيل وهو اصح ان الله تعالى كان قد اخبرهم بذلك
لكن لم نقف عليه بنا محكى عنهم تنبيها عليه كما ذكر فى الجواب وذلك كما فى القرآن فى كثير
من الحكايات المذكورة كقوله تعالى فى قصة يوسف انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف

انبا الصديق اخبارا وقولهم لا تجعل فيها ليس بانكار انما هو استخبار مجرد لتعرفهم ما تسكن نفوسهم اليه وهم
شاهدون انكار بل شبهة مجرد لتعرفهم ما تسكن نفوسهم اليه وهم سلموا الى ما يزيل شبهة عنهم ولم يسئلوا عن
ذلك الا وقد اذن لهم في السؤال الاجمالي او تفصيلا ان قيل كيف دخل عليهم الشبهة حتى سالوا عن ذلك
واستكروه قيل ان الله تعالى لما خلق الانسان جسمانيا روحانيا وجعله مركبا من قوى ثلث قوة
شهوانية وقوة غضبية وقوة ملكية فقوة الشهوة يحصيل في الارض ويقوى بها العضبة يسفك الدما
متى لم يكونوا مهذبين ويتولى خلافة الله تعالى بقوة الملكية التي هي العقل وعلى ذلك دل النبي عليه السلام
بقوله لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا
اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي فلما سمع الملائكة ان الانسان مركب هذا التركيب وراوا القوة
التي بها يصلح الخلافة لله القوة التي حصل لها ونظروا الى رذيله العوتين الاخريين لم يعرفوا فضيلتها
استنكروا وارجعوا الله تعالى وقالوا اما العبادة التي هي التسبيح والتقديس المختصة بالقوة
الملكية فنحن نفنيها وما معنى الانسان المركب تركيب المفسد من ضياكه وقيل فقال تعالى في جوابهم
اني اعلم ما لا تعلمون فغرض في لم يصرح هاهنا لفرط فضيلة الانسان وما خصوا به من العلم والعمل
اللذين يقصر الملك عنهما عيانا ومشاهدة والاجمال في هذه الاية بقوله اني اعلم ما لا تعلمون
هو المبين بما بعده في الاية التي قوله تعالى قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها
ثم عرضهم على الملئكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك
انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم
باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
الانبا اخبار فيه اعلام وهو متضمن لهما ولذلك كل انبا اخبار وليس كل اخبار انبا وكل انبا علم



وليس كل انبا علما ولكونه متضمنا لهما ومشتملا عليهما اجرى مجرى كل واحد منهما فقيل انبأته بكذا
كقولك اخبرته وانبأته كذا كقولك اعلمته ولا يقال انبا الا لكل خبر يقتضي العلم كالمتواتر وخبر الله تعالى
وخبر الانبيا وما جرى مجراها وسمي النبي لكونه منبئا بما يسكن نفسه اليه ومنبئا بما يسكن اليه المومنون
فهو يصح ان يكون فعيلا بمعنى مفعول وبمعنى فاعل اما بمعنى المفعول فلقوله نبأني العليم الخبير واما الفاعل
فلقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ولقوله قل انبئكم بخير من ذلكم وشرح هذه الاية لا بد
ان بين فيه كيف كان تعليم الله تعالى ادم الاسما وهل في ذلك دلالة على ان اللغات توقيف
او اوايلها اصطلاح وانه هل علمه الاسما دون المعاني او علمه اياهما جميعا وما في ذلك مما ينبه الملائكة
على خطائهم فيما توهموه وقالوا لعن رجعوا عن اعتقادهم ودعواهم وادعنوا للاستسلام فيقول
وبالله التوفيق ان الناس اختلفوا في اللغات فذهب بعض المتكلمين الى ان اوايلها اصطلاح والباقي
يصح ان يكون توقيفا واستدل على ذلك بانه لا سبيل الى معرفة مراد الله الا بالخطاب ولا يصح
ان يعلمه ضرورة لان العلم بمراده فرع على العلم بذاته ولا يصح ان يكون العلم لمراده ضرورة والعلم بذاته
مكتسبا لان ذلك يودي الى ان يكون العلم الخفي ضروريا والجلي مكتسبا وذلك فاسد هذا ما قاله
والصحيح ان شا الله ما ذهب اليه الجمهور انه توقيف وقبل الدلالة على المسالة يبين ان تعليم الله
تعالى عباده على اي وجه يكون فبذلك يسهل الكلام في المسالة والقول في ذلك ان الله تعالى
قد اشار الى ذلك بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشا فذكر ان مكالمته تعالى البشر على احد هذه الاوجه الثلاثة اشرفها ما كان بارسال
رسول يرى ذاته ويسمع كلامه كحال النبي مع جبريل عليه السلام والثاني ما كان بالقا كلام في السمع
من غير روية كحال موسى عليه السلام في ابتدا الرسالة والثالث ما كان بوحي والوحي هاهنا مخصوص بالالقا
في الروع والالهام والتسخير والمنامات فتعليم الله تعالى ادم الاسما على احد هذه الوجوه ومحال ان يكون
الاصطلاح على الالفاظ مقدما على التعليم فان الاصطلاح لا بد له من كلام يتواطون عليه وذلك يودي
الى ان لا يكون اصطلاح ولا لغة فان قيل قد يمكن ان يتواضعوا بالاشارات والصوت فان الاخرس

عم كلامه البشر على احد هذه الوجوه

لقدر على ذلك وله مخارج الحروف فانا نجد الذين لا يتكلمون يصوتون ويهمهمون ورائحة لهم مثل
الاشارات يفهم عنها ما يستدل به كسائر الاصوات التي لم توضع الكلام مرتفعا لصحة حصوله
وليس للاخرس الذي استدل به فضل ورأفة له على الفاظ توافقها وانما صوته كصوت الطفل
الذي لم يلقن الالفاظ واللغة انما يكون لغة بحصول تركيب المفردات الثلث ولو كان الى ذلك
سبيل من غير تعلم لكان من شرط البكم ان يتواضعوا فيما بينهم كما انا نجد البكم من السمع
فانما عجز عن الكلام لعجزه عن التلقن بالسمع فثبت انه لا تعلم الكلام لا يكون الا من معلم وذلك
قد كان من الله تعالى لادم باحد الوجوه المتقدمة ان قيل كيف علمه الاسامي كلها وقد علمنا
انه ما من ومن الا وسوف يصوغ اسامي لمعان واعيان اما مخترعة واما منقولة اليها عن غيرها
قيل قد قال بعض الناس ان كل ذلك جزويا تها علمها الله ادم وان ظهر في بعض الازمنة
من بعض اهله والصحيح ان العلم في الحقيقة يتعلق بمعرفة الاصول المشتملة على الفروع والمعاني
الكلية المنطوية على الجزئيات فمعرفة جوهر الانسان والفرس والقوانين التي يعرف بها حقيقة
الشيء كاصول الضرب في الحساب واحوال الاعداد والمقادير والهندسة والاصول المبني
عليها المسايل الكثيرة في الفقه والكلام والنحو فاما معرفة الجزئيات متفرعة عن الاصول فليس
بعلم ولا تعالى العارف بها عالم على الاطلاق وانما هو في معرفتها محاك بحكاية السقا
للالفاظ واذا كان كذلك فتعليم الله ادم الاسماء كلها اعلامه القوانين والاصول المشتملة على
الكليات والفروع وقد علم ان تعلم الكليات اعظم في العجيبة واشبه بالامور الالهية من تعلمنا
الصبي الحرف بعد الحرف وقوله الاسماء كلها اراد به الالفاظ والمعاني مفردا تها ومركباتها وجزئياتها
وذوات الاشياء انفسها وبيان ذلك ان الاسم يستعمل على ضربين احدهما حسب الوضع
الاصطلاحي وذلك هو المخبر عنه نحو رجل وفرس والثاني حسب الوضع الاول وبذلك يقال
للانواع الثلاثة التي هي المخبر عنه والخبر والرابط بينها وهي المعبر عنها بالاسم والفعل والحرف وهذا
هو المراد ههنا فانه تعالى اخبر بقوله وعلم ادم الاسماء كلها تعليم رجلا وفرسا دون ذهب وخرج

ومن وعن ورا عرف الانسان للاسم فيكون عارفا بمسماه اذا عرض عليه الآن يعرف المسمى
المرئي انا لو علمنا اسامي لغة مجهولة ولم نعرف صورة ما لتلك الاسماء لم نكن عارفا بها اذا شاهدنا
ها وكنا عارفين باصوات مجردة فثبت ان معرفة الاسم لا تحصل الا بمعرفة المسمى في نفسه وحصول صورته
في الضمير والمعلومات قد تكون جواهر واعراضا من كليات وكيفيات واضافات وسايرذلك
من الاعراض وجعل للشيء الواحد اسامي بحسب هذه النظرات فلا بد ان يكون الانسان عارفا
بهذه المعاني مجتمعة ومفترقة حتى يكون عارفا بالاسماء التي تجعل لها بحسبها مثال ذلك انه يقال
للشخص الواحد فلان اعتبارا بلقبه وفلان اعتبارا باسمه واخ اعتبارا باسمه واخ اعتبارا من ضمه
واياه نسب وقرشي واصبهاني اعتبارا بقبيلته وبلده الى غير ذلك من الاسماء كلها مضمنة كما
ذكرناه فان قيل فاي شيء في علم ادم الاسماء من ينبيه الملايكة على ما سئلوا عنه قيل ان الله
تعالى لما خلق الانسان من امشاج مختلفة وقوى متفاوتة وجعله جسمانيا روحانيا وحصل له
بحسب القوى المختلفة معارف مختلفة وافعال متفاوتة فان له بحسب الحواس الخمس معارف خمسا
وبحسب العقل معارف معقولة وبحسب الوهم والخيال معارف موهومة متخيلة وحصل له بحسب
التراكيب البدنية وسايطها افعال متشابهة ومن متفاوتة كالحارة والصناعة وسايرالصناعات
وجعل ذلك معلوما في الملك لعدمها كثافة الجسم المركب من الامشاج واستغنايها عن ذلك امر الله
تعليم ادم هذه المعاني والاسماء وعرضهم على الملايكة وانبا ادم بها وبخفايا ها ومعرفة
تعاطي الصناعات المختصة بالانسان عجز الملايكة وان الانسان مستصلح لعلوم واعلام ليس للملك
اليها سبيل فان الحس لا يدرك محسوسا الا ذو الحاسة والوهم لا يتعاطاها الا من ركب تركيب
الانسان من القوى المتفاوتة التي منها القوتان اللتان كانوا يردونها مفسدين اعني القوة
الشهوية والقوة الغضبية ونبههم ان ذلك وان كان فيه مفسدة ما فمنها مصالح كثيرة وان الخلافة
التي رشح لها الانسان في الارض لا يصلح لها هذا التركيب تحقيقا قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ان قيل ما وجه قوله اني اعلم غيب السموات والارض

وهل كان لهم في ذلك تردد حتى اذا احتاجوا ان يعال لهم ذلك قيل له ليس محل هذا الكلام
على الوجه الذي تصورته بل هو مبنيه لهم ما علموه مجملا على ما اشتبه عليهم مفصلا وتقدير ذلك كانه قيل
اني اعلم غيب السموات والارض ومن علم غيب السموات والارض علم ما تبدون وما كنتم تكتمون ومن
علم ذلك علم ما لا تعلمون فان قيل فما ذلك الفضائل التي اختص الانسان بها واستحق لها ما لم يكن للملائكة
قيل ان ذلك هو تعاطي العفة التي هي مختصة بالقوة الشهوية والخلق المختص بالقوة الغضبية والانصاف
في المعاملات وسياسة الانسان نفسه ومجاهدة هواه وسياسة ذويه وابناء جنسه فان كل
ذلك فضائل ليس الى الانسان المختص بقوته الشهوة والعصبية فانا الملك المعرى عن مقاساة
عادة بطنه وفرجه ملبس يحتاج الى سياسة البدن وسياسة اناء جنسه في مراعاة ذلك منهم
وهذا ظاهر ان قيل فما وجه قوله ابنوني باسماء هؤلاء وذلك تكليف لهم ما لا تعلمون وتكليف ايراد
ما لم تعلم تكليف ما لا يطاق وما وجه قوله تعالى ان كنتم صادقين والصدق انما يتعلق بالخبر وهم انما
استخبروا ولم يخبروا فكيف يصح ان يصدقوا او يكذبوا قيل اما قوله ابنوني فليس بتكليف وانما هو تنبيه
على عجزهم عن الحالة التي رشح الانسان لها وقد علم ان لفظة افعل حيث وجه منها التبكيت
والتعجيز واما قوله ان كنتم صادقين فالصدق وان كان لا يدخل الاستخبار والامر والنهي بالقصد الاول
ومن حيث مقتضى اللفظ فانه قد يدخلها بالقصد الثاني ومن حيث المعاني فان السائل اذا قال
مستفهما ازيد في الدار وقال اعطني شيئا فكانه سأله بالقول على جملة يكون زيد في الدار وبالثاني
على حاجته وافتقاره فمن هذا الوجه صح ان يقال صدقت او كذبت على ان هذا حكم على قولهم بفساد
فيها وسفك الدماء فانهم استفهموا بقولهم اتجعل فيها بعد ان حكموا انهم يفسدون ويسفكون الدماء
يصح ان يكون ذلك راجعا الى قوله ونحن نسبح بحمدك فنبههم على انه ليس كل تسبيح وتقديس
مما يطلبونه بل من التسبيحات والتقديسات ما لا يصلح له غيرهم ومعلوم انهم ذكروا ان قيل ما وجه قوله
تعالى سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ومعلوم انهم علموا ما علمهم وعلموا ان لا علم لهم الا ما علمهم قيل القصد بذلك
اظهار ان ليس سؤالنا على وجه الاعتراض بل على سبيل الاستفهام واظهار العجز وانه قد ظهر لهم ما كان



خفي عليهم من فضيلة الانسان واظهار استكرامه وتعظيم منته باعرافهم وفيه تنبيه على استعمال حسن
الادب عند سؤال المعلم تفويض العلم اليه وتنبيه على اعظم تواضع وتواضع وقد قيل لبعض الحكماء
ما اعظم التواضع فعال الاعتراف بالجهل العالم وفيه تنبيه على العلم بما جهلوه وذلك احد
فضيلتي الانسان وقال بعض المحققين الافتخار مدرجة للسقوط انظر كيف اصطفى الله الملائكة
لما قالوا ونحن نسبح بحمدك الى ان اعترفوا بعدم العلم فمن استكثر الله طاعته واستكثر له خدمته فالجهل
موطنه واستدل بعضهم بهذه الاية على ان العلم افضل من العبادة فان الملائكة ادعوا لادم علم الاسم
لما افتقر العلم والحكم اصله لمن له الفعل المحكم لكن لما لم يصح حصول الفعل المحكم الا بالعلم صارت
الحكمة متناولة للعلم والعمل فالحكمة منتهى العلم والعلم مبدء الحكمة وربما احدهما الاخر فلهذا جمع بينهما
وقدم العليم على الحكيم في قوله تعالى انك انت العليم الحكيم ﴿ قوله تعالى واذ قلنا
للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وكان من الكافرين ﴾ السجود والخضوع والخشوع والخنوع والسجود والركوع يتقارب
وبينهما فروق والخضوع ضراعة بالقلب والخشوع بالجوارح ولذلك قيل اذا تواضع القلب خشعت
الجوارح وقال تعالى والذين هم في صلوتهم خاشعون وقال وخشعت الاصوات والخشوع ضراعة
لمن دونه رغبة في عرض في يده وكذلك اكثر ما يحمى في الدين والركوع تذلل مع الطاطوء والسجود
مع حفض الراس وسجود الملائكة ان اريد به المتعارف في الشرع فليس بعادة ادم فعاده غير الله تعالى
بالجواز بوجه وان كان على حسب المتعارف للخدمة فقد قيل ان ذلك كان مباحا فنسخ شرعنا
وعلى ذلك ما روي في قصة يوسف وخروا له سجدا وقد قيل اريد به التذلل كقوله وله سجد من
في السموات ومن في الارض وقول الشاعر
ترى الاكم منه سجدا للحوافر

وابليس لفظه اعجمية وربما ان يكون مشتقة من العربية وقول ابن عباس ابلس من رحمة الله فقصده
الى ذكر الحكم لا الى معنى اللفظ ويصح ان يجعل ابليس منسقا منه بعد الانتقال الى العربية وعلى
ذلك كثير من الاعلام عجميا كان او عربيا تصورون منه معنى ما فيعتبرونه ويشتقون منه خوفهم

تفرعن فلان اذا فعل فعل فرعون في العتو وشيطن اذا فعل فعل الشيطان وتمرد فعل فعل المارد ونحو هذا التصور وامن ابليس يأسه من رحمة الله فاشتقوا منه فقالوا ابلس فلان اي اعترى محرك ابلس في يأسه من رحمة الله وابعاده من الخير وقوله تعالى فاذا هم مبلسون لي يائسون من الخير ناس ابليس ايضا فقد تطابق لغة العرب والعجم في لوط لحوا يوب واسحق فانهما قد يكونان فعولا وافعالا من اب واسحق ويكونان اعجميين وادم قيل سمي بذلك لكونه مخلوقا من ادم الارض على ما روي ان الله تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها خلق منها الروم وكذلك بالسودا فانها وقال قطرب لم يكون من ادم الارض لانه لو كان كذلك لانصرف نحو طابع وخاتم وطابق وليس كما قال فان ادم افعل منه واصله آدم فقلب الهمزة الفا وقيل هو افعل من الادمة اي اخلاط البياض بالسواد وادمت بين الشيئين اي خلطت ومنه الادم وقطعام ما دوم لي مخلوط قال وسمي بذلك لانه خلق من اربعة اركان الاربعة من المزوجة المتفاوتة والقوى المتباينة والحي ما فيه امتناع من الشيء مع الاراده وكل آبي امتناع وليس كل امتناع آبيا قال تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره وقيل ابيت العنوسي اذا تسلط عليها دآصارها تعالها من الشراب والتكبر ان يرى الانسان نفسه اكبر من غيره فضلا والاستكبار طلب ذلك بالتشبع والكبر والتيه والبغي والزهو والاستطالة والخيلاء والصلف تقارب وبينها فروق بالتتبع نعرفه قدر النفس والبغي طلب منزلة فوق ما تستحقه والزهو ترجمة الحكم لنفسه بالفضل من زهاه كذا اذا استخفه والاستطالة اظهار طول اك فضل على الغير والخيلاء ظن بالنفس كالباب من قولهم حلت والصلف قلة التلفت الى الغير من قولهم اذا اشكى صلفه واعتبارا بهذا المعنى قال الشاعر

ان الكريم من يلمت حوله فان اليم دام الطرف افود

واختلف في ابليس هل كان من الملائكة فقال قوم كان منهم بدليل استثنائه من الملائكة من المامورين بالسجود لادم وقال قوم لم يكن منهم اعتبارا بقوله الا ابليس كان من الجن وروي عن ابن عباس ان الملائكة على بالله اضرب على بالقلم آبقا وضرب منهم وقال لهم الجن ومنهم ابليس ولهم قوا الزوا



ولهذا قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل ان الجن كانوا مامورين مع الملائكة بالسجود لكن لم يحتج الى ذكرهم فالسلطان اذا امر امائل رعيته بالخضوع لانسان تعلم ان اصاغرهم مامورون بذلك الا ترى ان قوله تعالى لموسى اذهب الى فرعون انه طغى معلوم انه لم يبعثه اليه وحده وبعض الناس اعتبر لفظ كان وروي ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الارض قبل ادم وحاربهم الملائكة وسبى ابليس وصار بالحكم من الملائكة لملوك القوم منهم وبالنسبة من الجن وصار وصدق عليه القولان وخبر انه عني انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا وباعتبار الفعل قال تعالى من الكافرين ان قيل كيف يصح ان يكون من الملائكة نوعا والله تعالى قد وصفهم بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون قيل ان ذلك في وصف خزنة جهنم وليس كون بعضهم على ذلك الصفة مقتضيا ان يكون كلهم كذلك وكان من الجن قيل معناه صار هاهنا وليس ذلك بشيء فان كان هاهنا على لحروجهين اما الاعتبار وقت العصيان بوقت الاخبار ويكون بالاضافة اليه ماضيا صحيح ان يقال كان واما انه قال كان من الكافرين تنبيها ان ما تعلم من طاعته غير معتد به وان حكمه من قبل حكم الكافرين فمن شرط الطاعة ان لا تحبط ومن حكم الايمان ان لا تبطل وتتصل ان قيل كيف امر الملائكة بالسجود لادم ومنزلتهم فوق منزلته قلنا لان ابليس منا ان يكون ابيا بقوله ما منعك ان لا تكون مع الساجدين وكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ويجوز ان يكون الفاضل بالخضوع للمفضول قبل الخضوع كان خضوعا لله مراعيا لما له فيما امرهم به وظاهر في العقلاء ان الدليل لحاكم كمرضوع لذلك الكبير وانضاف ان الانسان في باب الفضايل التي ذكرناها انما افضل من الملك وان كان الملك افضل منه من وجوه آخر والشيء قد يكون كل واحد منهما افضل من الاخر من وجه ووجه وانما المنكران يفضل كل واحد منهما الاخر من وجه واحد وفي الاية دليل على وجوب الائتمار لمن له الخلق والامر ومجانبة عصيانه وارتكاب التكبر والحسد وانما قد يعصيان بواكبهما الى الكفر كما روي في الخبر ان اول ما عصي الله في السماء والارض الكبر والحسد وحث على ترك الدخول في سره والاعتراض على حكمه قوله تعالى

## وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

ان قيل ما الفرق بين ان يقال افعل انت وزوجك كذا وبين ان يقال افعلوا كذا قيل الاول ينبه ان المقصود هو المخاطب والباقون تبع له وانه لولاه لما كانوا مامورين بذلك وعلى نحو ما قال ... بكما امرتك وليس كذا اذا قال افعلوا وقال بعضهم انما قال اسكن فاستعمل السكنى تنبيها له انه تعرض النقل عنها وانه لا يجب ان يركن اليها ان قيل ما الفرق بين الارادة والمشية قيل الارادة قد يكون بحسب القوة التسخيرية والفكرية والحسية وكذلك يستعمل في الجماد نحو جدارا يريد ان ينقض وفي الحيوان وفي العقلاء والمشية لا يكون الا مع الاختيار ولذلك لا يقال الا في العاقل المتفكر وقوله تعالى لا تقربا هذه الشجرة القصد بالنهي عن قرب الشيء تاكيد للحظر والمبالغة في النهي وذلك ان القرب من الشيء مقتض للالفة والالفة داعية للمحبة ومحبة الشيء كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم والعمى عن القبيح والصمم عن النهي عنه مما المرتقعان فيه والسبب الداعي الى الشر منهي عنه كما ان السبب الداعي الى الخير مامور به وعلى ذلك قال عليه السلام العينان تزنيان لما كان النظر داعيا الى الالفة والالفة الى المحبة وذلك مقتضي لارتكابه فصار النظر مبدا الزنا وعلى هذا ولا تقربوا الزنا وقال لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وعلى هذا قال تعالى في الخمر فاجتنبوه ولهذا النظر قال عليه السلام الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهة وسأضرب لكم مثلا ان الله حمى حماه وان حمى الله ما حرم الله ومن رعى حول الحمى اوشك ان يقع فيه والشجرة قيل كانت الحنطة وقيل الكرم وقيل التين وقوله فتكونا الاظهر انه جواب النهي وقد قيل يصح ان يكون عطفا لانك تقول لا تجف والدك فتعصي ربك كما تقول فتعصي ربك والظلم في الحقيقة الاخلال بمقتضيه داعي الله العقل والشرع وهو الخروج عن الخط ولهذا قيل هو وضع الشيء في غير موضعه وقد تقدم ان الظلم ضربان ظلم النفس وظلم الغير وظلم



الغير لا ينفك من ظلم النفس وظلم النفس قد ينفك من ظلم الغير ولاجل ان الظلم خروج عن الحق وان الحق كحركة النقطة من الدايرة وحركة القرطاس من الهدف صار من تعداه يصح ان يقال هو ظالم وان كان بين الظلم والظلم بون واذ ذلك قد يطلق الظلم على من ارتكب صغيرة وعلى من ارتكب كبيرة ان قيل كيف جاز ان نهي عن الشجرة ثم تناولها وقد انكرتم ان الانبياء تكون منهم الكباير قيل قد اجيب عن ذلك ان آدم اشير له الى شجرة فقيل له لا تقربا هذه الشجرة واريد به الجنس لا العين نحو ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وفي احدى يديه ذهب وفي الاخرى حرير فقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها ولم يرد به العين وانما اراد به الجنس فحمل آدم ذلك الاشارة على العين دون الجنس فوقع عليه السهو من هذا الوجه وقال بعضهم حمل النهي على التنزيه دون الحتم ونسي الوعيد المقرون به ولهذا قال لقد عهدنا الى ادم فنسي اي نسي الوعيد واختلف في الجنة التي اسكنها ادم فقال بعض المتكلمين بستانا جعله الله تعالى له امتحانا ولم تكن جنة الماوى فان تلك لا تحل بعد ادخالها للخلود وقد ثبت ان الله سمى الاشياء كلها حتى لا تسع الا وحده ولو كانت مخلوقة لا ان لم يصح ان تخص هذه الصفة وقال اكثر الناس كانت جنة الماوى وتسميتها جنة الخلد اعتبار ابدوامها بعد ان يدخلها المثابون والشيء الواحد قد يسمى باسماء كثيرة اعتبار المعان متفاوتة الا ترى ان الحرز قال خلقنا للابد و لكنا ننقل من دار الى دار وذلك اعتبار بحال الاعادة ومن قال لم تكن جنة الخلد لانه لا تكليف في الجنة وادم كان مكلفا في وقت دون وقت وقال بعض الناس ان الله تعالى لما خلق الانسان لاستخلافه في ارضه واستعماره فيها كما قال اني جاعل في الارض خليفة وقال واستعمركم فيها واراد ان يوصله بذلك الى جنة الماوى وعلم بسابق علمه انه لسوء تدبيره قد يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس لعجلته كما وصفه بقوله تعالى خلق الانسان من عجل وانه قد يتبع هواه كما قال افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال واتبعوا اهواءهم وعلم انه متى ادخله الجنة لتعرف النعيم الذي اعده عيانا فيكون اليه اشوق ويتذوق طعم المخالفة فيكون

منه اخوف تعلوم من حال الانسان ان المحنة تهذبه والمشتياق الى ما عانه من الحرات
يرعنه فصار محرك من الحوال من تمام النعمة عليه والله اعلم بوجوه المصالح وفي الحيه حث على
قبول قول من هو اعلم منك وحرى بصحك والمصلحة لك وان الانسان اذا حفظ في دنياه
قرناه المتصل به من قواه الشهوة والغضبية وقرناه المنفصل عنه من اهله وولده وساس نفسه
واهله ودعى من الله اوامره وجنب زواجره كان في الجنة عاجلا واجلا والا صار معاونه عليه
منافعه راجعه بالمضره اليه كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ٥ قوله تعالى فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض
عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
زل وزال يتقاربان معنيا مما الا ان زل يقتضي عثرة مع الزوال يقال زل رجله في الطين
ولسانه بالقول وسمي الهواء زلا اعتبارا من الفاعل لانه يستقل به حتى يعد عثرة وقول ابن
عليه السلام من اتت اليه نعمة فليشكر فان لي من اسدى الله نعمة وان كانت طفيفة وازلهما ابليس
آدم قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما انه لكما لمن الناصحين فمن الناس من
حمل هذه الاحوال على مفاوضته ومحاراته بالمشاهدة وقيل ان ذلك كان بوسوسة كما قال
فوسوس لهما الشيطان وما روي عن ابن عباس ان ابليس عرض نفسه على دواب الارض
ان يحمله فتدخله الجنة لكلم ادم وزوجته فابت عليه الدواب كلها حتى كلم الحيه وقال
امنعك من ابن ادم وات في ذمتي ان ات ادخلني الجنة فجعلته بين اسنانها
فادخلته الجنة فكلمها من فمها قال فكذلك امر الانسان نقلها انما وحدها وبعض الناس
حمل ذلك على سبيل المثل وقال هذا اشارة وقوله عرض نفسه على دواب الارض اي استعان
قوى الانسان ونظر من حيثما كانت باتيته منها فلم يوجد قوة مستعلية يستعين بها في



الى الحيه اي الشهوة فكني بالحيه عنها فانها حيه لا يراسليها وذلك ان الشيطان يأتي
الانسان الا من قبل مواه فجعلته من نابها كناية عن الاكل اذ هو اعظم شهوة يتمكن الشيطان به من
الانسان ولهذا ما روي من حفظ بطنه فقد سد على الشيطان بابه ومن شبع ونام قسا قلبه و
تمكن منه الشيطان ولكون الهوى اعظم سلاح الشيطان صار افرق من قوله تعالى ولا تتبعوا
الهوى فيضلك وقوله لا تقربا الشيطان في ان المقصد واحد في كونها نهيا عن ارتكاب
الذنوب وقوله فلذلك امر الله ان يقتلها الانسان حثت وحدها اي اجرأ ان يقهر الانسان
الشهوة ويقتلها حيث ما تراءت له وطالبته بما تأتي الايمان وهذا الذي ذكره هذا القايل وان
كان صحيحا من حيث المعنى ففي ضرب الجزاء اليه ترك الظاهر وفتح باب من التاويلات عظيم
الضرر والله اعلم حقايق ما اخباه من الغيب وقوله اهبطوا الهبوط ضد الصعود وليس مراد
بها الاخبار عن رفعه مكانيه وقد مر مراد به مع ذلك سقوط المنزلة فقد كثر في كلامهم
استعمال الرفعه والضعه في المراتب حتى قيل شرف ووضيع على طريق الاستعاره وعلى
ذلك قول الشاعر بلغنا السما مجدا وجودا ومكرمة وقال وصاغر في هضاب الحدر طلعها
واما المعاداة فاقتضاء الملائمة والموافقة ومنه قيل سوء كان دوعروا والتعدي والعدوان
والاعتداء والعروك منها وقوم عدى للاعداء والف الماشيهم من فقدان الملائمة وقوله بعضكم
لبعض عدو وليس يريد الهارشه فقط وانما يعني وقدان الملائمة اما بين الشيطان والانسان
وظاهر من الرجل والمرأة كثرة في الخلق والخلق حتى ان عامة ما ترى من اخلاق الرجل يرى مثلها المرأة
ثم من قوى الانسان في نفسه تفاوت حذرنا الله تعالى الذي خلقنا منها ليتنبه للاضرار
مما نافيها في بلوغ السعادة ويوسوس منها ما يمكن سياسته وندفع منها ما يجب مدافعته
والمستقر المكان الذي حصل فيه القرار والقرار هو السكون عن يرون والمكان مرتبان
البرودة والسكون كما ان منشأ الحرارة الحركة فقيل في الساكن برد وفي المتحرك اشتعل والتهب
وحتى شبه السريع نارا متقدة والساكن بالجامد فقوله لكم فيها مستقر كقوله امن جعل الارض

قرارا او قوله ومتاع الى حين جعل لكم المرض فراشا وقيل معنى المستقر القبور والمأوى محمول عليها
فقد قال الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا والمتاع اسفاع ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله
بكذا ومنه فمتعه الخ ومتعه المطلقة ومتاع البيت ومن قال عنى به الحيوة فلانه عهد الى اشرف
نوع من المتاع ففسره به والحين وقت بلوغ الشئ ويتخصص بالمضاف اليه ولما كان لحيان الاشيا
مختلف نظر بعض المفسرين الى المضاف اليه لفظ الحين ففسره به وقال انه حى على اوجه فللحين
الرجل لقوله ومتعناهم الى حين والسنه لقوله تؤتى اكلها كل حين والساعة لقوله حين تمسون
وحين تصبحون والزمان لقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر واحد ان ذلك وبخلاف
المضاف اليه وفى الاية حذر لما من الشيطان كما قال يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج
ابويكم من الجنه الاية والتحذير من كل عرور من الركون الى الاناء والتنبيه على انها دار ممر وان
الاخره دار مقر **فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه**
**انه هو التواب الرحيم** التلقى كالتلقن الا ان التلقى يعضى استقبال الكلام
وتصوره والتلقن يقتضى الحذق فى تناوله واللقف يقاربه لكن يقتضى الاعتيال فى
التناول والكلم الاثر المدرك باحدى الحاستين العين والاذن فالكلام مدرك بحاسة الاذن
والكلام بحاسة البصر وكلمته جرحته جراحة بان اثرها واختاره هاهنا فى ذلك قال الشاعر
والكلم الوصيل كارعب الكلم ٭ وقوله وجرح اللسان كجرح اليد والكلمات الى ثلثا
ادم من ربه كلمات قيل هو قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقال الحسن هو قوله الم نخلقك بيدك الم نسكنك جنتك الم تسجد لك ملائكتك الم تسبق
رحمتك غضبك فقال نعم له بلى قال ارايت ان تبت على واعدتنى الى الجنة قال
نعم فهذا معنى قوله تلقى ادم من ربه كلمات وقيل هو انه قال تعالى له من اذنب ذنبا ثم تاب
قبلت منه وهذا اقرب الاول وقيل انها قبول الامانة المعروضة على السموات والارض
المذكور فى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وقيل هو حروف التهجى



وما تركب منها من الاسما التى كانت قد علمها وما اصح منها من العلوم الحقيقة والاعمال الفاضلة فان
اصل الايمان العلوم الصادقة والاعمال الصالحة فمن الحروف تتركب مفردات الالفاظ كخونهد
وعمرو ذهب خرج من عن ومن المفردات تتركب المقدمات المفيدة كخوند خارج وعمرو ذاهب ومن
المقدمات تتركب الادلة والاخبار المولفة ومن الادلة المفردة الصادقة تتوصل الى حقائق العلوم
ولحقائق العلوم تتوصل الى الاعمال الصالحة وبمجموعها يحصل الايمان الذى بتحققه يصير الانسان
فى الحقيقة تام التوه مطهرا ام القصد محبوبا لرب العالمين كما قال تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين والمتحقق بذلك لا محاله يتوب الله عليه وقيل ان هذه الكلمات هى التى ذكرها
تعالى فى قصه ابرهيم عليه السلم واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وهى خصال مذكوره فى مواضع
من القران فى سوره التوبه التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين والبانى فى قوله
قد افلح المومنون الايات الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
والسائل فى سوره سال سائل الى قوله الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون الايات الى قوله
فى جنات مكرمون فهذه خصال ثلث فرق من الناس العلما والحكما والكبرا المحسنين تقبل
النبى صلى الله عليه وسلم سائل العلما وخالط الحكما وجالس الكبرا ولكل فريق مقامات معدوده
نبهت بعضها على بعض وهذه مسئله كثيره قد احكمتها فى كتاب شرف التصوف وبث
تخصص كل مقام وهذا القول والذى نقدمه سفارمان عند الحقيقه غير ان الاول نظر الى المبداء
والثانى الى الغايه وذلك مذكور ثم والتوبه نزل الذنب على احد الوجوه وهو ضرب من الاعتذار
فان الاعتذار على ثلثه اوجه اما ان يقول المعتذر لم افعل كذا او يقول فعلت لاجل كذا او يقول قد فعلت
واسات وقد ابلغ ولا رابع لذلك وهذا الاخر هو التوبه واذا التوبه ضرب من الاعتذار والتوه
والانابه والاوبه والاستغفار متقاربه وحسب ما اختلفت فيه الاعتبارات اختلفت عليها العبارات
والانابه الرجوع عن طريق الضلال الى الهدى والاوبه رجوع العبد الى الحق والوقوف عليه و

والاستغفار طلب الغفران قولا وفعلا اى تعاطى ما يغفر ما تقدم من الذنب والتوبة التامة المفيدة ما ترك
الذنب والندم عليه وهو العزم على ان لا يعود اليه وتدارك ما تقدم من الذنب والتوبة التامة المفيدة
بها ترك الذنب والندم عليه ورد المظالم مظالم الخلق ومظالم الخالق مع اعادة
ما ترك من العبادات واذا بها استفاد حسنة من الحركات التى انه قال عليه السلام لم يشتم من سجد الى الله
اولى به والتواب تعالى فى العبد الرجوع لكن الاجتناب الى الله والله تاب على عبده وقوله انه هو التواب
الرحيم جمع بين الوصفين ليبين انه مع ترك ذنبه عليه لا يخليه من الاحسان اليه ولم يقل تاب عليهما
لما تقدم من انه جعلها تابعة له لا مقصودة فى نفسها وفى الاية تنبيه يعنى حوالنا انه متى تلقينا ما انعم به
علينا من العلوم واستعملناه واعترفنا بذنبنا وطلبنا منه التجاوز عنه ونحن فى مهلة من الحيوة تاب علينا
واحسن الينا **قوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم**
**منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم**
**يحزنون** المجئ والاتيان والاقبال متقاربة عبارات لكن المجئ عام والاقبال مجئ من ناحية القبل
والاتيان مجئ من بعد ومنه قيل الاتى الغريب وللسبيل الجائى من بعيد واتيته اى اعطيته
منقول عن اتيته واتوته ومنه الغيات والاتباع والايتلا والاحتذا والاقتدا متقاربة فالايلا مجئ
بعد اخر بلا فاصل بينهما من جنسهما والاحتذا مقول من حذو النعل بالنعل والاقتداء اتباع على
ما لى على قدر المتبع بلا تجاوز ولا تأخر والاتباع عام فى كل ذلك ومنه قيل الرغبة اتباع وهى
التحلل التابع له سبع والخوف والفزع والحذر والرهبة والهيبة والخشية والوجل والشفقة
متقاربة فالخوف توقع مكروه عن امارة وذلك للمذنب ولهذا قال لموسى عليه السلام لا تخاف الى
الاذنبه ويرجون المثوبة والفزع اضطراب عن وهم يمكن يسمع هدة فاضطرب والحذر خوف مع
احتراز والرهبة خوف مع اضطراب واحتراز والهيبة رهبة مع استشعار تعظيم والشفقة خوف
مع محبة ولذلك قيل الخوف والحذر للمذنب والرهبة للعابد والخشية للعالم والهيبة للعارف
والحزن خشونة تعترى النفس مشتق من حزونة الارض ولذلك يقال خشنت بصدره وقيل



الحزن والغضب من جنس واحد وقد تقدم الكلام فيه والفائدة فى تكرير قوله اهبطوا التكرير الشرط
المقرون به فان الاول قرن حال العداوة الثابتة بينهم وسكونهم فى الارض الى مدة متناهية والثانى
بين به انهم وان اشتركوا فى الهبوط فانهم متباينون فى الحكم فان من اتبع هداه فهو على سبيل
الخلاص ان قيل لم لم يقل فمن تبعه مستغنيا بالضمير عن التكرير فقد استقبح فى باب البلاغة
تكرير اللفظة الواحدة فى الجملة الواحدة حتى استرذل قول الشاعر
لا ارى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا     وقول اخر
مع جودة معناه لجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مغمد قيل ان ذلك
يستقبح اذا لم يحصل فى الثانى معنى غير معنى الاول كالبيت والاية بخلاف ذلك فان الهدى من الله
ضربان ضرب بالعقل وضرب بالسنة الرسل واراد تعالى بقوله فاما يأتينكم منى هدى الحث
على السنة الرسل بقوله هداى ما على لسانهم وما كان من جهة العقل فسمى اياه رسول ودعاه مع
عادته لمقتضى العقل فهم الاولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان قيل كيف نفى عن الاولياء
الخوف فى مواضع نحو قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومدحهم بذلك فى مواضع
نحو قوله تعالى يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وقوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه قيل
اما نفى الخوف والحزن عنهم فقد قيل لفظه الخبر ومعناه النهى كقوله لا تخافوا ولا تحزنوا وقيل هو
خبر لكن مدحهم بها فى الدنيا وحثهم عليها وامنهم منهما فى الاخرة كما روى من خاف من الله فى الدنيا
امنه الله فى الاخرة وعلى ذلك حكى عنهم فى الاخرة بقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى اذهب
عنا الحزن وايضا فان الخوف الذى مدح به المؤمنون وحثوا عليه ليس يراد به استشعار الرعب
المورث حزنة وانما يراد به فعل الخيرات المأمور بها المذكور فى قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون والكف عن المعاصى ونهى النفس عن الهوى المذكورة فى قوله تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والخوف والحزن المنفيان
عنهم استشعار الغم الذى يكون من ذوى العدوان وكذلك روى لا يعرفون امر الدنيا ولا خافت

الموذيه ايضا فالحزن انما يكون لفوت محبوب والخوف يكون لاحتمال مطلوب والمتبع لهدى الله
هو المومن الحكيم الذى لا يقتنى لنفسه فضولا من الاعراض وما اقتناه لضرورة علم انه يعرض
الاعراض وانه عارية مسترده فلا يحزن على استرداده ولا يريد طلب المستغنى عنه وما طلبه بعد وجوبه
عليه طلبه عالما ان الله لم يبسط لاحد دنيا الا اغترارا او اختبارا فادام قام بحقوقه شاكرا واذا
منع استغنى عنه صابرا فهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى دنيا هم قوله تعالى والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون الاصطحاب والاجتماع والاقران متقارب فالاجتماع اعم من
الاصطحاب اجتماع مع طول لبث والاقران يقتضى شدا ما اما صنعه كاقران بعير
واما حكما كاقران الصديق واقران العلة بالمعلول وقولهم ادم مصحب لى اصحب الشعر الذى كان
عليه فلم يجز عنه عنه واصحب الرجل اذا صار داصاحب ولما كان الاصحاب مقتضيا
للاتفاق فسر اهل اللغة به والتكذيب بالايات بعض الكفر وتمامه فان فيه مع تعاطى الكفر بالفعل
مجودا باللسان وتخصيصه بعد خوف قوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات وان عمل الصالحات
بعض الايمان وتمامه وقد اشير به وليس يعنى بالايات القران فقط بل يراد بها مع ذلك الايات
التى فى السموات والارض الدالة على الوحدانية المسحث على اعتبارها لخوف قوله تعالى وكاين من
آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان قيل لم قال هاهنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وقال فى الحج والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب اليم
قيل الاسم الموصول والنكرة الموصوفة متى ضمنا معنى الشرط قد يدخل الفاء فى خبرهما تنبيها على
معنى الشرط وحسن ترك ذلك منه بقول الذى باسى لمن درهم والذى باسى فله درهم قوله عز وجل
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا
بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون
الرهب من البناء وسمى بذلك لانه كالمبنى لراهبه وكل مصنوع منسوب الى صانعه والله يقال هو اله

والصانع يقال هو ابوه وعلى هذا يقال فلان ابن الحرب وابو الحرب وتسميه الصانع اياه المصنوع
اياه للصانع اطلق على ما حكى فى شريعة من قبلنا اياه الله ثم تصور من ذلك الجهله والرغبة معنى الزراية
فحظر اطلاق ذلك حتى صار القوم به بعد كفروا الوفاء مراعاة العهد والغدر تضييعه كما ان الوفاء
مراعاة الوعد والخلاف تضييعه والوفاء والمجازى الفعل كالصدق فى المقال والغدر والخلاف
كالكذب فيه وقيل وفى واوفى بمعنى والصحيح ان اوفى ابلغ من وفى كما ان اسقى ابلغ من سقى
الخطاب وان كان لبنى اسرائيل لكونهم مقصودين بالتكليف لسيانهم نعم الله تعالى وكون امته
عليهم اظهر فالناس طرا اشاركوهم فى وجوب شكر نعمه عليهم وقد تقدم ذكر تفاصيل النعم ان مثل ما
فاده نقسد النعمه بقوله التى انعمت عليكم قبل نظر الانسان الى نعم الله ضربان احدهما نظره الى نعم الله
تعالى التى خص به فى نفسه دون ما اختص به غيره وذلك نفسه رضا عن المنعم وشكر اله ومعرفة
ما على غيره من النعم والثانى نظره الى نعم الله على غيره وسنان ما قد خص به فى نفسه وذلك يحلب
اليه سخطا على ربه وكفرانا له واسيه وحسرا على عباده وبهذا قيل انظر الى من هو دونك ولا تنظر
الى من هو فوقك فانه اجدران لا تزدرى نعمه ربك وعهود الله كثيرة بعضها مرتب على
البعض والوفاء كل واحد مقابله فاول مرتبته اظهار الشهادتين وقابله من الله حقن الدماء والاموال
كما قال عليه السلام من قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ودمه واخره ما يكون من اولياء الله فى حفظ
النظرات والخطرات وقابله من الله مالا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وبينها وسائط كثيره لهامن الله تعالى مقابلات ولما كان بين مبداه الى منتهاه عرض كثير
نظر كل احد من المفسرين للايه نظرا ما صادف به اقوالهم مختلفه فى الظاهر حسب اختلاف
نظرائهم فروى عن ابن عباس ان الاشاره بذلك الى قوله ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل
وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلوه واتيتم الزكوه وامنتم برسلى وعزرتموهم
واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيآتكم ولادخلنكم جنات وروى عنه اوفوا بعهدى
فى اتباع محمد اوف بعهدكم فى رفع الاصر والاغلال التى فى اعناقكم وقيل اوفوا بعهدى فى ترك

الكبار أوف بعهدكم في غفران الصغار وقيل أوفوا بعهدي في أداء الفرائض أوف بعهدكم في المغفرة
الثابتة وقيل أوفوا بعهدي في الاهتدا إلى الطريق المستقيم أوف بعهدكم في الزيادة في الهدى وإنما
الالتفات إشارة إلى ما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وهذه الأقاويل إن اختلفت فبحسب
اختلاف النظرات أو بحسب اختلاف العبارات وفيما ذكرت من الأصل ما يجمع نظر الكل وإن عامة أقوالهم
لا تخرج عن الصواب إن شاء الله وقال تعالى لهذه الأمة اذكروني أذكركم وقال بعض المحققين
في اعتبار الآيتين دلالة على تشريف هذه الأمة في أنه لما خاطبهم بفضله فيهم وغفل ... بذكره بلا واسطة
وأمر بني إسرائيل أن يجعلوا ذكر الآية وصلة إلى ذكره وذلك فضل قد أحكم في كتاب الشرف التصوف
وقوله فارهبون تقديره ارهبوني فحذف الياء لدلالة الكسرة عليه ولكون الفواصل كالقوافي
وفائدة تكرير الضمير تأكيد للحث على ... هيبته وإنما لا يجوز أن يكون المهيب تعالى دون غيره
ومثله في تذكيرهم نعمة الله ما حكاه تعالى عن موسى حيث قال لهم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل
فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآية ● قوله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصدقا
لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي
ثمنا قليلا وإياي فاتقون قد تقدم أن الإيمان مقتض للعلم اليقيني في صحة
قوله آمنوا بما أنزلت حث على استفادة العلم إذ لا يحصل الإيمان الحقيقي من دونه ونبه بقوله
مصدقا لما معكم أن لا منافاة بين ما أتت به الأنبياء من أصول العبادات وأنهم كنفس واحدة من حيث
تساوي دعاويهم إلى التوحيد والأركان الثلث من الشرائع التي هي العبادات المحضة وأحكام الحلال
والحرام والمزاجر وإنما الاختلاف بينهم في جزئيات الأحكام وفروعها كما اقتضته مصلحة
كل قوم وزمان وكل مصدق للآخر فيما أتى به من أن كليات شرائعهم متساوية وأن فروعها
بحسب الإضافة إلى زمان كل واحد منهم وأمته حتى لو كان أحدهم في زمن الآخر لم ... المصلحة إلا بما
أتى به الآخر ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى بن عمران لما وسعه إلا اتباعي وقوله ولا تكونوا أول كافر
به أي لا تكونوا أئمة في الكفر فيقتدى بكم فتبوءوا بآثامكم فتكونوا حاملين لأوزاركم وأوزارهم كما قال تعالى ليحملوا



أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم وذلك إشارة إلى ما قاله عليه السلام من
سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
وقيل معنى أول المتقدم بالشرف كقولهم حاتم أول الأسخيا وباقل أول اللئام والمعنى لا تكونوا أرفع
كافر منزلة في الكفر وذلك أن محمدا عليه السلام لما كان آخر الأنبياء وكان تمام الشرائع من تقدمه كما روي
عنه عليه السلام ... ومثل الأنبياء كرجل بنى بيتا فأحسنها وأكملها وترك موضع
لبنة فأنا تلك موضع اللبنة فصار الكافر به كالكافر بجميعهم فإن من شرط الإيمان بهم أن يصاحبه الإيمان
به والإيمان بما أتى به والهاء في قوله به ضمير ما أنزلت وقيل هو ضمير ما معكم إن قيل لم قال ولا تكونوا
أول كافر به وأنت لا تقول كونوا أول رجل وإنما تقول رجال قيل إن ذلك معناه أول فريق كافر
أو حزب كافر لفظه مفرد ومعناه الجمع على ذلك قول الشاعر
فإذا هم طعموا فألأم طاعم ● وإذا هم جاعوا فشر جياع ● وقد أجاز بعضهم أن يقال أول رجل
أي أول الرجال إذا كانوا رجالا والقليل والكثير من الأسماء المتضايفة وتعتبران بالغير و
ليس استعمال القلة في قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لأجل اعتبار ثمن من أعراض الدنيا
كما تصور بعض الناس فاعترض على الآية وقال ذلك يقتضي جواز اشترا الثمن الكثير بآيات الله
بل جعل الاعتبار ههنا منافع الدنيا والآخرة وقد علمنا أن منافع الدنيا طفيفة إذا اعتبرت
بمنفعة الآخرة وإذا كان كذلك فمن اشترى بآيات الله منافع الدنيا وترك منافع الآخرة
فقد خسر خسرانا مبينا كما حكي عن المنصور لما حضرته الوفاة قال بعنا الآخرة بنومة
وقال الشاعر ● وإن امرأ باع دنيا بدينه ● لمنقلب منها بصفقة خاسر
وعلى هذا قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا الآية وإنما ذكر في الآية الأولى فارهبون وفي الأخرى فاتقون
لأن الرهبة دون التقوى فحيثما خاطب الكافة عالمهم ومقلدهم وحثهم على النعم التي يشتركون
فيها أمرهم بالرهبة التي هي مبادئ التقوى وحيثما خاطب العلماء منهم وحثهم على مراعاة الآيات و

والتنبيه لما انتبه اولوا العزم من رسله امرهم التقوى التي هي منتهى الطاعة ۞ قوله

## عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون

اللبس والستر والتغطية والتعمية والتمويه والكتمان والاخفا تقاربت في الستر اعم الالفاظ لانه يقال في المحسوس والمعقول فيقال سترت كذا بثوبي وسترته في نفسي والتغطية في الاعيان فقط واللبس اصله في الثوب ثم يقال في المعنى ايضا وذلك ان يخلط حق بباطل والصدق بكذب والتعمية ما يجعل الانسان عن ادراكه كالاعمى والتمويه ما يجعل على وجهه مواهه والكتمان يقال في الحديث ونحوه وقوله وتكتموا الحق اخص من قوله تلبسوا الحق بالباطل لان اللبس هو الخلط بغيره والكتمان اخفاوه جملة والاجود ان يكون قوله وتكتموا بالواو منصوبا وان صح ان يكون عطفا مجزوما فيكون امرا مخصوصا بعد عموم وقراءة ابي ولا تكتموا أول كافيه بشيء ولا يكون نكتموا الحق ونحو ذلك في احتمال الجواب والعطف قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام وقوله وانتم تعلمون تعظيم لارتكاب الذنب فارتكاب الذنب مع العلم بقبحه اعظم عقوبة ولهذا قال بعض الحكماء لان ادع الحق جهلا به احب الي من ان ادعه زهدا فيه وان اترك جميع الخير جهلا به احب الي من ان افعل ادنى الشر مع المعرفة بقبحه وقد تقدم الكلام في الحق فاما الباطل فالا ثبات له عند الفحص عنه والحق بخلافه وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال لذلك قال الشاعر

لقد نطقت بطلا على الاقارع ... فاستعمله في القول وفي الحديث على الخبث

الشر والنهي عن كل تلبيس وتمويه وان كانت الاية واردة فيمن امنوا ببعض الكتاب وكفروا بالبعض وجحدوا صفة النبي عليه السلام وقول ابن عباس معناه لا تخلطوا الصدق بالكذب وقول ابن زيد لا تخلطوا الحق الذي هو التورية بالباطل الذي كتبتموه بايديكم فاشاره الى بعض ما تقتضيه عموم الاية ۞ قوله عز وجل

## واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين

قد تقدم الكلام في اقامة الصلوة فاما الزكوة فاصلها



زكا الزرع فهي ... عن تثمير المال باستجلاب بركة الله والطهارة التي هي تنمية النفس ... تطهيرها باخراج الفضول من المال والزكاة ... يقال في المدح ... واعلى ... تزكوا انفسكم وذلك نهي عن الثناء على النفس فانه من المستقبح بالعقل والشرع ولذلك قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا قال مدح الرجل نفسه وقد يقال التزكية في الفعال وهي ما يقتضي تطهير النفس المدعو اليه بقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقلما حث الله تعالى على اقامة الصلوة او مدح بها الا قرن بها ايتاء الزكوة فيهما تمام الايمان وعليهما دل قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله اركعوا حث على الخضوع وترك الخشوع ويصح ان يكون مع ذلك حثا على مراعاة الجماعات في الصلوة والاجتماع مع المومنين في كل مامور به نحو قوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولذلك قال تعالى مع الراكعين ۞ قوله تعالى

## اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون

البر التوسع في افعال الخير بر الوالدين ... ما قاله عليه السلم وقد ساله ابو ذر عن البر قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فذكر جملة افعال الخير فرائضها ونوافلها ومكارم الاخلاق كلها في البر فالبر ثلث بر في معاملة الله وعبادته وبر في معاملة الاقارب ومراعاة حقوقهم وبر في معاملة الاجانب ونصائحهم واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء والسعة ولهذا وصف المومن بسعة الصدر والكافر بضده نحو قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فسمي برا وقد وصف الله تعالى بالبر كما وصف به العبد فقال ... العبد بر اي الطاعة على ذلك قول الشاعر

... يرك الناس ونحن وبكا

والله عز وجل بر بعبده لين وسع عليه احسانه ويقال ابر فلان على فلان اي تقدمه من اي سعة من المكان وعلى هذا قالوا ... وقال الشاعر ۞

فتى الفتى هل الفتى كان بينه وبين المرء حتى تنقف متباعد
والنسيان رد والنسي عن الحفظ وهو ضربان اغفال بغير فعل من صاحبه وهو المعفو عنه بقوله عليه السلام
رفع عن امتي الخطا والنسيان واغفال بفعل من صاحبه وهو ان يترك مراعاة المحفوظ حتى يذهب عنه
وهو المذموم بقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وقال عليه السلام من حفظ القران ثم نسيه
لقي الله وهو اجذم ولما ورد هذا الخبر عن النبي عليه السلام كره ابن مسعود ان يقول القايل نسيت اية كيت
وكيت وقال ليقل انسيت ومن جعل الانسان من ذلك فاصله عنده انسيان بدلالة انيسيان في تصغيره
ومعنى يتلوه يتبعه والتلاوة في القران اتباع الالفاظ او اتباع اللفظ بتدبر المعنى وهو المراد بقوله
يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به والعقل اصله المنع الشديد ومنه عقل البعير والعاقول
الدوا الممسك البطن والعقيلة للمحسن الممنوع عن الاخراج والمعقل والعقال واعتقل لسانه
وقد ذكر الله تعالى العقل باربعة اسما العقل والنهى والحجر واللب وفي ذلك انظار تطلعه فاكثرها
ذكر العقل وذلك لعقله عما يقبح وعلى ما يحسن والنهى لكونه ناهيا عن القبايح والحجر لجعل صاحبه
في حجر عما لا يحسن واللب لكون ذلك لب الانسان بالاضافة الى ساير اجزايه كلب الشي الى
اجزايه وهو اشرف اسمايه وقد ذم الله في هذه الاية غاية ما ذم به المتصدي للوعظ بغير الحق وذلك
ان الواعظ من الموعوظ يجري مجرى الظلة من الظل والطابع من المطبوع ومحال ان يعوج الظلة و
يستوي ظلها او يمكن للطابع ان يوجد في مطبوعه احسن ما في طبعه ولهذا قيل كفى بالمرء [illegible]
ان يعظ غيره وينسى نفسه وان المدعي لمصلحة هو تجنبها اما كاذب في دعواه او خبيث النفس
وكلاهما لا يقبل قوله فاي احق الانسان ان يبدا بنفسه فيما يلفظ به غيره حتى يكون واعظا بفعله
كواعظ بقوله وروي ان رجلا اتى ابن عباس فقال اني اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر
فقال ان لم تخش ان تفتضح بثلاث ايات من كتاب الله فافعل قوله اتامرون الناس بالبر وقوله
لم تقولون ما لا تفعلون وقول شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقد اتبع الله ذمهم بكلمتين
حقق عليهم احداهما قوله وانتم تتلون الكتاب اي تتدبرون التنزيل والثاني قوله افلا تعقلون



منها ان الجامع للعقل وتتبع الكتاب ليس من حقه ان يامر بما لا يفعله فذلك يجري مجرى عمل
نقاوة الايات باعيننا ابلغ من معنى قول الشاعر
لا تنه عن خلق وتاتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم   وقوله يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم مثل هذه
الاية في حث الانسان على العناية بنفسه قبل العناية بغيره لا نهيا عن الوعظ كما تصوره بعض الناس
حتى قال هذه الاية منسوخة **قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها**
**لكبيرة الا على الخاشعين** اصل الصبر الامساك في ضيق ومنه دابة مصبورة والصبرة
من الطعام للمجموعة وفي التعارف امساك النفس على ما يقتضيه العقل او يقتضيه وذلك ضروب
صبر عن المشتهى وهو العفة وصبر على المكروه وهو الشجاعة وقيل الصبر الصوم لقوله عليه السلام
صيام شهر الصبر وثلثة ايام من كل شهر يذهب كثيرا من وحر الصدر وتسميته بالصبر لكونه بعضه
اذ هو امساك الشهوة ولهذا قال عليه السلام الصوم نصف الصبر والصلوة ارفع منزلة من الصبر
لانها تجمع ضروبا من الصبر اذ هي حبس الجوارح على العبادة وحبس الخواطر والافكار على الطاعة ولهذا
قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين فخصها برد الضمير اليها دون الصبر واما الصلوة
التي تخف على غير الخاشع فتسماه باسمها وليست في حكمها معناها ما دل له قوله عز وجل ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل ما يترك صلوة غير الخاشع نهاه عن الفحشاء والمنكر ومثلها في رد الضمير
الى احد المذكورين لاختصاص العناية به قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فاعيد الضمير
الى التجارة لما كانت سبب الانفضاض الذين نزلت الاية فيهم ولانه قد يشغل التجارة عن العبادة
من لا يشغله اللهو وعلى ذلك قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها لما كانت
حبس الفضة عن الناس اعظم ضررا اذ كانت الحاجة اليها امس ومنعها للمضرة اجلب وقوله كبيرة
اي كبيرة القدر او ثقيلة على النفس بالاضافة الى غيرها من العبادات اذ هي جامعة للعبادات
ومزيدة عليها فانها لا تخلو المرء ما كانت جارية مجرى الزكوة فيما يستر به العورة وطهارة البدن
والانساك في حركات مخصوصة حركة مجرى الاعتكاف وتوجه الى الكعبة مجرى الحج وذكر الله

ورسوله يجري مجرى اظهار الشهادتين للايمان ومجاهدة ... الشيطان ... [illegible]
وامساكه عن الاطيبين جار مجرى الصوم ومنها اليد في ... العبادات التي ... [illegible]
القراءة واظهار الخشوع والركوع والسجود وغير ذلك ولهذا ... امر ... اخبر
به عنه وهاهنا الصلوة وما ملكت ايمانكم وجعل لفظها وما يقتضيها لسانه قوله عز وجل
**الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون**
وقد تقدم الكلام في الظن انه اسم لما يحصل عن امارة ... وانه متى قويت
ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد الوهم وانه متى قوي استعمل معه ان المخففة والمعدى من
من الفعل نحو ظننت ان يخرج وان يخرج فالظن اذا كان بالمعنى الاول محمود وبالمعنى الثاني مذموم
والمذموم من الاول والثاني كقوله ان هم الا يظنون وقوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا
وعنى بلقاء الله الموت والرجوع اليه الثواب والعقاب وتخصيص ذكر الظن ها هنا اعلام بانهم
في كل حال لا يأمنون الموت ولو كان بدله العلم على ان ينبغي الوجه الذي يصح فيه الظن لذلك
تقول اظن اني اموت في كل حال ولا تقول اعلم اني اموت في كل حال واما قوله الا يظن
اولئك انهم مبعوثون فهو نهاية في الذم ومعناه الا يحصل لهم امارة تنبههم على التفكر في ذلك
تنبيها ان هذا المحال مما من امارته للانسان اذا تأمل ادنى تأمل وخاطب بالآيات علامات
لبني اسرائيل الامر غيرهم بالبر الناسين انفسهم بان يستعينوا في تدافعه هذه الحالة بالصبر والصلاة
به الى الصلاة فيها يصير للانسان خاشعا ملتزما للحق من ظن منه قوله تعالى
**يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم**
**على العالمين** الفضل كل زيادة الا انه اخص منها وهو من الاسماء المضافة كالكثير
والقليل والكبير والصغير ويستعمل على اعتبارين احدهما اعتبارا بالطرف الذي هو النقص وذلك
يستعمل على سبيل المدح والثاني اعتبارا بالوسط الذي هو العدل والسواء والنصف ويستعمل على
وجهين احدهما الزائد على العدالة على سبيل الاستطالة ... السماحة والاسماح بعض ما يجب عليه



ويذكر بعض ما يحسب لعله الذي هو المعنى بالاحسان في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء
في قوله ... وانه عني بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم والثاني الافراط الخارج
عن الذي ... والذي ... المنهي عنه في قوله ولا تسرفوا وقوله ولا تبذر تبذيرا
... الزيادة على الكفاية نقصان واكثر ما يعبر عن ذلك بالفضلة والفضالة والزيادة على
الاعتبار الاول ... على العدالة وعلى الاعتبار الثاني ... وهو ترك العدالة
والمتفضل يستعمل على وجهين اما فيمن خص بالفضل نحو قوله وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا لان ذلك امر محض ... اما الحكم المتصل بالفضل الحاصل منه نحو قوله
... فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما فالاول يجب على العبد به الشكر اذ يمدح
... والثاني يجب به ... ويستحق به ثوابهم واما العالمون فقد تقدم الكلام فيهم و
بازاء تعالى الجمع ما اوجده الله من الفلك وما يحويه عالم بلفظ الافراد وتارة يقال لكل جنس نوع
من الموجودات عالم وتارة يقال لاهل كل زمان عالم وتارة يقال لكل انسان في نفسه عالم ويقال
ذلك على وجهين احدهما ان الانسان الواحد هو كالعالم في خصيصه بما لكل ما هو موجود
في العالم والثاني يقال ذلك للفاضل الكامل من الرجال وبهذا النظر قال الشاعر
فواحدهم في الورى عالم ... ان قيل كيف قال فضلتكم على العالمين وقد قال تعالى
لهذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس الجواب ان التفضيل الذي ذكره الله تعالى هو
الفضيلة التي خص بها بنو ادم المعنية بقوله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم وبنو اسرائيل ان كانت
قد شاركهم غيرهم في هذه النعمة فانهم لما نسوا نعم الله تعالى خصوا بالتذكير بهم كقولك ... وان
تنسى نعمة الله تعالى عليك وقد تقدم انه ربما خص بالمخاطبة بعض المعنيين لحمله على فهم
منزلته او ان العناية به اكثر او ان ذكره بالموضع المقصود اليه اليق وقيل عنى بهذه الفضيلة فضيلة
خصوا بها وهي ما اعطوا من المن والسلوى والاظلال بالغمام والحجر الذي يتفجر منه الانهار وهذا عن الضحاك
وقيل انه جعل كل فرقة اوكل نفس في زمانهم عالما وذكر انهم فضلهم على غيرهم ممن في زمانهم ان

ذلك بانهم اهل الايمان بالله ورسله والاعمال الصالحة لذلك كان منهم المفضل
على العالمين كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وقيل فضلهم على المعاني
بضرب ان يكون مراد بالاية ان قيل كيف قال ذلك وهذه النعم كانت على اسلافهم قيل قد قال بعضهم
لما ذكر الله تعالى ذلك في التورية على سبيل الخطاب اعاد الله على الحكاية وقيل الانعام على
الانسان ضربان نعم يصل اليه من المنعم بلا واسطة ونعم يصل اليه بواسطة او بوسائط وذلك ان الله
من يزرع زرعا لنفسه يصل الينا نفعه على بعض الوجوه فهذا الزارع منعم علينا وعلى هذا قيل
ان الله منعم على كل واحد منا باكثر ما يتعاطاه الناس من اعمالهم من المهن والصنائع المرفقة وانقسم
ونحو هذه الاية قوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين واعاد قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي لان الاول حث على استشعار النعم
بعده والثاني لتبيينها بتفضيلهم على العالمين **قوله عز وجل واتقوا يوما**
**لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ**
**منها عدل ولا هم ينصرون** الجزاء المكافاة والمقابلة متقاربة لكن الجزاء
اعمها لان المكافاة تعتبر فيها المماثلة والمقابلة يراعى فيها المحاذاة والجزاء لا يراعى فيه شيء
من ذلك ويقال جزاه بالامر كذبه واجزاه الامر يغني لجزا معنى الغناء والقبول تناول
المقبل وعند القابل لمتناول الدلو واصل ذلك من قبل وقبل وقبل يستعملان في المتقدم المفصل
ويضاده بعد وقيل في المتصل ويضاده دبر وقد جعل كناية عن السوءتين وتقابل القبول الرد
والشفاعة جعل الفرد شفعا يقال شفعت له اي صرت شفعا له بانضمامي اليه وعبر عن
الضم الى غيره في طلب شافع وعلى ذلك قول الشاعر له من عدو مثل ذلك شافع
ومنه الشفعة واصلها ضم ملك الى ملكه وشفعه به والعدل التسوية يقال عدل به فاعتدل و
عدلته فاعتدل وعدل الشيء ما ساواه بلا افراط ولا تفريط واكثر ما يقال في المساواة من حيث
الحكم نحو قوله تعالى او عدل ذلك صياما والعدل يقال في المساواة في الكمية في الوزن والكيل



وقيل الفرق بين العدل اذا اعتبر فيه معنى المساواة وقوله لا يقبل منه صرف ولا عدل وتفسيرهم
بان العدل الفريضة والصرف النافلة فمن حيث ان العدل هو المساواة وتعاطيه واجب والصرف
الزيادة الحاصلة عن التصرف تعاطيه تبرع وبيانه كالعدل والاحسان والنصرة اخص من المعونة
فانها تختص بدفع الشر والظلم وقيل ارض منصورة اذا اتاها الله المطر بعد طول مدة والقصد
المقصود من يوم لا يكون لاحد احدا وقد اعاد معاني هذا المعنى على اوجه نحو قوله يوم لا يغني مولى
عن مولى شيئا وقوله يوم يفر المرء من اخيه وقوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ونبهنا
ان لكل انسان ما يستصحبه من الايمان والاعمال الصالحة كما قال وان ليس للانسان الا ما سعى
ان قيل كيف قال ذلك وقد اثبت الشفاعة في غير اية قيل هذا رد على اليهود فانهم ادعوا حيث
قالوا نحن ابناء الانبياء وهم مشفعون لنا وان ارتكبنا ما ارتكبنا فبين انه لا يكون لهم شفاعة كما قال
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقوله عز وجل ولا يشفعون الا لمن ارتضى
والضمير في قوله عز وجل ولا يقبل منها قيل راجع الى النفس الاولى وقيل ايضا انه راجع الى الثانية وفي
قوله ولا يؤخذ منها راجع الى الثانية لا محالة ولا هم ينصرون اي ليس لهم من ينصرهم من الله فيمنعهم
من عذابه اشارة الى قوله تبارك وتعالى وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون وقوله واتقوا
يوما لا تجزي قال الكسائي لا تجزي فيه فحذف وقال البصريون وصل الفعل اليه فنصبه نحو قول
الشاعر ويوم شهدناه سليما وعامرا ثم حذف الهاء كحذفه من الذي ضربت وحقيقة
الخلاف ان ما قدره الكسائي حذفه يدفعه تقديره البصريون بدعض ولا خلاف ان الاصل
ان في ذلك فيه وانه لا يطرد في كل مكان حذف الجار مع المجرور **قوله عز وجل**
**واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب**
**يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من**
**ربكم عظيم** اصل النجاء طلب التخلص وقيل لمن عد النجاء لكون العدو احد اسباب
التخلص فان الله تعالى جعل للحيوانات قوتين تزيل بهما الاذى قوة بها يهرب مما يؤذيها وقوة

بها دفع ما يؤذيها من الحيوانات ما يختص باصبعها ومنها ما يبدأ لها نجيا واذا العده اعد اسباب
الخلاص فصح ان يعبر عنه به وقيل جا الارشاد الى توبه وذلك استغاثة كما استقر القالب
العرد في نحو قولهم النجا بنه وبطلب ثوبه بعض الحكمى قوله انه … بليه حين الرهط اوداقي دنب
الربوه نحوك اعتبارا بانه منحى من البليه وكثير من الالفاظ التي تجري في المباركه تجري عن الجزيه
الملقاه بالنحو اما اعتبارا بانه خلاص من الشر او … عنه المكروه الذي عنه الغائط والما المنعقد
في السرابه خلاص من الوشاه والعداه عن تحت وبهذا النظر قال الشاعر
وجعل نجوانا نجاه من العدى ۝ والآل قيل هو مقلوب عن الاهل كالماعز اللوه ويصغر
على اهيل كان الما يصغر عليه الا انه خص بالاضافه الى اعلام الناطقين دون النكرات ودون
الازمنه والامكنه يقال آل فلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمان كذا وقيل هو اسم للشخص ويصغر على
اويل ويستعمل فيمن يختص بالانسان اختصاصا ذاتيا به اما بقرابه قريبه او بموالاه
دينيه او كالدينيه فقد اجرى الموالاه الدينيه مجرى القرابه واللحمه حتى قال تعالى ومن يتولهم منكم
فانه منهم وقال فمن تبعني فانه مني وقال في نوح وابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
والاختصاص المذكور قال ان الله تعالى اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين
ذريه بعضها من بعض في الاختصاص … قال تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
وقال بعض الفاضل اهل الدين من النبي عليه السلم ضربان ضرب يختص منه بالعلم المتقن والعمل المحكم
فيقال لهم آل النبي وضرب يختصون منه بالعمل على سبيل التقليد دون العلم المتقن ويقال
لهم امته فكل آل النبي امته وليس كل امته آله وقيل لجعفر بن محمد ان ناسا يقولون المسلمون كلهم آل النبي
فقال كذبوا وصدقوا قيل فما معنى كذبوا وصدقوا قال كذبوا ان الناس على ما هم من التقصير في دينهم
هم آل النبي وصدقوا انهم آله اذا قاموا بشرائط شريعته فمن ضيع الشريعه فليس منه وان قرب نسبه
ومن حافظ على شريطته فهو منه وان ابعد نسبه والسوم اصله الذهاب في ابتغا الشيء فهو لفظ
لمعنى مركب من الذهاب والابتغا فاجري مجرى الذهاب فقيل سامت الابل فهي سائمه الى الذهب



في المرعى فعلم … المبتغا … في المرعى وسمته كذا اقول سمته كذا او
تسه السوم في البيع … والسومه … المسان من آفه وداء ونقال السوء والسوأى
نحو الحسن والحسنى … البسوء وكذا كني عن البرص
بهذا … العذاب لو شيد … والذبح اصله شق الحلق … وقيل … الغاره الساحه على
الاستغاره لما شبه … الجماعه … لشدتها وكونها في موضع الذبح
وحصت … التذبيح دون الذبح تنبيها على كثره ذلك منهم والاستحيا
كاستبقا … الحيوه … يعلمون … في ارحام النسا مستقا من الحيا
اي الفرج والبلا اصله من قولهم بلي الثوب بلى وبلاء ومنه بلوت فلانا اي اختبرته كاني اخلقته
من كثره اختباري له ولهذا قيل ابليت فلانا … اي خبرته وسمي الغم بلاء من حيث انه يبلي الجسم
وسمي التكليف بلاء من اوجه احدها ان التكاليف كلها مشاق على الابدان فصارت من هذا الوجه
بلاء والثاني ان التكاليف اختبارات ولذلك قال لنبلوكم ولنبلونكم ونحو ذلك والثالث ان … كان
اختبار الله للعباد تاره بالمسار ليشكروا وتاره بالمضار ليصبروا فصار المحنه والمنحه جميعا بلاء فالمحنه
مقتضيه للصبر والمنحه مقتضيه للشكر وكان القيام بحقوق الصبر ايسر من القيام بحقوق
الشكر لما بيناه في كتاب … المتصوف فصار المنحه اعظم البلائين وبهذا النظر قال امير المؤمنين
… من وسع دنياه ولم يعلم انه مكربه فهو مخدوع عن عقله والرابع انه رب منحه يعقب محنه
ومحنه تفضي الى منحه ولهذا … مغبوط بنعمه هي داؤه ومرحوم لسقم هي شفاؤه …
… ولكون البلا امتحانا … قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنه وقال في الخير والشر … فاذا افرد قال في الخير ابلاه وفي الشر
بلاه قال تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ۝ واما قول الشاعر
… خير البلا الذي يبلو اجزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ۝ … اعطاهما الله خير النعما
به وجعل كليهما ترك المكروه محبوبا فقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم راجع الى الامرين الى المحنه التي

من الخامس آل فرعون المقتضية للشكر والى المحنة التى دهمهم واستحيائهم النساء المقتضية للصبر
على ذلك قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فاذا احد ذلك فقول عاجل ان خرج
انه اراد فى الجانكم منهم نعمة نظر منها الى مبدا الاية وهو قوله احيائكم من آل فرعون وقول من قال اراد فى
قتل الاولاد واستحيا النساء شذ وقوله ان هذا لهو البلاء المبين نظر منه الى منتهى الاية وهو قوله
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وكلا القولين صحيح وقول السدى عن ابن عباس اراد بقوله يا ادم
نعمة او نقمة تصريح ان اللام من مرادان وليس قوله اوهما هنا شكا منه كما ظنه بعض المفسرين فقال ان
ذلك شك من السدى بل ذلك رواية عن ابن عباس تنبيها منه ان النعمة والنقمة فى هذه الحالة حاصلتان
وكل واحد منهما موجود فيها وفى الاية مذكر لهم بما اولاهم من النعم فى ابائهم من آل فرعون وما كانوا فيه من
من العذاب وكان الوصل فيما روى ان فرعون راى فى المنام او قال له الكهنة سيولد فى هذا العام
مولود يذهب ملكك فجعل على كل عشر من النساء جلادا فقال انظروا كل امراة ولدت فان كان ذكرا
فاقتلوه وان كان انثى فاتركوه وكان ذلك اعظم للرزية كما قال الشاعر

ومن اعظم الرزايا انك نفا البنات وموت البنينا وقيل كان ذبحهم
للابناء استخدامهم فى الاعمال القذرة الحاربة محرك اعظم الذبحين القتل والاهانة قال وعلى ذلك قوله
عز وجل ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم وفيها حث لنا على مذكر
نعمة ومراعاتها واحده واحذة وتحذير الشكر لكل منها قوله عز وجل واذ فرقنا بكم
البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون
الفلق الفصل لكن الفلق بالكون الا من جسمين والفرق بكون فى الاجسام والمعانى وفى
هذه القصة قد جا اللفظان قال فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم اى كل قطعة من الماء و
الفرقان كل كتاب يفرق بين الاحكام وسمى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاروقا لان النبى
النبى عليه السلام قضى ليهودى على منافق فابى عمر وقال انا امر ان اقضى بينى وبين هذا ولست ارضى
قضاه فاقض بيننا فقال اورضيت قضائى قال نعم فدخل داره واخرج السيف وضرب راسه



فنزل جبريل عليه السلام وقال ان ربك يقرئك السلام ويقول لك قد رضيت عمر فارقا بين الحق والباطل
فسمى فاروقا والبحر استعير للسعة فقيل بحرت لذاك وسعته
كسعته وقيل خرت الناقة اى شقت اذنها شقا واسعا والباحر الواسع الموسع عليه من جميع رفع
مجرى العقل عنه وكانه اعتبر فى تسميته بذلك مقابله العاقل فجعل اسما للعقل كما هو معتبر فى بعض
والشده والغرق الرسوب فى الماء شبه به غيره حتى قيل غرق فلان فى النعمة وغرقه من اللبن
اى ملى قدح واغرق فى الشى اذا بالغ والنظر نظران نظر بصر وبه يدرك المحسوسات ونظر بصيرة
ويدرك به المعقول ونظر البصر كالحاكم لنظر البصيرة فان كان نظر البصيرة
للناظر كانه نظر كل واحد من النظرين الى صاحبه فى المشاكلة وناظره مارتيه فى النظر وانظره تركه
فى نظره طلب ومعنى الاية ما ذكره فى قوله فلما تراى الجمعان الاية وفى قوله فاضرب لهم طريقا فى
البحر يبسا وفى قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق وقوله وانتم تنظرون
لما كان النظر متردد ابين المحسوس الذى منه الابصار والنظر المعقول الذى منه البصيرة نظر
كل واحد من المفسرين نظرا مما من نظر نظر محسوس معناه وانتم شاهدونه فقد روى انه اورد لكل سبط
طريق من الماء وجعل للحاجز الذى بينه وبين الاخر مشتملا ينظرون منها الى الاخرين وقال بعضهم وفى الماء
بحيث ال فرعون بعد اغراقهم الى الشط وكان الناس ينظرون اليهم وعلى ذلك حمل قوله تبارك وتعالى
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وقال ومن نظر نظر معقول معناه وانتم تعتبرون بذلك
وقال بعضهم فى الاية مع ارادة هذا المعنى والنعم المحسوسة التى اولاهم اشاره الى معنى اخر والى
نعمة معقوله اعظم فانه اشار بالبحر الى الشبه التى تفترق وتفرقه الى ان انتهاء باغراق ال
فرعون الى ابطال الكفر والنظر الى المعرفة والتمكن منها مما اولاهم من البصيرة والتمييز وهذا
الذى ذكره صحيح انه تعالى فعلهم اقتضاه لفظ الاية او لم يقتضه قوله عز وجل
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من
بعده وانتم ظالمون قرئ واعدنا اعتبارا بالموعود وقبوله من الواعد وعده
وكان من كل واحد منهما وعدا هذا بالاعطاء وذاك بالقبول ووعدنا هو للاعتبار بالواعدين

الموعود على الثاني اكثر ما في القرآن نحو ان الله وعدكم وعد الحق والله يعدكم مغفرة واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وتقدير اربعين ليلة انقضاؤها كقولك اليوم اربعون يوما خرج زيد اي تمامها وقيل اوله وعده ذلك في الاربعين دون ان لا يتجاوز هذا القدر وهو الاصح وقوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر على ذلك فانه قيل لم يكن ذلك انقضاء الثلثين ثم كان عند الاربعين فلم يكن في الوعد اخلاف وانما كان فيه بعض الابهام فلهذا التبس عليهم وذكر تعالى عظيم جهلهم وانهم بعد ما اعطوا من البينات [illegible] لما وعدوا انهم اقبلوا على عبادة عجل اتخذوه وقوله وانتم ظالمون عني به الظلم المطلق وهو الكفر وقد تقدم الكلام في انواع الظلم وانها بالقول المجمل ثلث اعظمها الكفر وفي الاية حث على معرفة ما وعدنا الله به ومراعاته والمنع من الاشتغال عنه تعالى بشيء غيره على هذا الوجه قال بعض الناس كل ما شغلك عن الله فهو عجل متخذ وطاغوت متبع وشيطان مطاع ومبدأ كل ذلك اتباع الهوى ولهذا قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال وهذا وان لم يكن كفرا فهو شرك ما وبهذا الوجه قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون

## قوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون

العفو القصد لتناول الشيء يقال عفاه واعتفاه وعفت الريح الدار اي قصدتها متناولة منها اثارها وبهذا المعنى قال الشاعر

اخذ البلى اباتها وعفت الدار كانما قصدت [illegible]

واذا قيل عفا فلان عن فلان كانه قصد تناول شيء يا مصرفا عنه والمفعول به متروك لكونه غير مقصود وذلك كقولهم ذهبت عما ارتكبته وتجاوزت عنك اي تجاوزت الى شيء [illegible] وعفا البيت والشعر اي قصد تناول الزيادة كقولهم اخذ البيت في الزيادة وقولهم اعطى عفوا فعفوا مصدر في موضع الحال اي اعطى وله حال العافي في الاهتزاز اشارة الى المعنى الذي عبر به الشاعر بقوله كانك تعطيه الذي انت سائله

والشكر مقابلة الصنيعة باظهارها ومنه دابة شكور اذا كانت مظهرة احسان صاحبها اليها وضرة شكرى من ذلك والشكر كناية عن الفرج الممدوح لكونه مقابلا للنعمة قال الشكر للمشكور عليه والشكر ضرب من العدالة [illegible] في مقابلة النعمة واعم من المكافاة بان المكافاة



تعتبر فيها تارة مماثلة في الكمية وتارة في حال المكافي والشكر لا تعتبر فيه ذلك وايضا فالشكر قد يكون باللسان تارة وبالمقابلة اخرى وقد تقدم الكلام في لعل وانه وان كان مقتضيا للرجا فليس على الاعتبار به تعالى فان الرجا لمن يخفى عليه العواقب ولا يتمكن من كل ما يريد والقصد بالاية ليس عفوه عنهم بعد ارتكابهم الاجرام ليتحروا شكره المقتضي لرحمته منبها الثاني براي عفوه واحسانه راجين بلوغ شكره بالله تعالى التحميد وقوله من بعد ذلك اي من بعد اتخاذكم العجل واتى بلفظ ذلكم لان كاف الخطاب اذا اتصل بالمبهمات يصير كصلة لها وجزءا منها فتارة يعتبر فيه الاصل فيجمع وتارة يعتبر فيه كونه صلة للخطاب فيترك مفردا لا يؤنث ولا يجمع

## قوله عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

الكتاب والفرقان اسمان لشيء واحد لكن يقال باعتبارين مختلفين اما الكتاب فلجمع الاحكام المتفرقة فيه واما الفرقان فلكونه مفرقا بين الحق والشبهة وبين الاحكام المختلفة واتى باللفظين تنبيها على الصفتين للتورية المعتبرتين وهذا اصح من قول من قال تقديره واذ آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان فان التورية والقرآن من كل واحد من جهة كتاب ومن وجه فرقان وقد قال آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين وما قال من ان الفرقان اراد به فرق البحر فلا يمتنع ارادته مع ما تقدم والايتاء منقول عن اتى لكن تعورف في الاعطاء لما كان الاعطاء ضربا من الايتاء وقد تقدم الكلام في لعل وفي الاهتداء

## قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم

قد تقدم الكلام في الظلم فاما ظلم النفس فقد يقال لكل فعل يبعدها عن نيل ثواب الله في الدنيا وثوابه في الآخرة صغيرا كان او كبيرا وقوله الذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا

رجيها والظهران فعل الفاحشه وعمل السو للكبيره وظلم النفس في الاثنين للصغيره وقد
اجمله ان ظلم النفس هو الخروج عن الاعتدال يسيرا كان او كثيرا وقوله بارئكم فاصل البرو خلوص
الشئ عن غيره اما على سبيل البعض منه او على سبيل الانشا عنه فعلى البعض منه قولهم برئ فلان
من مرضه والبايع من عيوب مبيعه وصاحب الدين من دينه ومنه استبراء الحارية فانها اراده
تميزها من طامن قد عسى ان وطيها من قتل وعلى سبيل الانشا قولهم برء الله الخلق وقوله الخالق
البارئ المصور اشاره الى احوال ثلثه فالخلق الى ايجاد البدن والبرو الى ايجاد الروح وهي النشه التي
عناها امير المومنين عليه السلام بقوله والذي فلق الحب وبرا النسمه والتصوير الى ايجاد منها والى
ثلاثتها اشار بقوله الى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي الايه والى
ذلك اشار بقوله خلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث واما البريه فكثير
من الناس ذهبوا الى انها منه فترك همزه كالذريه والبنى والخابيه ومنهم من قال من البرك
اى التراب اومن البرك والبه ذهب الكسائي فبرا اعتبارا بالارواح وبرك اعتبارا بالاشباح
والعمل معروف وقد استعمل في معنى التذليل واذا له السوره تقال فللت الداله اى ذللتها وسلت
الحمر الى ذلك سورتها بالمزاج قال الشاعر

ان التي تاولتني وردتها قللت قتلت فيها لم تقل وفلان قتل فلان

اى مثله فاصله مقاتله فتصور منه معنى المماثله لكون المقاتلين مثلا بين في فعلها المختص بهما واذا قتل
فلان قتل نفسه فقد تقال اذا فعل بنفسه فعلا لازال به الروح وقد تقال اذا اسلم نفسه للقتل
وان كان اكثر ما تقال في ذلك اذا قتل وقد تقال اذا قتل من يختص باختصاص نفسه نحو
ولم اقطع رحم الرسائل وقوله اذا رميت يصيبني سهمي وقد تقال قتل فلان نفسه اذا
ضيع حفظها في طلب الاخره فادى ذلك به الى زوال الحوته الابديه وذلك مذموم وقد تقال
في ضد ذلك وهو اذا امن شهوته وذلك مباح في الدنيا طلبا للاخره وذلك محمود وعلى الاول
قال جعفر بن محمد في قوله لا تقتلوا انفسكم اى اطلبوا لها الحوة الابديه وعلى هذا قتل النفس

احياؤها واحياؤها قتلها بعني في حاله وحاله وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان من احيى
نفسه فقال يارب اذا التقيت في الحلم ابال قتل الاناء وقال بعض الحكماء من لم يعذب نفسه
لم يسعها ومن لم يقتلها لم يحيها وقوله فاقتلوا انفسكم حمله على اكثر هذه الوجوه قال بعضهم امروا ان
يحاكل واحد نفسه بالسكين وقتل امروا ان يسلم كل احد نفسه للقتل وقال اكثرهم امروا ان يقتل
بعضهم بعضا وكان الرجل يقتل اباه واخاه غير متحاش من ذلك وقال بعضهم امروا ان يزيلوا شهواتهم
ويشتاقوا نفوسهم الشهوه في الوصول الى رضاء الرب ويبلغوا الى الحيوة الابديه وقد طعن في الاية
بعض الملحده وزعم ان قتل النفس مستقبح في العقل وهذا الجاهل انما استقبحه لكونه جاهلا بان
لنفوسنا خالقا امره يستوفيها وامره ينفيها وان لها بعد هذه الحيوة التي هي لعب ولهو
معادا الى ذلك فيها حيوة سرمديه كما قال ان الدار الاخره لهي الحيوان وان قتلها امره توصله
الى حيوة خير منها ومن علم ان الانسان في هذه الدنيا كالمسافر في تعريسه وزال على الله
نفسه وانه مهما استرد فلا فرق بين ان يامره بخروجه نفسه او يامر غيره باخراجه ومن تصور
هذه الجمله علم ان الانسان انما انكره قتل نفسه في الدنيا لانه كالراجع عن التعرالى حضره
صاحبه قبل استرداده واذا امره ان يقتل نفسه فقد رجع عنه بامره وهذا واضح لمن تصور
حالتي الدنيا والاخره وعرف قدر الحيوتين والمتفاوت فيهما وقوله ذلكم خير لكم الاشاره به الى
التوبه وصل النفس ولما كان الشئ قد يكون خيرا عند الاعتبار الدنيا شرا عند الاعتبار بالاخره وقد
يكون على عكس ذلك بين تعالى بقوله ذلكم خير لكم عند باريكم ان ذلك خير بالاعتبار بالامور الالهيه
ان قيل لم اعاد ذكر باريكم والمرتان بالضمير في مثله احسن قيل لان الحسن الضمير اذا لم يشتبه
ولم يقصد بالتكرير تعظيم الامر وكان ذلك في جمله واحده او ما حكمه حكم الجمله الواحده فاما اذا لم
كذلك فتكريره احسن وقد حصل هاهنا الاحوال الثلث فاذكر ذكرهن والتحل فلو قتل
عنده نصح توبتهم اراد لعبادهم فقد علم ان المقصود في مثل هذا الموضع تحميم الامر قوله ذلكم خير لكم
حمله احرى عن الاولى وقول الشاعر لولا الموت سئم الموت شئ

انما انتهى بان قوله يسبق الموت مفعول ثان لقوله لا يرى الموت فصار المصراع كله جملة
واحدة والكلام في التوبة والثواب قد مضى وعند في قوله بارئكم اي في حكمه وفيما يقتضيه نحو قوله
يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله والتي الآية بتضييه تعالى بارئ … نسب الله فيقال له
وتارة يقال هو من عنده وهو عنده وقد بين في قوله وادعوا ياموسى ما لا تنكروه وبين في هذه الآية ما قال
لهم موسى عند لهم ذلك الذنب وان موسى مع عظم ما لا تنكروه لم يحلهم عنه النقض لهم و
نصريهم بين بلا النعمة والنقمة حسب ما اقره الله تعالى ه قوله تعالى واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ادراك المرئي وذلك على اوجه بحسب
اختلاف قوى الانسان فالاول الرؤية بالحاسة وهو ادراك البصر والثاني بالوهم والتخيل
نحو ارى ان زيدا منطلق اي اتوهم وقد يكون ذلك في اليقظة طورا وفي المنام طورا لكن يجعل اسم
ما في المنام رؤيا والثالث بالتفكر والرابع بالعقل المذكور في قوله ثم لترونها عين اليقين فاما الرؤية
الحسية على ما هي في الدنيا من المقابلة وكونها في جهة دون جهة فمنفية عن الباري تعالى اذ كان
ذلك لا يصح الا على جسم ذي لون وكيفية ولعدم اللون لا يبصر الهواء مع كونه جسما و … الها
على الله تعالى الرؤية الوهمية اذ كان ذلك تصور هيئة محسوس كما تقدم او مثل محسوس
باطلا كتوهم انسان طائر واما الفكرية فهي للعلماء في الدنيا وذلك ادراك المعرفة بالفكر والفكر
واياه عنى امير المؤمنين بقوله لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان
واما العقلية فانها تحصل في الآخرة لكل احد من حيث انهم يضطرون الى معرفته تعالى
لكن المؤمنين حالهم ابهر تقصر العبارة عنها وهي المشار بها في قوله عليه السلام ترون ربكم كما ترون
القمر ليلة البدر والمشار اليه بقوله عز وجل ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند
مليك مقتدر ولا يحصل في الدنيا الا لبعض الانبياء في بعض الاحوال وذلك بتصور افعاله تعالى
مجردة عن افعال المخلوقين بلا اشتباه بتنزيهه وبتعريه نفسه عن الشهوات والهوى والكون



ذلك لبعض الانبياء في حال دون حال فقال عليه السلام رأيت ربي في بعض طرقات المدينة
معنى وانا منها ما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى وقال ما زاغ البصر وما طغى وروى ابن عباس ان محمدا رأى ربه مرتين … بالجملة
اذا تصورت استقطت الشبهة التي تعترض من لم يتصور الحقائق فاحتاج الى دفع الاخبار
الصحيحة والآثار الواضحة التي هي بيست ما كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا
وليس قوله تعالى اخبارا عن موسى في قوله رب ارني انظر اليك كما ظن بعض الناس
ان ذلك سؤاله لان قومه كلفوه سؤاله ان يدركه محسوسا في الدنيا وكان يعلم ان ذلك محال فانه
عليه السلام منزه عن ان يصير لسان قومه ويتجاهل اتباعا لجهلة اتباعه وانما سال نحو الحالة التي كانت
للنبي عليه السلام مرتين وهذه اشارة يمكن مع الاستعانة بما تقدم انفا ان يعرف معناه الى ان ننتهي
اليه فنشرحه شرحا شافيا ان شاء الله واما الجهر فالظهر لحاسة البصر او السمع فمن حاسة البصر قيل رأيته
جهارا وتجاهروا بالامر واشتهرت فلانا وفلان يجهر بالمعاصي وجهرت البئر اظهرت ماءها ومنه
اشتق الجوهر لكون اكثره ظاهرا للحواس فيمن لم يجعله منقولا عن الفارسية ومن حاسة السمع
قيل جهر فلان بقراءته وكلام جهير وهو جهوري الصوت والصاعقة والصاقعة يتقاربان
الا ان الصقع يقال في اصوات الاجسام الارضية والصعق فيما يكون من الجو والسماء وقال بعض
اهل اللغة الصاعقة على ثلاثة اوجه الموت لقوله فصعق من في السموات ومن في الارض
وقوله فاخذتهم الصاعقة والثاني العذاب لقوله انذرتكم صاعقة والثالث النار التي تسقط
من السماء كقوله ويرسل الصواعق وهذا سهو لتصور ان الصاعقة هي الصوت الشديد على ما تقدم ثم
قد يكون منه الموت تارة والعذاب تارة وتصحبه النار تارة فاذا الموت والنار والعذاب
من ما يستفاد من لفظ الصاعقة ويجب ان لا يلتبس علينا المعنى الذي وضع له اللفظ بالمعنى
الذي يتبعه ويقتضيه وليس موضوع له بالقصد الاول وهذا باب قد يقع فيه السهو كثيرا
على بعض متأولي اللغة وقد احكم في غير هذا الكتاب وقد بين الله تعالى في هذه الآية جهلهم بالباري

سؤالهم منه ما لا يصح سؤاله فنبهها ان الجهل بوجوب الانسان ان ... في الدين ما لا يصح عليه
ويرغب اليه لا يجوز ان يرغب به اليه وقد نبه على ذلك في الاخرى لما سكتنا لنبي عليه السلام
فما سالوه جهلا منهم بقوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة * **قوله عز وجل ثم بعثناكم من**
**بعد موتكم لعلكم تشكرون** البعث ارسال المبعوث عن المكان الذي فيه لكن
فرق بين تفاسيره بحسب اختلاف المعلق به فقيل بعثت البعير من مبركه اي اثرته وبعثته في السير
اي هيجته وبعث الله الميت احياه وضرب البعث على الجند اذا امروا بالارتحال وكل ذلك
واحد في الحقيقة وانما اختلف لاختلاف صور المبعوثات والموت حمل على المعروف وحمل
ايضا على الاحوال الشاقة الجارية مجرى الموت وليس يقتضي قوله فاخذتكم الصاعقة انهم ماتوا
الا ترى الى قوله تعالى وخر موسى صعقا لكن الاية تحتمل الامرين وحقيقته ما كان انما نبههم على
السمع المتعري عن الاحتمالات والكلام في لعلكم تشكرون قد تقدم ونبه بالاية على انه تعالى
يقدم الشدائد عبده حالا فحالا لا لينسيها له من علته واليه اشار بقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير * **قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام وانزلنا**
**عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم**
**وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون** الظل في الحقيقة عدم
الضح وسمي سواد الليل ظلا لعدم الضح والظلة كالصفة والمظلة التي يطلب بها الظل واظل
فلان علينا حقيقته القى ظله علينا لدنوه منا واستعير الظل للمكان الذي فيه النعم نضور الله
في اليوم الصايف حتى قيل فلان في ظل فلان وقد اشار ابن عباس الى ان ههنا فيض البركة
جل وعز وتوفيقه واحسانه وقال هذا الغمام الذي ياتي الله فيه المذكور في قوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله في ظلل من الغمام وهو الذي جاءت الملائكة فيه يوم بدر وهذه اشارة منه عجيبة
اما المن فمصدر من لين انعم واصله من مننت اي قطعت والمنة تتصور على وجهين احدهما



النعمة المقطوعة عن التثنية وعلى ذلك قول النبي عليه السلام لا يرغب الله عبده من المال الا
افقطع والثاني السبب الذي يقطع الشكر ويكرهه وهو المعنى بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
وبقولهم المنة تهدم الصنيعة والسلوى اصله ما يسلي الانسان ومنه السلوان والتسلي وقال مجاهد
المن صمغة وقال قتادة هو مثل الثلج وقال الربيع شراب كالعسل وقال السدي الترنجبيل وقالوا السلوى
طاير كالسماني واما قول ابن عباس المن الذي يسقط من السماء على الشجر فياكله الناس والسلوى
طاير فقد قال بعضهم ان ابن عباس اشار بذلك الى ما رزق الله بني ادم النبات من اللحوم
وساير الحيوانات ودل على ذلك بهذين المثالين قال وعلى هذا قول غيره انما هو مثالات وقوله كلوا
من طيبات ما رزقناكم قد تقدم الكلام في الرزق وانه بالنظر الخاص ليس يتناول الا العرض
الدنياوية فقط بل جميع ما خولناه ومكناه منه من النعم الثلاث النفسية والبدنية والخارجية ولم يرد
بالطيب المستطاب بحاسة الذوق والشم بل المستطاب من كل وجه محسوسا ومعقولا
وعاجلا واجلا والطيبات من الطعام هي المتناوله بحكم العقل والشرع من حيث ما يسوغ
تناوله في وقت ما يحتاج الى تناوله وبقدر ما يحتاج اليه غير مسرف فيه ولا مستغل به عما خلقنا
لاجله ومتى تنوول على هذا الوجه يكون طيبا على الاطلاق في الاوقات طاب من وجه خبث
من وجه وعلى ذلك قوله كلوا مما في الارض حلالا طيبا وقوله قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق واذا عرف هذه الجملة علم ان من قال الطيبات
اللذيذات نظر نظر حس ومن قال الحلال المباح نظر نظر معقول واما قوله وما ظلمونا لما كان
الله تعالى ذكر افعالا تجري مجرى معاملات بينه وبين العباد كالمعاملة بعضهم مع بعض من
نحو الاستقراض في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والابتياع في نحو قوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ووصف نفسه بشكره كشكرهم له ومحبته كمحبتهم له ونصرته
لهم كنصرتهم له وموالاته لهم كموالاتهم له وذكر مخادعته لهم كمخادعتهم له تعالى الله عن القبائح وساير
ذلك من الافعال التي تجري من المكلفين بين انه لا تعلقت به معتقد اي اذا تعلقت

به فعلا حسنا مما اذا فعله انسان باخر ولم تقابله مثله كان ظلما ممن يكون قد ظلمه في ذلك ولكن
قد ظلم نفسه وضع حظه اذ منوع ان يلحقه بقصد ان كيف تعلق فعله وما ظلمونا بما تقدم قيل معناه قلنا
لهم كلوا من الطيبات ما رزقناكم فخالفوا وما ظلمونا بمخالفتهم وفي الانتصار لنا من كفران النعم وبلغها بالكفر
وان بما فعلوه بعد من احسان فاساءة فعاد علينا منافعه ومضاره ﴿ قوله عز وجل
واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث
شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين
الدخول والولوج والتفخم والتوغل متقاربة لكن الدخول عام والولوج دخول في مضيق
والتفخم دخول في شدة والتوغل في مشيك تخرق وادرت الابل دخالها اذا دخلت
في الورود وقد ان يدخل في القوم وفيه دخل كناية عن النفاق ودخول في معرض الكلام والدخل
طائر صغير سمي بذلك لدخوله خلال الشجر الملتفة والحر الضيقة والقرية من قريت الشيء جمعت
وقيل اصله قرو والقرى مجمع الماء وكل تقعة تجتمع فيها الماء والهيئة قيل قرية وللقرى للحوض
والمكيلة وحطه فعله حطت وقرئ نصبا ورفعا والنصب قيل مفعول بها لخولف كله طيبه
وقيل هي في موضع سوال اي حط عنا ذنوبنا نحو غفرانك والرفع قيل على تاويل كانه قيل مسئلتنا
حطة وقيل معناه امرنا حطة نحو صبر جميل والغفر ستر خايل ومنه المغفر للبيضة والقفار
خرقة تعطى بها الراس والمايف على سبيه القوت وغفر المريض نكس كانه عطى المرض
على عقله او على صحته وغفر دينه استعارة في الاصل كقولهم لست عليه ذيلي والخطا
على ضروب احدها كان يريد على ما حسن ارادته وفعله فهذا هو الخطا التام من كل وجه المأخوذ
به الانسان والثاني ان يريد ما يجوز فعله لكن وقع منه خلاف ما اراد فيقال اصاب في الاراده
واخطا في الفعل وهو المعني بقوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا وقوله من اجتهد فاخطا
فله اجر والثالث ان يريد ما الاحسن فعله ويقع منه خلافه فهذا اذا قصد وغير محمود



على فعله وحمله الامر انه تعالى لن اراد شيا فانفق منه خلاف ارادته اخطا وان اوقع منه كما
اراد انه اصاب وقال لمن فعل فعلا الاحسن او اراد اراده الاحسن اخطا ولهذا قال
اصاب الخطا فاخطا الصواب واصاب الصواب واخطا الخطا فاذا نبه اللفظة
مشتركة كما ترى متردده بين معان حب لم تحرك الحقايق تامله فهي مشكلة جدا وقال بعض اهل اللغه
يقال خطه اذا اصاب ما اراده من اخطا واخطا اذا اراده فلم يصبه والحسن تقال للهيئة النفسه
او الهيئة البصيره والحسن اذا فعل ما استحسنه احد هذين وبرهان ان الاحسان قد يعلق
العدالة ان العادل هو الذي يفعل ما اذا فعل ما يلحقه الملامة والحسن قد يزاد على ذلك
ولذلك قيل لله تعالى كله احسان وورد في التفسير انهم امروا بدخول بيت المقدس من باب الصفه
مجتمعين وقيل ساجدين وان يستغفروا وذكر بعض المحققين ان الاشاره مع ارادة الظاهر
بدخول القريه الى الدخول في شجر الشريعه وبالاكل الى التحرك باسلغهم الى العيش الرغد وبدخول
الباب تجديد السلوك الى الاستقامه على الذل والخضع وبقول حطه الى الاستغفار قولا وفعلا
طلبا لحط الذنوب وقال بعضهم الاشارة به الى التحقق بالعلم الذي اتاهم بموسى وتناولهم منه
والتمسك به فهو الحلال الحلو الذي تناول بلا اخطار ان جميع المتناولات في تناوله من اجله البعض
البعض ومنع الغير على وجه الما العلم فانه يمكن ان يتناول كل واحد كل جزء ومنه لا يمنع الغير غيره
وامر بسلوك طريقه على ما يجب وذلك بان لا تقدم ما حب ان يوخر او يوخر ما شانه ان يقدم
وعلى ذلك قوله تعالى وادخلوا السجود من ابوابها والاشاره بالقريه الى العلم كالاشاره الى
علم اللدنيه البحث قال انا مدينه العلم وعلي بابها وهذان القولان متقاربان فان
العلم والعمل متلازمان وبهما تم الايمان لكن الاول نظر الى المنتهى الذي هو العمل والثاني نظر الى البداء
الذي هو العلم وحسب هذه الاية قوله تعالى وان قاتلوا الارض المقدسه التي كتب الله لكم ولا
ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين ﴿ قوله تعالى فبدل الذين
ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين

# ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون

التبديل والتغيير متقاربان لكن اكثر ما يقال التبديل في شئ يجعل مكان آخر والتغيير في حاله الشئ يعرى الماء الحار اذا جعل باردا والابدال من الناس قيل هم قوم جعلهم الله مكان آخرين ممن ذم المعنيون من العالم الذين بدلوا احوالهم الذميمة بالاحوال الحميدة حسب الطاقة والرجز والرجس والنجس متقاربة معانيها متقارب الفاظها نحو السراط والزراط والبراق والبساق واصل ذلك لما يعاف ذوقا او شما او عقلا او شرعا ثم يكره بالعقل والشرع يعبر عنه بالخبث والقذر ونحو ذلك كما يعبر عن ضده بالطيب والطيب وعلى ذلك قوله عز وجل انما الخمر والميسر الى قوله رجس فان بعض ذلك كره بالطبع وبعضا بالشرع وسمى العذاب رجسا في قوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز ويعني في قوله فاما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم ومن قال ليس الرجس النتن فقد وصف الله لتخصيص ذلك على طيبة الرائحة وقد وصفها الله تعالى في الجنة بالذة فعيد التصور بالمعصوبات فضلا عن المعقولات وهذه الجملة اذا تصورت علم ان الكساك لما قال الرجس النتن والرجز العذاب والزجاج لما قال الرجس قذر العذاب كله قريب وانما اختلافهم لنظرهم الى مواقع الكلمات لا الى موضوعاتها في انفسها ولكونها مستعارة عن المحسوس والمعقول واما تبديلهم فقد قيل انه قيل لهم قولوا حطة فقالوا استهزاء حطه وقيل لهم ادخلوا سجدا فدخلوا متقنعين على استنامهم والاشارة بذلك الى جملة امرهم وما شرع لهم ولم يراعوا امر الله فانزل الله عليهم العذاب وخصص قوله وجزاء من السماء لان العذاب ضربان ضرب قد يمكن على بعض الوجوه دفاعه او ظن انه يمكن فيه ذلك وسمى ذلك عذابا على ما ذكرنا ومن حيث المعلومات كالهدم والغرق وضرب لا يمكن ولا يظن دفاعه نحو ادمى كالطاعون والصاعقة والموت والموحى وعلى المعنى بقوله رجزا من السماء ان قيل لم قال فانزلنا على الذين ظلموا ولم يقل فانزلنا عليهم مع انه كان اوجز قيل قصد الى ان يبين ان انزال الرجز كان لظلمهم لا لارادة فظ

فان الابدال بعد الظلم تبين بقوله بما كانوا يفسقون ان ذلك الظلم الذي تعاطوه كان فسقا منهم قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين الاستسقاء طلب السقي اما والاستقاء السقي ان جعل له ما شربه والاستقاء التعرض للماء وجعله له لنشاوله متى اراد فهو اخص معنى من السقي والسقي اسم للمفعول نحو النقض والنكث مقول لكما سقي وللارض التي يجعل فيها الماء سقيا والعصا اصله من الواو بدلالة قولهم عصوته نحو رميته اذا ضربته بها وقيل عصيته بالسيف وعصا وان اصله ان يتناول العصا فيضرب بها ثم كثر بعبره عن الخارج من الطاعة فصار العصا اسما للطاعة حتى قيل وان شق العصا ولما كان عادة المسافر ملازمة العصا قيل الفي وان عصاه اذا ترك السفر والانتجاع والانضداع والاستقاء مقاربة لكن الاستقاء عام والانضداع اكثر ما يقال في الاشياء الصلبة والانتجاع في الاشياء اللينة ومنه مجرة الوادي للمكان الذي ينبع منه الماء واستعير للخروج عن حظيرة الشريعة لقصور الفاجر بصوره الماء المنفجر من الحوض واستعير الانبجار والانضداع والانسان فظهور الخير وقولهم لحاى كذب هو استعمال لفظ عام في موضع خاص فان الكذب بعض الفجور اذ قد يكون الفجور قولا وفعلا والانبجاس تقارب الانبجار لان الانبجاس لا يكون الا واسعا والانبجار يستعمل في الضيق والواسع وكل انبجاس انفجار وليس كل انفجار انبجاسا فاذا صح ان قيل هاهنا انفجرت وفي غيرها انبجست لان العام ابدا استعمل مكان الخاص والمشرب مكان الشرب وسمي الشرعة على الشفة العليا والعروق التي في باطن الحلق شاربة لتصورها بصورة الشاربين واستعير لما يولغ في المصبوغ الشرب والشبع فقيل ثوب مشرب ومشبع صبغا واشربت فلانا كذا مكنته في نفسه وعلى ذلك واشربوا في قلوبهم العجل والعشب والعشب تقارب

نحو جذب معه يقال عثى يعثى عثيا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا الا ان العيث
اكثر ما يقال فيما يدرك حسا والعثو فيما يدرك حكما فان قيل فما فايدة قوله مفسدين والعثو
ضرب من الفساد قيل قد قال بعض النحويين ان هذه الحال مؤكدة وذكر الفاظا مما يشبهه وقال
بعض المحققين ان العثو وان اقتضى الفساد فليس بموضوع له بل هو كالاعتداء وقد يوجد في الاعتداء
ما ليس بفساد وهو مقابلة المعتدي بفعله نحو فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وهذا الاعتداء
ليس بافساد بل هو بالاضافة الى ما قوبل به عدل فلولا كونه جزا لكان افسادا فبين تعالى ان
العثو المنهي عنه هو المقصود به الافساد فالافساد مكروه على الاطلاق ولهذا قال لا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها وقد يكون في صورة العثو والتعدي ما هو صلاح وعدل على ما تقدم
وهذا ظاهر والمروي في الخبر انه كان مع موسى حجر اذا نزل منزلا وضعه فضربه بالعصا فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين وانكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده وهذا المنكر
مع انه لم يتصور قدرة الله في تغيير الطبايع والاستحالات الخارجة عن العادات فقد
ترك النظر على طريقتهم اذ قد تقرر عندهم ان حجر المغناطيس يجذب الحديد وان حجر المنفر
للخل يفره والحجر الحلاق يحلق الشعر وذلك كله عندهم من اسرار الطبيعة واذا لم يكن مثل
ذلك منكرا عندهم فليس بممتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض وقال
بعض الناس ان في الاية مع هذا المعنى الظاهر اشارة الى معنى اخر دقيق وهو انه اريد بالعصا
السياسة وذلك يكثر في استعمالهم نحو قوله عليه السلام لا ترفع عصاك عن اهلك وقول الناس
شق فلان العصا اذا خرج عن السياسة المشروعة واريد بالحجر بنو اسرائيل الذين وصفهم الله
بقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وكان موسى طلب لهم مداواة
تعم جميعهم للعالم والجاهل وعموم المطر البقاع العامرة والغامرة فامره تعالى ان يسوسهم بسياسة
ظاهرة بالعلوم والاعمال التي هي حكم الايمان والاسلام وهي اثنتا عشرة خصلة التي بينها عليه السلام
في حديث جبريل ستة منها الاسلام وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والصلوة والزكوة



والصيام والحج وستة منها هي الايمان وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر وخيره وشره وذلك ان هذه الاركان الاثني عشر يشترك في اصولها المكلفون وان
اختلفت فروضهم في فروعها واحكامها وقيل ان استسقاء موسى لقومه هو طلب علوم تعمهم وتعلم
من حيث لا يحتاج فيه احد الى الاستعانة الى الاخر لكونه يجري مجرى الماء للغني والفقير وبين الله تعالى
ان ذلك ليس من الحكمة اذ قد جعل بنية الدنيا على تفاوت بين بنيها ولذلك قال نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
وامرهم ان يشرع لهم بالسنة الاسباط الاثني عشر انهارا من العلوم يتناول الكل فرقة
على قدر منزلته واستحقاقه من مشربه وقيل ان موسى طلب لهم العلوم الموهبية وهي الحكمة الحقيقية
التي نبه عليها الخضر حيث ساله موسى بقوله هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا فبين الله
تعالى ان منزلة بني اسرائيل يقصر عن ادراك ذلك وامرهم ان ياخذهم بالعلوم والاعمال الظاهرة
وذلك هو الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر التي قد بنيت عليها الشرايع
كلها ولكل واحد من ذلك ثلث منازل منزلة الظالم والمقتصد والسابق وهم العامة والخاصة
والخاصة فالعامة يوخذ منها بالقهر السلطاني والخاصة بالقهر العقلي والخاصة بالقهر اليقيني
فهذه اثنتا عشرة خصلة من استكملها بلغ منزلة من وصفهم الله بقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى ووصف به اصحاب الكهف حيث قال انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم الاية وهذه الاقوال محققة في انفسها وان لم تقصد بالاية والله اعلم قوله عز وجل

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤ بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون الصبر الحبس على المكروه وذلك ضربان احدهما حبس الغير وتسعدك نحو
صبرت الدابة وصبرت بسنه اى حلفته بالله خلفه لاخروج له منها والثانى حبس النفس وراستعدك
فى الافط وهو حبس النفس على ما يقتضيه الهوى وعلى ما يقتضيه العقل وخلاف مواقع
الصبر وربما خولف من اسمائها حسب اختلاف مواقعها فان كان فى مصيبة فيقال صبر واعسر
وضده الجزع وان كان فى عاربه سمى شجاعة وضدها الجبن وان كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر
وضده ضيق الصدر والضجر والتبرم وان كان فى امساك النفس فضول انك العكس سمى قناعة
وعفة وضدها الحرص والشره وان كان فى امساك كلام فى الضمير سمى كتمانا وضده الافشاء والمذل
ثم الصبر ضربان بدنى ونفسى فالبدنى اكثره لاحتشا الناس والنفسى للاشراف ولذلك قال
والصبر بالارواح لعرف فضله صبر الملوك وليس بالاجساد والطعام ما تعتدى به ماكولا
كان او مشروبا وفى المشروب قال ومن لم يطعمه فانه منى ويجعل طاعم لمن يطعم وتجوزه لمن
حسن حاله فى المطعم ويقال قوس مطعمه وغير مطعم ومطعمنا البارك لرشه كل ذلك تصور
انها تطعم صاحبها والواحد يقال على اوجه من حيث الجنس فيقال الانسان والفرس واحد
اى من حيث الحيوانية وواحد من حيث النوع يقال زيد وعمرو واحد اى من حيث الانسانية
واحد من حيث الشخص وان كان ذا اجزاء كثيرة يقال رجل واحد وواحد من حيث الشرف
نحو قوله واحد منهم وواحد من حيث العدد وهو مبدا العدد بمعنى انه لو ارتفع ارتفع العدد
لم يرتفع الواحد بها فالواحد كيف ما اعتبرته واحزته لم تزد فيه شيا ولم تنقص فانه يحفظ ذاته
ولذلك قيل ان الوحدة فى العدد اقرب الاشيا الى معرفة وحدانية الله تعالى فان قيل كيف



قال لن نصبر على طعام واحد وكان لهم المن والسلوى قيل ان ذلك اشاره الى مساواتهم
فى المرتبة من المختلفة كقولك فلان يفعل فعلا واحدا فى كل يوم وان كثرت افعاله اذا حركت
طريقة واحدة ودام عليها والدعا اعم من النداء فان النداء يقال فيمن يكون بعيدا او فى حكم
البعيد والدعاء فيه وفى القريب وقوله ادع لنا ربك يخرج لنا اذ كر جواب الدعا ولم يذكر المطلوب
فى الاول لكونه معلوما كقولك قل لفلان يعطنى كذا وتقديره قل له اعطنى يعطنى والبقل
والنبات يقال لما نبت ولمصدر نبت وقد يقال ذلك لذى الساق من الشجر وانبت الغلام
اذا راهق على طريق الاستعارة ولنبات غلامه والبقل ما لا نبت اصله وارتفع فى الشتا
وانقل المكان صار ذا بقل وتبقل تناوله ونقل وجهه استعارة والقوم الزرع وقيل الخرطه
خاصة وقيل الثوم والثا والفا يبدل احدهما من الاخرى نحو حدث وجدف ومعاثر ومعافر
وادنى اى اوضع وعبر عن الوضيع بالدنى والخير يقال على ضربين احدهما الخير المطلق
وهى الشى النافع الحسن الملذ وضده الشر المطلق وهو الضار القبيح المولم والثانى الخير المضاف
وهو ما حصل فيه احد الاوصاف الثلاثة فيصح ان يوصف بالخيرة والشرة على نحو ما
مختلفين نحو ان يقال المال خير والمال شر ولاجل ان الخير المطلق هو ما جمع الاوصاف الثلاثة
وهى غاية ما يحرك وطلب قيل للخير هو الذى طلبه الكل والشر هو الذى يهرب منه الكل
فان جامع الحسن واللذة والنفع يرغب فيه الكل وما جمع اضداده الثلاثة يهرب منه الكل
والمصر اسم لكل بلد عظم مجموع الاقطار والحدود وهو فى الاصل اسم للمصور اى المضموم بالحدود
نحو القفص والكف للمقوض والمنكوث وعبر عن الحد بالمصر فى قول الشاعر
وحاعل الشمس مصرا لا خفا به بين النهار وبين الليل قد فصلا
من حيث ان الحد معتبر فيه ومصرت الناقة جعلت ضرعها اصعين للحلب ولما كان نقل خروج
الناس على ذلك قيل عنز تصور لغليل اللبن وقد ان مصور اى لخل بغير اخراج الشى منه يشبهها
بذلك وصرها مضافا قيل هو البلد المعروف ولذلك قيل فى قراءة ابى بغير تنوين وقيل

عني به مصرا من الامصار والذلة تقال على وجهين على الهون وعلى الهوان ومن الخفض لها جناح الذل من الرحمة والمسكنة الفقر الذي يسكن الانسان عن التصرف ومعنى ضربت عليهم اي الزمت واوجبت تشبيها بضرب الخيمة على من فيها والاحاطة به وباءوا تحملوا واصل ذلك من البواء المساواة فباء فلان بكذا تنبيه انه تحمل مقدارا ساوى قوته والمباءة المنزل في المنزوي وذلك اذا لم يكن ذا عوج وامر الله تعالى في هذه المرة انه لما اختار لهم ما يستعملون به انواع المال الميل الى العالمين وما فيه من اعاف القوة البهيمية والعناية بتربيتها فقال اتستبدلون الذي هو ادنى اي احسن بما هو خير مطلق ثم قال اهبطوا مصرا وذلك على نحو اعملوا ما شئتم فكانه قيل ان لم ترغبوا فيما اخترته لكم ومنه خلاصكم فشانكم في قصد المكان الذي لم يقدم فيه ما تزرعونه وذكر تلك الحوال كل واحدة كالمعلول للاخرى فقال ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله اي حصلت لهم هذه العقوبة التي هي الذلة والمسكنة والغضب من اجل كفرهم بايات الله وقتلهم النبين وحصل لهم الكفر وقيل النبين بالعصيان والاعتداء وذلك ان الخيرات كما ان صغارها سبب لتحري كبارها كذلك الشرور صغارها سبب لارتكاب كبارها فبين انهم لما عصوا وتعدوا ادى ذلك بهم الى الكفر وقتل الانبياء وادى ذلك بهم الى ان الزموا الذلة والمسكنة وغضب الله عليهم وفيها تنبيه لنا ان من اثر لنفسه غير ما اثره الله له فقد خرج من التوكل بل قد تعدى فقد مثل من لم يهتد بما اختاره الله له لم يهتد بما اختاره لنفسه ولهذا قيل في الدعا اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا اقل كما انه الوليد في المهد والله الموفق

قوله عز وجل

ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

هادوا اي تبنا منه الهود قبل التوبة لقوله تعالى انا هدنا اليك

اخذ اليهود وقيل اصل اليهود يهودا منقول عن السريانية وهو اقرب وهاد فلان اذا تحرى طريقتهم في الدين ثم الاسم العلم قد يتصور منه ما يتعاطاه المسمى به والمنسوب اليه ثم يشتق منه نحو قولهم تفرعن فلان اذا تحرى في فعله الجور الذي كان يتعاطاه فرعون وتطفل اذا فعل فعل طفيل في كونه وارشا او ناعلا في الدعوات وقالوا لاط فلان وتلوط اذا فعل فعل ال لوط وهذا ابعد من الاول ولما كان اليهود قبل ان نسخ دينهم حق قيل لمن تاب هاد حتى كثر ذلك ولما تصور منه الحركة عند القراءة شبه بهم المتحرك طورا والماشي مشيا مخصوصا طورا فقيل تهود في مشيه وتهود الرايض الدابة اذا سيرها برفق واما النصارى فقد قيل هو مما حكى عن المسيح من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والاقرب ما قال بعضهم ان المسيح كان من قرية يقال لها نصران فاما ان سموا باسمها ثم جعلته العرب على نصارى نحو سكران وسكارى او جعلوا منسوبين اليها ثم جمعت نحو مهري ومهارى والصابئون قيل قوم كانوا على دين نوح وذلك من اديان الحق قبل النسخ وقولهم صبا فلان اذا خرج من دينه الى دين اخر يجوز ان يكون اصله ممن كان يخرج الى دينهم ثم صار يستعمل في كل دين لقولهم الما في ان اصله لحرا مخصوص ثم صار يستعمل في كل حاد ويجوز ان يكون صبا غريبا طابق ذلك وصبا ناب البعير طلع ومن قرا صابين فقد قيل هو صبا يصبو وقيل اصله صبا فترك همزه والاجر والجزا والثواب يتقارب لكن الاكثر في الجزا ان يستعمل في المعاملة من المكافاة وفيما يجرى مجراه يضرب من التلطف والاجر فيما يعطى الرضيع من دونه والثواب فيما يرجع الى الانسان من نفع عن فعله وقد تقدم ان الايمان يستعمل على وجهين احدهما الاقرار بالشهادتين الذي يحقن به الايمان وماله عن الاباحة الا بحق وذلك بعد استقرار هذا الدين مختص بالاسلام والثاني تحري اليقين فيما يتعاطاه الانسان من امر دينه فقوله ان الذين امنوا عني به المذعنين بدين محمد وقوله من امن بالله عني به المتحري للاعتقاد اليقيني فهو غير الاول ولما كانت متناهية الاديان هذه الاربع بين الله تعالى ان كل من يتعاطى من هذه الاديان في وقت شرعه وقبل ان نسخ عنه فتحرى في ذلك الاعتقاد اليقيني واتبع اعتقاده بالاعمال الصالحة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

تكن

صاحب

وبين صحة ذلك ما روي ان سلمان الفارسي لما ذكر له خبر النبي عليه السلام فقصده ومن
به ذكر حسن احوال رهبان صحبهم وقال النبي عليه السلام ماتوا وهم في النار فانزل الله هذه الاية ثم قال
عليه السلام من مات على دين عيسى قبل ان يسمع بي فهو على خير ومن سمع بي ولم يؤمن بي فقد هلك
وقول ابن عباس وسعيد ان هذا منسوخ بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني
ان هذه الاديان كلها منسوخة بدين الاسلام وان الله عز وجل جعل لهم الاجر قبل وقت النبي
عليه السلام فاما في وقته فالاديان كلها منسوخة بدينه **واذ اخذنا ميثاقكم**
**ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا**
**ما فيه لعلكم تتقون** الميثاق عقد مؤكد بيمين او عهد يقال اوثقه كذا او
ثقته ووثق به ثقة ثم قيل رجل ثقة وقوم ثقة فاستعير لفظها للموثوق به والميثاق الذي
اخذ منهم ما ذكره في قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وفي قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الاية والطور قيل هو اسم لجبل مخصوص وقيل هو اسم لكل
جبل ينبت شيئا وطائفة لفظ الطور اي الفناء وطار يطور لسرعة المشي كما ان طار طيران
السباحة في الهواء والقوة يستعمل تارة في معنى القدرة وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء نحو ان
يقال النوى بالقوة نخل اي متهيئا ومترشحا ان يكون منه ذلك ويستعمل القوة في البدن
تارة وهو الاظهر وفي النفس تارة ولما كانت القوة الشدة الموجودة في الشيء سميت المفازة
قوا تصورا منها ذلك ثم قيل اقوى فلان اذا صار في قوا اي قفر وتصور من حال القفر
الفقر فاستعير الاقوا للافتقار استعارة قولهم ترب وارمل لذلك خذوا ما آتيناكم بقوة اي
تعاطوا ما فيه بعلم ودراية فالعلم هو الذي يقوي الانسان وسابقه المقصود في امور الدين
وقال الضحاك بقوة اي بطاعة الله وذلك لما روي اقوى الناس من اطاع الله واتقاه وقيل
بقوة اي بعمل ما فيه وذلك صحيح نظرا ان من تعاطى كل جزء من العمل الصالح يقوي الانسان على

على ما يتوقعه وقد تقدم ان الذكر ذكران ذكر باللسان وذكر بالقلب والذي يتحرى به في
الحفظ والمراعاة فيقال اذكر كذا كما يقال في الترك النسيان وذلك ان الذكر سبب لحفظ
صورة الشيء في النفس كما ان النسيان والترك سبب لانمحائها عنها فمن قال الذكر والنسيان
ليسا من فعل الانسان نظرا الى الغاية التي هي المسبب دون المبدأ الذي هو السبب ومن
قال قد يكون من فعل الانسان فانما اعتبر السبب الذي يحصل ويثبت صورة الشيء في النفس عندهم
وعنده يحرف ومعنى الاية قيل ان موسى لما اتى بني اسرائيل بالتوراة متضمنة احكاما شق عليهم
ابوا ان يلتزموها فامر الله الملائكة ان ترفع الطور فقيل لهم حدوها والا طرح عليكم وذلك
قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الاية فان قيل ان هذا يكون
الجاء ولا يستحق به الثواب قيل لم يستحقوا الثواب بالالتزام وانما استحقوا بالعمل بها من بعد
فاما في التزامها مضطرون وقال بعض الناس عنى برفع الطور تشديد الامر عليهم وجعل
ذلك مثلا وذلك بعيد وقوله ورفعنا فوقكم الطور الواو فيه للحال لان اخذ الميثاق
كان بعد رفع الطور وذلك نحو قول الشاعر قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد ابلغت اسماعي
**قوله تعالى ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله**
**عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين** التولي الفعل من الولاية
في الاصل وبعضي يولي الامر حصوله في اقرب المواضع منه واذا قيل تولى عنه فمعناه
ترك التولي معرضا فالتولي عن الشيء اخص من الاعراض والافضال والاحسان في الانعام
لكن يعرف بينهما في التعارف سيما اذا وصف به الباري تعالى وان كان قد يختلف في
اصل الموضوع ومن حيث الاشتقاق فالافضال بذل ما لا يجب عليه او ترك ما يجب له
وذلك من الفضل وهو الزائد على العدل والاحسان الفعل الحسن سواء كان واجبا وعدلا او نافلة
وزائدا على العدل وان كان في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية يقتضي
ما يزيد على العدل والانعام بعض ما يتنعم به المنعم عليه ولا كاد يقال في التعارف الا اذا كان

المشترك اليه من العقلا فلا تقال انعم على فرسه وتقال احسن اليه والفضل في المعارف تقال
فيما يصيبه الانسان في نفسه تارة وفيما يعطى من غيره تارة فيقال منها فلان ذو فضل والآتي هو المراد
هاهنا وقول اي العالمين والريح ان فضل الله الاسلام ورحمته القرآن فذلك بعض ما يقتضيه
عموم اللفظ ولكن في قولها تنبيه ان هذا خطاب لمن كان في زمان النبي عليه السلام دون المتقدمين
والخاسر المطلق في القرآن هو الذي خسر اعظم ما يعتنى به وهو المذكور في قوله تعالى قل ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة ان قيل ان ذلك يقتضي ان لا فضل له
تعالى على الذين خسروا قيل تخصيص من انتفع بزلك من حيث انه قبله لا يقتضي ان لم
يعرض لغيره فان فضله تعالى الذي معرض لكل احد لكن حق الانسان ان يتهيأ لقبوله فضله
والانتفاع به فمثله كمثل نعمة بالشمس والصوب الذين وان كانا عامين لا ينفع بهما من
يغمض عينيه ولا يتهيأ بهما كذلك فضل الله والعقل لا ينتفع به من لم يروض نفسه
لقبوله قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
العلم هاهنا بمعنى المعرفة وتعدي ذلك الى مفعول واحد وحقيقة ذلك ان معارفنا
ضربان احدهما حصول صور الموجودات في النفس وذلك كمعرفة ذات الشيء والثاني
الحكم بوجود شيء لشيء موجود له او الحكم على شيء عن شيء موصوف عنه فالاول يقال
له معرفة وعلم وتتعدى الى مفعول واحد وعلى ذلك قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت وقوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والثاني يقال له العلم ولا يقال له معرفة وتعدى الى
مفعولين لا يصح الاقتصار فيه على احدهما من حيث ان ذلك يقتضي اثبات حكم او نفي
حكم للمعلوم والى عند امحاوره الحق على وجه المخطور قال الحسن كان اعتداؤهم في السبت
لصيدهم الحيتان على جهة الاستحلال وقتل جسيم اما هي الشباك يوم السبت لما طرحوها
في الحد السبت في الاصل راحة بعد تعب واستعمل في الشعر اذا حلق لبدا وفي الجلد



اذا ازيل عنه الشعر تشبيها به وقتل النعل سبت لي مسبوت لحن نقض ونكث والسبات
اللزوم من ذلك والسبت قتل جعل اسما لليوم من ذلك وحسنات الابرار حسنات حرمة فاعر
جروحها البصر من ذلك لي انقض وقوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لي جعلنا لهم فذكر
القول هاهنا تنبيها على سرعة جعله لذلك لحوقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه لي جعلنا له
وباب جعله الانسان قرده وخنازير يحتاج فيه الى ان مقدمة وهي ان الانسان اتم ما اوجد الله
في هذا العالم واشرف فان الموجبات المصورات بالقول المحمل اربعة لجميعهم النبات
وهو النامي ثم الحيوان وهو النامي الحساس ثم الانسان وهو الحساس المروي فللانسان
صورتان مهما ان ساواه احدهما مدركة الحاسة وهو الشكل المخصوص والثانية مدركة بالعقل وهو
ما خص به من قوة الفكر والتمييز والعقل فالانسان بهذه القوة شابه الملايكة وبقوة الشهوية و
الغضبية شابه البهايم فصار واسطة بين الفريقين وفيه تمكن من التشبيه بالفريقين اما تشبهه
بالملايكة فبامانة قوة الشهوة بقدر الطاقة وترسه قوة الفكرة وتعاطيه ما وصف الله به الملايكة
في قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون واما تشبهه بالبهايم فبامانة قوة الفكرة
وترسه قوة الغضبية والشهوية وتعاطيه ما وصف الله به الكفار فقال يمتعون ويأكلون
كما تأكل الانعام وقال اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا ثبت ذلك فمن اعتبر الصورة المعقولة
قال هذا مثل ضربه الله لهم كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوى ذلك بقوله وجعل منهم
القرود والخنازير وعبد الطاغوت واليه ذهب مجاهد ومن اعتبر الصورة الشكلية قال جعلهم
على شكل القرود والخنازير لذلك روي عن ابن عباس والحكم يقتضي الامر اذا ورد ذلك
رفع الكافة فان يغير الصورة المعقولة لا يعرفه الا الخاصة من اولي البصاير والعقول الراجحة
ويغير الصورة المحسوسة يشارك فيها العامة واصحاب الحواس الذين لم يرتدعوا الى
بما تذكره حواسهم وغيرهم قوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة للمتقين النكال العقوبة الرادعة عن

سبيل القهر والغضب المشهور ومنقول عن كل حال عن كذا اذا ان تدع ومنه الذكل
للفتور ولجرد اللجام ولكل ما يكل به والوعظ ردع بالعبارة والوجاه على الاعتبار وقوله ما بين
يديها اى لما فى زمانها وما خلفها اى لمن بعدها والملكات عامة السياسات ضربين
قهرية وهى العامة وذلك بالنكال وعطفية وهى للخاصة وذلك بالامثال ذكر الله تعالى
انه جمع فى ذلك الامرين كمال العاقبة وموعظة لخاصتهم وهم المتقون فان قيل لم قال
لما بين يديها ولم يقل لمن بين يديها قيل فى ذلك تنبيه على لطفه وهى ان لفظة ما اعم
الاجناس من الحيوان وغيره ومن ثم عبر به مفردا الاعن العقلا والمال فى الجملة ان عم الى
كالانعام استعملهم لفظة ما تنبيها على ما ذكرنا وعلى ذلك كثير مما وضع ما موضع فى كلام العرب وكيف
ذلك وقوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يعقلون وجعلهم شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يعقلون كما جعلهم فى الاولى اضل من الانعام وبهذا الم بعض المحدثين فى قوله
حولى بكل مكان منهم حرق تخطى اذا حيث فى استفهامهم لمن وقال بعض الادبا
قوله وما خلفها نصب وطوف على الها اى جعلنا هذه العقوبة وهى المسخ وما خلفها من
عذاب النار عقوبة لما بين يديها لمن لم يتوبوا منه والله اعلم ثم قوله عز وجل
**وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** قد عرف العرب من كثير من ذكور مشاهير الحيوان واناثها
فى الاسماء فقالوا للرجل او المرأة وجمل وناقة وثور وبقرة وعير وانان وجعلوا فى غاية ذلك
اسما يجمعها كالانسان والبعير والحمار وربما جمعوها بحث لا يسمى الذكر والانثى كقولهم البقر
والضبع وقيل سمى البقر لانه يسقر الارض اى يشقها والاوقع ان يكون البقر اصلا فى
الباب ثم اشتق منه هذه الافعال حسب تصورها منه فلما عرف من البقر هذا الفعل
اشتق من لفظه بقر وشبه به بقر فلان اذا شق فى الامر وتصور افعال من البقر وما فيه من الدلالة

فاشتق منه بقر فلان اذا تشدق فى الامر مثل البقر وتصور منه اسراع مضطرب فقيل بقر
اذا اسرع اسراعه وقيل لحاعة البقر بقر تحو الجمير والطيب وقيل البافر للبقر واصحابها
وعلى ذلك الحابل وذلك كقولهم لمن ونام فى انه اسم اللبن وصاحبه لكن البافر قد يستعمل
لحاعة البقر مفردا لخوقول الشاعر وما ذنبه ان عافت الماء باقر

والعود الى النجاء العنز والتعلق به وعوذ اذا رقاه منه والعوذ اسم لما تعاذ به من الشر
وقيل الطيب اللحم العوذ الى ما عاد بالمخ وتمسك به والجهل عدم العلم وربما جعله اهل اللغة
وبعض المتكلمين معنى مضيفا للافعال الجارحة على النظام وعلى ذلك قالت العرب
الجهلة للدهر وللارض او الخصلة التى تحمل الانسان على الاعتقاد فى الشئ على خلاف
ما هو به او على ايقاع الفعل على غير ما يجب وقالوا استحملت الريح الغصن اذا حركته
حركة شديدة ويجب ان يعلم ان الجهل ضربان احدهما افتقاد العلم والثانى تصور الشئ بخلاف
ما هو عليه وهو اعظم الجهلين ولما لم يسم كثير من المتكلمين الضرب الاول جهلا اخذ الجهل
بانه اعتقاد الشئ على خلاف ما هو به ولكن لما كان افتقاد العقل يقال له جهل حتى يقال
عاقل وجاهل كما يقال عالم وجاهل صار عدم العلم مسمى بالجهل والهزؤ مزح مع عيب
واما السخرية ففيه تسخير بالفعل ولهذا قال تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وبنوا ان يجعلوا منها
لك ضرب من الهزو ولما قال موسى لهم ادخلوا القرية استطرفوا هذا الحديث وقالوا العباد تهم
وقلة تثبتهم اتتخذنا مزوا فاجابهم بجواب مختصر متضمن للقدمتين ونتيجة وقال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين وكانه قال الهازئ جاهل والجهل مستقبح عنى وانا لست بهازئ
واخرج ذلك بقوله اعوذ بالله مخرج منكر مستقطع لما رمى به فان قيل كيف جعل
الهازئ جاهلا وقد يهزأ الانسان وليس بجاهل قيل لما كان يقال لمن اعتقد فى الشئ خلاف
ما هو عليه جاهل والهازئ اما ان يهزأ لاعتقاده ان ذلك يجوز او لا لاعتقاد ذلك ولكن يفعل
لا لمقتضى العلم فيخصص هذا الوجه ان يقال هو جاهل فاذ اكل هازئ جاهل على احد هذين

قوله تعالى وجعل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون التبيين كالتعريف الا ان التبيين يقتضي اظهار الفصل بين الشيء وغيره والتعريف قد يكون اظهار الشيء في نفسه من دون اعتبار لغيره واشتقاق ذلك من البين وهو المسافة بين الشيئين واصل الفرض قطع الحديد وهو ابلغ من القرض والمقراض ما يقطع به الحديد ونحوه وفرض الزند والقوس مستعار من ذلك وكذلك فرضة الماء للمقسم المحكوم به وقيل لما اوجب وقطع به للحكم فرض كفرض العيال وما الزم اعطاؤه من المال وسمي ما يوخذ في الصدقة من الابل والغنم والبقر فريضة والفارض من البقر يجوز ان يكون من هذا لان السابع في الصدقة من سن البقر اشأن اليتيع والمسنة فاليتيع يجوز في حال دون حال والمسنة يصح بدلها في كل حال ويجوز ان يكون سمي فارضا لهذا وقيل فرضت البقر وفرضت والبكر المتقدم على امثاله في السن وبه سمي البكر اول نكاح واول ولد واول الدرو الدلو وقيل في البعير بكر وفي الفواكه ما كوره وبكر فلان في الحاجة اذا تعجل وعلى ذلك قوله بكرت علي بكرك بعد وتنن في الندى والعوان الوسط بين السنين وهو المحمود لانه من الحالين وقد تجعل كناية عن المسنة من النساء تقيم به المراة كمال وان اتوك فقالوا انها نصف فان امثل نصيفيها الذي ذهبا وقيل حرب عوان تشبيها بالمراة واستعارة منها كاستعارة السمط والقناة وعزي ذلك من الاسما وقوله فارض لي عز فارض وهو وصف او خبر ابتدا مضمر وكذلك عوان لكن الاحود في عوان ان تجعل خبر ابتدا مضمر فقد كثر عن العرا الابتدا به وذلك قصد منهم ان يكون خارجا عن النفي في اللفظ كما هو خارج عنه في المعنى وجاز ان يقال من ذلك وان كان من ذلك يضاف الى شيئين لما كان ذلك عبارة عن الفارض والبكر وفي قوله فافعلوا ما تؤمرون زجر لهم عن المراجعة وطلب العناد وتنبيه ان مراجعتهم



لبذل المغالي المخصوصة لما كان ذلك في الاصل موضوعا لبذل السلامة ولما كان قول السلام مقتضيا لذلك قال عليه السلام اقتلوا السلام سلكم تخلوا جنبه ربكم ولم يرد بذل المغالي دون الفعال وان كان طامة المغالي ولهذا ضم به الجنبة وقوله لا شية فيها اي لا الوانها خالف معظم لونها ومي فعله من الوشي واستعمل الوشي في الكلام لتشبيه الكلام المنسوج وحصل المقول على سبيل التشبيه بالوشاية والحلي والوسان متقاربان لكن الحلي كانه يعالج باعتبار الحصول في الوسان باعتبار القصد ولذلك قيل للما المجتمع حمه وللسيل القاصد لي وقوله قالوا الان جيت بالحق يتضمن ان ما جيت به من قتل كان باطلا وانما اراد وا الان جيت بالحق لم يتضمن ان ما جيت به من قتل كان باطلا وانما اراد وا الان جيت بما عقلنا المراد منا وليس كما قال بعض الناس ان القوم كفروا بذلك لان كلامهم يتضمن ان موسى لم يات بالحق قتله قتله والنفي في قوله وما كادوا يفعلون وان دخل على الفعل كاد فهو متناول لقوله يفعلون نحو ما كاد يخرج وتقدير ذلك كادوا لا يفعلون لتعذر ذلك عليهم وكثرة مراجعتهم ومثل كادوا لا يفعلون خشية الفضيحة واما انهم لم يكادوا يشترون البقر ومن اشتروها فليس بما يفتقر اليه بتفسير الاية وقال بعض الناس في هذه الاية دلالة على نسخ الشيء قبل فعله فان في الاول امر وابهام بقرة غير معينة وكان لهم ان ينحروا اي بقرة شاوا وفي الثاني وفي الثالث امر وابذبح بقرة مخصوصة وكانهم نهوا عما كانوا امروا به من قبل وليس الامر كذلك فان الاول امر مطلق والثاني والثالث كالبيان له لما راجعوه ولم يسقط عنهم ذبح البقرة بل زيد في اوصافها وكشف عن المراد بالامر الاول وفي الاية دلالة على جواز تاخير بيان المجمل الى وقت الحاجة

قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ادارأتم اي تدافعتم واصل الدرا الدفع ومنه الدرجاج والتدارؤ ان يعوج على كل الاخر مخالفته له وقال الخليل كوكب درئ فعل من الدراك تدافع الضوء درات الحد عنه منه وزن ادارأتم من الفعل تفاعلتم اصله تدارأتم فاريد الادغام خفيفا

وابدل من الياء الفا فسكن للادغام واجتلب لها الف الوصل فحصل على ايعاعلم قال
بعض الادباء اداء ام اعلم وغلط فيه من اوجه اولا ان اداء انما على تنبيه احرف واتعلم
على سبعه احرف وثانيا بان الذي في الف الوصل تا جعلها اداء وثالثا بان الذي في
الثاني دال جعلها تاء ورابعا بان الفعل الصحيح العين لا يكون مابعد تا الافتعال منه الا متحركا
وقد جعله هاهنا ساكنا وخامسا بان هاهنا قد دخل بين التاء والدال ياء وفي اتعلم لا يدخل
ذلك وسادسا بانه انزل الالف منزلة العين وليست بعين وسابعا بان تا افتعل قبله حرفان وبعده
حرفان واء ابعد الثالثة احرف وثامنا بان عين افتعل في المستقبل مكسور وعين اداء في
المستقبل مفتوح وفي قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض متضمن لتهديد وتنبيه له تعالى
لاحق عليه خافيه وان كامن من عمل خيرا او شر اظهر الله على بعض الوجوه على ذلك فاذا ترك
ما عمل عند حسنه في شعاعات الى اظهرها الله وما عمل سيئة في شعاعات الى اظهرها الله
بقوله وما عمل سيئة والله مخرج ما كنتم تكتمون ونظم هذه الجمل مشكل جدا كان في الظاهر
يقتضي ان تقدم قوله واذ قتلتم نفسا على واذ قال موسى لقومه لان امر موسى بذبح
البقرة بعد القتل وفي قتل النفس والظاهر ان ذبح البقرة كان من قبل ذلك انه قد قيل
في الهاية قولان احدهما ان موسى كان قد امر بني اسرائيل ان يذبحوا البقرة قبل الحادثة
فلذلك لم يجبوا وقالوا اتتخذنا هزوا فلما ذبحوا البقرة اتفق الحصول المقتول وقال موسى
لما راجعوه اضربوه ببعضها وقيل بل كان امر بذبح البقرة بعد وقوع المشاجرة وعلى هذا
قوله واذ قتلتم نفسا ليس بمعطوف على قوله واذ قال موسى لقومه بل هو موضع الحال له
كانه قيل واذكروا اذ قال موسى لقومه الاية وذلك اذ قتلتم نفسا او اذ قتلتم نفسا كان ذلك
لكن اختصروا في قوله اضربوه ببعضها اختصارا كانه قيل فحيت فضربوه واما ذلك عضو ضرب
فقد قال مجاهد يتخذها وقال السدي بعضه من لحمها وقال الفراء منها وقال وهب
باصغرها بلعمها ولسانها وظاهر الاية لا يقتضي تخصيص عضو من عضو وقوله كذلك يحيي الله

وسان حج



الموتى قيل هو حكاية عن قول موسى وقيل هو خطاب من الله لهذه الامة منبها على الاعتبار
باحيائه الموتى واستبعد بعض الناس ذلك وما حكاه الله منه وانكر حصول ذلك الفعل
على الحقيقة وقال ذلك ممتنع من فعل الطبيعة فانما هو استبعاد الاحياء والنشور ولذلك
موضع اختص بالتفسير ومن كان ذلك طريقته فالاحوط معه في تفسير القرآن واما الحكمة فيه وظاهر
ادموه من المعجزات المحسوسات الباهرة العقول لخصيص البقرة فان كثيرا من حكمة الله لا يعلمه
البشر الوقوف عليه ولو لم يكن في تخصيص بقرة على وصف مخصوص الا توفر المامور بذلك على طلبها
واستحقاب الثواب في نيل ثمنها وجلب نفع الى صاحبها لكان في ذلك حكمة عظيمة وفي الاية
تنبيه على ان لجماعة التي حكمها واحد حكمان ان سبب الفعل المهم وان كان واقعا من بعضهم و
لا يكون ذلك كذبا كما ان اجماع المركبة من شخص واحد يصح ان ينسب اليها ما وقع من عضو منها
وذكر بعض الصوفية ان الله قصد بما ذكره لبني اسرائيل اشارة الى معنى لطيف فان في الامر بذبح
البقرة امرا بذليل القوة الشهوية والعالم منتهى المراد قالوا اتتخذنا هزوا ومن قوله لا فارض ولا بكر
ان حق الانسان في اماتة شهوته وقتا ما يزول عنه شره صباه فلا يكون كبكر ولم يلحقه حصوا
لكبر فيكون كفارض لمرته بما ذكر من اللون انه لا يجب ان يمنع النفس من اماتة شهوته كونها
راقة المنظر بل يجب ان ستها اعجب ما تكون اليه ثم نبه بقوله اذا ول نشر الارض
ان النفس التي عهد على تذليلها في العبادة هي النفس التي لم تستبعدها الرياضة ولم تشد
فيها ولم تتوثم بقاحها وظاهر الاية لا يقتضي ذلك لكن مثله اذا اعان في تفصيحه مفوض
الى فكرة قارئه ومتامله والله اعلم وقوله تعالى ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله و
ما الله بغافل عما تعملون ضاهيا وعسا تقارب معانيها

تقارب الفاظها فالقساوة يقال في الصلب الذي لا تخلخل فيه كالحجر والحجر وقيل قلب قاس
تشبيها به وعسا اذا كان منه عصيان فهو يقارب عصا وجسا يقال فيما يتصلب والصلابة يقال
فيما في جوهره شدة واما الشدة فيقال فيما يعتبر فيه انضمام الاجزاء بعضها الى بعض ومنه قيل شددته
وشد الشيء واشتد وقيل العدو المشد كما يقال فيه القبض والتقريب والشدة يقال تارة في القوة
الجسمانية وتارة في القوة النفسية وقولهم بلغ فلان اشده اي حاله استحكم جسده ونفسه والنهر
يقال لمسيل الماء الواسع والماء جميعا ولتصور السعة فيه قيل منه انهرت فتقه اي وسعته والنهار خص
السعة فيما بين طلوع الفجر الى غروب الشمس والشق ان يجعل الشيء شقين وقيل للخوض شق فقيل
للخلاف الشقاق اذ هو ضد الائتلاف والتشقيق في الدار تشبيها بذلك ولهذا قيل له الصداع و
الخشية خوف عن تعظيم المخشي ولذلك قيل العرف بينه وبين اخواته والغفلة والسهو والنسيان
تتقارب لكن النسيان بانحراف ذكر الشيء عن القلب والغفلة استثارة في بعض الاحوال استعماله
لغيره والسهو يتقارب بها الا ان الغفلة اكثر ما يقال فيما تركته وكان حقه ان لا تتركه والسهو يقال فيه
وفيما فعلته ولم يكن حقه ان يفعل فاذن السهو اعم من الغفلة وأو استعمل لاحد الشيئين وقول
من قال هو للشك فنظر منه الى بعض تفاصيله فان الشك لا يفيده او بالقصد الاول
فقد يقال الفيت زيدا او عمرا قصدا الى الاجمال والابهام او لعله عن التفصيل وقد بين الله
للائمة انهم ان يكونوا اذنبوا فقست لها قلوبهم بعد آيات مقتضية للين قلوبهم من احياء الموتى
ومسخ الناس قردة وخنازير ورفع الطور فوقهم وانها صادقة في قساوة بحيث ان قلت انها
كالحجارة قساوة صح نظرا وان قلت هي اشد من الحجارة صح نظرا ثم ذكر حكما كليا فقال
وان من الحجارة اي من القلوب القاسية التي هي كالحجارة فذكر المشبه بلفظ المشبه
به تحقيقا للتشبيه كقولك هم كالبقور ومن البقور ما يفعل كذا اي من القوم الذين
كالبقر فكانه قيل وان من القاسية قلوبهم من يراجع بعض سنح منه الانهار ومعناه علم
بالغة كالانهار متفجر وبعض يحصل منه نوع من العلوم تحرك مجرى الماء وقد يقتضي ان الماء يعرف



به المثل في العلم وبعض حصل منه الخشية وبه تحرك الكلام ان هو لا المذمومين
لم يحصل منهم شيء من ذلك فهم احجار صلدة وانما قال لما يتفجر منه ولم يقل من اعتبار لفظ الحجارة
وهذا الذي قلناه على قول من اعتبر هذه الاحكام في المشبه دون المشبه به فاما من اعتبر
ذلك في المشبه به دون المشبه ففيهم من تعسف جدا في قوله وان منها لما يهبط من خشية الله
اي من الحجارة ومنهم من قارب قال ابو علي الجبائي عنى بهذه الحجارة البرد الهابط من السماء وبقوله من
خشية الله اي بخشيته وعنى بالخشية التخويف لان الخوف والخشية واحد وقال ولما كان
نزول البرد تخويفا من الله لعباده قال ذلك ثم قال وانما قلت هذا لان الحجارة جماد لا يصح
منه الخشية فهذا كما ترى وقال البلخي على جهة التمثيل لما في الحجارة من الانقياد لامر
الله الذي لو كان من حي قادر دل على انه خاش لله وقال بعضهم وان منها اي من الحجارة
لما يهبط من اجل ان خشي الله العباد وقال ابو مسلم الهاء في قوله وان منها لما يهبط
راجع الى القلوب لا الى الحجارة اي من القلوب ما يخضع فيكون ذلك مستثنى من القاسية
قلوبهم كما قال وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله
وقال مجاهد وابن جريج كل حجر يتردى من راس جبل لخشية الله نزلت وقال الزجاج
الهابط منها مجعول له معرفة قال ويدل على ذلك قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وقال الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
الى قوله والشجر والدواب ومروي مثل هذا عن السلف ولا بد من مقدمة تكشف عن
وجه هذا القول وحقيقته فان قوما استسلموا لما حكي لهم من هذا النحو فما ظنوا على
شبهه وقوما استبعدوا ذلك واستحضروا عقل رواته وقائليه وقائله فقال والله الموفق
ان قوما من المتقدمين ذكروا ان جميع المعارف على ضربين الاول المعرفة التامة التي
هي العلم التام وذلك لعلام الغيوب الذي احاط بكل شيء علما والثاني معرفة منزلة
وهي للانسان وذلك ان الله تعالى جعل له معرفة غريزية وجعل له بذلك سبيلا الى كثير

ما لم يعرفه وليس ذلك إلا للإنسان والثالث معرفة دون ذلك وهي معرفة الحيوانات التي سخرها لاختيار أشياء نافعة لها والسعي إليها واسترذال أشياء ضارة لها وتجنبها ودفع مضار عن أنفسها والرابع معرفة الناميات من الأشجار والنبات وهي دون ما للحيوانات وليس ذلك إلا في اجتلاب المنافع وما يمنعها والخامس معرفة العناصر فإن كل واحد منها مسخر أن يتحرى المكان المختص به كالحجر في طلب السفل والنار في طلب العلو وذلك لما سخره الله تعالى له واختاره منه قالوا والدلالة على ذلك أن كل واحد من هذه العناصر إذا نقل عن مركزه قهرا أبى إلا العود إليه طوعا قالوا ويوضح ذلك أن السراج يجذب الأدهان التي سقيت وأبى الماء الذي طبيعته وأن المغناطيس يجر الحديد ولا يجر غيره هذا حكاية فعلى هذا إذا قيل إن لهذه الأشياء معرفة فليس بعد من يعلم لهم أن هذه القوى تسمى معرفة فأما إذا قيل إن للجمادات معارف الإنسان في أنها تميز وتختار وتريد فهذا لما تنافيه العقول ونبه الله تعالى بقوله على أن ارتكاب الذنوب يفضي براكبها إلى قساوة القلب حتى إنه ربما تعظم فيه رجاء الخيرات كلها ونبه أنه تعالى لا يغفل عن أفعال البشر إذ هو علام الغيوب **قوله تعالى أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** الطمع تقارب الرجاء والأمل لكن الطمع أكثر ما يقال فيما يقتضيه الهوى والأمل والرجاء قد يكونان فيما يقتضيه الفكر والروية ولهذا أكثر ذم الحكماء للطمع حتى قيل الطمع طبع والطمع يدنس الثياب ويفرق الإهاب والأصل في تحريف الشيء إمالته إلى ناحية من حرف إلى غيره ثم يقال في كل كلام غير عن وجهه محرف والسماع يقال على إدراك الحس وعلى ما تصوره ولذلك وصف الله تعالى الكفار بالصم فقوله يسمعون كلام الله حمل بعضهم على المسموع منه تعالى فجعل الفريق بعض السبعين الذين كانوا مع موسى في المناجاة في استماع كلام الله فلما عادوا حرفوا ما سمعوه وإليه ذهب ابن عباس والربيع وبعضهم حمله على ما كان في الأصل منه تعالى وأن سمع من



غيره فجعله التوراة وجعل الفريق العلماء الذين غيروا التأويل وإليه ذهب السدي والحسن وابن زيد وفي الآية تسلية النبي عليه السلام والمؤمنين وتوهين للطمع في إيمانهم وأن هؤلاء إذا كان علماؤهم الذين سمعوا كلام الله وعقلوه حرفوه ولم يؤمنوا فكيف يرجى أن يؤمن جماعتهم مع جهل أكثرهم إن قيل كيف يقتضي امتناع بعض من الإيمان قطع الطمع في إيمان سائرهم قيل لما كان الإيمان هو العلم الحقيقي مع العمل بحسب مقتضاه فمتى لم يجد ذلك من حصل له بعض العلوم فحقيق أن لا يحصل لمن عري عن كل العلوم وذكر الله تعالى بعد الآية أنهم لما لم يحكموا بذلك إذ ليس كل ما لم يطلع عليه كان ما يوساعده وقوله وهم يعلمون أي يعلمون أنهم محرفون ومعاندون وفي الآية تنبيه أن ليس المانع للإنسان عن تحري الإيمان الجهل به فقط بل قد يكون عنادا أو غلبة شهوة **قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون** الحديث ما يحدث بعد أن لم يكن نطقا كان أو غيرا والفتح أصله فتح الغلق وإذا استعمل في الأمر المكتم والكلام الصعب الغلق استعمل في إزالة الشبه ومنه قيل في الحرب وفي إبانة الحجة وفي الحكم الفتح حتى قيل للحكم المفصول فتاحة وللحاكم فتاح وقوله بما فتح الله عليكم أي بما أطلعكم عليه من العلم وهذا أولى من قول بما فتح الله عليكم من النصر في معارك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الآيات التي كانت في يوم بدر من المواضع التي انتهى إليها قيل في فتوح الحرب فقال هذا مصرع فلان غدا وهذا مصرع فلان ثم كان على ما قال فإن هذا مما خصهم النبي عليه السلام بالاطلاع عليه دون المؤمنين حتى كانوا يكتمونه ويتواصوا به والمحاجة هي طلب تصحيح أحد النقيضين وأصله من الحج أي القصد للزيارة وسمي سبر الجراحة حجا وخلا أي صار في خلا فالآية إخبار عن المنافقين منهم وأنهم يظهرون الإيمان ويتواصون فيما بينهم أن لا يظهروا ما انكشف لهم من حقائق النبوة لئلا يصير ذلك حجة عليهم في حكم الله وهذا معنى عند ربكم فقوله

فاويك عند الله يوم القيامة اى في جهنم وهذا التاويل اولى من قول قال الحاجنكم به عند ربكم ليوم القيمة وقيل عند ربكم اى عند سيدكم يوم الخصام وقوله اما لا تعقلون يصح ان يكون من جملة الحكاية عنهم على سبيل انكار بعضهم على بعض ويصح ان يكون استيناف انكار من الله تعالى عليهم على سبيل ما جرى في البلاغة الالتفات ويصح ان يكون ذلك خطابا للمومنين تنبيها على ما تفعله الكفار **قوله او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** هذا تبكيت لهم وانكار لما شاطوه مع علمهم ان الله تعالى يحصى عليه خافيه **قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وانهم الا يظنون** الامي قيل هو الذي لا يكتب واصل هذا اللفظ في المنسوب الى الام ولما كانت الام في المستقر المرتبة للولد تصور ذلك في اشباهه قيل له كواهر الاصاف واهر الجش للرئيس واهر الوك لمكه وذلك لنحو ما روى انه لما خلق الله الارض دحاها من تحت الكعبة وام الكتاب للوح المحفوظ ولفاتحة الكتاب تصورات منها مدتا الكتاب وقيل امه اذا قصده قصد الانسان للام المشفقة عليه ومنه اسن الرجل والبه فالامي في التعارف هو المنسوب الى ما عرى منه مجرى امه في العناية وتهيئه في الفضيلة وحفظها عليه اما كان ذلك او غيره واستعمل فيمن لم يقرا فيحتاج ان يحفظ عليه معارفه وهذه الحالة فضيلة للنبي عليه السلام ونقيصة لغيره من اجل انه خط عليه علومه فيض الهي ونور سماوي فصار افتقاره غنى كما روي انه كان يقول في دعايه اللهم اغنني بالافتقار اليك وغيره لما احتاج ان يحفظ معلومه عليه ادمي مثله صار في الحقيقة ناقصا وفقيرا وقوله الا اماني الاصل في هذه اللفظة الدائر في جميع مصرفاته التقدير ومنه المنا الذي يوزن به والمنى الذي منه الحيوان ومنى الله كذا الى قدره وعن ذلك وضع الهمنية فانه تقدير شيء في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن ويكون عن رويه وتاء على اصل لكن لما كان اكثره عن تخمين صار الكذب به املك فاكثر التمني

تصور ما لا حقيقة له ولما كان الكذب تصور ذلك ويراد به اللفظ صار التمني كالمبدا الكذب فصح ان يعبر عن الكذب بالتمني في نحو ما روي عن عثمان انه قال ما غنيت ولا تغنيت ولا تمنيت ولما قتلناه قال مجاهد الاماني معناه الكذب وقال غيره التلاوة فحرد عن المعرفة من حيث ان التلاوة تبلا معرفة المعنى يجري عند صاحبها مجرى امنيه سمعه على التخمين فان قيل فما معنى قوله على هذا وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قيل قد قلنا ان التمني كما يكون عن تخمين وظن قد يكون عن رويه وبنا على اصل ولما كان التي ما كان بادرات ما نزل به الروح الامين على قلبه حتى قيل له ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ولا تحرك به لسانك لتعجل به سمي تلاوته على ذلك تمنيا وقوله انهم الا يظنون كناية عن الكذب ولما كان الظن اقعا بين الصدق والكذب كما كني عنه بالحرص الذي هو تقدير الاثار لما كان ذلك مترددا بين الوفاق والخلاف وقد اثنا الله تعالى عن جهل الاميين وذمهم والمبالغة في ذم علمائهم فان الامين منهم لم يعرفوا المجرد التلاوة واعتمدوا على علمائهم وهم قد ضلوا واضلوا وههنا تنبيه ان ذم الامين على الكتاب المعارف للاحتاج الى التقليد والاعتماد على من لا يوثق بكذبه وذمهم على تحري الصدق وحسب الضلال ادنى واعظم من الضلال **قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون**

ويل قبح وقد يستعمل على سبيل التحسر وما روى ابو سعيد الخدري انه واد في جهنم فليس يعني ان الويل هو اسم لذلك الوادي وانما يعني ان الذي جعل لهم الويل هم المتبوئون في ذلك الوادي والكسب استجلاب نفع وقوله ومن يكسب خطيئة وعلى هذا فسرتهم بعذاب اليم ان قيل ما وجه توكيد الكتابة باليد وهي لا تكون الا بها قيل لما كان الدال العاملة تختص بها الانسان من الحيوان وهي اعظم جارحة تعامل عامة المنافع رجعة الايماء الى توخيها

مرتفعه او بفع بها الصناعات التي بها قوام العالم كالبناء والحوك والصوغ صارت مستعارة
في المعنى جمعها والمنافع كلها حتى قيل فلان يده فلانة اذا قواه ومثل النعمة بد لما صارت
معينة للمعطي اعانة يده وحتى صار مستعارا في اللفظ لله تعالى بدلا عن القدرة او عن النعمة
او صفة اخرى غيرهما فذكرت مثناة هي مجموعة هي تصوير للمبالغة في ذلك وقال والسماء بنيناها
بايد وقال تعالى مما عملت ايدينا وقال لما خلقت بيدي ووجه الجمع ان الفعل صدر باثنين واقتدا
فيقال فعلناه كما كان ابتدا هذا ما عليه بعضهم ان نقوله ما كتبت ايديهم لي مما اخترعوه من تلقاء انفسهم وعلى
هذا حمل قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ان قيل لم ذكر بكسوت بلفظ المستقبل
وكتبت ايديهم بلفظ الماضي قيل تنبيها على ما قال النبي عليه السلام من سن سنة حسنة فله
اجرها واجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
فسره بانه ان ما اصله واثبتوه من الباطلات الفاسدة التي يعتمدها الجهلة مواكسابهم
وزر يكتسبونه حالا فحالا ان قيل لم ذكر الكتابة دون القول قيل لما كانت الكتابة متضمنة
القول وزايدة عليه اذ تكون بالبنان واليد صار ابلغ ان كلام اليد سمي بهذا القول
تحمل اثره ان قيل ما الذي كانوا يكتبونه قيل يروى عن بعض السلف ان رؤساء اليهود
كانوا يغيرون من التوراة نعت النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقولون هذا من عند الله
وهذا اصل يحتاج الى فضل شرح وهو انه يجب ان تتصور ان كل شيء اتى بوصف
لنبي بعده فانه اتى بلفظه معرضة به واشارة مدمجة لم يعرفها الا الراسخون في العلم
ودلك لحكمة الهية فان من شان المموهين سيما الذين لم تتمهر وا في الحقايق انهم
متى لمحوا حال سابس يعقب سايسهم واما مهم تواكلوا عن الانتشار لاوامره والارتسام
لزواجره وهذا معروف من عادات الناس وقال العلماء انك كتاب منزل من السماء
تضمن ذكر النبي عليه السلام ولكن باشارات ولو كان ذلك منجليا العوام لما عرفت علماءهم
في كتمانه ثم اراد ذلك عوضا سفله من لسان الى لسان من العبراني الى السرياني ومن



السرياني الى العربي وقد ذكر المحصلة الفاطمين التوراة والانجيل اذا اعتبرتها و
جدتها ادلة على صحة نبوته عليه السلام تعرض لمن عند الراسخين في العلم حلي وعند العامة
خفي ومن هذا الجهة ان ما كتبت ايديهم كان تاويلات محرفة وقد بينه الله تعالى بالاية على
التحذير من تغيير احكامه وتبديل اياته وكتمان الحق عن اهله وترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر طمعا في عرض من اعراض الدنيا وقد تقدم انه قد عنى بالثمن القليل اعراض الدنيا
وان كرت لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وقوله لمسنا النار
الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف
الله وعده ام تقولون على الله ما لا تعلمون اللمس واللمس والجس
والجس يتقارب الا ان الجس عام في المحسوسات والجس فيما خفي ومدق كنبض العرق
والخز الخفي واللمس بظاهر البشرة وكل ذلك يقال عند تاثر المحسوس في الماس وغيره
لاجله واللمس كالطلب للمس وقد يفعل منه ولذلك قال والمسه فارا الجبه وجعل المس كناية
عن الانكاحة وعن الجنون تارة فقيل بعلان مس وبه الممسوس والمسعور من الماء
ما مسته الحميك ولما كان كل وعد عقدا ما وكل عقد عهدا ما دان كل وعد عهدا فصح
ان عبر عن الوعد بالعهد لكونه وعدا استغل فيه الخلاف ومعدودة قليلة ووجه
ذلك انه لما كان المعدود مضبوطا بالعد سهل عده واحصاؤه وكثر الاسهل عليه
وكانت العرب تقل فيها الحساب وقوانين الحساب تصور والكثير متعذر العد
والقليل متيسر العد والواحد معدود محصور لي قليل وغير معدود ومحصور لي كثير
ووجه الشبه ان اليهود احلفت وقال بعض بعدد بعدد الايام التي عبد اصحابنا
منها العجل وبعض قال مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانا بعدب مكان كل الف سنة
من الدنيا يوما من الاخرة وبعض قال ان الناس طرق جهنم لا يعبرون سنة واذا خلا العدد
انقضى الاجل والاعراب حسنة من الله تعالى ان يعلم انا نعذب اياما معدودة واطرق

العقل الى معرفة ذلك وانما سبيل معرفته للاخبار منه تعالى واخباره بذلك وعلو عهده عهد وما كان بعض الله من عهد فلا خلف فيه وقد ثبت انه لا عهد له بذلك ما دام ليس معه الا تقول على الله ما لا تعلمون فبين بلفظ الاستفهام كذبهم فيما زعموا وقوله عند الله لست في حكمه على ما تقدم قوله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به

خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

بلى رد للنفي ونعم عدة وتصديق ويقعان في الاستفهام والخبر فبلى لا يكون الا في النفي اما في الاستفهام فنحو قوله الست بربكم قالوا بلى واما في الخبر فنحو هذا واما نعم ففي الاستفهام فنحو هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ويقال ايا احبك فيقول نعم ولا يقال بلى يوجبه في النفي اذا قيل ما عندك شيء فقلت بلى فهو رد لكلامه واذا قلت نعم فاقرار منك به والسيئة العمل القبيح المقصود اليه في نفسه ولكونها قبيحة قوبلت بالحسنة في عامة ما جاء في القرآن نحو من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والفرق بينها وبين الخطيئة ان السيئة قد يقال فيما يقصد اليه في نفسه والخطيئة اكثر ما يقال فيما لا يكون مقصودا اليه في نفسه بل يكون مقصودا الى سببه لمن يرمي صيدا فاصاب سهمه انسانا او شرب مسكرا فجنى في سكره جناية السبب في ذلك سببان سبب محظور فعله كشرب المسكر وسبب غير محظور كرمي الصيد فالخطا المتجافى عنه هو الاول دون الثاني وقد فرق بين العرب بين الخطاءين في اللفظ فقيل في الاول الخطاء وقد اخطا وفي الثاني خطئ وقد خطئ فهو خاطئ وعلى هذا ولا جناح عليكم فيما اخطاتم به وقال لا ياكله الا الخاطئون وفي استعارة الاحاطة ابلغ تشبيه وذاك ان الانسان اذا ارتكب ذنبا فلم يقلع عنه لسبحه الى معاودة مثله ومعاودة مثله جبل على قلبه غشاوة فحرمه على ارتكاب اكبر منه ثم لا يزال به لما هو اكبر منه وطبع على قلبه



مشجعة على المداومة عليه فيصير ذلك عليه حائطا يمنعه عن رؤية ما وراءه فيرى حسنه معايب الذنوب محاسن فيسخط في بلاياه ويرى انها نعمة فيحسب ان لا وراء اللذات الدنيوية لذة ولا بعد التخصيص نفاد ولا انها نعمة فهذا معنى احاطت به خطيئته وعلى ذلك دل قوله ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه ووجه آخر روي عن السلف وهو ان كان عائدا الى ما تقدم به فالنظر الى ما يختلف وهو ان السيئة الكفر وهو عن مجاهد وابي وائل والربيع وبين تعالى ان من تحرى طريق الكفر ثم استمر فيه في ترك الاقلاع اما الترك النظر واما لشراره او شهوة محمية مستولية عليه حتى يصير ذلك كحائط عليه لا مخرج له منه فهم اصحاب النار ومن قرا خطيئته فاعتبارا بالجنس ومن قرا خطيئاته فاعتبارا باجاد الذنوب وجعلهم اصحاب النار لملازمتهم في الدنيا ما يوجب لهم النار وفي الآخرة لملازمتهم اياها اذ كان الصاحب يقال فيمن كثر ملازمته لغيره قوله عز وجل

والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

عادة القرآن في كل موضع ذكر فيه عقاب قوم ان يذكر بازائه ثواب مضادهم لترجى رحمته ويخاف عذابه وقد تقدم ان عامة ذكر الايمان في القرآن مقرونة بالاعمال الصالحة تنبيها ان جملة الاعتقاد والمقال لا اعتداد بهما ما لم يضامها الاعمال الصالحة ان الاعتقاد كالاس والعمل كالبناء ولا غنى لاس بلا بناء كما لا بناء بلا اس وبينه دلالة ان قوله تعالى من قبل بلى من كسب سيئة هو الكفر واحاطة الخطيئة به الاعمال السيئة وذلك لما قابله به من الايمان والاعمال الصالحة

قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون

الولد المولود والوليد الصبي اعتبارا بقرب ولادته كما يقال لما قرب احساوه جني والوليدة
في الاية كناية عن طريق التلطف بالامهات محرك الولد ولان لديه ولدان لي ولد معه و
اليتيم قد يقال لمن فقد قبل البلوغ كافله من ابويه اما في الناس فاباه واما في البهائم فامه
لان كفالة الولد في الناس على غالب الامر وفي الحكم الى الاب وفي البهائم الى الام
وقد يقال لمن يتصور بصورة الفرد الذي اذا اعتبرت فضيلته وندر ان لا مثاله من جنسه
لكونه خارجا بالفضل عن طبقة ابائه وعلى ذلك قيل الدرة اليتيمة وقد حمل على هذا
قوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى اي يتيما وحدك فاصطفاك لقوله تعالى في موسى
فاصطنعتك لنفسي واخذ هذا الميثاق المذكور في الاية ليس شيئا اختص به بنو اسرائيل فقط
بل في كل امة ولكل نبي وقد تقدم ان هذه العبادات مما لا يجوز خلو شرع منها وان اختلفت
هيآتها واعدادها وان كلياتها مما اخذ على الناس بقضية عقولهم والسنة اساميها وجزوياتها
وكيفياتها ما اخذ عليهم بالسنة انبيائهم اذ لا طريق للعقل الى معرفة جزويات العبادات
والمصالح المتعلقة بها وليس لاخذ الميثاق في كله معتبر الا ان يلتزموا الماخوذ عليه ومن ضمن بيان
توجه الحجة وتقدير قوله لا تعبدون الا الله وفيه اوجه قال الكسائي تقديره ان لا
تعبدوا فلما حذف ان رفع كقول الشاعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وقال الاخفش لما افاد
قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل معنى القسم اجابه بجوابه كقولهم حلفت لا يخرج زيد وقال
قطرب لا تعبدون في موضع الحال تقديره غير عابدين وقال الفراء لفظه خبر ومعناه النهي
نحو لا تضار والدة بولدها بالرفع واستدل على كونه نهيا بقراءة ابي لا تعبدوا الا الله وبعطف
قوله وقولوا للناس حسنا ذهب بعضهم الى انه منسوخ باية السيف لان المسلمين
امروا في الابتداء ان يلقوا الكفار بالمسلم الحسنى ثم امروا بالتغليظ والقتال وقيل لا نسخ فيه
وهو الاصح لان ذلك كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الاية
وان ما لهم لا يسع من ان يقال لهم اولا قول حسن كما قال لموسى فقولا له قولا لينا ثم قوله



فقولا له قولا لينا ثم قوله وقولوا للناس حسنا يصح ان نهيا عن الفاحش والكذب ثم هذه الاية
ليست خطابا للمسلمين من هذه الاية وانما هي حكاية ما امر به بنو اسرائيل والخطاب في قوله ثم
توليتم الا قليلا منكم وفي قوله وانتم معرضون قيل هما خطاب للاسلاف من بني اسرائيل
وقيل خطاب لمن كان في عصر النبي عليه السلام منهم وقيل ثم توليتم خطاب السلف وقوله وانتم معرضون
خطاب للخلف لمن كان في زمانه ان قيل ما فائدة قوله وانتم معرضون بعد قوله ثم توليتم قيل فيه
ثلاثة اقوال الاول ان قوله وانتم معرضون حال مؤكدة لان تقديره ثم توليتم معرضين وذلك
على قول من جعلهما خطابا لفريق واحد الثاني ان التولي قد يكون لحاجة تدعوا الى الانصراف
مع ثبوت العقد والاعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب الثالث ان التولي والاعراض
وذلك مثل ماخوذ من سلوك الطريق واذا اعتبرنا حال سالك المنهج في ترك سلوكه فله حالتان
احديهما ان يرجع عوده على بدئه وذلك هو التولي والثانية ان يترك المنهج وياخذ في عرض
الطريق متخطا وذلك هو الاعراض والمتولي اقرب امرا من المعرض لانه متى ندم على رجوعه
سهل عليه العود الى سلوك المنهج والمعرض من حيث ترك المنهج واخذ عرض الطريق يحتاج
الى طلب منهجه فيعسر عليه العود اليه فمن جعل الخطابين لفريق واحد فذلك غاية الذم فانهم
جمعوا بين العود عن السلوك والاعراض عن المسلك ومن جعل توليتم للسلف وانتم معرضون
للخلف فتنبيه انكم شر من اسلافكم فقد كان منهم التولي ومنكم الاعراض والاية منطوية على عامة
الاحكام الاعتقادية والعملية واداب الشريعة ومكارم الاخلاق وفيها ذم لبني اسرائيل ان مع اخذ
الميثاق منهم بذلك لم يكن من اكثرهم الوفاء به **قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم**
**لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم**
**وانتم تشهدون** الدار سميت اعتبارا بدورها وقيل دارة لقولهم محلة ومنزلة اعتبارا
بوجه ما فان الدار يقال لها ما انطوت على حروف وفي الدور يركب الدهر لكر الحدثين
والدوار في الراس وضم على بناء الادواء نحو الصداع ويقال للصنم الذي يدار حوله دوار ودوار ودوار

ولعل قوله تعالى لم يكون بقوله واذ اخذنا ميثاقكم على ما تقدم في الايمان قل كيف اخذنا
ميثاقهم ان لا تفعلوا ذلك بانفسهم مع كون الانسان مضطرا ان لا يفعل بها فلذلك قيل في ذلك
اجوبة الاول لا تفعل بعضكم بعض ذلك في اليه ذنب قتاده وابو العالية والثاني لا تفعلوا
احدكم بالاخر ففعل به فيكون في حكم فاعله بنفسه والثالث لا تفعلوا ما تخرجون به على انفسكم الجنة
التي هي داركم فيكون نوافي حكم من اخرج نفسه من داره وعلى ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
وعلى هذا حمل قوله قد خسر الذين كذبوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء
على الله اى شعلوهم بما يعود ضررا لهم وحرموهم العلم والاقرار قد يكون باللفظ ويكون بالفعل
ومنه الرضا لحوان يقال فلان مقر بالخسف قال الشاعر اقركما قر الحليلة للبعل
وقوله اقررتم وانتم تشهدون يصح ان يكونا بين السلف وان يكونا للخلف وان يكون الاول
للسلف والاخر للخلف فان قيل وما الفرق من الاقرار والشهادة قيل الشهادة اقرار مع العلم
وثبات اليقين والاقرار قد يشك من ذلك ولهذا كذب الله الكفار حيث قالوا نشهد
انك لرسول الله ولو قالوا نقر انك رسول الله لم يكذبوا ثم قوله تعالى ثم انتم هؤلاء
تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون
قيل تقديره ها انتم هؤلاء وذلك مستبعد لحذف حرف النداء لحرف النداء الا في الاعلام
وما هو كالاعلام ومن المضاف دون غيرهما من المشتقات وقيل معناه كمعنى الذي فتقديره
الطيهمات محرك الموصولات وعلى ذلك حمل الكوفيون قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
وقول الشاعر بجوت وهذا تحملني طليق وقيل معناه انتم كهؤلاء تظاهرون



تعاونون واصل اللفظة من الظهر التي هي الجارحة ولما كان الظهر من حيث الجملة حاميا
عن الخروق المكن بخلاف البطن سمي ما كان بارزا ظهرا وما كان خافيا بطنا فجعل اظهر الظهور
مجمع متصرفات هذه اللفظة اصلين وقرئ تظاهرون بالتشديد واصله تتظاهرون و
تظاهرون بالياء والتشديد على ذلك وتظاهرون بحذف احدى التاءين بالتخفيف والرسم
اسم الافعال المبطية للثواب ولتضمنه المبطي قال الشاعر في صفة الناقة حاليه
تعلى بالرداف اذا كذب الوثمات البحيراء وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير
اى في تعاطيهما او طاعن الخيرات فانهما شاعلان فصار الاثم في التعارف بقبض الورع وقوله
عليه اللام البر ما سكنت اليه القلوب والاثم ما حاك في صدرك فهذا حكمها في تفسيرهما و
الوزر والذنب والجرم تقاربه لكن الوزر اسم لما يوجب العقوبة لمعاونة العنر ولهذا روى من
سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها فان اللسان والمسن به متوازران متعاضدان
واللسان اعظم اثما اذ ليس المتبع كالمبتدع واما الذنب فما يتضمن عاقبة مذمومة اعتبارا
باذناب الامور والجرم اعتبارا بما يحصل من ثمرة سوء العمل تشبيها بكرام النحل والعدوان
مجاوزة الحد المرسوم في الاعتداء المرخص فيه على سبيل المجازاة في قوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه مثل ما اعتدى عليكم فالتجاوز للمرسوم وهو العدوان والاسراف بضم بعض
المشدد الى بعض تقول قال اسرت الرجل والسرج والرحل وما شد به اسار والفداء العوض
الذي يخلص به وكاك الانسان وقيل الفداء والفداء واحد والاسارى ان الفداء المداسم لما يفدى
به والفدى اسم للفدية كما قال النحى للنحية وان كان كل واحد منهما موضع مكان الاخر والحرام
المنع الشديد من حيث الحكم وحل حرام يجوز ان يكون على وضع المصدر موضع الفاعل كانه محرم
على نفسه بالتزامه فالتزم ما كان محللا عليه اما بدخوله الحرم او بالاحرام ويجوز ان يكون في
موضع المفعول كانه صار محرما اى ممنوعا من بعض ما كان مباحا له والشهر سمي محرما لذلك
واستحرمت الماعزة كانها طلبت شيئا محرما في غيرها وذلك كناية والحرك دل يستحى منه

ولتضمن المعنيين استعملت تارة في الذات نحو على الحرث وفي الاستحياء نحو خزيك والرد والرجوع
متقاربان الا ان الرد يقتضي كونه اما للمردود اذا استعمل في الحيوان والرجوع لا يقتضي ذلك
فان قيل الردة في الاسلام يتعاطاها صاحبها طوعا قيل اذا اعتبرت الردة بصريح العقل والفطرة
التي فطر الناس عليها فهو قهر للعقل على ما ليس من مقتضاه لان الكفر هو الاعتقاد الظني كما ان
الايمان هو الاعتقاد اليقيني والعقل لا يسكن الى الكفر اذ هو مناف لمقتضاه ولهذا قال تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين لانهم اذا راجعوا عقولهم عاقبة ولذلك قال تعالى ومن يشرك
بالله فكانما خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ومعنى الاية ان اليهود كان
اوجب عليهم ان لا يسفكوا الدماء ولا يخرجوا الجيران من ديارهم ولم يوجب عليهم مفاداة الاسرا فاخلوا بالواجب
والتزموا ما لم يلزمهم فانكر الله عليهم ترك الفريضة ومراعاة النفل وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بما
قبله وقد فصل بينهما بقوله وان ياتوكم اسارى تفادوهم وقال بعضهم نبه الله بهذه الاية مع المعنى
الظاهر على لطيفة وهي ان في قوله تقتلون انفسكم تنبيه انكم تسعون في اكتساب العقاب
الذي تحرك محرك قتل النفس وبقوله تخرجون فريقا اي تضعفون بعض قواكم ولا تراعونها حق
المراعاة فان من هذب قوته العالمة ثم ضيع قوته العاملة بالتقصير فكانه اخرج فريقا منه
واضاعه وعلى ذلك اذا ضبط قوته الشهوية ولم يضبط قوته الغضبية ونبه بقوله وان
ياتوكم اسارى تفادوهم انكم تقصدون لهداية غيركم مع تضييع انفسكم كقوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وعلى ذلك قيل كفى بالمرء نهيا ان [illegible] عنه ونسي نفسه
وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم فقد قيل هو ضمير الحديث وقيل هو ضمير المصدر الذي هو
الاخراج واعيد ذكره تاكيدا فكانه تكرر الخبر تنبيها ثم بين ان متعاطي ذلك له في الدنيا
خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ثم اعلمهم تنبيهم انه بالمرصاد لا يغفل عن شيء تعالى الله

**قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** الخفة والثقل يقالان على ضرب



الاول فعال خفيف في المتحرك لطلب العلو كالنار وثقيل في المتحرك لطلب السفل كالحجر الثاني يقال
على سبيل التضايف كشيئين احدهما يترجح على الاخر فيصح ان يوصف شيء واحد بانه خفيف وثقيل
على اعتباره بشيئين الثالث على اعتبار الزمان نحو ان يقال هذا الفرس خفيف وذاك ثقيل
بمعنى انه اذا اعتبر عدوهما بزمان واحد كان احدهما اكثر عدوا من الاخر والرابع يقال فيما
يستخفه النفس خفيف وفيما يأباه ثقيل فالخفيف على هذا مدح والثقيل ذم الخامس
على العكس من ذلك وهو ان يقصد بالثقل معنى الرزين وبالخفيف معنى الطائش والقصد
باشتراء الحيوة الدنيا في هذه الاية وما اشار اليه نحو قوله تعالى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا
والرضا بها في نحو قوله ورضوا بالحيوة الدنيا والاخلاد اليها في نحو قوله ولكنه اخلد الى الارض
واتباع الهوى في نحو قوله واتبع هواه وعبادة الشيطان في نحو قوله ولا تعبدوا الشيطان
ونصرة الشيطان اولئك حزب الشيطان واتباع الخطوات نحو قوله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان كل ذلك قصد واحد في انه حث على تجنب المعاصي وان اختلفت العبارات
وتفاوتت الانظار وبين الله تعالى بالاية ان من فعل ذلك فهو معاقب لا يخفف عذابه
فاما في الدنيا فعذاب لتشهيه على تتبع فضولات المال وجمعه كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا فلان يكون اطلبها عائدا اذا انتهى اليها خف عذابه واما في الاخرة فدوام
العذاب الاليم وبين تعالى انه لا يجد نصيرا من جهة ماله في الدنيا كما قال حكاية عن المحتضر ما
اغنى عني ماليه ولا في الاخرة كما قال من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا الاية وقوله فلا
يخفف عنهم قيل هو داخل في صلة الذين والصحيح انه جواب لتضمن لفظة الذين معنى الشرط
كما هو جواب في قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم

**قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا**

تقتلون الاقفا اتباع القفا كما ان الاردناف اتباع الردف وقوته اصبته قفاه نحو
عادته وطشته اذا ادميت ذلك منه ثم كنى به عن العتاب وقافيه الشعر لاعتبار الاقتفا
فيها والقفاوة وما سقط من الغير على سبيل الاثار والهوى اسم القوة الشهوية واصله من الهوا
لانه تهوى بصاحبه فلا يسقر به والروح من الحيوان اسم للجزء الذى به يحصل الحيوة والملكات
الحيوة يحلف فيها ما يشترك فيه الحيوانات ويحصل به التحرك والسعى واستجلاب المنافع
واستدفاع المضار ومنها الحيوة التى يختص بها الانسان وبها يكون الفكر والروية ولاجله قيل ولان
ليس بحى او هو ميت اذا ضعف فيه ذلك ومنها الحيوة التى بها يقتدر الانسان بالعلم ويتوصل
ما يتوصل به الى الحيوة الابدية واياها قصد بقوله اومن كان ميتا فاحييناه صار الروح يقال لكل
ذلك فيقال ذو روح لكل حيوان وقيل القران روح لما كان سببا للحيوة الابدية قال تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل سمى عيسى روحا لانه كان بحى الموات فصار
كالروح وقيل سمى بذلك لانه كان يفيد الناس ويعلمهم ما يتوصلون به الى الحيوة الابدية وقيل
سمى بذلك لقوله ونفخنا فيه من روحنا وذلك انه لم يخلق من ما ذكر وانما قال لم نكن وسمى جبرئيل
روح القدس والروح الامين وهذه الاية توكيد لذمهم والمناعن بعدهم عن الايمان وانهم قد اياسهم
موسى بالكتاب ثم اتخذوا العجل واياهم رسل فلم يعرجوا عليهم واتيناهم عيسى بالمعجزات الباهرة فكذبوه
وقوله وبقريقا كذبتم يصح ان يكون معطوفا على قوله وايدناه بروح القدس ويكون قوله افكلما
جاءكم رسول فصلا بينهما على سبيل الانكار عليهم ويصح ان يكون معطوفا على قوله استكبرتم
وقوله فكلما استيناف وبين بانباعهم الهوى غايه معاصيهم فان متبعه مخطئ وان اصابه
فالصابه منه على غير اعتماد اذ هو كالبهيمه المتناولة لما تدعوا اليه شهوتها صوابا كان او خطا
ثم زاد فى ذمهم بوصفهم بالاستكبار اذ هو مقر النقايص فانه تتبجه العجاب والاعجاب تتبجه الجهل
بالنفس والجهل بالنفس مقارن للجهل بحالها ولذلك قال تعالى لكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم وان قيل لم قال كذبتم وتقتلون وهلا جعلا ماضيين او مستقبلين قيل الامن حيث اللفظ

فلانه لما لم يكن يفسد المعنى دعى فيه المجانسه بين الفواصل ليكون اللفظ احسن والامر
حث المعنى فللتنبيه على انهم متوقفون تكذيب من جائهم من الانبيا ذكره بلفظ الماضى اذ امر اوله
فيه وذكر القتل بلفظ الاستقبال تنبيها انهم بر اولون قتله قد وا عليه او لم يقدروا عليه
عز وجل وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا
ما يؤمنون اصل الغلف ستر الشى بالشى الذى يجعل فيه ومنه علفت السيف
السرج والرحل والبعير بالغالبه والاغلف للاقلف لكون ذلك منه فى غلاف ومن
علفه اى جعله وعزلته وقوله غلف قيل هو جمع غلاف واصله غلف مخفف وقرئ غلف
ككتب وقيل هو جمع اغلف فعلى الاول قيل معناه ملونا اوعليه العلم اى يسبح علما الوعته الى
ما تقول يعنى ان ما تقوله ليس بعلم وعلى الثانى معناه ملونا معطاه عما يدعونا اليه فلا يفهمه كما
قال وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه الاية ورد الله تعالى ذلك عليهم بان ذلك لكونهم مبعدين
عن العلم لسوء فعلهم وقد تقدم ان السبب المانع من الفضيلة سببان احدهما ابتداؤه ليس
من جهة الانسان نفسه وهو متحاف عنها كمن تكب قبح لزوال عقله جنون او مرض والثانى
اكتساؤه من جهته وهو ماخوذ به كمن تكب ذنبا لسكره فبين الله تعالى ان قلوبهم ممنوعة عن
العلم بكفرهم وذلك من جهتهم فقليلا ما يؤمنون اى لم يومنوا الا ايمانا قليلا او زمانا قليلا وذلك
غير معتد به لان الايمان هو التصديق المخصوص ومتى لم يحصل كلا لم يعتد به ولذلك عظم عقوبه ذلك
بقوله افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وبهذه الاية قوله بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون
الا قليلا وقال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الاستفتاح طلب الفتح والفتح ضربان
فتح الهى وهو النصرة بالوصول الى العلوم والهدايات التى بها ذريعه الى الثواب والمقامات
المحمودة وفتح دنيوى وهو النصرة فى الوصول الى الذات البدنيه وعلى الاول قوله انا فتحنا لك

فتحا مبينا وقوله عسى الله ان ياتى بالفتح وعلى الثانى قوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شئ وقوله يستفتحون قيل معناه يستعلمون خبره من الناس مرة وقيل يطلبون من الله
بذكره الظفر وقيل كانوا يقولون انا ننصر بحمد عليه السلام على عبدة الاوثان وكل ذلك داخل فى عموم
الاستفتاح فبين الله تعالى من جهلهم انهم كانوا يدعونه وكانوا يعرفون وصفه كما قال تعالت
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكما قال الذى عندهم الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل
فلما جاءهم كتاب لا منافاة بينه وبين التوراة فى الاصول وعرفوا عيانا ما عرفوه من قبل اختاروا
كفرهم به ثم قال فلعنة الله على الكافرين تنبيها ان اللعن ثابت للكفار وهم كفار فاللعن عليهم
ومعنى اللعن هو المضى على وجه الاهانة ومن قال هو العذاب فمن حيث انه لا ينفك لعنة الله
عن العذاب واما كفروا لما فقد قيل جواب الاول محذوف وكفروا جواب الثانى وقيل لما فصل
بين لما وجوابه بقوله وكانوا يستفتحون اعاد ذكره بلفظ يقتضى زيادة فائدة ثم اجاب وقيل جواب
الاول الفاء وكفروا هو جواب الثانى نحو قولك لما جاءنى زيد فلما فقدوا وسعت له قوله عز وجل
بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل
الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤ بغضب على غضب
وللكافرين عذاب مهين بئس كلمة تستعمل فى جميع المذام كما ان نعم
يستعمل فى جميع الممادح واصله من البؤس وهو المكروه وتصور منه الفقر مادة فقيل بئس والكآبة
فى الغير فقيل بؤس وسمى البسالة باسمه واصل البغى الطلب واختلفت معانيه لاختلاف
المسند اليه وربما حذف من مصادرها متى اسند الى المرأة فلانتفائها لمن يحرم عليها واذا اسند
الى المتكبر فلطلبه اكراما لم يستحقه واذا اسند الى الله فلطلبه متطاولا والهوان تصور
على وجهين احدهما الذل للانسان فى نفسه لما لحقه من اعتراضه فنهج به نحو الموهن
من لين والثانى ان يكون مرجعه مشاطا عليه على طريق الاستخفاف بهم وعلى الوجهين
استعمل ذل من الله تعالى انه يبس شيئا ما عوا انفسهم به كفرهم بكتب الله المنزلة ثم بين ان اعظم



هذا الجنس ان فعل ذلك حسدا على من خصه الله تعالى بفضل من عنده وفضلها على
اجل الفضايل وهو النبوة ثم من ايهم استحقوا ذلك انواعا من الغضب نوعا بعد نوع
نحو قوله تضعف لهم العذاب نعوذ بالله منه وإذا قيل لهم امنوا بما انزل
الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين وراء اقال للخلف والقدام وهو فى الاصل مصدر وارى كان
المصدر يضاف الى الفاعل والى المفعول فمتى قيل وارى زيد يعنى قدامه فمعناه الترك مواريا
زيدا واذا قيل يعنى خلفه فهو الترك موارية زيد ثم جعل ظرفا كالكثير من المصادر ان قيل
كيف قيل للخلف فلم تقتلون وكان القتل من السلف لانهم قتل لما كان من عادة العرب
ان ينسبوا الى انفسهم على طريق الفخر ما تراثوا بهم نقول فعلنا كذا متصورين بصورتهم خوطبوا
ايضا فى نسبة ما الهم الله على ذلك الوجه وقال ابن عباس اذا عمل معصية فمن انكرها
برئ منها ومن رضيها كان كمن فعلها فلما رضوا فعل ابايهم فكانهم هم فعلوه فلذلك خاطبهم بذلك
ان قيل كيف قال تقتلون من قتل ولا يجوز فى الكلام يخ امس قتل فى ذلك وجهان
احدهما ان عادة العرب اذا اراد ان تخبر عن تعاطى فعل مداوم عليه قرنوا لفظ الماضى
بالمستقبل تنبيها على المداومة عليه نحو قول الشاعر

ولقد امر على اللئيم يسبنى فمضيت ثم قلت لا يعنينى وعلى ذلك قال تعالت
كذا قتل وبعد نجى تارة بلفظ الماضى وتارة بلفظ المستقبل والثانى ان قوله من قبل تعلق بقضى
قوله فلم الترك بعوجت عن عادة الشئ فكانه قيل اخبرنى قتل عن سبب قتلكم ومعنى لم تقتلون
الى لم ترمون قتلهم وهذا اوضح وقوله يكفرون بما وراءه قتل معناه بما انزل الله بعده من الجبل والقرآن
وقيل معناه بما انطوى عليه التوراة وذلك ان انشاب المعنى الى اللفظ انشاب المتاخر الى المتقدم
والباطن الى الظاهر ولهذا قال وراءهم الكلام معنى لطيف وفى ضمنه شئ حسن وتبيين الله تعالت

انهم يدعون الايمان بالتورية وهم كاذبون في دعواهم فانهم لا يكونون مؤمنين بها اذا كفروا ببعضه
من اخبار النبي عليه السلام وكفروا بما تتلوه من كتاب الله عز وجل فان النبوة والكتاب لا تختلف
من حيث ما هو نبوة وكتاب ومن لم يؤمن ببعضه فهو في حكم من لم يؤمن بشيء منه ولهذا قال
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الاية فاثبت لهم اشد العذاب الذي يستحقه الكافر
المطلق ثم بين انه هو الحق اي ذلك المعنى الذي هو القران حق لا مزاحمة في ذاته ومع ذلك مصدق
لما تقدمه لا منافاة بينهما في الاصول ثم بين ثانيا ابطال ما ادعوه بقتلهم الانبيا اذ كانت التورية
لم تبح ذلك ثم قال ان كنتم مؤمنين تنبيها انكم لستم بمؤمنين اذ المؤمن لا يقتل الانبياء في
كل ذلك حجة على بطلان ما ادعوه من الايمان بالتورية قوله تعالى ولقد جاءكم
موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
جعل ذلك ايضا دلالة على بطلان قولهم نؤمن بما انزل علينا فكانه قيل كيف امنتم به وقد
اتاكم موسى بالايات البينات فلبثتم ان عبدتم العجل ظلما وظلمكم الاخلال بايات الله
وشاهدتها وتلقيها بالكفران والكفر مع تخصيص ثم زيادة فايدة وهي ان ذلك منكم بعد تواتر الايات
والتمكن من معرفتها والايات هاهنا هي الايات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات وقوله في تسع ايات الى فرعون وملايه قوله تعالى
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين
قوله سمعوا معناه فهموا وقيل معناه اعملوا به ووجه ذلك ان الغبي يسمع ثم يتخيل ثم يفهم ثم يعقل
ثم يعمل به ان كان ذلك المسموع مما يقتضي عملا ولما كان السماع مبدأ والعمل غاية وما بينهما وسايط
صح ان يذكر ويراد به بعض الوسايط وان يعنى به الغاية فمن قال معنى واسمعوا اعملوا به فنظر
منه الى الغاية ومن قال افهموا او اعقلوا فنظر منه الى المبدأ او الى الوسايط وقال بعضهم قد قالوا قولا



سمعنا وعصينا وقيل انما سمعوه وتلقوه بالعصيان وكانهم قالوا ذلك قولا كقول الشاعر
امتلأ الحوض وقال قطني وقول الاخر قالت جناحاه لرجليه الحقا
واشربوا في قلوبهم العجل من عادتهم اذا ارادوا العبارة عن مخامرة حب او بغض في القلب ان يستعيروا
لها اسم الشراب اذ هو ابلغ منساغ في البدن ولذلك قالت الاطباء الماء مطية الاغذية والادوية ومركبها
تبلغ اقاصي الامكنة وعلى هذه المراعاة قال الشاعر تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
وقال اهل النحو اراد حب العجل فحذف المضاف تخفيفا وحسب ان يعلم انه لو قيل حب العجل
لم يكن له من المبالغة ما له بحذفه لان فيها تنبيها ان لفرط شغفهم به تثبت صورة العجل في قلوبهم
راسخة وان زالت ذاته الجسمية ثم بين ان ذلك بسبب كفرهم لا انه تعالى ظلمهم وما قال
السدي وابن جريج ان موسى لما رجع برد العجل الذي عبدوه فذراه في اليم فلم يشرب احد احبه الا خرج
على شاربيه الذهب فليس بنافي ما تقدم تصورت ذلك حقيقة ام تصورته كناية واشارة وقال
بعضهم معنى اشربوا من قولهم اشربت البعير اذا شددت حبلا في عنقه قال واشربتها الاقران حتى
وقصتها بقرح وخبد القين كل حين فكانما شد في قلوبهم العجل لفرط شغفهم به فهو راجع الى الاول
تحقيقا وان خالفه تمثيلا وتشبيها ثم بكتهم تعالى بقياس شرطي يدل على ابطال دعواهم الايمان
بالتورية وهو قوله بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وتقديره ان كنتم مؤمنين فايمانكم امركم بذلك
وكل ايمان امر بذلك فايمان مذموم وقد ثبت ان الايمان بالتورية ليس بمذموم ولا امر بالمذموم
فاذا لستم بمؤمنين فكيف تدعون الايمان بما انزل اليكم وقال الزجاج في قوله ان كنتم مؤمنين
ما كنتم مؤمنين فان عنى ان لفظها لفظ النفي فذلك بعيد وان عنى انه شرط مقتضاه
النفي كما تقدم فصحيح والكلام في انه كيف جعل الايمان امرا في قوله يأمركم به ايمانكم فقد تقدم
في صدر الكتاب فصل كلي يكفي الاشتغال بهذه التفاصيل قوله تعالى قل ان
كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين الخالص كالصافي لكن الصافي يقال فيما لم يكن

فيه قتل شوب وزال خالص الى ما كان فيه شوب فزال عنه ولذلك قال الشاعر

خالص الخمر من نسج الاكرام  فاعتبر فيه معنى التخلص والتمني بقدر ما تشتيه و

التحدث به اما صغيرا واما مقالا او دون ذلك والاصل القاصر عن الشيء اعتبر ذلك في المكان

تارة وفي الشرف تارة وفي الاختصاص تارة فاذا قيل هذا الى دونك فهو مفيد للاختصاص

ومعناه انت تقصر عندان قيل كيف من دون الناس والمخاطبون ايضا من الناس قيل وقد قال

بعضهم ان لفظه عام ومعناه خاص اي دون سايرالناس وقال بعضهم في ذلك لطيفه وهو ان يقال

فلان ليس من الناس وذلك متردد بين المدح والذم فالمدح نحو قول بعضهم فلان ليس انسانا

بل هو ملك كريم وقال الشاعر  فلست لانسي ولكن لملكنا

والذم فان جلهم او كلهم بقرة لملكات الدار الاخرة اختص للناس خالصة بل لا بد في نيلها

من تحمل شوائب وتجرع نوائب وكانوا قد ادعوا انها لهم خالصة فعلم ذلك معنى ان كنتم صادقين

عند الناس في ان تحصل لكم الدار الاخرة خالصة على حسب ما تحصل للناس فتمنوا الموت وانما قال

لهم تمنوا الموت لانهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فبين الله تعالى

كذبهم في دعويهم ذلك فقال ان كنتم احبا الله فالمحب داعية الى الشوق والشوق داع الى محبة

لقاء المحبوب ومحبة لقائه داعية الى تمني سهولة السبل اليه وقرب السبيل الى الطريق اليه الى

الموت فيجب ان يكون الموت متمنى فتركهم تمني ذلك دليل على انهم لا يحبونه فعلم ان قول بعضهم

ان تمني الموت قتل انما تمنيه على تسخط ما اراد الله من حيوته فالجواب ان ذلك مضاد الله في

ارادته وسخط لقضايه واما على ان يكرهه اذا اتاه فجائز وهو غاية الحكمة وشعار المومن

المحق ولذلك قيل لا يكون الحليم حكيما حتى يعلم ان الموت لعقه والحمة لسترقه وقيل سرور

المومن بموته سرور انعام اذا ورد على اهله وقال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره

لقاء الله كره الله لقاءه وقال علي رضي الله عنه لولا اني سقطت على ام سقطت الموت علي ان

قيل كيف اعاد الشرط هل ان كنتم صادقين ودليل يقتضي جوابا اخر قيل ان ذلك كالبدل من



الشرط الاول فان مقتضاهما واحد لكن الصدق يتناول اللفظ وقوله ان كانت لكم الدار الاخرة

يتناول ذات الشيء فصار كقول القايل ان ادعى فعلان فعلته فلك كذا ان صدقت قوله

**قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين** التقدم اما ان تقال باعتبار زمانين فيقال حدث وقدم واما باعتبار تقدم

على الزمان فتقال قديم اي متقدم وجوده على وجود الزمان واما بالشرف فيقال فلان متقدم

على فلان اي اشرف منزلة منه واما لما لا يصح وجوده الا بوجود آخر وتقال لذلك الاخر قديم

كقولك الواحد متقدم على العدد بمعنى انه لو تومم ارتفاعه لارتفع العدد وكما استعملوا القديم

والحدث باعتبار زمانين استعملوا التقدم والتاخير وقدام وخلف باعتبار مكانين وباعتبار

التقدم المكاني سمي القدم قدما وقدت تعالى القول بان لا تمني للموت منهم قط لما اكتسبوه

من الاثام وفي ذلك اعظم حجة فانهم ما فعلوا ذلك ولا صرحوا قال عليه السلام لن تتمنوا الموت

ما دام احد منهم من مجلسه فلم يجسروا ان يقولوا كاذبين له حتى يتناهم ثم بين تعالى بقوله والله عليم

بالظالمين قدرته على معاقبتهم شديد الم **ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون**

الوجود تعالى باعتبار الحياة وباعتبار التحمل وباعتبار الفهم والعقل ومتى قيل باعتبار العقل

فعلى ضربين متعد الى مفعول واحد ومعناه كمعنى عرفت ومتعد الى مفعولين ومعناه قرب من

معنى علمت والحرص ان لا يرضى بالكفاية وضد القناعة واصله من حرص القصار الثوب والحارضة

وهي شجة تشق الجلد والحرض كالمرض زيل للحياء والكرم عن النفس واصل الشرك مساواة اثنين

فصاعدا في شيء كتجارة وزراعة وميراث وشراك للنعل وشراك الخيط معتبر فيهما معنى الشركة

وكذلك الشرك للطريق والحالة الصايد وصار الشرك متعارفا فمن شبه الله الها اخر او صفه

بصفة على حد ما يوصف به شيء من المكونات ومطلق يارة على من لم يكن من اهل الكتاب كقوله

ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا انهم الذين لا
تقارون على بذل الجزية ومرة يقال لاهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومرة يطلق
على الربا ونحوه وروي ان ابا حنيفة قال لجعفر بن محمد من اين قال ابوك الربا شرك فقال من
قول الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا ولما لم ينفك عامة الناس من تشبيه ما في اوصاف الله ومن ريا في عبادته قال تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحيوة والعمارة قبيلة يحصل
باجتماعهم العمارة والمعمر المسكن ما دام عامرا بسكانه والعموم صحب يدل على اجتماع عمارة الحي
في العطية منه والالف مشتق من الالفة وموضع البعض الى البعض فاعداد احاد وعشرات
ومئون والوف فالالف الف انواعها والسنة العرب في اصلها طريقان منهم من جعلها من
الواو لقولهم سنوات وكانها اسم لدوران الفلك ولاعتبار الدوران فيها سمي المستقى عليها
المسنى بها اسم لدوران الفلك سانية ومنهم من جعلها من الهاء فيقول سانهته فكانها اسم لتغيير
الفصول الاربعة ومنه قيل تسنه الطعام اي تغير والزحزحة الازالة عن المقر وقوله
ومن الذين اشركوا فمن المفسرين من يقول تقديره الايه ولتجدنهم وطائفة كثيرا من المشركين
احرص الناس واستبعد ذلك بعض النحويين بحذف الموصول وترك الصلة وقيل تقديره ومن
من الذين اشركوا وكان اقوى لمن الذين اشركوا اخبر الله عنهم انهم في محبتهم للحيوة من المشركين
واكثر المفسرين على انه عطف على معنى قوله احرص الناس فان قيل كيف قال ذلك والذين
اشركوا من الناس قيل لما كان للمشركين فضل اختصاص في محبة الحيوة الدنيا خصهم بالذكر بعد
العموم كتخصيص جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة وتخصيص النخل والرمان بعد الفاكهة فان قيل
فهلا قال احرص الناس والمشركين او احرص من الناس ومن المشركين ليكون الكلام على نمط واحد
قيل انما قال ذلك لمعنى اقتضاه وهو ان افعل يستعمل على وجهين احدهما مضافا الى جملة هو بعضها
نحو هو افضل الناس ومعناه انه فضلهم زائدا على كل المضاف اليه والثاني ان يذكر بمن نحو الانسان



افضل من الاسد ومراده انه زائد على جميع المذكور ويدلك على صحة هذا انه اذا قيل زيد افضل
الناس وعني بالناس العموم لم يكن ذلك محالا ولو قيل زيد افضل من الناس وعني بالناس العموم
كان محالا لانه يقتضي ان يكون افضل من نفسه ايضا اذ هو من الناس او لا يكون منهم بحيث
ذكر تعالى الناس واراد انه زائد على جملتهم اضاف وحيث ذكر المشركين وعني انه زائد عليهم كلهم
ذكر من وانما قال على حيوة منكرها لان الحيوة التي يحرصون عليها هي حيوة ما وهي احسن حيوة
في نهاية خستها وقلة وزنها ذكرها منكرة وانما الحيوة المطلقة هي الحقيقة التي يصف بها الاخرة
في قوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان وبان الله تعالى فرط حرصهم على الحيوة الدنيا وان تمنيهم
لها فوق تمني المشركين اذ غاية تمنيهم للحيوة الف سنة وبذلك تداعوا ثم بين تعالى
ان تعميرهم الف سنة لا يبعدهم من عذاب الله منبها ان الامد منقضي وان طال كما قال
الشاعر ادرك العمر كثيرا انقضاء كل ليلة وما ينقص الايام والدهر

## قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين

العدو التجاوز ومنافاة الالتيام فتارة يعتبر بالقلوب فيقال له العداوة
وتارة في المشي فيقال له العدو وتارة في الاخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان وتارة
اما في المكان واما في النسب فيقال قوم عدى اي غرباء وجبريل فيه لغات وانما كثرت
فيه اللغات لكونه معربا ونحوه كل على حسب استخفافه فمنهم من لم يخرجه اشبه كلامهم ولا
تخفيف اللفظ ومنهم من خففه لم يراع البناء نحو جبريل لان فعليلا ليس من ابنيتهم
ومنهم من راعى رده الى بناء كلامهم فقال جبرئيل نحو قنديل وعلى ذلك اختلفت اللغات في
ميكائيل ومنهم من قال جبر هو العبد وايل هو الله وان ذلك كقولهم عبد الله فان ذلك لا يصح
على حد كلام العرب اذ لو كان كذلك لكان مضافا والاذن الاعلام بالرخصة وقد يعبر عن
الاعلام بالحتم ومعنى الايه ان اليهود زعمت ان جبريل عدوهم فانه لم يكن ياتي الا بالعسف

يقال تعالى انه نزله على قلبك باذن الله ومصدقا لما تقدمه من كتب الله عز وجل وهادا ومبشرا
للمومنين ثبتها انه لم يعاد ورا احدا من الانبيا والمصلحين من عباده فليس من شان الملائكة مخالفة
الرب فان عدو عاداتهم فلانهم غير مومنين ان قيل كان الوجه ان يقول فانه نزله على قلبي
مل حوذ الهاء ان فالحكاية عادة يعاد على اللفظ حتى ان يقال قل لهم الخبر عندك كذا وكذا وعلى ذلك قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون و
تحشرون ويجوز ان يكون قوله قل خطابا لجبريل كانه قال قل للنبي ﷺ **قوله تعالى**
**من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل**
**وميكال فان الله عدو للكافرين**
يدل على تفسير هذه الاية ما روي ان عمر سال جماعة من اليهود عن سبب امتناعهم من الاسلام
فقالوا ان الملك الذي ياتي محمدا هو جبريل وذلك عدونا ولو اتاه ميكائيل لاتبعناه فان ميكائيل
صاحب كل رحمة فقال عمر اشدكم ان جبريل ومن قاتل من الله عز وجل قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره قال فاشهدوا ان الذي هو عدو لمن عن يمينه وعدو من يساره ومن هو عدو لهما فعدو
الله تعالى فرجع عمر وقد انزل الله تعالى هذه الاية تصديقا لقوله ومنها يدل من ذكرهم والجمع
منهم ان من عباد الله واحدا منهم فقد عادى جميعهم فالله ولي من والاه واعدا من عاداه ومن ذلك
ان اليهود اذا عادوا واحدا منهم فالله عدوهم وحقيقته معاداة الرحمان لله والبعد عنه
بمعاقبته وتحري الصدق في المقال والحق في الفعال وان لا يستحق ان يوصف بشيء من اوصافه
بحر العادل والجواد والكريم والقريب منه والمحب له الا ان لا يخالفه في ذلك وان يتصف
بتلك الصفات وتلك المعاني التي تقتضيه لمعاداة الله واوليائه والداعية الى ارتكاب المعاصي
فادن قول من قال معنى قوله عدو الله وعدوا لهما الله او قال عاص لامره فانه عدول عن
ما تقتضيه **قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها**
**الا الفاسقون** عن الاي القران وساير المعجزات والدلالات التي اوضح



تشديد الامر عليهم وذلك كما روي عن النبي عليه السلام لما قيل له في الحج العامنا هذا ام للابد فقال
بل للابد ثم قال انما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم **قوله تعالى**
**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة**
**صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** الصفرة لون مخصوص وعبر عن السواد
بالصفرة كما عبر عن الخضرة بالسواد وذلك لكون الصفرة والخضرة سالكين ان السواد وقال
الحسن الصفراء ها هنا سواد لكن استبعد ذلك لقوله فاقع والسواد يقال فيه حالك لا فاقع
ولفظة الصفر يصرف على وجهين احدهما الصفرة ومنه قيل النحاس صفر ولسبس الهي صفار والثاني
حكاية صوت هو الصفر وعنه قيل صفر الناء اذا احد حتى يسمع منه صفير الحلوة ثم صار متعارفا
في الحال وقيل الحلو الحوف صفر وسمت العرب الصفر الذي هو الحلوحية الحوف من حيث انه تالم
به الحوف وذلك ان العرق المتصل من الكبد الى المعدة اذا الم الجدام تقلص اخرا المعدة ما عقدت
جهلة العرب ان ذلك حبة في البطن تعض على الشراسيف حتى نفى النبي عليه السلام ذلك فقال
لا صفر والسرور انشراح مستبطن في الصدر واصله من السر والسرور انشراح مستبطن
في الصدر واصله والحبور والفرح والحدل والمرح متقارب لكن السرور هو الخالص المتكلم ومن
ذلك اعتبارا بالسرار والحبور قارورة اي انه في ظاهر البشرة مما يستعمل ان في المحمود
واما الفرح فما يورث بطرا واشرا ولذلك كثيرا ما يذم فقال تعالى ان الله لا يحب الفرحين
قال وفرحوا بالحوة الدنيا والحدل يطرحه تزعج ولذلك قيل فرس جاذل خذران اي
نشيط والمرح هو النشاط المفرط وكان السرور والحبور اكثر ما يكونان عن القوة الشهوية ومن
قال تسر الناظرين اي يحب فعلى التوسع من حيث ان الاعجاب بالشيء والسرور به كثيرا
ما يحتملان **قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**
**ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون**
ان قيل لم قال ما هي ولم يقل اي بقرة هي او كيف هي وما سبيله عن الاجناس

والانواع وانما سيل عن العوارض باى وكيف قيل ان ما قد سيل به عن كل شئ فيقال
ماهذا الانسان اى ما حاله وصفته كما يقال كيف هذا الانسان واى انسان هو وكيف واى
لما سيل بهما عن الاجناس والانواع والفصل وذلك ان لفظه ما من لفظه اى وكيف
محرى الجنس من الانواع فكما يصح ان يعبر عن النوع بالجنس فيقال الانسان حيوان وايضح
ان يعبر عن الجنس بالنوع فيقال لكل حيوان انسان لذلك يصح ان يعبر عن اى وكيف
بما ويصح ان يعبر عن كل ما يقال فيه ما بانى وكيف وقرئ يشابه على لفظ الماضى فجعل لفظ البقر
مذكرا او يشابه بالتخفيف على تقدير يشابه بحذف احدى التاءين وقرئ يشابه بتشديد الشين
على ادغام التاء فى الشين وقرئ يشابه بالتشديد على الادغام والذكير والتشابه ان يشبه
البعض البعض وضعف التفسير بهما وروى انهم لما قرنوا بالمراجعة الموجبة قولهم وانا ان
شاء الله لمهتدون وفقهم الله لمعرفته فاسألوا عنه ولترك التعنت وقال النبى عليه السلام لولا
نفس مجرية لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد وفى ذلك حث من الله تعالى العباد
على استصلاح توفيقه وضم اللفظ المشئومة اى يشيه الله الى كل ما ينكر من مستقبل الامر
كما قال ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ﴿ قوله تعالى
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها
وما كادوا يفعلون الاثارة الحث والكسف الشديد ومنه ثار الدخان
والغبار والقطاع مختلفا والدم فى وجه الانسان والحصبة فى البدن ويورث الامر قوله
تثير الارض صفة لقوله ذلول لانه يراد نفى اثارته عنها فكأنه اثبت انتفاءها لها واحرث نقيض
الارض وتسهيلها للزراعة ثم يتجوز به فى الزراعة ويكنى به عن النكاح وعن جميع المال
ويقال دابة محرثة اى مذللة والحراث لما يحرث به الزرع والنار والمسلمة المتروكة
سليمة من العاهات واصل ذلك من السلامة والتسليم اصله بذل السلامة وجعل فى التعارف



الله عز وجل بها امر النبى عليه السلام وذكر انه لا شكر ذلك ولا يحده الا كل شاء فى الكفر والفاسق
الخارج عن الطاعة اما عن اصل الدين واما عن بعض الطاعات بارتكاب الكبائر ولذلك
قال ابليس ففسق عن امر ربه وقال فمن ربى المحصنات فاولئك هم الفاسقون
وقال ان المنافقين هم الفاسقون من الفاسق والفاسق يوصف ﴿ قوله تعالى
أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم
لا يؤمنون والطرح والالقاء متقاربة لكن النبذ اكثر ما يقال فى المنسى النبذ على
ذلك لنبذك نعلا اخلقت من نعالك وبعل صين مسود اذا القته امه فنسيته
واستعير الشراب الملقى المنسى الى ادراكه والطرح اكثر ما يقال فى المبسوط ومحرك مجراه
والالقاء يعتبر فيه ملاقاة ما بين شيئين او بين شئ ومكانه ومعنى الاية انه لما سلى تعالى انه مدارك
ما الكفرة به اهل فاسق من بعض اخبار ان عاده بعض اليهود المذمومين بنقيض العهد الملتزم
واطرحه ثم من ان عادتهم ان لا يوسوا بشئ ان اكثرهم وان لم يبذوا العهد جهارا الم يحصل
منهم الايمان الذى هو معرفته ما يجب معرفته وفعل ما يجب فعله بل اقتصروا على ظاهر القبول الذى
لا اقتدر به على الحقيقة ﴿ قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله
مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون
الرسول هاهنا ان جعلة الرسالة وان جعلة النبى محمدا عليه السلام او المسيح عليها السلام فالكل
صحيح ومراده كذلك ان جعلت الكتاب التوراة او القرآن فصحيح لان المنكر لاحدهما فى
حكم المنكر للاخر وقد بين تعالى انه لما جاءهم بعد موسى رسول مطابق له صار فريق مما اختصوا
بعلم الكتاب نبذوا احكام الله وراء ظهورهم فصاروا كأنهم لا يعلمون وهذا الفريق غير الفريق الاول
ولهذا لم يدخل فيه الالف واللام بوقد دل تعالى بالاتيان ان جل اليهود ناكث فريق
فريق جاهر واشد العهد وفريق لم يجاهر واشد ذلك لكنهم لم يوسوا به وهم الاثم وفريق آخر

طرحوا الكتاب عادوا فصاروا في حكم الجهلة وهذه للقسمة عجيبة الشان فان داعي الحق ثلثة اقسام
جاهل غير عالم بجهله وشريره وهو الشرير الذي لا اعرف له واياه عنى بقوله تبارك وتعالى فريق منهم جاهل
عالم بجهله وهو الشاك واياه عنى بقوله تبارك وتعالى فريق منهم هم الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ووصف هذه الفريق بان حكمهم حكم الجاهلين الذين هم فوق الموصوفين
بانهم لا يعلمون قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في
الاخرة من خلاق تلا يتلو تلاوة في اتباع الغير اما بالجسم واما بالحكم ومصدره
تلو وتلو وتارة في اتباع الكلام اما بالقراءة واما بالتدبر لمعناه ومصدره تلاوة وعلى الاول
والقراءة اذا اداها وعلى الثاني تتلوه حق تلاوته وتلا عليه كذب تحمد وك عليه وقال عليه
الصلاة والسلام يقولون على الله الكذب واما السحر فقد اختلف في ماهيته على ثلثة اوجه ولا بد من
تمهيد يبين الكلام عليه في هذه الاية وفي غيرها من الايات في ذكر السحر فالاول ما ذهب اليه
اكثر الحذاق من انه اسم الجراح وتخيلات لا حقيقة له وانما اعتماد الساحر على شغل القلوب
بشعبذه صارفة للابصار وهمه من حروفه عالمة للاسماع ولصرف الابصار قال تعالى سحروا اعين
الناس واسترهبوهم ولسحر الاسماع بالهمهمة فقال يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه
قالوا ولهذا سمي لسان سحرا الرائق والثاني ما ذهب اليه الاعنام من العوام وجماعة من الاشراف
وهو انه اسم لفعل من قوته تغيير الطبايع ونقل الصور كجعل الانسان حيوانا اخر وذكر انه من



حرافات توصلت بها الملحدة والبراهمة الى ابطال النبوات والمعجزات والثالث ما ذهب اليه
محصلة اهل الاثر وعامة المتدينين بالحكمة وهو انه عمل يقرب الى الشيطان يعاونه منه وذلك
ان يوقع الساحر وهمه على امر ويفعله بالغير لا قطا كلمات من الشرك ومادحا للشيطان
مستغيثا به والذي يحتاج اليه في معرفة ذلك مقدمة وهي ان الجواهر المكلفة ضربان جسماني محسوس
وروحاني معقول كما ان الجسماني في القول المجمل ثلثة اقسام خير وشرير ومتوسط كذلك الروحاني
فالخير من الروحاني الارواح المقدسة وهي الملايكة والشرير شياطين الجن والمتوسط مومنوا
الجن لمن نزل فيهم سورة الجن وملكات الملايكة لا تواصل ولا تعاون الا حرار الناس كل مساله
تقي اوتاسك تقي منتسبهم في المواظبة على العبادة والتقرب الى الله عز وجل بالفعل و
القول كذلك الشياطين لا تواصل ولا تعاون الا الاشرار من الناس كل مشرك حسب عابد
الشيطان معاند للرحمن ولهذا قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك
اثيم وقال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ان قيل لو امكن للانسان من جهة الشيطان
الوقوف على الاخبار الغائبة والافعال الخارجة عن عادة البشر لكان مشبه طريق النبوة وطريق
السحر ولكان لجوا استعوا الساحر سحره متصورا بصورة ما وذلك يودي الى ما ادعاه مانت
الزنديق على كثير من الانبياء انهم كانوا سحرة معاونين من قبل الشيطان راما من قبل الرحمن
عز وجل فقل الفرق بين ما يكون من فعل السحرة ومن ما يكون من الانبياء الخفي على متبصر في
المعرفة مندرج في ادنى مرتبة من الحكمة فان اثر السحر لا يكون الا في فساد محوي من كل مشرك
خبيث في نفسه شرير في طبعه متدنس في بدنه ولذلك اكثر ما تقع من حيض النساء وعبدة الاصنام
وضعاف العقول وفي الامكنة القذرة والاكثر تاثيرهم في محاسبهم ثم لا يكون الا في الندرة ومتى
قيل بالاستعارة الله تعالى وذكره بطل سلطانه فالملكان من الانبياء فلا يحصل الامن كل مومن
محض الايمان متدين في نفسه خير في طبعه طاهر في بدنه ويكون تاثيره في اولي العقول الراجحة

والاهتمام البارعة ويزداد بها القرب الى الله وذلك ظاهر لمن القى السمع وهو الشهيد
ولو لم يكن للسحر حقيقة لما عظم الله امره في قوله وجاءوا بسحر عظيم ولما امرنا بالتعوذ من شر النفاثات
في العقد ولو كان كما قال الجاهلون لما ورد الشرائع بقتل السحرة وبعثهم على بلاد الاسلام ولما
اجري مجرى الشرك حتى قال بعض الفقهاء لا يقبل توبتهم كالمستسر بالكفر كالزنادقة والخوارج
لا يستحق بها هذه العقوبة فان قالوا انا لا ندري نحو كون ما يقول العامة ان الساحر يطير بلا جناح
ويركب البيضة والمكنسة ويبلغ في اقصر مدة الى بلد بعيد قيل يدعي ذلك ويصدقه بجهات
نضحك منهما ولا خلاف ان من ذلك لا يستحق الارتداد والقتل وانما يستحق القتل اذا ادعى
قتل انسان بسحره على شرائط مخصوصة على قول بعض الفقهاء او ادعى ما ينبئ عن صريح كفر وقد
انكر الجاهلون ما روي في ذلك من الاثار الواضحة والاخبار الصحيحة نحو ما روي ان اليهود سحرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اتاني ملكان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند
رجلي فقال احدهما ما بال الرجل فقال الاخر مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم
اليهودي قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر في بئر ذي اروان فبعث من
اخرجه وحل عقده فكلما حل عقدة وجد لذلك خفة كانما انشط من عقال قالوا ان ذلك ان قلنا
بصحته كان يقدح في النبوة ويلبس الامر على ما ظنوه لما تقدم وان تاثير السحر في النبي لم يكن من
حيث ما هو نبي وانما كان في بدنه من حيث هو انسان او بشر كما كان ياكل ويتغوط ويغضب
ويشتهي ويمرض ويصح من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي وانما كان ذلك قادحا في النبوة
لو وجد للسحر تاثير في امر يرجع الى النبوة ثم لو ان النبي عليه السلام معصوما من الشيطان لا يقتضي ان
لا يؤثر في بدنه ذلك تاثيرا صغيرا لا يقدح فيه من حيث ما هو نبي بعد كان تاثير ذلك في جرحه من
بدنه ما تاثير المحسوسات لم يعده الى ذي الغفلة ولا الى فساد نفسه كان جرحه وكسر ثناياه يوم احد
لم يقدح فيما ضمن الله له من عصمته حيث قال الله يعصمك من الناس وكما لا يعتد بما
يقع في الاسلام من ارتداد اهل بلد او غلبة المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الاسلام



بقوله اليوم اكملت لكم دينكم ومن ابتت دلالات الحقائق باثبات حروفها لم يسعفه في
قياسه لدى تحصيل مقدمة ولا ثبت به في المقامات قدمه واما تصرفات لفظ السحر فقد ذكرت
وقال انه من حيث يتصور تارة ذمه وتارة حسنة وتارة قبيحه وتارة خبيثه وشرائطه استعمل
في كل ذلك لفظه بحسب تصور كل واحد من ذلك فسمي السعد سحرا ومنه قوله تعالى
سحروا اعين الناس والكلام الرائق سحرا وقيل ان من البيان لسحرا والعين الفاتنة ساحرة
والعالم ساحرا حتى قالت الاطباء الطبيعة ساحرة وسمي الغذاء سحرا من حيث يدق باثره فقال
وسحر بالطعام وبالشراب والسحر الرئة وقيل انه سمي بذلك اعتبارا بدقة باثره في ترويح القلب
باتصال النفس البارد اليه واخراج الحار منه وكانه ساحر في فعله ذلك وقوله انما انت من
المسحرين قيل من المخلوقين وحقيقته من المجعول له سحر اي من الحيوان وقيل فيه وفي قوله
ان تتبعون الا رجلا مسحورا الذي معه شيء من الجن والقسمة احتسا يعرب ولما انطوت
معناها على الامرين استعملت في كل واحد منهما مفرده نحو ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وفتنت الذهب
اذا اخرجته بالنار وقوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون تحتمل الوجهين والاية معطوفة على ما تقدم
من ذكر اليهود وهي منطوية على ان من ذم اليهود في تحري السحر واشارة وتنزيه لسليمان عما نسبوه
اليه وذلك انه روي ان الشياطين من الانس او الجن دفنوا تحت كرسي سليمان شيئا من السحر
وعلامات عليه السلام اخرجوا ذلك وادعوا انه كان يجري باستخراجه سحرا منه فذكر الله تعالى ان
بعض اليهود اتبعوا ما تخرصه الشياطين على ملك سليمان ونزه سليمان عن الكفر والسحر وذكر ان
الشياطين فعلوا ذلك واختلفوا في قوله وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فقيل فيه
ثلاث اقوال الاول ان ما حرف معطوف على قوله ملك سليمان ومعناه كذبوا على ملك سليمان
وعلى ما انزل على الملكين والثاني ان ما نفي وعلى القولين فمثل لم يعلم الملكان السحر بل كانا ينهيان
عنه حتى يقولا انما نحن فتنة اي حتى بلغ من نهيهما عن ذلك انهما كانا يقولان انما نحن فتنة
اي حتى بلغ من نهيهما عن ذلك انهما كانا يقولان انما نحن فتنة اي ممتحنون بان نعلم السحر

ذلك مستبعد من حيث اللفظ فانه انما يقال لمن يفعل كذا حتى انه يقول كذا
على الاستئناف ولا يقال حتى يقولا فقال هذان الاثنان معنى يتعلمون منهما اي من
السحر والكفر وقد جرت ذكر السحر صريحا وذكر الكفر ضمنا في قوله كفروا والثالث قول اكثر
المفسرين ان ما انزل نصب معطوف على قوله السحر يعلمون الناس السحر وكيفية تعاطيه وقوله
منهما راجع الى الملكين وكان تعليمهما ذلك ليحترزوا من الشياطين فعلمهما كان ابتلاء وان
انما نحن فتنة فلا تكفر والذي اختاره من يذهب الى المتقدمين من الاولين هو ان تعلم
السحر محظور لفعله وتلبيس الامر على ناظره فان الشيء لما ثبت ان الحكمة معرفة الصدق من
الكذب في الاقوال والخير من الشر في الامور ليتحرى الصدق في الخبر ويتجنب الكذب
والشر فمعرفة الكذب والشر اذن واجبة كما ان معرفة الصدق والخير لانه معرفة احدهما
لا تنفك من معرفة الاخر فاذا من ان المعرفة بالمتضادين واحد واذا كان معرفتهما لا تنفك فمعرفتهما واجب
واما المستقبح فتعاطي الكذب والقبح فاذا كان كذلك فلا ضير ان بعث الله من قبله
في وقت تشوف الناس الى السحر من يبين على وجه احتياطه ويزيل عن الناس الشبهة ثم
ان اعتقاد شر لا يحمل على تعاطي شر فانه قد استعانوا بتعلم الفقه وتعاطي الطاعات لا يسعوا
التحري فاما من شيء من المعارف والعلوم في نفسه الا ويصلح لمصالح ولكن استعماله في شر
ومن لم يستعمل ما يحصل بالطاعة وقع في المعصية او الكفر ولما هاروت وماروت
فالظاهر انهما كانا الملكين وفي ذلك انا وجعلين سماهما ملكين اعتبارا باصلهما لا بما صارا اليه
الفرا وما انزل على الملكين اعتبارا لحالهما وقال بعض المفسرين ان الملكين ليسا هاروت
وماروت وانهما شيطانان من الانس والجن وجعلهما نصبا في اللفظ بدلا من الشياطين بدل
البعض من الكل اي اولئك القوم قالوا كانا زيد وعمرو وقال وكلوني قولهما اي الاخرين فتنه
كقول الجليع لغيره لا تعرف واي خليع فاسق قبلي قوله وما انزل على الملكين نفيا اعتراضا
عن التراكيب والمبدل منه وردّ بعض من جعلهما ملكين لانهما كانا صارا على صورة الادميين


وذكر فيهما الشهوة وانهما تعرضا لامراة يقال لها الزهرة فحملتهما على شرب الخمر وارتكاب محظور
ثم صعدت الى السماء فقد استسخف جماعة اهل النظر هذا الحديث وعده خرافة ينزه العاقل
سمعه عن سماعه وذكر بعض الناس ان ذلك رمز منقول عن كلام القدماء وكان من عادتهم
ان يرمزوا الى اشياء من العلوم فالذي هم الذين يرونهم رموزا كان عادتهم اذا ارادوا اسس
اختصاص كل نجم بفعل مخصوص جعلوه بصورة من يتعاطى الفعل المختص به ويقول انه فعل كذا
وقال كذا ولما كان من شان الزهرة على ما يزعمه حمل الانسان على تعاطي الغزل واللهو واللعب
والشرب كما يدعيه المنجمون وعلى ذلك قالوا الافعال الزهرة دائبة في الغزل واللعب وعلى
ذلك فعلوا في سائر النجوم حتى جعلوا لها صورا مصورة في الكتب على هيآت المتعاطين
للصناعات المختصة بطبيعتها والله اعلم بذلك وقوله فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء
وزوجه مثل ان يعزي الرجل على امراته ويخلق عشق لا يسلوه ويقرب بالصدق اذا امراة كانت او غيرها
نحو قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم اشارة الى قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء وقوله فيتعلمون معطوف على ضمن ما يعلم فانه قال تعالى فيتعلمون منهما
قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله الاذن قد يقال في الاعلام بالرخصة وقد يقال في العلم
ومنه اذن بحرب وقد يقال في الامر الجسيم ويعني بالاذن في الشيء هنا والله اعلم ان الضرر لا
احدهما الاذن لما هو الفعل في مباشرته ... اذن الله لكم ان يصل الرحم والثاني الاذن
في تسخير الشيء على هيئة يستعمله في فعله من تناوله والزنا في تخليصه من ادنيه باذن الله تعالى
في وقوع السحر باشره من الفعل الثاني وذلك بما يشار اليه بالقضا وعلى هذا الافعال الاشياء كلها
باذن الله وقضائه ولا يقال الاشياء كلها بامره ورضاه والضرر ما يعوق الانسان عن الخير سواء كان
ذلك مما يعرض في النفس او كان شيئا خارجا منه والنفع ما يسهل سبيل الانسان الى الخير ومن
قال النفع هو اللذة فانما الله يعوض النفع فقد يكون الشيء نافعا ولا يكون لذيذا ان قيل كيف قال
ما يضرهم ولا ينفعهم وما يضر يعلم انه لا ينفع قيل ان ذلك من وجه ووجه ... الشيء نافعا من وجه

وصار اولى به وحده ولعلم السحر كانوا انما الواحد ردوا المعرفة عن نفوسهم فلم ينتفعوا بانتفاعه من هذا الوجه
واستنصروا به لاستعمالهم اياه في غير الحق ولقد علموا اي قد علموا ان من استبدل ما جات به
الشياطين من السحر بالحق ان لا حظ له في الاخرة ۞ **قوله تعالى ولبئس ما شروا
به انفسهم لو كانوا يعلمون** يصح ان يكون معطوفا على المعلوم وهو قوله لمن
اشتراه ويصح ان يكون استئنافا فاحكاما به وجواب قوله لو كانوا يعلمون محذوف ان قيل
كيف اثبت لهم في العلم في اول الكلام ونفى عنه في اخره فالجواب في ذلك من اوجه الاول
ان العلم المثبت لهم هو العقل الغريزي وما جعلهم لهم بصيغته والمنفي عنهم هو المكتسب
الذي هو من جملة التكليف والثاني ان المثبت لهم هو العلم بالجملة والنفي عنهم هو العلم بالتفصيل
وقد يعلم الانسان جملة قبح الشي ثم لا يعلم ان فعله قبيح وكانهم علموا ان شرى النفس بالسحر مذموم
لكن لم يفكروا في ان ما يفعلونه هو من جملة ذلك القبيح والثالث انهم علموا عقاب الله لم يعلموا
حقيقة عقابه وشدته والرابع ان معنى قوله لو كانوا يعلمون يعملون به لان من لا يعمل بما يعلم فهو
في حكم من لا يعلم ۞ **ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير
لو كانوا يعلمون** المثوب رجوع الشي الى حالة شبيهة بالحالة الاولى يقال
ثاب الحوض اذا امتلا بعد فراغه عقيب امتلائه والثوب لتصوره تصوره القطن
لاجتماع اجزائه بعد تفرقها بالغزل والثيب من النسا لعودها الى الهيئة والثواب في الصور
يرد به والثواب والمثوبة في الخير الحاصل يعنى يثوب اليه باحسانه ومعنى الاية لو ان الذين يعلمون
السحر واتقوا لاثيبوا وكان ذلك خيرا لهم ولو علموا لظهر لهم ذلك وجواب لو الاولى ما دل عليه
لمثوبة وتقديره لاثيبوا فقوله لو اماني زيد لا مي خيره لان قوله لو اماني زيد لعمرو مطلق
ادلهم له لعطاء عمرو على فعل جواب لو لا يكون الا فعلا او ما دل عليه من اليمين من اجاز ذلك
اذا دل الخبر على فعل ۞ **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم**



الرعي حفظ الغير في امر يعود لمصلحته ومنه رعي الغنم ورعى الوالي الرعية وعنه نقل ارعيته
سمعي وشبهها برعي الغنم فقيل رعيت النجوم اذا راعيتها وكان يقال للنبي عليه السلام اي اسمع الينا
او احفظنا فقالت اليهود راعنا تعريضا به من الرعونة فلما عوتبوا قالوا انما نقول مثل ما يقول
المسلمون فنهوا عن ذلك وقيل لهم قولوا بدل ذلك انظرنا وذلك معناه معنى راعنا وقد نبه
على ذلك بقوله عز وعلا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الاية وقوله واسمعوا
يجوز ان يكون من جملة ما امروا ان يقولوا اي قولوا انظرنا ويجوز ان يكون استئنافا امرا من
الله بامتثال ما امرهم به وقيل انما نهوا عن قولهم راعنا لكونه مفاعلة متضمنة لمعنى المساواة من
المخاطب والمخاطب فامروا ان يعزروه كما قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وكقوله
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وذلك عن ابن عباس وروى عن مجاهد ان معناه
لا تقولوا اخلافا ويكون من الرعن واستر ذل هذا الوجه لانه لو كان كما قال لكان في القراة
راعنا بالتنوين ۞ **قوله عز وجل ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم** الود محبة الشي مع تمنيه ولما كان لهما استعمل في كل واحد منهما فقيل وددت
فلانا اذا احببته ووددت الشي اذا تمنيته واصل الاختصاص الخصاص وهو فرجة بين
الشيئين ومنه الخص لبيت من قصب لما فيه من الفرج وسمي انثلام الحال خصاصا و
خصاصة على التشبيه كما سمي اثلاما واخلالا وشعثا وخصصت فلانا وخصصته اولته
خصاصي نحو خلته وقولهم وقفهم على عمرى وبكر وخصان الرجل خلانه ثم جعل الخاص
مقابلا للعام في التعارف وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من اليهود كانوا يظهرون
مودة المسلمين ويزعمون انهم يودون لهم الخير فاكذبهم الله تعالى في ذلك ونفى ما ادعوه وكان
المسلمون يوالونهم ويركنون اليهم فاكذبهم الله تعالى في ذلك ونفى ما ادعوه ونهاهم تعريضا

عن مودتهم كما قال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء ان قيل لم قال ولا المشركين وذلك يقتضي ان
المشركين ضربان كافر وغير كافر كما ان اهل الكتاب ضربان قيل ان من في قوله من اهل
الكتاب للتبيين فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاذا كان كذلك فالذين كفروا هم اهل
الكتاب فجاز ان يقال ولا المشركين عطفا على لفظ اهل الكتاب وجاز ان يقال ولا المشركين
عطفا على الذين وقرئ به فجاز الجر وقوله من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
بالنصب والجر جميعا ومن في قوله من خير لاستغراق الجنس وبين بآخر الآية انه وان اختص برحمته
بعض الناس فليس ذلك لبخله بل فضله عظيم ورحمته وسعت كل شيء وانما يختص برحمته
ضربان احدهما يصل اليه كل من يشاء الوصول اليه من العباد بتمكين الله اياه وضرب يخص
تعالى به بعض عباده لما يعرفه في ذلك. **قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها**
**نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء**
**قدير** قد تقدم الكلام في ماهية النسخ والفرق بينه وبين التخصيص في صدر الكتاب
والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ثم قال في
ازالة الصورة من غير اثباتها في غيره نحو قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
ويقال ايضا في اثبات مثل تلك الصورة في الغير من غير ازالتها عن الاول كنسخ الكتاب
واصحاب التناسخ قوم زعموا ان النفوس تنقل من هيكل الى هيكل فان كانت محسنة
انتقلت الى هيكل متنعم فيه وان كانت مسيئة فالى هيكل معذبة فيه والانساء الامر بالترك
المؤدي الى النسيان وليس كل متروك يقال له منسي وقرئ ننسأها من النسء وهو تاخير الشيء
عن وقته او عن حسبه فيما هو بالوقت قولهم نسأت في ظمء الابل ونسأ الله في اجلك ونسأت
المراة تاخر وقت حيضها وانسأت فلانا البيع وقوله انما النسيء زيادة في الكفر ومما هو بالهيئة نسأت
الابل عن الحوض ونسأتها في السير ومنها المنساة العصا التي يطرد بها حسب المعروف



النسخ والانساء على وجهين احدهما ان النسخ هو ازالة الملك من غير اللفظ والحكم مع اللفظ
والانساء ازالتهما وهو ان لا يبقى بل يرفع الثاني ان النسخ ازالة الحكم فقط مع بقاء اللفظ او لم يبق
والانساء ازالة اللفظ فقط بقي حكمه او لم يبق ولهذا قال الفقهاء ان النسخ لا يكون الا في معنى
الامر والنهي دون معنى الخبر والانساء قد يكون في الاخبار وفي الامر والنهي لكن معناه في الخبر لا يرد
وان زال اللفظ وقد يستعمل احد اللفظين مكان الاخر فمن هذا ما روت عائشة انه نزل
في قصة اهل بئر معونة قرآن منه بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ
فعنه دلالتان احدهما ان قولنا لقينا ربنا اخبار وقد سمته نسخا والثانية انها استعملت النسخ
في رفع التلاوة دون المعنى وعلى ذلك قوله ما روي انه كان فيما انزل الله لو ان لابن آدم واديين
من مال لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم نسخ وذلك
عن عمر وقيل الكلام في تاويل الآية يحتاج ان كما تكشف خطأ اليهود وشبههم من المسلمين [illegible]
النسخ فاعلم ان ذلك هو البدأ ولا يعقل الا من يحصل العواقب ويتجدد له راي بعد ان لم يكن
تعالى والله الموفق ان الله تعالى خلقنا في الارض مستخلفين فيها ومستعمرين لنتوصل بذلك
الى مجاورته والقرب منه بحيوة لا موت بعدها وغنى لا حاجة معه وقدرة لا يعتورها عجز ولا سبيل
الى ذلك الا باكتساب الصحة في النفس وصحتها بالقران العلم والعمل اما العلم فمعرفة
الصدق من الكذب والجميل من القبيح والخير من الشر واما العمل فتحري الصدق في المقال
والجميل في الفعال وتحصيل ضرورتها ولما كان لا سبيل الى استفادة صحة البدن الا بسببين
احدهما من داخل وهي القوة التي سخرها الله تعالى لاستدعاء الطعام وهضمه ودفعه والثاني
من خارج وهو الذي يتفقد هذه القوة اذا اختلت كذلك لا سبيل الى استفادة صحة النفس
الا بسببين احدهما من داخل وهو العقل والثاني من خارج وهو النبي وكما ان ادوية البدن
واغذيته العقاقير والاطعمة فادوية النفس الاعمال الشرعية والآداب الخلقية وكما ان طب البدن
قد يغير الاغذية والادوية التي يتوصل بها الى استفادة الصحة واستبقائها لاختلاف

الامزجة واخلاف الازمنة كذلك الانبياء من قبل الله قد تغير الاعمال الشرعية التي هي مصلحة
الانفس حسب ما يعرف الله من مصالحها فكما يكون الشيء دواء للبدن في وقت ثم يكون داء في وقت
اخر كذلك الاعمال قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت ولكون الشريعة طبا للنفوس
قال المسيح انما انا طبيب المرضى وروي ان طبيب الدين والدنيا داوه ما داحر الطبيب الا الى العالم
نفسه فكيف يداوي غيره ومما يبين جواز النقل من حكم الى حكم نقل الله تعالى الاشياء من حال
الى حال حتى ينتهي الى اقصى الكمال كحال الانسان من مبداه الى منتهى عمره وذلك من حين
النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم كونه جنينا ثم طفلا ثم ناشئا وشابا وكهلا وشيخا وهرما ثم ما
نبه النبي عليه السلام بقوله ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ولو
كان نقل الشرع من حال الى حال قبيحا لكان بعثة موسى ونقله اليهود عن بعض ما كانوا عليه قبيحا
واما ما حكوه عن موسى انه قال لبني اسرائيل هذه الشريعة لازمة لكم ما دامت السموات والارض
فاللفظ محتمل وفي اثباته به على وجه محتمل حكمة عظيمة قد ذكرها الحكماء وهي ان من عادة العامة
وغيرها ان لا ينقادوا كل الانقياد لداع او يسن اذا علموا انه مصروف عن قريب يستوهنون
امره ويضعفون حاله ما دام واحبان لا يعلموا ان امره غير ممتد وان لا يسر ذلك الا للاحبار
الذين لا يلون فيهم مفسدة ولهذا كانت الفاظ الانبياء مبهمة ان شريعتهم على التأبيد فان
قيل ان ذلك يؤدي الى ان يقول في نبينا عليه السلام ذلك قيل انا لم نعلم انه لا نبي بعده عليه السلام على التأبيد
من قوله فقط بل علمنا ذلك مع قوله من جهات وهو انه ثبت بالاعتبار العقلي وسطا كما وصفه تعالى
بقوله جعلناكم امة وسطا وانه مصون عن الافراط والتفريط والوسط الذي هذا صفته هو الحق
الذي قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال واشرح ذلك موضع غير هذا والله الموفق واما معنى
الاية فعلى قول من جعل لا انسا مقابل النسخ قال لم انكرت اليهود تحليل الله الشيء في وقت وتحريمه
في وقت بين تعالى ان جميع ما في التوراة والكتب المتقدمة ضربان اما حكم قد نسخ فاني كما هو خير
اي انفع لكم او نترك فلم ينسخ واي في القرآن مثله اي بمعناه في لفظ اخر فتكون بقوله خير منها



واجعا الى النسخ ومثلها الى الانسا فان قيل ان الذي نترك ولم ننسخ ليس هو مثله بل هو هو
فكيف قال نأت بمثلها قيل الحكم الذي انزل في القرآن وكان باقيا في الشرع الذي قبلنا يصح ان
يقال هو هو اذا اعتبر بنفسه ولم يعتبر بكسوته التي هي اللفظ ويصح ان يقال مثله اذا لم يعتبر بنفسه
فقط بل اعتبر باللفظ ويجوز ذلك كان يقال ماء البير هو ماء النهر اذا اعتبر جنس الماء وتارة يقال مثل ماء النهر
اذا اعتبر قراره الماء وعلى قول من جعل الانسا ترك اللفظ حتى ينسى قال معناه اذا ازلنا حكم اية او ننسى
لفظها نأت بما هو اوفق لكم واقرب الى ان تبلغوا به الى ما اريد منكم ثم قال الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير اي لا يحسبن ان تصريف الحكم حالا فحالا وان لم يأت بالثاني في الابتداء لعجز
كان من علم قدرته على كل شيء لا يظن ذلك به وانما يعتبر ذلك لما يرجع الى مصلحة العباد وان يراعي
لهم في وقت المتقدم الحكم المتقدم وفي الوقت المتأخر الحكم المتأخر وقال بعض المحققة ان الاية
مع هذا الظاهر تنبئ عن معنى لطيف وهو ان الله خلق الانسان خلقة تدرجه من حال الى
حال الى ان يصير كاملا موصوفا بعامة صفاته ومخصصا بالبقاء الابدي والغنى السرمدي
العوالم ومبرءا من الحاجات والنقصانات كما امتنه تعالى ان هذه الاية لا نسخها الى
مثل ما هو كالاول من وجه وخير منه من وجه ثم بين انه قادر على ذلك اذ هو قادر على كل شيء
وقد تعلق الشافعي واصحابه في قولهم ان القرآن لا ينسخ الا بالقرآن بهذه الاية ووجه دلالة
ان قوله هو احرى من كرا وافضل منه يرجع الى شرعه من ثلاثة اوجه اما الى فضل موجه
او الى حسنه او الى ثابتة مثال الاول قولك افعال الله افضل من افعالنا ومثال
الثاني الملائكة افضل من الحيوان ومثال الثالث السيف افضل من العصا ويقال
على ثلثة معان لها ثلثة الفاظ مماثلة في الجنس ويقال لها الند ومماثلة في الكيفية ويقال لها
الشبه ومماثلة في الكمية ويقال لها المساواة وبلا تنبيها يقال لها المثل وقد ضمن الله تعالى انه لا ينسخ
اية الا بخير منها او مثلها والسنة ليست بخير من الاية ولا مثلها في الجنس اذ جنس القرآن يتعلق
به الاعجاز وان اعتبر انه يأتي بمثلها في الوصف بين الجزئين واما وجه قول مخالفيه فهو ان الله تعالى

وان ذكر الآية فانما اراد حكمها لان النسخ لا يكون الا في الاحكام فاذن قوله بخير منها او مثلها
ليس الا في الاحكام وكأنه قيل ما ننسخ من حكم الآية نأت بخير منه او مثله فعلى هذا مدلول الكلام
ويتعلق اهل الظاهر بالآية حيث ذكروا ان الناسخ لا بد ان يكون اخف من المنسوخ و
دعوا في الحكمة الى ما تستخفه النفس بالطبع وذلك بعيد فان الشريعة مبنية على مخالفة النفس
وعلى مجاهدة مقتضى الطبع ولهذا قيل اذا اعترض امران فاشقهما وجه الصواب جعل الله اهلها على
النفس وعلى هذا قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ان قيل اذا لم يحمل على
التخفيف فليست الثانية خيرا من الاولى وفي شيء من الاحوال لان الاولى في الوقت اصلح
وافضل والثانية في الوقت الثاني اصلح وافضل فقد تساويا في عظم المصلحة وقيل
ان يكون الثانية خيرا قيل بل الامر على العكس من ذلك فان الاشق خير بان يكون اعظم واكثر
احتمالا لكون اجزل في الاجر واكثر ثوابا ومع هذا فان الاشق خير من الاولى في الوقت الثانية
لان الاولى قد بطل العمل بها وقوله بخير منها يعني في الوقت ويتعلقون بقوله يريد الله ان يخفف
عنكم وقوله يريد الله بكم اليسر فيقال ان التخفيف واليسر في الامور الالهية في الدنيا والآخرة فانما
يستسهله النفس اما في الآخرة فلانه لا يوصل الى ذلك الا بتحمل المشاق في الدنيا والعمل
بالطاعات ومخالفة الهوى واما الدنيا فان التخفيف واليسر مع حصول العلم والصبر والعفة والواضعة
عن الانسان ثقل بحصول الجوع والخوف والفقر قوله تعالى الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير الولي يقال تارة لمن يلي مولاه بنفسه او حلفه وتارة لمن له ولاية
سلطانه وانما ذكر الولي والنصير وهما متقاربا المعنى لانه قد ينفك الولي من النصرة بان يكون
ضعيفا والنصير من الولاية بان يكون عن المنصور اجنبيا وقوله ما لكم من دون الله اذا قصد
خطابا للامة اقتضى وعيدا الى الاولى وناصر يحميكم عنه نحو قوله تعالى الكم منا تنصرون
واذا قصد خطابا للمؤمنين اقتضى تسكينا لهم اي لا تعدوا لمن يواليكم وينصركم سواه كقوله



ضل من يدعون الا اياه واذا اعتبرتهما فالمعنيان فيهما موجودان اي لا تعتقدوا ان لكم
اولياء ولا انصارا اذا لم يكن الله وليكم بينهما انه تعالى هو الذي لا يمكن تصور ولي ونصير مع تصوره
ارتفاعه عز وجل وانما خص النبي عليه السلام بقوله الم تعلم وان الخطاب له ولغيره لذكره لعلم ولا احد
من البشر اعلم بذلك منه عليه السلام اذ ما وقف من اسرار ملكوت السموات والارض على ما لم يوقف
عليه غيره والقصد بالآية انهم لما انكروا النسخ عرفهم انه تعالى يفعل ما يكون من حكمه الى حكم على
ترك مصالحهم وبين ان ذلك ليس بعجز اذ هو قادر على كل شيء وما لك له ان يفعل لم ير الا العلم
ولم يعطف الثاني على الاول فقيل انه لما جعل حكم الثاني كالعلة الاولى اخرجه مخرج الاول
وكأنه قيل هو على كل شيء قدير لان له ملك السموات والارض واخراج الكلام على لفظ التقرير
لكونه ابلغ في حكم الخطابة وموضع قوله وما لكم معطوف على موضع ان الله له ملك السموات
قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى
من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل السبيل والطريق متقاربان لكن السبيل يقال على اعتبار السبل
كقولهم طريق مسلوك ومنه اسبلت الازار واسبل السبلة المسترسل من الشعر على الشفة
العليا والسبل المطر ما دام بين السماء والارض والطريق يقال على اعتبار طرقه بالارجل والسواء
اصله يستعمل في المكان الذي يستوي اليه مسافة الطرفين ومن ذلك معنى القصد والعدل
فصح ان تفسر بالوسط وبالقصد وبالعدل وليست هذه الالفاظ في تفسيره اقوالا مختلفة كما
ظنه بعض المفسرين واما ام فقيل هو معطوف على قوله الم تعلم وتقديره الم تعلموا ذلك ام تعلموا
فتسألوا رسولكم وقيل هو لاستيناف الاستفهام المسترسل كقول الشاعر
كذبتك عينك ام رأيت بواسط وسبب نزول هذه الآية فيما روي ان اهل الكتاب
سألوه ان ينزل عليهم كتابا من السماء وذلك ما ذكره في قوله عز وجل يسألك اهل الكتاب
الآية وقيل سأله مشركوا العرب وهو قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه

وقيل سألوه أن يجعل الصفا ذهبا فقال هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا وقيل سألوه أن يجعل
لهم ذات أنواط وهي شجرة يعلق عليها الأسلحة ليتصدروا بالمشركين في اتخاذها فقال عليه السلام الله أكبر
سألتم كما سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة إن قيل ما فائدة قوله ومن يتبدل
الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ومعلوم أنه من يبدل الكفر بالإيمان يعلم أنه قد ضل قيل سواء
السبيل وفي ذلك تنبيه أن ضلاله سواء السبيل أداه إلى الكفر بعد الإيمان ومعناه لا تسألوا رسولكم
كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤديكم إلى تبديل الكفر بالإيمان فمبدأ ذلك الضلال
عن سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان إلى وجه آخر وهو أنه سمى معاندة الأنبياء
بعد الحصول لما يسكن النفس إليه كفرا إذ هي مؤدية إليه كتسمية العصير خمرا فقال ومن يتبدل أي
طلب تبديل الكفر إلى المعاندة التي هي مبدأ الكفر بالإيمان أي بما حصل له من الدلالة المقتضية
لسكون النفس فقد ضل سواء السبيل ووجه ثالث وهو أن ذلك نهاية التركيب لمن ظهر
له الحق فعدل عنه إلى الباطل وأنه لمن حاد على نهج الطريق فماله وجه رابع وهو أن سواء
السبيل إشارة إلى الفطرة التي فطر الناس عليها والإيمان إشارة إلى المكتسب من جهة الشرع
فقال ومن تبدل الكفر بالإيمان أي بالإيمان المكتسب فقد أبطله وضيع الفطرة التي فطر الناس
عليها فلا يرجى له نزوع عما هو عليه بعد ذلك **ود كثير من أهل الكتاب
لو يردونكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين
لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله
على كل شيء قدير** الحسد كراهية نعمة على مستحق لها وعدت من عظائم الذنوب
إذ هو منازعة الله في إرادته وهو شر من البخل فإن الحسد يحب على الغير نعمة من أسفل العطايا
نعمة والعفو ترك العقوبة على الذنب والصفح ترك تثريبه وقد يعفو الإنسان ولا يصفح
عنه أي لا تنتهي صفحة جميلة معرضا عن ذنبه أو لقي صفحته متجافيا عنها ومتجاوز الصفحة
التي أثبت فيها ذنبه إلى غيرها من قولك تصفحت الكتاب وفي الآية تنبيه أن كثيرا من أهل



الكتاب يتمنون أن يردوكم بعد إيمانكم حسدا وقوله من عند أنفسهم أي هواهم كقوله تعالى واتبعوا
أهواءهم وعبر عن الهوى بالنفس وهي الأمارة بالسوء وبين أنهم فعلوا ذلك بعد وضوح الحق لهم والمعنى
حسدهم وسوءهم لا يحزنوك ولا يحملوك أن تجازوهم ثم أمر بالتجافي عنهم إلى أن يأتي الله بأمره مبشرا
لهم ووعدا بنصرهم لقدرته على كل شيء وروي عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله فاقتلوا
المشركين وقال غيره هي غير منسوخة وهذا الخلاف يرجع إلى الخلاف بين من قال إن الأمر
ورد مقيدا بأنها ما بين أو غير معين فورود الأمر حالا فيه يصح أن يقال هو نسخ له من حيث إنه
رفع الأول ويصح أن يقال إنه ليس بنسخ فإن النسخ في الأمر المطلق ۞ **قوله عز وجل
وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم
من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير**
هذا معطوف على قوله واعفوا واصفحوا ومعناه اشتغلوا بالعبادات التي تعود عليكم نفعها
نحو واستعينوا بالصبر والصلوة وجعل ثواب الفعل نفس الفعل لكونه إياه في التقدير وبهذا
النظر سمي ثوابا وهو الآيب إليه فلذلك قال تجدوه وبين أن كل خير حصله الإنسان فمدخر له
بخلاف أعمال الكفار الذي قال فيه وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وبخلاف
عمل الأشقياء الذي قال فيه كسراب بقيعة وعلى ذلك قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وأمنهم من ضياع ما تقدموه بقوله إن الله بما تعملون بصير ونبه على نحو قوله ليجزي الذين
أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى إن قيل كيف قال تجدوه ومن أحبط عمله لم يجده
قيل الخير المقدم في الحقيقة هو الذي لم يحبط فأما ما أحبط فقد أخرج من أن يكون خيرا وإن كان
قد يسمى في بعض الأحوال خيرا بالنظر من ضعف نظره ۞ **قوله عز وجل وقالوا لن
يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك
أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**

البرهان كل حجة لا يعتريها شبهة بوجه وهود قال الفرا اصله يهود فحذف ياوه لكونها زائدة
وقال غيره جمع هائد اى تائب نحو انا هدنا اليك وكانه كان فى الاصل اسم مدح لمن تاب منه
ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لجماعتهم كالعلم لهم وجعل معالمهم ذلك امانى من حيث ان الامنية
تقال فيما يعن التقدير ويستعمل تارة فى التقدير حقا كان او باطلا على ذلك حتى يتمنى ما يمنى لك
الماني وتارة فى المحال وقوله لن يدخل كلام ملفوف وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة
الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا النصارى فاجمل اكتفا بعلم السامع ان يرد
كلا الى ما يقتضيه ونحوه فى الاجمال قوله عز وجل جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ثم بجهم عن اقامة البرهان على ما ادعوه ثم قوله عز وجل
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند
ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بلى رد لدعواهم واثبات
لضد حكمهم والاسلام الدخول فى السلم وقيل للانقياد اسلام نحو قولهم اسلم السلك من يطهر
لك مهجات صغارا لان الانقياد للمسالم من مقتضى السلم وجعل الاسلام فى الشرع
ضربين ضربا دون الايمان ودونه وهو الاعتراف باللسان الذى يحقن الدما حصل معه الاعتقاد
الصحيح ام لم يحصل واياه عنى بقوله عز وجل قالت الاعراب آمنا وضربا بعد الايمان وهو فوقه
وهو ان يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفا بالفعل واياه عنى يوسف بقوله توفنى
مسلما وقال ان الدين عند الله الاسلام اى الطاعة التى تسليم للامر لله عز وجل وهذا الاسلام
من مبداه ومنتهاه بون بعيد وكان منتهاه على حسب طاقة البشر حال ابرهيم عليه السلم
حيث ابتلى فقيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم وفى بما كان منه وهذا هو الخلاص
المراد من الاوليا واصل الوجه العضو المقابل من الانسان فاستعير للمقابل من كل شى
حتى قيل واجهته ووجهته وقيل القصد وجه والمقصد وجهه وعلى ذلك اسلم وجهه ومن
يسلم وجهه الى الله واسلمت وجهى لله وعلى ذلك قوله وجهت وجهى للذى ولما جعل



ذلك القصد اضيف تارة الى القاصد كما تقدم وتارة الى المقصود كقولك يراد بذا
وجه الله وقد حمل على ذلك ويبقى وجه ربك وكل شى هالك الا وجهه وقيل الوجه فى هذه
المواضع اسم العضو مستعارا للذات وقوله اسلم وجهه اى نفسه والاحسان قيل هو الاتيان
بعد فرض العباد بالنفل وبعد اقامة العدل بالفضل ولما كذبهم الله عز وجل فيما ادعوه من دخول
الجنة بين ان من اسلم نفسه له على حد ما قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم وكان بصدد اياه فيما يتحراه وهو ملتزم مع فرائضه نوافل حصل له ما ادعوه وزيادة فان
له اجره وهو الجنة ومع ذلك فلا خوف عليه فى الدنيا ولا فى الاخرة اما فى الدنيا فان يجعل له
يقينا وصبرا او قناعة تنفى الخوف على شى يفوته والجزع لشى يرواه واما فى الاخرة فان يكفيه
شدائد يوم لا يغنى مولى عن مولى شيا ان قيل كيف قال فلا خوف عليهم وقد مدح المومنين
على خوفهم بقوله يرجون رحمته ويخافون عذابه قيل ان الذى نفى عنهم هو ما تقدم انفا و
الذى مدحهم به هو توفية حق العباد فان مخافة الله عز وجل اعظم عبادات وارسام من
اسه ولذلك قيل من لم يجم نفسه الدنيا فلا تعده خايفا وقيل معنى اسلم وجهه لله وهو محسن
اى من امن وعمل صالحا وما تقدم منطوى على هذا قوله عز وجل وقالت اليهود
ليست النصارى على شى وقالت النصارى
ليست اليهود على شى وهم يتلون الكتاب كذلك
قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون الكتاب يتناول كل
كتاب منزل والفرقان تعالى فى التورية والفرقان والقران يختص بالمنزل على محمد عليه السلم وروى
انه لما تقدم نصارى نجران على رسول الله عليه السلم اتاهم احبار يهود فتنازعوا عنده وقال كل
الفريقين للاخر لستم على شى فانزل الله عز وجل هذه الاية ان قيل كيف عرض تعالى بكلامهم
فيما ادعوه وقد صدق الفريقان على قول المسلمين ليس قول احد الفريقين بشىء من وجه

اذ هو سوء الحلم وبين ذلك على السبع القطع وكلى الفريقين في وقت وعلى وجه على حق على ان
القصد بالاية دلالة على جهلهم وخبطهم مع تساويهم في قراءة التوراة دالة على ما اختلفوا فيه من ان
كلي الفريقين حائد عن الطريق وانهم في الجهل او التجاهل كالمشركين الذين لا كتاب لهم في دعواهم
على اهل الكتابين والمسلمين انهم ليسوا على شيء ثم توعد الفريقين بحكمه بينهم يوم القيمة وقد ابهم
حكمه فيدخل فيه كل ما قالوه من قول من قال عن انتصاف المظلوم من الظالم وقول من قال عنى
تعريف المكذب من المكذب وقول من قال مثل قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين **قوله**
**عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر**
**فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان**
**يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم**
**في الاخرة عذاب عظيم** المنع ان يحال بين المراد ومريده ولما كان
الشيء قد يمنع صيانة له صار المنع متعارفا في المتنافس فيه والسعي مشي بسرعة وهو دون
العدو وخص بانواع من السعي منها الى السعاية اي الوشاية وسعي العبد في اكتساب
ما عتق به والتصرف للتكسب وجباية الصدقة حتى صار الساعي معروفا في جابي الصدقة وجعل
المساعاة كناية عن الفجور بالامة والخراب ضد العمارة وجعل الخربة لسعة خرق الاذن
تشبيها بالخراب وشبه عروة المزادة بها فقيل خربة والخارب السارق لتخريبه او لكونه
ساكنا في خراب متوحشا عن الناس فيكون بناؤه بناء حاضر وقيل هو مخصوص بسارق
الابل خاصة والاولى بالمساجد ان يكون عامة في كل مكان مهيأ للصلاة وقد قال عليه السلام
جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وعظم تعالى ظلم من سعى في المنع من ذكر الله وتخريب الامكنة
المختصة باهل الشرايع الجمة مسجدا كان او غير مسجد وليس التخريب الهدم فقط بل تعطيله عن
عبادة الله عز وجل وقول ابن عباس ومجاهد انه عنى به الروم اذ خربوا بيت المقدس و
قول غيره انه عنى بخت نصر لما خربه وقول من قال انه عنى المشركين اذ صدوا النبي عليه السلام



عن المسجد الحرام وكل ذلك امثلة منهم لمن حسب النزول هذه الاية لا انه لم يرد بها غير ذلك
بين ذلك انه قال مساجد بلفظ الجمع وقوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لفظه خبر ومعناه
منطوٍ عليه وعلى الامر فان بيوت الله عز وجل ممنوعة عن الكفار في دار الاسلام الا باذن
ويكونون خائفين والعلم ان لا يمكنوا الا بشرط حاجة يقتضي ذلك ثم ثبت لهم الخزي في الدنيا
وذلك تارة بالهوان الذي يجري عليهم وتارة باخذ الجزية منهم وقتلهم والسبي منهم ومنعهم عن
كثير مما يباح للمسلم واليه يطرقان وجماعه وصرواية وتارة بالهوان الذي يلحقهم في انفسهم من
خبثهم وجزعهم وخوفهم وساير الافات النفسية وتارة من حيرتهم من عقلهم لاضطراب
نفوسهم وقلقهم وقلة سكونهم لما اختاروه والى اشار تعالى بقوله ومن يشرك بالله فكانما خر
من السماء الاية **قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما**
**تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم** المشرق
والمغرب تارة يقالان بلفظ الواحد اما اشارة الى ناحيتي الارض واما الى المطلع والمغيب
وتارة بلفظ التثنية اشارة الى مشرقي ومغربي الشتاء والصيف وتارة بلفظ الجمع اعتبارا بالخلاف
المغارب والمطالع كل يوم وشرقت الشمس طلعت واشرقت اضاءت وذلك اذا اكثر شروقها
وشرقت اللحم القيته على الشمس المشرق والمشرق المصلي لانه تقام صلوة عند شروقها وشرس
الثوب بالصبغ تشبيها بلون الشرقة والغروب للشمس تصور منه تعدها عن العمارة فقال
لكل متباعد غروب ومنه الغراب لكونه مبعدا في الذهاب وعازب السنام لبعده عن
المنال وغرب السيف ابعد جزء من صفحته ثم تصور منه حده فقيل لسان غرب وسمي
الدلو غربا لتصور بعدها في البير ثم سمي الماء لتسميتهم اياه بالذنوب لكونه فيها والغرب
للذهب لكونه عزيزا فيما بين الجواهر والغريب لبعده عن المتمرات من الاسجاد والمتولد
لما تقدم انه عنى بالمساجد حيث ما صلى فكانه قيل لا يعتبر الامكنة فلله عز وجل ملك الدنيا
وحيث ما توجهتم فهو موجود يمكنكم الوصول اليه اذ ليس بجوهر ولا عرضا فيكون مكون كونه

في جانب مغربها جانبا ومنه بقوله واسع على احاطته بالاشياء وبالعليم انه لا يخفى عليه خافية وقد حمل
اكثر المفسرين الاية على انها واردة في القبلة فمنهم من قال ذلك توطية لجواز نقلها وتعريف
لهم انه ليس المعبود سبحانه في حيز دون حيز وقيل ان ذلك في زمان كان يجوز الصلوة
فيه الى كل جهة حتى امر الله بقوله فول وجهك شطر المسجد وهو قول قتادة وابن زيد وذلك
بعيد لان القبلة كانت مخصوصة وعلى ذلك قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وقيل
ان ذلك في النافلة وجوازها حيث ما توجهت به الراحلة واليه ذهب ابن عمر وقيل انزل في قوم
صلوا في ظلمة خفيت عليهم جهة القبلة فلما اصبحوا كانوا قد صلوا الى غير القبلة فانزل الله عز وجل
ذلك واليه ذهب ابن عباس وجماعة وقد تقدم معنى وجه الله ه **قوله تعالى وقالوا**
**اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات**
**والارض كل له قانتون** القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع و
لما كان لها فسر كل واحد منهما فسر في قوله وقوموا لله قانتين اي خاضعين وقيل طائعين
ولما كان من تمام القنوت القيام والسكوت ما لم يكن لغير خلافه استعمل منهما فقيل في
قول النبي عليه السلام لما قيل له اي الصلوة افضل قال طول القنوت اي القيام ولما ادعى
النصارى في المسيح واليهود في عزير انهما ابنا الله ومشركوا العرب في الملائكة انهم بنات
الله تقدس الله تعالى عن ذلك نبه على اقوى حجة على نفي ذلك وبيانها هو ان لكل
موجود في العالم مخلوقا طبيعيا او مصنوعا صناعيا غرضا وكمالا اوجد لاجله وان كان قد يصلح
لغيره على سبيل العرض كاليد للعمل والرجل للمشي والسكين لقطع مخصوص والمنشار
للنشر وان كان اليد قد تصلح للمشي في حال والرجل للتناول لكن ليس على التمام والغرض
في الولد للانسان انما هو ان يبقى به نوعه وجزء منه لما لم يجعل الله له سبيلا الى بقائه
شخصه فجعل له هذا الحفظ نوعه ويقوي ذلك انه لم يجعل للشمس والقمر وساير الاجرام
السماوية بذرا واستخلافا لما لم يجعل لها فناء كالنبات والحيوان ولما كان الله تعالى هو الباقي



الدائم بلا ابتداء ولا انتهاء لم يكن لاتخاذ الولد لنفسه معنى ولهذا قال سبحانه ان يكون له ولد ثم
هو منزه عن السبب المقتضي للولد ثم لما كان اتخاذ الولد لفقر ما وذلك لما تقدم ان الانسان
افتقر الى نسل خلفه لكونه غير كامل في نفسه بين تعالى بقوله له ما في السموات والارض انه
لا يتوهم له فقر فيه يحتاج الى اتخاذ ما يسد لفقره فصار في قوله له ما في السموات والارض
دلالة ثانية ثم زاد حجة بقوله قانتون وبيانه لما كان الولد يعتقد فيه خدمة الاب ومظاهرته
كما قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة بين ان كل ما في السموات والارض مع كونه ملكا له
قانت له ايضا اما طايعا واما كارها واما مسخرا كقوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وهذا ابلغ حجة لمن هو على المحجة ان قيل من
اين وقع لهم الشبهة في نسبة الولد الى الله تعالى قيل قد ذكر ان في الشرايع المتقدمة كانوا
يطلقون على الباري تعالى اسم الاب وعلى الكبير منهم اسم الاله حتى انهم قالوا ان الاب
هو الرب الاصغر وان الله هو الاب الاكبر وكانوا يريدون بذلك انه تعالى هو السبب
الاول في وجود الانسان وان الاب هو السبب الاخير في وجوده وان الاب هو معبود
الابن من وجه اي مخدومه وكانوا يقولون للملائكة الهة كما قالت العرب للشمس الالهة
كانوا يقصدون معنى صحيحا كما يقصد علماؤنا بقولهم الله محب ومحبوب ومريد ومراد
ونحو ذلك من الالفاظ وكما قال للسلطان الملك وقول الناس رب الارباب واله الالهة
وملك الملوك حتى انكشف عن تقدم ذلك التعارف ويقوي ذلك ما روي ان يعقوب كان
يقال له بكر الله وان عيسى كان يقول اذاهب الى ربي ونحو ذلك من الالفاظ ثم تصور الجهلة
منهم باخرة معنى الولادة الطبيعية فصار ذلك منهيا عن التفوه به حتى صار تهاترها عن هذا الاعتقاد
حتى صار اطلاقه وان قصد به ما قصده هو لا فرق في الكفر وقد استدل بعض الفقهاء بهذه الاية
على ان الملك لا يقارن الولادة وان من ملك والده او مولوده عتق عليه لانه تعالى نفى عن نفسه
الولد باثبات الملك له وهذا بعيد عما قصد في الاية بالمقال وان كان فيه مجال للجدال

قوله تعالى بديع السموات والارض واذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون البديع يقال للمبدع والمبدع
جميعا والابداع اجاد فعل لا عن احتذاء ولهذا صار ملان بدع فلانا وجعل البدعة
اسما لكل مخترع لم يوثر عن ارباب الشرع والقضا اتمام الشئ قولا او فعلا من القول
قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقضينا الى بنى اسرايل في الكتاب ومن
الفعل قوله فقضيهن سبع سموات وقضى فلان دينه وقضى نحبه والقضى الامر وتقضى
بلغ اخره وذكر تعالى هذه الاية مجددا بعد شرحها ان الاب هو عنصر الابن منه يكون
والله مبدع الاشيا كلها فلا يكون عنصر الولد فمن المحال ان يكون المفعل فاعلا وخص
لفظ الابداع لكونه ابلغ لفظا وابعده عن الاحتمال وذلك ان افعال الله تعالى على
ثلثة اوجه ابداع وهو اختراع الشئ لا عن شئ ولا في زمان ويستعمل ذلك في انشاء
تعالى المباري وصنع وهو تركيب صورة مع العنصر ويستعمل في انشاء الاجسام وتسخير وهو
سوق الشئ الى غرضه المقصود منه طوعا او قهرا ويستعمل في القوى التي اوجدها تعالى والسحاب
والمطار والغذية والادوية وكل هذه الثلثة تعالى الله الخلق واقدمها الابداع ومنه قوله
واذا قضى امرا على حجج خمسة وهو ان الولد يكون بنشو وتركيب حالا بعد حال وهو اذا
اراد شيا فقد فعل بلا مهلة ولم يرد باذا حقيقة الزمان اذ كان ذلك اشارة الى ما قبل وجود
الزمان ولم يرد انها كن حقيقة اللفظ وارادة التعقيب الزمان بل استعير كل ذلك
لانه اقرب ما نراى انا به شرعه الفعل وتمامه وذكر لفظ اذ هو لتمام الفعل والامر لكونه مطوعا
على اللفظ وعلى الفعل والقول اذ هو اخف موجد منا واسرعه ايجادا ولفظ كن لهم
مغناه واختصارا قال فيكون تنبيها انه لا يمتنع عليه شئ يريده ايجاده ولكن قيل وان
كان مخرجها مخرج شئين احدهما مبنى على الاخر فهو في الحقيقة شئ واحد وتحوه قولنا
فلان اذا اراد شيا فقد كان ما اراد واختلف في تفسير هذه الاية من حيث ان كن لفظ



امر والامر اكون الى الموجود فعلى قال لفظ الشئ مخصوص هاهنا للموجودين الذين قال
لهم كونوا قردة خاسئين وقيل فقال هو خطاب لمن يحييهم من الموتى وقيل امر الشئ
في حال تكونه لا قبله ولا بعده وقيل فقال هو امر للمعلوم له وذلك في حكم الموجود وان كان معدوما
الذات وقيل فقال هو امر للمعدوم قال وصح امر المعدوم كما صح امر الموجود وقيل قال انه جعل
كن دليلا للملائكة على ما يقتضيه من الافعال واكثر هذه الاقوال بين وهيئ بتصور ما
تقدم قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا
الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل
قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم
يوقنون اليقين ابلغ علم واوكده وهو ان يكون عالما بالشئ وعالما بانه يعلمه
غير شاك ولا يمتنع للشك ولذلك قيل هو المعلوم الذي زال عنه المعارضة
على مرور الاوقات والعالم يوصف الباري تعالى به من حيث انه لا يستفيد العلم
بالكسب ولهذا قال تعالى في صفة ابرهيم عليه السلم وكذلك نرى ابرهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين ولعنى بالذين لا يعلمون الكافرين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول مجاهد هم النصارى وابن عباس هم اليهود والحسن
وقتادة هم مشركو العرب كله محتمل ويصح ان يكونوا جميعا مرادين فقد قال تسالك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وسالوا العرب قالوا لن نومن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعنى بالذين من قبلهم من سلف من كافري الامم
فقد قال اصحاب موسى ارنا الله جهرة واصحاب عيسى قالوا انزل علينا مايدة من السما
ثم من ايهم متشابهون في العمى والجهالة واقتراحهم على رسلهم كقوله انتوا صوابه بل هم قوم
طاغون ان قيل ايهم وان اختلفا في قولهم لولا يكلمنا الله فانهم لم يختلفوا في سوال الاية
اذ ليكذبهم الانسان ان يومن الا لمن بان بايه بدل على صدقه قيل انما انكر عليهم مجموع

الايات التي اتاهم ولذلك قال بعد الايات كما قال وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه قل انما
الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقوله لقوم
يوقنون فيه معنيان احدهما انهم يطلبون اليقين وليس بهم المعانده والثاني ان من حصل له اليقين
بالحق المحض وليس يعتريه شبهه فله في القران ما اغنى من الايات كما قال هو للذين امنوا هدى
وشفاء وفي اذانهم وقر وهو عليهم عمى وذلك ان الشبهه شديد الشبه كانه نظر الى قوله تشابهت قلوبهم وذلك خطاب لان
المتشابه اصله تشابه ما لم يكن في شابهت ذلك من قال هذا الجاهل في سوالهم في اتيان الايه فسوال
جاهل لحكمه الله عز وجل فما اقتراح جاهل وشبهه بالجون للحكيم ان يفعل ما شاء في مقتضى الحكمه
ومعارضات العله بغير سوالهم والى ذلك اشار بقوله ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم الجحيم المتاجج من
النار يقال جحمت النار وشبه جحمه عين الاسد بها فقيل لها جحمه وجاحم الحرب تشبيها به
فبين تعالى ان عليك البشارة والانذار وليس الزامك عنادهم تسليه له لقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم وقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله
عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله ولا تسال حال معطوف على قوله بشيرا ونذيرا وقرا
نافع ولا تسال بالجزم فقيل ذلك تفخيم لشانهم وقيل نهي عن تتبع ما اعتاه الله عنه من احبار
من مضى وبعد وقيل انه عليه السلام كان يستغفر لابيه فنهاه الله تعالى عن ذلك لقوله ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى قوله عز وجل
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من
ولي ولا نصير الملة من املاك الكتاب وسمى اسم لما شرعه الله تعالى العباد

على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه والدين مثله لكن الملة يقال باعتبار دعا الله تعالى
وانزل كتبه والدين باعتبار طاعة العباد له باجابته دعايه والانقياد لامره والشي الواحد
قد يسمى باسمين على اعتبارين ثم يقال الملة والدين لما لم يكن من قبل الله على التقييد كقولك
مله من دل ودينه والهوى راي عن شهوه داع الى الضلال وسمي بذلك لانه يهوي بصاحبه
في الدنيا الى كل داهيه وفي الاخرة الى الهاويه ولهذا سميت النار هاويه ولسدة سلطانه وصفه
الله بانه اله الكفار فقال افرايت من اتخذ الهه هواه ومعنى الايه ان من حالهم لا يرضون عنك
الا متابعه ملتهم بينهما انه لا يرضيهم الا ما لا يجوز وقوعه منك ثم بين ان اتباعهم ليس بهدى
وان الهدى هو هدى الله الى ما شاء لقوله من يهد الله فهو المهتدي ثم حذره فقال ولئن
اتبعت اهواءهم وذلك تحذير له ولامته لكن خص بالذكر لان انا الله بل اولياءه بالذكر مثل الى
ضال يكونون في حلم باشتهارهم وربما يعد ذلك في جرائمهم الكبيره ويوجدون بالتوحيد
عنهم به وذلك معلوم في المعارف فان من حصل له زلفه متناهيه من السلطان له
يتحاشى عما يقع منه من ادنى مخالفه فالتحاشي عن الاجانب ولهذا قيل كبائر الاولياء صغائر
العوام وقيل فاحشه الاولياء التواني في تعهد الانفاس وفاحشه العوام فيما فيه الحدود و
انما قال اهواءهم بلفظ الجمع تنبيها على ان لكل منهم غير هوى الاخر ثم هوى كل واحد
منهم لا يتناهى ونحو ذلك قوله ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون وقوله قل لا اتبع اهواءكم
قد ضللت اذا وما انا من المهتدين وقوله للمومنين فلا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وذلك تحذير من الهوى جمله و
قد يتعلق بهذه الايه من جعل الكفر كله مله واحده لانه جمع بين اليهود والنصارى
وسمى طريقتهما مله واحده قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون به ومن يكفر به
فاولئك هم الخاسرون قد تقدم الكلام في التلاوه وانها تلوه بالقراه

جمعا نحو عدد وتام وليل تام وحول تام الحلقه والكمال اكثر ما يقال في الممسوح والمشبه به
وقوله ملك عشر كاملة فالمراد بالكمال الحكم لاكمال العدد لما فقده بعض الملحه فاعترض عليه
بالواو زاد الواو في الشرف عليه الشئ ومنه وفا العهد واوفى على كذا اى اشرف عليه والوافر
ما لم ينقص منه شئ ومنه الوفر وسقا او فرلم ينقص من ادنه شئ والذهبه الجارية الصغار و
الكبار وقيل هي الصغار وقيل اصله من الذهب والذرا اصله من ذرءت او ذرت قال
ابو عبيده اصله العمر من ذراء الله الخلق ثم ترك همزه على غير قياس والمام في الاصل المؤتم
به محقا كان او مبطلا ومنه قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وقوله جعلناهم ائمه يدعون
الى النار وفي اطلاق الشرع اسم المقتدى به المشترك بالشرع وسواء من النبي والخليفه
ادخل في خليفه امام وليس كل امام وهي خليفه والكلمات وقع على الالفاظ المنطوقه و
على المعاني التي تحتها فقوله وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته اى قضيته
وحكمه وقال لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولم ترد اللفظ
فان حصر اللفظ هو الخط والكلمات التي املى بها موسى محبوبه وذكر المفسرون انها عشر
يصح ان يكون كلها مرادا فقيل هي عشر سين خمس في الراس المضمضه والاستنشاق
والفرق وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط والختان
وحلق العانه والاستنجا وقيل هي خصال محمد ذكر بعضها في سوره التوبه وبعضها في
سوره المومنين وبعضها في سوره سال سائل وقد تقدم ذكرها في قوله صلى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه وقيل هي مناسك الحج المذكوره في قوله واذ بوأنا لابرهيم مكان
البيت الايه وكل ذلك عن ابن عباس وقيل هي اسلاوه بالكوكب والقمر والشمس و
قيل ابتلاه بانفاق ماله وبحر او طانه وذبح ولده والقايه في النار فلما لم يكن يوثر على
اختيار الله في شئ من ذلك قال فيه فاتمهن ولما وجد الوفا بها المذكور في قوله وابرهيم الذي
وفى وسماه حنيفا مسلما وقال اني جاعلك للناس اماما وجعل امامته للناس كافه على التابيد فلما



ماره وسيع المعنى مارة وباستعمال مقتضاه ماره وهو المعنى بقوله حق تلاوته وعليه دل قول
ابن عباس وابن مسعود يتبعونه حق اتباعه وقول مجاهد يعملون به حق عمله وقول عمر حق
تلاوته اذا ذكر الجنه سال الله الجنه واذا ذكر النار تعوذ منها وذلك عام في كتب الله
تعالى وفي اربابها وقول قتاده هم اصحاب النبي وقول ابن زيد هم اليهود والنصارى وقول
غيرهم الذين اسلموا من مشركي العرب كلها داخل فيه وعموم اللفظ يقتضيه وقوله الذين
مبتدا وتلوه صله لهم واولئك خبره والمعنى هم الذين حصل لهم الايمان به دون الذين
كفروا به وليس لهم الا الخسران المبين وخولف ذلك في قوله تعالى ونزل من القران ما هو شفاء ورحمه
للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وهذه الايه كالمحقق لما علم من قوله وقال الذين
لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا ايه ☜ قوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعه ولا هم ينصرون
الاسن وسئل عن فايده تكريرها وانه قال في هذه الايه ولا تقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعه وفي الايه المتقدمه قال لا تقبل منها شفاعه ولا توخذ منها عدل والجواب
اما التكرير فعلى سبيل الانذار والواعظ اذا وعظ الامر قد يكرر الذكر لعظم الحاله تعظيما
لامرها واما النعمه المنظم فلما كان قبول العدل واحده وقبول الشفاعه ونفعها
مما الرحمة لم يكن بين انتفاء هذه العبارات واحدها فرق في المعنى ☜ قوله عز وجل
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين الابتلاء كالاختبار لكن الابتلاء طلب اظهار الفعل والاحصاء وطلب الخبر
وهما متلازمان والتام والكامل والوافر متقاربه لكن التام يقال للعدد والممسوح

لم يبعث بعده نبي الا من ذريته كما قال تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وقال وجعلها
كلمة باقية في عقبه حتى قال النبي محمد عليه السلم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقال
ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وامر عليه السلم بذكر ابرهيم في الصلوة فقال اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم ولم يرد بالامام ههنا النبوة كما ظنه بعض المفسرين
فانه عليه السلم امام الناس على العموم في كل زمان على الاطلاق وليس شي لهم على
الاطلاق ولما قيل له ذلك قال ومن ذريتي فاحب العموم ملتمسا بقوله لا ينال عهدي
الظالمين لانه تعالى بين انه قد يكون من ذريته ظالم وبين ان الامام متحمل للعهد والظالم
لا عهد له فاذا الظالم لا امامة له ولهذا ما روي في الخبر ان الله تعالى يقول يوم القيمة لولاة السوء
اكلتم اللحم وشربتم اللبن ولبستم الصوف ولم تؤوا الكسير ولم تردوها في مرعاها واستدل بالاية
بعض الناس وزعم ان الظالم بارتكاب السوء اذا عوهد لم يلزم الوفا بعهده وقال الحسن ان الظالم لا يجعل
الله له عهدا الا قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم و
اسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع
السجود البيت سمي اعتبارا بالمبيت فيه ومنه قيل بيتهم وبات ببيوت بات
بالليلة في انامه ثم ترك اعتبار المبيت وروعي صورته وبه سمي بيت الشعر اعتبارا
بانه مبني من اوتاد واسباب سابية الشعر والوبر من لحمها وسمي البيت لوجود صورته
البيت فيه والمثابة اما لثوب الناس اليه واما لاستحقاقهم الثواب بقصده ان
قيل كيف جعل مثابا وعامة قصاده لا يثوبون اليه قيل ذلك اعتبار جنس الناس
لا باحادهم واعتبر بعض الناس ما قاله واستدل بالاية في وجوب العمرة فقال المكوث
مثابة احلا قصاده الا على هذا الوجه ومقام ابرهيم الحرم عن ابن عباس والمزدلفة عن عطا
والحج عن السدي والاولى انه الحرم كله فامر بموضع ذكره الا وهو مصلى لمن دعا او موضع



صلاة والطواف المشي حول الشي ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظا وطائف من الجن
والخيال وجعل الطوافون عبارة عن الخدم والعكوف الاقامة مع الملازمة بين تعالى انه جعل
البيت من حيث الحكم مثابة للناس وامنا ومصلى ولم يعن انهم ملجؤون الى ان لا يخفوا الحدا
كما لم يعن انهم ملجؤون الى ان يجعلوه مصلى ومثابة فان قيل فقد قال فيه ايات بينات مقام
ابرهيم ومن دخله كان امنا قيل هو على معنى الاول ولو عني ما علق له حال وان من دخله حتى كان
متعلقا بالاول على ذلك حكم قوله او لم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم على
ان حكم الله تعالى في ذلك فما فيه اية بينة لانه تنقض الناس على استعظام البيت حتى لا يجسر
عامهم على تضييع حرمته ومن صنعها كان معفوا في فتوحها انه عن مثل هذه عقوبة اما معجلة للمناظر
او ظاهرة لذي البصائر وقريش واحدوا على الامر ... النبي عليه السلم قال الحرم انتهى
الى المقام هذا المقام انشاء ابرهيم مصلى يقال هذا ابرهيم ... من الحجر المعطوفة والمعطوف
عليهما وعهدنا الى ابرهيم امرناهما ووثقنا عليهما ان يطهرا البيت من الانجاس والشرك وكل ما ينافي
موضع الطهارة للطائفين لاي القصاد وقيل اولى الطواف والعاكفين المقيمون واراد بالركع السجود المصلين
وقيل قد دخل الامر بتطهيره ان بناه على تقوى كما قال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير الاية قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن بالله واليوم
الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى
عذاب النار وبئس المصير البلد المكان الاثر الباقي وسمي المدينة
وكركرة البعير المفازة بلدا للاثار الطامسة بها وقيل للاثار في الجلد بلادة والبليد المقيم
على بلده الى مكانه ثم جعل عبارة عن لا نفاذ له في الامر حتى صار املا له والمصير المنتهى اليه
في الامر ومنه المصير لمنتهى الطعام وصير الشي طرفاه كالرسة للغنم وصير الباب
حيث مصيره ... سمي الباب اعتبارا بصورته الحقيقة مقتضى اللفظ الاضطرار

حمل الإنسان على ما يضره وهو في التعارف حمله على الأمر يكرهه وذلك على وجهين أحدهما بسبب
خارج وهو إما أن يضرب أو يهدد بالضرب حتى يفعله منقاداً وإما أن يوجد سبيله فيفعل ذلك
والثاني بسبب من داخل وذلك إما بقهر قوة له لا يناله بدفعها الهلاك كمن غلب عليه شهوة خمر أو
قمار أو بقهر قوة يناله بدفعها الهلاك كمن اشتد به الجوع فاضطر إلى أكل الميتة أو تناول مال الغير
ولما سأل إبراهيم عليه السلام البيت في بقعة من شرط المدن أن يجري في بنائها موضع يمكن أن يحرث فيه
بنهر أو شق فيه قناة ويتخذ فيه مزرعة تفي بمطاعم قطانها وعلم أن لا قوام لهم إلا بأن يجبى إليهم
الثمرات ولا يمكن جبي الثمرات إليه إلا بإقامة سأل الله عز وجل أن يجعله بلداً آمناً سياسة إلهية
وأن يرزق أهله ليسخر الناس لجبي الثمرات إليه ولما سأله لهم الرزق وكان فيهم خوارج سؤاله
الإمامة لأنه سمع تذكر سؤاله فقيده وقال من آمن منهم فقال تعالى ومن كفر بين أن رحمته
في الدنيا وسعت كل شيء وإن نعمه فيها مباحة للكل ليجعلوها ذريعة إلى إدراك ثوابه من كفر
وصح أنه مسوق إلى عذابه إن قيل إن قوله فأمتعه يقتضي كثرة متاع الفعل وقوله قليلا
ينافيه فكيف جمع بينهما قيل ذلك على وجهين فإن نعمته في الدنيا وإن كانت كثيرة بإضافة
بعضها إلى بعض فقليلة بإضافتها إلى نعمة الآخرة وعلى هذا قال قل متاع الدنيا قليل و
كيف لا يعد ما سماه بالإضافة إلى ما لا يتناهى واستصحب قليلا إما للوقت وصفاً للمصدر محذوف
أو تكون ظرفاً ويكون في العبارة به عن الزمان كقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين

**قوله عز وجل وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**
الرفع والوضع يتقابلان ويقال في
الأجسام وفي الشرف والدلالة على النسبة ولذلك يقال في الإعراب للنسبة و
القعود المقابل للقيام ثم جعل للثبات وقيل لأساس البيت قواعد وامرأة قاعد كناية عمن لم
يتزوج وعمن لم تحمل وعن الحائض وعمن يئست بالأولاد لتمام وقيل للمتقاعد عن طلب الشرف
والقعدة هاهنا عن الرجعة اعتبار القعود كما في الترك القعدة الفرس المتقعد في أكثر الأحوال



والقعود من البعير المدرك اقتعاده وقيل إن إبراهيم كان يبني وإسماعيل يرفع إليه الحجارة ويناوله
وذلك لا يمنع من أن يكون الفعل منسوباً إليهما وقول من قال يجب أن يكون إبراهيم هو الذي بناه
مرة وإسماعيل مرة حتى يصح نسبة الفعل إليهما فقصد التصور لسعة مجال الألفاظ والخلف
فيه أنه هل كان البيت سابقاً لإبراهيم فأعاده أو هو الذي أحدثه وأنشأه فليس مما يفتقر معنى
الآية إليه وقيل ليس يعني برفعهما قواعد البناء فقط بل نحو ما أشير إليه بدعاء الناس إليه ودعا
الله عز وجل بحط وصح نسبة ذلك إليهما وإن كان الله تعالى في الحقيقة شرعه من حيث إنهما
من الأسباب المباشرة لشرعه **قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** النسك العبادة والناسك الآخذ نفسه
بلوغ ما يصبها حسب طاقته وسمي أعمال الحج المناسك ثم خص الذبيحة بالنسك والموقف فيه
حتى قيل نسك فلان أي ذبح وقيل الذبيحة نسيكة ولم يعن بالمسلم هاهنا من حقن دمه با
لشهادتين كما ظن بعضهم وقال هذا دعاء بما علم أنه لهما لا محالة وإنما عني من ليس في قلبه تعظيم
غير الله معه وهو المعني بالمضروب له المثل في قوله ورجلاً سلماً لرجل وبقوله إلا من أتى الله
بقلب سليم وقوله توفني مسلماً وهذه خاصية الإيمان ونبه تعالى بالآية أن من حق الإنسان
أن يكون مع تحري الحق لا يغفل من التضرع إلى الله عز وجل بإرشاده وتوفيقه ومن طلب أن
يتوب عليه من ذنب عسى إن كان منه وهو غافل عنه فإن قيل ولم قال ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك ولم يعم قيل إن هذه منزلة شريفة لا يكاد يختص بها إلا الواحد فالواحد في
برهة بعد برهة وعلم أن الحكمة الإلهية لا تقتضي ذلك فإنه لو جعل الناس كلهم كذلك لما
تمشى أمر العالم إذ كان العالم يفتقر إلى أن يكون فيه أفاضل وأوساط وأراذل ليتولى عمارته و
تمشية أموره فقد قيل عمارة الدنيا بثلاثة أشياء أحدها الزراعة والغرس والثانية الحماية والحرب
والثالث جلب الأشياء من مصر إلى مصر وأيم الله لا يصلحون لذلك إذا كانوا العرض أحرار

من ذلك ولهذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وانما عنى الحمقى المعنيين بامر الدنيا باضافته الى
المعنيين بامر الاخرة ولذلك قال واستعمركم فيها ﴿قوله تعالى ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويزكيهم انك انت العزيز
الحكيم﴾ العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب وتعزز فلان تعلان (؟) والعزاز من الارض ما فيه صلابة
ما الدليل (؟) عن الشيء اذا امل اعتبارا ان كل موجود مجهول وكل مفقود مطلوب والحكمة
حدت بحدود على اعتبارات مختلفة اما اعتبار ابتدائها فقد قيل هي معرفة حقائق الاشيا
وقيل معرفة الاشيا الانسية والالهية وهذا اشرف كالاول (؟) واما اعتبار انتهائها فقد قيل
هي اماتة الشهوة وقتل الملذات بالموت المحمود وقيل التزيح بالعمل والعلم لادراك ثواب الله
فاما الرسول الذي طلبه ابرهيم عليه السلام فهو محمد روي عن نبينا عليه السلام انه قال انا دعوة ابي
ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم يعني بالاول قوله وابعث فيهم رسولا منهم وبالاخر قوله ومبشرا
برسول ياتي من بعدي ان قيل كيف قال يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة و
ليس الكتاب الا الايات وما وجه هذا الترتيب قيل اما الايات فهي الامارات الدالة على
صحة النبي عليه السلام وذكر التلاوة لما كان اعظم دلالة سوره متعلقا بالقران واما الترتيب فلان
اول منزلة النبي عليه السلام بعد ادعاء النبوة الاتيان بالايات الدالة على نبوته ثم بعده تعليمهم الكتاب
اي تعريفهم حقائقه لا الفاظه فقط ثم تعليمهم الكتاب توصلهم الى افادة الحكمة وهي اشرف
منزلة العلم ولهذا قال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم التزكية (؟) في الحكمة يصير الانسان
مرضيا لن يظهر مستصلحا لمجاورة الله تعالى ﴿قوله تعالى ومن يرغب
عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا
وانه في الاخرة لمن الصالحين﴾ الرغبة سعة الارادة ومنه ... رغب
اي اتسع والرغيب الشيء المرغوب فيه ومتى عدي بعن اقتضى صرف الارادة عن ذلك
الشيء وذلك بالزهد فيه والاصطفاء تناول صفوة الشيء كما ان الاختيار تناول خيره والاجتبا

[ويعلمهم الكتاب والحكمة]



تناول جبايته اي وسطه وهو المختار وسفه نفسه قيل تقديره سفه نفسه وقيل اصله سفه نفسه
فصرف الفعل عنه نحو بطر معيشته وسفه نفسه ابلغ من جهلها وذلك ان الجهل ضربان جهل
بسيط وهو ان لا يكون للانسان اعتقاد في الشيء وجهل مركب وهو ان يعتقد في الحق انه
باطل وفي الباطل انه حق والسفه ان يعتقد ذلك ويتحرى بالفعل مقتضى ما اعتقده فبين
تعالى ان من رغب عن ملة ابرهيم فان ذلك لسفهه نفسه وذلك اعظم مذمة فهو مبدا لكل نقيصة
وذاك ان من جهل نفسه جهل انه مصنوع واذا جهل كونه مصنوعا جهل صانعه واذا لم يعلم
ان له صانعا فكيف يعرف امره ونهيه وما حسنه وقبحه ولكون معرفتها ذريعة الى معرفة الخالق
جل ثناؤه قال وفي انفسكم افلا تبصرون وقال الذين نسوا الله فانساهم انفسهم فان قيل كيف
وصفه بالاصطفا في الدنيا وبالصلاح في الاخرة والنظر يقتضي عكس ذلك فان الصلاح
وصف يرجع الى الفعل وذلك يكون في الدنيا والاصطفا حال يستحقه العبد بكونه صالحا فيه
ان يكون في الاخرة قيل الاصطفا ضربان احدهما كما ملك والاخر في الدنيا وهو اختصاص الله
بعض العبيد بولايته ونبوته لخصوصية فيه وهو المعنى بقوله شاكرا لانعمه اجتباه والصلاح
وان اعتبر احوال الدنيا مجازيه في الاخرة فبين تعالى انه مجتبى في الدنيا لما عرف الله من
حكمته فيه ومحكوم له في الاخرة بصلاحه في الدنيا منبها ان الثواب في الاخرة لم يستحقه
باصطفايه في الدنيا وانما استحقه لصلاحه فيها ويجوز ان يكون قوله في الاخرة ليس في افعال الاخرة
لمن الصالحين ويجوز انه عنى بقوله في الدنيا حال بقائه وفي الاخرة حال موته ويكون الاشارة
بصلاحه الى الثنا الحسن عليه الذي رغب الى الله تعالى فيه بقوله واجعل لي لسان صدق
في الاخرين ويجوز انه لما كان الناس ثلاثة اضرب ظالم ومقتصد وسابق عبر عن السابق
بالصالح وكل سابق الى طاعة الله ورحمته صالح وفي الجملة فان الصالح هو الخارج عن حد الرذيلة وليس
في الدنيا على الاطلاق بكل نظر صالح بل عامة ما فيه يمكن ان يوصف بفاسد اما في حاله او مآله او ...
ما دام الصلاح المطلق في الاخرة فلهذا خصه بها ﴿قوله تعالى اذ قال له ربه اسلم

قال اسلمت لرب العالمين لما سال الله تعالى بقوله اجعلنا مسلمين
لك اجابه تعالى بقوله اسلم اى اخلص سرك فانه موضع الاطلاع والى ذلك اسار النبى عليه السلام
بقوله الخاص يكفى القليل من العمل وبقوله الاعمال بالنيات وقوله وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وقيل معنى اسلم استاسر لى لقولك للاسير استسلم وقيل معناه اجعل
نفسك مسلمة عن اسر الشيطان حيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذان
القولان واحد فى الحقيقه فان من اسره الرحمن فاستاسر له فهو الحر المطلق عن عباك غيره وقد
قيل ان تكون عبد الله حقا حتى يكون ذا دونه مستريحا والى ذلك اشار بقوله ولا اشرك
بعبادة ربه احدا وروى انه لما طلب الخلة من الله اوحى اليه فقال من طلبنى بليتنى فقال
اذ ابتليت الخلة لم ابال بالبليه ملمات عليه حول فقال من اجبتى قبله فقال اذا انهيتنى الى الخلة
لم ابال بقتل الابناء وقوله اسلمت مبنى فى المعنى على الاول وكانه موعد منه انه متاهب لما يراد
منه ومدحنا الله تعالى على الاقتداء به فى الاستسلام له والاستغناء منه اشرف الكبر حيث قال
قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون الوصيه للعدم
الى الغير بامر به مقرونا بوعظ واشتقاقه من وصاه اى وصله ويصاده فصاه لى فصله
وقوله بها الى بالمسلمه وقيل بالكلمه التى دل عليها قوله اسلمت وكلاهما غير متنافل من الاخر
اذ كانت هذه الكلمه من جمله الملة والملة مقتضيه لهذه الكلمه فمن تعالى ان ابرهيم
وصى بنيه ويعقوب بنيه اضافها كما اوصى ابرهيم وقال ان الله اصطفى لكم الدين
اى دين ابيهم فحذف القول ليضمن الوصيه اذ لك وحث على الاسلام لما اسلموا اصل ان موتو
وليس ذلك نهيا عن الموت وانما موحث على الاسلام المتقدم ذكره فهو الذى يصل الحيوة
الابديه المذكوره فى قوله ويا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
قوله تعالى ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ



قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن
له مسلمون الشهود حضور بالذات او بالعنايه او بالمقال واحضر الفرس اصله صار
ذا حضور والفرق بين الحضار والعدو ان الحضار تقال اعتبارا بالمنتهى والعدو
اعتبارا بالمبدا المتجاوز وبراه من علاه اذا تجاوزه وجعل الحصاره مارا لدواه فى التعارف
والحصر لمن حصره الجبل لما ذكر ابرهيم فان دينه للاسلام وان يعقوب ادرك به ودعاءه
الله وماربهم على ذلك واحد اعترافهم بان الله مع وصيته لهم وان كان على حاله اعترافه معهم
لئن يعن بقوله ما تعبدون من بعدى العباده المشروعه فقط وانما عنى جميع الاعمال وكانه دعاهم
ان لا يحروا فى اعمالهم غير وجه الله عز وجل ولم يخف عليهم الاستعمال بعباده الاصنام وانما خاف
ان يستعلم دينهم ولهذا قبل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام اى نحرم ما دون الله وبهذا المعنى نحراه الشاعر بالعباد فى قوله
فتى ملك الدارات ان يعبدنه وما دان فى ملك لهن بمالك
فان قيل لم افرد الهك واله اباءك وتكرر اللفظ بعضى تكرير المعنى الورى انه اذا قال زيد
وعمرو بعضى دارين والجواب عن ذلك من وجهين احدهما من حيث اللفظ وهو
ان المضاف الى المضمر متى عطف على المضاف اليه لابد من اعاده المضمر اذ كان المضمر
المجرور لا يصح العطف عليه والثانى من حيث المعنى وهو ان المعبود لما لم يكن مسلك
الوصول اليه الا بالنظر وكان لكل واحد نظر هو ان معبود هو الواحد الذى اسلمه و
اسلمه اول من قوله ونحن له انه سهم واحد وقد استدل بالايه من منع من مقاسمه الجد
بالاخوه واسقط الجد بجوه مع الجد كما يسقطون مع الاب واستدل بها الضافى ان العم
بمنزل محرك الاب فى الولايه على مال الصغير وتزويجها وفى الحقيقه ان تسميتها بالاب ليس بمنكر
لك قد سمى كثير من الاجانب اباعلى ان الاعمام والاجداد اذا كانوا مع الاب فتسميتهم بالاباء

اليهود كتشبيه الشبيب [illegible] الى [illegible] قوله عز وجل
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون الامة في الاصل المقصود كالحج والعدة في كونهما معمودا و
معدا وسمي الجماعة امة من حيث تامها الفرق وقيل للجيل امة لكونه مقصودا لامه وسمي الدين
امة لكون الجماعة عليه وقوله ان ابرهيم كان امة اي جمع في نفسه من الفضيلة ما لا يجتمع الا في امة
وبهذا المعنى الم الشاعر في قوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد والكسب لاجلاب النفع
[illegible] اذا قيل المضرة فعلى طريق التشبيه ولما بين الحجة عليهم وانهم لم يخالفوا في الاقتدا
بابرهيم من حيث بين ان اعمالهم واعمالكم متباينة لا تثابون ولا يعاقب احدكما كان من الاخر
[illegible] ولا تزر وازرة وزر اخرى وليس [illegible] ولا تسئلون عما كانوا يعملون السؤال المجرد
[illegible] يقول لعيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله واما معنى
[illegible] قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
يعني ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا وقالت النصارى مثل ذلك فامر الله تعالى
نبيه وقال قل ملة ابرهيم حنيفا اي تبع ملة ابرهيم [illegible]
من المشركين [illegible] وان ابرهيم كان حنيفا وكانت [illegible] في
الجاهلية ولمن كان على دين ابرهيم حنيف [illegible]
[illegible] البيت حنيفا لما كان ذلك [illegible] قوله عز وجل
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون [illegible] السبط [illegible] الولد [illegible]



اي امة وكان بمنزلة الامتداد للفروع ومنه سبط الكثير والاسباط المميزين من اولاد [illegible]
ما [illegible] من السماحة [illegible] من الشجر وسباط الحمى اعتبار امتداد [illegible] اول [illegible]
ابتدا انما انزل [illegible] كانه متاخرا عن [illegible] ما انزل الله وقال وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ولم ينزل الى اسمعيل واسحق كتاب ولم يقل وما اوتي موسى وعيسى [illegible]
الانزال وذكر السنن وقد تقدم ذكر بعضهم [illegible] ما انزل [illegible] فانه اول [illegible]
فالناس [illegible] انهم مدعوون الى الايمان بما انزل عليه او [illegible] الايمان
بما انزل على من قبله [illegible] على سبيل التفصيل واما المنزل على [illegible]
ومن ذكر معه فهو المنزل على ابرهيم [illegible] شريعته وذلك [illegible] وما انزل
على محمد والمسلمين [illegible] وما اوتي موسى [illegible] وما اوتي النبيون من ربهم
عليه وقوله [illegible] انزل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولفظ احد [illegible] به في النفي [illegible]
لا احد [illegible] ان [illegible] من واحد
[illegible] احد [illegible] من احد [illegible]
[illegible] وقوله ونحن له مسلمون [illegible]
[illegible] قوله عز وجل فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم الشقاق المنازعة [illegible]
[illegible] شق [illegible] وشاقوا الله [illegible]
[illegible] قال

فان امنوا بمثل ما آمنتم به ولم يقل بما امنتم او مثل ما امنتم وذلك يقتضي اثبات مثل الله
فانه ليس لله مثل ولكن قولوا فان امنوا بالذي امنتم به وان لم يكن هذا السوال لازما
فالجواب لما ذكر عنه قيل ان الباء هاهنا ليست للتعدية كما هو في قولك مررت بزيد وامنت
بالله وانما هو للالة ومعناه ان تحروا الايمان بالسبيل الذي تحريتم به والاشارة بقوله
مثل ما امنتم به الى السبيل المذكور في قوله قل هذه سبيلي ادعوا الى الله وسبيل الله المتوصل
به اليه له منازل على القول الجمل مرتب بعضها على بعض الاول معرفة الاحكام الظاهرة
والعمل بها والثاني معرفة علم الزهاد من عيوب النفس وقمع الشهوات واخذ النفس به
والثالث للعلم المعاملات وهي معرفة الخواطر ومراعاتها وذلك اقصى السبيل اليه
والسبيل الى تحصيل الايمان الحقيقي الذي وصف به المومنين في قوله انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية وهذه المنازل الثلث هي المعنية بقوله عليه السلام
سائل العلما وخالط الحكما وجالس الكبرا فبين تعالى ان من سلك هذا السبيل فقد اهتدى
ومن جنح عنه فقد شاق ثم قال فسيكفيكهم الله تسكينا للمومنين وامانا من معرتهم

**قوله تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون** الصبغة اشارة من الله عز وجل الى ما اوجده فينا من
بداية العقول التي ميزنا بها من البهائم وخصنا بها المعرفة ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق
وهو المشار اليه بالفطرة في قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله الآية و
المعنى بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة الخبر وتسمية ذلك بالصبغة من حيث
ان قوى الانسان التي ركب عليها اذا اعتبرت بداية تجري مجرى الصبغة التي هي
زينة للمصبوغ ولما كانت اليهود والنصارى اذا لقنوا اولادهم اليهودية والنصرانية يقولون
قد صبغناه بين تعالى ان الايمان بمثل ما امنتم به هو صبغة الله وطريقه التي فطرها في الخلق و
لا احد احسن صبغة منه وقوله ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك كشرككم وقوله

الحسن وقتادة ومجاهد ان الصبغة هي الدين وقول غيرهم انها الشريعة وقول من قال
مجاهد الختان اشارة الى معنى واحد وقد قيل صبغة الله على مراتب اولها ما ركب فينا
من الهداية وهي الفطرة والثانية الهداية بالتوفيق والثالثة الهداية ببعثة الرسل والرابعة
الى الترقي بوليه الى الدرجة العليا والسماء القصوى . قوله عز وجل

**قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون** المحاجة المقاومة في اظهار
الحجة المبينة للمحجة اي المقصد وقد الزمهم بهذه الاية الحجة المذكورة في قوله والزمهم كلمة التقوى
ولما كانت الشرائع مبنية بالقول المجمل على ثلثة اشيا الاقرار بالباري عز وجل والاحكام له و
الاخلاص في ذلك قال قل لهم انا قد تشاركنا في الاقرار بالله عز وجل وفي العمل له وحصل لنا
الاخلاص من دونكم فان قيل ومن اين ان الاخلاص حصل للمسلمين دونهم وما هذا الا مجرد
الدعوى قيل قد احالهم على الباطل وذلك ظاهر بالاستقراء والتدبر فان الاصول الاعتقادية
ما ذكر الله عز وجل في قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وادنا ملك
حالة الاقرار بالله تعالى فقد اخلص المسلمين فيما ترعمه اليهود من التشبيه والنصارى من
التثليث وما ادعوه على جبريل انه عدو لهم وما ادعاه اليهود على ابراهيم حيث زعموا انه
لم يكن نبيا ولما كان رجلا صالحا ونسبوا اليه لوطا من الفاحشة في حال سكره وادعت
النصارى في بنوة عيسى واجماعهم لتحريف ما في التوراة والانجيل وما ذكروه من النعت حيث
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وادعت النصارى انه لا بعث وانما ثم الثواب
والعقاب الارواح فاذن قول المسلمين ونحن له مخلصون ظاهر . قوله عز وجل

**ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من**

الله وما الله بغافل عما تعملون كانوا قوله ام تقولون

معطوف على قوله اتحاجوننا اي اتحاجوننا ام تدعون ان الانبيا على دينكم بينها انه من المحال ان يكون المتقدم مقتديا بالمتاخر ومساسه ومن قرا بالتا فوجه العدول فيه من الخطاب الى الاخبار استجهالا لهم بما كان منهم من هذه الدعوى كما تفعل العالم من الاعراض عن مخاطبة بعد لجاجه حماله سبيعه الى غيره ولهج عليهم بمدمن وقال انتم اعلم ام الله اي قد ثبت ان الله اعلم منكم وثبت انه ليس بغافل عما تعملون وقد كتم الشهادة عنه ومن كتم من الله شهادة عنده لون الله بهذا الوصف فهو اظلم الخلايق فقد اتى بكتبيت لهم في كتمانهم احوال النبي عليه السلم وسائر الانبيا واحتاج عليهم بما لا انفصال لهم عنه وقوله من الله على هذا متعلق بقوله كتم وقيل انه متعلق بقوله شهادة اي من كتم عن الناس شهادة مصدرها من الله وقيل في الاية قول اخر وهو ان قوله من الله متعلق بقوله اظلم وقوله ممن كتم من جملة الذين كتموا وتقدير هذا التاويل قد ثبت ان الله عز وجل اعلم منكم وقد علم ان كتمان الشهادة عصيان بقوله ومن يكتمها فانه اثم قلبه فكانه قيل من اظلم من الله من الذين كتموا الشهادة ان كان الامر على ما ذكرتم ولم يخبركم وهذا كقولك من اظلم ممن يجوز على الفقير من السلطان اي لا اظلم منه اذا ظلمه وعلى هذا تكون قوله وما الله بغافل عما تعملون على سبيل التهديد لهم قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون اعادة هذه الاية من اجل ان العادة مستحكمة في الناس صلاحهم وطلاحهم ان يتحروا اباهم ويقتدوا بهم في مجاريهم سيما في امور دينهم ولهذا حكى عن الكفار قولهم انا وجدنا ابانا على امة وانا على اثارهم مقتدون قال الله تعالى الغول في ازالتهم عن هذه الطريقة وذكر في اثرها حكى من وصيتهم لهم ولعقوب بنيه بذلك تنبيها ان سواء على ما ملت اولم تكن فليس ذلك ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه وفي التالي كالمكرر ادعاهم



اليهود والنصارى لابائهم اعاد انها بالنبرا عليهم سبيهما على نحو ما قال وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما جرت به عادتهم وتقرير معرفتهم كل ساعة تناط برحليها قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم السفيه كل معتقد باطلا يسرع الى اظهار معتقده ولا يكون له ثبات والقبلة وان كانت في اصل اسما للحالة التي عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة فقد صار في المتعارف للمكان المتوجه نحو الصلاة وقول السفهاء المنكرون لتغيير القبلة اليهود على ما روي عن ابن عباس ومشركو العرب عن الحسن والمنافقون عن السدي ولا تنافي بين اقوالهم وكل منهما نوا وكل سفها وقد روي ان بعضهم قال لا اسف محمد على دين ابويه فقال رجع الى قبلة قومه وسيرجع الى دينهم وروي ان قوما من اليهود اتوه وقالوا ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها نتبعك فانزل الله تعالى ذلك تنبيها ان الاماكن متساوية عند الله فله المشرق والمغرب وهو الهادي الى الطريق المستقيم فاي وجه تتوجه اليه فهو تعالى موجود كما قال فاينما تولوا فثم وجه الله ولقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اعتبار بالاعتبار به والارتسام لا ولعله لا لما له مكنه والجهات المختلفة قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم الوسط الاصل اسم المكان

الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب في المدورة ومن الطرفين في المطول كالنقطة من
الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم جعل عبارة عن العدل ولذلك قيل السوا والنصف وسمي
به كل ما وقع بين طرفين افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن
ثم جعل عبارة عن المختار من كل شي حتى قيل فلان من اوسطهم نسبا وكما جعلهم وسطا جعلهم
خيرا في قوله كنتم خير امة اخرجت والعقب موخر القدم فتصور مكانه من الحيوان تارة
فاعتبر في قولهم تعقبه واعتقبه نحو استدبره ووقاه وعاقب الليل والنهار وقيل المعقبات
للملائكة التي تتعاقب في الليل والنهار والعقوبة منه والعقبة الجبل اعتبارا بالصاعد الذي
يمثل في ممره ولما كان موخر العقب من بعض الحيوانات مشددة والواعقبه لي شدته
بالعقب نحو سمه وانقلب على عقبيه اذا رجع عايدا لحواره على آثارهما قصصا ورجع عوده
على بدئه ان قيل كيف جعلهم وسطا خلقه ام بخلق خصهم به ام بعلم ركزه فيهم ام بشرع شرعه
لهم قيل فيخصهم بكل ذلك والظاهر من ذلك هي الشريعة التي اذا اعتبرت بسائر الشرائع
وجد لها اجرا الاعتدال وذلك ان بني اسرايل لما عتوا على الله عليهم في غير موضع شدد عليهم
اشيا صارت عليهم اصرا واغلالا نحو ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ولذلك امرنا تعالى فيما دعوناه ان نقول ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ثم خفف عنهم على لسان عيسى بعض التخفيف وقال ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم وتمم ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الى قوله ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث وقال ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة فصارت شريعته متوسطة بين الافراط الذي هو الاصر والاغلال وبين التفريط
الذي هو المضاعة والاهمال وعلى ذلك قال كنتم خير امة اخرجت للناس والذي هي الشريعة
وسطا هي مقتضاها كلمة سوا اي عدلا باتفاق العقول وقال يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة



سوا الحيوان قيل هل ذلك للامة كلهم ام للبعض دون البعض قيل الخطاب لاصحاب
النبي عليه السلام خاصة على وجه وهو خطاب للكافة عامة على وجه وذلك ان اصحابه في الحقيقة
صاروا موجودين خيار الناس وساير امته ممكنون ان يصيروا اخيارا وذلك بقبولهم النصح
الذي اتاحه الله لهم بعقولهم ولسان شرعه وبحثهم الى بلوغ ان قاصيه ان قيل
على اي وجه شهادة النبي عليه السلام على الامة وشهادة الامة على الناس قيل الشاهد
هو العالم بالشي المخبر عنه مبينا حكمه واعظم شاهد من تثبت شهادته بحجة ولما خص الله
تعالى الانسان بالعقل والتمييز بين الخير والشر وكمله ببعثه الانبيا وخص هذه الامة
باتم كتاب كما وصفه بقوله ما فرطنا في الكتاب من شي وقوله ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شي وما دعاه عليه السلام وبين لنا صار حجة وشاهدا ان يقول ما جانا من بشير ولا
نذير وجعل امته المخصوصة بمعرفته شهودا على ساير الناس ان قيل هل امته شهود
كلهم ام بعضهم دون بعض قيل كلهم ممكنون من ان يكونوا شهدا وذلك بشرط ان
يزكوا انفسهم بالعلم والعمل الصالح فمن لم يزك نفسه لم يكن شاهدا مقبولا ولذلك
قال تعالى قد افلح من زكيها وعلى هذا قال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
شهدا لله ولو على انفسكم فالقيام بالقسط مراعاة العدالة وهي بالقول المجمل ثلث عدالة
بين الانسان ونفسه وعدالة بينه وبين الله وعدالة بينه وبين الناس فمن رعى ذلك
فقد صار عدلا شاهدا لله ان صح فيطبتهم شهود على بعض الامة لم على الناس كافة
قيل بل كل شاهد على نفسه وعلى امته وعلى الناس كافة فان من عرف حكمة
الله وجوده وعدله ورافته علم انه لم يغفل تعالى عنه ولا عن احد من الناس ولا اخل
عليهم ولا اظلمهم ومن علم ذلك فهو شاهد لله على من في زمانه وعلى من قبله ومن
بعده وعلى هذا الوجه ما روي في الخبر ان هذه الامة تشهد للانبيا على الامم ان قيل
ما المشبه وما المشبه به في قوله وكذلك قيل في ما قبل ويهدي من يشا الى صراط مستقيم

بين ان نعته هذا التشريف كنعته بالهداية الى صراط مستقيم وقوله وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اى ما امرناك بالتوجه الى بيت المقدس الا لنعلم الذي
من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقيل معناه الا لنعلم حينئذ من يتبعك ذلك من العرب
في اتباعك الى الصلوة الى بيت المقدس وقيل معناه ما حكم القبلة التي كنت عليها
الا لنعلم والقبلة على هذا كله بيت المقدس وقيل معناه ما جعلنا هذه القبلة التي
انت عليها اى امرناك بها يعني الكعبة وانما استعمل فيه كان اشارة الى ان حكم الله تعالى
قد تقدم في سابق علمه وقيل عنى الكعبة حين توجه اليها قبل وروده المدينة وهذا اظهر
فالهاء التي بعده من الناسخ لما استصح لقوله ودبرك ان قبل ما وجه قوله الا لنعلم
وذلك يقضي استفادة علم وقد علم ان الله تعالى لم يزل عالما بما كان وما يكون قيل
ان ذلك من الالفاظ التي لولا السمع لما تجاسرنا على اطلاقها عليه تعالى ومجاز ذلك
على اوجه الاول ان اللام في مثله تقتضي سببين حدوث الفعل في نفسه وحدوث
العلم به لما كان علم الله لم يزل وزال صار اللام فيه مقتضيا لحدوث الفعل لا لحدوث
العلم والثاني ان العلم تعلق بالشيء على ما هو به والله تعالى علمهم قبل ان يتبعوه غيرنا
تابعين وبعد ان يتبعوه علمهم تابعين وهذا الجواب كالاول في الحقيقة لان التغير
داخل في المعلوم لا في العلم والثالث معناه لنعلم حرفنا نسب ذلك الى نفسه
على عادته في نسبه افعال اوليائه الى نفسه كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وقال
في موضع قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال وعلمك ما لم تكن تعلم واما
علمه ملائكته والرابع معناه لنجازيكم وذلك معارف نحو قولك ساعلم حسن ملازمتك
اى ساجازيك على حسب مقتضى علمي قيل يعترض الجواب الاول لما كان سببه والخامس
ان عادة الحكيم اذا اراد عبده علما ان يقول تعالوا حتى نعلم لك او انا نريد ان اعلام المخاطب
لكن محل نفسه محل المشارك للمتعلم على سبيل التلطف ان قيل كيف يتصور حقيقة



العلاب الانسان على عصيانه هل يصور ذلك على وجهين احدهما اعتبار الحال
الانسان ومعارفه وما ان الانسان تتدرج في الفضيلة والكتاب المعرفة درجة درجة
الى حين الكمال فان محله في بدن آدمي حكم النبات ثم يصير في حكم الحيوان ثم يصير بعد الولا
في حين الانسان ناكتساب المعارف اولا فاولا لم يزال بالعلم والجهل حتى
ربما يصير قريبا من الملائكة فضلا وعلما ومتى اخل بمرتبة وصل اليها فرجع عنها هذا على
على عصيانه والوجه الثاني ان يعتبر بالاديان وبضدها ولها وذلك ان الله تعالى انشأ
الاديان فما زال ينقلها شيئا فشيئا حتى ختمها بنبينا صلى الله عليه كما قال تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم وكما قال النبي عليه السلام في الحجر الذي قال فيه فكنت موضع اللبنة فمن اتم
عليه بان اوحده بعد بعثته ورغب عن شريعته مائلا الى ما قبله من الشرائع المنسوخة
فقد انقلب على عقبيه وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله
من تعالى ان الانتقال عن المالوف من القبلة مستصعب على الطبع والانسان الف
ما تعود سيما الشريعة وان ذلك انما يثقل على من لم ينعم عليه وهداه وعرف حكمته وعلم
انه تعالى يامر عباده بما هو اصلح لهم كما هدى الذين لما اتاهم خبر نسخ القبلة وكانوا في
الصلوة وحولوا وجوههم نحو الكعبة من عذران يسمعوا وقوله وما كان الله ليضيع
ايمانكم موسكين لمن يصلي الى بيت المقدس فانزل الله ذلك فان قيل لم قال
ليضيع ايمانكم ولم يقل صلوتكم قيل عبر الى لفظ الايمان الذي هو عام في الصلوة وغيرها
ليفيدهم انه لم يضع لهم شيئا مما عملوا به لم نسخ عنهم فان قيل لم لم يقل ايمانهم قيل ذكر
على لفظ الخطاب ليساوي الماضين والباقين بعلى الحكم المخاطب على الغائب اذا
اجتمعا وقيل لفظ بين بقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم انه لا يضيع احسانهم
ومبرؤف بهم فان رافته بالناس واضاعه احسانهم متنافيان لاختلاف

قد رى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول

وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق
من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وشطر وشطن وقطر

ألفاظ متقاربة المعاني تقارب ألفاظها فقطر المنفصل عن قطره أي جانبه ومنه القطرة
القليل المنفصل من المائع وشطر المنفصل وشطن المنفصل وتباعد ودار شطور منفصلة
عن الدور وشطون بعيد وقد يستعمل الشطور موضع الشطون لكن الشطون لما هو
أبعد ورجل شاطر أي منفصل عن الجماعة بالخلاعة وشاطرته أحدث شطرا وحركت له
شطرا وشاة شطور لما ضرع واحد أحد ضرعيها أكثر أنه لا يعتد بالآخر وتوجهت شطره
أي نحوه اعتبارا بالشطر المقابل من شطريه وبعلت الوجه أبلغ من طلب العين على أن الوجه
يراد به التوجه لقولك وجهي إلى فلان إن قيل إذا كان سبيله عليه السلام توجهه إلى بيت المقدس
حتى قيل له قبلة ترضاها قيل لم يقصد بذلك أن كنت ساخطا ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب له السر ويعلم بما ألقي في روعه أن الله سيرد يعتبر في القبلة وكان يتشوقه وحده ويقبل
معنى ترضاها ترضاها لكن بين هذا أن مرادك لم يخالف من أدى وقول مجاهد ولم يرد
أحب النبي عليه السلام التوجه إلى الكعبة مخالفة اليهود وقول ابن عباس أنه أحبها لأنها قبلة إبراهيم
عليه السلام وقول الزجاج أنه أحبها لاستدعاء العرب بها إلى الإسلام فكلها صحيحة إذ لا
منافاة بين هذه المرادات وهذه منزلة إليها أولوا الحقائق ويذكرون أنها فوق التوكل
لأن خاصة المتوكل الاستسلام لما يجري عليه من القضاء وهي يعود بصر ...
وهذه المنزلة هي أن يحرك الحق سره بما يريد فعله وربما يكون ذلك بوحي من خارج كقوله
تعالى لإبراهيم أسلم وربما كان ذلك بإلهام من باطن كما أوحى إلى أم موسى ومعنى تقلب
وجهك في السماء التطلع للوحي المنزل وقيل إن في ذلك تنبيها على حسن أدبه حيث
انتظر ولم يسأل والأولى الذي فحصل الأدب قد يتقص عن المسألة اتكالا على ما تيسر

شبرجه



له كما روي عنه عليه السلام أن الله تعالى يقول من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل
ما أعطي السائلين وعلى ذلك قول أمية بن أبي الصلت إذا أثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضك الثناء تعالى بالآية رغبة النبي عليه السلام في التوجه إلى الكعبة و
أخبار ورتبه علم أهل الكتاب بأن ذلك حق من الله عز وجل ونبه بقوله وما الله
بغافل عما يعملون على وعيدهم ووعد المؤمنين في إجابتهم وامتثالهم إن قيل من أين علم أهل
الكتاب أن ذلك حق قيل لما تضمن كتبهم من ذكر النبي عليه السلام وعلمهم أن عادة الله أن
يخص كل رسول من أولي العزم بقبلة غير قبلة من تقدمه أنها إن قيل كيف خاطبه أولا بقوله
فول وجهك ثم عم بقوله فولوا وجوهكم قيل أما خطابه الخاص أولا فتشريفا له وإيجابا
لرغبته وإنجازا للوعد وأما خطابه العام بعده فلأنه كان يجوز أن يعتقد أن هذا حكم
خص به كما خص بقوله قم الليل إلا قليلا وإن الله لما كان تحويل القبلة أمرا عظيما خصهم بخطاب
مفرد ليكون ذلك أبلغ فمعلوم من عادة السلطان إذا خاطب في الأمر قبله بأمر بين بالـ
بعه ورغبته أن خصه بخطاب مفرد ليكون ذلك أوقع عندهم وليكون لهم بذلك تشريف
وإن في الخطاب العام تسوية حكم الحربه ومنوان لا فرق بين القريب والبعيد في وجوب الوجه
والضمير في قوله أنه الحق من ربهم قيل هو التحويل وقيل هو التوجه والقرآن في التحقيق

قوله تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا
قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض
ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن
الظالمين إن قيل كيف حكم بأنهم لا يتبعون قبلتك وقد آمن منهم فريق فالجواب
أنه قد قيل هذا حكم على الكل دون البعض بدلالة أنك لو علمت ما آمنوا ولكن أمر
بعضهم لم يتناف وقيل عني به أقوام مخصوصون وقيل عني ما تبعوا قبلتك بقلوبهم وقوله وما أنت
تابع قبلتهم أي لا يكون ذلك منك فحال أن من عرف الله حق المعرفة يرتد وقد قيل ما يرجع

من يرجع عن الطريق أي ما أخل بالإيمان المؤمن لم يصل إلى الله حق الوصول إن قيل وقد يوجد
من يحصل له معرفة الله ثم يرتد قيل إن الذي يقدر أنه معرفة وهو ظن متصور بصورة العلم فأما
أن يحصل العلم الحقيقي ثم يعقبه الارتداد فمحال ولم نعن بهذه المعرفة ما جعل الله للإنسان
بالفطرة فإن ذلك يشترك فيه المرشد والمفسد من أن أضلهم لا يتبع قبلة البعض ولا تركنا لهم
الهوى وتأسيهم عن تأمل الدين وحذره على السالم من اتباع أهوائهم وبين أن اتباع الهوى
بعد التحقق يدخل مجترئه في جملة الظلمة وقد أكثر الله تحذيره من الجنوح إلى الهوى حتى كرر
ذلك في عدة مواضع وقول من قال الخطاب للنبي صلى الله عليه والمعني به الأمة فلا معنى
لتخصيصه فإن الله تحذيره من اتباع الهوى أكثر مما يحذر غيره وذو المنزلة الرفيعة إلى كل حد
الإنذار عليه أحوج حفظا لمنزلته وصيانة لمرتبته وقد قيل حق المرأة الجليلة أن يكون بعدها
أكثر إذ كان القليل من الصد عليها أظهر إن قيل كيف أجاب إن بما فعلت ولئن أتيت
الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ولا يقال إن جئتني ما فعلت وإنما يقال
لم أفعل قيل قد قال سيبويه إن ذلك لما تضمن معنى القسم فادخل على إن اللام صار
جوابه كجواب القسم وعلى ذلك ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا وقال الأعمش
لما كان إن ولو متضمنا الشرط حمل على الآخر فعلى هذا يصح أن يقال إن أتيتني ما أكرمتك انتهى
وعلى قول سيبويه لا يصح ما لم يكن مع إن اللام نحو لئن ۞ قوله تعالى الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون آتيناهم أبلغ من أوتوا فإن أوتوا قد يستعمل فيمن لم يكن
له قبول وآتيناهم أكثر ما جاء فيمن له قبول نحو آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وعلى ذلك
كل ما جاء من نحو هذا مما اختص بالإكرام نحو هدينا واجتبينا وقوله يعرفونه أي العلم الذي هو
النبوة المتقدم ذكرها في قوله من بعد ما جاءك من العلم وقيل عنى النبي عليه السلم لقوله
يجدونه مكتوبا عندهم وقيل يعرفون أن التوجه إلى الكعبة حق واختلافهم اختلاف ظاهرهم



إلى الألفاظ لا من حيث المعنى فإن معرفة الرسول عليه السلم ومعرفة صدق قوله وصحة ما أمره
في القبلة متلازمة وإنما قال كما يعرفون أبناءهم ولم يقل أنفسهم لأن الإنسان لا يعرف نفسه
إلا بعد انقضاء برهة من دهره ويعرف ولده من حين وجوده ثم في ذكر الابن ما في ذكر النفس
فإن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته وإنما ليكتمون الحق ولم يقل ليكتمونه فإن في
كتمان أمره كتمان الحق جملة وزاد في ذمهم بقوله وهم يعلمون فقد قيل ليس المرتكب ذنبا عن جهل
كمن يرتكبه عن علم ۞ قوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
الامتراء من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها به تشبيه مري الريح السحاب المطر وكمري
الفارس فرسه للعدو واستعمل الممترين للمتردد في الحكم ولهذا استعمل فيه المجهر وهو من جاد
إدارة من أن كل حق من الله تعالى إما بإبداعه وإيجاده وصنعه وإما بأمره وإما بتوفيقه
وقوله فلا تكونن من الممترين ليس بنهي عن الشك إذ كان ذلك ليس بقصد من الشاك
بل هو حث على اكتساب المعارف المزيلة للشك واستعمالها وعلى ذلك قوله إني أعظك أن
تكون من الجاهلين ۞ قوله تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء
قدير أي لكل أمة وقيل لكل نبي وجهة يعني قبلة وقيل شرعة وذلك في المعنى واحد
وهو ضمير لله عز وجل أي الله موليها إياه وقيل ضمير لكل أي كل مول جهته وقرئ
هو مولاها فاستعملوا هذا الكلام في الاحتجاج إلى تقدير ضمير آخر وقيل معنى ولكل وجهة أي للناس
كلهم الأديان وجهة وهي الإسلام تنبيها أن الأديان وإن اختلفت نحو إن الدين عند الله الإسلام
وقوله ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وفي الآية قول آخر وهو أن الله تعالى
خص الناس في أمور دنياهم وأخراهم بأحوال مختلفة وجعل لبعضهم أغراضا بعض منها فواحد
مزارع وواحد تاجر وواحد يجمع لذلك في أمر الدين واحد يجمع الحديث وآخر يطلب الفقه والثالث
يطلب الأصول وهم في الظاهر متخالفون وفي الباطن مسخرون وإليه أشار عليه السلم

يقول له كل ميسر لما خلق له وجعل لكل سبيلا في الوصول الى الله تعالى اذا راعى ما هو بصدده
وادى الامانة فيه ولهذا سئل بعض الصالحين عن تفاوت الناس في اعمالهم فقال كل ذلك
طرق الى الله تعالى اراد ان يعمرها بعباده فبين تعالى ان لكل طريقا اذا تحرى فيه وصله الله
تعالى وصل اليه وعلى ذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله فاستبقوا الخيرات
لقوله سارعوا الى مغفرة من ربكم وقوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة وقوله اينما تكونوا
يات بكم الله جميعا اي شغلكم جهتكم وحسبما اصرفتم واي معبود اتخذتم فانكم مجموعون ومحاسبون
عليها ه قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون ان قيل وجه تكرير قوله فول وجهك قيل انما كان ذلك لحكمة لطيفة وهو
انه ذكر لتغير القبلة ثلث علل من قوله سيقول السفهاء الى قوله ولعلكم تهتدون الاولى
اكرامه تعالى نبيه عليه السلام اذ كان قبلة ابيه ابرهيم واستمرار ضالته وهو قوله قد نرى تقلب وجهك
الثانية والثالثة اجرى الله ان لكل صاحب دعوة قبلة وهو قوله ولكل وجهة والثالثة قطع حجة
معانديه وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة فقرن بذكر كل علة معلولها الذي هو الفرض وذلك
قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام كقولك ان هذا فرض لسبب كذا وفرض لسبب كذا فهذا
المعلول مع العلة وهذا ابلغ من قول من قال انما طال القصة واعترض فيها سهوا ما فيه زيادة
بيان اعاد الحكم نحو لما جاءهم كتاب من عند الله الى قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانه
اعاد لما جاءهم واشار بقوله وانه للحق من ربك الى تحقيق ما قدمه فبين انه اذا ثبت
الحكم يقتضي ان لكل صاحب شرع قبلة يختص بها وانت صاحب شرع فيجب ان القبلة
لك حق ان قيل لم خص الاول بلفظ الرب والثاني بلفظ الله قيل لان الاول لما اسند
على المسند الى على حالته بالنظر الى افعاله ذكر لفظ الرب المقتضي لينظر منها اليه و
يستدل بها عليه ولما انتهى الى ذكر الوعيد ذكر لفظ الله المقتضي للعبادة التي امر لاجلها



استحق الله عقابه ه قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم
واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ان قيل لم
كرر وحيثما كنتم فولوا وجوهكم قيل حث بالاول على التوجه نحوه بالقلب والبدن في اي مكان
حصل الانسان بالسائل او داما وذلك في حال الاختيار والتمكن وحث بالاخر على التوجه بالقلب نحوه
عند استبهام القبلة وفي حال المسايفة وفي صلوة نافلة في حال المسير في السفر وعلى الراحلة ان
قيل كيف استثنى الذين ظلموا وذلك يقتضي ان يكون لهم حجة قيل الحجة هاهنا موضوع موضع
الاحتجاج نحو حجتهم داحضة ومعناه لئلا يحتج عليكم احد الا هو ظالم وقوله لئلا ابانة عن الغرض
والعاقل لا يقصد الا غرضا يصح ان يصيبه فالمؤمن لا يقصد ان يكف الناس كلهم عن الاحتجاج
لعلمه ان فيهم معاندا لا يبالي بارتكاب الباطل والله تعالى لم يامر بذلك لكونه غير مستطاع
وذلك قال اصحاب الحجر رفع الناس الى الظالمين وقيل الظالمون اشارة الى مشركي العرب
حيث قالوا اعادهم الى قبلتنا وقد استدل بعضهم على ان الناس هاهنا مشركي قريش بان ذلك
ان كل ما في القران من قوله يا ايها الناس فخاطبة لاهل مكة وما فيه من يا ايها الذين امنوا فخاطبة
لاهل المدينة وقول من قال لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم الا حجة الذين
ظلموا فان الظالم لا حجة له في الحقيقة فصار كقول الشاعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ه البيت راجع الى الاول واما قول ابي عبيدة ان تقدير
والذين ظلموا فان اراد ان معناه هذا على تقدير ما تقدم فصحيح وان اراد ان معناه معنى الواو فقد
وهم وقول الشاعر الذي احتج به ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان فمعناه ما بالمدينة
دار الا دار مروان غير واحدة وهي دار الخليفة فقد اشتد لزن فصار من حيث المعنى كانه قال
ليس معنى الا معنى الواو ان قيل اي حجة لهم على الكفار اذا فعلوا ذلك واي حجة سقطت عنهم

قبل الا ذكر الله تعالى فانما تولوا فثم وجه الله ومن ان التوجه الى الجوانب سواء في المعقول الا ان
الله قصرهم على جانب لئلا يختلف توجيههم فيحتج عليهم الكفار بالاختلاف ويقولون ما بالهم
يصلون الى ها هنا تارة والى غيرها اخرى وقوله فلا تخشوهم اي لا تراقبوهم ولا تستحيوا منهم و
ذلك لما علم انه لا يمكنهم الكف عن التزام الحجة فقال لهم ذلك والخشية قد يجري مجرى
المراقبة والاستحياء في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقوله ولاتم نعمتي عليكم معطوف
على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولاتم نعمته وان نعم الله على ضربين احدهما موهوب
والاخر مكتسب فالموهوب كجودة الحفظ والفهم وصحة البدن والجاه وكل ذلك لا يستحق بها
له الحمد ولا بفواته الذم والمكتسب كالعلم والعمل المتوصل بهما الى دار الثواب وهو الايمان وبه
يستحق المدح والذم فبين تعالى انكم اذا اسرعتم في امر القبلة وصلتم الى الحالة التي يحصل لكم الخشية
المشار اليها بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء فقد اتم نعمته واستتممتموها ٭ قوله عز وجل
**كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب**
**والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ٭ ما في ما بعده مصدرية كما ارسلنا والكاف
فيه متعلق بقوله ولاتم نعمتي اي اذا اتممت نعمتهم في امر القبلة وخشيتم الله دون الناس
اتم عليكم نعمته كنعمته بارسال رسول هكذا نبههم ان النعمة في بعثه ودعائه العالم الى دين
يخالف دينهم ووعدكم انه سيظهر دينه على الاديان كان اعظم من تغيير القبلة وصدوفي ذلك وقيل
تعلق الكاف بقوله اذكروني وهو بعيد ان قيل كيف اخر فيما حكى عن ابرهيم عليه السلام قوله
ربنا وابعث فيهم رسولا ذكر التزكية عن تعليم الكتاب والحكمة وقدمها ها هنا قيل التزكية من الله
عز وجل ضربان احدهما التشهاد بطهارة الانسان وذلك يكون بتزكية الانسان نفسه وذلك
متاخر عن تحصيل الانسان الكتاب والحكمة والعمل بهما واما ما عني ابرهيم في دعائه فلذلك اخر
والثاني من الله عز وجل بسن احكامه الشرعية ومن العبد العمل بها وذلك متقدم على معرفة حقائق
الكتاب والحكمة وهي المعنية ها هنا فلهذا قدم ان قيل وما معنى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وهل ذلك



الا الكتاب والحكمة قيل عنى بقوله ما لم تكونوا تعلمون العلوم التي لا طريق الى تحصيلها الا بالوحي
على السنة الانبياء ولا سبيل الى ادراك جزئياتها ولا كلياتها الا به وعني بالحكمة والكتاب
ما للعقل مدخل في معرفة شيء منه واعاد ذكر يعلمكم مع قوله ما لم تكونوا تعلمون تنبيها انه علم منفرد
عن المتقدم ذكره ٭ **قوله عز وجل فاذكروني اذكركم واشكروا لي**
**ولا تكفرون** ٭ الذكر حضور الشيء القلب او القول ولهذا قيل الذكر ذكران ذكر
باللسان وذكر بالقلب وقد يكون ذلك الحضور لا عن نسيان وقد يكون عن نسيان ولهذا
قيل الذكر ذكران ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان والى الثاني ذهب الشاعر في قوله
وكيف اذكره من لست انساه ٭ وقال بعض العلماء لما خص الله هذه الامة بفضل قوة
ايمان على ما لبني اسرائيل قال لبني اسرائيل اذكروا نعمتي فامرهم بتذكر نعمه المنبهة عن الغفلة
لينظروا منها اليه وقال لهذه الامة اذكروني فامرهم بذكره بلا واسطة ان قيل ما الفرق
بين شكرت لزيد وبين شكرت زيدا قيل شكرت له هو ان تعتبر احسانه الصادر عنه
فتثني عليه بذلك وشكرته اذا لم تلتفت الى فعله بل تجاوزت الى ذكر ذاته دون اعتبار
افعاله فهو ابلغ من شكرت له اذ قد يكون للانسان فعل في الظاهر محمود ثم لا يكون ذلك
الانسان على الاطلاق محمودا وانما قال واشكروا لي ولم يقل واشكروني علما بقصورهم عن
ادراكه بل عن ادراك الائه كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فامرهم ان يعتبروا بعض افعاله
في الشكر له وشكر الله عز وجل اصعب عباداته واشرفها ولهذا قيل غاية شكر الله الاعتراف بالعجز
عنه وكل نعمة يمكن شكرها الا نعمة الله فان شكرها نعمة منه فذلك يستوقفه فاذن يحتاج العبد
ان يشكر بنعمته الثانية كشكره للاولى وهذا يؤدي الى ما لا نهاية فلهذا قيل لا يقدر عليه و
لصعوبة الشكر قال وقليل من عبادي الشكور ولم يثن على اوليائه وانبيائه بالشكر الا على
اثنين على نوح حيث قال انه كان عبدا شكورا وعلى ابرهيم حيث قال شاكرا لانعمه فذكر
ذلك بلفظ ادنى العدد تنبيها لعباده على شرف هذه المنزلة وصعوبتها ان قيل علام عطف

قوله فاذكروني ظل على قوله فولوا وجوهكم وذلك انه لما امر باستقبال القبلة وهن العلة واراد
ان تتم نعمته عليهم كما اتم سنته رسوله اعاد النظم الذي هو الامر فامر بالذكر الواجب بعضه
في الصلاة وبعضه في غيرها ان قبل ولم قال بعده ولا تكفرون ولم يقتصر على احدى اللفظتين
قبل لما كان الانسان قد يكون شاكرا في شيء ما وكافرا في غيره فيصح ان يوصف بهما على حسب
النظر الى تعليقه فلو اقتصر على واشكروا لكان يجوز ان يتوهم ان من شكره مرة او على نعمة
ما فقد امتثل ولو اقتصر على قوله ولا تكفرون لكان يجوز ان يتوهم ان ذلك نهي عن تعاطي
قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لان الوهم هذه الشبهة وران في قوله ولا تكفرون
نهيا عن الكفر المطلق وذلك معنى زايد على قوله واشكروا لي اخر ولا تكفرون بنهيها ان تترك
الشكر كفران فان قيل ولم قال فلا تكفرون ولم يقل ولا تكفروا لي قيل لانه يقتضي من العبد
على شكر نعمه ويستدعيه على ان لا يكفر نعمه بل ينهاه عن الكفر به اكثر مما ينهاه عن كفر نعمه اذ قلما
يعفو عن كفر بعض النعم ويرجو العفو عن الكفر المطلق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين قد تقدم
الكلام في الصبر والصلوة وانواعهما حث الله تعالى على الصبر اذ هو ذريعة الى فعل كل خير وهو
اول كل فضل وان اول التوبة الصبر عن المعاصي واول الزاهد الصبر عن شهوات الدنيا
واول الارادة الصبر عن طلب ما سوى الله ولهذا قال عليه السلام الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد
وقال الصبر خير كله والصلوة هي المقتضية للخشوع والداعية الى ترك الفحشاء كما قال تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولما امر بالذكر والشكر حث على الاستعانة بالصبر والصلوة لانها
بها تتوصل اليه فان الصبر سداد الايمان والشكر منتهاه ولهذا قال عليه السلام الصبر نصف الايمان
وقوله ان الله مع الصابرين يحتمل صحبته لهم على قرب فيضه وتوفيقه كما قال واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا ويحتمل انه براعيهم بالعناية ان قيل لم قال ان الله مع الصابرين
ولم يقل مع المصلين وقال في اخرك واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة فاعتبر الصلوة



دون الصبر قيل لما كان فعل الصلوة اشرف واعلى من الصبر اذ قد يفك الصبر من الصلوة و
يراعى الصلوة من الصبر ذكرها هنا الصابرين فعلوم انه تعالى اذا كان مع الصابر فهو لا محاله
مع المصلي اكثر وقال ثم وانها لكبيرة فذكر الصلوة دون الصبر بينها انها اشرف منزلة من الصبر فقد
يترك يوجب حق الصلوة من تصبر في كثير من الاحوال قوله عز وجل ولا
تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتٌ بل احياءٌ ولكن
لا تشعرون قد علم ان الحيوة يقال على اوجه وكل واحد نقابلها موت الاول في
القوة النامية التي بها الغذاء والنشوء وهو موجود في النبات والحيوانات والانسان
ولذلك يقال نبات حي والثاني في القوة الحساسة التي بها الحركة المكانية وهي موجودة
في الحيوانات والانسان دون النبات والثالث في القوة المدركة وبها يكون العقل والعلم
وهي في الانسان دون الحيوانات والنبات وبها تتعلق التكليف وقد يقال للعلم المستفاد
الحقيقي والعمل الصالح حيوة وعلى ذلك دفع قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقيل
الجنة حيوة وان كان في دار الاموات والمسيء ميت وان كان في دار الاحياء ويرجع الى
معنى الاية فتقول ان بعض المعتزلة لما انتشر بعض يلا وقال عني باثبات الحيوة ونفي الموت
للشهداء يوم الحساب لا في الحال قال ولا اختصاص لهم بل انما علق الحكم بهم لانه في ذكرهم
ولو ذكر معلم غيرهم لذكرهم بحكمهم واستجهل من قال انهم احياء وقال قد علم ان رسول الله و
الشهداء الذين قتلوا معهم لا ياكلون ولا يشربون واستجهاله لمن خالفه مع ان الله فرع الى الحس
الدرك قد نفى الله تبارك وتعالى بقوله ولكن لا تشعرون اي لا تحسون ولا تدركون ذلك
بالمشاعر اي الحواس بينها ان ذلك مما السبيل الى معرفته الفرع الى العقول والى
الاعتبارات الصحيحة واما على طريقة غيرهم فمعلوم ومجمع عليه انه لم تثبت لهم الحيوة التي بها
النمو والغذاء والحيوة التي بها الحاسة فقد انها عن الميت محسوس ومعقول فنفض
المفسرين اعتبر المعنى الاخير الذي هو العلم المستفاد والعمل الصالح فقال تعالى ان يسمى

التهدا اموا تا حلم فى الدن فقال لا يقولوا لهم ما قال المشركون وكرهوا قولوا لهم احيا فى الدن
وهذا صحيح وبعض اعتبر الحيوة المختصة بالانسان وقال ان هذه الحسوة مخصصة بالقوة المدركة
المسماة بالروح وتارة النفس وتارة السمة قال والموت المشاهد هو مفارقة هذه القوة اى
الروح البدن فمتى كان الانسان محسنا كان بروحه منعما الى يوم القيمة وان كان مسيا
كان به معذبا وان المحسن يعلم بذلك بعد موته والى هذا ذهب الحكما ودلوا عليه بالبراهين
واصحاب الحديث ودلوا على صحته بالايات والاخبار المروية عن النبى عليه السلام بل الدين
عامة اصحاب الملل كلها ولم يخالفهم الا جماعة من المعتزلة حيث جعلوا الارواح اعراضا
لا تقوم لها الا بالاجسام وانها مهما فارقت الاجسام بطلت ومما يدل على صحة ذلك قوله
عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وما روى امير
المومنين على عن النبى عليه السلام انه قال ان الله عز وجل خلق الارواح قبل الاجسام وان الروح
فى تمثال معلقة تحت العرش وقال فى ارواح الشهدا اما عرفت وما روى عنه عليه السلام ان
الميت ليسر د على جماعة من الاموات فلا يزال الموتى يسيلونه عن معارفهم وحيرانهم ويسر
بخبرهم ويصف لهم حتى يحرك ذكر الرجل فيقول قد مات قبل مجيئه فيقولون انا لله سنفل
به وان كان من الصالحين قالوا على به ومعلوم انه لم يلقهم باشباحهم وروى انه لما قتل
من صناديد قريش يوم بدر جمعهم فى قليب ثم اقبل يخاطبهم بقوله هل وجدتم ما وعدربكم
حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا فقيل له اتخاطب جيفا فقال ما انتم باسمع منهم و
لكنهم لا يقدرون على الجواب وما روى انه قال رات نسمة ادم الى غير ذلك من الاخبار
وعلى ذلك قوله عز وجل واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم وقال فى ال فرعون
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وهذا يعنى به قبل القيمة بدليل قوله احر الوه ويوم تقوم
الساعة ادخلوا ال فرعون والى هذا المعنى ذهب جماعة الصحابة والتابعين قال
مجاهد يعرضون من حر الحمة فيحزن رحمها ولسوا فيها وقال ابن عباس والربيع وغيرهما



من فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها قوله عز وجل
ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من
الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
البلا المبالغة فى الاختبار كانك اخلقته من كثرة ما اختبرته ولذلك يقال لست فلانا
اى اختبره والكلام فى تشبيه الابتلا الى الله عز وجل كما تقدم فى قوله لنعلم انه مراد به ظهور
الفعل دون حصول العلم والخوف توقع مكروه والجوع استدعا البدن عوض ما تحلل عنه
ونقص الاموال ذهاب بعض ما حوته اليد ونقص الانفس اعتقاد الانسان بعض قواه
فى ذاته او بعض من يحبه او بعض اقاربه واخلائه ونقص الثمرات فقد المتوقع من الدخل و
الربح وهذه الجملة مشتملة على محن الدنا كلها ان قيل هل ابتلا الله الناس بهذه النواب عام
ام خاص لبعضهم وهل ذلك فى زمان دون زمان او فى كل زمان قيل اما بالنظر الخاص فعام
لهم وفى كل زمان وذلك ان الناس لا ينفكون فى الدنيا فى شئ من الحالات عن شئ مما من
المحن بل فى حال المسار يساق بهم الى محنه فاذ نهم فى محنه ولهذا روى كفى بالسلامة دا و
قال الشاعر اذا ما الشباب تم شيبا وتما فالحيوة هى الهموم
فالعاقل تفكره يعلم ان ماله وبدنه وديعة عارية مسترده فاذا عرض له ياسه كان له مر الصبر
مطيبة لا تكبوا ومن الرضى بقضا الله سبيل لا ينبوا واما نظائر ما من ذلك فان الله عز وجل
لما اجرى عادة الدنا ان لا ينفك من هذه الحالات المذكوره وانها قد تنال الاخيار كما
تنال الاشرار جعلها ابتلا له وليا به لكى اذا تلقوها بالصبر حط بها اوزارهم واعلى عظم به
اجرهم وخص بعض المفسرين هذه الاشيا فقال اراد بالخوف ما نال فى مجاهد العدو و
بالجوع صوم شهر رمضان ونقص من الاموال ما اوجب من الزكوة ونقص الانفس
الامراض ونقص الثمرات الصدقات وجعل بعضهم هذه الاشيا المحن الظاهرة العامة لكن
خص المخاطبين بانهم اصحاب النبى عليه وعليهم السلام خاصة فقال ان الله عز وجل ابلاهم

بهذه الأشياء الظاهرة للحواس المحسنة لا لكل ليعلم من يعلم أنهم تحيروا في اتباع النبي عليه السلام طلب
عرض بل شغوه لتحققهم بمعرفة الحق وظهور الحج وجعل بعض المعتزلة المخاطبين والمحن المذكورة
جميعا مخصوصين وقال ذلك في أصحاب النبي عليه السلام وعني بالخوف خوفهم من الأعداء والجوع فقرهم
لشتا عليهم بالجهاد ونقص المال للانقطاع عنه إلى الجهاد عن عمارة ساتينهم والأنفس للقتل في
سبيل الله قال وكل ذلك من فعل الله عز وجل لا من الكفار وجعل ذلك مخصوصا بما لا بد من أن
يكون بعمومه ناسبا إلى الله فعلا فيحيا ولو انشع نظره لأمن ط خطره وعلى هذا النحو قوله عز وجل
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم وقوله الم أحسب الناس أن يتركوا
أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة إن قيل لم فصل بقوله ولا تقولوا
الآيتين هذه الآية والتي قبلهما من قوله واستعينوا بالصبر وهي معترضة بينهما قيل بل هي متصلة
بهما لأنه لما حث على الصبر وأكثر الصبر لطلب الحيوة أو لما يعين على الحيوة بين تلك الآية أن
ذلك الصبر يوصل إلى حيوة باقية وأن الدار الآخرة لهي الحيوان وكما قال عليه السلام اللهم لا عيش
إلا عيش الآخرة لترغبنا في الصبر ثم لما قرر ذلك أشاع كلنا من هذه المحن كي يخف علينا
تحملها ثم حثه بقوله وبشر الصابرين ثم قوله عز وجل الذين إذا أصابتهم
مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون
المصيبة من أصاب السهم إذا بلغ على صواب وبني في الأصل صفة وليس يريد بالعوالي
اللفظ فقط فإن اللفظ بذلك مع الجزع القبيح والسخط للقضاء ليس يغني شيئا وإنما يريد تصور ما خلق
الإنسان لأجله والفضلة والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول فأمر تعالى بشارة من اكتسب
العلوم الحقيقية وتصورها المقصود ووطن نفسه عليه فإن قيل ولم قلت إن الأمر الصبر يقتضي العلم
وما الصبر من العلم قيل الصبر على الحقيقة إنما يمكن من عرف فضيلة مطلوبه ولهذا قال الخضر لموسى
لما علم أنه ليس يعرف منفصله في فعله قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم
تحط به خبرا فدل أن حقيقة الصبر لا بد له من معرفة المقصود به وقال عليه السلام أعطيت أمتي



ما لم يعط أحد إذ قال يعقوب يا أسفى وأعطيت أمتي أن يقولوا إنا لله وإنا إليه راجعون وقال عليه السلام
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا يرضاه وقال عمر في ذلك
نعم العدلان ونعمت العلاوة وحقيقة الرجوع إليه سمي في قوله عز وجل كما بدأكم تعودون فهو أدق
معنى مما قدره من قال إنا إليه راجعون إلى أن لا يملك أمورنا غيره كما كان في الابتداء فجعل ذلك رجوعا
قوله عز وجل أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وأولئك هم المهتدون الصلوة وإن كانت في الأصل الدعاء فهي من الله
عز وجل البركة على وجه والمغفرة على وجه ما والرحمة وإن كانتا متلازمتين فبينهما فرق ما
في الحقيقة وإنما قال صلوات على الجمع تنبيها على كثرتها منه وأنها حاصلة في الدنيا توفيقا
وإرشادا وفي الآخرة ثوابا ومغفرة ثم بين أن من كان كذلك فهو المهتدي منبها على ملازمة
هذه المعاني الصبر قوله عز وجل إن الصفا والمروة من شعائر
الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف
بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم الصفا الحجارة
الصافية عن الطين والمروة ما كان صلبا شديدا والشعائر جمع الشعيرة أي علامة
محسوسة ومعالم الحج مشاعر وشعائر وسمي الهدي المعلم بذلك والحج القصد لمعرفة ومنه
الحجة والعمرة الزيارة المقتضية لعمارة المودة في الأصل فكان الحج هو الزيارة والعمرة
عمارتها ولهذا لما أخر ذكرها في القرآن أوجب الإثم على من قدمها في أشهر الحج أو قرنها به ولتقدم
ما حقه أن يؤخر وهذا منه أن الإفراد أفضل من التمتع والقران فإن سأل وكيف ندب
النبي عليه السلام أصحابه إلى فسخ الحج والاشتغال إلى العمرة على هذا قيل إنما أراد أن يزيلهم عن اعتقادهم
أن الاعتمار في أشهر الحج من أكبر الكبائر والجناح الميل إلى الإثم وأصله من الجناح وجناح الطائر
حركه خاصة وبه شبه سير المركب فقيل جنحت الإبل في السير كقولهم طارت وجنوح السفينة
لتشبيه السابح بالطائر ولهذا قيل السابح طائر في الماء والطائر سابح في الهواء وجنح الظلام

الجناحه المدرك انه تقال الفي الظلم لزواقه كما يقال القي الظلام ازواقه والتطوع تكلف
طوع اي انقياد وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم وانما قال لا جناح وذلك لان العرب
كانت تكره السعي في الجاهلية وقيل لانها كانت تصنمين كانا على عليهما يعتقدون ان لهما
السعي فنفوا ذلك فانزل الله تعالى الآية واما الوجوب فمستفاد من الخبر وهو قوله
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وروي ان عروة قال لعائشة مالي لا اطوف بهما فقالت بئس ما ملت لو كان كذا لقال ان لا يطوف بهما وقد قيل ان قوله
لا جناح كلام تام وان قوله عليه ان يطوف استيناف يقتضي الوجوب وقرئ يطوع على
تقدير ومن يطوع وبين بقوله فمن يتطوع ان من زاد على ذلك فان الله عز وجل يشكر له عز وجل
للعبد الاحسان اليه وقد تقدم ان الشكر كما يكون بالقول يكون بالفعل على ذلك فقوله عز وجل

**قوله عز وجل**

**ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد**
**ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم**
**اللاعنون**

اللعن الابعاد على وجه الطرد وصار في التعارف دعا
اذا قيل لعنه الله والبينة والهدى وان كانا متلازمين فانهما مختلفان فان
البينات مشار بها الى الامارات المنزلة والهدى الى ما يسدل به من الامارات وقيل
الآية في اهل الكتاب الذين لم ترد النبي عليه السلام وقيل في عامة وسواء خصت الآية او لم
تخص فحكم الله عام في ان من كتم علما عن مستحق له استحق العقوبة وعلى هذا قال عليه السلام
من سئل عن علم فكتمه الجم الله بلجام من نار وليس ذلك منافيا لقول من منع حقائق الحكمة
عمن لم يستحقها فان ذلك دعاله ان يترشح لقبولها وحسن تعاهدها وحفظها لئلا يستهين
بها في طريق سر فليس العلم مامونا على الله عز وجل من الحال الذي هو عرض حاضر بالكل
منها البر والفاجر وقد منع ان يكرم منه السفيه الذي لا يحسن مراعاته فقال ولا تؤتوا السفهاء



اموالكم التي جعل الله لكم قياما واللاعنون قيل هو عام في الملائكة والناس والدواب الموتى
وما روي انه يلعنهم الهوام فمعناه القطر يعاقب بذنوب بني آدم فذلك شيء اجراها الله
مستخلف من الله اللعن فكانها ناطقة بذلك كقولك لمن دابته له اثر قبيح على فرسه
ان فرسك يشكوك ويلعنك وعلى ذلك قول الشاعر في ناقته

يقول اذا درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا ودين

واما ما تصوره بعض الناس من ان يكون للهوام تمييز ولعن بالقول مما لا يمتنع على وجه
مخصوص ليس هذا موضع شرحه

**قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا**
**وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم**

لما كانت التوبة استدراك ما ارتكب من الاثم وما يغره من افعال الخير على ما تقدم ذكر من يليم
البيانات والهدى عن الناس فانه مع جنايته في نفسه افسد الناس ومنع حقهم وان لا تكفيه
من التوبة ان يغير نشته بالندم والعزم ان لا يعاود مثله حتى يصلح ما افسده بقدر طاقته
ويظهر ما كتمه كما ان من غصبه مالا لم يكن له اخيا حق التوبة حتى يرد ما غصبه وضمن تعالى
انه يتوب عليهم اذا فعلوا ذلك ومن قوله وانا التواب انه ليس يقبل ذلك بلم فقط
بل يتوب على كل تائب وفي حق توبته وبرحمه بلا مسئولة

**قوله عز وجل**
**ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة**
**الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها**
**لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**

لما بين في الاول ان من تاب تاب عليه وحمه بين في هذا ان من مات على كفره فالعقوبة
لازمة له ان قيل الله تعالى قال في الاول اولئك يلعنهم الله الآية فلم اعاده ها هنا قيل لامرين
احدهما انه عم ها هنا وخص في الاول الذين يكتمون والثاني انه في الاولى ذكر اللعنة بتوجه
توجه اليهم ويستحقونه وفي الثانية ذكر ان اللعنة يقع عليهم ولهذا قال عليهم ان قيل هل

الناس عام حتى اكده ما جعين قيل نعم وذلك ان المومنين وصالحي العباد يلعنهم ويلعن
بعضهم بعضا كما قال ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وكل يلعن نفسه ويلعن
بعض حوله وجه وسواه بعضا كما شهد عليه وقوله خالدين فيها قيل في اللغة وقيل في النار وبهما في
الحقيقة واحد فكل من عليه اللعنة فهو في النار وقرن والملائكة والناس اجمعون ويكون
ذلك عطفا على المعنى دون اللفظ **قوله عز وجل والهكم اله واحد**
**لا اله الا هو الرحمن الرحيم** قد تقدم الكلام في الواحد اذا وصف
به الباري عز وجل وقوله والهكم يجوز ان يكون خطابا عاما اي المستحق منكم العبادة
اله واحد اكثر ويجوز ان يكون خطابا للمومنين والمعنى الذي تقصدونه اله واحد تشبيها
ان تسم كالكفار الذين يعبدون آلهة من الاصنام والشيطان والهوى وغير ذلك
ان قيل فما فايدة الجمع بين العلم اله واحد وبين لا اله الا هو واحد بما سئل عن الاخر قيل لما بين
بقوله والهكم اله واحد انه المقصود بالعبادة او المستحق لها وكان يجوز ان يتوهم ان يوجد اله
غيره ولكن لا يعبد او لا يستحق العبادة اكده بقوله لا اله الا هو حتى لهذا المعنى ان يوكده
بكلمة عليه الا لفاظ الملخصة اذ هو مبدؤ مقصود العباد ومنتهاه **قوله عز وجل**
**ان في خلق السموات والارض واختلاف**
**الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس**
**وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها**
**وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب**
**المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون**
اختلاف الليل والنهار ان يخلف كل واحد الاخر كقوله عز وجل وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة وقوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وتقلب تقلب الله
الليل والنهار والفلك السفينة المذكورة وبه شبه فلك السماء ولذلك استعمل فيه السباحة



وفلكه المغزل وفلكت الجارية صارت ثديها كفلكة وفلكت الجارية وصفت فلكة على
لسانه منعه عن الرضاع والفلك يقال للواحد والجمع وذلك انه يقال للواحد فلك وفلك
كخمر نخل ونخل وعرب وعرب وعجم وعجم ومن قال فلك جعله على فلك كخواسد و
اسد فقد لحق الواحد والجمع من لغتين والبث اظهار ما كان خفيا عن الحاسة حدثا او كان
او مسا او غيرهما والدبيب والبث اصله حكاية صوت المشي ثم قيل دب اذا مشى و
يقال لكل ماش دابة ثم خص بالفرس وخص الدب بضرب من السباع واما الدبة والدبدبة
فاعتبارا بصوتهما والتصريف صرف الشيء من وجه الى وجه وصرف الباب منه لكثرة
اعتبر فيه الصوت فبنى نا لاصوات كالنميق والتشيق وعرصارف يصرف النخل
الى نفسها باظهار شبقها والصرف والصريف المصروف عن الكدورة لكن خص
الصريف باللبن والصرف بسائر ما اشتريه وقوله وتصريف الرياح يحوز ان يكون تقديره
تصريف الله الرياح واضيف الى المفعول او تصرف الرياح السحاب فيكون مضافا
الى الفاعل والسحاب جمع السحاب هو لما يجره الريح واسخير القهر على الفعل وهو
ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير على الفعل بلا ارادة منه على وجه كحمل الانحن على الطحن
ان قيل لم جمع السماء وافرد الارض في كل القران قيل لان السموات لما كانت في الحقيقة
سبعا طباقا بعضها مختلفة على ما ذكره اصحاب هذه الصنعة وكل واحدة مستبدة القوة مما قوفها
ومعطية مادونها والارض وان كانت سبعا فلا على ذلك الحد فانها بالطباق
المتراكبة تتراكب السماء وطبيعتها واحد ولهذا قال ومن الارض مثلهن فترك اللفظ
مفردا ونبه بمثلهن على العدد الذي يعد به الاقاليم وانما ذكرها هنا لفظ الخلق لانه
مشتمل على الابداع والصنع والتسخير وخص فعل الله تعالى بذلك لكونه موضوعا للقدر
المقتضي للاحكام وهو احكم الحاكمين ونبه تعالى على وحدانيته بالتفكر في هذه الموجودات
وذكر من اياته ما لا تخفى اثر صنعته على ذوي الحواس والعقول يستدل به على كل قادر

فهه ويقف منه على معارف يبلغ عليه ان قيل كان الوجه ان يعقب ذكر السموات والارض
واخلاف الليل والنهار بتصريف الرياح والسحاب التي هي من اثار الجو ومختص بفعل الله عز وجل
ثم يعرج على ذلك الفلك التي هي في الارض ومنها اثر ايدي البشر حتى يكون على النسق
قيل ان ايجاد البحر مقدم على ايجاد الامطار والرياح والسحاب وكل ذلك ينشوء عن البخار
المتاطع عن رطوبة البحار وبوسطة الارض وذلك مبين في كتب المعنيين بمعرفة هذه الصنعة
ولما لم يكن فرق بين ان يقال والفلك التي تجري في البحر وبين ان يقال والبحر الذي تجري فيه
الفلك في ان القصد الاول بالاية الى تعريف منفعة البحر وان اجري في اللفظ وقدم ذكر الفلك
التي هي صنعتنا ونحن بصنعتنا اعرف منا بصنعته قدم ذكر الفلك لتنبيه منها الى اثار الله
تعالى وقال بعض الناس لم يعن بالفلك والبحر المحسوسين فقط بل عنى بالبحر كل حيرة وشبهه
ومشقة وبالفلك كل ما فيه ايقاد البشر من فايض النور والعقل الذي يعلم به وغير ذلك من
المعاون المعقولات والمحسوسات وقد تقدم ان من الناس من قال الاشاره بالما في
نحو هذه المواضع الى العلوم التي بها الحيوة الابدية وبالارض الى النفوس التي بها تحيى
ولما ذكر الله عز وجل في الاية الاولى والهكم اله واحد جعل هذه الاية دلاله عليه بينها ان
كل موجود لا يمكن من ان يكون مكونا غير مكون او مكونا من وجه مكونا من وجه
او مكونا غير مكون ومحال ان يكون كل مكون مكونا لان ذلك يودي الى ما لا نهاية
فاذن لا بد ان ينتهي الموجودات الى مكون غير مكون وذلك هو الباري عز وجل فنبه
ان اثر الصنعة والكثرات موجوده في هذه الاشيا فلا بد ان تكون مكونه وهذا هو الدلاله
على وحدانيته على طريق الجمله ﴿ قوله عز وجل ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان
القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب



الند المثل في الجوهر وقد يعم والحب اصله من الحب وبه شبه حبة القلب وحبيبة يقال
على وجهين احدهما اصبت حبه قلبه نحو كبدته وفادته والثاني اصبته لحبة القلب نحو
رحمته وعنته اصبته بالعين وقولك حبيبته واحببته مبني اللفظ فعل وفي الحقيقة
قد يكون انفعالا ان الحب يكون منفعلا للمحبوب واذا استعمل في الله وقيل احب الله فلانا
فليس الا على سبيل الفعل والمعنى اصاب سبحانه حبة قلبه فجعلها لنفسه مصونة عن الهوى
والشيطان وسايراعدا الله والمحبه ارادة ما تراه او تظنه خيرا وهي اربعة اضرب
حسب اعراض الناس في امورهم اللذه والنفع والخير المحض والمركب من اللذه والنفع لمحبه
المغني له والمغني بعضها لبعض وكل محبة ستقطع سببها انقطعت بانقطاعها والملكات
الشهوة البدنيه والمنافع الدنيوية منقطعة فالحب الذي يحلبانه منقطع لا محاله بانقطاعها
ولما كان الخير المحض باقيا كان الحب الذي يحلبه باقيا ببقايه ولما بين تعالى توحيده و
الدلاله عليه ذكر بعد ان مع ظهور الايات البينة عنها من الناس من يتخذ من نفسه
محبه ويراعيه مراعاة الله تعالى ثم نبه بقوله والذين امنوا اشد حبا لله ان محبتهم
لانداديم منقطعة فان اسبابها المقتضيه لها منقطعة ومحبة المومنين لربهم ادوم
والند المشار اليه سواء كان صنما معبودا او بيسا مخدوما او عالما معتقدا او انسانا معشوقا
فان كل ذلك محبوب لمن يراعه من وجه ومعبود من وجه ثم بين بقوله ولو يرى ما اعد
لهم من العذاب الاليم فاذا قدرت باليا فان له مفعولا يدل عليه وجواب لو محذوف وقيل
ان القوة مفعول الفعل المحذوف الذي هو جواب كانه قيل لرأوا ان القوة لله واذا قرئ
بالتا فهي خطاب للنبي عليه السلام على طريق التعظيم ومعناه انك مع علمك باحوال القيامه لو رايت
لتعجب وقوله ان القوة قيل يدل من الذين وهو ضعيف وقيل هو مفعول الفعل
المقدر للجواب وقيل يقدر ان وقد قرئ ان مكسورة ولم يكون الاعلة والمفعول
محذوف ﴿ قوله عز وجل اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب

السبب اصله الحبل الذي يشد به الجنيم ويرتقى به النخل ثم جعل عبارة عن كل ذريعة من مواصلة
وذمة والسب والسبيبة للشقة من الثياب تشبيها به في الهيئة وبعض الصفة
وسببته كناية في الاصل لان معناه اصبت سببه وعنه سمي الاصبع سبابة لكونها
مشيرة بالسب كما قيل لها مسبحة لاشارتها بالتسبيح وتقدير الاية ان الله شديد العذاب
اذ تبرا المتبعون من تابعيهم كقوله لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وقوله ويوم
القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وكما حكى عن الشيطان ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي وقوله يوم لا ينفع مال ولا
بنون قوله عز وجل وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا
منهم كما تبروا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات
عليهم وما هم بخارجين من النار الكرة العطف على الشي بالذات
او بالفعل وعبر به عن الحمل المعقول والكر بكر الحشرجة في الصدر والحسرة اصلها
من حسرت القناع وكانها كشف غطاء البصيرة من الهوى وعلى ذلك تخلى غطاء
الراس عبر والحسر غطاء وادت بحلى سنن ولما كان عند ذلك يعرض الندم والغم بما
كان من الانسان عبر به عنهما وقيل اصابته حسرة وقوله كذلك اي كما تبرى بعضهم من
بعض يريهم اعمالهم حسرات من تعالى ما يظهرونه من النعم باتباع ما لا يغني عنهم من الله
شيئا ويريهم ما لاجلي نفعا واعمالهم دخل فيها الاعمال التي فعلوها ولم يريدوا بها وجه
الله تعالى فضلت عنهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم وقوله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة ودخل فيها الاعمال التي فرضت عليهم فاخلوا بها وعلى ذلك ان الجنة يرفع لهم
فينظرون اليها فيقال تلك مساكنكم لو اطعتم الله عز وجل وترفع النار لاهل الجنة فيقال



تلك مساكنكم لو عصيتم الله عز وجل قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما
في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين الحلال من حللت العقدة وهو الذي
حل عقد الحظر عنه وحل بالمكان اي حل عقد احماله كقولهم حط رحله والقى له وافقه حل
الدين اي حل عقد المطالبة وحل من احرامه حل ما عقده على نفسه بالاحرام وحلة اليمين بازا
عقدة اليمين والتحليل لخروج اللبن والبول لانحلال عقدته والطيب ما تستطيبه الشهوة
المستقيمة والعقول الصحيحة اما بالاضافة الى الشهوة المستقيمة فهو ما يشتهى لا لاضطرار
كالجرذ والفار والحية واللحم او لعادة سيئة كاكل الضب ولهذا قال الشاعر

اكلت اذ ذقت المكى بالاكباد لما تركت الضب يعدو بالواد

وكعادة المخنث والمائل الى الذكور عن النساء واما بالاضافة الى العقول الصحيحة فما لم يكن
منا ولا من حيث ما يجوز متبلغا به الى ما خلق لاجله وان لا يقصد به شرك كما يذبح
على النصب والخبيث على العكس من ذلك والحلال اعم من الطيب والحرام اعم من الخبيث
فقد يكون حراما ما لا يكون خبيثا في نفسه بالعقل كالقسم بالازلام واستعمال الفضة والذهب
ولبس الحرير على الذكور وجمع بين الحلال والطيب في الاية ليفيد ما استطابه الطبع واباحه
الشرع ولما ذكر اباحة الطيب وكان كثيرا ما يزين الشيطان لبعض الناس ما ليس بالطبع
الصحيح طيبا كما ان المخنث اتبعه بقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان كقوله ولا
تتبع الهوى فيضلك وقد يعلم ان لا فرق بين ان يقال اتبع فلان الهوى او الشهوة
او الشيطان او الحيوة الدنيا في ان المقصد متابعة ما يصد عن سبيل الله عز وجل وتبع
بقوله انه لكم عدو مبين ان عداوته للحق على ذي بصيرة وهذا المعنى الذي اراد الشاعر
وان نقل اللفظ الى الدنيا بحيث قال

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقال اخر عمري لقد نصح الزمان وانه لمن العجائب ناصح لا شفق قوله عز وجل

## انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

السوء والفحشاء كل قبيح من نحو الشك والسرقة والكبر والقتل والخيانة و
الكذب والجبن والجهل وكل ما يقال له سوء يقال له فحشاء لكن بطرق مختلفين فانه يسمى
سوءا ان يتم العاقل والفحشاء ان يستقبحه ونبه تعالى بان الشيطان داع الى اباءى الشر
السواء والفحش والقول على الله عز وجل ان قيل اذا كان القول على الله عز وجل بلا علم مرجعا
الشيطان فكيف صح الحكم بغلبة الظن في كثير من الاحكام فان عامة فروع الفقه مبنية
على غلبة الظن قلنا اولا ان ذلك ليس بقول على الله عز وجل وانما ذلك قول على احكامه
وقد فرق المتكلمون بين الحكمة العلمية وبين الحكمة العملية وقالوا كل ما كان من الحكمة العلمية وهي التي
لا عمل لها كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله فانه لا يجوز ان يحكم فيه الا بالعلم الموصوف
عن الشوائب وما كان من الحكمة العملية فاصولها كذلك واما فروعها فيجوز الحكم فيها بغلبة
الظن لتفسيح صاحب الشرع لنا في ذلك فصار حكمنا فيه من هذا الوجه حكما بالعلم لانه
اذا قال لنا اذا غلب في ظنكم ان القبلة في هذا الجانب فصلوا اليه واذا شهد عندك شاهدان
مزكيان فاحكم بشهادتهما صرنا عالمين بان هذا الحكم واجب علينا في الظاهر وهذه مسئلة
قد احكمت في اصول الفقه واما سوال من سال من المتكلمين في هذه الاية بانه كيف يامرنا
الشيطان ونحن لا نسمع قوله ولا نرى شخصه وما الحكمة في ايصال الله عز وجل امر الشيطان
الى نفوسنا فهذا او ما يرى مجراه من الاسئلة سوال من لم تخط المحسوسات والموهومات
الى باب المعقولات ومجال الاشتغال معه

## باب قوله عز وجل

## واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا
## عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

ذمهم الله تعالى بانهم ارتكبوا ما خص الله به الانسان من الفكر والروية وركزه فيه من المعارف



وذلك ان الله عز وجل ميز الانسان بالفكر ليعرف به الخير من الشر في الاعتقاد
والصدق من الكذب في المقال والجميل من القبيح في الفعال ثم تحرى الحر والصدق
الجميل وتجنب اضدادها وجعل له من نور العقل ما يستضيء به فدله على معرفة مطلوبه
فلما حث الناس على تناول الحلال الطيب ونهاهم عن متابعة الشيطان من حال الكفار
في تركهم الرشاد واتباعهم الاباء والاجداد لمجرد الاقتداء امرتاركين لاستعمال الفكر الذي
هو صورة الانسان بما قال او لو كان اباؤهم اي يتبعونهم وان كان اباؤهم جهلة بسبب انه
محال اتباع من لا عقل له ولا اهتداء ان قيل ما فايدة الجمع بين قوله لا يعقلون ولا يهتدون وهما
بمعنى عن الاخر قيل قد تقدم ان العاقل يقال على ضربين احدهما لمن حصل له القوة التي بها يصح
التكليف والثاني لمن حصل له العلوم المكتسبة وهو المقصود ها هنا والمهتدي قد يقال
لمن اقتدى في افعاله بالعالم وان لم يكن متمكنا في العلم فمن انهم لا يعلمون ولا يهتدون بعالم
ووجه اخر وهو ان يعقل ويهتدي وان كانا كثيرا اما سلازما فان العقل يقال بالاضافة
الى المعرفة والاهتداء بالاضافة الى العمل فكانه قيل لا علم صحيح ولا عمل مستقيم

## قوله عز وجل

## ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
## الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

النداء من قولهم ندى الصوت اي عظم الصوت واصله من الندى فاداه اي دعاه
ندى صوته لما حكى عنهم ما زعموا انهم يتبعون آباءهم ودل على جهلهم بانهم كالغنم ينعق بها
لا يعرفون معنى الصوت وقصد المشاكلة وقد تقدم الكلام في صم بكم ان قيل كيف يكون
مثلهم مثل الناعق والذين كفروا المنعوق به اشبه والذي ينعق بالمشاكل اشبه
قيل التشبيه ضربان تشبيه مفرد بمفرد وحقه ان يحمل احدهما على الاخر نحو زيد كالاسد و
تشبيه جملة بجملة وراعى فيه مقابلة الالفاظ المفردة بل نظر فيه الى المعنى فلما شبه نفس
الذين كفروا في اعراضهم عن الداعي لهم الى الحق بنفس الناعق قدم ذكر الناعق ليبنى عليه
ما يكون منه ومن المنعوق به وعلى هذا قوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل

حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وقوله فمثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا
كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وقيل عنى بالذين كفروا المشركين
لما تابعين ومتبوعاه مثل الذين كفروا في دعائهم اياهم كمثل الناعق بالغنم الذي لا يسمع الا
الصوت قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
ان قيل ما فايده اعاده هذا المعنى وقد تقدم انفا وما الفرق بين هذا الخطاب وذلك الخطاب
قيل في ذلك لطيفه واشاره عجيبه وذلك انه حيث خاطب الناس كافه قال كلوا مما في الارض
حلالا طيبا فاباح لهم ذلك ومنه انه لم يحظه عليهم الا تناول المحرم وعقبه بالنهي عن اتباع
الشيطان وجعل الخطاب في هذه الايه مخصوصا بالمومنين وامرهم ان لا يتوسعوا في تناول ما رزقوا
بل يتخيروا من الطيب اكثر الناس مما في الارض وامرهم في الاول بالتخير من خطوات الشيطان وامرهم
الان تمام ما تخيلوا به عن المباح وامرهما هنا بالشكر لله الذي هو اعلى مرتبه في العباد على ما تقدم
ذكره ونبه بقوله ان كنتم اياه تعبدون ان عبادته لا تتم الا بالشكر قوله عز وجل انما حرم
عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم الاهلال
اصله وجود الهلال وما جرت العاده ان يكبر عند رويته سمي التكبير اهلالا لذلك قيل لرفع
الصوت ايضا اهلال تشبيها بذلك حتى قيل لاهل الصبي واما التهلل وظهور الهلال
فاراده تصور لمعانه فيقال تهلل السحاب وتهلل وجهه ومارة تصور شكله فيقال هلال البعير
اذا نقوس ان قيل لم ذكر بعض المحرمات وترك بعضها قيل في ذلك ايان احدها ان المكلف
عنه هو تحصيل المشته وقد ذكرها هنا الميته المسنوعه لكل ما مات روحه عن غير ذكاه
والثاني انه لما كان القصد في هذه الايه حكم تناول المضطر دون استيعاب المحرمات ذكر اكثر
وترك البعض والباغي في الاصل الطالب ما ليس له طلبه والعادي المتجاوز لما رسم له الشرع
وقال الحسن وقتاده والربيع وابن زيد غير باغ غير مستحل للذه ولا عاد في المعصيه

طريقه المحقين والى نحوه ذهب الشافعي والظاهر شهد له ان قوله غير باغ ولا عاد متعلق
بالاضطرار فكانه قال من حصل له اضطرار لا على احد هذين الوجهين وعلى الاول يكون تقديره
فمن اضطر فاكل غير باغ ولا عاد فيكون غير متعلقا بمقدر محذوف ومن انكر ذلك وقال
انكم تامرونه بقتل نفسه اذا اخطرتم ذلك عليه وقتل نفسه محرم عليه عاصيا كان او مطيعا
فجوابه انا لم نامره بذلك بل امرناه بان يخرج عن الحاله التي يكون الميته عليه محرمه وذلك
بان يتوب والمكان متناول لا محظور كما ان سفره محظور فان قيل اليس من سفره طاعه
انا نحمل له الاضطرار على الطاعه فاذن العله هي الضروره فيجب ان يكون مطردا فقل العله
هي الضروره مع حصول الطاعه فقد قال الحكما وهو الصحيح ان الله تعالى جعل للانسان
طيبات الرزق بشرط الايمان ولهذا قال قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصه
يوم القيمه فما اخذه الكفار من نعم الدنيا فانما ياخذه اغتصابا في الحقيقه ولذلك قد يسلم
اموالهم والايه تقتضي ان المضطر مخير في تناول ايها اراد وهو الصحيح وان عليه ابقاء روحه
بحسبه فاراه اقرب الى ابقايه فهو اولى بتناوله واختلف اذا اضطر الى شيء من ذلك وفي دوآ
لم يسد غيره مسده هل يجوز تناوله والصحيح انه يجوز للعله التي لها اجيز تناوله للجوع وكذا المحرم
اذا اضطر اليها في دوآ حكم المضطر بانه لم يسد غيرها مسدها وانه يفوت روحه ان لم يتناولها
وقوله عليه السلام ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فمعناه ان قدر ما فيه الشفا غير محرم
عليكم وعلى هذا نبه بالرخصه في شرب ابوال الابل قوله عز وجل ان
الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب الايه البطن شبه
بطن الامر وبطن الوادي والبطن من العرب اعتبارا بانهم كشخص واحد وان كل قبيله
منهم كعضو بطن وفخذ وكاهل وعلى هذا الاعتبار قال الشاعر
الناس جسم وامام الهدى راس وانت العين في الراس
وقيل بطن اذا عظم بطنه نحو جسم وكبر وبطنته عظم بطنه وسمي ما اشتد عليه بطانا على

بها حرام وزمام والابطن عرف بكسف البطن على بناء الاكل وإعادة تعالى وعيد كاتمي احكامه اثر ما ذكر من الاحكام وما لمن فعل ذلك من اهل الكتاب وتحذيرا لهذه الامة ان يسلكوا سبيلهم واكل النار تناول ما يؤدي اليها وذكر الاكل لكونه المقصود الاول بتحصيل المال وسماه بالمال الذي هو النار وذكر في بطونهم تنبيها على شرههم وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لاجل المطعم الذي هو اخس متناول من الدنيا وعلى ذلك قال الشاعر

ودع عنك عمران عمر اسامكم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

وقال آخر كلوا في بعض بطنكم تعفوا وعلى ذلك قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ولا يكلمهم الله نفى الكلام راسا فقد قال فلنسألن الذين ارسل اليهم وقال ويوم يقول نادوا شركائي وانما اراد كلاما يقتضي حدوثي ولهذا قال الحسن معناه يغضب عليهم تنبيها انهم خلاف من قال فيهم تحيتهم يوم يلقونه سلام وقيل حقيقة كلمته حملته على الكلام نحو حركته وحرجته وان من كلمته استدعيت كلامه فكانه قيل لا يستدعي كلامهم نحو لا يؤذن لهم فيعتذرون وقد تقدم الكلام في الاشتراء والقليل والتزكية قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الضلالة والعذاب يتلازمان وكذلك الهدى والمغفرة لكن الضلالة والهدى يتلازمان على الاعتبار بالدنيا والعذاب والمغفرة على الاعتبار بالآخرة وجعل تعاطيهم لما يؤديهم الى النار بمنزلة الصبر على النار وهذا معنى قول الحسن ليس لهم صبر على النار ولكن اراد ما اجرأهم على النار وقول ابي عبيد ان ذلك لغة يمانية بمعنى الجراة ما يحتاج به لقول الاعرابي الذي قال لخصمه ما اصبرك على الله مقصود للمجاز بصورة الحقيقة لان ذلك معناه ما اصبرك على عذاب والى هذا يعود قول من قال ما اعملهم بعمل اهل النار وما اعامهم على النار وقد يوصف بالصبر من لا صبر له اعتبارا بالناظر اليه وتصورا انه صابر استعمال لفظ التعجب في ذلك اعتبارا بالخلق لا بالخالق قوله عز وجل بان الله



نزل الكتاب اشارة الى كل ما تقدم من العذاب والحكم والضلال اي ذلك بسبب انزاله الكتاب واختلافهم فيه ويصح ان يكون نصبا اي فعلنا ذلك بان الله واصل الاختلاف التخلف عن المنهج وقيل اختلفوا اتوا الخلاف لما انزل الله وقيل اختلفوا بمعنى خلفوا نحو كسبوا واكتسبوا وعملوا واعتملوا اي صاروا اخلافا فيه نحو خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب والشقاق قد تقدم ذكره ووصفه بعيد تنبيها على بعدهم من الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون الرقبة اصل العنق ويعبر بها عن الجملة كما يعبر عنها بالراس والظهر والرجل واليد ويعبر بها عن المملوك وقيل رقبته اذا اصبت رقبته اما بالسلاح واما بالعين ناظرا اليه ثم سمي المراعي للغير رقيبا والخطاب في هذه الآية للكفار والمنافقين الذين انكروا تغيير القبلة وقيل بل لهم وللمؤمنين حيث قدروا انهم نالوا البر كله بالتوجه اليها ولما كانت القبلة احد اركان الصلوة والصلوة احد اركان البر بين تعالى ان ليس البر بمقصور على هذا الذي تعتبرونه بل هو جملة ما والقبلة ركن من اركان واحد منها ثم عددها وذكر جملتها فرائضها ونوافلها وبيان ذلك ان جميع البر ضربان اعتقاد واعمال فالاعتقاد اصوله الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والاعمال ضربان احدهما ما ياخذ الانسان به نفسه في معاشرة الناس من الاقارب والاباعد من بذل المعروف والمواساة والتحبب اليهم بالبشر والقول الحسن والثاني ما يختص به في نفسه

من اقامه العبادات واستعمال الصدق والوفا والتواضع والصبر وقد نبه الله عز وجل
على جميعه بهذه الايه اما على الاعتقاد فبقوله من امن بالله الى قوله والنبيين واما على ما يأخذ به
الانسان نفسه في معاشرة الناس فبقوله واتى المال الى قوله وفي الرقاب فانه ذكر
الجود الذي هو من وجه افضل هذه الافعال ومن وجه هو كمال هذه الافعال فان الجواد كما يتبرع
بماله يتورع عن مال غيره وكما يجود بماله يجود بجاهه وطاقته وجهه وعند الحقيقه بنفسه ودل
على ما يحصل به في نفسه بقوله واقام الصلوة الى اخر الايه وكل ما سكت عنه فداخل تحت
ما ذكره او منبه عليه ونبه ان الاتيان بذلك برهو المودي الى النعيم المدلول عليه بقوله
ان الابرار لفي نعيم وبين تعالى بقوله اولئك الذين صدقوا اذ ذلك اذا اعتبرتهم بافعالهم و
اقوالهم فهم الذين صدقوا واذا اعتبرتهم بافعالهم واحوالهم فهم المتقون والصدق و
التقوى وان اختلف حقيقتاهما فهما متلازمان ان قيل ما وجه قول النبي عليه السلام لما ساله
ابو ذر عن البر فقال عليه الايه ولما ساله وابصه عنه قال ما اطمان اليه القلب واطمانت اليه
النفس الخبر قيل ان ابا ذر ساله عن ذات البر فبينه بالايه وابصه ساله عن كيفيه تحريه
والاستيفاق من نفسه في تعاطيه فبينه لصفته ان قيل لم قال ولكن البر من امن
او البار من امن فبينطابقا قيل ذكر النحويون في هذا وامثاله انه على حذف المضاف
واقامه المضاف اليه مقامه ولكن وجه فايدته انه اذا قيل زيد بار فانه يعتبر في ذلك
باو سيان الذات والصورة والمختص بها من معنى البر واذا قيل زيد هو البر فيقتضي مبالغة
وانه صار لاختصاصه بهذا المعنى حيث لا يرى منه الا هذه الصورة مجرده عن العنصر
الذي يجوز ان يتصور بغيره من الصور وعلى هذا كل ما في معناه نحو زيد اقبال وادبار و
اكل وشرب وقوله على حبه اي على حب المومن فيكون مضافا الى الفاعل وقيل على
حب المال ويكون مضافا الى المفعول ونبه بذلك انه يبذله مع فرط الحاجه اليه نحو قوله
تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه وقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون



وسئل عليه السلام اي الصدقه افضل فقال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر وقيل تقديره على حب الايتاء وذاك ان الجهه التامه لمن يهتز لاعطا المال
ويحب ذلك كما قال الشاعر

ليس يعطيك للرجا وللخوف ولكن يلذ طعم العطا

وقيل على حب الله اي يقصد به القربه لا طلب ريا ولا ثواب كما قال انما نطعمكم لوجه الله
ان قيل لم قال والموفون بعهدهم ولم يقل ووفى كما قال واقام الصلوة واتى الزكوة ليكون
الكلام على نسق واحد قيل ذلك لامرين احدهما اللفظ وهو ان الصلة متى طالت كان
الاحسن ان يعطف على الموصول دون الصله لئلا تطول فيقبح والثاني انه ذكر في الاول
ما هو داخل في حيز الشريعة وغير مستفاد الا منه فالحكمه العقليه تقتضي العرا له دون الجود
ولما ذكر الوفا بالعهد وهو مما تقتضي به العقول المجرده صار عطفه على الاول احسن ان قيل
لم نصب الصابرين قيل قد ذكر النحويون ان الصفات للمدح والذم اذا تتالت فقد خالف
بين اعرابها وانشدوا في ذلك النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر الى ابيات
اخر وفايده خلف انهم اذا ارادوا ان ينبهوا ان كل واحد من تلك الاوصاف مستقل
بمدح او ذم عظيم لو تجرد عما معه خالفوا بين اعرابها بينها على هذا المعنى ولما كان الصبر من وجه
مبدا الفضايل ومن وجه جامعا للفضايل اذ لا فضيله الا وللصبر فيها اثر بليغ وراعي حسنها
الايه حتى دوى الصبر خير كله وقوله الصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد غير اعرابه تنبيها
على هذا المقصد واستوعب بقوله تعالى والصابرين في الباسا والضرا انواع الصبر لانه
اما ان يحتاج اليه في معنى يفوت الانسان او يريده فلا يناله وهو الباسا او فيما ينال جسمه
من الم وسقم وهو الضرا او في مدافعه مودٍ به له وهو الباس ان قيل كيف قال ها هنا ذكر
الاخره والاخره في قوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم قيل يجوز ان الواو
لا تقتضي الترتيب من اجل ان الكافر لا يعرف الاخره ولا يعني بها وهي ابعد الاشياء عن

الحقايق عنده اخر ذكره في قوله ومن يكفر ولما ذكر حال المومنين والمومن اقرب الاشيا
اليه امر الاخره وكل ما يفعله ويتحراه يقصد به وجه الله ثم امر الاخره قدم ذكرها بينهما ان
مراعاة الله عز وجل ومراعاة الاخره ثم مراعاة غيرهما ان قيل كيف اختير الترتيب المذكور
في قوله واتى المال على حبه قيل لما كان اولى من ينفقه المرء على انسان يعرفه اقاربه ولهذا قال
النبي عليه السلم لن تقبل الله صدقة ودو رحم محتاج كان تقديمها اولى ثم عقبه باليتامى فان الناس
في المكاسب ثلثة معيل غير معول ومعول معيل ومعول غير معيل واليتيم معول غير
معيل فواساته بعد الاقارب اولى ثم ذكر المساكين وهم الذين لا مال لهم حاضرا ولا غائبا
ثم ذكر ابن السبيل الذي قد يكون له مال غايب ثم ذكر السايلين الذين منهم صادق وكاذب
ثم ذكر الرقاب الذين لهم ارباب يعولونهم وكل واحد ممن آخره ذكره اقل ضررا ممن قدم
عليه **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص**
**في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من**
**اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف**
**من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب**
**اليم** القصص قطع اثر الشيء على سبيل الاحذا ومنه قص شعره وقص اثره وقص الحديث
اقتطع كلاما حاذا ما حرف غيره والقصة اسم منه وحقيقة القصاص ان يفعل بالقاتل
والجارح مثل ما فعلا واعتبر الشافعي ومالك صورة الفعل حتى ان من رضخ راس غيره
بالحجر كان القصاص مثله لكن ملكا يقول ا فعل به ذلك الفعل حتى لو
والشافعي يقول ان مات من مثل فعله قتل بالسيف ومن الفقها من يعتبر المماثلة
في القاتل والمقتول فلا يقتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي وبالخلاف انه يعتبر في بعض
كالمسلم والكتابي يعبر بها عن الجناب واصل ذلك ان الشيء يراد ثم ينال فيكتب
فعبر عن المراد الذي هو المبدو بالكتابة التي هي المنتهى ان قيل على من توجه هذا الخ



ص

ميل على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو الامام اذا طلبه الولي ومنهم من
يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من يلزمه المعاونة او الرضى به ومنهم من يلزمه ان لا يتعدى
بل يقتص او ياخذ الدية والقصد بالاية منع التعدي فان اهل الجاهلية كانوا يسرفون
في القتل وربما لا يرضى اولياء المقتول اذا قتل عبد عبده الاخر وقوله فمن عفي له من اخيه شيء
من القاتل واخره ولي الدم ومعناه من ترك له اخوه الذي هو ولي الدم شيا من القصاص
فليتبع من المطالبة بالدية المعروف ولتوده القاتل باحسان ان قبل المال فمن عفي
له من اخيه شيء وما قل فمن عفا له اخوه شيا مثل فالعدول الى هذا البنا للطيفة وهي
انه يفرق بين ان يكون صاحب الدم واحدا فعفا او جماعة فعفا واحد منهم انه يسقط حق
القصاص ويعدل حصة الى الدية فقال فمن عفي له ليدل على هذا المعنى وقيل فاتباع
هو امر للعافي بحسن المطالبة والهاني قوله احد محوران يكون للمقتول وان يكون
لولي المقتول وجعله اخا لولي الدم للتنسيب والى للموالاة الدينية ولكن للاصناف
الذي اسداه اليه واجرا العفو مجرى الخطا في الرضى منه بالدية وقوله ذلك تخفيف
اي خفف عنكم اذ جعل لكم الخيار في الحكمين وقال بعضهم لم يكن العفو في امة قبل هذه الامة
وقوله فمن اعتدى اي من تجاوز المشروع قالا كان او اولي المقتول فانه معاقب
**قوله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب**
**لعلكم تتقون** قوله في القصاص حيوة كقول العرب القتل ابقى للقتل
وذلك انه لما رات العرب كان تتبع
من تسلم القاتل الى ولي المقتول مخافة ان يقتل عليهم فقال الله تعالى في القصا
حيوة اي اذا اقتص كثر عددكم لان الله تعالى ينجي بكل قوم كثر فيهم القتل ولهذا
كثرت العلوية وقل العباسية ولهذا قيل السيف منماة وانشد على قلة الاكثر عددهم
وقيل ان في ذلك حيوة القاتل في الاخرة فانه يرجى له الغفران قال وعلى هذا روي ان الحدود

كفارات لاهلها وذلك يشترط ان يكون منه توبة فالتوبة حق الله والقصاص حق الادمي واذا تاب واقتص منه فقد خرج من الحقين ويرجى له الغفران وقوله لعلكم تتقون على التفسير الاول اي لعلكم ترتدعون عن القتل وعلى الثاني لعلكم لا تتحاسون بترك القاتل والاستنكاف للقصاص قوله عز وجل **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين** الخير هاهنا المال قليلا كان او كثيرا وقال بعض الناس الخير لا يتناول الا الكثير مستدلا بان عليا رضي الله عنه دخل على مولى له في مرضه وله سبع مائة او ستمائة فقال الا اوصي فقال رضي الله عنه لا انما قال الله ان ترك خيرا وليس لك كثير مال ان قيل كيف سمي المال هاهنا خيرا [illegible] يراعى حال صاحبه فربما كان خيرا له وعلى هذا ذمه الله [illegible] عامة [illegible] وتارة فتنة وتارة عدوا قيل ان المال يكون كما يكون خيرا قد يكون شرا لكن جعله تعالى هاهنا خيرا تنبيها على ان الوصية تستحب في المال الطيب دون الخبيث والمغصوب فان ذلك يجب رده الى اربابه ويأثم متى اوصى به وقيل هذه الاية منسوخة نسخ منها الايجاب جملة والوصية للوارث ايجابا وندبا والناسخ لها عند الشافعية اية المواريث وعند بعضهم قول النبي عليه السلام لا وصية لوارث وقال بعض الناس لا نسخ فيها لان كتب وان كثر استعماله في الايجاب فقد يقال في الندب لان معنى كتب امر وشرع وما امر وشرع قد يكون ندبا وايجابا وقوله الوصية للوالدين والاقربين وان اقتضى عموما فانه مخصص بقوله عليه السلام لا وصية لوارث فصار ذلك للوالدين الكافرين او المملوكين والاقارب الذين ليسوا بورثة ومخصص ايضا في تحديد التخصيص فيما فوق الثلث بقوله الثلث والثلث كثير وقال طاوس ان اوصى لغير ذي قرابة لا يجوز احتجاجا بالاية وظاهر الاية لا يقتضي ذلك قوله عز وجل **فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم**

اريد من بدل ذلك ولم يقل بدلها وان كان المتقدم ذكر الوصية لكن يتناولها وغيرها من متعلقاتها والهاء في اثمه للتبديل ومن عام في الوصي والموصى له والشاهد والحاكم وكل من له مدخل في ذلك اذا غير شيئا بعد ما سمعه [illegible] في ذلك راجع اليه تنبيها على ما قال عليه السلام من سن سنة سيئة فله اثمها واثم من عمل بها [illegible] المستحق [illegible] لكن ادعى على صاحب الشرع خبرا يتعلق به حكم الناس بعده اقتفاها عليه وانما قال على الذين يبدلونه ولم يقل عليه ليبين ان اثمه للتبديل لا لغيره ونبه بقوله ان الله سميع عليم ان ذلك وان خفي على الناس فلن يخفى عليه تعالى فانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور قوله عز وجل **فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم** حنف وجنف متقاربان لكن حنف استعمل في الميل الى الخير ولهذا قيل حنيف وجنف في الميل الى الجور وجاف تجاوز الا ان الاكثر ما يقال في الحاكم [illegible] ان يوصي الانسان والمراد لغيره كما قال طاوس الجنف التوليج نحو ان يوصي الرجل لابن الابن ليوصل المال الى ابيه او لزوج ابنته ليوصله اليها اعني فيحيث يجب العموم او يعم حيث يجب الخصوص وقوله بينهم ان بين المعنى الذين لهم مدخل في ذلك من الورثة والموصى لهم وجاز اضمارهم لدلالة الكلام على ذكرهم ان قيل كيف قال جنفا او اثما والجنف هو الاثم قيل قد قال الربيع الجنف في الخطا والاثم في العمد وقيل الاثم ما يكبر معصيته والجنف ما دون ذلك وخوفه ان يرى له امارة تقتضي حصول ذلك ولا فرق بين ان يخاف منه ذلك قبل الموت الموصي فيرشده او بعد موته فيصلحه وليس الاصلاح مقصورا على ايقاع الصلح دون استعمال الصلاح بل يتناولهما وانما قال ولا اثم عليه لما خوف في الاية المتقدمة من تغيير الوصية بين ان النهي عن تغييره فيما لا جنف ولا اثم فيه فاما اذا كان فيه شيء من ذلك فلا اثم ونبه بقوله ان الله غفور رحيم انه يتجاوز عما عسى ان يسقط من المصلح ما لم يحده قوله عز وجل

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم لعلكم تتقون الصوم في اللغة امساك عما يدعو اليه النفس و
تقال ذلك في الطعام والشراب والنكاح والكلام لخواص بسبب للجمع ضوما وفي السير نحو
خيل صيام واخرى غير صايمة وصامت الريح وكدت والشمس اذا استوت في منتصف
النهار وكان لها وقفة وفي الشرع امساك المكلف سره من الخيط الابيض الى الخيط الاسود
عن المأكل والمشرب والمنكح والاستقاء والاستمناء والسعوط واما الاكل على سبيل السهو فلا
يخرجه عن ان يكون ممسكا حكما ثم النية هل يجب ان تتقدم او يجوز الاقتران به راجع الى
اختلاف المذاهب واعلم ان الامساك عن الاطيبين هو المقصود بالصوم وما عداه
فلاحقه بشبهه او يودي اليه والصوم فايدتان احداهما قربة فمعنى ان يروض الانسان به نفسه
عما تدعوه اليه من الشهوات القبيحة فان ولعوها الصبر عنها فانها كما وصفها تعالى بقوله
ان النفس لامارة بالسوء ومتى جعلت في حجر الشرع معودت الانقلاع فالنفس راغبة اذا رغبتها
واذا تردد الى قليل تقنع ولكونه مفيدا للصبر قال عليه السلام هذا شهر الصبر وقال تعالى واستعينوا
بالصبر والصلوة اي بالصوم والثانية بعيدة ومعنى ان فيه الاقتدا بالملا الاعلى على قدر
الوسع والشرة عن مشاكلة البهائم التي غرضها سد المالك والمنكح ووجه ذلك ان الانسان
مركب من بدن موسومة سوس الحيوان وغذاوه المطاعم ومن روح ذي عقل غذاوه العلم
والفضايل ومتى اكرغذا احدهما قوي على ما نقص غذاوه ولهذا قال عليه السلام راس الدين
الورع وافضل الورع قلة الطعم ومن شبع ونام جثم على قلبه الشيطان وقيل الجوع سحاب
تنظر الحكمة فان قيل فهلا اديم فرض الصوم اذا كان سببا لهذه الفضيلة العظيمة
قيل ان الله عز وجل ما خلق ما في الارض وشهاه الينا ليحرمناه ولكن لينتفع به بقدر
ما يحسن وفي وقت ما يحسن والزمنا في بعض الاوقات التخلي عنه ليكون مدعاة الى التعفف
عن تناول الحرام وتناوله وجعل تعالى فرضه على الاهلة ليتادب الانسان به في كل

ثانية

وقت من السنة صيفا وشتاء وبيعين ان قيل على ماذا وقع التشبيه في قوله كما كتب
على الذين من قبلكم قيل قال بعضهم ان ذلك على الصوم وكيفيته ان صوم من صلنا ام كان
لهم الاكل بعد الرقاد وكان على هذا في بدء الاسلام الى ان نسخ بقوله احل لكم ليلة الصيام
الرفث واليه ذهب معاذ وقتادة وروي عن ابن عباس وقيل كصوم من قبلنا في كونه اياما معدودات
وذلك في كل شهر ثلثة ايام ثم نسخ بقوله شهر رمضان وهو المروي عن عطاء وقتادة ومروي عن
معاذ ان جعل ان للصيام لله احوال فانه لما قدم عليه السلام المدينة جعل يصوم في كل شهر ثلثة ايام
وصوم عاشوراء ثم فرض بعد تسعة عشر شهرا شهر رمضان على التحتم ثم فرضه على ضيق
لمن كان مقيما صحيحا وقيل كان قد وجب الصوم على من كان قبلنا رمضان فعسروا فزادوا
ونقصوا وهذا قول عهدته على قائله وقيل التشبيه وقع لوجوب الصوم فقط وقد علم ان
اصول هذه العبادات لم تزل واجبة على العباد وان النسخ على السنة الانبياء في فروعها
وكيفياتها وورد ما يدل عليه بقوله لعلكم تتقون على العلة التي لاجلها اوجب وهي قمع الشهوة
وما لاجلها الحرى ان يكون الصوم مرفوعا عن امة من الامم فان ذكر انه سبب للتقوى
يقوي الله عز وجل واجبة على كل مكلف على كل حال وفي كل زمان ولهذا قال تعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قوله عز وجل
اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من
ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن
تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون
السفر كشف الغطا يقال سفر الصباح عن وجهه والريح السحاب او الورق ويقال
له السفير ومنه المسفرة وسافر والسفرا الكتاب الكاشف عن المعاني والسفار
للبعير كالحلبة للفرس وهو ما سفر عنه جماعة تطوع تفعل من الطاعة يقال طاع وطوع
ومنه فطوعت له نفسه والطوع والاستطاعة والجهد والطاقة يتقارب معناها

فروق فالقدرة ما ظهر من القوة بقدر العمل او ابتدا عليه والاتصاف والاستطاعة
منها ما تصير به الفعل طايعا له بسهوله والوسع منها ما يسع له فعله بلا مشقه والجهد
ما تعاطا به الفعل بمشقه والطاقة منها بلوغ غايه المشقه وقول الشاعر

كل امرئ مقاسل عن طوقه ه اى عن غايه قدرته لان المقاسل ابدع
غايه من القدره لابتدائها قبل استكمالها للموت وقوله ايام معدودات كتب عليكم او كما
كتب او الصيام وقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر ظاهره يقتضى ان المرض والسفر
عليهما عده من ايام افطرا اولم يفطرا والله ذهب اهل الظاهر وعند عامة
الفقها على اضمار الافطار بدلاله اضماره فى قوله وعلى الذين يطيقونه وبدلاله
الاخبار المرويه فى ذلك ويقتضى ايضا ان السفر القليل والكثير سوا وعند عامتهم
يعتبر فيه قدرا ما فبعضهم حده مسيره ثلث وبعض مسيره يومين وبعض مسيره يوم و
لا خلاف فى ان من خرج الى بستانه فى ظاهر بلده لا يفطر ويقتضى ظاهره ايضا ان
لا فرق بين ان يكون سفره لطاعه او معصيه ولم يجوز الشافعى الا فى طاعه ويقتضى
قوله فعده من ايام ان لا فرق بين ان يعينها متتابعه او غير متتابعه وقد جاء هو
التتابع عن على وابن مسعود وقوله من ايام اخر عام الا فى عيد الفطر والاضحى
والثلثه الايام التى بعدها وقوله على الذين يطيقونه ظاهره يقتضى ان المطيق
له يلزمه فديه ان افطر اولم يفطر لكن اجمعوا انه لا يلزمه الا مع شرط اخر فذهب الاصم
الى ان ذلك للمريض والمسافر وان الذى يطيق الفديه منهما فافطر فعليه الفديه
لما كان ما خفف عنه كما جعل على المتمتع ما خفف عنه ان يهدى وهذا ضعيف
لامرين احدهما انه لم يذكر الفديه قبل ذكر وما دل عليه والثانى ان المريض والمسافر
قد اوجب عليهما عده من ايام اخر وذهب الشعبى وقتاده وروى عن ابن عباس ان
الناس كانوا مخيرين فى الابتدا من ان يصوموا وان يفطروا ويفتدوا ثم نسخ بالايه



التى بعد وبقدره وعلى الذين يطيقونه فافطروا الى ومروى عن ابن عباس
فى اصح الروايتين ان ذلك فى الشيخ والشيخه الهمين والحامل والمرضع اذا خافا
على ولديهما ولفظ الطاقه هاهنا ينبى عن ذلك وان الطاقه هى التى تبلغ غايه المشقه
والخروج عن القدره والتجرد راه فذكران هولاء الذين يلزمهم الصوم غايه المشقه
يجوز لهم الافطار والقدره وقرى يطوقونه اى يكلفونه بجهد وطوقه اى كلفه
ان يطوقوا وقرى مسكين اعتبارا بكل واحد كقوله فاجلدوهم ثمانين جلده وانما يلزم
كل واحد هذا القدر ومساكين اعتبارا بحالهم وان تصوموا خير لكم فقد قيل مبنى
على ما تقدم اى الصوم خير من الافطار والكفاره ومن قال الذين يطيقون للمسافرين
والمرضى قال هذا خطاب لهم وكذا من قال الشيخ الهم ويجوز ان يكون خبرا لفعل
وانما المعنى الخبر فى الصوم ينبيها على عظم ثوابه وذلك ان المراد من العبال الاحاد
والبنيه ولهذا قال عليه السلام لعلص بكفيك القليل من العمل ولملكات الى فعال
البديه كثيرا ما يدخلها الرياء الا الصوم فانه لم يوقف عليه ما لم يخبر الانسان
عنه بلسانه وراعيان يدخل فيها الانسان بالنيه المجرده الا الصوم قال عليه السلام
يقول الله عز وجل الصوم لى وانا اجزى به ثم قال ان كنتم تعلمون اى ان مدعيم
ما فيه من المنفعه وحققتم ما ثمره لكم لم تنهاوا نوا فى تحاله قوله عز وجل شهر رمضان
الذى انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى و
الفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر
فعده من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا
العده ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

شهرة الشى ظهوره للكافه وقد شهر امره وسيفه اذا جرده والشهر مدة مشهوره
والمشاهرة المعامله به كالمعاومه والمياومه والمرض شده وقع النفس وحس

رمضان لمطابقته في ابتدا موضوع الوسم له شدة الحر لان الشهور سميت بمطابقة
بعض ما عرض منها من الاحوال في ابتدا موضوعها والمراد اصلها من راد
يرود اذا سعى في مهل للطلب ومنه الرائد والمرود للميل ولمعنى المهل قيل
رويدا وقد تقدم حقيقة المراد القران اصله من القري ومنه ضم ما كان متفرقا
ومنه ما قرات الناقة سلا قط اي لم تضمه الى نفسها ولم تجمعه في رحمها وتناول
الا على المنزل على محمد عليه السلام والكتاب عام والفرقان قيل يتناول القران والتوراة
ان قيل فلم سمي بذلك قيل اما بالنظر الى الحال فلانه جامع للسور والايات واما على
طرائق من ذلك فلانه جمع فيه كل شي يحتاج اليه الناس من امر معاشهم ومعادهم
مما يتلقون به الى الاخرة ولهذا قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي وقال
وتفصيل كل شي والعسر صعوبة الشي وعسرتها وعسيرا وعسر على تشاله وذلك
اما لقصور الصعوبة ما يتعاطى بها واما لاعتقاد العسر فيها لشؤمها والتيسير ضده
والتيسر للصابرين على الجدور بالفلاح ليبادهم وقوله شهر رمضان مبتدا وخبره
الذي ومن لم يجعل الجدول منسوخا قال تقديره هو شهر رمضان او يكون بدلا من
الصيام وقوله هدى اي هاديا وقال ... عطية بن الاسود لابن عباس
في نفسي شي وهو انه قال شهر رمضان وقال انا انزلناه في ليلة القدر
وقال انزلناه في ليلة مباركة وقد انزل الله عز وجل القران في جميع الشهور
فقال الليلة المباركة ليلة القدر وليلة القدر في شهر رمضان قد انزل الله القران
جملة الى السما المعمورة ثم انزل على محمد عليه السلام رسلا رسلا وعلى هذا قوله وقرانا
فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقيل فيه اي في سببه
وتخصيصه بذلك وان شانه منه عزه فعلى سبيل التعظيم وعلى هذا في ليلة القدر
اي في سببه وتفضيله واليه ذهب الضحاك ان قيل اذا كان الهدى



مقتضيا للبينات فما فايدة وبينات من الهدى قيل القران هدى على ضربين
احدهما ان يدل على سبيل الجملة والثاني على سبيل التفصيل فبين ان فيه هدى
على الجملة وبينات لما يوضح ويكشف على سبيل التفصيل ويفرق بين الحق و
الباطل فصار ذكر البينات والفرقان بعد الهدى ذكر الخاص بعد العام و
جواب آخر وهو انه قد تقدم ان الهدى ضربان هداية الى سبيل الله المعنية
بقوله عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وهداية الى الله
المعنية بقوله عز وجل هذه سبيلي ادعوا الى الله فالاشارة بقوله هدى الى الاولى
وبقوله بينات من الهدى الى الثانية والفرقان في الاصل مصدر وسمي به الفرقان
لكونه فارقا بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال
والجميل والقبيح في الفعال وقوله فمن شهد عام في كل من هو مكلف حاضرا كان ام
مسافرا لكن اخرج منه المسافر والمريض ولم يدخل فيه الحائض لدلالة الاجماع
عليه فمنهم من اعتبر الشهود في ابتدائه فقال من شهده وهو مقيم فعليه صومه
سافر او لم يسافر واليه ذهب امير المومنين عليه السلام ومنهم من اعتبر ذلك في اجزائه
واليه ذهب عامة الفقهاء وقال ابو حنيفة من كان في بعض رمضانه صحيح
العقل فعليه صوم كله لانه شهد وعند الشافعي ان كل يوم لم يكن فيه صحيح العقل لم يلزمه
صومه ولا خلاف ان الصبي اذا بلغ في اثنائه انه لا يلزمه ما مضى ان قيل لم اعاد
ذكر الشهر ولم يقل فمن شهده فقيل لامرين احدهما تعظيما لذكره لان ما يعظم قد يعاد
ذكره مع كل كلم يجدد له والثاني وجب الصوم على انه ليس يجب الصوم على
من كان شهد الشهر الذي انزل فيه القران فقط فلذلك اعاد ذكره ان قيل
فلم قال فليصمه ولم يقل فليصم فيه قيل قد ذكر بعض النحويين ان القائل اذا
قال اليوم صمته زيدا انا فقال اذا استوعب اليوم لصومه واذا قيل صمت

فيه فهو ان يضرب فيه في بعض اوقاته عنه بقوله فليصمه على الاستيعاب ان
قيل لم اعيد ذكر المريض والمسافر قيل اما على قول من جعل الاية الاولى منسوخة
فلئلا يتوهم انهما مراعى في الناسخ كما هو مراعى في المنسوخ وان ذلك لم يقع
بارتفاع التخيير واما على قول غيره فللتأكيد اولا ولتعليق ما علق به من الحكم ثانيا
وهو قوله يريد الله بكم اليسر وذهب الفقهاء الى ان اراد اليسر هي فيما رخص للمسافر
والمريض وذهب غيرهم ان اراد الله عز وجل اليسر لمن لو وجب عليه الصوم كان
للمفطر والصائم جميعا في الصوم اعظم اليسر وعلى هذا قال الحواريات اقصد البلد
المبارك لصوم هذا الشهر المبارك فقيل له اي هذا الحر فقال من الحر اتقى وقيل
لاحد انكم تمسك في الجبال فقال دلصها اريد فاذن في الجبال الله الصوم اعظم
اليسر ان قيل على اي وجه تعليله ما علق من قوله ولتكملوا ولتكبروا قيل من
تعالى ان ما اوجبه من الصوم عشا وقضا اراد لتكميل العدة المقتضية للصوم
المذكورة في قوله لعلكم تتقون ولتكبروا الله على ما هداكم ولم يرد به التفوه بلفظ التكبير
فقط بل اراد معرفة كبريائه وعظمته وان كان فيه دلالة على ان التكبير مستحب ان
قيل لم قال ولتكملوا العدة فادخل الواو فيه قيل يجوز ان يتعلق اللام بفعل مضمر
كانه قيل ولتكملوا العدة امرتكم بالصوم ويجوز ان يكون معطوفا على قوله اليسر كانه
قيل يريد بكم اليسر ولتكميل العدة فادخل فيه اللام كما ادخل في قوله يريد الله ليبين لكم

## قوله عز وجل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

ان قيل كيف تعلق هذه الاية الاولى والتي بعد هذه وهي في حكم رمضان بهذه
وهي منها قيل بل هي من تمام الاية الاولى لانه لما حث على تكبيره
وشكره على ما قيضه لهم من اتمام الصورة بين ان الذين يذكرونه ويشكرونه



منكم ومجيبه لكم ثم ما تقدم من حكم الصوم ولم يرد بالقرب هاهنا القرب المكاني انما ذلك
قربه بعلمه وافضاله ووجود اثاره المشار اليها بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقد روي ان موسى عليه السلام قال الهي اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال
فقال لو حددت لك البعد لما انتهيت اليه ولو حددت لك القرب لما اقدرت
عليه وقد روي انه سئل النبي عليه السلام عن ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية فتنبه
افضاله على عباده وضمن انهم اذا دعوه اجابهم وعليه نبه بقوله ادعوني استجب لكم
ان قيل قد ضمن في الايتين ان من يدعوه يجيبه وكم رأينا من داع له لا يجاب قيل انه
ضمن الاجابة لعباده ولم يرد بالعباد من ذكرهم بقوله ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا وانما عنى بهم الموصوفين في قوله عز وجل ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الاية ولدعائهم
شرائط وهي ان يدعا باحسن الاسماء كما قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ومخلص له النية
ويظهر اليه الافتقار ويرغب اليه فيما ينزه الاكابر عن مسئلة مثله ولا ما يستعين
به على معاداته وان يعلم ان نعمته فيما منعه من دنياه كنعمته فيما اعطاه ومعلوم ان
من هذا حاله مجاب الدعوة وانه من جملة من وصفه النبي عليه السلام بقوله رب ذي
طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ثم قال فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي اي اذا
لست لهم هذه المنزلة تحق ان يستجيبوا لي اذا دعوتهم وان يؤمنوا بي راجين رشدهم
وانما قال فليستجيبوا ولم يقل فيجيبوا لطيفة وهي ان حقيقة الاستجابة طلب
الاجابة وان كان قد يستعمل في معنى الاجابة فبين ان العباد متى تحروا
اجابته بقدر وسعهم فانه يرضى به عنهم ان قيل كيف جمع بين الاستجابة والايمان
ولا احدهما يغني عن الاخر فانه لا يكون مستجيبا لله عز وجل من لا يكون مؤمنا
ولا مؤمنا من لا يكون مستجيبا قيل احدهما وان يقتضي الاخر من حيث الاعتبار

فذكر بما لطهن فان ايمانه ارتسام اوامره ونواهيه الذى يقوى له الجوارح
والايمان هو الاعتقاد الذى يقتضيه القلوب وايضا فان الايمان المعتبر
هاهنا هو الايمان المذكور فى قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وذلك بعد الاجابة وقد تقدم منازل الايمان قوله عز وجل
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس
لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب
الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل
ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله
فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون
الرفث كل كلام يتضمن ذكر الجماع وجعل كناية عنه وعدى بالى لتضمنه
معنى الافضاء والخيانة نقض العهد ولهذا قوبل بالوفاء الدال على التمام
والحد المنع احد الشيئين من الاخر فمنه ما تتصور منه المنع نحو الدار تحاذ الله
وقيل للبواب حداد ومنه ما تتصور منه الفصل فقيل حد الدار وبه شبه الحد
فى الكلام وقيل حد الزانى لكونه مانعا له ولغيره عن مواقعة مثله وحد السيف
ما يفصل بينه وبين الجانب الاخر ثم تتصور منه الرقة صار حدت السيف
وسمى الحديد لكثرة وجود هذه الصورة فيه والعكوف الاقامة على الشىء و
الحبس عليه قارة يراعى فيه الاقامة فلا يعدى نحو سواء العاكف فيه والباد
وتارة يراعى منه الحبس فيعدى بحرف الهوى معكوفا وقوله هن لباس لكم وانتم
لباس لهن جعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستر النفسه ولزوجه ان



يظهر منه سوء كان اللباس يمنع ان يبدو السوءة وعلى ذلك جعلت المراة
ازارا اوسمى النكاح هصنا لكونه هصنا عن تعاطى الفحش وقال الاصم
معنى لباس لكم اى كان يعطى كل واحد على الاخر ما تعاطاه من الاختيان من
قولهم لست عليه دلى وقيل سبب نزول هذه الاية ان المباحات
كانت تحظر على الصائم بعد الرقاد وقيل ان عمر مالت له لمراته لما اراودها
فراعصت وطرابها اعملت عليه فواقعها فذكر ذلك للنبى عليه السلام وقيل
كان سبب نزوله ان صرمة بعد ما نظر امراته لتصنع طعاما له فنام فترك الاكل فراه
النبى عليه السلام فى اليوم الثانى شاحبا فساله فاخبره فانزل الله تعالى الاية و
الاختيان مراودة الخيانة وتخصيصه دون نحو نون لعادته وسمى انه لم يكن
المخاطبون كلهم قد خانوا وكلهم او جلهم قد اختانوا لان الاختيان هو ان
يحرك الشهوة وتدعوه ولذلك خص لفظ النفس المبنية بقوله ان النفس لامارة
بالسوء وكفى للسيئة على اختيان النفس شهادة من خلقها على ذلك بقوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان اختيان النفس محادعتها لمدافعة او
مساعدة وقوله وابتغوا ما كتب الله لكم اشارة الى تحرى النكاح الى الطيفه
وهى ان الله تعالى جعل لنا شهوة النكاح لتقانوعا الى عامة كما جعل
لنا شهوة الطعام لنقاسما صا الى غاية تخص الانسان ان يحرك بالنكاح
ما جعل الله لنا على حسب ما تقتضيه العقل والديانة فمتى حرك به
حفظ النسل وحصن النفس على الوجه المشروع فقد ابتغى ما كتب الله
له والى هذا اشار من قال عنى الولد الخيط ابتغى ناضى النهار
والخيط الاسود سواد الليل ودوى ان عدى بن حاتم عمد الى عقالين ابيض
واسود ثم جعل ينظر اليهما ولا يتبين له ان يسر اجعلهما تحت راسه واخبر

النبي عليه السلام بالذي صنع فقال انك لعريض الوساد انما اراد ان سواد الليل
ياض النهار وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل نبه بها على ان هذا التحريم الى اشاءه
وكما نهى عن المباشرة في حال الصوم نهى عنها في حال الاعتكاف وظاهر ذكر المساجد
يقتضي جواز الاعتكاف في كل مسجد قوله عز وجل ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا
من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون الادلاء ارسال الدلو في
البير واستعير للتوصل الى الشئ وعلى هذا قول الشاعر
فليس الرزق عن طلب بحيث ولكن الق دلوك في الدلاء
ولهذا النحو سمي الوسيلة الملحة في قول الشاعر
ولي ماح لم يورد الماء قبله معلٍّ واسطان الطوى كثير
والاكل عبارة عن الانفاق ادموالهم ما يصرف اليه المال واكل المال
بالباطل صرفه الى ما نافيه الحق وهو التبذير والاسراف قليلا كان الانفاق او
كثيرا ولهذا قيل رب انفاق قليل هو اسراف وكثير هو اقتصاد وقوله وتدلوا
اي لا تدلوا وكما نهى عن تبذير الاموال نهى ان يدلى بها الى الحكام على سبيل
الرشوة توصلا الى اقتطاع مال الناس وقيل معناه لا تاكل بعضكم مال بعض عضبا
او خيانة وتلحموا الى المرافعة الى الحكام فالحكم عليكم لعدم البينة فتستسيغوا
الى ان تاكلوا فريقا من اموال الناس وقيل من قولك اموال الحكام فلانا
بعضا وتدفعون الى الحكام بعضا والوجه الاول لجودة لانه قال ولا تاكلوا
اموالكم ثم قال لتاكلوا فصل بين الامرين والوجهان الاخيران لا يفيدان
في عمومه وقوله وانتم تعلمون اي ان لا تخفى عليكم على الناس فانه لا يخفى عليكم
شبهها ان الاعتبار بما عليه الامر في نفسه وما علمتم منه لا بما يظهر وشبه عليه السلام

على ذلك بقوله انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن حكمت
له شيئا من حق اخيه فلا ياخذن منه قليلا ولا كثيرا فانما اقطع له قطعة من
النار وقال البر ما اطمانت اليه النفس قوله عز وجل يسئلونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر
بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا
البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون المواقيت جمع
ميقات وهو مفعال من الوقت والوقت والمدة والزمان متقارب لكن
المدة المطلقة اوسع هذه الالفاظ فانها امتداد حركة الفلك اي انقضاؤها من مبداها
الى غايتها والزمان مدة مقسومة من المدة المطلقة والوقت الزمان المفروض
للعمل ومعنى مواقيت للناس لبني ما يتعلق به من امور معاملاتهم ومصالحهم كقوله
تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ونبه بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات ولكن ذكرنا اعظمها
اثرا فان الحج مراعى في اداءه وقضاياه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات
التي لا تعتبر في قضائها وقت معين والباب معروف وعنه استعير للفصل
الحساب المتوصل بها اليه وفصل في العلم باب كذا وقول النبي عليه السلام انا مدينة
العلم وعلي بابها اي به يتوصل الى حقائق علومها وعلي عليه السلام فان شاركه
في ذلك غيره فتخصيصه لكونه ارفع منزلة في باب العلم وكان قد سئل عليه السلام
عن فائدة زيادة الهلال ونقصانه فانزل الله تعالى هذه الاية منبها
على اظهر فائدة لهم وانبههم: قال وليس البر بان تاتوا البيوت من
ظهورها اي بان تطلبوا الشئ من غير بابه وذلك انه تعالى اتى بحكم البيت
من بابه اذا طلب الشئ من وجهه وقال الشاعر اتيت المروءة من بابها وان البيت

من ظهره واذا طلب الامر من غير وجهه وجعل ذلك مثلا لسوالهم النبي عليه السلام
عما ليس مومن العلم المختص بالنبوة وان ذلك عدول عن المنهج وذلك ان العلوم
ضربان دنيوي يتعلق بامر المعاش كمعرفة الصنايع ومعرفة الجرايم السماويه و
المعادن والنبات وطبايع الحيوانات وقد جعل الله تعالى لنا سبيلا الى معرفته
على غير لسان نبيه محمد عليه السلام وشرعي وهو البر وراسبيل الى اخذه الامة وهو الحكام
التقوى فلما جاء السائلون النبي عليه السلام عما امكنهم معرفته من دونه اجابهم ثم بين
ان ليس البر ترك المنهج في سوال النبي عليه السلام ما ليس هو مختصا بعلم نبوته ولكن
البر هو تحري التقوى وذلك يكون بالعلم والعمل المختصين بالدين وقال بعض
المفسرين اتيان البيوت من ظهورها هو ان العرب من لم يكن من الحمس اذا احرم
لم يدخل البيت من باب بل كان يأتيه من ظهره فاتى رجل من باب بيته فانكر
عليه فانزل الله تعالى هذه الاية وهذا عن ابن عباس وغيره وقيل اتيان البيوت
من ظهورها مخالفة الواجب في الحج وشهوره واستحلال اشهر الحرام وتحريم الحلال
المعنى بقوله انما النسي زيادة وكل ذلك لم يشرع ان يتناوله الاية لكن الالف
واللام في البيوت عوض عن الاضافة اي بيوتكم وقوله واتوا البيوت من ابوابها اي بحرى
على اول الاية ما تقدم ذكره وقوله واتوا البيوت من ابوابها اي بحرى اي في كل كل
على اتيان الشيء من وجهه تنبيها ان كل طلب من غير وجهه صعب مثاله
ثم قال واتقوا الله جبا لنا ان نجعل تقوى الله عز وجل شعارنا في كل ما نحاوله
فمن ان ذلك هو الذريعة الى حصول الفلاح **قوله عز وجل وقاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين** اختلف في حكم هذه الاية فقيل هي ناسخة حكم العفو
ومنسوخة بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقيل ليست بمنسوخة ولا
ناسخة وبيان ذلك ان من شرط الداعي الى الحق ان يبين ويدل عليه



ويرفق فان افتدت المدعو والا وعد فان ايح ذلك والا عدل بعد الى المحاسه
او المحاربه حسب ما يقتضي السياسة وعلى هذا قال بعضهم لا استعمل سوطي ما كفاك
لساني ولا سيفي ما كفاك سوطي وقال الشاعر

اناه فان لم يغن اعقب بعدها وعيد فان لم يغن اعنف عزايه

فكان النبي عليه السلام امر في ابتداء امره بالرفق وان يقتصر على الوعظ والمجادلة الحسنة
كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
وكان يستمر على ذلك حتى عابه بعض اصحابه فقال يا نبي الله لنا عز ونحن مشركون
فلما امتنعنا اذلة فقال عليه السلام امرت بالعفو فلا تقاتلوا اليوم فلما ظهرت اناه
وانتشر بناه وراى من اتى الصعا الى الحق واستمر على الضلال والضلال
امر حينيذ بالمقاتلة اي المحاربة ولهذا قال تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا
ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية الاية امر بالقتال لمن تاتى الرجوع
الى الحق بالمحاربة وكان هذا لمن بعد امر حسب مقتضى السياسة الالهية وقوله
الذين يقاتلونكم منهم من تصور منه قوي القتال وتعاطيه في الحال فقال
هو منسوخ بقوله قاتلوا المشركين ومنهم من تصور منه المعاداة كقولك فلان محارب
ومناصب اذا كان معاديا وان لم يكن متعاطيا للحرب في الحال فيكون مثل
قوله وقاتلوا المشركين كافة وهو الاقتدار وانهى عام في مجاوزة كل حد حده تعالى
كالنهي عن قتل الصبيان والنساء وقيل من اعطى الامان وجرى القتال
اتساعا عرض الدنيا وطلب الرياسة ونبه بقوله ان الله لا يحب المعتدين
ان اعتداء مرسوم الله وتجاوز حكمه في كل امر منهوم **قوله عز وجل واقتلوهم
حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل**

ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين
الثقف الحذق في ادراك الشي علما كان او عملا ومنه قيل رجل ثقف
لقف اذا كان له حذق في ادراك الشي ومنه قيل ثقفت الرمح و
اصل الفتنة ادخال الذهب النار لتظهر جودته يقال فتنت الذهب اي اختبرته
بالنار ثم استعمل لكل اختبار بامر ممحص على ذلك قوله احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وجعل الفتنة لكل امر كريه المحنة وتارة
استعمل للشرك وتارة للعذاب وتارة للاختبار ولما كان لفظ الفتنة
والقتل هاهنا مبهمين قال بعضهم معناه ان يبتلى الانسان في دينه فيشرك
اشد اي اوخم عاقبة من ان يقتل فان الاذية التي ينال المقتول محدودة
والاذية التي ينال المشرك بشركه غير محدودة وقال بعضهم معناه ان يوقع
الانسان الفتنة لتشد على الناس اعظم ضررا من ان يقتل
في الحرم من يستحق القتل قال وذلك رد على من استعظم قتل بعض
المسلمين كافرا في الحرم ولهذا قال بعده وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقوله
واخرجوهم امر باخراج الكفار من مكة دلالة قوله وكاين من قرية هي
اشد قوة من قريتك التي اخرجتك وقوله للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام واستثنا من قوله و
اقتلوهم حيث ثقفتموهم وهذا الحكم عند اكثر الفقهاء فانه لا يقاتل في الحرم الا من
قاتل ويؤيد ذلك قوله عليه السلام يوم فتح مكة ان مكة حرام حرمها الله
عز وجل يوم خلق السموات والارض وانما احلت لي ساعة من نهار
ثم عادت حراما الى يوم القيامة فهذا يدل على ان ذلك غير منسوخ كما ظنه



[illegible] وقال بعضهم [illegible] القتال ابتدا في الحرم ملبس فذلك نسخ
بل موثر للنهي مخصص القتال قلت هذا امر بان تقاتلوا في الحرم اذا قوتلوا وذاك
امر لصاحب ان يقاتلوا اهل يقاتلوا فاذن النهي باق في الامر المطلق ثم قال فان قاتلوكم
اي جاوزوكم فاقتلوهم ومن لين عدا احكم كل كافر محارب المومنين قوله عز وجل
فان انتهوا فان الله غفور رحيم الانتها الانزجار والنهي الزجر
والنهي العقل المنهي عن سوء اسعلي بنا النقص والنكث ونهاية الشي غايته
التي ينتهي اليها لان لكل شي في هذا العلم غاية اذا انتهى اليها انصرف راجعا
عنه في الكون والمسافة والنهي العقل لكونه ناهيا عن القبيح ككون العقل عاقلا عنه
والحجر حاجرا عنه والنهي في موضوع اهل النحو صيغة لا تفعل حثا على الشي كان او زجرا
عنه وفي موضوع اهل البرهان مقتضى الزجر عن الشي سواء كان بلفظ افعل او لا تفعل
وهذا الخلاف من اجل ان النحوي يعتبر اللفظ قبل المعنى وصاحب البرهان
يعتبر المعنى قبل اللفظ ونبه بالاية ان المنتهي عن الذنب يغفر له ما تقدم من ذنبه
وذلك عام في امر الدنيا والاخرة الا ما دلت الدلالة على الاخذ به من حقوق
الادميين وعلى هذا قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك
قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقوله عز وجل وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان
الا على الظالمين امر بالقتال لدفع الفتنة بعد ان بين انها اعظم ضررا
من القتل نحو قوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى قوله حتى
تضع الحرب اوزارها فقوله حتى لا تكون فتنة كقوله حتى تضع الحرب اوزارها
وذلك اما بقتلهم او باسلامهم او بانقيادهم واعطا الجزية حسب ما بينه الشرع
ويكون الدين لله قال ابن عباس حتى يخلص التوحيد له وحمل ذلك على مشركي العرب

لانهم لا يعادون على حرمه كما قال عنهم وحمل بعضهم على الجنايا بحكم الدين في كل ما كان
وقال يجب ان يكون الحكم للاسلام في كل مكان وعلى هذا ما روي الاسلام يعلو ولا يعلى
ثم اعاد ذكر الانتهاء فقال فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين اي لا تجاوز عن
الحظر الجمع من يجاوز بحسب فعله **قوله عز وجل الشهر الحرام بالشهر الحرام**
**والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه**
**بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع**
**المتقين** بين ان مراعاة حرمة الشهر واجبة لمن راعى حرمته وان من هتكها
اقتص منه وسبب نزول ذلك ان العرب تحيرت بصرف النبي عليه السلام يوم الحديبية
عن البلد الحرام وكان ذلك في ذي القعدة فمكنه الله تعالى من دخوله في العام
القابل في القعدة وشرح معنى لا عدوان الا على الظالمين بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه ان قيل كيف رخص في الاعتداء وهو ظلم وقد نهى منه انفا بقوله
ولا تعتدوا قيل الاعتداء مجاوزة الحد ومنه قيل عدا فلان طوره ولا تعد طورك
ثم استعير الاعتداء في الظلم من حيث انه تجاوز الحد الذي حده العقل او الشرع
والذي منع تجاوز ذلك الاشد فقد اباح لمن اعتدي عليه جزاء فاذا الابتداء هو
ظلم واياه عنى بقوله ولا تعتدوا والاعتداء على سبيل الاعتداء ضربان اعتداء على
سبيل القصاص وهو عدل واياه عنى هاهنا ثم للمجازاة لا لصاحب الجور ان يجاوزه
واياه عنى بقوله فمن اعتدى بعد ذلك ان قيل بعد ذلك هل كان يجوز
لو قيل من ظلمكم فاظلموه قيل لا فان الظلم وضع الشيء في غير الموضع الذي يحق
ان يوضع فيه وهذا في كل حال مذموم والاعتداء مجاوزة حد ما وذلك قد لا يكون
مذموما ومن قال من العرب من ظلمك فاظلمه فذلك منه تجوز وترخص في
الظلم على عادتهم وكذا قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا



فان الجهل مذموم على كل حال ولا يكاد يرد به لفظ الامر من حكيم فان قيل
فقد قال ومكروا ومكر الله قيل حقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه الناظر اليه الجاهل
بحقيقته اعتقادا ما ليصل الى ما يريد ولذلك الاحتيال والخديعة والسخرية ومن قصد شيء
من فعل ذلك امرا قبيحا يكون ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون بذلك حميدا
ما دون يصح ان يمدح بذلك فمن يحرك مقصدا حسنا ولهذا قال بعض العلماء ان الله عز وجل
يخدعنا عن النار كما يخدع الصبي ابوه عن المضار وفي هذه الاية دلالة ان من استهلك
شيئا لغيره استهلك عليه مثله لكن مثل المستهلك قد يكون تارة حسية مثلا كان
او موزونا او معدودا وتارة حكمية وقوله واعلموا ان الله مع المتقين تنبيه ان يوصف
الله بصحبة المتقين وقد تقدم حقيقة مع والصحبة اذا استعملا في الباري تعالى
**قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم**
**الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين** الهلاك
انتهاء الشيء في الفساد ولهذا سمي الموت هلاكا وقيل للعذاب والخوف والفقر والبخل
وما يجري مجراها مما يؤدي الى الهلاك هلاكا والمهالك مهلكة والتهلكة ما يؤدي
الى الهلاك واصله هلوك كانها تهالك في نسبها اشارة الى نحو قول الشاعر
مريضات اوبات التهادي كانما تخاف على احشائها ان تقطعا
والهالكي كان رجلا حدادا من قبيلة هالك فسمت العرب كل حداد باسمه كما سمي
كل ساحر هاجرا وقوله ولا تلقوا بايديكم قيل معناه لا تلقوا ايديكم نحو تعلقت زيدا
وبزيد وقيل معناه ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى الهلاك نحو ولا تقتلوا انفسكم وذلك
بالتعرض لما يستوخم عاقبته جهلا به مثل الفراشة التي اذا رات لهيب
السراج فتلقي نفسها فيه وتاولت الاية على وجهين متقابلين احدهما انه نهي
عن الاسراف في الانفاق وعن التهور في الاقدام والثاني انه نهي عن البخل

بالمال والقعود عن الجهاد وهذا المعنيين مرادبها فالانسان كما انه منهي
عن الاسراف والتهور في الاقدام منهي عن البخل وعن الاحجام في الجهاد ولهذا
قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقال ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال بعض الناس ان هذه الاية تتضمن النهي على
وجهين احدهما نظر المجاهد في سبيل الله والثاني نظر المنفق غير المجاهد وكلاهما صحيح
بوجه دون وجه وذلك ان المنفق من حيث انه يحكم بالظاهر على الكافة يراعي الظاهر
والمجاهد من حيث انه يوفر على مراعاة الحق عن مراعاة نفسه لا يرى الا غاية الحق
التهلكة الا الاخلال بترك طاعة الحق والى هذه الحالة اشار بقوله ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم الاية وقوله واحسنوا ان الله يحب المحسنين اي تحروا افعل
الاحسان وقد يعلم ان الاحسان يجري العدالة والزيادة عليها ولهذا قال ان الله
يأمر بالعدل والاحسان ثم نبه باظهار محبته للمحسنين على شرف منزلتهم قوله
عز وجل واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به
اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن
تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام
في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب
قيل قوله اتموا خطاب لمن خرج حاجا او معتمرا فامر بان لا ينصرف عن وجهه حتى
يقضيها والى هذا ذهب ابو حنيفة فاحتج به في وجوب اتمام كل عبادة دخل فيها
متنفلا وانه متى افسدها وجب عليه قضاؤها وقيل خطاب لهم ولمن لم يتلبس
بها وذكر لفظ الاتمام تنبيها على توفية حقها واكمال شرائطها ولذلك قال امير المؤمنين



من اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعلى هذا قوله عز وجل ثم اتموا الصيام
الى الليل والى هذا ذهب الشافعي واحتج به في وجوب العمرة وانما قال في الحج والعمرة
لله ولم يقل في الصلوة والزكوة من اجل انهم كانوا يتقربون ببعض افعال الحج والعمرة
الى الاصنام فخصهما بالذكر لله عز وجل حثا على الاخلاص فيهما ومجانبة ذلك الاعتقاد
المحظور وظاهر قوله فان احصرتم ان لا فرق بين ان يحصر قبله او بعرفة او بعد عرفة او
قبلها خلاف ما قال ابو حنيفة ان من احصر قبله او بعد الوقوف لا يكون محصرا في الحكم
وكذا لا فرق بين ان يحصره عدو مسلم او كافر كما قال الشافعي خلافا لبعضهم وظاهره
يقتضي ان لا فصل بين احصار العدو واحصار المرض كما قال ابو حنيفة دون
الشافعي لا ان الاية نزلت في سبب العدو فلا يجوز ان يترك الاية لذلك وان
قوله فاذا امنتم يدل ان الاحصار بالعدو وهو قول ابن عباس ويقتضي ان
لا قضاء عليه خلافا لابي حنيفة لانه قال فما استيسر من الهدي واقتصر عليه والهدي
بدنة او بقرة او شاة واحدا كان او اثنين لانه قال فما استيسر ونهى عن حلق الرأس
الا بعد بلوغ الهدي محله ومحله عند ابي حنيفة الحرم واستدل ان ناجية بن جندب
قال دعني آخذ بعض هذه الاودية واسوق هذه البدن الى الحرم فاكلها قال
عليه السلم افعل فساقها الى الحرم فنحرها وعند الشافعي ان محل الهدي في الاحصار
زمان حله ومنحر الهدي حيث يتحلل وقوله فمن كان منكم مريضا ليس بمقصور
على المحصر بل حكم كل حاج ومعتمر والمرض الذي يبيح اللبس والحلق ويقتضي الفدية
هو الذي يحتاج الى تغطية البدن وحلق الشعر والزم فدية على المحصر ولم يبين
وصفها فبينه عليه النبي صلى الله عليه بقوله لكعب بن عجرة وقد مر به يوم الحديبية وهو
محرم فقال له ايؤذيك هوام رأسك فقال نعم فقال احلق رأسك واذبح نسيكة او صم
ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين من كل مسكين صاع وظاهر الاية يقتضي ان لا فرق

من جليل الشعر وكثيره بخلاف ما قال ابو حنيفه حين لم يلزم المحلق شيء وغيره
حين لم يلزم الا بالربح واما الفتح بالعمره الى الحج فقد قيل هو المحصر اذا دخل مكه بعمره
الحج وقيل هو من الفائح الحج بالعمره وقيل هو الفتح المعروف في الحج وهو الاصح لحديث الدم
فيه الزمان يكون بارع شرايط الاول الاحرام بالعمره في اشهر الحج والحلل منها فيه والثاني
ان يبقى الحج من سنته والثالث ان لا يعود الى الميقات لاسباب الحج والرابع ان
لا يكون من حاضري الحرم وان احرم في رمضان واخر الطواف الى شوال لم يحرم
بالحج وهل يلزمه الدم فيه قولان للشافعي وظاهر الجواب فيما استيسر من الهدى يقتضي
ان ذلك بعد الفراغ من العمره والدخول في الحج وكذا الصوم الذي هو بدله وعند ابي حنيفه
يجوز الصوم اذا دخل في العمره نعم يستحب ان صام ثلثه في الحج وهما احرم يوم عرفه
لا يمكنه صيام ثلثه ايام في الحج لانه منهي عن الصوم في يوم النحر وايام التشريق
هل الواجب على المتمتع ان يحرم بالحج على الوجه عليه صام ثلثه ايام ودلك سفدم
الاحرام هل يوم عرفه وقد قال ابن عمر وعايشه يصوم ايام التشريق ويحرم ان الهدى
عن الصوم فيها على غير المتمتع وقوله اذا رجعتم فمثل معناه اذا اخذتم في الرجوع بعد
الفراغ وقيل اذا رجعتم الى بلادكم ولفظ رجعتم يستعمل للامرين فيصح حمله عليهما وحاضروا
المسجد الحرام قال عطا هم اهل الحرم والقريات التي حوله تام بينه وبين مسافه تقصر فيها
الصلاه وبه قال الشافعي وقال طاوس اهل الحرم اهل مكه وقال ابو حنيفه هم اهل
المواقيت وحاضروها وقوله ذلك لمن لم يكن حاضري المسجد فاما حاضروا المسجد
فلا يلزمهم وقيل عنى بذلك المتمتع اي ان الحاضر ليس لهم ان يتمتعوا واراد بذلك
اهل الحل فان البعيد ان قيل ما الحاجه الى ذكر ذلك عشره كامله وقد استكمل
على ذي اذى بصيره ان السلبه والسبعه عشره وقد ان عشره سبوع يكون منه
كامله وقد عشر كامله فلهذا اذا نقصت خرجت عن ان يكون عشره فلذلك



عبر عن ذلك باحوط الاول الله لما قال ثلثه في الحج وسبعه اذا رجعتم كان يحتمل
العشره ان كل واحد منها على الانفراد يقوم مقام الهدى فبين ان مجموعها
يقوم مقام الهدى والثاني انه لما قصد بيان كمال الحكم وان ذلك يحصل في صوم عشره
ذكر لفظ العشره تاكيدا وان كان لو قيل ذلك كامله كانت مفهومه وذلك ان الخطاب
العامي اعني ما يفهم به الخاص والعام الذين هم اهل الطبع لاهل الارتياض بالعلم
لم يكون الا بتكريرات الكلام وزيادات البيان لتحسين افهام الكافه ولهذا
جاء القران عامه ما يتعلق بحكمه بالكافه في عامه الظهور وما هو مختص علمه بالراسخين
في العلم جاء على ضرب من الالغاز والغموض اذ كانوا معرضا لهم بحيث يمكنهم ان يوصلوا الى
حقايقه وما هو مشترك بين الخاصه والعامه كذكر التوحيد والنبوه ذكر بالفاظ
بسيطه لظهر منه العامه ما ينفعهم وتارة بلفظ وجيز ليستخرج منه الخاصه ما يضمنه
ولهذا قال فما بعض ولا يردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم والثالث ان قوله تلك عشره كامله اسقط ادراكهم وبسببه
على فضيله العدد وذلك انه قد قيل العدد اول العلوم واشرفها اما كونه اولا
فلان ما عداه به يتبين ويتفصل واما كونه اشرف فلانه لا خلاف فيه وبالتغيير
بل يورث لهم طريقه ولهذا قد ذكر العشره ووصفها بالكامله ادنى عدد كمل فيه اوصاف
العداد فان الواحد مبدا العدد والاثنين اول العدد والثلثه اول عدد فرد
والاربعه اول عدد مجذور اي متخذ من ضرب عدد في نفسه والخمسه اول
عدد دايره والسته اول عدد تام اي اذا اخذت اجزاءه لم يزد عليه وناقص
منه هو والسبعه اول عدد اول اذ ما طعن اي علم العدد ومعناه لا يقاسمه عدد
يعده هو والثمانيه اول عدد زوج الزوج والتسعه اول عدد مثلث والعشره
اول عقد ينتهي اليه العدد فان كل كل عدد يعده مكرر منه وما قبله فاذن العشره

من العدد الكامل قوله عز وجل الحج اشهر معلومات فمن فرض
فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما
تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد
التقوى واتقون يا اولي الالباب جدل الحبل فتله وبه سمي
الزمام جدلا وعنه استعير جادلت فلانا واجدلته فتل بالارض تشبيها بفتل
الحبل وقتل فلان يقتل حبالى ذرده فلان اذا احتال عليه والجدول نهر ممتد
كجدب ممدود والمجدل القصر المحكم والجدالة كل ارض صلبة والزاد فضل الطعام
الزايد عما يكفي به في الوقت ممن فيما يعدم احكام الحج وما يتبع فيه من الاحصار و
الحلق والتمتع وبين في هذه وقته الذي يصح فيه ذلك ومن قال اشهر الحج شوال
وذو القعدة وبعض من ذي الحجة عنى ان فعله يقع في هذه المدة لان الاشهر
يقع على شهرين وبعض الثالث والفعل قد يسب الى مدة يمتد ويكون واقعا في
بعضها ولما كان فعل الحج في هذه الاشهر يسب اليها ثلثتها ودل الى به
ان الاحرام بالحج في غيرهن لا يصح لتخصيص الشهر بمعنى لا في العدد ولقوله
فمن فرض فيهن الحج والضمير على هذا الوجه لا يقال في التواريخ الا لما دنى العدد
كقوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثم قال منها اربعة حرم قال فلا تظلموا
فيهن وقولك لبثت خمسون وثلثمائة عشر خلت وقول مالك ان الاحرام يصح
بعد العاشر مستندا لظاهر الاية تورك وتعاضد ما روي عنه على اللام للشهر
الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة وقوله فمن فرض فيهن الحج اي الزم
حكمه وذلك عند الشافعي بالنية فقط وبها يصير محرما عنده وعند ابي حنيفة مع
بهائم سوق الهدي او التلبيد واستعمال الفرض في الزام الحكم واصله القطع
الحكم من فرض القوس اي حزه وقيل راك العصا تغلب لم جعل الفرض لما امروا



اركد والسنة لما مواظبة قال ولان الفرض لما يؤثر كفرض الزيد والقوس
والسن للصب فلما كان اثر الفرض في نفس الشيء ابلغ من اثر السن جعل
سواكدة والرفث هاهنا قيل هو الجماع وقيل هو حديث الجماع وروي عن ابن
عباس انه كان يشدد في طوافه ان يصدر الطير بيك ليس فيقل لجابر رفث
قال ليس هذا رفثا انما الرفث مراجعة النساء الحديث ذكر الجماع ان فعل الفسوق
محظور في كل حال فكيف خص به الحج قيل الفسوق هنا هي الاشياء المحظورة
تعاطيها في حال الحج كالصيد والطيب واللباس وان لم يكن فسقا في غير الحج
وقيل تخصيص الحج به تنبيها على شرفه وعظم موقعه كقوله فلا تظلموا فيهن
انفسكم وان كان ظلم النفس في كل مكروها وكما قال اذا صام احدكم فلا يجهل
فلا يرفث فان جهل عليه فليقل اني صائم وقوله ولا جدال اي لا تجادلوا المماراة
وقيل معناه لا شك ان فرضه مقرر في الحجة بخلاف ما فعله النساءة وقيل هو
حث على التحاب والنظام وترك ما يؤدي الى التباغض وكل صحاريه
وقيل قوله لا رفث ولا فسوق اشارة الى ان من التزم هذا الفرض وتحراه منعه
عن الرفث والفسوق وكأنه نبه على علة ما اوجب واجمله الحج وهو مندوب
اللسان عن الخنا واصلاح الجوارح عن تعاطي الفسق كما جعل الصلاة علة لترك الفحشا
والمنكر والصوم علة للتقوى في قوله لعلكم تتقون والزكوة علة لتزكية النفس
في قوله وتزكيهم بها وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله على ما علم وبهذا وصل من اعرابها بعض
القراء وبه بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله على مجازاته اياهم كما بنى في عامه
القرآن على ذلك بجميع علم والله اعلم وان يكل الامصار وما جرى مجراه
من الاقوال وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى حث على تقوى الله
واعلم ان الاعمال الصالحة والاعراض عن الدنيا سوى ما يتوصل بها الى الاخرة

ذلك صح

وقال ابو مطيع البلخي لحاتم الاصم بلغني انك تجوب البادية بلا زاد فقال بل
اجوبها بالزاد وزادي اربعة اشياء قال وما هي قال ارى الدنيا كلها ملكا لله عز وجل وارى الخلق
كلهم عبيدا له وارى الاشياء كلها بيده وارى قضاءه نافذا في ارضه فقال نعم الزاد
زادك يا حاتم تجوب به مفاوز الاخرة وقول من قال عنى به قوم يحجون بلا زاد
يتكففون فنهوا عن ذلك ولا يمتنع ان يراد بهما جميعا فالتكفف يكون منافيا
للتقوى وقوله واتقون يا اولي الالباب اي اهم التقوى ان يكون منه تعالى
المقصود بها وقيل بتقواه حفظ النفس ان ما لها عقابه او تحطها عن ثوابه وذلك منعها
مما يبعد الهوى وحملها على طريق الهدى وذلك على ثلث منازل الاول
ترك الكفر والكبائر والثاني ترك المحارم واداء الفرائض اللذين يقتضيهما الاحكام
الشرايع والثالث حفظ القلوب عن التلفت الى الذنوب وهو المعنى بقول من
قال التقوى هي التبرؤ من كل شيء سوى الله ولا يحصل الثالث
الا بحصول الثاني ولا الثاني الا بحصول الاول وعنى هاهنا الغاية ولهذا خص اولوا
الالباب بالخطاب واللب اشرف اوصاف العقل وهو اسم للجزء الذكي
باضافته الى ساير اجزاء الانسان كلب الشيء الى القشور وباعتبار اللب
قيل لضعيف العقل براعة ومحجوب وخاوي الصدر وقال عز وجل
وافئدتهم هوا وقال واصبح فؤاد ام موسى فارغا قوله عز وجل ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من
عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه
كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين فاض الاناء
انصب عن امتلاء ومنه فاض صدره بسره ورجل فياض سخي تشبيها بنهر فاض
ودرع مفاضة افيضت على لابسها كقولهم مسلوبة وعنه استعير افاض من



عرفة وافاض بالقداح وافاض البعير بجرته وحديث مستفيض كقولهم شائع
وذايع وذكر ان العرب تتحاشى عن التجارة في الحج حتى انهم كانوا يحسبون
المبايعة اذا دخل العشر الاواخر ويسمون من يتجر في الحج الداج دون
الحاج فاباح الله تعالى ذلك وحض على اباحته ذلك واذن في الناس بالحج ياتوك
رجالا الى قوله ليشهدوا منافع لهم وقوله وآخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله والمراد بذكر الله عز وجل عند المشعر الحرام اي المزدلفة وقيل عنى
به الجمع عنده بين المغرب والعشاء وهذا مدخل في عموم الذكر فقد سمى الصلاة ذكرا
في قوله فاسعوا الى ذكر الله وقيل لبعض العلماء لم امر الناس بالمقام عند المشعر و
بالذكر فقال لان الكعبة بيت الله الحرام محجابه والمشعر بابه والوافد اذا قصد الباب
اقام وتضرع فاذا وصل الى الحجاب قدم قرباته وقضى التفث وطهر ثم يؤذن له
في الدخول واعاد الامر بالذكر ثانيا واوجب ان يكون ذكره كهدايته اي موليا
لهدايته لنا قال وان كنتم اي وانكم كنتم من الضالين وان مخففة من الثقيلة
بدلالة دخول اللام والمراد بالضلال هاهنا الجهل بالمعارف الحقيقية نحو ووجدك
ضالا فهدى قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض
الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
روي ان قريشا كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يبيتون بمزدلفة و
يقولون نحن اهل حرم الله وكانوا يقفون دون عرفة فامرهم تعالى ان يقفوا
مع ساير الناس قاله ابن عباس وعائشة ومجاهد والحسن وقيل انه امر جميع الناس
ان يفيضوا من حيث افاض الناس اي ابرهيم وسماه الناس والناس
يستعمل على ضربين احدهما للنوع من غير اعتبار مدح او ذم والثاني للمدح اعتبارا
بوجود تمام الصورة المختصة بالانسانية وليس ذلك في هذه اللفظة فقط بل
في جميع اسماء كل جنس ونوع نحو هذا فرس وفلان رجل وليس هذا بفرس ولا فلان

برجل اي ليس فيه معناه المختص بنوعه وبهذا النظر نفي السمع والبصر عن
الكفار وعلى هذا سمي ابو تمام الناس على سبيل المدح وعلى وجه اخر دعوان الواحد
... بالطاعة تشبيها انه يقوم مقامهم في الحلم وعلى هذا قال الشاعر
ومن كان محسبه القبيلة قبيلا     وقال كان الخلق في تمثال انسان
وقال وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعلى هذا قال تعالى ان ابرهيم
كان امة وقوله من حيث اي من حيث وصل من دلفة وهو اقرب الى بعده ما افضتم
من عرفات والاستغفار والتوبة والانابة والاوبة متقارب لكن الاستغفار عفو الذنب
والتوبة تركه والانابة الرجوع عن الضلال الى الهدى والاوبة رجوع القلب الى
الله عز وجل وهذه المعاني وان كانت متلازمة فالفاظها مختلفة لاختلاف الاعتبارات
فامر تعالى بالاستغفار له عن الاستغفال يعني من امور الدنيا وبين ان الله عز وجل غفور
للمطيعين رحيم بالعاصين يدعوهم برحمته الى بابه ويدعوهم في جزيل ثوابه وقوله عز وجل

**فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم**
**او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا و**
**ما له في الاخرة من خلاق** ثم القضاء فصل الامر والنسك احد النسك
بلوغ غاية العبادة واختص في تعارف اهل الفقه بفعل الحج وما الذبيحة حتى سميت
نسيكة كما سميت قربانا وقوله اذا فعلت كذا فافعل كذا يقال على ثلاثة اوجه الاول
ان يكون افعل الامر بما تقدم فعلت نحو اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والثاني ان يكون
الامر به في اثناء ذلك الفعل وفي اثنائه نحو اذا صليت فاركع واسجد
والثالث ان يكون بعده نحو واذا قضيت الصلوة فانتشروا والاية محمولة على
ثلاثتها ففي ابتداء النسك ذكر وهو التلبية وفي اثنائه ذكر وهو عند المشعر والطواف
وفي نهايته ذكر وهو شكر الله عز وجل وذكره عند طواف الوداع ولما كان الذكر
ذكرين ذكرا بالقلب وذكرا باللسان ثناؤهما الاية ولما كان الانسان ... مشكل



في ان اباءه احد اسباب وجوده وانه منه اوجد ولانهم ... ذكره ... اجداده و
كانوا يفتخرون بمكانه ويتبجحون ... عنه امروا ان يذكروا الله كذكرهم اباءهم وان
يجعلوا الله تعالى ... سبب وجودهم بل سبب وجود اباءهم وان يفتخروا به ... اباءهم
... لانهم كانوا يفتخرون باباءهم بعد فراغهم من حجهم فابطل الله ذلك
وعلى هذا نبه النبي عليه السلام بقوله ان الله تعالى اذهب عنكم نخوة الجاهلية و
تعظمها بالاباء فالناس من ادم وادم من تراب ولا فضل لعربي على عجمي الا
بالتقوى ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى قوله ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقوله او اشد ذكرا تنبيه انه اذا كان الاب يذكر لانه سبب
ما لوجودكم فالباري عز وجل اولى بان يذكر ان قيل كيف خير بين ان يذكر الله
الا بالعين ان يذكر اشد ذكرا قيل لفظ او دان ذكر للتخيير فمقتضى الكلام على
ايجاب ان يكون ذكره اشد لانه لما نبه على موضع نعمتيهما اعني نعمة الاب ونعمة الله
عز وجل وشكر المنعم بقدر عظم نعمته وقد علم فضل نعمة الله عز وجل على فضل
نعمة الاب صار ذلك منبها ان ذكر الله اوجب وقوله من يقول ربنا اتنا
الاية روي انهم كانوا يقولون اللهم اكثر ما لنا واولادنا وانزل الغيث علينا
واسق مرعانا ولا يسالون شيئا من امور اخرتهم وانما سالوه الدنيا دون الاخرة
لانهم عرفوها ولم يعرفوا الاخرة وكيف يسال الاخرة من لا يعرفها وكيف يعرفها
من لم يتحقق كونها وكيف يتحقق كونها من لم يبصرها اي لم يدركها ببصيرته وليس
يعني بقوله يعول التقوى بذلك فقط بل صرفنا لغاية الهمة والاهتمام بها
والخلاق نصيب الانسان من افعاله المحمودة التي يكون خلقا له وذلك ان
الفعل قد يحصل من الانسان تخلقا وقد يحصل منه خلقا وهو المحمود ومعنى قوله ما له
في الاخرة من خلاق ... ان لا رغبة لهم طائفة صالحة عن اخلاقهم **قوله**

عز وجل ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار لما اجرى الله تعالى العادة
ان لا بد للانسان من اخيارهم واشرارهم من بلغة في الدنيا صار المؤمن يطلبها
كما يطلبها الكافر لكن طلب المؤمن لها على سبيل العرض قدر ما يحسن ويقرب
ما يحسن ويزاح الحاجة اليها قال بعض الصالحين اللهم وسع الدنيا علي وزهدني
فيها ولا تضيقها علي فترغبني فيها فقوله آتنا في الدنيا حسنة اي ما لا يستقبح عاجلا
واجلا ويكون ذريعة الى المقصد وفي الآخرة حسنة اي ثوابا ودرجة وعلى هذا قال
الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار اي احفظنا
من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار قوله عز وجل اولئك لهم
نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب النصيب في
الاصل المنصوب وجعل السهم المفرز نصيبا والنصب رفع الشيء وبه سمي النصب
والانصاب الحرم ونصاب السكين وفلان في نصاب صدق تشبيها بنصاب
السكين ونصب الحروف في الاعراب ونصب السير على التشبيه والحساب
عنه استعير الحسبان المقارب لمعنى الظن وحسب الذي هو بمعنى الكفاية
بين تعالى ان من جمع بين طلب دنياه واخراه ولم يقتصر على طلب الدنيا
الموصوفة بقوله انما مثل الحيوة كما انزلناه من السما الاية فقد تناول نصيبه
المامور به في قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا ولم يكن ممن قال فيهم وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والمكان الحساب كشف عن حال
الشيء وتفصيله نبه بذلك على احاطته بافعال عباده وحفظه وقوته على مقابلتها
وذكر السريع تنبيها ان ذلك منه لا في زمان ولا بفكرة وذلك ابلغ ما لا يمكن
ان يتصور به الكافر سرعة فعل الله عز وجل قوله عز وجل



واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في
يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى
واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون الايام المعدودات قال الشافعي
ثلثة ايام بعد النحر والمعلومات عشر ذي الحجة وقال مالك وابو حنيفة في
احدى الروايتين المعدودات يوم النحر ويومان بعده فيوم النحر عندهما من المعلومات
ومن المعدودات جميعا وفائدة الخلاف ان عند مالك لا يجوز النحر بلثاث ايام التشريق
والحشر ضم المتفرق وسوقه يقال حشرتهم السنة اي ضمتهم من النواحي الى الحضر
واختص حشرات الارض بصغار الدواب وسهم حشر مضموم القذذ وكذلك اذن
حشرة ورفع الاثم عن المتعجل والمتاخر على وجه الاباحة وقيل معنى رفع الاثم انه
حط ذنوبهما باقامتهما الحج تعجل او تاخر بشرط ان يكون متقيا بينهما ان الاعتبار
بالتقوى فقط وعلى ذلك دل قوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع
كيوم ولدته امه ثم قال واتقوا الله تحقيقا ان الاثم زائل عمن يتقي الله ويحاسبون
قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام العجب حيرة
تعرض للانسان عند جهل سبب الشيء وليس هو شيء بالله في ذاته حالة
بل هو بحسب الاضافات الى من يعرف السبب والى من لا يعرفه ولهذا
قال قوم كل شيء عجب وقال قوم لا شيء عجب وحقيقة اعجبني كذا اي ظهر لي
ظهور لا اعرف سببه والالد المايل للالد اي صفحة العنق ثم تعبر به عن
المتكبر كالمتصلف اي المستكبر صلفه والاصيد للبعير الذي به الصيد ولهذا
قال الشاعر    ونقيم سالفة العدو الاصيد    وقال ان الكرم من تلفت حوله
وان شعر الالد المحرك الذي لا يمكن صرف راسه عما عص عليه ولكاسب الدنيا

اشترى منه بقوله تعالى في سبيل الله فضلا ان ... فيقوله من يشري نفسه
تناول الصنفين المجاهد بنفسه من اسر الشيطان ومن باع نفسه من الله وان شرى
للامرين الشرى والبيع في مثل هذا الموضع كالبيع والاشارة وحقيقتها وقف
الانسان نفسه على مرضاة الله عز وجل والحركة في مصالح عباده وقيل انها نزلت في
صهيب بن سنان وكان من اجلة المشركين وصار اسعد من كان معه فقال صهيب انا
شيخ انقلب اذا انت معكم ولا اضركم اذا كنت عليكم فخذوا مالي وخلوا سبيلي فقال
لهم ... المدينة ... فانزل الله تعالى هذه الاية ونبه بقوله والله رؤوف
بالعباد ان الانسان في سعي نفسه منه تعالى برحمة في ملك من هواه فيه من
نفسه واولى به من ذاته قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
عني بالسلم تسليم العبد لله عز وجل وذلك ان الانسان في كفره وكفرانه نعم الله
كالمحارب له ... الكافر المحارب في نحو الذين يحاربون ويسلم العبد
الله على ثلاثة اضرب ضرب يتقدم الايمان وهو الاسلام الذي به يسلم ان يراق دمه
ويسلب ماله وهو المعنى بقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا
الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم والثاني بعد الايمان احدهما ان يسلم من لحظه
الى سام او لغيره ويواجهه طوعا او كرها والثاني ان يكون سليما من الشيطان وأوليائه
وسلما لما جرى عليه من قضائه وبه يحصل دار السلام المذكورة في قوله والله يدعو
الى دار السلام وهذا غاية ما ينتهي اليه العبد من المنازل الثلاثة وان كانت لكل منزلة
منها درجات وهذا الى المعنى بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وانتم مسلمون وقوله ان الدين عند الله الاسلام وهو الذي تمناه يوسف عليه السلام
بقوله توفني مسلما والحقني بالصالحين وقوله ... للخاطبين او للسلم وقد



تقدم الكلام في قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ... عن الاثم ومجبة على
معاداة الشيطان وان عداوته الحق وهذا المعنى قصد الشاعر في وصف الدنيا
ان الليالي والايام لو خلفت عن عيب انفسها لم تكتم الحيل
قوله عز وجل فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان
الله عزيز حكيم زل ... فقال ان الزلل ... ولفظ البينات عام
فيما ... لنا من المعارف العقلية والسمعية ونهى عن الزلة والقصد الى الفعل
الذي يحصل عنده الزلة اذ الانسان لا يقصد ان يزل وعلى هذا ... ليضلوا
وبين بقوله بعد ما جاءتكم البينات ان اعظم الزلل ما كان بعد المعرفة والتنبيه
... هذا الحد ... فكم ... زنبا فاذكروا عز الله
وحكمته في العلم بعزة على قدرته على عقاب المذنب وفي الحكيم علمه باله
غير ظالم في عقابه وفي العلم به زجر عن ارتكاب الذنب قوله عز وجل
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقضي الامر والى الله ترجع الامور قد تصور بعض الناس ... بالله
عز وجل من لفظ الاتيان والمجيء الذي وصف الله عز وجل به نفسه في هذه الاية
وفي قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقوله فاتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا وقوله فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله وجاء ربك والملك
صفا صفا وذلك لا قربت ... القصور عن معرفة البارئ عز وجل ... الباري
وضيق مجالهم في مجازات الالفاظ ومجازها وليس انتقال الاتيان والمجيء المنتقل
المتحرك من مكان الى مكان ... بل قد يقال لقصد افاضة ... امر
امر استفتحه كقوله اتت الفرقة من ... ويستعمل سواه كقولك اتيت
على باب الكتاب والفعل يفعله على ... كقولك ... برجحه

كما يحشر عظيم وقد قلنا بينهم جنود لا قبل لهم بها ولما عرف الملك ان الرسول
الامير من يستكفيه تارة وبنفسه تارة وان لم يتولى بنفسه الا ما كان اكبر فلما اراد الله
تعالى ان يبين الغرض الذي لا غاية وراه جعله منسوبا الى نفسه واتيانا له وعلى هذا
نحو جعل كل ما يسقطه فعلا له نحو قوله تعالى ادم بيده وقد قدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا ووجه اخر قد اسند الله في غير موضع من الكتاب وذلك ان الفعل كما ينسب
الى المباشر له قد ينسب الى ما هو سببه ومسهله نحو ان يقال الرحمن علم القران وانما
علمنا من علمه النبي وعلم النبي جبريل وجبريل علمه الله عز وجل فصح ان ينسب الى الله ولهذا
قد ينسب فعل واحد تارة الى الله عز وجل وتارة الى غيره نحو قل يتوفاكم ملك الموت
وقال الله يتوفى الانفس فان قيل فهل يجوز ان يقال على هذا القياس
اذا اتى عبده صالحين لما اجرنا استعمال ما يستعمل منه تعالى لورود السماع به ولولا
ذلك لنزهناه عن كل وصف يطلق على البشر لما يوهمه تشبيه وقوله وقضي
الامر تنبيها انه حسيب لا يمكن تلافي الفارط والى ذلك بقوله والى الله ترجع
الامور اي ما قد خوله عباده في الدنيا من الملك والملك والتصرف مسترد منهم
يوم القيامة وراجع اليه ويقال رجع الامر الى الامير اي استرد ما كان فوضه اليه
وقيل عنى بالامور الارواح وسماها امورا من حيث انها من الابداعات
المشار اليها بقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله الا
له الخلق والامر وقال في هذا لما سئل عن الروح قال قل الروح من امر ربي اي هو
من الابداع الذي ليس للبشر تصوره فنبه ان الارواح كلها مرجوعة اليه و
راجعة كما قال يا ايتها النفس ارجعي الى ربك وعلى ذلك قوله كما بداكم تعودون
فيكون بحسب هذا ... ومعنى قوله وانا بدانه وبصيرة الجنات ... البشارة
الادراك ... على ... تعالى وقوله ... طلبه بالطالب وطلب ... [illegible]

قوله



حكمه وجلاله وتلك الاشارة الى انتظار عذاب كما روي في عاد المذكور في قوله
هذا عارض ممطرنا او الى اهوال القيامة وقوله هل ينظرون على طريق الاستفهام
والوعيد قوله عز وجل سل بني اسرائيل كم اتيناهم من
اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله
شديد العقاب تنبيه بتبكيتهم على كثرة ما اتاهم من الايات وذلك بقوله ومن
يبدل نعمة الله على اصحابه بدلوا وعلى هذا ان الحكم ليس مقصورا عليهم بل هو عام فيهم
وفي غيرهم وذلك بقوله نعمة الله ان الايمان جملة نعمة الله بل هي من اعظم النعم
ويقوله من بعد ما جاءته على نحو ما دل عليه قوله من بعد ما جاءتهم البينات وهذا نبه ان
انتباههم ايات هي نعم فبدلوها ومن بدل نعمة الله بعد اختصاصه بها عاقبه
الله عقابا شديدا فانه شديد العقاب وان تعاقب بني اسرائيل ومن فعل فعلهم
عرف عقابهم قوله عز وجل زين للذين كفروا الحياة الدنيا و
يسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة و
الله يرزق من يشاء بغير حساب المزين التحسين المدرك بالحس دون
المدرك بالعقل ولهذا اجاز اوصاف الدنيا زينة واوصاف الاخرة ... 
حب الشهوات من النساء الاية واختلف في هذا المزين فمنهم من قال الله ...
لقوله ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون ومنهم من قال الشيطان
زين لهم لقوله وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وروي عن الحسن الشيطان ...
لم يعلم احدا ادم ... اوصفهما ... متاع ... متاع الغرور ...
الملحدة ... وانها ... ذكر في القران ...
مرة زين لهم الشيطان ... الشيطان ... عليهم ...
ومرة ذكر انه ... ولا ... قوله ... 

اديهم وما خلقهم وهى ما ادعاه الخفى على ذى بصيرة لكن بانه محتاج الى مفزعه فيقول و
بالله التوفيق ان الله عز وجل خلق الانسان وجعل له سبيلا الى بقائه لشخصه زمانا
وتوقعه مدة ما وركب فيه شهوة تشوقه الى الغذا واجماع الذين بهما اسس البقاين
فهذا مؤتمن الله عز وجل ولهم بابتغائها حسب ما يامرهم الشرعه فما يودى به الى
سعاده فى الاخره على ما ينبغى وبقدر ما ينبغى ومن عسرها ما فراط استحوذ الشيطان عليه
واغواه عن قصد السبيل منه وذلك قوله عز وجل وزين لهم الشيطان اعمالهم والما
قوله وتيا لكل امة عملهم وقوله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون والذين فى الانسان
تحتمل وجهين احدهما ان الذى زينه هو المشروع لهم والثانى ان الذى زينه هو
الشهوه لكن على ان ياخذ بقدر ما يجب وفى وقت ما يجب لا ان يجعلها مقصده ووجه
اخرى الايه وهو الحيوة حيوتان حيوة دانيه دنيه وهى الحيوه الدنيا وانما سما
وصفها تعالى به اعلموا انما الحيوه لعب ولهو الى قوله ثم يكون حطاما
وحيوة متاخره سنيه وهى الموصوفه فقوله عز وجل وان الدار الاخره لهى الحيوان
والثانيه ليعرفها الا الذين اتقوا فاما الذين كفروا فلا يعرفون الا الحيوه الدنيا
ويحدون الاخره وسيرون من الذين يوصفون بها بينه تعالى انهم وان تحروا
من الذين امنوا والذين امنوا فوقهم ومعنى فوقهم قبل هو كقوله اصحاب الجنه
يومئذ خير مستقرا وذلك تحتمل وجهين احدهما ان حال المومنين فى الاخره
اعلى من الكفار فى الدنيا والثانى ان المومنين فى الاخره هم فى القربات
وان الكفار فى الدرك الاسفل وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب
اى كفاما يستحق بلا افراط ولا تفريط واعطاه بالصاب اذا اعطاه الكثر مما
يستحق او اقل مما يستحق والاول هو المقصود هاهنا وهو المشار اليه بالاحسان
وقد فسر على اوجه راضمال الخط ولهامه الاول بعطيه الكثر مما يستحقه الثانى



بعطيه والماخذ منه الثالث بعطيه عطاء لا يحوبه حصر العباد لقول الشاعر
عطاياه حصى قل احصاها القطر الرابع بعطيه بلا مضايقه من قولهم حاسبته
اى ضايقته الخامس بعطيه اكثر مما يحسبه اى يكفيه وكل هذه الوجوه تحتمل ان
يكون ذلك فى الدنيا وفى الاخره السادس ان ذلك اشاره الى توسعه على الكفار
والفساق الذين قال فيهم ولولا ان يكون الناس امه واحده لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضه بينها ان ما فضل فى المال وما اكرام لمن يوسع عليه ما لم
يستعن به فى الوصول الى المطلوب منه ولهذا قال الحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم فى الخيرات ولهذا قال امير المومنين من وسع عليه دنياه فلم
يعلم انه مكر به فقد خدع عن عقله السابع بعطى اولياه بلا تبعه ولا حساب
عليهم فيما يعطون وذلك ان المومن ربما اخذ من عرض الدنيا الا من حيث
يحب وفى وقت ما يحب وعلى الوجه الذى يحب وربما سفه الا على ذلك فهو حاسب
نفسه فلا حساب ولهذا ما روى من حاسب نفسه فى الدنيا امن الحساب
فى القيامه وعلى هذا قال لسلمى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
اى بحر فيما اعطيناك فى الوجه الذى لا شبهه فيه عليك فى ارباب الامن ان الله
عز وجل يقابل المومن فى القيامه لا بقدر استحقاقهم بل باكثر منه كما قال من
ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيره والثامن وهو يقارب ذلك ان
اشاره الى ما روى ان اهل الجنه لا خطر عليهم وعلى ذلك دل قوله عز وجل
ومنها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقوله اولئك يرزقون الجنه بغير حساب
ولما تعلقه بما تقدم على بعض هذه التفاسير تعلق بالذين كفروا وعلى
بعضه تعلق بالذين امنوا قوله عز وجل كان الناس امه واحده فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب

بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قال ابن عباس وابي والسدي كانوا امة
واحدة في الايمان وقال غيرهم في الكفر وهذا الخلاف لاختلاف نظرين لا بد فيهما
من معرفة ليكشف بها وجه الخلاف وتحقيق التاويل وهي ان الله عز وجل فطر الناس
فطرة ركز فيها روية يعرف بها بعض الاشياء اضطرارا ومكنه ان يعرف بها البعض اكتسابا
وحبب اليه ما لم يفسد الحق من الاعتقاد دون الباطل والجميل من الافعال دون القبيح
والصدق من المقال دون الكذب والى ذلك اشار بقوله عز وجل فطرة الله التي فطر
الناس عليها وبقوله صبغة الله وبقوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم الاية وبقول
النبي عليه السلم كل مولود يولد على الفطرة ولم يخلهم في وقت من نبي يشحذ عقولهم ويعرفهم ما لم
يسبل لهم الى معرفته من دونه وكان كلما اختل احوالهم بعد خروج نبيهم من بينهم اما ان
يعيض لهم من يجدد عليهم شريعتهم السالفة او يبعث اليهم نبيا ياتيهم بشريعة مستانفة وهذا
كان فعله الى ان انتهى الامر الى نبينا عليه السلم فختم به الانبيا فمن قالوا كانوا امة في الايمان
فنظر منه الى المبدا وحال الفطرة وما كانوا عليه قبل ان فسدوا ومن قالوا كانوا امة
واحدة في الكفر فنظر منه الى حين فسادهم كزمن بعثة نوح وبعثة ابرهيم عليهما السلم وكل واحد من
القولين صحيح بنظر ونظر فقد كانوا امة واحدة في الايمان طورا وامة واحدة في الكفر طورا
ان قيل كيف كانوا امة واحدة في الكفر وقد قيل لا يخلو الارض من حجة الله قيل ان من
كان حجة الله عز وجل في مثل ذلك الوقت في حكم من لا اعتداد به في كونهم امة لقلة الاصغا
اليه وبين تعالى انه بعث انبياءه مبشرين للمحسنين ومنذرين للمسيئين ولم يخل احدا
من انبيائه من حال بشارة ونذارة ثم بين انه قد تقدم لم نزل الكتاب من البينات الاعلان



جماعة منهم قيل ان الله عز وجل لم يخل احدا من الانبياء من كتاب اما كتاب خص به واما كتاب
من كان قبله لمن بالاعتبار عليه كالاسباط الذين كانوا انبيا وكانهم كان التورية وعطف قوله
فهدى الله الذين امنوا على قوله وانزل معهم وفصل بينهما بذكر احوالهم وانهم لم يختلفوا الا من
بعد جاءتهم البينات ذما للمختلفين وان من شان البينات ان يرفع الخلاف وعلى هذا قوله
عز وجل ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى
جاءهم العلم وبين سبب اختلافهم بقوله عز وجل بغيا بينهم تنبيها ان ذلك كان لطلبهم زخرف
الدنيا ومنازلها ومن المفسرين من جعل قوله الذين اوتوا الكتاب مخصوصا في بني اسرائيل والذين
امنوا في هذه الامة لقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات
وقول النبي عليه السلم هدانا الله لما اختلفوا فيه ومنهم من جعله عاما في جميع الامم وقوله بالحق
اي بما يستحق من الثواب والعقاب وقيل بالامر والنهي وكل الاعم مراد ان ما الكتاب مشتمل
على كل ذلك وقوله باذنه اي بعلمه وقيل بامره وقيل بلطفه والاذن والاذن للسامع ويعبر
به عن العلم اذ هو مبدؤ العلم فينا ان قيل كيف قال والله يهدي من يشاء وذلك يقتضي انه
يهدي بعضا دون بعض وهو جواد كريم ان يعمهم بالهدى قيل انه قد عمهم من حيث
قد اتاحه لهم وفيضه لكن لم يهتد به الكل فان هدايته لا يدركها الا من جلى بصيرته و
شحذ فهمه لمعرفته فيهتدي به وقد قال بعض الصالحين ما النجم الهادي واقل من يرى
الا ان نجوم السما ما اكثرها ولا يهتدي بها الا العلما قوله عز وجل ام حسبتم
آ سا ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البا
ساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى
نصر الله الا ان نصر الله قريب الزلزلة شدة الحركة واصلها زل
والزلزال المعنى يتداخله وعلى هذا دلدل ودلدل وما اشبهه من المضعف مع الحرف
المكرر بين تعالى انه لا سبيل للناس كافة الى الجنة الا بتحمل المشاق ولهذا قال عليه السلم

حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فخاطب هذه الامة بانه محال ان تدخل
الجنة الا بما حرك به حكم الله في الذين سلفوا وهوان يبلكم البأساء اى الفقر والضراء
اى المصائب والزلزال اى المخاوف وبذلك اثنى على المؤمنين فقال والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وليس ذلك في الامور
الالهيه فقط بل في عامه الملاذ السبيل الى جنة الله تحفه والى لذة الرشده ولهذا قيل
ورائد دون الشهد من اثر النحل وقوله ون زلزلوا حتى يقول الرسول فتل معناه حتى تقول
الرسول والمؤمنون متى نصر الله على سبيل الاستفهام ذكروا وعادوا الى معرفتهم فقالوا الا
ان نصر الله قريب وقتل ليس ذلك على سبيل التحويل على سبيل نصر الله اضافه تعالى
على سبيل الالهيه لهم على سبيل الحكم وقتل تقديره ون زلزلوا حتى يقول الرسناع متى نصر الله ويقول
الرسول الا ان نصر الله قريب فجمع بين قولهم كقولك قال زيد وعمرو كذا وكذا الشيئين
احدهما قاله زيد والثاني قاله عمرو قرئ حتى يقول بالنصب والرفع وكل واحد منهما وجهان
فاحد وجهي النصب معناه الى ان والثاني معناه كي والحد وجهي الرفع ان يكون الفعلان
ماضيين نحو مشيت حتى ادخل البصره اى مشيت فدخلت والثاني ان يكون
مابعد حتى لما هو من حتى لا يرجونه قوله عز وجل يسئلونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين و
اليامى والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله
به عليم لما اثنى الله في عز موضع على المنفقين وحث على الانفاق نحو قوله وما اردتم قيامهم
ينفقون وقوله وانفقوا مما رزقناكم سالوا عما هنا عنه ان قيل ليس جوابهم طبقا لسوالهم
فان سوالهم عما ينفق والجواب من ينفق عليه قيل في ذلك جوابان احدهما انهم
سالوا عنهما وقالوا ماذا ينفق وعلى من ينفق فحذف في حكاية السوال احدهما اكتفاء
ودل على المحذوف بقوله وما انفقتم من خير كانه قيل ينفق من الخير والمنفق عليهم



هو كما قالوا احد الجوابين في الاخر وهذا طريق معروف في البلاغة والجواب الثاني
ان السوال صحيح سوال جدل وحقه ان يطابقه جوابه ويزاد عليه ويزاد فيه عنه
وسوال تعلم وحق المعلم ان يصرفه كطبيب رفيق يحرك شفاسمع مطلب جاسعة طلبه
المريض او لم يطلبه فلما كان حاجتهم الى من ينفق عليهم كحاجتهم الى ما ينفق بين لهم الامران
ان قتل كيف خص هؤلا المفردون عنهم فلما ذكر من ذكر على سبل المثال لمن ينفق
عليهم لا على سبل الحصر والاستيعاب اذ اصناف المنفق عليهم على ما وردوا في
غير هذا الموضع ولما كان المندوب الى الانفاق عليهم صنفين صنف لهم فرض معين في مال
الاغنيا وصنف لا فرض لهم معينا ذكر المرغبون والمقارب تنبيها ان حقهم اوجب
وقوله من خير اى مال سمى المال خيرا تنبيها ان الذي يحمد انفاقه من الحلال الذي
يشاوله اسم الخير كما قال ان ترك خيرا الاترين ان كل ما يتعاونه الناس يخفى عليه على الوجه
الذي يتعاونه بينهما انه جار به يحمد من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره **قوله عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى**
**ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو**
**شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون** الكره في الانسان يستعمل على ضربين
احدهما ما يعاف من حيث الطبع والثاني ما يعاف من حيث الفعل وان قال الله الطبع
ولهذا اصح ان يوصف الشيء بانه مراد مكروه والكره والكره قيل هما في معنى نحو الضعف
والضعف وقيل بل الكره المشقة التي تحمل عليها الانسان باكراه والكره ما تحمله بلا
اكراه من غيره وقيل للحرب كره وعسى طمع واشفاق وقد يجري مجرى لعل وقال عسى
عسر بكذا اى هو جدير واعسى هي الحال التي يلزم الانسان بها وفيها طمع المعصية
من حيث ان يعاد عسى ان يكون بها البين والقتال المكتوب من حيث الظاهر جاهد الكفار
وقتال عين من ذلك مجاهدة النفس اى الشهوة وهي التي عناها النبي عليه السلام الجهاد الاكبر وبقوله

عسى ان تكرهوا بالطف وجه على ان ما كتب عليهم من القتال خير لهم باوضح دلالة وبين انه
اذا جاز ان يكون بكم كراهية لامر وفيه الخيرة فيجوز ان يكون كراهتكم لما كتب عليكم من
القتل كذلك واذا جاز ان تحبوا شيا وهو شر لكم فيجوز ان يكون محبتكم لما اجتنبتموه شرا
ثم نبه ان هذا الجائز كونه عندكم هو واجب كونه في نفسه بقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون
اي اذا كان الله عز وجل يعلم وانتم لا تعلمون وقد قضى ان ذلك خير فما قضى به لا يسعه خير و
اذا كان خيرا فيجب ان تحبوه ولا تكرهوه فالخير تجب ارادته والشر تجب كراهيته وعلى
نحو ذلك قوله وعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا واياه قصد الشاعر بقوله
عسى الله في بعض المكاره للفتى برشد وفي بعض الهوى ما احاذره **قوله عز وجل يسئلونك**
**عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله**
**وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله و**
**الفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم**
**عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت**
**وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة و**
**اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** الصد ناحية الشعب
والوادي المانع للسالك وصده عن كذا كانما جعل بينه وبين ما يريده صدا يمنعه والصديد
ما حال بين الجلد واللحم من الدم والقيح وقد تقدم ان زال وذال يتقارب لمكان الزوال
معناه للنفي ضم اليه ما النافية فصار ايجابا للاثبات ولهذا لا يصح ان يقال ما زال زيد
الا خارجا كما يقال ما كان زيد الا خارجا والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها من اكل الكلا
واستعير لفساد العمل والسائل على ذلك قيل اهل الشرك قصدا الى تعيير المسلمين بما استحلوه
من القتل في الشهر الحرام وقيل بل اهل الاسلام ان قيل ما فائدة ذكر الشهر في ابدال
القتال منه ولم يقل يسئلونك عن قتال في الشهر قيل في ذكر الشهر اولا تنبيه ان السؤال



عن القتال لاجل الشهر لا لغيره ولو قيل يسئلونك عن قتال الشهر لكان يصح ان يعتقد ان
الغرض في السوال عن القتال لا لتعظيم الشهر بل لشي اخر وعلى هذا اذا قيل سرق زيد
ثوبه تنبيها ان المقصد ان يذكر حال زيد لا ان يخبر بسرقة ثوب تما ان قيل لم لم يعد
القتال فيه كبير وشرط النكرة المذكورة اذا اعيد ذكرها ان يعاد معرفة فانه نحو سالني عن
رجل والرجل كذا وكذا قيل في ذكره منكرا تنبيه ان ليس كل القتال في الشهر الحرام
هذا حكمه فان قتال النبي عليه السلام لاهل مكة لم يكن هذا حكمه فقد قال احلت لي ساعة من
نهار وقوله والمسجد الحرام معطوف على قوله عن الشهر الحرام فاعلم تعالى ان بعض القتال
فيه كبير وصد عن سبيل الله ينبه انه على الوجه الذي يفعله الكفار صد عن سبيل الله
اي عن دينه وسنته واكبر منه عند الله عز وجل في اعظم اخراج اهل المسجد النبي عليه السلام ٧
والمسلمين الذين هم اولياؤه وعلى ذلك دل بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ثم بين ان النبي عليه السلام وامته اولياؤه بقوله ان اولياؤه الا
المتقون وفي ذلك تنبيه ان قتال المسلمين وقتلهم فيه ليس بكبير ولا صد عن سبيل الله عز وجل
وبين ان الفتنة اكبر من القتل وقد تقدم الكلام فيه وانه لا يرضيهم الا ردكم ويقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ونبه بقوله ان استطاعوا انهم لا يردونكم لانهم لا يستطيعون
وذلك نحو قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وعقب ذلك بوعيد
من يرتد ومات على حالته وان اعماله المتقدمة المعمولة في سبيل الدنيا والاخرة تبطل
وتضمحل كما قال عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **قوله**
**عز وجل ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في**
**سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** المهاجرة مفارقة
الانسان غيره اما بالبدن او باللسان والقلب والهاجرة الساعة المانعة عن السير
كانها هجرت الناس بحرها والهجار حبل يشد به الفحل فيصير سببا لهجرانه الابل وجعل

بناؤه على بناء المبالغات كالعقال والزمام والبحر الماء العظيم المجهول لعمقه وقيل بحر فلان اذا
هذا عن قصد ولبحر المريض اذا هذا من غير قصد والجهد تحمل المشقة ومجاهدة العدو
معًا ومنه بذل الجهد وجهدت دابتي واجتهدته العيشة بالفكر والنظر والرجا الوقوف
على رجا الامل اي ناحيته حيث ما يتردد بين الامل والياس لان تعالى وجوب المقاتلة ونهى
عن تضييع الشهر الحرام والمسجد الحرام وعن تبسيح الفتنة نبه على فضل من هاجر وجاهد
في سبيل الله محافظة على ذلك فخص المتصرين من جملة المهاجرة على مهاجرة الاهل والولد
كهجرة النبي عليه السلم واصحابه والمجاهدة على الغزو ومنهم من قال عنى مع ذلك هجران الشهوات
ومجاهدة الهوى كما روي جاهدوا اهواكم كما تجاهدون اعداكم وما قال في حجة الوداع المجاهد
من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا وهذه المنازل الثلثة التي هي الايمان
والمهاجرة والجهاد هي المعنية بقوله واتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله
ورا سبيل الى المهاجرة الا بعد الايمان ولا الى جهاد الهوى في سبيله الا بعد هجران
الشهوات ومن وصل الى ذلك فحق له ان يرجو رحمته ان قيل الانسان راج رحمت
الله وان لم يبلغ هذه المنازل قيل ان الذي يسميه رجا لمن لم يبلغ مثل هذه المنازل
فهو تمن على الله المعني بقوله عليه السلم والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله او رجا
لتفضل عنه مستحق وما ذكره الله عز وجل هاهنا هو الرجا المستحق الذي وصف
المومنين في غير موضع نحو قوله يرجون رحمته ويخافون عذابه ان قيل لم ذكر المومنين
يرجا الرحمة وهي لهم لا محالة قيل المومن وان بذل الجهد في طاعته فواجب ان يكون
بين نظرين نظر الى سعة رحمة الله عز وجل ونظر الى ما عسى ان يقع او وقع منه من
ذنب فينبغي له خوفا قوله عز وجل يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا



**والاخر** الخمر ستر الشي ويقال لما يستر به لكن الخمار صار الخمار في التعارف لما تغطي
به المراة راسها واختمرت المراة وتخمرت وخمرت الانا غطيته وكذلك خمرت العجين
وسميت الخميرة لكونها مخمورة من قبل ودخل في خمار الناس اي في جماعة تستره والخمار
الموروث من الخمر جعل بناؤه بنا الادوا نحو الكباد والصداع وخامره الحزن اذا استولى
عليه حتى ستر فهمه وفكره ونحوه سمي غمًا واصله من الستر ومن الناس من جعل الخمر اسما
لكل مسكر ومنهم من جعله اسما للمتخذ من التمر والعنب لقوله عليه السلم الخمر من هاتين
الشجرتين النخلة والعنبة ومنهم من جعله اسما لما لم يكن مطبوخًا ثم كمية الطبخ الذي يخرجها
عن كونه خمرًا مختلف فيها والميسر آلة اليسر اي الضرب بالقداح ويقال للضارب
به ياسر وسمي الجازر لذلك الجزور ياسرًا تشبيهًا به واصله من اليسر وهو ضد
العسر فسمي الغني يسرًا وسمي ذلك يسرًا لاعتقادهم انه غنى للفقرا اشار الله عز وجل
بقوله واثمهما اكبر من نفعهما الى نكتة اشارة لطيفة تحتاج في كشفها الى مقدمة
وهي ان النفع ضربان ديني ودنيوي والدنيوي ضربان نفع ضروري ونفع غير
ضروري فالضروري كالاكل والجماع اللذين لو تصورنا مما مرتفعين لارتفع بارتفاع
الجماع نحو نوع الحيوان وبارتفاع الاكل اشخاص الحيوان ونفع غير ضروري كالتنقل
بعد الاكل وترك التحلل بعده والخمر نفعها دنيوي غير ضروري فان نفعها تقوية
الابدان المسنة وهضم طعام والمعاونة على الباه والزيادة في الرطوبة والحرارة
الغريزيتين وليس ذلك بضروري وربما يتحقق النفع فيه ومنها اثم متحقق او مظنون
والعقل يقتضي ان يتحامى من التزام الاثم المظنون للنفع المتحقق الذي ليس بضروري
فكيف من النفع المظنون ومن هذا الوجه صار الخمر فيما بين الامم المتقدمة مترددة
بين تحمد وذم واباحة وحظر وتركها عامة ذوي العقول الراجحة ولما اراد الله تبارك
وتعالى تحريم الخمر على الناس لما راى في ذلك من المصلحة وعلم من عزيمتهم التي عزيمتهم

عليها ان كثيرا منهم اذا ارد دع عما الفه واستحسنه واحلا يرتدع ابدا فصح الشرع في
نفوسهم وكونه منافيا لذكر الله وعبادته فقال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون فلما رسخ ذلك في نفوسهم انزل قوله قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما
اكبر من نفعهما وكان في هذا اشاره لا تعرفها الهود والعقول الراجحة فلما وقع ذلك
في نفوسهم قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله
فهل انتم منتهون وعلى قرب من هذا الكلام في الميسر لكن كان لفرط احف ومن الناس
من جعل كل ما فيه خطار مقامر ميسرا ومنهم من قاسه عليه وقد روى عن النبي عليه السلام
من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وقرن اثم كثير وكبير فكبير لقوله ان
اجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولقوله ان الشرك لظلم عظيم وعظم وكبير شار ان بان
ولان حكمهم قرأ اكبر من نفعهما ومن قرأ الكثير فنظر منه الى ما روى عن النبي صلى الله
عليه في نصه لخمر لعن الله عشرة مشتريها وبايعها وعاصرها والمعتصرة له وحاملها
والمحمولة اليه وساقيها وشاربها واكل ثمنها وقوله ويسئلونك ماذا ينفقون ان
قيل كيف اعيد السؤال عما سبقوا من الجوابين قيل اما الاول فسؤال عن
الحبس الذي ينفق وعمن ينفق عليه فبين لهم المصرف واما السؤال هاهنا فعن القدر
المنفق فاجيبوا بحسبه فمن ان الذي ينفق هو العفو قال ابن عباس هو الفضل
عن الغنى وهو الذي قال الشاعر

اذا اتت اعطيت الغنى ثم احمد بعضل الغنى الفيت مالك حامد

قال الحسن وعطاء هو القصد الذي لا اسراف فيه ولا اقتار وقال مجاهد هو الصدقة
المفروضة وكل ذلك مراد فان افضل ما يطيب به نفس المسلم هو الصدقة الواجبة ومن
لم تطب نفسه فليس تمام الايمان ثم منهم من يطيب نفسه ببذل جل ماله ومنهم من
تطيب بكل ماله كابي بكر رضي الله عنه فان العفو متناول لما هو واجب ولما هو متبرع

وقرئ العفو بالرفع والنصب وذلك ليقدر من جملتين في كل واحد منهما اسم
اسم واحد فيكون معفول ينفقون محمولا على المطابق له بالنصب وتارة يقدر هو
مبتدا وخبر فيكون جوابه المطابق له رفعا اي هو المعفو وقوله كذلك يبين الله لكم
الايات فيه حث على حسب الخمر والميسر وعلى تحريمهما فان في التفكر في الدنيا و
الاخرة معرفتها ومعرفة منافعها وان النفع القليل في الدنيا واجب ان يشترى بكبير الاثم
في الاخرة قوله عز وجل ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من
المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم الخلط الجمع بين
اجزاء متميز سواء كانا مائعين او غير مائعين فهو اخص من المزج ويقال للصديق الخليط
ومنه دون الخلس والخلاط والخلط الخوف وانه يترك العقل والخلط ان يخلط
الامر بما يفسده والاعنات من عنت العظم عنتا اصابه وهي او كسر وقد اعنته وكل
ما يوثم او يشق عنت ولما اكثر الله تعالى التحذير من مال اليتيم في حوقوله ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى وقوله فاتوا
اليتامى اموالهم الزموهم رجوا عن تناول ماله ومخالطته ومن تعالى ان يحق الامتناع
ان يحرك الصلاح له وان يراعى في مخالطته اي مصالحه وسائر انواع المخالطة ومن
انه اخوهم وذلك ليشاره الى الحو قوله انما المؤمنون اخوة وقوله بعضكم من بعض وتنبه
بقوله والله يعلم المفسد من المصلح ان الله تعالى لا يخفى عليه مقاصد الانسان فيما يفعله
معهم ومن يقوله ولو شاء الله لاعنتكم انه لم يقصد اعناتا فيما اوصاهم به في هذه الاية
المخالفة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة
مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار

**والله يدعوا الى الجنه والمغفره باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون**

النكاح اسم للعقد واستعير للجماع بدلالة ان عامة الاسما كنايات وانهم يتحاشون النكاح
من التصريح بذكر الجماع والاسه كما يتحاشون من اظهار حتى يعود ذلك العضو السوءه ولم يستعيروا
اسم الجماع والاسه الا فيما يقصدون به سفها نحو شوربه اذا خجله وجعله بحيث كانه اذرك
شواره والشوار مع ذلك كنايه للفرج وبهذا يعلم ان النكاح في اللغه مستعار للجماع
والنهي عن نكاح المشركات عام فيمن ليس من اهل الكتاب ولم يدخل في ذلك اهل
الكتاب لقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فقد قال تعالى لا تجد
قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الايه والنكاح يجلب المودة
لقوله خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم موده ورحمة وقد نهانا عن
مودتهم فيجب ان لا نواصلهم قيل المودة المنهي عنها هي الاسه لا المودة الطبيعية او الشهوة
فانا اذا اوددنا لهم لنفع ما فانا نوذ النفع لكونه انا لا نعينا على مرافقة المشركين فقوله
يوادون من حاد الله عني به المودة الدينيه فان قيل ما قلت يقتضي ان يجوز نكاح المشركات
قيل المشرك ما دام مشركا فنفسه مباحه فالمشركة غير مالكة لنفسها وفي قوله ولعبد مومن
خير من مشرك اشارة مجمله الى فضل العبد المومن على الحر المشرك وبيان فضيلته
يحتاج الى مقدمه وهي ان الشيئين اذا اشكل ايهما افضل اخذت كل واحد منهما
مع ضد الاخر ايهما مع الموجود مثاله ان من شك في العلم والغنى ايهما افضل فليقل
انظر هل الغنى مع الجهل افضل ام الفقر مع العلم فاذا علمت ان الفقر مع العلم افضل
من الجهل مع الغنى علمت ان العلم افضل من الغنى واذا ثبت ذلك والعبد هو الذي
لا يملك منافعه مده والحر هو الذي لم يملك منافعه والمومن هو المستحق للثواب الدائم
والمشرك هو المستحق للعقاب الدائم فينظر هل من ملك منافعه مده ثم اثيب دائما
افضل ام من لا يستحق منافعه مده ويعاقب دائما فلا اعلمنا ان الاول خير علمنا



ان العبد المومن خير من الحر المشرك ونبه بقوله ولو اعجبكم ان الاعتبار باعجابكم فليس
الاعجاب الا من ثمره الجهل بحقيقه الشي والجهل لا يوجب حكما فاذن لا اعتبار باعجابكم
ونبه عز وجل على تحريم مواصله المشركين بقوله اولئك يدعون الى النار اي الى الافعال
الموجبه للنار وواجب اجتناب الداعي الى الشر الحامل عليها فواجب مجانبتهم اذن
وعلى هذا قال عليه السلام لا تراءى ناراهما ثم قال والله يدعوا الى الجنه والداعي الى الجنه واجب
اتباعه وعلى هذا دل قوله عز وجل حكاية عن المومن مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار تدعونني وباذنه اي بعلمه وامره وابانة حججه ودلائله العقليه والشرعيه ثم
انكم اذا فعلتم ذلك فانتم اهل لرجا التذكر وحقيقه التذكر الاستدراك عن نسيان
او علمه لما استثبته القلب ان قيل الى اي شيء اشار بهذا التذكر قيل ان الله عز وجل
ركز فينا بالفطرة معرفته ومعرفه الايه والانسان باستفاده العلم يتذكر ما ركز فيه فهذا
معنى التذكر وقال قوم معرفه الله عز وجل ومعرفه الايه يتذكر ومن دفع عن قلبه الغشاوه
يتذكرها قال الله عز وجل لمن دل عليه بقوله عز وجل واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
الايه قالوا وقد عرفنا الطريق الذي به يتوصل الى هذا التذكر بقوله ان الله يامر
بالعدل والاحسان الى قوله لعلكم تذكرون ومعنى انكم اذا فعلتم ذلك رجوتم
تذكر هذه الحاله وقد نقل الرجا من الله واجب بمعنى انه اذا رجانا حصول رجانا وهذه
مسالة لا يمكن تصورها لمن لم يسلها تتعاطى هذه الافعال التي شرطها الله عز وجل
فلذلك لعلها صعب ادراكها للناس قوله عز وجل **ويسلونك عن
المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النسا في المحيض ولا تقربوهن
حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم
الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**
المحيض وقت الحيض وموضعه وقد قيل يقال للحيض محيض على ان المصدر

هذا الباب جرى على مفعل نحو معاش ومعاد وقول الشاعر

لم يستطع بها الفؤاد مقيلا ... فالطهر انه مكان وان كان قد قيل هو مصدر وصل ما في

بمكان ومكيل اي كيل وهو ايضا مختص بالحيض هو الدم الخارج من الرحم

على وصف مخصوص في وقت مخصوص ويتعلق به منع الصلاة والصوم وحظر الجماع و

ايضا العدة واجتناب دخول المسجد ومس المصحف وقراءة القرآن وان يصير المرأة

به في الابتداء مكلفة والاعتزال العدول عن الشيء واصله من العزل وهو صرف العامل

عن عمله ومنه قيل للعامل عن الحرب لعدم السلاح وللداء المأيوس دواؤه العزل

سميت العزل وشبهه مخرج الماء اذا افتح عن فقد سلاحه والسماك الاعزل سمي بذلك

لانفراد الكواكب التي تصور بصورة الرمح للسماك الرامح والهدى ايضا لما سال النفس

منه مكروه ولهذا سمي تعالى الدم المكروه اذى فقال وليسمعن من الذين اوتوا الكتاب

من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وما سال الانسان من مكروه المطر اذى فان

كان بكم اذى من مطر ولما كان الناس في مجامعة المرأة في حال الحيض من افراط

وتفريط فان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة لم يواكلوها وان يجمعوا منها في

البيوت وبعض النصارى لم يتحاش من مجامعتها فسئل عليه السلام فقال تعالى يسألونك

تنبيها ان العقل يقتضي تجنبه كانه قيل الحيض اذى وكل اذى يتحاش منه فالحيض

يتحاش منه ولما كان الانسان قد يخل بالاذى ولم يراعه صرح بتحريمه بقوله

فاعتزلوا النساء في المحيض ان قيل فان اذى هو قيل اما باعتبار مجرد الشرع فانه

واما بالاعتبار الطبي فان الدم الذي يخرجه الرحم يفسد البدن الذي منه الحيوان

ويكون له مخارات ممرضة لا بد ان مشتمها يعرض المرض ولما كان الاعتزال قولا

مشتركا وكنى به عن العدول عنها عند الفزاع وعن مجانبته ذلك الموضع وعن

مجانبتها راسا قال ولا تقربوهن ليدل باللفظتين الكنايتين على مجانبة مباضعتها



وعلى جواز التمتع بها منها دون الفرج المدلول عليه بقول النبي عليه السلام اصنعوا كل شيء الا

الجماع ولما كان لفظ طهر تقال فيما كان طاهرا لنفسه وفيما كان يتطهر بتة بقوله فاذا تطهرن

الله لم يرد الا الطهارة عن تطهر وتولد ذلك قراءة من قرأ حتى يطهرن فدل ذلك ان

لا يصح وطيها ما لم يغتسل وقوله فاذا تطهرن دل ان ذلك شرط في اباحتها وان لا يصح

وطيها بانقطاع دمها وقوله فأتوهن من حيث امركم الله اشار الى مراعاة كل ما هو

من احكام النكاح ومجانبة المحاش في الموضع المكروه وغير ذلك من الامور التي لعراعاتها قال

والله يحب التوابين منها ان من كان منه شيء من ذلك حق عليه ان يتوب ويتطهر من بعد

والتطهر عام في استعمال الماء وتطهر القلوب من الذنوب والتوبة اجتناب الذنب

والتطهر عمل الصالحات وجعل التوبة مقدمة على التطهر تنبيها ان اجتناب القاذورات

مدوحة الى فعل الخير وعظم قدر المتطهرين حيث جعلهم محبوبين وروي ان عويمر ساعدة

قال لرسول الله من الذين قال الله عز وجل فيهم فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب

المطهرين فقال عليه السلام نعم الرجال منهم عويم ودل على الرواية هذا المعنى بالتطهر قوله

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا **قوله عز وجل**

**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله**

**واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين** الفرق بين الحرث والزرع ان الحرث القاء

البذر وتهييء الارض والزرع مراعاته وانباته ولهذا قال أفرأيتم ما تحرثون

أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع وقد جعل

الله تعالى النساء محترثا للرجال وجعل له قوة النكاح حتى طلب النسل ولو اطلب النسل

لما رخص العقل في الجماع لما حلت من دنو البدن واضعاف البصر مع انه ليس بضرر ك

للانسان كالجوع والعطش لكن استحسن منه لطلب النسل المدعو الله بقوله

عليه السلام تناكحوا تكثروا ولذلك قيل في الحكمة خير النساء الولود الودود وشرها العقيم

وحرم ايمان الرجال على كل حال والنساء بما شئن اذ لم يكن ذلك محرما وسماه عليه السلام
اللواطة الصغرى وقيل لامير المومنين كيف ترى الفساء ان تومئ ادبارهن
فقال سفلت سفل الله بك ثم تلا ائاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
وقوله فاتوهن انى شئتم اى كيف وان بعد ان لا يتجاوز به الحرث ولم يقل فاتوه
ليراعى المعنى المقصود بذلك لان توهم ما تصوره قوم لم يسموا الذكر وانما قال انى شئتم
تنبيها على كذب اليهود حيث زعموا ان المراة اذا لم تحبل مستقبلة بنى الولد داخل
او لصول وقوله عقيب ذلك وقدموا لانفسكم ليوان الله اذا اطلق امرا من الشهوات
او ندبه لاحلى ذكره من الحث على مراعاة العفى والتحرى لما يلحق الانسان عمله عاجلا
واجله وقول عطاء بن السميه عند الجماع وقول ابن عباس هو الطلب للولد على سبيل التبعل
لانه لم يرد سوى ذلك واعلموا انكم ملاقوه اى صائرون الله والتقاء في المحسوس
والمعقول يقال لقى اثنا وجهدا قال الله عز وجل ومن يفعل ذلك يلق اثاما قوله
عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم اليمين اصله العضو واستعير
للحلف لما جرت به العاده في تعاطي المتعاقدين وعلى هذا قال الشاعر

قليل كفى لك ذمن بالرضى فوضع الكف موضع اليمين ع والعرضة ما يجعل
معترضا بين شيئين فتصور تارة بالحائل فقيل معناه لا تجعلوا لفظ الله حائلا لكم ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا وتارة بالعلة فقيل معناه لا تجعلوا لفظ الله مبتذلا
للايمان كيلا تبروا بالحلف به وتتقوا الماثم وتصلحوا والمعنى لا تبتذلوه لفعل الخيرات
فكيف للشر بنهيها ان الحلف بالله مكروه ما استغنى عنه وندب بقوله والله سميع عليم
انه عارف بالمقاصد ع قوله عز وجل لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو
المطروح الذى لا يعتد من الكلام يقال للغى في كلامه ولغا وقد يقال في غيره بشبهها
كقول الشاعر كما الغيث في الديمه الحوارا
ولكن يا للغو عن المتصمن الكلام واصله من لغى العصافير ولغط في اللغو من اليمين
قال ابن عباس هو الحلف بالشئ ظن انه صادق فيه وهو بخلافه وقال ابن جبير هو اليمين
على الحرام لا واخذ الله بتركه وقال هو لعصبهم اليمين التي يحنث فيها صاحبها سهوا
وقالت عايشه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قول الرجل لا والله وبلى والله
على سبيل العجله لا على القصد واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفه لغو اليمين كالمحنوث
في انه واجب فيها الكفاره ولكن المحنوث ان حلف وهو يعلم ان الامر بخلافه فيعظم معصيته
واللغو ان لا يعلم بل يظن فلا تتبع المواخذه به وقوله ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم مواع
من قوله ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان وذلك انه لما كان القلب يعبر به عن الحرف الذى
به المعرفه والفكر وجرى من سائر اجزائه مجرى الراعى من المرعى به بقوله بما كسبت قلوبكم

للايمان ومعناه لا تجعلوا لفظ الله مبتذلا لليمين كيلا تبروا فيكون ذلك سببا عن كثره
الحلف المذموم بقوله ولا تطع كل حلاف مهين فان قيل وما تقدير ان تبروا على هذا قيل
يجوز ان يكون متعلقا باليمين وتقديره ان لا تبروا لانك تقول حلفت ان خرج محمد
لا اكلمه من الاشتباه في الاثبات اذ في الاثبات تقال حلفت لاخرجن او لاخرج
وقال بعضهم معناه نهاكم ان تكثروا الايمان كراهة ان تبروا اى انا نهاكم عن ذلك لكونوا
بررة اتقيا مصلحين كما قال كتم جهامة الى به وقيل معناه لا تجعلوا لفظ الله مبتذلا
لليمين كراهة ان تبروا الحالف به وتتقوا الماثم وتصلحوا والمعنى لا تبتذلوه لفعل الخيرات
فكيف للشر بنهيها ان الحلف بالله مكروه ما استغنى عنه ونبه بقوله والله سميع عليم
انه عارف بالمقاصد ع قوله عز وجل لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو
المطروح الذى لا يعتد من الكلام يقال للغى في كلامه ولغا وقد يقال في غيره بشبهها
كقول الشاعر كما الغيث في الديمه الحوارا
ولكن يا للغو عن المتصمن الكلام واصله من لغى العصافير ولغط في اللغو من اليمين
قال ابن عباس هو الحلف بالشئ ظن انه صادق فيه وهو بخلافه وقال ابن جبير هو اليمين
على الحرام لا واخذ الله بتركه وقال هو لعصبهم اليمين التي يحنث فيها صاحبها سهوا
وقالت عايشه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قول الرجل لا والله وبلى والله
على سبيل العجله لا على القصد واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفه لغو اليمين كالمحنوث
في انه واجب فيها الكفاره ولكن المحنوث ان حلف وهو يعلم ان الامر بخلافه فيعظم معصيته
واللغو ان لا يعلم بل يظن فلا تتبع المواخذه به وقوله ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم مواع
من قوله ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان وذلك انه لما كان القلب يعبر به عن الحرف الذى
به المعرفه والفكر وجرى من سائر اجزائه مجرى الراعى من المرعى به بقوله بما كسبت قلوبكم

ان الله عناده به دون غيره من الجوارح حتى ان كل فعل لا يكون عنده وبه سهوا او
خطا متحاف عنه ولهذا قال عليه السلام ان في الانسان مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد
واذا فسدت فسد سائر الجسد وقال اذا طاب قلب المرء طاب جسده وقال ان
الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم هو والحلم وان
كان منشأه امساك القوة الغضبية المقتضي للعفو فهو اذا استعمل في الله تعالى اراد به
الاذن العفو عن المذنب دون حدوث حاله وتجدد امر عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
**قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر**
**فان فاؤا فان الله غفور رحيم** التربص انتظار مخيف وقف
يقال تربصت به وربصت به قال عز وجل فتربصوا به حتى حين وقيل في هذا
الامر ربصه والفيء الرجوع من مكان الى مكان ولم يسم من الظل فيئا الا الراجع منه
وسمي العشي فيئا لفيئه من قوم الى قوم وقول الشاعر

لعمري لما ال افيأ الظلال ع اي المال هو الذي هو بعض الظلال

سمها على ما قال الاخر انما الدنيا كظل زائل والايلاء الحلف المقتضي للتقصير في
الامر الذي حلف عليه من قوله عز وجل لا يألونكم خبالا ورايأبل اولوا الفضل منكم وصار
الايلاء في الشرع الحلف المانع من جماع المراة وهو ان الرجل كان اذا لم يرد المراة ورأى
ان يترك جماعها يحلف ان لا يجامعها ويتركها كذلك لا ايما ولا ذات بعل فاراد
الله ان يجعل لها مخرجا فحكم بهذه الاية المراد اختلف في اي الطلاق يكون الايلاء
وعلى اي وجه يعتبر تركه جماعها واي مدة من الايلاء يلزم فيها الكفارة وكم مدة الايلاء
وما عزم الطلاق وما الفيء ومن الذي يراعيه حكم واي امراة لها حكم الايلاء اما اي
يمين هو فعند ابي حنيفة جميع الايمان حلفا بالله عز وجل كان او طلاقا او عتاقا او نذرا
وبه قال الشافعي في الجديد وقال مالك يكون موليا الا بالحلف بالله عز وجل وبه قال



الشافعي في القديم وروي عن ابن عباس ان كل يمين منعت من الجماع فالاه واما على
اي وجه يعتبر تركه جماعها فعند علي وابن عباس والحسن وعطا اذا حلف ان لا يجامعها
على وجه الضرار والغضب فاما ان لم يكن على ذلك بل حلف ان لا يجامعها في وقت
ارضاعها الولد ليئلا تضار بالولد فلا يكون موليا وقال الحسن اذا حلف ان لا يجامعها في
هذا السنة ثم تركه جماعها اربعة اشهر فاثم وقال ابن المسيب اذا حلف ان لا يكلمها
فاثم ايضا وقال ابن عمر اذا لبثها من غير يمين يكون موليا واما اي يمين من الايلاء تلزم
فيه الكفارة فهي كل يمين بالله عز وجل واما المدة فمنهم من قال اكثر من اربعة اشهر اي
قدر كان لانه جعل لها المطالبة بعد ذلك ولانه قال فان فاؤا ولم يفصل بعد المدة و
في المدة ومنهم من قال لا يزيد على اربعة اشهر قصاعدا وان حلف على اقل من اربعة اشهر لم يكون
موليا وان تركها اربعة اشهر على قول عامة الفقهاء وقال ابن مسعود وقتادة يكون موليا
ولا احلاف الله اذا لم يتركها اربعة اشهر لم يكون موليا واما عزم الطلاق فعند عمر وعثمان
وابن عباس وابن مسعود انه انقضاء الاربعة الاشهر وانها بائنة بتطليقة وعند الشافعي
ان للمراة مطالبتها بعد الاربعة الاشهر وجب عليه ان يطلق او يراجع ولا يستهل اكثر
من يوم فان طلقها تطليقة يكون رجعية ولو وقف عن ذلك في الوقف فللمراة ان
تطلب بعد ذلك حتى ايدات واما الفيء وظاهر يقتضي الفيء بالقول للراجعة الحاكم
اجمعوا انه اذا امكنه لم يكن الا بالجماع فاما اذا كان مجبوبا او مجبوبا عنها فقد قيل
فيه بالقول ولمن الذي يراعيه حكم وكل من صح طلاقه حرا كان او عبدا مسلما كان
او ذميا حرة كانت تحته او امة وابو حنيفة اعتبر بالمراة كالطلاق ومالك اعتبر
بالرجل دونها وقال بعض الفقهاء الايلاء الذمي والامة يقتضي خلاف قوله واما اي
امراة لها حكم الايلاء فكل امراة تصح طلاقها يصح الايلاء منها مسلمة كانت او ذمية
حرة كانت او امة صغيرة كانت او كبيرة لكن ليس للصغيرة المطالبة حتى يمكن مجامعتها

وياتي المدح المضروب به ومن ... قوله من نسائهم تصريح الفقها انه متعلق بقوله يولون حتى
كثر في كلامهم آلى فلان من امرأته كقولهم ظاهر منها وذلك غير ممتنع وان كان قد ذكر
بعض اهل اللغة ان تقدير الكلام لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر ودل بقوله فان فاؤو
فان الله غفور رحيم ان المولى في ايلائه مخطئ وآثم وانه يستحق الغفران لما ارتكبه بفيئه

## قوله عز وجل وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم

دواعي الانسان الى الفعل على مراتب اولها السانح ثم الخاطر ثم التحمل والفكر فيه
ثم الارادة ثم الهمة ثم العزم فالهمة اجماع من النفس على الامر وازماع عليه والعزم
هو العقد على امضائه ولهذا قال عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله وقال فلان
عزمه اي عقد على امضائه وتقال المعود عزائم تصورا انك قد عقدت على الشيطان
او المراد ان يمضي ارادتك فيما تسمعه والطلاق تخلية عن وثاق او داء او انقباض وامساك
ومنه طلقت المراة عند الولادة وبالتخلية عن الوثاق شبه الطلق في العدو ورجل
طلق الوجه وطلق اليدين ولما عريه الطلاق فقد تقدمت ونبه تعالى بقوله
سميع عليم انه عارف بضميره ومقاله في ايلائه وطليقه **قوله عز وجل والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن
احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل
الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز
حكيم** قال الخليل قرأت المراة ذات الدم واقرأت حاضت وصارت ذات
قرء والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر ولما كان اسما للامرين الطهر
والحيض المتعقب له اطلق على كل واحد منهما لان عادة العرب ان كل اسم
موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منهما اذا انفرد كالمائدة اسم للخوان وللطعام



وقد يسمى كل واحد منهما بانفراده مائدة وعلى ذلك الظعينة والكاس والراوية فكذلك
القروء وليس هو اسما للطهر مجردا بدلالة ان الطاهر التي لم تر الدم لا يقال لها ذات
قرء وكذا الحائض التي استمر بها الدم والنفساء لا يقال لها ذلك فقوله والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء اي ثلثة دخول من الطهر في الحيض وليس حقيقة هذا الا
ما قاله الشافعي دون ما قاله غيره في انها اذا رأت الدم ثلث مرات فقد انقضى عدتها
وجعل العزم حصول ثلثة اطهار بعضها ثلث حيض فان قيل قوله عليه السلام دعي الصلوة
ايام اقرائك لم يرد ايام تجدد الحيض وانما اراد ايام الحيض كلها قيل ما قلته صحيح واراد ذلك
كقولك افعل كذا ايام ورود فلان ووروده انما كان في ساعة فكذلك قوله ايام اقرائك
والحدث القليل ينسب الى الزمن الطويل وان وقع ذلك في بعضه وقول اهل اللغة
ان القرء من قرأ اذا جمع وذلك انهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض
لاجتماع الدم في الرحم فقط ومنها القراءة وهي ضم الحروف والكلمات المخرج من بعضها الى
بعض يدلك على ذلك انه لا يقال للحرف الواحد تتفوه به قراءة واقرأ النجم اذا
طلع واحد وغاب آخر وصار القرء مستعارا للوقت المنتظر ومنه قال الشاعر
اذا هبت لقارئها الرياح ه اي لوقتها المنتظر المتعين ه وقال آخر
يا رب ذي ضغن على فارض له قروء كقروء الحائض
اي انتظار الفرصة كانتظار ذات الحيض للحيض ه وعيّر ابن داود الشافعي
لما جمع بين القروء وقرب المائي الحوض وقال المبرد ان قريت من بنات الياء وقرأت
من الهمزة وهذا اسوء ظن منه وسوء تصور فان لاهل اللغة طريقتين في هاتين اللفظتين
احدهما ان قريت مقلوب عن قرأت والياء بدل من الهمزة كسالت وسلت
والثاني انهما لغتان تقاربت معنياهما تقارب لفظاهما وانهما يقتضيان معنى الجمع والبعل
النخل الشارب بعروقه وعبر به عن الزوج لاقامته على الزوجة للمعنى المخصوص وسمي نخله

وقيل باعلها كقولك حامدها وبعل الرجل اذا دهش فاقام مكانه كالنخل البعل الذي لا يبرح
وبهذا النظر قيل لمن لا يحول عن مكانه ما هو الا شجر او حجر والبعولة جمع بعل كالذكورة والفحولة
والعمومة والخؤولة والرجل يكنى عن رجل بصورة السعة بها كما سميت المراة قعيدة وعجوزا
لكن مقعدها وعجزها من الارض ولذلك قال الشاعر
اصبحت لا رجلا يغدو لمطلبه ولا قعيدة بيت تحسن العملا
وبهذا النظر سمي القوم وما لقنا منهم بالمور والراجل الماشي لكونه صار بارجله الارض كالسانف
والراجح لمن يضرب بها وارتجل فلان كذا اذا تناوله بسجيه ما لم يسبق اليه ويرتجل الكلام كقولهم
قام قائم الظهيرة والمرجل القدر المنتصب على رجلها وجعلنا وذلك منا المراقي والدرجة
والمرقاة والمنزلة يستعار للحال الشريفة وذلك ان الشرف المعقول يمثل بالمحسوس على
وجهين احدهما يعتبر على طريق العلو والسفل فيستعمل فيه الدرجة والمرقاة والصعود
والانحدار والثاني على طريق التقدم والتاخر فيستعمل فيه السبق والتخلف والمطلقات
ضربان مدخول بها وغير مدخول بها ولا عدة عليها لقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها والمدخول
بها عليها العدة وهي على ثلاثة اضرب الحوامل وعدتهن ان يضعن حملهن والايسات واللائي
لم يحضن وعدتهن ثلاثة اشهر وذوات الحيض وعدتهن ثلاثة اقرا وهذا الحكم اذا كانت المراة
حرة فاما اذا كانت امة فقرآن وفي الشهور على النصف من الحرة ان قيل كيف استعمل لفظ
الخبر للامر في قوله يتربصن قيل لما كانت العدة تحصل من المراة بانقضاء الايام نوتها او لم
تنوها احدثت او لم تحدث صار لفظ الخبر املك له من لفظ الامر ويدلك على صحة هذا
الاعتبار ان ثبات جميع العدد بلفظ الخبر وقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله عني كتمان
ما في ارحامهن من الحيض والحبل وانه لا يجوز ان يكون حاملا فيقول لست حاملا او لم تكن
حاملا فيقول انا حامل ولا ان يدعي الحيض او سعيه على ذلك وذلك عام في كل ذلك



وان نسل كل احد من معتدي المسترهن شيء من ذلك ومن قال لا يجوز ان يكون الحيض
لان الحيض لم يخلق في الرحم وانما هو دم يرد اليه من جميع البدن تعلق بهذا قوله في
ارحامهن لا يكون من صلة خلق بل يكون من صلة قوله ولا يكتمن اي لا يكتمن في ارحامهن
ما خلق الله فانه لا شك ان يحصل في الرحم خلق فيه او لم يخلق ونهيها عن كتمان ذلك
دال على ان قولها مقبول فيما تدعي من حيضها وحملها فيما يتعلق بحقها فان تعلق بذلك شيء
ليس من حقها فيجوز ان لا يقبل قولها اذا اتهمت لكن يقول عبدك حر او امراته طالق
ان حضت فقالت قد حضت فانه لم يصدقها لم يعتق عبده ولم تطلق امراته وقوله ان
كن يؤمن بالله واليوم الاخر فليس ذلك شرطا في انهن اذا لم يكن مؤمنات يجوز ان يكتمن
وانما ذلك تنبيه انه مناف للايمان وانه ليس من فعل المومن كقوله ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وقوله وبعولتهن احق بردهن في ذلك
دال على ان مراجعتها ما دامت معتدة ولم يعن بالرد تجديد نكاح يشارك فيه غيره
في الحال وانما عنى الرجعة الموجبة لبقاء النكاح بعد انقضاء الحيض التي لو لم يكن لكان
يزول النكاح وظاهر الاية ان اباحة هذه الرجعة مشروطة بالاصلاح لكن الخلاف
انه اذا راجعها مضارا بها فرجعته صحيحة فدل هذا الاجماع ان ذلك تهديد للمراجع ان
لا يقصد الاضرار بها كقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
تنبيها ان فاعل ذلك ظالم وان الرجعة في الحكم صحيحة وقيل تنبيه تعالى دلالة ان
ما دون الثلاث من الطلاق لا يرفع الزوجية وان الرجعة ما دامت معتدة وقوله و
المطلقات عامة في الرجعية وغير الرجعية وبعولتهن خاص في الرجعية دلالة التي
تليها وليس قول من قال هذه الاية نسخ منها حكم الحامل ومن ليست بذات حيض
بشيء فان ذلك تخصيص لا نسخ وان كان قد سماه بعض العلماء نسخا وقوله ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة بين ان لكل واحد على الاخر حقا كحق الاخر

فيهما اشتركا فيه مراعاتهما للمعنى الذي شرع لاجله النكاح وهو طلب النسل وتربية الولد
ومعاشرة كل واحد منهما الاخر بالمعروف وحفظ المنزل وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت ايديهما
وحماية كل واحد على الاخر بقدر جهده وجده وقوله وللرجال عليهن درجة من وجه تنبيه لفضل
الرجل على المراة بالجملة ومن وجه تنبيه لفضل الرجل على المراة بالجملة ومن وجه كالاستثناء
بان له عليها حقا ليس لها عليه اما فضله عليها فقد نبه عليه بقوله وليس الذكر كالانثى
ودل عليه النبي عليه السلم بقوله انكن ناقصات الدين والعقول فقيل وما نقصان دينهن
فقال ان احداهن تقعد نصف دهرها لا تصلي ونقصان عقلهن ان شهادتها على
النصف من شهادة الرجل وقيل من نقصهن ان شر ما في الرجال الجبن والبخل وهما خير ما في
النساء ولكونهن ناقصات عظم الله نسبة البنات اليه اكثر من تعظيمه نسبة الابن
وان كانا منكرين فقال تعالى الكم الذكر وله الانثى وقال ويجعلون لله ما يكرهون وقال
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال اصطفى البنات
على البنين وعظم تعالى نسبة الملائكة الى الانوثة فقال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا ولكن الانوثة ... جعل القوة المنفعلة انثى والقوة الفاعلة ذكرا حتى
سموا السما بالفحل والارض بالمفتوحة وقال الواحد ... ذكر وحديد انثى وقال تعالى ان يدعون
من دونه الا اناثا اي اصناما مفعولة غير فاعلة واما فضل حقوقه عليها فقيل عشرة اشيا
جعل الطلاق اليه من دونها و... ضربها عند النشوز وهجران فراشها ووجوب اجابتها
اياه اذا دعاها الى الفراش والاستيذان له اذا منعها عن الخروج وان ميراثه منها اكثر من ميراثها
منه وانه اذا قذفها فله اسقاط الحد باللعان وليس لها ذلك وان له ان يمنعها ... عن عدها
وليس لها ان تمنعه ... وليس لها ان تصوم تطوعا ولا ان تحج فرضا الا باذنه وله
ذلك من دون اذنها والى هذه الجملة اشار بقوله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله
بعضهم على بعض في ... بقوله والله عزيز حكيم انه حكيم بكل ما يشا فلا يعاتب لعزه وشرفه



ما فعله متصف بالحكمة وفيه وعد ووعيد على ان ايهما فيما يتحريانه من صلاح وفساد
قوله عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح
باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا الا
ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون المرة فعلة من مر يمر مرا ومرورا فعبر بها عن الفعلة والمرة الجبل
ارساله في الفتل ... مر مرا ومر الشي صار مرا اصله من الاول وهو ما لا يطيب اكله
... فما طيب فيما الذهاب والمرة الذي نعلمه به استعارة والامساك اصله من
المسك وتصور منه امساكه للبدن ولما حبل منه بعد السلخ فقيل امسكت كذا اي ضبطته
ضبط المسك لما فيه وكني بالمسك عن البخل والتسريح كالتطليق في انه من سرحت
الماشية كما ان الطلاق من اطلقت البعير والمعروف ما لا تنكره العقول الصحيحة
وسمي الجود معروفا لمعرفة العقول كلها حسنه وعلى هذا قال الشاعر
ولم ار كالمعروف اما مذاقه فحلو واما وجهه فجميل
وقيل الخوف ههنا الظن وقيل اليقين واحتج بقول الشاعر ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما مت الا اذوقها وذلك نظر من المفسر الى مقتضى الخوف فقد يكون الخوف
عن امارة ضعيفة فيقتضي الظن وعن امارة قوية فيقتضي اليقين فقوله الطلاق مرتان
ليس ذلك لحبس شا ولا لكل طلاق بل هو اشارة الى الطلاق المقدم ذكره الذي
قال فيه وبعولتهن احق بردهن فبين ان ذلك الطلاق الذي فيه المراجعة مرتان واصله الطلاق
مرتين نحو الخروج مرتين ثم رفع كقوله الحج اشهر معلومات وقوله او تسريح باحسان فهم من حمله على الطلقة
الثالثة وروي عن النبي صلى الله عليه ان بعضهم سأل الاية فقال فاين الثالثة فقال عليه السلم التسريح باحسان ومنهم من

حمل ذلك على ترك الرجعة والصحيح انه محمول عليهما لانه يكون بالرجعة ممسكا لها وبتركها
حتى تنقضي عدتها او بتطليقها الطلقة الثالثة يكون مسرحا لها لكن لما كان اللفظ مترددا بين الامرين
بين من بعد حكمها اذا طلقها الثالثة بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح ان قيل كيف
جعل الامساك هاهنا الرجعة قيل لانه ضد الطلاق وقد كان الطلاق موجبا للفرقة
بعد مضي ثلث حيض فسمي الرجعة امساكا لبقاء النكاح به ان قيل كيف علق التسريح بالاحسان
والامساك بالمعروف قيل ان الاحسان اعم معنى من المعروف لان الشي قد يكون
معروفا اي غير منكر ولا يكون مستحسنا وكل احسان معروف وليس كل معروف احسانا
فبين ان من حق المسرح ان يبذل ما يزيد على الانصاف تبرعا وذلك على حسب ما كانوا
يراعون في بذل صلة المعروف لمن يرتحل عنهم وكما بين ان له الرجعة في طلقتين بين
بقوله فان طلقها انه لا رجعة بعد الثالثة فان ما زاد على الثلثة من الطلاق لا حكم له بوجه
وقد كانت العرب تطلق مرة بعد اخرى ما شاءت وتراجع قبل انقضاء العدة فابطل تعالى ذلك
وفي الاية دلالة ان له ان يطلق مرتين في طهر واحد من حيث انه لم يفصل ودلالة
ان الطلاق في الحيض يقع ولذلك قال عليه السلم لابن عمر لما قال ارايت لو طلقتها
ثلثا قال اذن بانت منك امراتك وعصيت ربك واجمع فقهاء الامصار ان قوله
الطلاق مرتان اذا لم يكن الزوجان مملوكين واتفقوا ان الرق يوجب نقصان الطلاق
لكن اعتبر ابو حنيفة الطلاق بالنسا وهو قول علي والشافعي اعتبر بالرجال وهو قول عثمن
وزيد واليه ذهب مالك وقوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا فلا خلاف انها اذا
سمحت بشي من مهرها للزوج فسايغ لقوله فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه فاما اذا كان
على وجه الخلع فلا يجوز الا على وجه دون وجه واختلفوا متى يجوز مخالعتها وكم قدر المال الذي
به يجوز وعند من يجوز فذهب بعضهم الى انه يكره الخلع مع سلامة الحال لان الطلاق مكروه اذا
توفرت المراة على ما يلزمها من حكم الزوجية لقوله عليه السلم ابغض الحلال الى الله الطلاق هذا



مع امكان المراجعة والخلع الذي يرتفع المراجعة معه اولى بان يكره وان خافا الا يقيما حدود
الله جاز بلا خلاف لظاهر الاية وان خافت ولم يخف الزوج فمحظور الا عند اهل الظاهر
وعلى ذلك دل شان امراة ثابت بن قيس لما كرهت الزوج فامرها عليه السلم ان ترد اليه
حديقة كان قد مهرها وقال الحسن لا يجوز حتى تقول المراة لا اغتسل منك ولا اقر لك
ونحو ذلك وقال ابرهيم لا يجوز حتى تعصيه ولا تبر قسمه وان خاف هو ولم يخف ولم يرمها
على فاحشة لا يحل له اخذ شي منها بالمخالعة لقوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج الاية وذلك في الخلع سايغ وان كان منهيا عنه وعند مالك يرد اليها ما اخذ
قال الاوزاعي اذا خالع امراته وهي مريضة فان شاء له في ثلثها ان كانت ناشزة وان
لم تكن ناشزة رد عليها وكان له عليها الرجعة فاما القدر الذي يخالع عليه فمنهم من قال
لا يجوز الا باقل من المهر المسمى لقوله ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا وذلك يقتضي التبعيض
وقال علي والحسن وابن المسيب وطاوس وابن جبير لا يجوز باكثر مما اعطاها لما
روي ان رجلا خاصم امراته الى النبي عليه السلم فقال تردين اليه ما اخذت منه قالت نعم
وزيادة فقال عليه السلم اما الزيادة فلا ومنهم من اجاز باكثر من ذلك وهو الظاهر واما عند
من يجوز فان الحسن وابن سيرين قالا لا يجوز الا عند السلطان وقال
فقهاء الامصار يجوز لان ظاهر الاية لا يعرف ومن قرا الا يخافا فالخطاب لهما لانهما
اعرف باحوالهما من غيرهما هل يقيمان او لا يقيمان فان قرى يخافا على ما لم يسم فاعله
فالخطاب للحاكم والمعنى بانه لا يحل ان يحكم للزوج بالاخذ الا اذا عرف ذلك
منهما والقراة الاولى اجود لان هذا المعنى استفيد من قوله فان خفتم ان لا
رفع الجناح عنهما وذلك يجب ان يرفع عن الزوج الذي ياخذه قيل لان من الدفع
ما يوثم الاخذ والدافع كالربوا ومنه ما يوثم احدهما فبين ان الجناح مرفوع عنهما وليس
ما قال الفرا انه لا جناح على احدهما فنسب اليهما كقوله يخرج منهما

المولى شيء وذكر ان كل ما سبق حدود الله ولا يجوز تعديها فان من تعداها ظالم يستحق ما يستحقه قوله عز وجل فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون هذا الحكم متعلق بقوله الطلاق مرتان وقد فصل بينهما حكم الخلع وكيفية جوازه فلما فرغ منه رجع الى حكم الطلاق فقال فان طلقها اي بعد الثنتين فلا تحل له ولا يجوز ان يتزوج بها حتى تنكح زوجا غيره وبين انه ليس للانسان اكثر من ثلث تطليقات والنكاح الذي يحلها للزوج الاول ظاهره يقتضي العقد واليه ذهب سعيد بن المسيب واهل الظاهر لكن قد ورد عن النبي عليه السلام ما اقتضى معه الوطء حيث قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقيل حكمة الله عز وجل في تحريمها عليه الى بعد ان تتزوج زوجا اخر الردع الى الشرع في الطلاق ولهذا دعا ان يتأنى في تطليقها وطلقها للعدة طلقة بعد طلقة ونبه على ذلك بقوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ثم قال فان طلقها يعني الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي لا جناح ان يتزوج بها على شرط ان يظن ان يقيم حدود الله وعلق بالظن لان ما يكون من الانسان في المستقبل من الممكنات لا سبيل الى معرفته الا بالظن وليس شرطا في صحة النكاح بل في اباحته ورفع المأثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما حدود الله وبين ان ذلك الحدود يبينها لقوم يعلمون يبينها لهم لانهم الذين ينتفعون بها لقوله انما تنذر من اتبع الذكر قوله عز وجل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم



نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم هذه الاية ظاهرها اعادة حكم ما تقدم وانه يجوز مراجعتها بعد انقضاء العدة وقد صرت تفسيرين احدهما ان الاولى حكم جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين وتحريم الرجعة بعد الثالثة وهذه تقتضي جواز رجعتها ما دامت في العدة لا عن الطلاق الثلث وفيه زيادة حكم وان كانت تقتضي بعض ما اقتضت الاولى وهي ما ذكرناه من الاحكام وقوله فبلغن اجلهن مشكل لان المراجعة ثابت قبل انقضاء العدة وظاهر هذا يقتضي ان المراجعة بعد انقضاء العدة ووجه ذلك ان الاجل ها هنا زمان العدة لا تمام العدة وايضا فانه يقال اذا اعتكفت كذا ويعني اذا احصيت لا اذا فرغت منه نحو واذا قلتم فاعدلوا فقوله فبلغن اي حصلن في زمان بلوغ الاجل وايضا فقولهم بلغ يقال لما شارف وان لم يبلغه فيقول اذا طلقتم وشارفن الاجل فامسكوهن ان قيل ولم خص المشارفة وقبل المشارفة هذا حكمه قيل لما كانوا يطلقون المرأة فيتركونها حتى تشارف انقضاء العدة ثم يراجعونها اضرارا بها خص ذلك بالذكر والثاني من التفسيرين ان الاية فيمن طلق امرأته تطليقة وتركها حتى تنقضي عدتها ثم يريد التزوج بها وذلك انه ذكر فيما قبل حكم الخلع وحكم ما يصح مراجعته وما لا يصح وما يحتاج ان يتعاطاه المراجع وذكر في هذه الاية حكم المطلقة تطليقة وقد انقضت عدتها فقال اذا طلقتم تطليقة فبلغن اجلهن اي انقضت عدتها فامسكوهن اي تزوجوا بهن على حكم الله او اتركوهن على حالهن ان قيل كيف يصح ان يعبر عن التزوج بالامساك قيل انما استعمل الامساك في هذا للتزوج لانه كان يعد ان كانت تحته وقيل ان يملكها غيره فقال فامسكوهن نبهنا على هذا المعنى او سرحوهن

اى ارجعوا عنها ولا تخطوها قال والذى يدل على هذه الاية التى بعدها فانها نزلت
فيمن خطب امراه كان قد طلقها تطليقه فانقضى عدتها فمنعت اباه فاوصى تعالى
الخاطب فى هذه الايه انه ان اراد ان يمسكها باعادة نكاحها فليستعمل المعروف
والا فليخلها وحمل المفسرين على المعنى الاول اى قيل لم علق الشرط هاهنا بالمعروف
وفى الاول باحسان قيل انه لما اعيد ذكر الرجعه علق الشرط بالمعروف تنبيها
انه ان لم تراعوا فى شرطها الاحسان فراعوا فيه المعروف كما قال بعض الناس
لسلطان ان لم تحسن فعدلا وقوله ولا تتخذوا ايات الله قيل معناه لا تهزؤا
بها ولا تحسبوها عبثا نحو وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقيل
معناه لا تجعلوها حلا انها تكونوا كالمستهزئين بها وقال ابو الدردا كان فى اول
الاسلام يطلقون ويعتقون ثم يقولون كنا نلعب فالمشار بالايه اليه
وقال عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق وحث
على معرفه نعمه وما انعم عليهم بالكتاب والحكمه ان قيل كيف افرد الكتاب
والحكمه عن النعمه وهى افضل النعم واجلها قيل لامرين احدهما ان النعمه فى
تعارف الخاصه والعامه هى كثره فى المال وصحه فى البدن وسائر الدنيه
الدنيويه ولا تعرف الكتاب والحكمه نعمه الا اولوا الالباب **قوله عز وجل**

**واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن**
**ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ**
**به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم**
**واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون** العضل المنع مع تضييق يقال عضلت
الدجاجه ببيضها والمراه بولدها وعلى طريق الاستعاره قال
ترى الارض منا بالفضا مريضه معضله منا بجمع عرمرم

[illegible]



ومنه دا عضال والعضله الداهيه والعضله لحم مكتنز فى عصب وبلوغ الاجل هاهنا
لاستيفا العده ولما امر تعالى بالمراعات المتقدمه ما يجب على كل واحد من الزوجين
لصاحبه فى النكاح وعند المراجعه والفديه والفراق والطلاق عدل الى بيان ما يلزم
الولى وما يجب عليه فى تزويجها وانكاحها وقيل فلا تعضلوهن خطاب للازواج
وعضلها ان يراجعها اضرارا بها والصحيح انه خطاب للاوليا بدلاله ما روى ان الايه
نزلت فى معقل بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له فطلقها طلقه فلما انقضت عدتها
خطبها وهى تريد ان ترجع اليه فقال معقل والله لا ازوجكها ابدا فانزل الله تعالى
هذه الايه فدعاه النبى عليه السلام فتلاها عليه فقال سمعا لربى وطاعه والحكم الوارد
فى سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه وان اريد معه غيره والمختلف
فى هذا العضل فعند الشافعى لما كان نكاح المراه بكرا كان او ثيبا لا يصح الا بالولى
صار فى منعها عن اكفائها وعند ابى حنيفه لما كان يصح للثيب ان تزوج نفسها
صار فى الاعتراض عليها فى سبب المهر والاكفاء قال والايه تدل ان لها التزوج بنفسها
لانه قال ان ينكحن فنسب النكاح اليهن وقال اصحاب الشافعى انما نسب اليها
لانه لا يصح الا برضاها وكل من لا يتم الفعل من دونه يصح ان ينسب ذلك الفعل
اليه واما المعروف المتراضى به فى قوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف فعام فى كل
ما يرجع الى العقد لقدر المهر وما يطرد من الرغبه وحالاتها وما يعارن الزوجيه ما صحبها
وفى كل ما يرجع الى حقوق الزوجيه فالزم الولى ان لا يعضلها اذا تراضوا بامر
معروف وقوله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله خص المؤمن بالوعظ وهو
انه يصح حصول الاتعاظ وليس ذلك الا للمؤمنين وقوله ذلكم ازكى لكم واطهر زكا
الانسان وطهارته فى الحقيقه كونه بحيث يستحق فى الدنيا الاوصاف المحموده
وفى الاخره عظم المثوبه وان يصلح فى الاخره لمجاوره الملا الاعلى بل لمجاوره الله عز وجل

ولهذا قال قد افلح من تزكى وقال قد افلح من زكاها وجعل تعالى الذكرى علة ان ذلك ازكى واطهر الله قد علم ذلك منهم وهو عالم بالاشياء كلها وانتم غير عالمين بها فاذا علم وعلم حق علمكم ان تفعلوا امنه حكمه ان فعل ثم ذلك يوعظ به ثم قال ذلكم ازكى لكم فقيل في ذلك لاحد وجهين احدهما ان خطاب الجماعة مع ذا ثانية يفيد الخطاب فتراعى فيه المخاطبون مثنى وجمع وتوحد لحسنهم ومارة تعتبره الفرق بين القرب والبعيد فيقال ذا للما تصور قريبا وذاك لما تصور بعيدا فالاشي وارجح وعلى هذا ذلكم وذلكم والثاني ان الكاف الاول خطاب النبي عليه السلام والثاني للكافة وعلى هذا قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وفائدة ذلك ان قوله ذلك اشارة الى حقائق ما تقدم وبراهين ما تصوره الله عليه السلام ومن يداينه من اولياء الله عز وجل وذلكم اشارة الى العلم به يبارك فيه كافة المسلمين والثالث ان خطاب الجمع بان يعتبر بلفظ مفرد فيفرد لحظا لهم لحوزها القبيل فعلت كذا ومارة تعتبر معنى الجمع فيقال فعلتم فعلى هذا الوقف في الاول ذلكم وفي الثاني ذلك لصح او وقفا بلفظ واحد لصح قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان اراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير

الرضاع اصل وعنه استعير ليتم رضاع لمن تمامي لزمه وان كان ذلك في الاصل

ممن كان يرضع عنه لما سمع صوت تخبه لكن تعوذ في اللوم حتى قيل رضع فلان اي لؤم وسمي الثديتان الراضعتان لاستغاثة الصبي بهما في الرضع وكسوتهن عن الكسوة استعير الكسب لارض النبات وكسوتنا او هجا وصار الكسا لضرب مخصوص من الثياب والعلف اصله فما جعلت به الانسان كلفا وصار في التعارف لما الزمته والتكليف بكذا جعلته كلفا به والتكلف بالوجه لتصوره كلفة بد والميراث اصله فما اصبته من غيرك حيا كان الموروث منه او ميتا لكن صار في التعارف اسما لما خلفه الميت من المال والفصل ضد الوصل كالفضل واستعمال في قطع الرطب من النبات ومنه الفصيل ويقال فصلت بين الكلام والعقد وفي القضاء سمي الفطام فصالا للفصل بين عذاب الصبي وتعورف الفصل في السقي والشاور لاستخراج الراي من العبر من شرت العسل وشورت الفرس استخرجت جريه واشرت اليه بكذا اي اخرجته الى الناس من ما شاكله وسمي الاصبع مشيرة لكونها دالة لاشارة كما سميت مسبحة وسبابة وسمي السنة حولا لانقلابها في فصولها وشهورها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها وذكر جماعة من الفقهاء ان قوله والوالدات يرضعن امر وان كان لفظه خبرا لانه لو كان خبرا لم يقع مخبره بخلافه وهذه قضية انما تصح في كل خبر لفظه لا يحتمل التخصيص فاما اذا كان عاما يمكن ان يخصص على وجه يخرج من كونه كذبا فادعاء ذلك فيه ليس

لو اجب وهذه الهيئة ما يمكن ذلك فيه ثم ذلك لو كان امر الكان
امر الوالدات وقد علم ان الام وان لم تكن مكلفة حتى احق
برضاعها فان قيل فاذا لم يكن امرا فما وجهه قيل اخبر تعالى ان حكم
الله في ذلك الوالدات احق برضاع اولادهن سواء كانت
في حباله الزوج او لم تكن فان الرضاع من خصايص الوالدات لا من
خصايص الزوجية ولهذا قال عليه السلام في المراة احق بالولد ما لم تزوج
وانما ذكر كاملين لانه قد يقال فلانة فعلت كذا سنتين وان كان ذلك
في سنة وبعض الحركة وكذا يقال شهرين ويومين فاراد ان ازاله
هذه الشبهة وقال الفقها لما جعل الرضاع حولين وقال في موضع
وحمله وفصاله ثلثون شهرا علم ان الولد قد يولد لستة اشهر وفيه
تنبيه على لطيفه وهو ان الولد متى كان زمان حمله وفصاله اقل
من ثلثين شهرا اضر ذلك به فاذا ولد لسبعة اشهر لم يضره ان ينقص
رضاعه عن الحولين وجعل ابن عباس ذلك حكما شرعيا وقال
حب ان يكون الحمل والرضاع هذا القدر وقوله لمن اراد ان
يتم الرضاعه اي هذا التوقيت ليس بفرض لكن لمن اراد اتمام الرضاعه
وفيه تنبيه انه لو جوز تجاوز ذلك وان الحكم للرضاع بعد الحولين وبعونة
ما روى جابر انه قال عليه السلام لا رضاع بعد الحولين وعلى هذا حمل قوله
الرضاعه من المجاعه وقوله ان كل حكم في الشرع علق بعدد مخصوص
نحو الحلال به في احد الطرفين لم يحرم الحلال به في الطرف
الاخر كخيار الثلث وعدد جارة الاستنجا والمسح على الخفين يوما وليله او
ثلثة ايام فلما كان الرضاع نحو الحلال به في احد الطرفين وهو النقصان

لم يحاوزه وقوله وعلى المولود له اي الاب وفايده تخصيصه
بهذا الوصف دون لفظ الاب تنبيه ان الام في الحكم للاب
وان حظ الام منه بعد وعلى ذلك دل الشاعر

وانما امهات الناس اوعيه مستودعات وللاحساب ابآ

وبين تعالى ان رزق المراه المرضعه اي طعامها وكسوتها على الاب اذا
ارضعته زوجه كانت او مطلقه وفيه تنبيه ان ساير نفقه الولد
على الاب لكن اجمعوا ان الولد اذا كان له كفاية فللاب ان يرتفق
عليه وقوله بالمعروف تنبيه على ان النفقه تقدر باليسار والاعسار و
جعل ذلك موكولا الى الحكام ولم يحد عنه حدا لاختلاف الناس وقدر
الزمنه والاماكنه والسن والكد ذلك بقوله لا تكلف نفس الا وسعها اي ما تتسع
له الانسان ويراضره الى ضيق من بخله كقوله لينفق ذو سعه من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله فان قيل لم قال هاهنا
لا تكلف نفس الا وسعها فلم يسم الفاعل وقال في اخر لا تكلف الله
نفسا الا ما اتاها قيل هذا التكليف فيه مدخل للحكام ولغيرهم فجعل
لفظه منها في موضع ومعناه لا تكون تكليفه الا وسعه وقوله
لا تضار حمل على الخبر وعلى الامر فاما اذا حمل على الخبر وهو سنه على ما
تقال عليه العرب في محبه الوالدين للولد وميلها اليه واثارتها له على انفسها
وليس ذلك في الانسان فقط بل في عامه الحيوانات وذلك مغرز
في النفوس حتى زعم الناس ان الهره تاكل ولدها محبة لها فاخبر تعالى
عما في الطباع عليه تنبيها لكل واحد من الابوين ان لا يهم الاخر في
ولده اذ قد سلم من سعف كل واحد منهما ان لا يامن الاخر عليه وقدم نفقه

الام لفرط شفقتها على ولدها والاب لفقد الولد وذلك بالعادات ظاهر ثم باعتبار
حال الحيوان يظهر ذلك ظهورا بينا وذلك ان الحيوانات المتوالدات
على ضربين ضرب يحتاج الحيوان على نفقد الولد وضرب يستغني الام به دون
الاب فالام لا تنفك من نفقد الولد في جميع ذلك فذلك ان الله
ركز في نفوس الامهات من الشفقة اكثر مما ركز في الاباء وقوله وعلى الوارث
مثل ذلك على هذا التقدير معناه عليهم ان يحرموا مجراهم وذلك انه لما عرف
من عزائم الوارث التماثل لخلاف ما بين الوارث والمورث حتى قيل
ان الوارث كالمتعاقب بل اضر من المتعاقب سد ان حق الوارث
ان يحرموا مجراهم في سقوط البعض على البعض اذ سهم من النسائك والبارخ
وث مابين الوالدين والولد واما اذا حمل على الام فهي
ان تفعل كل واحد من الابوين ما تودي الى مضرة الولد مكايدة صاحبه
او تصرف من النظر الفاسد ممن المعسرين من حمل ذلك على
ما تقدم ذكره وان للوالد منهيه عن المضارة المتعلقة بالرضاع والمولود له
منهي عن المضارة فيما يلزمه من النفقة والكسوة ومنهم من جعل ذلك عاما
في كل ما يعود بضرر على الولد من تربيته وتاديبه وما دبه وعزز ذلك ما
تكثر حضه وقوله وعلى الوارث مثل ذلك منهم من حمل ذلك على وجوب
ازالة المضارة ومنهم من حمل عليه وعلى وجوب النفقة واللفظ محتمل لها
وقوله فان ارادا فصالا اي فطاما فصل الحولين وفصل عني بالفصال المفاصلة
عن الوالدة او الوالد اذا رأيا صلاحا لذلك وسلمه احدهما الى صاحبه وعلى ذلك بالتراضي
منهما والتشاور لئلا يقدم احدهما عن غرة الى حاضر بالولد وشبه ذلك ان كل واحد منهم
الغائبة والوجه فيه الاقدام عليه بعد اجماع الرأي والاستشارة وقوله وان اردتم ان تسترضعوا



اولادكم اي اذا امتنعت الام او تنوجب فلا جناح عليكم في استرضاع غيرها
اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف اي سلمتم الى الام طلقة حقها وفعل اذا اسم المسترضعة
اجرتها واذا فرق ما اتيتم بالقصر فمعناه اذا سلمتم ما تعاقدتم عليه وفيه دلالة
على جواز الاسترضاع على الرضاع وعلى جواز عقد الاجارة حمله وختم الاية بالحث
على تقواه وتصور علم الله عز وجل بكل ما اتاه الانسان وتحراه ومن قرأ بالياء بضم
الراء فلفظه مشتبه لانه يصلح الامر على تقدير الضارر ولكن ادغم فضم
الراء لالتقاء الساكنين ويصلح ان يكون على تقدير الضارر على الاخبار وان يكون على
تقدير لا تضارر على النهي فاعله واذا فرق بفتح الراء فليس الا النهي على تقدير لا تضارر
وان كان لفظه محتملا ان يكون نهيا عن مضارة الام كقولك لا تضرر بزيد **قوله**
**عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن**
**بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن**
**فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما**
**تعملون خبير** هذه الاية ناسخة لقوله وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج وان كانت متقدمة عليه وفي التلاوة وظاهر الاية
تقتضي تنويه الحكم في الحرة والامة كما قال الاصم لكن السلف فرقوا
بينهما ومعنى ان لا فرق بين المسلمة والذمية كما قال الشافعي رضي
الى حنيفة وهذا الحكم فيمن لم تكن ذات حمل متفق عليه فاما ذات
الحمل فقد قال عمر وابنه وعبد الله وزيد ان عدتها ان تضع حملها وقال ابن عمر
حملها وقال الحسن بن ان تضع حملها وطهرت من نفاسها وقال علي عدتها اقصى
الاجلين من وضع الحمل ومضي الشهور وقد روت ام سلمة ان سبيعة بنت الحرث
ولدت بعد وفاة زوجها باربعين ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تزوج وتحلف

في الوقت الذي تعتد به من العده وقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر اشد به
من يوم موت وعلي والحسن من يوم يأتيها الخبر وقال الشعبي اذا قامت البينه
على موته فالعده من يوم موت والا فمن يوم يأتيها الخبر والصحيح انه يعتبر
من يوم الوفاه فيه وقع الفرقه كعده المطلقه وكاستحقاقها الميراث من
يوم الوفاه ان قيل ما وجه تخصيص عده المتوفاه بهذه المده قيل قد ذكر الطحاوي
الولد في الاكثر اذا كان ذكرا يتحرك لعدد بلغ اشهر واذا كان انثى فبعد اربعه
اشهر فجعل ذلك عدتها وزيد عشره استظهارا لتخصيص العشر بالزياده لكونها
اكمل الاعداد واشرفها لما تقدم في قوله تلك عشره كامله وقوله
والذين يتوفون مبتدا وفي خبره اشكال فان قوله يتربصن اخبار عن الازواج لا عن الذين
وليس فيه ضمير يرجع الى المبتدا وقد ذكر في ذلك اربعه اجوبه الاول يقدر
يتربصن بعدهم وذلك عن المبرد والثاني ان الضمير في يذرون ازواجا
اي ازواجهم ويتربصن عاد الى الازواج والضمير اذا عاد الى المضاف
اليه كان في حكم ما عاد الى المضاف وذلك مثل قولهم من مات وخلف
بنين بريان اللبن وذلك عن الزجاج وعلى هذا يجب ان يجوز
صاحب الدار انهدمت والثالث عدل عن الاخبار عن الازواج لان المعنى
عليه والفائده فيه والقصد اليه وذلك عن الاخفش والفراء واستدل في ذلك
لعلى ان مالك في الرحى ميلة على ابن ابي ذباب ان سدها
فسكت عن ذكر خبر لعل والرابع بعد ذكره ويذرون ازواجا ازواجهم يتربصن فكون ازواجهم مبتدا
ثانيا ويتربصن خبره لكن حرف المبتدا الثاني لحاجة العالم بسبب المعنى واما قال عشرا
ولم يقل عشر لتغليب الانث الذكر في باب التاريخ وقال بعض النحويين ان باب الانث
غلب في باب العدد على عكس ما عليه حكم الباب وعلى ذلك وطافت ثلثمائة بين يوم وليله



قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبه النساء
او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقده النكاح حتى يبلغ
الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا
ان الله غفور حليم الخطبه والخطبه كلاهما من المخاطبه الا ان بالضم خص
لموعظه والكسب طلب المراة وان كان في الاصل اسما للحاله التي عليها الخاطب والخطب
الامر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب والكن جعل الشيء في الكن والاكنان مثله لكن خص الاكنان
بما يكنه الصدور والكن بما يكنه البيت والثوب ونحوهما وسميت المتزوجه كالمحصنه كنه والكنانه
حفيه غير مشقوقه تكن سهامها والسر ما لم يشعه ما في نفسك واعتباره ما يستكف من
اظهاره فمعنى عشيان المراة به والاعتبار بذلك قال الشاعر
والستر دون الفاحشات ولا اتاك دون الخير من ستر
ومادة اعتبر بصيانه فمعنى المصون سرا حتى قيل فلان في سرقومه والعقد تقال في الحبل
العهد والعين والسمط والرمل المتداخل وبناء عاقد عقدت على رحمها منع الفحل عن نفسها
والتعريض كل كنايه الا ان التعريض ان يذكر ما استفهم المقصود من عرضه وليس بموضوع للمفهوم
عنه لا اصلا ولا نقلا والكنايه العدول عن لفظ الى لفظ موخلف الاول ويقوم مقامه و
لهذا سمي الاسما المضمره في النحو الكنايات والحوالف والتعريض المفسح فيه هاهنا كل لفظ اشاره
تدل على النكاح لا يصرح به كخوان يقول اريد التزوج وماشا الله كان وانك لنافقه ونحو ذلك
وقوله ولكن لا تواعدوهن سرا قال ابن عباس وابن جبير والشعبي ومجاهد هو تصريح الوعد بالنكاح وقال الحسن وجابر الزنى وقال ابن زيد ان يسلكوها في عدتها واللفظ محتمل لكن الاظهر ما قال
ابن عباس لان ذلك لم يستفد الا بهذه الايه فاما خطر الزنى في كل حال والمنع عن التزوج
بالمعتده معقول من غير هذه الايه ويصح حملها على كل ذلك فقد نهينا عن جميعه و

قوله علم الله انكم ستذكرونهن اى لما علم رغبتكم فيهن وخوفكم ان يسبقكم اليهن غيركم اباح
لكم التواصل الى مرادكم بالتعريض وليبين النهى عن العزم نهيا عن حكم الضمير فقد اباح لنا التعريض
فضلا عنه وانما نهى عن بت القول وقوله حتى يبلغ الكتاب اجله اى ينقضى العدة والكتاب
عبارة عن المدة المفروضة او اريد حكم الكتاب وقوله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم دل على
مضمين احدهما ما فى قوله يعلم السر واخفى والثانى ما فى قوله ان النفس لامارة بالسوء فنبههما انه علم
شرور انفسكم ثم حذرنا منه لقوله ويحذركم الله نفسه ثم رجانا غفرانه وسكن منا ما ابنا نا من جملة
بقوله ان الله غفور حليم واللفظان اعنى واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم وقوله واعلموا ان الله
غفور حليم حث على ما وصف به اولياءه فى قوله يرجون رحمته ويخافون عذابه قوله عز وجل
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف
حقا على المحسنين المقتر الفقير واصله من نال القتر كما ان المترب والمرمل اصلهما
من نال التراب والرمل والقتار ما تحمله الريح من رائحة القدر على الغثاث والغبار فدخل فاتر
ضعيف كانه قتر فى الخفة وذلك لقولهم هو فى الخفة هبا والقترة ناموس الصايد اعتبارا بانه
حافظ لعار الانسان اى ريحه وذلك ان الصايد يجتهد ان يخفى عن الوحش ريحه فضلا عن
شخصه لئلا يند عنه وابو قترة لحية صغيرة الجرم خبيثة الاثر وسميتها بذلك على حسب اعتبارهم
ان الحية كلما ازدادت سنا وخبثا صغرت جرما وجسما ولهذا قال الشاعر
داهية قد صغرت من الكبر وقال دويهة تصفر منها الانامل
فانى بلفظ التصغير لما اراد تعظيم الوصف وكثر المس والمماسة فى الكناية عن الجماع حتى صار
كالصريح والمتعة اسم لكل ما فيه تمتع اى استمتاع قدرا من الزمان وعلى ذلك قوله ومتاعا
الى حين وقول الشاعر انما نعمة المرء متعة وحيوة المرء ثوب مستعار
لكن صار المتعة فى تعارف الشرع لما يختص به المطلقة واختلف الناس فى المتعة او اجبة هى ام غير



واجبة وان وجبت فلاى مطلقة تجب وكم قدرها فاى الزوجين يعتبر واما وجوبها
فعند ابن ابى ليلى ليست بواجبة على مطلق بل ان شاء فعل وان شاء ترك وقال على واجبة
لكل مطلقة وقال مالك والليث لا يجبر عليها على كل حال وعند الشافعى المطلقات على ثلثة
اضرب مطلقة قبل الفرض والمسيس ولها المتعة فقط لا واحدا ومطلقة بعد الفرض والمسيس
مفوضة كانت او مسمى لها فمن وجوب المتعة لها قولان واما قدرها فالصحيح ان لا حد
له وان كان قد قال الطحاوى للموسر خادم وللمعسر خمار وجلباب ونحوهما من الثياب وقال
الشافعى واستحسن بقدر ثلثين درهما واما اعتبار ذلك بايهما فقد قال ابو حنيفة بهما والاظهر
انها تعتبر بالزوج لتخصيصه فى الاية وقوله او تفرضوا تقديره او لم تفرضوا فهو معطوف على
قوله تمسوهن واو فى نحو هذا الموضع تفيد ما يفيد الواو على وجه وذلك انه اذا قيل افعل كذا
ان جاءك زيد او عمرو يقتضى ان يفعله ان جاءاك جميعا ولا شك انه يحتاج ان يفعله اذا جاء
لسبهما لانه قد جاء احدهما وزيادة وعلى هذا قال النحويون جالس الحسن وابن سيرين يقتضى انه اذا جا
فقد امتثل وعلى هذا قوله عز وجل ولا تطع منهم آثما او كفورا وقوله وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم فظاهر الاية يقتضى انه لم يكن مس او لم يكن لها فرض
او لم يكن الامران فلها المتعة كالامثلة المتقدمة لكن لما حكم لمن فرض لها ولم يمس فى الاية
التى بعدها صار ذلك كالمستثنى عنه فكانه قيل اذا طلقتموهن ولم يحصل الامران الفرض والمسيس
او حصل المسيس ولم يحصل الفرض فمتعوهن ان قيل ما فى قوله ما لم تمسوهن يقتضى الشرط وذلك
موجب ان رفع الجناح عن المطلق بشرط عدم المماسة وعدم الفرض ومعلوم ان الجناح مرفوع
عن المطلق مسها او لم يمسها فرض او لم يفرض فما وجه ذلك قيل القصد بالاية ان الجناح مرفوع
عن اعطاء المتعة فكانه قيل لا جناح فى طلاقها اذا متعها ودل على ذلك بقوله ومتعوهن وقد علم
ان الجناح غير مرفوع عمن لم يمتع اذا طلقها قبل الفرض والمسيس وقوله على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اى قدر ما يحتمل حاله ان قيل ما وجه تخصيص المحسنين فى هذه الاية والمتقين فى قوله

والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين وهذا دل ذلك على انه غير واجب
اذ كان الواجبات من المشروعات لا تختلف فيها المتقى والمحسن وغيرهما قيل قد نظر بعض
الناس هذا النظر وقال لما كان الاحسان قد يكون لما يزيد على الواجب وقد خص ذلك
المحسنين دل على ان ذلك حث على المعروف لا ايجاب وقال اكثرهم ان ذلك المحسنين
والمتقين لا لتخصيص الايجاب بل للتاكيد وانه من تمام الاحسان والتقوى كما ان قوله
هدى للمتقين ليس تخصيص انه لا يهتدى به الا المتقين لكن بسبب ان الاهتداء به من
تمام التقوى ﴿ قوله عز وجل وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون
او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى
ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير
النصف كل واحد من الجزئين المتساويين من مقدار واحد وتصور منه الشفع المستوى
سمى العدالة نصفا والنصف من المسنة والصغيرة كانها هى التى استوفت نصف العمر
والناصف الخادم المبالغ فى الخدمة كانه نصف صاحبه فى الخدمة لما فى الخدمة يقدر
ما يستوفى عند من المنفعة والنصيف لبعض من الصغير والكبير والمتصف ما عيد
الى النصف بالصبغ والنصيف ضرب من المكيال لكونه عادلا او كونه من بين والذى
بيده عقدة النكاح قيل هو الولى الذى كان مالكا للعقد فى الاصل وقيل الزوج
الذى هو مالك للعقد فى الحال سواء كان الولى يملك العقد والزوج هو الذى
يملك العقد لان العقد اسم للمعقول كالضحك والعفو المراة ان تترك المهر او تسامح
وعفو الزوج ان يوفيها كله او فضلا عما استحقه من النصف فان قيل جعل الذى بيده عقدة
النكاح للولى كيف يصح منه العفو عما تستحقه المراة قيل قد قال الشافعى ان ذلك مخصوص
فى الصغيرة اذا كان لها ابا او جدا ان قيل العفو فى الترك لا فى الاعطاء والزوج



هو المعطى فكيف يصح منه العفو قيل ان ذلك فى العفو عن الذى له فى العقوبة وقد يقال
عفى فلان كذا اذا ازال وله الصداق المفروض يستحق المراة اخذه بالعقد وان اخذه
والعفو حكم الماخوذ فاذا عفى به كان كانه قد عفى عنه ودل قوله فنصف ما فرضتم ان
المراة متى قبض لها بعد العقد ثم طلقت قبل الدخول فلها نصف المفروض خلافا
لما قال ابو حنيفة ان المفروض يسقط وجب المتعة وقوله وان تعفوا وان كان بالقصد
الاول حثا للزوجين على السماح خطاب عام لهما ولكافة الناس وحث لهما على استعمال
العفو وترك الشدة وان بعض ما وجب لك اقرب الى الله تعالى ولا تنسوا الفضل
والفضل اعم من العفو لانه يتناول نزل ما وجب لك واعطاء ما لا يلزمك ولهذا قيل
الفضل فوق العدل وقيل الكرم فى الفضل والعدل فى الحدث فما تقدم على استعمال
العدالة به بقوله ولا تنسوا الفضل اى لا تتركوا الفضل فتقصرون على تحرى العدالة قوله
عز وجل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا
لله قانتين الحفظ والتعهد والتفقد والتعهد والرعاية والحماية والصيانة متقاربة لكن
الحفظ اعم ذلك والتفقد حفظه اى يفقده كانه يطلب فى كل حال هل فقد اشفاقا عليه
والتعهد تكرير العهد به حالا فحالا والرعاية حفظ ماله قوامه كرعى الغنم والحماية حفظه عما
يرديه ويسوءه والصيانة صونه بما يقيه والوسط معروف تقول وسط فلان القوم يسطهم و
قد تصور الوسط على وجهين محمود ومذموم فاستعمل فيهما اما المحمود فالمصون من الافراط والتفريط
كالعدل ولهذا قيل للعدل الوسط والسواء والنصف واما المذموم فمتصور شى لطرفى
محمود ومذموم فالسالك من الطرف المحمود الى الطرف المذموم اذا انتهى الى النصف
فقد فارق المذموم فكنى به عن الذم واما اصل القنوت القيام على سبيل الخضوع ولما كان
الخضوع قد يكون بالدعاء والتضرع والامساك عن الكلام وخفض الصوت وغض البصر
وبذل المال فكل واحد من ذلك سمى الدعاء بعد الركوع قنوتا والصلوة والوسطى الظهر عند

ثابت وابن عمر كانها اعتبرت بالنهار وكونها في وسطه والمغرب عن خصه من دونت لكونها
وسط بين الركعتين والاربع اللتين قبلها عدد الركعات والصبح عن خبر لكونها من صلوة الليل
والنهار قيل ولهذا قال اتم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر اى صلوة تحضرها
الملائكة الكثرة الكسل عنها او قد تحتاج الى القيام اليها من لذة النوم ولهذا ورد ان اذانه
الصلوة خير من النوم وقيل هو العصر فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم على وابن عباس
وهو الاصح لما روى ان ابن حنش قال قلت ليسره سلى عليا عن الصلوة الوسطى فقال كنا
نرى انها صلوة الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يقول شغلونا
عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله قلوبهم او بيوتهم نارا وروى البرا انه كان يقرا
حافظوا على الصلوات وصلوة العصر ثم سخ بقوله الوسطى وفايده تخصيصها بالذكر
لان وقتها في شغل الاشغال لعامة الناس بخلاف ساير الصلوات التي قراغ ما اما قبلها
او بعدها ولذلك بوعد النبي صلى الله عليه وسلم تركها فقال من فاتته صلوة العصر وكانما
وتر اهله واستدل بهذه الاية بعض الشافعية ان الوتر ليس بواجب لانه لو كان واجبا
لكان اعداد الواجبات ستة فلم يكن لها وسطى وقال بعض المتاخرين الصلوة الوسطى
اشارة الى النوافل المشروعة من المكتوبات اما قبلها واما بعدها واما قبلها وبعدها وقال
بعضهم عنى بالصلوات انواعها كلها فرايضها ونوافلها الموقتة والمشروعات عند اسبابها
كالخسوفين والاستسقاء والنذر وامر تعالى بالمحافظة على جميعها ثم خال والصلوة والوسطى
اى الفرايض ومعنى الوسطى الشريفة فخصها بالذكر مع دخولها في العموم ثم عقبه بقوله
وقوموا لله قانتين وبقوله فان خفتم بينها ان فعلها واجب حسب الامكان في جميع
الاحوال والمحافظة عليها مراعاة وقتها توفية شرايطها في اداياها كما ذكرنا في اقامتها في قوله
ويقيمون الصلوة ان قيل ما وجه فايدة ذكر المحافظة على الصلوة فمايين حكمي الطلاق والعدة
وهلا اورد عن ذلك فان اوراد كل باب من الحكم احسن في الترتيب من خلط بعضه

بعض قيل اما اولا فان ايات القران منزلة حسب الحاجات ولهذا قال الكفار لولا
انزل عليه القران جملة واحدة اعلمهم انه فعل ذلك لنفوق على الصلوة والسلام على تلقفه
فقال وقرانا فرقناه لتقراه على الناس مكث ثم ان الله تعالى لما خلى شيا بذكره مما تعلق
بالاحكام الدينوية الاخروية حكم اخروى ليبهم على مراعاة الاخرة في جميع احوالهم واعمالهم
وانها هي المقصودة بالقصد الاول وسايرها تتحرك فلاجلها على انها مرغوبة وموجودها هنا
ومحفوظ تابع واحسن مما راعاه اصحاب القوانين لانه لما حثهم على العفو ورغبهم في المحافظة
على الفضل عرفهم ان السلوك الى التخصيص بذلك هو المحافظة على الصلوات في كل
حال فان الصلوة هي المامرة بالمعروف والناهية عن المنكر كما قال ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ثم صرف الكلام الى ذكر ما كان بصدد فتمه وهذا النحو من جنس ما سمي الالتفات
المعدود في بديع الكلام قوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا
امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون الركوب كون الشي فوق
اخر تقال لكل مركوب وركوب وخص الراكب في تعارف العرف بممتطي البعير
وسمي المطية ركابا وما جعل الراكب رجله فيه ركاب واركب الفرس جعل رجله حيث يركب وتعورف
المركب والمركب فمن ركب فرس غيره ومن يحترف الركوب من قوله ثم الطيور المركبا
والركبة بهذا الاعتبار سميت وقيل فرس اركب اى عظيم الركبة وركبته اصبت ركبته
حوفاذه ورانته وقال اذا اصبته بركبتك فخ بدنته وعنته اصبته بهما والركب كناية
عن فرج المراة وهو العانة من المراة كما كني عن المراة بطنه وقعده لكونها مقتعده ورجال
جمع راجل نحو صحاب وقيام وتقال نسا رجال كما تقال رجال رجال امر تعالى بفعل الصلوة
على الوجه الممكن وعلى هذا دل قوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا وعلى هذا قد حمل قوله فاذا اطمانتم فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وجعل بعضهم الذكر هنا مخصصا بالصلوة وجعله بعضهم عاما فيه وفي غيره من

الى ذكار وحث على ذكره والصلوة كما تقتضيه ما علم من الاحكام وسايرالعلوم قوله عزوجل
**والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم**
**متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم**
**فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم**
عامة المفسرين على ان قوله وصيه لازواجهم امر من الله عزوجل بان يوصى الرجال
للزوجات ان يقمن حولا وقالوا اقتضت الايه ثلثه احكام عده سنه ونفقتها و
سكناها في تركه زوجها مادامت معتده وكونها ممنوعه من الخروج فنسخ منها ما زاد على اربعه
اشهر وعشرا بالايه المتقدمه ونسخ وجوب الوصيه لها بايه الميراث ولم تنسخ الخروج
فصار ذلك ثابتا في العده الثانيه وقال بعض المتاخرين ليست هذه الايه منسوخه
وانما وجهها على ما تصوره وانما قوله وصيه مصدر في موضع الحال او خبر ابتدا مضمر في
موضع الحال في قول من رفع والايه اخبار عن الجاهليه فيما كانوا يفعلونه وابطال لحكمهم و
تقديرها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا موصين لهم متاع الى الحول او عليهم
الى الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن لكم اثم في ابطال ذلك على ما امر الله به
وبينه ودعاكم اليه فهذا توكيد للايه المتقدمه وبيانه ان ما كانوا يفعلونه لا يلزمكم بل الذي
يلزمكم ما بين في الايه المتقدمه فقوله والذين يتوفون منكم مبتدا وما بعده الى قوله
غير اخراج في صلته وفي قوله فان خرجن في موضع الخبر ودخول الفاء فيه لكون المبتدا
موصولا لخوالذي يا تيني فله درهم وهذا الوجه صحيح من وجهه حسن اللفظ وعلى ما عليه
الحكم لكن عامه السلف في تفسيرها على ما تقدم وموضح ذلك ان امراه اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فذكرت ان ختنا لها توفي عنها استكت عينها وهي تريد ان تكحلها فقال
رسول الله صلى الله وسلم قد كانت احدكن يلبث سنة ثم ترمى بعرة عند راس الحول
فهلا اربعه اشهر وعشرا وذكر ابن حبيب له ان المراة كانت اذا توفي عنها زوجها



دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى دابة حمار او شاه او طير
فتفض به فقل ما ينفض شيا الا مات ثم تخرج فتعطا بعده فترمى بها ثم تراجع ما شاءت من طيب
او غيره ان شاءت قال في هذه الايه وفيما قبلها فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن فرفع الجناح
عن الرجال فيما فعلن وذلك يقتضي ان يرد احدنا وزر الاخره وقد قال تعالى ولا تزر وازره
وزر اخرى قيل وقد روى في قراءه ابن مسعود فلا جناح عليهن والصحيح ما عليه المصاحف ووجه ذلك
ان راى احدهما ان النساء لما كن تابعات للرجال وتحت امرهم صار الجناح في كثير مما يفعلن راجعا
اليهم اذ لم ينهوهن ولهذا قال قوا انفسكم واهليكم نارا والثاني ان اشير اليه فاهن يفعلن في انفسهن
مما لم يتعلق بالرجال فلا يمنعهن او يساعدوهن وكل موضع اجتمع مذكر ومونث او مخاطب
او غاب فالحكم في اللفظ للمذكر والمخاطب دون المونث والغايب فلهذا قال عليكم ان
قيل لم قال هاهنا من معروف وقال فيما قبله بالمعروف وقال هاهنا والله عزيز حكيم وفي الاول
والله بما تعملون خبير قيل ان من والباقي مثل هذا الموضع يتقاربان حكما وان كانا يختلفان من
حيث العربه تقديرا فقوله من معروف اباحه لحسن الافعال المعروفه لي المباحه الجنسه
وقد بالمعروف في موضع الحال وهو اباحه لما فعلنه على شرطه تحرك المعروف وقال هاهنا
لما ذكر ما هو تعريض التغيير او غيره على التفسير المتاخر عزيز حكيم تنبيها انه تعالى قادر
على تغيير ما تعبر عنه احق به مصرفه من مخالفتكم اياه وارا منفعة في موافقتكم اياه امره وحكمته
في تغييره وقال في الحكم المقرر عليهم على التاييد والله بما تعملون خبير تنبيها ان من قصر فيما
رسمه فمجازى به

**قوله عزوجل وللمطلقات متاع بالمعروف**
**حقا على المتقين** ان قيل ما وجه تكرير ذلك وتخصيص المتقين قيل من
المفسرين من جعل هذا المتاع للمطلقات عامة على سبيل الاستحباب لا على الايجاب
وقال اراد الله ان يكون تشريفا على وجه تطيب نفسها ويزول عنها ما خزها مرها من وحشه
الفراق ومنهم من قال هو على الايجاب والبه ذهب ابن جبير وابو العاليه ويكون تخصيص

من تقدم ذكرها للتاكيد امرها ومنهم من قال يعني بالمتاع المتعة وانما عنى ما لهما من الحلو والسكن
واما تخصيص المتقين فقد تقدم **قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم اياته**
**لعلكم تعقلون** بينه الله كما بين لكم هذه الاحكام يبين لكم سايرالايات العقليه و
السمعيه لكلوا اقرب الى استعمال العقل المكتسب وقد تقدم ان امير المومنين قال العقل
غطاء مطبوع وسمع ورا يصلح احدهما الا بالاخره فالاول هو الذي تتعلق به صحة التكليف
المساعده بقوله عليه الصلوه والسلم ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر
فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي والثاني
هو الذي قال عليه الصلوه والسلم لعلي يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم بالصلوة والصوم تقرب
اليه بانواع العقل تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الاخره
فهذا الثاني هو العقل المشار اليه بقوله لعلكم تعقلون وهو في الحقيقه الايمان والعبوديه
والاخلاص **قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم**
**الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون**
رات تعدي بنفسها دون الجار لكن لما استعير قولهم الم تر لمعنى الم تنظر عدي تعديته
وفايده استعارته ان النظر قد تتعرى عن الرويه فاذا اريد الحث على نظر ناشئ
عن تامله للرويه استعيرت له وقل ما استعمل ذلك في غير التقرير والاعمال رات الى كذا وكما
ان الرويه ضربان رويه بصر ورويه بصيره كذا ايضا النظر والابصار والوف جمع الف
كشوص وعيون وقيل جمع الف كحمول وحلوم وروي في الخبر ان قوما من بني اسرايل
خرجوا من ديارهم هاربا من الطاعون فاماتهم الله ثم احياهم ليعرفهم عيانا الحث فمادل
عليه قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل وقوله انما يكونوا الذين
الموت وقوله اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله ايها الذين



امنوا لا يكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو
كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقوله وهم الوف بينه ان الكثره والتعاضد وان كانا
نافعين في دفع الاذيات الدنيويه فليس بمغنيه في الامور الالهيه ومن جعل ذلك جمع الف
ونظر منه الى نحو قال الشاعر الم تر ان جمع القوم حشى وان جمعهم واحدهم مباح
ومن جعله جمع الف ونظر الى نحو قولهم ان يجر القوم اذا تعاونوا ومن جعله جمع الف
فقد قيل كان عددهم اربعة الوف عن السدي وقيل كانوا اكثر من عشره الوف عن
ابن عباس والحسن والضحاك وهو الاصح لان ذلك جمع الكثير ولو كانوا اقل من عشره
لقيل الوف وقيل معنى اماتهم ذلهم بالجلاء عن ديارهم حذر الموت فلم يعن عنهم كثرتهم وطاعتهم
من الله شيئا ثم احياهم اي اعانهم وخاصهم ليعرفوا قدره الله تعالى في انه يذل من يشاء
ويعز من يشاء وتسميه الشدايد موتا لكونها اعظم الموتين كما قال الشاعر

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيا

وقيل اشد من الموت ما تمنى له الموت وقيل عنى بالموت الجهل والجهوه العلم وقال ابن
عباس في قوله او من كان ميتا فاحييناه اي جاهلا فعلمناه كما حكي الحسد بالروح ووصل
ما اراهم من الغيظ من احيائهم بذكر ما له عليهم من النعمه وقابله شكرهم له وقوله ولكن اكثر الناس
لا يشكرون كقوله وقليل من عبادي الشكور لكنه ابلغ في الذم لانه نفى وقوع شكر منهم
وشكور بناء مبالغه وقد يراد بالشكور من كان شاكرا ان قل لم اعبد ذكر الناس
ولم يقل ولكن اكثرهم قيل ان الناس في الاول عام لكون نعمته على جميعهم وفي الثاني
خاص للمكلفين لانه اراد بهم شكرهم غيرهم فكانه قيل ذو فضل على جميع الناس ولكن
اكثر المكلفين لا يشكرون ان قيل لم خص النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب
فقال الم تره وقال الم ترو الف حلق الله سبع سموات طباقا فاصل ان ذلك وان كان
من الاعتبار الذي يحث الاعلى ذوي البصاير من الانبيا ومن يراهم في العلم ولم يكن من الحواس

المشاهد خصه بالخطاب دون الاية الاخرى ونظايرها لما كانت من الامور المحسوسه
عم بالخطاب قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله
سميع عليم قال بقدره وقيل لهم بعد ذلك وقاتلوا في سبيل الله ولفظ الحكاية
مقدر وقيل ان ذلك خطاب منه تعالى لهذه الامه وانه لما قرر بالاية المتقدمه فيما
انعم به ان الفرار لا يرد في الاجل حثهم بهذه على المجاهده في سبيله ولم يعن الاعداء الحاضرين
فقط بل عناهم واقرب الاعداء الى الانسان اصعبهم دفاعا واكثرها اذى الهوى المدلول
عليه بقوله عليه الصلوه والسلم جهادك يداك وقوله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقوله لما
رجعوا من تبوك حينئذ من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقال طاهد واالمواكم كما تجاهدون
اعداكم وصعوبة مجاهدته انه عدو لحفي ولحفي مكايده ولهذه ارشد الشاعر حيث قال
ومتى بنات الهم من حرف الورى كيف بمن حرفته ليس برائم
وعلى هذا قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا الاية جاهدوا اي الله حق جهاده وقوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيره والله يقبض ويبسط
واليه ترجعون القرض القطع بالناب والمقراض واستعير لصنعه الشعر
استعاره الاكل والمضغ في نحو قول بعضهم قد اكل الدهر منه ومضغه من هو اشد لوكا ومضغا
منك هذا اذا اعتبرته بقرض الاسنان فاما اذا اعتبرته بقرض المقراض فاستعارته كاستعارة
الحوك والخياطه والالباس وسمي ما يبذل لعوض قرضا وما نزل بعوض قرضا وسمي
عروض الاشاعر قرضا كما سميت عواري والضعف تركب قدر من متساويين او تقال
مثلا الشيء في المقدار وكل واحد ضعف الاخر اذا اخذ قول الشاعر حرمتك ضعف المود
اي مثلي ودك لي في القدر وضعفا للشيء مثله بلا مراعاه الى انه اذا قيل ضعفان فقد
يطلق على الاثنين المثلين في القدر من حيث ان كل واحد ضعف الاخر كما يقال



الزوجان ويكون كل واحد زوجا للاخر ان قل الضعف والضعف يشتركان في
الاشتقاق فقل دلالتهما اعتبر فيه معنى المماثله في القدر الا انه جعل الضعف لما زاد عليه
والضعف لما انقص منه واستعمل فيهما اضعفت وضعفت وان كان التشديد في
الضعف اكثر وضاعفت في الضعف لاغير وفرق بينهم تضاعف وتضعف فحال
الضعيف لما جعل مثلين والمضاعفه لما زاد عليه اكثر من ذلك ولهذا قرا اكثرهم
فيضاعفه بالالف ولما حث الله على المجاهده في سبيله وذلك بذل المال والنفس سمى ذلك قرضا كما سماه بيعا واشترا في قوله ان الله اشترى من المومنين
انفسهم الايه وسماه احسانا في قوله ولحسنوا منهم اجرا لذلك استعطافا لعبده واستلطافا
فاوسع اعرابي من ذا الذي يقرض الله فقال اعطانا فضلا وسالنا منه قرضا ليرد الينا
اكثر واوفر منه الله لكرم وسمع ذلك ابو الدحداح فسال النبي صلى الله عليه وسلم ان تصدق
بحديقتي افلي مثلها في الجنه قال نعم وقال ومعي ام الدحداح ودحداح قال نعم وان له حديقتان
فتصدق بافضلهما ان قيل بذل النفس كيف يصح ان يقال له قرض قيل استعمال ذلك
منه كاستعمال الجود وقد قال ابو الدرداء اقرض من عرضك ليوم فقرك وفي قوله حسنا
اشاره الى كل ما يجب الافضال عما شينه من منه ومراياة وغير ذلك وقوله يقبض
ويبسط قيل يسلب تاره ويعطي تاره ونحوه نظر من قال فكيف نوفيه وثانيه هاديه
وقيل يسلب قوما ويعطي قوما ونحوه نظر الشاعر في قوله
يرس قوما وشرك احزن به الله من رايس عمرو بارك
وقيل يفتر ويوسع وقيل يقبض الصدقات ويخلف البدل مبسوطا الى كثير او قيل
يضيق صدر قوم ويشرح صدور احزن كقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا واليه ترجعون قد يعلم الحال فيه
وذكره هاهنا توعد قوله عز وجل الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى

اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين

قوله عز وجل الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة شريفة وذلك اعتبار بالامتلاء لانهم
يملؤن العين رواء ومنه قيل شاب مالي العين وطلاه عاونته اي صرت من ملائه كما
حجه كفولك شايعته اي صرت من شيعته وملان ملي يكذا من الامتلاء وعلي الوفاء وسوء
العهد استغاث ضده وهو العون ويدل على ذلك انه لتركه وبعث احسنوا املا كم اي اخلاقكم
وقال الشاعر

احسني ملا احبينا وكانه عني الخلق بذلك لكونه مملا بما يراد في داته

وعلى ذلك قال الشاعر كل امرك سدك الذي في خلقه وقال كل امرك راجع يوما بشيمه و

الملك لمن جمع اربعة معان العلم والقدرة والسياسة وعدد يقويهم وبان ذلك ان الامر
بالعلم يدبر وبالقدرة ينفذ وبالسياسة ينتظم وبالجمع يحفظ ولهذا كان الله الملك الحق من
هو له وكالظل له ولهذا قال السلطان ظل الله في الارض اي خليفته ومحفوظه كالظل
الذي للظل ولا يصح استخلافه الا من قام بحقه على مقتضى الشرع وراجل تعذر القيام
بذكره التسمية به وان المسمى بالملك ما لم يوف حقه لابس ثوبي زور وتكلف للناس
المقول به وسالهم اياه الملك للقتال بمواقعه لعلمهم ان منزلة الملك الرعية منزلة الراس
من الجسد الذي لا قوام له الا به وعلى ذلك قال الشاعر

كان الخلق ركب في قتال له جسد وانت عليه راس

وقوله نقاتل مثنى جزم فجواب واذا رفع فاستيناف وقرئ تقاتل على وصف الملك
وقوله هل عسيتم ان كتب عليكم القتال اي هل طمعتم في ان نفسكم ان تقوم بذلك وان
لا تجبنوا قالوا وما لنا الا نقاتل انكروا ان يكون منهم تقجع في قتال اعدائهم فجعل يحتج لهم شيئين



بها غاية ما تحقق ومواطن عاجم عن نفاسهم الذي هو شريك القتل وقتل الولد الذي هو
اصعب على الانسان من قتل نفسه وفي حكايته ذلك اشارة الى ذمهم من وجهين احدهما
انهم كالذين تحلفوا او قد قتل فلما قام الانسان بواجب التزمه ابدا وبهذا المعنى حث النبي
صلى الله عليه وسلم في اخ الفعل العام هذا ام للابد قال بل للابد للحتم فاتك عليهم وذم
الله بني اسرائيل في التزامهم الرهبانية ثم قصروا فيها والثاني انهم لم يلزموا القتال لما احب ان يلزم
فان المقاتلة في سبيل الله يجب ان لا يكون لها وجهة والا لا يبقى ثنا او شفا مغيظه وكذا
يجب ان يكون ساير الافعال المحمودة وهم لما قالوا وما لنا الا نقاتل قصدوا اشفا الغيظ لا ابتغاء
الرب فعلم انهم لا يصبرون في مواطن الحق على ما يجب ان قيل لم ادخل ان في قوله وما لنا الا
نقاتل ولم يدخله في قوله وما لكم لا تؤمنون قيل ان قولك ما لك وما لنا نحو مقول للانكار وعليه
قوله وما لكم لا تؤمنون في موضع الحال نحو فما لهم عن التذكرة معرضين والثاني بمعنى ما منع وعليه
هذه الاية وما ابداذل من ان لا تقدره ما منعنا من ترك القتال قال ابو العباس ما نفي هاهنا
كانه قيل ليس لنا ان لا نقاتل وقال الاخفش ان زائده ويجوز انه ادخل ان في قوله
الا نقاتل لكون القتال مستقبلا ولم يدخل في قوله وما لكم لا تؤمنون لكونه حالا لان ان لاحد
المعدومين قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ذلك ان بنو اسرائيل اعتقدوا ان
الملك يستحق بالوراثة وكثرة المال وكان فيهم اسباط ملوك فلما اشار نبيهم ان الله بعث لهم
طالوت ملكا ولم يكن من بيت الملك ورأوا ان ذا المال استغطوا امره وقالوا انى يكون له
الملك علينا وكان ذلك منهم حطاما من جهة الاول كما قال الشاعر

وما الحسب الموروث لا در دره بمحتسب الا باخر مكتسب اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبه من المثمرات اعتده الناس في الحطب

وقال بعض الملوك ان ولدى جاهل فعدوه حمارا وايأكم ان تراعوا شبه فتفوضوا الامر
اليه وتعتمدوا في الملك عليه واعلم ان المال ليس بضروري في الملك واعيان الخلفا الراشدين
والامرا العادلين كان غنائم القناعة دون الثروة حين تعالى بقوله ان الله اصطفاه عليكم
ان فيه لخصال التي هي قانون في استحقاق الملك وبيانه ان الملك يستحق في ان يكون الانسان
من عنصر صالح سواكان من بيت الملك قبل او لم يكن وان يكون ذا علم سياسة نفسه واهله
ومن رعيته وان يكون في جسمه كامل الخلقة شديد القوة واسلامة من العاهات الشائعة وذكر
انه قد اتاه كل ذلك ثم قال والله يوتي ملكه من يشاء نبهها انه هو المختص بانا الملك لعلمه لمن يستحقه
ولذلك امرنا بالاستسلام له في ذلك فقال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك فقرن ذلك
بالامور التي تختص بوجودها وهي اخراج الحي من الميت والميت من الحي وايلاج الليل في النهار
والنهار في الليل واعطا الرزق ثم قال والله واسع عليم لي الرزق اعطاه الملك بموجود سعة
في المال وعالم بالاشيا بنبهها انه ان احتاج الى المال في ملكه حوله وقوله عليم لي عالم بمن يوتيه
الملك كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته ﴿ قوله عز وجل وقال لهم نبيهم
ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما
ترك ال موسى وال هرون تحمله الملايكة ان في ذلك لاية
لكم ان كنتم مومنين السكينة من البقا والبقايا الشي على حاله الاولى لكن
البقية صارت لبعض جمله لم تعص جمله بعض المحمولات فاستعملت فيما حمل على الظهر
ومن الما الذي في السحاب والولد الذي تحمله المراة في البطن والعواف في الرف وتسميته
بذلك استصحابا بالحمل الذي هو ايا او لانه يحمل باليد لصغره وخص لبحمله بما يحمل به السيف
على بنا العلاقة والمحمل لما يركبه الناس وخص لبحمله بالميم لما يحمله قوم عن قوم من الابه والجمل
تارة استعمل في الكفيل ومولعني فاعل وتارة في المحمل من بلد الى بلد ضمي الغرب وعنا
السلة والحمولة من الابل لما يحمل عليه على ما قوله وركوبه وذكرهم ما خص الله به طالوت



من كرامته وما سواه من الله عز وجل كالمجزه لملكه واختلف في التابوت فمنهم من قال كان
صحوتا من الخشب فيه شي يسمى بالسكينة يسكن بها قلوب القوم الذين كان معهم وبقايا
رضاض الالواح الذي كان فيه التوريه وقيل كان على بسوقها الملايكة وقيل بل الملايكة
تحمله في الهوا وهم يرونه وقيل كان هذا التابوت مع يوشع فقد في التيه ثم رده الله عز وجل
الى طالوت وقيل بل كان قد سلبته العمالقة فدفنوه في منزله والى هذا ذهب عامة الصحابة
والتابعين فما دل عليه ظاهر قوله حتى قال مجاهد السكينة شي كان له راس كراس هره
وله جناحان وقال بعض المفسرين التابوت اشارة الى القلب والسكينة التي فيه من العلم
والخواص والايمان وذكر الله الذي يطمين القلوب قال وسمي القلب سفط العلم وبيت
الحكمة وتابوته وعاه وصندوقه وعلى هذا يقال اجعل سرك في وعا غير هذا وفي بيت
معلق الزجاج ووعا موثق الاشراج قال وجعل الله ان صير قلبه مقر العلم ومجمع السكينة بعد
ان لم يكن له ذلك وعلى ذلك تسميته بالتابوت سمي عمر بن مسعود رضي الله عنهما
كنيفا ملي علما وقال هذا القايل ما روي عن علي عليه السلم ورضي عنه ان السكينة روح هفا
لها وجه كوجه الانسان فاشاره الى الروح او الى الملايكة ولهذا روي كان روحا من الله
عز وجل يتكلم عند وقوع الخلاف وسكينة عند القتال والله اعلم بالخفايا قوله
عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم
بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من
اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو
والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الجند يقال
للعسكر اعتبارا بالغلظة من الجند اي الارض الغليظة ثم يقال لكل مجتمع جند نحو

فه

الرواح جنود مجنده والعرف تناول الماء يقال للمعترف غرفة وللمره غرفه والعريف الما
المعرض للاعتراف وتصور منه الرفع فسمى العليه غرفه تشبيها بالمعترف وبهذا النظر
سمى منشزه وسمى الغمام مادام عرفه كانه لرطوبته معترف وجوز الطريق وسطه وجاز منه كانه
عبر الحور فكثر حتى صار الحايز لما لا يكره وعلى نحوه قيل سايغ وموسع ساغ الطعام فى الحلق
وجاوز وتجاوز واستعير له هذا البنا لتصور المكان متباعدا عن الانسان تباعد الانسان
عنه ولهذا قيل سافر وتباعد والفيئه فرقه من قولهم فاءت راسه وقد تقدم ان اسما الفرق
كثيرا ما تستق من الالفاظ المقتضيه للقطع كالصرمه والقطيع والطايفه وما العوه المحمول
وتستعمل فى قوه الحيوان واكثر ما يقال فى الاثقال الحسيه واذا قيل فى غيرها فعلى التشبيه
وروى فى الخبر ان طالوت لم يكن بنى بقومه فاراد ان يمحنهم وقد كان قد سار بهم مغاره
لم يجدوا بينها فاتهموا الى نهر بين الاردن وفلسطين فامتحنهم بان قال فكيف
قال ان الله مبتليكم فنسب ذلك الى الله عز وجل قيل جوز ان يكون الله تعالى الفى ذلك
فى روعه كما القا الوحى فى روع ام موسى ويجوز ان يكون قد اخبره نبى زمانه عن الله ويجوز
انه نسبه الى الله لما قصد به وجهه وان لم يكن الله قد اخبره به كقوله ابتلانا الله بكذا
ومن تعالت ان اكثرهم لم يلتزموا له وقال بعضهم ان ذلك جعله الله مثالا لهم ومثلا مضروبا
بالدنيا واباها وان من يتناول منها قدر ما سلح به اكتفى واستغنى وسلم منها ومن خاض فى تناول
منها فوق ذلك ازداد عطشا وعلى هذا قيل الدنيا كالماء المالح من ازداد منها شربا ازداد
عطشا والى هذا اشير فى الخبر المروى ان الله عز وجل اذا ساله عبد شيئا من عروض الدنيا
اعطاه وقال له خزه وضيقه حرصا واياه عن النبى عليه الصلوه والسلم بقوله لو ان لابن ادم و
ادين من ذهب اتنى اليها ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وقوله والذين امنوا
معه يجوز ان يكون معطوفا على هو ومعه من صله آمنوا ويجوز ان يكون الذين امنوا ومعه خبره و
هو الوجه لان الظاهر فى قوله قالوا الطاقه انما ان ذلك حكايه عمن تنزيوا واليه ذهب ابن

عباس والسدى وقال لهم اهل الكفر الذين امنوا وقال الحسن وقتاده وابن زيد الذين قالوا
لا طاقة لنا بهم الموصوفون وقوله وقال الذين يظنون ظن هاهنا هو المعتبر باليقين عند اهل اللغه
وهو المعرفه الحاصله عن اماره قويه ويدل على ذلك استعمال ان المشدده لان الظن اذا اريد
به العلم استعمل معه ان المشدده او المخففه منها نحو علم ان سيكون منكم مرضى واذا اريد الشك
استعمل معه التى تنصب المعرفتين من الفعل وقوله كم من فيه جوز ان يكون استفهاما وان
يكون خبرا وان كان معنى الاستفهام يعود الى معنى الخبر لكن متى قدر استفهاما نصب ما بعده اذا حذف
عنه من واذا قدره خبرا جر وسكن منهم بان عرفهم ان لا اعتبار بكثره العدد وقلته وانما الهم
على معرفتهم بالاعداد القليله الغالبه الكثيره وقد تقدم الكلام فى قوله فى قوله والله مع الصابرين

**ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**

البرز المكان المرتفع وبرز حصل فيه وصار عباره عن الظهور وقيل للشهود بالبرز وامراة
برزه قيل عيبه ان رفعه المراه بالحفه لان لفظ البرزة اقتضى ذلك والاكثر ان البرزه هى التى
لا تستقر والفرغ خلو المكان بانيه وخلو ذى الشغل من شغله وسمى فرغ الدلو فرغا اعتبارا بانصباب
الماء عنه وصبره فى نفسه مفرغه لعدم البدن والثبات اللزوم فى المكان وعنه استعير قول ثابت
اى صحح لا بطل وفلان ثبت المقام لمن لا يبرح موقفه فى الحرب منهزما وضرب الله عنده قد يكون
بزياده قوته وحراه والقا الرعب فى قلوب اعدايه وغير ذلك ولما عن انهم رغبوا الى الله عز وجل
فى ذلك بالقول فقط اذ القول ليس بمعتد به ما لم يعاضده فعل ولا الفعل بمعتد به ما لم يعاضده النيه والمعنى
لما برزوا لعدوا الى الله بقلوبهم واجتهادهم وبدنهم ان يرزقهم الصبر وشد القلوب والنصره على الكفره

**فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين**

الهزم دفع الشئ اليابس حتى يحطم كهزم الشن وهزم الرعد مشبه به لصوت تكسره وقيل
اصابته هازمه وهراق داهيه كاسرة كقولهم فاقره والهزام ما حرك به لحم والهبر قاربه
في الامرين الكسر والصوت والدفع صرف الشئ من مكان الى مكان او عن حاله الى حاله و
دافعت فلانا ودفعته اذا عجته وفلان مدفوع مزعج عن مكانه او سنه ووصف السيل
الكبير بالدفاع لدفع بعضه بعضا بين تعالى انه جمع لداود عليه السلام الملك والحكمة والنبوة
وهي اعظم فضيلة اذ لم يخص مجموعها الا بعض الانبياء وجعل لبعضهم النبوة دون الملك
وان لم يحل احدهم من نصرته لقوله تعالى انا لننصر رسلنا وقال لموسى عليه الصلوة والسلم
سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا وقال فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة
لقوله ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان والكتاب الاحكام
والميزان العدالة ومعنى الحكمة قد تقدم انها معرفة حقايق الاشياء وحقيقتها لله تعالى
عز وجل واذا استعمل في غيره فبلوغ ذلك لقدر طاقة البشر وهي اعم من النبوة فكل نبي
حكيم وليس كل حكيم نبيا وقوله وعلمه مما يشاء اشاره الى العلوم النبويه التي لا وصول اليها الا
بالوحي وفي قوله ولولا دفع الله الناس ينبيه على فضيلة الملك وانه اول لما استتب امر
العالم ولهذا قال الدين والملك متوامان لا يفترقان ففي ارتفاع احدهما ارتفاع
الاخر لان الدين اس والملك حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس له فضايع وعلى ذلك
قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع الاية ان قيل على اي وجه
دفع الله الناس ببعضهم قيل على وجهين احدهما دفع ظاهر والثاني دفع خفي فالظاهر كان
بالسولس الاربعه الذين هم الانبياء والملوك والحكماء والوعاظ فسلطان الانبياء على الكافه خاصهم
وعامهم ظاهرهم وباطنهم وسلطان الملوك على ظواهر الكافه دون الباطن وسلطان الحكما
على الخاصه دون العامه وسلطان الوعاظ على بواطن العوام واما الدفع الخفي فسلطان العقل
فالعقل يدفع عن كثير من القباح وهو السبب في التزام حكم السلطان الظاهر وقوله ولكن



الله ذو فضل ان قيل ما فايده ذلك بعد قوله انا ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون قيل بين في الاول فضله على الناس بما خصهم به من الفضايل
الانسانيه ومن هاهنا نعمته على جميع العالمين الحيوانات والنباتات والجمادات
فان العالمين يتناول كل ذلك والى نحوه اشار بقوله وان من شئ الا يسبح بحمده قوله عز وجل
**تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين**
ان قيل ما فايده قوله وانك لمن المرسلين في هذا الموضع وهل خفي ذلك عليه حتى نذكره به وما
تعلق ذلك بما قبله قيل يجوز ان يكون تقديره وانك لمن المرسلين بها لكن لفظها الجمع
او يجوز ان يكون الايه معترضتين محروفتي السكته على تقدير اذا كان حال المرسلين واممهم ما تلوه
عليك وانت مرسل الى قومك كما ارسل المرسلون الى قومهم فلا عجب ان يحزك من قومك
محزك امرهم من قومهم والاشاره بذلك الى معنى قوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت
به فوادك وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ان قيل ما فايده اقتران الارادة بالحق
قيل قوله بالحق في موضع الحال كانه قال وهو الحق وعلى محل عندك قوله وب احق بالحق هو
**قوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم**
**من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم**
**البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل**
**الذين من بعدهم من بعد ما جاتتهم البينات ولكن اختلفوا**
**فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا**
**ولكن الله يفعل ما يريد** ان قيل على اي وجه تفضيل بعضهم على بعض
التخصيص بعضهم بمنحه كقولك فضلت فلانا في العطا او بالحلم والقول كقولك فضلت
زيدا على عمرو في العلم قيل بالامرين جميعا فان الله تعالى جعل لمن اشتمل للنبوة فضايل خصه
بها ابتداء وفضايل هداه اليها لتسببها فاختصهم به ان جعل كل واحد في نفسه واخلاقه معرى

من عاهه شبيبه وامده بانواع كرامات وزياده معاون بشرح صدره وحدد عليه في كل صابا تشدده وعاينه في اذى ذلة ظهر منه فهذا التفضيل الذي جعله ابتدا واما تفضله لهم بالحكم فعلى حسب ما يظهر من افعالهم فمعلوم انه ليس حظ يونس عليه الصلوه والسلم حيث حذر نبينا عليه الصلوة والسلم ان يكون مثله في الصبر بقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم كحظ الذين حثه على الاقتدا بهم في قوله واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والتفضل يحصل بالامرين وللتفاضل بينهم قال عليه الصلوه والسلم فضلت على الانبيا بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وختم بي النبيون وارسلت الى الناس كافة ولما كانت هذه الاشيا موهبيه لا مكتسبة قال عليه الصلوة والسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر تنبيها ان الفخر لا يستحق الا بالمكسوب دون الموهوب وبحو هذه الايه في تفضيل بعض الانبيا على بعض قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا وهذا الحكم في الملايكه بقوله الله يصطفي من الملايكه رسلا ومن الناس وقوله ورفع بعضهم درجات قيل اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل ولم لم يصرح بذكره او بوصفه كما فعل بموسى وعيسى قيل تقدم ان مورد كلام الله تعالى مورد خطاب الناس فيما بينهم ولما كان المستحسن في بعض المواضع ان يذكر الممدوح المخاطب تعريضا فيكون ابلغ من التصريح لما جرت من عادتهم ان مدح المواجهه هجاو الثاني الوجه قبيح وتاره لان المطراق يدعوا الى الخجله وتاره لكون الممدوح بذلك المدح مستغنيا عن ذكره كما قال الشاعر

واي دري تبالك جاهدا وقد علمت اضعاف ذاك الخلايق
لكن قال ان الثلج ابيض باردوان شهاب النار احمر حارق
وهذا وهذا بيان كلاهما لمن هو راك ولمن هو ذايق

وروح القدس اشاره الى ما خص به عيسى مما كان يحيى به الموتى ملكا او قوه او اسما من اسمايه او علما



وقد فسر بكل ذلك وسمي جبرايل عليه السلم روح القدس والروح الامين في قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وفي قوله قل نزله روح القدس من ربك ان قيل على اي وجه قال ولو شا الله ما اقتتل الذين من بعدهم وكيف قال ولكن اختلفوا ولفظه لكن يقتضي الاستدراك ها هنا قيل ذكر تعالى انه لو شا ان لا يفعلوا الفعل ولكن اراد ذلك لانهم اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر فكانت الحكمه تقتضي ان يومر المومنون بقتال الكافرين في قوله ولكن اختلفوا احرف على سبيل الاختصار تقديره لكن شا فانهم اختلفوا او الاختلاف كان لسبب لتلك المشيه فان قيل وما معنى تكرير ولو شا الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد قيل اما الاول فلانه امرهم بالاقتتال لانهم اختلفوا وفي الثاني ذكر انه لو شا لم يكن منهم اقتتال على وجه لا بعده ولا قبله اما لانه لم يكن يعطيهم القوه او يميتهم قبل القتال او كان منهم مرض اوسبب من الاسباب ويجوز ان يريد بالاقتتال الاول الاختلاف المودي الى الاقتتال على طريقه ما يقال بين القوم اقتتال لاي اختلاف يودي الى ذلك والمعنى لو شا الله ما اختلفوا وكانوا امة واحدة كقوله ولو شا الله لجعلكم امة واحدة وقوله ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة الايه وبالاقتتال الثاني حصول المحاربه بينهم ان قيل ما الفرق بين المشيه والاراده قيل اكثر المتكلمين لم يفرقوا بينهما وان كانتا في اصل اللغه بوفي الحقيقه مختلفتين وذلك ان المشيه اصلها من شي والشي اسم للموجود والمشيه فصدرك اتخاذ الشي ثم تعالى شا الله كذا اي اوجده بعد ان لم يكن موجودا وقال بعضهم الشي والشاء من اصل واحد وقلب الفعل واستدل على ذلك بقولهم اشيا وتاخير الهمزه فيه وان كان اكثر اهل التصريف ينكرون ذلك لكونها غير مصروفه ويقولون كان فعلا كطرفا فقلب فصار على افعا ومن اعتبر هذا الاعتبار بين الواو والياء اعتبارا عيانيا فكل واحد منهما يعرض الانقلاب الى الاخرى على حسب ما يقتضي خفة اللفظ وثقله او التفريق بين معنيين واما الاراده فمصدر ارادة اي الطلب واصله ان يتحرك الى مفعولين

لكن اقتصر على احدهما في التعارف وفي الاصل لا تقال الا ان تطلب من لصح منه الطلب
كالعلم والطلب فان يوصف منه هذا الاعتبار في التعارف وصار لطلب الشيء والعلم بانه بينتفي
ان يفعل او يراد فعل واذا استحال في الله فهو للعلم دون الطلب اذ هو تعالى منزه عن الوصف
بذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل
ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم
الظالمون قد تقدم الكلام في معنى البيع والشراء وان كل واحد منهما يوضع موضع
الاخر ومبالغة الاول ايه من ذلك والبيعة نحو انها سميت بذلك نظرا الى نحو معنى
قوله ان الله اشترى من المومنين الايه كانه الحالة التي يبيع الانسان نفسه منها من الله
وسمي المكان الذي يحصل ذلك فيه بها والخلة ابواح الشمس يقال خاللته اي اصبت
خلله فاستعير منه الخليل اما لتخلل كل واحد منهما قلب الاخر كما قيل الحبيب لوصول
كل واحد منهما الى حبة قلب الاخر قال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

او لانه تخلل احوال الاخر وعرف سرايره ولهذا قيل اطلعته على عجري وبجري
عرفان في البطن وبهذا النظر قال الشاعر

لا يكتمن ذاك الطبيب ولا الصديق سرك المكتوما

او لاعتبار افتقار كل واحد منهما الى الاخر بهذا النظر قيل الصديق للانسان ضروري
وقوله والحمد لله لا يتخذ الله ولدا على الاعتبار الاخير وهو افتقاره الى الله عز وجل في كل
حال كما اخبر عن موسى بقوله رب اني لما انزلت الي من خير فقير وبهذا الفقر اشرف عن
بل اشرف فضيلة يكتسبها الانسان ولهذا قال عليه الصلوة والسلام اللهم اغنني بالافتقار اليك
ولا تفقرني بالاستغناء عنك حث الله تعالى المومنين على ما رزقهم من النعم النفسية والبدنية
والخارجة وان كان الاظهر في التعارف انفاق المال لكن قد يراد به بذل النفس



والبدن في مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات كما تقدم في قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا ولملكات الدنيا دار اكتساب وابتلاء والاخرة دار ثواب وجزاء بين
ان لا سبيل للانسان الى تحصيل ما ينفع به في الاخرة ابتداء وذكر هذه الثلثة لانها اسباب
اكتساب المنافع المقصود اليها احدها المعاوضة واعظمها المبايعة والثاني ما يناله بالمودة
وهو المسمى بالصلات والهدايا والثالث ما يصل اليه بمعاونة الغير وذلك هو الشفاعة فبين
تعالى ان لم يكتسب في الدنيا ما ينتفع به في الاخرة لم يحصل له ذلك في الاخرة وعلى هذا
قال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
وقوله من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا احتمال وفي الاية قول اخر وهو ان
للناس في عباد الله تعالى على بلغة اضرب سابق حصل له منزلة الخلة والمحبة المقصود
اليها بنحو قوله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وغيره من الايات التي تجري
مجراها وهو الذي يعبد الله لا رغبة ولا رهبة ولا طلب مثوبة ومقتصد حصل له منزلة
المبالغة المذكورة في قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم في قول النبي صلى الله عليه وسلم
الناس غاد فبائع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها وهو الذي يعبد الله خوف عقاب
او رجا ثواب وظالم لنفسه وهو المومن المصر في استفاك المنزلتين المقتدمتين
المتواكل في عمله وعمله المذكور في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم وهو المستحق للشفاعة المذكورة في قوله شفاعتي لاهل الكبائر من امتي
فبين تعالى ان من لم يحصل له احدى هذه المنازل الثلاث فلا سبيل له الى اكتسابها
في الاخرة وقوله والكافرون هم الظالمون لملكات العدالة بالقول المحال للشاعدالة
بين الانسان ونفسه وعدالة بينه وبين الناس وعدالة بينه وبين الله تعالى لذلك
كان الظلم بالله في مقابلتها واعظم العدالة ما بين الانسان وبين الله وهو الايمان واعظم
الظلم ما في مقابلته وهو الكفر فلذلك قال والكافرون هم الظالمون لهم المستحقون

لاطلاق هذا الوصف عليهم بلا مشوبه ان قيل كيف تعلق قوله والكافرون هم الظالمون
بما قبله قيل لما نفى ان يكون للكفار شئ مما ذكره فى الجزئين ان ذلك ليس بظلم منه لهم
لكن هم الظالمون انهم الذين خسروا انفسهم ان قيل كيف نظم هذه الجمله مع التى قبلها
قيل لما بين فى الاولى ان منهم من امن ومنهم من كفر خوف المومنين ان يحزنوا اما
يخشى منه اضطراب الكفر وهو ترك النفاق على ما تقدم قوله عز وجل
الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى
السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع
كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظهما وهو العلى
العظيم قد تقدم انواع الحيوة وان اشرفها الحيوة الابديه فى الاخره واذا وصف
البارئ عز وجل بها فمعناه الدائم الذى لا يزول ولا يزال ولا يصح عليه الموت بوجه والتجدد
بدل الحيوه فاذا قيل حاك الله فمعناه حولك الحيوة وكذا اذا قيل حاك فان غير ان
الاول اعطا بالفعل والثانى بالقول وكذلك التسليم اعطا السلامه على احد الوجهين
والقيوم فيعول وقيام فيفال وكذلك قاوه ما لان الواو والياا اذا اجتمعا والاول
ساكنه قلب الواو ياا وعلى ذلك ديار ولو كان فعالا لقيل قوام ودوار لقال قام كما ان
دام وقام بكذا الى حفظه والقيوم فى وصفه تعالى هو الدائم الحافظ للعالم جواهره واعراضه
والقصد بمعناه الى قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومن قال القيوم
الشئ العالم به فصحيح ايضا لان حفظ الشئ يقتضى المعرفه به ولهذا قيل للمعرفه الحفظ
ولضدها النسيان واصل النسيان الترك والاخذ يعبر به عن الاستيلا على الشئ
والقهر يقال اخذه الحمى وفلان ماخوذ ومقهور والسنة عبارة عن الفتور والغفلة والنوم
يفسر على اوجه كلها صحيح الاول انه استرخا اعصاب الدماغ برطوبات الابخار الصاعده



اليه وذلك بالنظر الطبى والثانى ان يتوفى الله النفس من غير موت وهو الذى
قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقيل ترك الروح استعمال
الحواس من خارج اعما لها وسبيل بعض الحكما عن الفرق بين النوم والموت فقال الموت
نوم ثقيل والنوم موت خفيف ولما كان النوم يقتضى السكون قيل لمن تسكن الى انسان
او شئ استنام اليه والى مقتضاه اشار بشار بقوله
اذا اقتطتك حروب العدى فنبه لها عمرا ثم نم
وما بين ايديهم قيل الماضى وما خلفهم المستقبل وقيل على العكس من ذلك وسبب الخلاف
لاختلاف تصورما اعتبر به الخلف والقدام ولهذا يقال خلفت كذا لما فقدته وخلفى كذا
لما تفعله بعد وعلى ذلك قيل ورا لهما الخلف والقدام وقيل ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم
الاخره وقيل بالعكس من ذلك وقيل ما بين ايديهم المحسوس وما خلفهم المعقول وقيل ما بين
ايديهم المحسوس والمعقول وما خلفهم الغيوب التى لا سبيل للانسان الى معرفتها والكرسى
فى تعارف العامه اسم لما يقعد عليه وهو فى الاصل منسوب الى الكرس اى الملبد والكراسه
للمكرسه من الاوراق والكروس للمتراكب بعض اجزاء اسه على بعض للبن والكرياس الكنيف
المكرس بالقشاء الى السطح وروى عن ابن عباس ان الكرسى العلم وليس ذلك ببعيد من
حيث الاشتقاق نسبه الى الاوراق التى تثبت فيها العلوم كقولك كراسى وقيل
كرسيه اصل ملكه وكراسى القوم معتمدهم واشتقاقهم من سمن الوجوه وعصبة كراسى
بالاحداث حسن ثوب وقيل كرسيه مملكته وقيل اسم الفلك المحيط بالافلاك ويشهد
لذلك ما روى ابو ذر عن النبى عليه الصلوة واللم قال ما السموات السبع فى جنب الكرسى
الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة وقال عليه الصلوة واللم الكرسى لو لوة طولها لا يعلمها العالمون واعظم من سبع سموات
وسبع ارضين وهو من بحر الجوهر وعن ابن عباس ان رجلا اتاه ضاله فلم يرد عن هذه

الاية وعن قوله الله الذي خلق سبع سموات فلم يرد عليه شيا فلما خف عنه الناس
قال له الرجل ما منعك ان تجيبني فقال وما يؤمنك ان اخبرتك ان تكفر سما تحت
ارض وارض فوق سما مطويات بعضها فوق بعض يدور الامر بينهن والخبر الاول يدل
ان جوهر الكرسي والسما اشرف مما عرفناه والخبر الاخير يدل على ان الفلك كروي وما روي
ان الكرسي موضع القدمين وان له اطيطا كاطيط الرحل الجديد فصحيح ومعناه لا يخفى على من عرف
الله عز وجل وعرف الاجرام السماوية ومجازات اللغة ونظر من المعنى الى اللفظ لا من اللفظ
الى المعنى ومن لم يعرف ذلك فحقه ان يسلم اللفظ للرواية دون تكذيب الاية ويترك الخوض
فيما لا يعلم اتباعا لقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وليس في اثبات الكرسي
له اثبات كونه جسما محدودا كما انه ليس في اثبات البيت له اثبات كونه ساكنه وليس في
نسبة القدم اليه اثبات جارحة كما انه ليس في قوله عليه الصلوة السلام في وصف اوليا الله
عز وجل يكون سمعه الذي يسمع به وعينه التي يبصر بها ويده التي يبطش بها اثبات جارحة
ولا يؤوده لا يثقله اصله من الاود العوج ولما جرت العادة ان تحمل الثقل يعوج في الامر استعير له
كذا الثقل وقوله لا اله الا هو معناه الله هو الذي يحق له العبادة لا غير وقيل الله الذي
وهبت الاشيا كلها له وذاك انه ما من انسان مومن وكافر بل ما من حيوان الا واذا ابته
نايبة شديدة اعتمد عليه وولِهَ اليه ولهذا قيل الله محبوب الاشيا كلها اما طبعها واما
قصدها وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم تاكيد لما اقتضاه الحي القيوم تنبيها انه وان شارك الاحيا
في الاسم فقد فارقها في الحقيقة اذ كان سائر الاحيا لا ينفك من غفلة ونوم ان قيل كيف
خص بكله ما في السموات والارض وذلك يوهم ان ليس له السموات والارض قيل لم يرد
بقوله في السموات والارض معنى الشي في الوعا وفي المكان وانما يريد ما تركب منه السموات
والارض من الجواهر والصور والاعراض والصنع فصار ذلك من وجه ابلغ من قوله له السموات
والارض اذ قد يحصل للمالك ما ليس بمصنوع على انا لو نظرنا من حيث نظر مسلم لم يكن تقتضي
ذلك ما ذكر لانه لما قصد تعالى تعريفنا قدرته ذكر لنا ما امكننا ادراكه لنستدل به على



ما لا نعرفه والاحاطة بالسموات والارض لا سبيل لنا اليها وقد تقدم انما حقيقة الشفاعة
وذكر مستحقيه وان ذلك لمن كان منه تقصير في العلم والعمل غير انه لم يخرج عن خطة
الشريعة وعن الايتمام لرسل الله وخلفائهم من اهل العلم في الاعتقاد الوصول وكونه طاجا
وابهجا وهم الذين اذن تعالى في الشفاعة لهم وعناهم بقوله ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وقوله ولا يحيطون بشي من علمه نفى تعالى عنا الاحاطة بشي من علمه وكيف يمكن لنا
ذلك وقد علم ان المحيط بالشي عالما كما قال عز وجل قد احاط بكل شي علما ومن المحال ان يكون
المحيط بكل شي يحيط به شي وقوله من علمه على وجهين احدهما ما يعلمه هو ويكون العلم مضافا
الى الفاعل والثاني ان علمه الخلق فيكون مضافا الى المفعول به اي لا يحيطون اي بعلومه تعالى
منها ان معرفته على الحقيقة متعذرة بل لا سبيل اليها وانما غايتها ان يعرف الموجودات
فيتحقق ان ليس الها ولا شيا منها ولا شبيها بها بل هو سبب وجود جميعها وانه يصح
ارتفاع كل ما عداه مع بقائه تعالى وبهذا النظر قال ابو بكر رضي الله عنه سبحان من لم يجعل
لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته وقال بعض الحكما غاية معرفة الله ان تعلم
انه يعرفك لا انك تعرفه ولهذا قيل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وقال امير المومنين
تجلى لعباده في القران من غير ان يروه واراهم نفسه من غير ان تجلى لهم وقوله الا بما شا الا ما شا
ان يطلعهم عليه من القليل الذي قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ثم اكد ما نبه عليه بقوله
ولا يحيطون بشي من علمه بقوله وسع كرسيه السموات والارض لين اذا كان علمه و
مملكته وقدرته محيطة بهذه الاشيا والانسان بعض هذه الاشيا فكيف يصح احاطته بمن هو
محيط بهذه الاشيا وهو يعجز عن الاحاطة بها والعلي هو القاهر فوق عباده وقيل العلي
عن النظير وقيل العادل على حفظه وقيل التام به وكل ذلك راجع الى التنبيه على قدرته و
سلطانه وان ما عداه مستحقر بالاضافة اليه ٭ قوله عز وجل لا اكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد

استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم

الغي كالجهل الا ان الجهل يقال اعتبارا بالاعتقاد والغي اعتبارا بالفعال ولهذا قال
الجهل بالعلم والغي بالرشد وقال لمن اصاب رشد ولمن اخطأ غوى وعلى هذا قال
ومن يعص لا يعدم على الغي لائما والطاغوت وزنه فعلوت نحو جبروت
واصله طعووت لكن قلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة ثم قلب الواو الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها ويسمى كل ما يصرف عن الله عز وجل طاغوتا وشيطانا كان او انسانا ولهذا روي عن
عمر ومجاهد وقتادة انه الشيطان وعن ابن جبير انه الكاهن وعن ابي العالية انه الساحر وعن
غيرهم انه صنم وقيل هو المارد من الناس والجن وكلهم صاروت للانسان عن طريق الحق وقد
تقدم ان النهي عن اتباع الطاغوت والشيطان وابليس والهوى والدنيا بحرف محرك
واحد وان المقصد به النهي عما لا يرضاه الله وقوله فمن يكفر بالطاغوت كقوله وامات
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وعلى ذلك حث بقوله ولا تتبع الهوى فيضلك
وقوله ان الذين تعبدون الشيطان والكره تقال على ضربين احدهما ان يكون بمقهور من خارج وذلك
على احد الوجوه الثلثة اما بان يهدد بالضرب او يضرب حتى يفعل والما ان يوجد منه مفعل
بها فيكون في هذا كالاله واما ان يدعوه من يزينه في عينه والثاني ما يكون بمقهور من داخل
وذلك اما لخوف يستشعره واما لهوى يغلبه وقد دعي كل ذلك في تفسير الآية فقيل
فيه اوجه الاول ان ذلك حث على ان لا يحمل الانسان على الدين بالقسر بل يعرض عليه
الاسلام عرضا ويعرف فضيلته فان قبل والا ترك قيل وهذا حكم كان في ابتداء الاسلام
ثم نسخ بسورة براءة وذلك عن السدي وابن زيد والثاني نحو ذلك عن انه خص من قتل
منهم الجزية دون مشركي العرب وذلك عن الحسن وقتادة والضحاك وعلى هذين معناه
امن والثالث ان قوله لا اكراه لا اعتبار بالاكراه في الاحكام الاخروية فالمكره على الاسلام
وغير المكره سيان بعد ان يلزما والرابع لا حكم للكفر من اكره على الكفر والدين يكون



غير الحق على هذا نحو الرجل من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الخامس لا اعتداد في الاخرة بما يفعل
الانسان في الدنيا من الطاعة كرها وكرها فان الله يعتبر السرائر ويراعي ما في الضمائر والخلائص ولهذا
قال عليه الصلوة والسلم الاعمال بالنيات وقال لتخلص بقليل العمل من العمل الكثير
ليس يحمل الانسان على امر مكروه في الحقيقة ما كلفهم الله بل يحملون على نعم العبد ولهذا قال
عليه الصلوة واللم عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل السابع ان الله تعالى
ليس بمكره على الحقيقة بل يفعل ما يشاء من يشاء على ما يشاء والاستمساك طلبك الى الغير للمسك
كالاستحفاظ والاستنصار والعروة الوثقى مستعارة للعهد المركون اليه كالحبل في نحو
اخذت حبل من حبال حمر امتنع به من طارق الحدثان ونحو قولهم اذا عقدوا
عقد الجار لم سدوا الصباح وسدوا فوقه الكرا فقول من قال للعروة الوثقى الاسلام وقول
من قال لا اله الا الله وقول من قال الثواب الجنة فطرات منهم الى مدرك الدين ومنتهاه
وكله صحيح قوله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

الولي كون الشيء بحيث يلي الاخر ويعتبر ذلك تارة بالمكان فيقال له الوالي وتارة بالنصر
فيقال له الولاء والموالاة لكن الولاء على ضربين باعتبار نسبة الاعلى الى الاسفل وحث
باعتبار نسبة الاسفل الى الاعلى ولهذا يقال الحاكم والمخدوم مولى وولي لان كل
واحد منهما يوالي الاخر الخادم بالطاعة والنصيحة والمخدوم بالاشفاق والكفاية وقال
اصل اللفظة المولى المالك والمملوك والمعتق والمعتق والناصر والمنصور وابن العم والحليف
والجار والقسم واخذ في كل ذلك المتضايفين لكون كل واحد منهما موالي للاخر بوجه والنور
عبارة عن العلم والايمان والظلمة عن ضدهما ووجه ذلك انه لما كان للانسان قوتان بتظاهر
يبصر ويدرك بها البصر الحاس في الراس والبصيرة في القلب فكما ان البصر لا يستغني في ادراك

ما يدرك من المعقولات عن نور هذه ونور التوفيق والايمان ويقال لفقد البصر عمى
ولفقد النور من ظلمه واعظمهما ضررا فقد البصيرة ونور العقل ولهذا قال تعالى فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فلم يعرف فقد البصر عمى بالاضافة الى فقد
البصيرة وقوله خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وقوله وجعل لكم نورا تمشون
به وقوله من يحلكم من ظلمات البر والبحر يعنى بذلك كلا النورين والظلمتين ان قيل وهل
هذا النور موهبة او مكتسب قيل لا شك فى كونه موهبة لقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور لكن فيه للاكتساب حظ فان ابتدا ما حصل ذلك للانسان كثيره متى لم ينزع عنه
واذا دوعيت زادت كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى ثم قال ان الله عز وجل يوالى
المومنين بان يوفقهم ويهديهم ويمنحهم بوالونه بان يشكروه ويعبدوه كما قال تعالى يحبهم ويحبونه
فيخرجهم من الجهل والكفر الى العلم والايمان والثواب والكافرون يواليهم الشيطان
فى اخراجهم الى اضداد ذلك ان قيل لم قال اولياءهم وما يفعل بهم الطاغوت موبا لمعاداة
اشبه منه بالموالاة قيل لعمرى ان ذلك غايه المعاداه وتسميته بالموالاة اولى لمقابلة اللفظ
وثانيا لحرمهم ما نفع بوفاقه وتسليمهم الى حزبه فجعله موالهم فى اللفظ لا فى الحقيقة الا ترى انه
قال الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فسماه عدوا وقال على
حد جعله اولياءهم جعلهم حزبه فى قوله اولئك حزب الشيطان وقال للمومنين انما وليكم الله
ورسوله ان قيل فكيف قال هاهنا اولياءهم الطاغوت وقال فى اخر ذلك بان الله مولى
الذين امنوا وان الكافرين لا مولى قيل ان من وليه الشيطان فلا ولى له ولا فرق بين
ان تقال وليه من بصره وبين ان يقال لا ولى له وقول من قال الله ولى المومنين توفيقه
وعصمته ومن قال اقامه البرهان لهم ومن قال نصرتهم على عدوهم واظهار دينهم على دين
مخالفهم ومن قال ثوابهم فكله صحيح ومراد لان ذلك متلازم وانما اختلفت العبارات
عليهم لحسب النظرات وخذ ذلك فى استعمال النور والظلمة فى العلم والجهل والايمان والكفر

قوله ولقد ارسلنا موسى بايتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ان قيل كيف قال اخرجهم
من النور الى الظلمات وقد قلت النور العلم والايمان والكفار لم يكونوا فى هذا النور والاخراج
عن الشئ بعد الكون فيه قيل ان الله تعالى خلق الانسان على فطره وركز فيه العلم والايمان
بالقوه وهو المعنى بقوله فطره الله وصبغة الله وقول النبى عليه الصلوه واللم كل مولود يولد على
الفطره والانسان منا اهل نفسه وامدها بالهوى والتدليس بالجهالات فقد اخرج من
النور الى الظلمه وقال الحسن اخراجه اياهم منعهم من الدخول فيه كقوله لما آمنوا كشفنا
عنهم فجعل صيانتهم عن العذاب كشفا عنهم وروى عن مجاهد ان ذلك فى قوم ارتدوا عن
الاسلام وقيل ان ذلك نزل فى قوم كفروا بعيسى ثم امنوا بمحمد عليهما الصلوة واللم فاخرجهم الله
من الظلمات الى النور وقوم آمنوا بعيسى عليه الصلوه واللم ثم كفروا بمحمد عليه الصلوة واللم
فاخرجهم الطاغوت من النور الى الظلمه ان قيل لم قال يخرجونهم بلفظ الجمع قيل قد قال
بعضهم الطاغوت يقع على الواحد والجمع كالفلك ووجه ذلك من حيث المعنى ان الطاغوت
اشارة الى الخطرات من الشيطان والهوى وسايرما يضل وقد قال بعض الحكما ما هو
كالتفسير لذلك انه متى غلب العقل والهوى شاما اعنى هوى ملجما وملذا قبيحا يادر الملك
الى نصره العقل فينصر من حزبه والشيطان الى نصره الهوى فينصر من حزبه وان استشار صلحا
من عباد الله اشار عليه بمقتضى العقل وان استشار شريرا اشار عليه بمقتضى الهوى
ولذلك قال تعالى وجعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
وقوله ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ان قيل كيف نظم هذه الايه
مع ما قبلها قيل لما قرر عظمته بالاية المتقدمه بين فى هذه ان ادراك له هذه العظمه هو ولى
المومنين تشريفا لهم وتعظيما لمكانهم وان الشيطان مولى الكافرين تذليلا لهم فقد قالت العرب
اشرف الموالى اشرفهم سيدا واكرم السافلين اكرمهم مسودا وعلى هذا قال الشاعر

بصحة الزيادة حيث لا يزدك باشتغف المزدود ولا يحب الزور

قوله عز وجل الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه ان آتاه الله الملك
اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال
ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين الحاجة المقاومة فى
اظهار الحجة اى محجة الرشد والشمس اشتق عنها شمس فلان اذا نفر تشبيها بالشمس الذى
لا يمكن ان ينبض عليها وعلى ذلك قوله

كالشمس ضوءها قريب ولكن فى تناولها بعد

وقيل شمس اذا عاداك وذاك ان حقيقة المعاداة تنافر طبع المتعادين بعضها من بعض
من عداه اذا تجاوزه والسمة فى العلاه تشبيها فى الحس والهيئة والبهت ان يفعل
بالانسان ما يحيره وسمى الكذب المستقبل به الانسان بهتانا لتحير صاحبه فيه والذى
حاج ابرهيم فى ربه قيل كان نمرود بن كنعان وكان قد ملك الدنيا ويقال انه ما ملكها الا اربعة
مومنان سليمان وذو القرنين وكافران نمرود وشداد ان قيل ما الذى ادعى هذا الكافر
ادعى نفى الخالق ام ادعى لنفسه الربوبية ام الامرين فان ادعى الربوبية فعلى اى وجه
ادعى ومعدان نرعم من وجد لعدان ان لم يكن انه موجد الخلايق قيل قد ذكر المحصلون
فى ذلك وجهين احدهما ان هذا الكافر لما نمرود وكان الناس حينيذ يعظمون ملكهم حتى
كانوا يسمونه الرب والاله ولهذا قيل الله رب الارباب واله الالهة وكانوا ادعون
له افعال الالهية تقصر قدر البشر عنها وقد حكى القرين عن ملوكهم شيا كثيرا من ذلك كما ادعوا
لكيخسرو انه الجاه عدوله الى سفح جبل فحملته الملايكة وان شابور لما حارب النبين فاظلم
عليه الدنيا انزل عليه نار فصارت على عرف فرسه فاستضا بها حتى قتل النبين
وكان نمرود لما طغى سام الناس ان يعبدوه عبادتهم لله اذ يقولون عمهم سايسهم وملكهم ودامهم



والاهم فهذا احد الوجهين والثانى انه كان مذهب مذهب من يقول بالحلول ان البارى
تعالى عن ذلك يحل فى اشخاص الالهية حسب ما ادعى بعض المتصوفة وبعض المتشيعة الملحدة وكان
نمرود يدعى الربوبية على احد هذين الوجهين لا انه منكر رب العزة ان قيل ان الذى حاج ابرهيم فان
المحكى عنه ليس باكثر من ادعى ابرهيم ابرهيم دعوى فعارضه بمثلها فاسقل الى دعوى اخرى وان
كان ما ذكره ابرهيم ثانيا حجة فهلا كان يعكس عليه ويقول فليات ربك بشمس من المغرب فان
الاتى بها من المشرق حتى كان يلزمه قيل قد يعلم ان ما حكاه الله عن الامم لا يكاد يستوفى القصة
من اولها الى اخرها بل يورد نكتة وتبين اليها اشارة ونحو لم يستوف ذكر ما حاجه به كاله وقد تقدم
ان نمرود لم يدع انه شخص ومنشى وموجد السموات والارض وانما كان ذلك على احد الوجهين
المتقدم ذكرهما وكان قد ادعى ان كل ما يعود لحل تحت قدرته فهو او مثله او قريب منه داخل
تحت قدرتى فقال ابرهيم الذى يحيى ويميت فقال انا احيى واميت ولما عنى ابرهيم انه يخرج
الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وقال نمرود انا احيى واميت فاخرج رجلين من
الحبس فخلى احدهما وقتل الاخر فقال هذا احياها وامانتها وقد كان ابرهيم يمكنه ان يزيد ان
الذى ادعاه لربه ليس من الجنس الذى ادعيته لكن عدل الى فعل ليس فى طوق البشر ما هو
ولا قريب منه ولا ما يشاركه اسما فقال قد ثبت باتفاقنا ان الله يحرك الشمس من المشرق
تحركا ان تحركها من المغرب فلم يجد شيا يدعيه كما ادعى فى الاحيا والامانة فبهت حينيذ
وظهر عجزه اذ لم يكن من جنس اطلاع الشمس واغرابها شى يمكن للملوك كما ادعى
الاحيا والامانة ولم يمكنه ان يعكس ذلك فقد كان اقر بالبارى ولما كان يدعى انه يفعل
فعله ان قيل ان العدول من حجة الى حجة بعده اهل الجدل انقطاعا فما وجه ما فعل
ابرهيم قيل اما اولا فما ذكره ابرهيم كان معارضة وذاك ان الكافر ادعى انه فى وسعه ان
يفعل كل جنس من الفعل يفعله البارى عز وجل وذلك ادعا حكم موجب كلى والكلى
ينقض بالجزوى نحو ان يقال كل انسان كاتب فمتى وجد انسان غير كاتب فقد بطل

كذبه والتعارض اذا اراد المناقضة ان ينتقل عن مثال خفي الى مثال جلي ولا يكون ذلك
منه انتقالا وهذا باب قد احكمه اهل الجدل على ان ذلك لو كان ابتدا حجة لم يكن الا
على شرط اهل النظر بل مذموم فالحجج المعدول عنها ضربان حجة يذكرها ثم يتركها لظهور فساد
ذلك لما لا تقتضيه اهل النظر وحجة يذكرها فيقصر فهم سامعها عن ادراكها او يلتزم شناعة
فيها فيعدل عنها الى ما هو اوضح اذ كان بغيته الحق وازالة الشبهة وهذا ليس بمذموم
وقوله ان اتاه الله الملك قال بعضهم اراد ابرهيم لان الله تعالى لا يؤتي الملك الكفرة
لان ذلك مفسدة تنزه الله تعالى عنها واكثر المفسرين على انه لنمرود وذاك ان السلطان
من الاعراض الدنيوية كالمال والجاه والاولاد وذلك مما يؤتي المؤمن والكافر امتحانا واختبارا
ان قيل ليس قلت ان الملك اسم لما فيه العدالة فكيف يصح ان يقال ذلك لما يتولاه
الكافر قيل ان الملك الحقيقي الذي يحوز للانسان المسمى به هو ذاك لكن الناس يستعملونه
فيمن يتسلط على الناس على اي وجه كان وتسمية الله تعالى اياه بذلك انما هو
على زعمه وزعم اتباعه كقوله ذق انك انت العزيز الكريم فسماه عزا لا حقيقة لكن على
ما كان يتسمى به ان قيل كيف قال والله لا يهدي القوم الظالمين والظالم اولى بان يهدى
قيل قد يعلم انواع الهداية واحوالها وانه قد يراعى في اطلاقها مبدؤها تارة فيستعمل في
الجميع الذي يكلهم الاهتدا وعلى ذلك قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
ومرة يعتبر منتهاها الذي هو الاهتدا فيقال هدى الله المؤمنين وعلى هذا قوله فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقوله لا يهدي القوم الظالمين ليس بنفي
منه هدايته لهم واذا لم يقبلوا منه لم يعطهم واذا لم يعطهم فهو لم يهدهم وايضا فالظلم هاهنا
مناف للهداية فانه جحود الا الله والمشاع من قبولها والهداية تقتضي تحري العدالة
فاذا الهداية والظلم كالمتضادين لا يجتمعان ان قيل لم افرد النور وجمع الظلمة قيل لما كان
النور عبارة عن الحق والحق من حيث ما هو حق شي واحد لا يتنافى ولا يتناقض والباطل



من حيث ما هو باطل يتضاد ويتعاند فصار فيه كثرة ولهذا اشبه الحق بالمقرطس من المرمى فانه
واحد والخطا ما عداه وهو كثير بلا نهاية فلذلك افرد النور وجمع الظلمة قوله عز وجل
او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى
يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال
كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك
ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها
ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
الخوا خلو الوعا يقال خوت الدار خوا وخوت النجم واخوى اذا لم يكن منه عند سقوطه
مطر تشبيها بذلك والخوت ابلغ من خوى كما ان اسقى ابلغ من سقى وخوى جوف فلان
خوى والتخوية ترك ما بين الشيئين خاليا والعرش المرتفع من البنا ويقال ذلك للسقف
السطح وسمى السرير به تشبيها وعبر به عن امر الانسان فقيل استوى عرشه وثل عرشه والعرش
شاذ لك وبه شبهه تعرش الكرم وسمى المعرش منه عرشا وقيل عرش الحمار اذا رفع راسه وجعله
كعرش وعرشان الفرس شعر عرفه تشبيها بعرش الكرم والعام مدة لعوم الشمس في افلاكها
المختصة بها وذلك اعتبار بنحو ما قال عز وجل كل في فلك يسبحون والاعتبار اختيار
الشي واصله ان سير الانسان كسابح فيه يتناول ما يريد ولهذا قال الشاعر
وكن في نجاة سابحا والحمار سمي للونه اعتبارا بما جنسه لان الوحشيات منها وكثيرا
من الانسان حمر فسمي بذلك كما سمي العجم حمرا والعرب سودا والكرث الكريم كذلك وحمار
السرج والحمارة لجحر عظيم تشبيها بالحمار في الهيئة والحمرة طائر احمر اللون وحمارة القيظ اشده لكونه
حرا تشبيها بالجمر المتوقد لونا والنشر من نشر الثوب ونشر الريح العرف وتارة يتعدى
نشر ومصدره النشر كقوله نشرا بين يدي رحمته وتارة لا يتعدى ومصدره النشور

كقوله عز وجل واليه النشور ويقال انشره كانه جعل له نشرا كقولك اسقاه جعل له سقيا
ونشر الخشب تشبيها بذلك لجعل اجزاء الخشبة منشورة واذا قرئت ننشزها فمعناه
نرفعها من النشز الى المرتفع من الارض ومنه نشوز المراة ان تطمح ببصرها الى غيره وترفعه له
عن زوجها كقول الفرزدق اذا لبست عند الامام كانما نرقيه من ساعة ويستحلها
وكقول الاخر اذا الليل عن نشز تجلى رمينه بامثال ابصار النساء الفوارك
قوله لم يتسنه اي لم تغيره مرور السنين عليها وذلك من لغة من جعل الحروف من
السنة اصلية لها سنيهة وسانهة وقيل هو من تسنن والهاء للاستراحة وعلى هذا يجب ان
تحذف اذا وصل الكلام كذا على قول من قال المسنون المتغير ويقال تسنى واصله تسنن
فعلت تخفيفا كقولك تظنيت وتقضيت وتسريت ان قيل ما الذي شبه بالذي
مر على قرية وعلى ما ذا اعطف قيل قد قال بعضهم ان ذلك متعلق بما بعده وهو قوله واذ قال
ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى كالذي مر على قرية وذلك بعيد لفصل واذ بينهما
وقيل الكاف زايدة وليس بشيء والوجه ان الكاف ها هنا ليس للتشبيه المجرد بل
هو للتجريد والتحقيق كما هو في قولك الاسم كزيد وعمرو وعلى انه وان جعل للتشبيه فعلى
سبيل المثل والمشبه غير مذكور كما انه غير مذكور في قولهم كاليوم احدها حديثها والحال
ان يكون الاية من كلام ابرهيم معطوف على ما تقدم وهو انه لما قال الكافر فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قال له بعد او كالذي مر على قرية
اي ان كنت تحيي فاحي كما احيى الله من وصفه في هذه الاية ويحتمل ان يكون اية
مستانفة وضرب الله مثلين لسببين احدهما في ادعا الربوبية وهو ما تقدم والثاني
في انكار البعث وهو هذه ويكون قوله كالذي في موضع الجر على ما تقدم كانه قال
الم تر الى الذي حاج او مثل الذي مر على قرية فان قيل فهل في تخصيص القصة الثانية
بحرف التشبيه واخلاء الاولى منه فايدة قيل بلى فان ادعاء الربوبية اما قل في الناس



حتى انه لم يعهد ذلك الا من نفس او نفسين قال الم تر الى الذي والتشكيك في الاجسام
الجم الغفير فنبه بقوله او كالذي مر منبها انه اقل الى الشي والى امثاله وجعل ذلك مثالا لمن
هي نحوه كقولك للكافر كهلان فما تي بواحد على سبيل المثال ولما ذكر تعالى اخراجه المومنين
من الظلمات الى النور جعل اعتبار ذلك بهذين كانه قال اعتبر بحديث ابرهيم والاخراج
له من ظلمة الكفر الى الايمان بما جعلت له من الحجج وان شيت فمن اخرجته من شبهة البعث
بما جعلت له من العيان والذي مر على القرية قيل كان عزيرا عن قتادة والربيع وقيل كان ارميا
عن وهب وروي انه مات ضحى وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام وقيل له كم لبثت قال
لبثت يوما فلما نظر الى الشمس قال او بعض يوم وقيل ان الله تعالى بعث عينيه فنظر فيهما ثم بعظامه
فانشرها ثم وصل بعضها ببعض فنظر الى حماره واجزاؤه تجي من سهل وجبل حتى اجتمعت
فاتصل بعضها ببعض وكسي لحما وجرى فيه الروح فقام ينهق فقال اعلم لما عرفت
بقدرة الله تعظيما له ومن قال اعلم فقد قيل هو من قول الله عز وجل له وقيل هو من قوله
وقد خاطب به نفسه على طريق التبكيت وقال بعض الناس يعزوه الى بعض الالهية لكن
الاشارة بالاحيا والاماتة الى العلم والجهل ومعنى القرية الرجال بدلالة قوله وكاين من قرية
عتت عن امر ربها وقوله وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وقوله واسأل القرية وجعل الخوى
خلوهم عن العلم والايمان وكذلك الاماتة والاحيا افادته العلم والايمان نحو قوله استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا فكان
قد راى قوما متناهين في البعد عن العلم والايمان فاستبعد رجوعهم الى الحق فقال انى
يحيي هذه الله اي ان يفيدهم الايمان فاماته الله مائة عام ثم احياه واعلمه ان الذي يقدر
على احيا الرمم عن الموت الحيواني لقادر على احيا النفس الميتة بالجهل قوله تعالى

واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن

اليك ثم اجعل على جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك
سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم الاطمئنان السكون والطمأنينة
سكنا وبان لفظا ومعنى من وكان مطمئن قبل ويدل على ذلك انه قال في مكان اخر
عجبتن والمخبت المطمئن من الجبث لي المطمئن من الارض وطاير وطير لغوا راكب وركب
ومن طاير واي تفرقوا استعاره وفج مستطير وغبار مستطار وخولف بين بنائهما لاختلاف
الصورتين في كون الفج فاعلا والغبار مفعولا وفرس مطار ونبال يقال للسريع ويقال
لحديد الفؤاد كانه اطير قلبه كقولهم شهم ومرو وقوله وكل انسان الزمناه طايره لي عامله من
افعاله وصوته اصوره لي املته وصرته قطعته صوره صوره وقيل صرت وصرت
لغتان والصور سمي اعتبارا بالقطع كالتطبيع والصرمة والصور النخل الصغار اما لانقطاعها
عن الحوف الكبار او كانها مقطوعة من نفسها والصور قيل سمي لان فيه صور الناس
كلها وقيل بل لغة الصوريين وذكر ابو بكر النقاش المفسر انه روي فصرهن
بضم الصاد وتشديد الراء وفتحها من الصري الشد ومنه الصرة وقال قد قرئ فصرهن بكسر
الصاد وفتح الراء وتشديدها من الصرير من الصوت اي صحهن ودوك ان ابرهيم مر على
ساحل البحر بسباع والطيور والحيتان يتودع لحمها فعظم فسال الله تعالى
احياء مثله فامره تعالى ان ياخذ اربعة طيور فيقطعها فخلطها لحومها ودمها و
سدرها على جبال حراجزا ثم يدعوها ففعل ذلك فاجتمع كلها فنفس ابرهيم ما اعتراه
فيه الشبهة وقال بعضهم امره ان ياخذ اربعة طيور فضغهن على اربعة جبال ومعنى
لجزء احد منهن ثم يدعوها فتجتمع لديه فاشار الى انه داجتمع هذه الطيور لديك كذلك
يجتمع من الحواب الاربع الاموات قال ولو كان فصرهن قطعهن لما قال اليك لان
ذلك لا يعرف بالدان قيل ان قيل لم لما ساله ابرهيم اراه ذلك على اقرب
الوجوه لما ساله عزا اماته مايه عام حتى تفرق اوصاله وعرف عظامه قيل قد ذكر



بعض الصوفية ان ابرهيم كان خليلا فجاز له ان ينبسط لما سلف له من قدم صدق فلما ساله
ذلك اعطاه سوله في الوقت على اقرب الوجوه ولم يكن العرز من الخلة ما جوز له هذا الانبساط
قلما اقدام ابلاه الله تعالى في نفسه واراه ذلك في ذاته وزان ابرهيم تضرع وسال وقال ادنى
وعيز اخرج الكلام مخرج المنكر المتعجب من قدره الله عز وجل وقال اني يحيي ويحيي ما بين
اللفظين من الضراعة والغلظة ولهذا ختم اية عز بقوله اعلم ان الله على كل شيء قدير وابتدا ابرهيم
بقوله واعلم ان الله عزيز حكيم وقال الراهم بفهموا عن الله حج الرسل ان عيسى كان يحيي الموتى
باذن الله ويبريء الاكمه ليثبت بذلك رسالته وخلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيها
فكون طيرا باذن الله وابرهيم كان يطلب ان يرى تكوان عيسى يديه قومه قال وفي هذا
دليل ان الله عز وجل منع بعض الرسل من الايات ما اعطاه الله بعضا ان قيل ان كان
ابرهيم في هذه الحال شاكا في البعث فلم لما قيل له اولم تومن قال بلى والشاك في الشيء
لا يجوز ان يكون موسنا به وان كان موقنا فلا معنى لقوله ولكن ليطمئن قلبي فلا اضطراب
للطلب مع اليقين فاذا هذا قول متناقض قيل ان ابرهيم كان موقنا بالبعث انه كاين
لا استدراك او راو للوحي ثانيا وانما التمس عاينة التفسير وهو العيان الذي ينقطع عنده
الخواطر كلها فالخاطر ضربان خاطر في ثبوت الشيء ونفيه وخاطر في كيفية ثبوته والاول زوال
بالخبر والثاني بزوال الى العيان وهذا هو سال ابرهيم وقيل اليقين بالله اغرب علم
اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما وصل الينا على السنة رسول الله وعين
اليقين ما وصل الينا بانوار هدايته وحق اليقين ما اجتمع فيه الامران وبه يزول عوارض
الخواطر عن جملته وتفاصيله وقيل ان ابرهيم كان ذلك بان قومه ساله وذلك
كما قيل في سوال موسى حيث قال ارني انظر اليك وقيل ان نمرود كان ممن يعتقد المحسوس
ولما قال له ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال له ارايت ذلك لحاستك فعدل الى غيره
من الحج اذ لم يكن يمكنه ان يدعي عيان ذلك ثم سال الله بعد ليريه ليمكنه ان يخبره و

وقيل ان ابرهم احب ان يريه الله احياء نفسه معراه من اصل والزهاد والخشوع والحرص
فبين الله ان ذلك راسبيل اليه ما دله الانسان في هذا العالم ومخلوق خلقه الكليف وامر
ان ياخذ اربعة من الطير شرا اشاره الى طول الامل وطاوسا اشاره الى زينه الدنيا وغرابا اشاره
الى الخشع النفسي وديكا الى الحرص فقال قطعهن وزعهن على جبال ثم ادعهن فقد عادت
اليك واساره الى ان هذه القوى وان اجتهدت في افنائها فلا سبيل الى ان انتها ما دامت في دار
الدنيا وقيل ان ابرهم لما شاهد الهاله والاشكال البرية وراى قوما في نهايه الجهاله والكفر استعظم
رجوعهم الى الحق فقال ارني كيف تحيي الموتى اي ترشدا الضلال الذين هم كالموتى واراد
كيف احيي ولكن نسب الفعل الى الله عز وجل على طريقه ما تقدم ان اولياء الله عز وجل
يحبون في افعالهم رضى الله ويرون افعالهم فعله ولهذا قال عليه الصلوه والسلم فيما رواه عنه
عز وجل حتى اكون عينه التي يبصر بها ولان الافعال المحمودة للعباد كلها منسوبه الى الله
من حيث انه سبب احادها ولهذا قال انتم تزرعونه ام نحن الزارعون فعلى هذا
اوفق معنى كيف تحيي الموتى اي كيف حال والامر تنبي به وتشتي منه فقال لبلى ولم تؤمن لي اولم
تحقق انك ستهدي لذلك فقال بلى ولكن اريد ان اسكن اليه في ان تجاب دعوتك
فقال خذ اربعه من الطير اشاره الى قلع هذه القوى من نفسك وسوسه ذلك كل موكل ان
الفؤاد كالجبل فليس يصرفه ذلك والله اعلم بالصواب ان قيل ما معنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية نحن احق بالشك من ابرهيم قوله عز وجل مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
النبت لماله لغوي في اصل الخلقة يقال نبت الصبي والشعر والسن وفلان حسن النبته
ويستعمل النبات فيما له ساق وما ليس له ساق وان كان في العارف قد خص بالاساق
له وانبت الغلام اذا راهق كانه صار ذا نبته وفلان في منبت خير كنايه عن الاصل و



السنبله فعله من السبل يقال اسبل الزرع وسنبل ومن اصله السبيل وقد تقدم ان
سبيل الله ليس يقتصر على الجهاد بل يدخل كل ما يتوصل به الى الله عز وجل والمايه عدد معروف
يقال اماءت الدراهم والفت واماينها والفتها ان قيل كيف تعلق هذه الاية بما قبلها قيل
ان ذلك متعلق بقوله من ذا الذي يقرض الله وما بينه وبين هذه الاية اعتراضات مرغبة
للانسان في فرضه من حث على قناعه بما ابر الجود وذكر عظم المستقرض وارشاد لمن يستقرض
منهم ومن في هذه ان فرضه هو الانفاق في سبيله وان مضاعفته هو ان يجعل للواحد سبع مايه
وانه يضاعف مع ذلك لمن يشا مضاعفه لا يضبط عددها ولا يعرف حدها ان قيل كيف
قال في موضع يضاعف وفي موضع من جا بالحسنه فله عشر امثالها وقال هاهنا مايه فما
انه يحاذي بواحد سبع مايه قيل في ذلك طريقان احدهما ان الخيرات تختلف باختلاف
العاملين واخلاف نياتهم والثاني ان تختلف باختلاف الاعمال فالاول هو ان الناس
منهم من يتحرونه من افعال الخير بالقول الجميل ثلثه اضرب على ما قصد تعالى من ظالم ومقتصد و
سابق اما الظالم فالمحرك للخير مخافه سلطان ومذمة انسان وخوف عالم اياه من النار
ونحو ذلك واما المقتصد فالمتحرك للخير مخافه عقاب الله ورجا ثوابه من حيث ما وتحقق وعده
ووعيده واما السابق فالمحرك للخير قصدا لوجه الله خالصا وثوابهم تختلف باختلاف مقاصدهم
ولهذا قال عليه الصلوه والسلم في السابقين حاكيا عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وسواء تختلف باختلاف الاعمال وسواء ذلك ان السخا افضل
افعال العباد بدليله قول النبي صلى الله عليه وسلم السخا شجره من شجار الجنه اغصانها متدليات
في الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنه والحل سجره من اشجار النار فمن اخذ بغصن
من اغصانها اداه الى النار وقيل لبعض الحكما اي شيء من افعال العباد اشبه بفعل الله فقال
السخا وافضل الجود ما كان عن ضيق ولهذا قال الشاعر

ليس العطا من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

وقد علم ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مضيقين سيما في ابتداء الاسلام وافضل الانفاق
ما يقصد به وجه الله عز وجل وافضل ما يقصد به وجهه ما يجعل الله في سبيل الله وافضل سبيل ينفق
فيه ما كان اكثره غناء وقد علم انه لا جهاد اكبر من جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ولا قوم اكفر ممن كان
ثم ولا زمان احوج الى محاربتهم من زمانه وكل واحد من هذه الخصال يحري تحريك فعل يستحق مثوبه
محدوده فعظم الله تعالى امر الانفاق في سبيله في زمانه وجعل له من الثواب ما لم يجعل لغيره من
الاعمال ووجه ثالث وهو ان الانسان متى تحرى فعل الخير على ما يجب وكما يجب يدعوه ذلك
الى ان يزيد في فعل الخير فلا يزداد حتى ان يصير مثل ملك في الفضيله وما دام في الايمان وفعل
الخيرات يزداد ثوابه فحيث ما ذكر التضعيف فاشارة الى الحالة الاولى وحيث ما ذكر عشرة امثالها
وسبع مائة فالى الاحوال المتوسطات وحيث ما ذكر والله يضاعف لمن يشاء فالى المنتهيات
والغايات وانها لا حصر ها عدد كما قال عليه الصلوه والسلام ما لا عين رات ولا اذن سمعت قوله عز وجل
**الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا**
**ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**
المن على ضربين احدهما ما يوزن به والاكثر منا بالتخفيف والثاني قدر الشيء ووزنه
ومنه المنه فانها تستعمل على ضربين احدهما اسما للعطيه لكونها ذات قدر بالاضافة الى سائر
الافعال وذلك ما تقدم آنفا في صفه الجود وانه اشرف فضيله والثاني اسما لعد العطيه عند
معطيها واعتداده بها وهو المنهي عنه بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وبقوله عليه
الصلوه والسلام والامتنان بالمعروف فان ذلك مما يبطل الشكر ويمحق الاجر وقيل لعداد المنه من
ضعف المنه والمنه مهدمه للصنيعه وللعطيه متى استعظمها المعطي فيشكر منه ومتى استصغرها
المعطي فيذم منه فقوله الذين ينفقون يجوز ان يكون خبر ابتداء مضمر لان الذي مثل الذين كمثل
حبة منهم الذين ينفقون اموالهم ويكون قوله لهم اجرهم في موضع الحال ويجوز ان يكون الذين هذا تفسير
الذين المتقدم ويكون الذين ابتداء وما بعده خبرا وقوله ولا اذى الاظهر الاكثر انه معطوف على



قوله منا وهو اعم منه لان كل من اذى وليس كل اذى منا وقيل هو ان يظهر المسؤول تبرما بالسائل
او ان يقول اي احسن الله منك اومن ابائك بك فعلى هذا قوله لهم اجرهم استيناف وقوله لا يتبعون
ما انفقوا منا تام وقوله ولا اذى لهم كلام مستانف من صفه المعطي كانه قيل الذين ينفقون ولا
يمنون ولا يؤذون بالانفاق فان تمام فضيله المنفق في سبيل الله ان يصير سلس الطبع بالعطا
مستلذا لصرف المال الى الوجوه المحموده كما روي ان يكون الرجل محمودا حتى يكون ما ينفق في سبيل
الله احب اليه مما تركه وروى هشام بن عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعطى عطيه وهو طيب
النفس بها بورك فيها للمعطي والمعطى وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء وللخوف ولكن يلذ طعم العطاء … والبخيل ينالم ما اعطى غيره فضلا

على عطيه هو ولهذا قيل الحر يعطي واللئيم يالم استه وقوله اجرهم عند ربهم ضمن ظان يلي في يوم
احلافه وافلاسه وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ليس يراد به الخوف من الآخرة فقط
بل يريد مع ذلك الخوف الذي ابتلى به ابناء الدنيا الذين يبخلون بما في ايديهم دون في بر الله عز وجل
ويجوز ان يكون قوله لا خوف عليهم من خفت على فلان اي اشفقت عليه اي لا اشفاق عليهم لما هم
فيه من النعم ولا هم يحزنون فعلى هذا قوله اجرهم عند ربهم الى اخر الايه ذكر ما لهم من الثواب
ويجوز ان يكون الايه كلها وصفا للانفاق في سبيل الله وبيان ذلك ان حق المنفق في سبيل الله
ان يطيب به نفسه وان لا يتبعه بالمن وان لا يشفق من فقر يناله من بعد بل يثق
بما وعد الله عز وجل ولا يحزنون ان نابهم فقر من تعالى ان ما تقدم لهم ذكره من مجازاة واحد بسبع مائة
ثم لمن هذا وصفه **قول معروف ومغفره خير من صدقه يتبعها اذى**
**والله غني حليم** الغنى فقد الحاجة وذلك يختلف باختلاف احوال الناس واختلاف
نظرهم فمنهم من يرى الغنى كثرة عرض الدنيا حصل معه الحاجة او لم يحصل ومنهم من علة القناعة
واليه يوجه قوله عليه الصلوه والسلام الغنى غنى النفس ومنهم من لا يعده الا ارتفاع الحاجة وقال لا غنى
في الحقيقة في الدنيا بوجه ولاجله قيل الغنى غنى الاخرة ومنهم من قال لا غنى في الحقيقة لغير الله عز وجل

لان الدنيا وراءه الاخره وعلى هذا قال تعالى والله الغنى وانتم الفقراء والمعنى المنزل كانه موضع غنى الناس
ولكون الغنى مقتضيا فيه على مراده وعلى هذا قال الشاعر

قتم الرجال الى عنيا بارضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا

واما الغنا فللشبه على لحوظ من حال الغنا عند الارواح كما ان الطعام عند الاشباح وقال بعضهم
من مدح الغنا تمام الغنا وقصر الغنى بعضيلا اللهو وقد حصل له منفعة ليست فى شئ من اللذات
ذاك ان اللذات الحسنة اربع اكل وشرب ونكاح وغنا وكل يوصل اليه تنعم الا الغنا والمصنف
فى قوله معروف ومغفرة فمنهم من قال خطاب للسؤل ومعناه ان تبذل للسايل قولا
حسنا ويعفو له ان اذاك مراجعه والحاف حتى من ان تعطيه وتمنن عليه كقول الشاعر
ومعك للندى تحميل قول احب الى من بذل دمته

وقيل معنى المغفرة الترك اى الاقتصار على القول الحسن وترك الصدقة خير من صدقة هكذا
وقيل معناه وان سئل الله الغفران لتقصرك فى اعطايه وقيل معناه ستر الحاله عليه و
قيل قول معروف وسلامة من المعصية خير من صدقة هكذا فان هذه الصدقة
منها عصيان الله ونحو قوله تعالى قول معروف قوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها فقل لهم قولا ميسورا وقوله واما السايل فلا تنهر وقيل القول المعروف ان تحث
غيرك على اعطايه وقيل ذلك خطاب للسايل وحث له على اجمال الطلب كما قال عمر
عبد العزيز لمن ادعوا لمرء فاقسم له فاجمل فى الطلب فاراد تعالى ان يقول قولا حسنا من
تعريض بالسوال او اظهار للغنى حتى لا ضروه ويكتسب خير من مثال صدقة تتبعها اذى
كما قال الشاعر

لان ارحت عند العرف بالحلق واحرى من كثير الزاد بالعلق
خير واكرم لى من ان ترك نغم معقود لايام الناس فى عنقى

وقيل معناه ان نال ايها السايل قولا معروفا فالمسؤل ومغفرة من الله خير من صدقة هكذا



منهم فان حال قول معروف خطاب للمسؤل اى ان تنقل قولا حسنا فى رده ومغفرة خطاب
للسايل لى اعتقد رده لك وراشفل قلبك عليه ونبه بقوله والله غنى ان استقراضه
ليس لحاجه به بل لحاجه المقرض الى الثواب وبقوله حليم انه ليس حب ان يعتز المذنب بتاخير
العقوبه عن قصر فى الانفاق او فى المنه على السوال او فى سواله وليس باهله ٥ قوله عز وجل
**يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم الاية** اصل فى بابه وترب مخصص
بالتراب وعبر به عن الفقر واترب صار ذا تراب وعبر به عن المختص بالمال الكثير وكانه عبر
عن المال بالتراب كما عبر بالثرى وقول الشاعر فى مخاطبة الدلو واعتزى من ترابها الادف
تصور منه معنى ترب واترب فسر مرة بانه دعا عليها كانه قال ترت فلا اخرجن الا ترابا
ومرة بانه دعا لها والمعنى اترت فاخرجت ماكثيرا والترب للاه على بنا الفعل والقرن لى المقابل
والمقارن وكانه الواقع مع غيره فى التراب عند الولاده وقيل معنى الترب الملاعب مع غيره
بالتراب فى الصغر كقوله كما قسم الترب الصبى المقابل والترب لعظم الصدر حتى المنتشر
عظام كانها اتراب اى لدات ولهذا قيل لها التراب بلفظ الجمع والوابل الوبل بل الارض
اى باثنها بالوبل ويقال للمطر وابل ومرعى وبل للنبات اليابس الذى باثنه المطر فصير
اذا النيم وهو الذى تقال له النشر ومنه اشتق الوبال وعنه استعير اخذ اخذا وبلا ويقال
للعصا الثقيله وبيله الصلد والصلت والصلب تقارب لكن الصلد خاص فى الارض والفجر
وشبه به مال جدك فقيل ك ند صلد ورجل مصلد وصلد بخيل وقدر صلود ذات صلد ثباتا
عليها ونهى صلود لا يعرق وصفوان ابلغ من الصفات وهو كل حجر صاف من التراب
وواحده قيل صفوانه كخوسعدان وسعدانه ومرجان ومرجانه وقيل واحد وجمعه صفوان كحوران
ولعظم الله تعالى فى المنه اعاد ذلك فى معارض من الكلام فانث على بادئها او اوفضل
المنع على عطيه تتبعها المن ثانيا وصرح بالنهى عنها لما وقع الصدقه بالنهى اذ كل المنه
فيها اعظم واشنع ولكون ذلك وطيا مستشنعا قال عليه الصلوه والسلام لله لا يحبون رجل الجنه

وان ريحها لتوجد من مسيرة خمس مائة عام العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان وقوله كالذي
ينفق ماله في موضع الحال للمؤمنين لا تبطلوها مثل منفق ماله مرائيا شبههما ان انفاق المؤمن كانفاق
المرائي الكافر بالله لانه قال كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن وذلك كله لمن صلته الذي وقد
عظم المرائاة حتى جعل المرائي بفعل الخير شرا من تاركه سيما في العبادات ولهذا قال عليه الصلوة
والسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور شبهه انه كاذب بمقاله وفعاله وشبه المرائي
بصفوان وماله من تراب وانفاقه بالوابل وبين ان انفاق هذا المرائي مع كون الانفاق
في نفسه شيئا نافعا لم يفده الا زوال ترابه كما ان المطر الذي اتى على الصفوان مع كون المطر
نافعا في نفسه لم يفده الا زوال ترابه وقال تعالى في ضياع اعمال الكافر مثل الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وفي الايتين دلالة ان العبادات والاعمال
الصالحة غير مجدية ما لم يبن على الايمان ولا حجة في الايتين لمن احتج بهما على المرجئة حيث
قالت ان المعاصي لا تحبط الطاعات لانهم قالوا اذلك بشرط الايمان والله تعالى شرط
في المثلين الكفر لانه قال كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله وقال في الاخرى مثل الذين
كفروا [illegible] وقوله لا يقدرون على شيء راجع الى قوله كالذي لان المراد بالانفاق ماله
[illegible] يقدر يوم القيمة على اجتناء ثمرة ما كسبوا فان قيل كيف جاز ان يكون لا يقدرون
فعلا للذي والذي هو فعلا للواحد قيل قد يعقد ان الذي قد يشمل للجمع وانما اذا
اريد بها الجمع فقد يخبر عنه كما يخبر عن الواحد [illegible] وقوله لا يهدي
القوم الكافرين قد تقدم ان الهداية على [illegible] بالفطرة وهدايته ببعث
الرسل وهما عامان لكل مكلف وهداية [illegible] ثواب الاخرة
[illegible] تكونان للكافر فقوله [illegible]
[illegible]



تعملون بصير يقال ربوة وربوة وربوة ورباوة في ربوة وسميت الربوة رابية
كانها ربت بنفسها في مكان بسيط ويقال لكل ما زاد وعلا ربا ومنه الربوا والطل اثر
الندى والطلل الاثر الباقي مما بلي وطلت الارض اصابها طل فهي وبلت ومطرت وطل
دمه ترك اثره وعلى ذلك ما قيل ان سائلك لم يشكرها وشبه بك اقشاب نظلها ونضولها
وقيل للشحم طل ونبت لانه من النبت والنبت منهما وبالعكس من ذلك قيل للندى والمطر
شحم لانهما يولدان الشحم نبه تعالى ان المنفق ماله في سبيل الله ينبغي ان يكون قاصدا به
الوجهين اللذين لاجلهما اوجب على الناس الزكوة احدهما ابتغاء مرضاة الله وطلب التوجه
للوصول اليه المشار اليه بقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
والثاني تثبيت النفس اي رياضتها لبذل المقتنيات وبذل المعونات والتسمح لمواساة
المصالح فان النفوس ما لم ترض لم تسمح اذ هي مجبولة على الشح والبخل كما قال تعالى ان الانسان
خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وببذل الصدقة وفعل الخير
تتطهر وتتزكى ولهذا قال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فهذان الوجهان اعني
ابتغاء وجه الله وتثبيت النفس وان اختلفا لاختلاف الاعتبارين فهما واحد وحق الانسان
ان يقصد ذلك في جميع ما يفعله من العبادات فاما ان يطلب شكر مخلوق وسماعه وتطهير
وطلب نفع دنيوي وقضاء شهوة والتفاخر فليس ذلك بمرضي وبين ان مثل نفوس
المنفقين اموالهم على هذا الوجه كمثل روضة بربوة وشبه نفوسهم بالروضة وما يتم من التوفيق
والهداية من جهة الله بسبب الانفاق بما ياتي الروضة من الوابل والطل وشبه تزكية
النفوس بزكا الاكل وقال جابر الطل مثل للفرايض والوابل مثل للنوافل ومعناه ان حق
المنفق ماله ان يتحرى النوافل والفرايض فان لم يتحرهما معا لم ينفك من الفرايض بينهما الا الفرضة
بين ما لا بد منه وتخصيص الربوة لان اثر الشمس فيها اكثر ولما كان قد يسقط عن الربوة فيعرف
بانها تسقى انها لا ينفك من وابل وطل وعلى هذا قول الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بانها في حزنه وبجودة ان قيل ما وجه قوله تعالى فآتت اكلها ضعفين والضعف تقال

في عدد ما يصح ان يوجد نصفه ولم يكن ههنا ذكر عدد ولا ما يقتضي عددا قيل انه لما كان لكل

قطعة ارض قدر من الريع لا يكاد يزيد عليه ثم تعالى ان دخل هذه الجنة ضعفا ما يقتضي مثلها من من ح

الارضين ان قيل لم قال وتثبيتا من انفسهم فجمع جمع القلة قيل تنبيها ان ذلك الفعل

لا يكاد يوجد الا في قليل من الناس فصار في تخصيص الانفس اشارة الى نحو قوله عز وجل

وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي الشكور ولهذا النكتة قال تعالى وما يؤمن اكثرهم

بالله الا وهم مشركون وقال عليه الصلوة والسلام لاصحابه الشرك اخفى فيكم من دبيب النمل

على الصفا في الليلة الظلما تنبيها انه قل ما ينفك عمل من ريا وان قل وبين تعالى بقوله

الله بما تعملون بصير انه لا يخفى عليه شي من اسرار العباد قوله عز وجل ايود

احدكم ان يكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها

الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية

ضعفا فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين

الله لكم الايات لعلكم تتفكرون النخل سمي بذلك لانه

منخول الاشجار وصفوها وذاك انه اكرم ما ينبت لكونه مشبها بالحيوانات في الاحتياج

الانثى منها الى الفحل في اللقح وانه اذا قطع راسه لم يثمر بعده ولا جله قال عليه الصلوة والسلم

اكرموا عمتكم النخلة وقيل كل السما اليه عند وقوعه على الارض قطن او دقيق نحل

والعنب والعناب نظر اليهما نظرا واحدا وشورك بينهما في الحروف الاصلية مشاركتهما

في الهيئة والصبغة وزيد في لفظ العناب لزيادة جرمه على جرم العنب وهذا طريق اعتبره

في الاشتقاق وحت بقبض غرف وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر النحوت

اي ما تحت الارض وذلك اشارة الى ما قال عز وجل واذا الارض مدت والقت ما فيها

وتخلت والعصر مصدر عصرت العنب وسمي اخر النهار ومدة من الزمان عصرا كانه مدة عصرت

فجمعت وقيل للعطية عصر تشبيها بعصر الريح السحاب وسمي الملجا عصرا والاعتصار الالتجا

والمعصر سحاب ذات عصر للمطر والمراة فوق الكاعب معصر لكونها ذات عصر اي زمان

للمنع اشارة الى نحو قول الشاعر          مطيات السرور فويق عشر الى عشرين ثم قف المطايا

والاعصار اصله مصدر اعصر فسمي به الريح والاحتراق مطاوعة حرق وحرق الثوب

ان تحرقه الدق وحرق الشعر حك احدى ناتيه بالاخرى وبرش حرق كالمتقطع بالاحراق

والحرقة احتراق البدن لحرارة فيه والحراق معروف والحرقات سفن يرمى عنها بالنيران

ضرب الله مثلا لاعمال المنافق والمرائي وان لها في الدنيا نضارة وبضارة فاذا احتاج اليها وجدها

باطلة كمن له جنة هكذا اعتبرها فلما اختل حاله وكثر عياله وانقضى شبابه بقي خاليا عنها وعلى هذا

دل ما روي ان عمر رضي الله عنه قال اني لاجد في نفسي من هذه الاشيا وكان في القوم ابن عباس

فقال هذا المثل ضربه لمن يعمل عمره كله بعمل اهل الخير حتى اذا كان في اخر ايامه وفي احوج ما يكون

الى الخير ختم عمله بعمل اهل الشقا فبطل ما عمل وقيل ان ذلك مثل يبين للمالك فقط بل الصحة

والجمال وسائر الامور البدنية والخارجة والسلطان فانه ينجح به الانسان احوج ما يكون اليه فيكون

منزلة من اذا كثر عياله فسد بالصاعقة بستانه وبقي ضعيفا لا فضل فيه لعمل وسعي في تصرف

وانما ذكر انه نجح بها ولم يقل مات عنها فالنفوس مطبوعة على استعظام ذهاب المال عن

الانسان اكثر من استعظام ذهاب الانسان عن ماله والاحتفاف للاعدا ولا الحج الى الاصدقا

ان قيل كيف قال ايود وهو مستقبل ثم قال واصابه الكبر فاتى بلفظ ماض قيل قد قال الفرا

لما كان ايود يتلقى مرة بان يكون ومرة كان جاز ان يقتصر احدهما مكان الاخر لا تفاق المعنى فكانه

قيل ايود احدكم لو كان له جنة واصابه الكبر ان قيل ولم قال واصابه الكبر ولم يقل ويكبر في قوله

اصابه الكبر تنبيه على معنى التاثير والنكاية فيه كقول الشاعر

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى

مولاه عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما
اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه
الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الطيب يقال تارة
باعتبار الجاسه وباعتبار الفضل تارة والخبث في نقيضه والظاهر ان المعنى به هاهنا المعنى
الذي هو الحلال فقد روي بث اذا كان في التاجر طاب كسبه لا عيب اذا اشترى
وباع اذا باع ولا كذب وروي لا حلف وقال عليه الصلوة واللم ان اطيب ما ياكل المرء
من كسبه وان ولده من كسبه واصل التم قصد اليم لي لجه البحر ثم صار في التعارف القصد
نحو فتمموا صعيدا طيبا ويممته واممته قيل مما واخذ وقال الخليل امممته قصدته من امامه و
يممته قصدته من اي جهة كان والاغماض والتغميض غض البصر ويستعمل في الترخص
كما في اغضاء كريم تعالى فيما تقدم فضل النفقة في سبيله وحث عليها وقبح المنة ونهى عنها
وحث في هذه ان تكون النفقة من طيبات الكسب قيل من جوده بدر الدراهم وروي
انه لما امر بالصدقة جاء قوم من اهل المدينة من صدقة التمر بالحشف ومن الطعام بالزوان فانزل
الله تعالى هذه الاية وقيل الطيبات يتناول مع ذلك الحلال وحقيقة الطيب ما لا كسب
ما ليس فيه اكتساب مخطور والكتساب محجور بل ما العقل والشرع تناوله ودخل في
قوله ما كسبتم كل ما يناله الانسان بدن او اجره عمل وفي قوله مما اخرجنا انواع الحبوب والثمار
والمعادن وتخصيص المكتسب دون الموروث لان الانسان ما يكسبه اضن منه بما يورثه
فاذا الموروث معقول من فحواه ان قيل ما فايدة لكم قيل ينبه ان المقصود بالحاق هذه
الاشياء تفضا ليبلغها الى سعاة الذين كقوله خلق لكم ما في الارض وجوز ان يضمن مع ذلك
ان الزكوة فيه الزكوة مما قصد به قوام الانسان دون ما قصد به البهائم كالحشيش ونحوه
وقوله انفقوا عام في الواجب والتطوع ان قيل لم قال ولا تيمموا الخبيث منه ولم يقل ولا
تنفقوا الخبيث مع ان الانفاق اوجز قيل لان القبيح من الانسان ان يقصد الخبيث



اي الرديء من جملة ما يده فيخصه بالانفاق في سبيل الله فاما انفاق الرديء لمن ليس له
غيره ذلك او لمن يقصده خصوصا فغير مذموم قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع
عليم الفقر لغة فقد الحسنات في الاخرة وفقد القناعة في الدنيا وفقد المقتنى وفقدها
جميعا والغنى بحسبه فمن حصل له في الدنيا فقد القناعة والمقتنى فهو الفقير المطلق على
سبيل الذم وربما قال له غني بوجه وهو المشار اليه بقوله عليه الصلوة واللم كاد الفقر ان
يكون كفرا ومن فقد القناعة دون الفتنة فهو الغني بالمجاز فقير بالحقيقة ولهذا قال علي كثير
المال والانسان مفقر وقيل للضحاك اما ان غنى جمال لا ادرك غناه ولكنه كثير المال فمن
فقد الفتنة دون القناعة فانه يقال له فقير وغني وكلاهما قالا ان على طريق المدح فقد قيل
ليس الغنى بكثرة العرض وانما الغنى غنى القلب والمشهور من الفقر عند العامة الحاجة واصله كسر
الفقار ومن قولهم فقرته بخوكبدته وبطنته وبهذا النظر سمي الحاجة والداهية فاقرة نحو ظن
ان يفعل بها فاقرة والفحش والفحشاء كل منكر من المقال والفعال وان كان قد خصها بعضهم هاهنا
بالبخل كقول الشاعر

ادرك الموت بغتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

فقوله الشيطان يعدكم الفقر صل على فقر الاخرة وهو ان يحمل اليه ان يراجر ويراشور
وقيل هو ان يخوفه الفقر في اخرته ان قيل على اي وجه يتصور وعد الشيطان قيل ان
ذلك بتسليط النفس ووساوسه ولهذا قال هاهنا في الشيطان ويامركم بالفحشاء وقال
في غيرها ان النفس لامارة بالسوء لما جربا محرك واحدا قال ان لا تعبدوا الشيطان
وقال في اخرى افرايت من اتخذ الهه هواه ان قيل من حق مقابلة اللفظ في قوله الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء ان يقول والله يعدكم الغنى ويامركم بالمعروف او بالبر فليست
المغفرة مقابلة للفقر ولا الفضل للفحشاء وان كان مقابلا له فلم يذكر في الله يامركم والله

يامركم والله في الحقيقة بامر فاما الشيطان فهو المسؤل والموسوس فمن قابل الفقر بالمغفرة و
الفضل والفضل اعم من الغنى لانه يتناول وغيره فبين انه يعد بالغنى وزيادات فضل فانت
في مقابله وعد الشيطان بالمغفرة والله يغفر مع ذلك اتقياكم للشيطان وسايرالذنوب
ولما كان امر الشيطان بالفحشا انما هو لاجل وعده بالفقر ان من خاف نحل عياله والنحل سبب
ارتكاب سايرالفواحش ولهذا قال عليه الصلوة والسلم واي داء ادوى من البخل صار مستغنى ان
يذكر في مقابله وامركم بالفحشا ما ذكر من قواه ومغفرة منه وفضلا لان امر الله تعالى بالخيرات
والحسنات معلوم وانما المجهول امر الشيطان اذ كان امره يخفى على الجهال وانما يعرفه اولوا
الالباب ﴿ قوله عزوجل يوتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة
فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب
قد تقدم ان الحكمة معرفة الموجودات وفعل الخيرات بقدر طاقة البشر وداك عام فيما يدرك
بالعقل وبالوحي وان كان قد خص في بعض المواضع بما يدرك بالعقل فمن قوله ويعلمكم
الكتاب والحكمة فقول ابن عباس هاهنا علم القران ناسخه ومحكمه ومتشابهه وقول ان ان الحكمه
زيد انها علم ايامه وحكمه ومتشابهه وقول انها النبوة وقول ابوهم انها الفهم وقول غيرهم
انها الخشية كلها صحيح واشارة الى اعاضها ومن قال عنى بالخير الجنة ومن قال يدرك العلم
الظاهر والباطن فصحيح والحكيم تقال بمعنى الفاعل والمفعول فمن قوفها يعرف كل امر حكيم
اي محكم ثم بين ان حقيقة ذلك لا يتذكرها الا اولوا الالباب وقد تقدم حقيقة اللب
وماله من المزية على مقتضى لفظ العقل واليه اشير بقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب وامامن قال كل مكلف دو لب حاصل له فبعيد عن معرفه حقيقه وما تقدم
بعض عن بسط القول فيها هاهنا ﴿ قوله عزوجل وما انفقتم من نفقة او نذرتم
من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سياتكم والله بما تعملون خبير
خفي الشي صار في خفيه والخفا ما ستر به كالغطا وحفيته ان تستخفه وذلك اذا اظهرته و
واحفيته اوليته ما دون الفوادم من الريش قال الخليل لها تخفي اذا وقع الطاير قد اثنى الله
تعالى على ابدا الصدقات بقوله فنعما هي وقال ابن عباس هذا في صدقة التطوع فاما
الفرض فاظهاره افضل لئلا يتهم وقال الحسن وقتاده اخفاجميعه افضل ومن الناس من يخص
ذلك في حق الاغنيا اعطا الصدقات في الصامت والناطق الفقرا دون الامام لقوله وتؤتوها
الفقرا وقال بعضهم ليس القصد بذلك اعطاء الفقرا بيد بل القصد اخفاوه فانك
اتيت الساعي فقد اسلمهم ان يده يد في الحكم وبين ان اخفا الصدقه اجدر ان قوله خير ان

فتحت الفريضة بقوله انما الصدقات للفقراء الآية ومنهم من قال هو مخصوص في التافلة دون
الواجبة واليه ذهب ابن عمر والحسن وروى ان الحنيفة انه لما انزل الله ليس عليك هداهم
تصدق الناس على الكفار من غير الفريضة وقيل معنى بالهداية الغنى اى ليس عليك ان
تغنيهم وانما عليك مواساتهم فان الله يغني من يشاء وتسميه الغنى هداية على طريقة العرب في قولهم
رشدت واهتديت لمن ظفر وفوت لمن خاب وخسر واعلى هذا قال الشاعر

ومن يعول لا يعدم على الغي لائما ... وقيل ليس لقوله ليس عليك هداهم تعلق بالاصناف
وانما هو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيانه اي وان امرت ان تكثر ختمهم على الاصناف فليس
يرجع عليك ملامة في تقصيرهم كقوله انك لا تهدي من احببت حتى يكونوا مومنين وقوله ولا
تسال عن اصحاب الجحيم وقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ولكن الله يهدي من يشاء
كقوله ولو شاء ربك لامن في الارض وقوله فلو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله وما تنفقوا
من خير فلانفسكم اى افعل دينكم فالى سفين بن عبيدة من ان ما سفقوا من صدقة فلا تنفقوا
وقوله وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله يعني افعال دينكم تنبيها ان حكم الفرض من الصدقة خلاف حكم التطوع
فان الفرض لاهل دينكم دون الكافرين فعلى هذا معناه ما سفقونه فانه حصل لكم ثوابه سواء وصلتم
الى مومن او كافر وقوله وما سفقون الا ابتغاء وجه الله قيل معناه في موضع الحال كانه قال
ما سفقوا من خير فلانفسكم اذا لم سفقوا الا ابتغاء وجه الله اى اذا قصدتم به وجهه وقيل ذلك
جملة معطوفة على جملة ومعناه ما سفقوا من خير فلانفسكم وانتم تقصدون به قصدكم به وجهه
فقط دون عوض ان قيل ما معنى قوله وما سفقوا من خير يوف اليكم وهذا معناه لمعنى قوله
وما سفقوا من خير يوف اليكم ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول اللهم اعط منفق
خلفا وممسك تلفا ويعني به المنفق حيث ما جب وكاجب المنفق في عبارة وحسارة وقوله
وانتم لا تظلمون ومعناه يعجل لكم بالواحد سبع مايه كما ذكر في الاية المتقدمة والوجه هاهنا
قيل معناه القصد والجهد وقيل معناه القصد به الذات لان النفس معناه يقصد به ذات الله

ولما نزل

حطه في تقدير افعل فمفصله طاهر وان جعلته في تقدير فعل فالخير الخ معنى من مقتضى نعم
وما قال في الاخفا فهو خير لكم فاكره بلكم ثم قال ويكفر عنكم ولم يصف الابدا بذلك ثم قال والله
بما تعملون خبير شبهها انه ان اخفى لا يخفى عليه ولا يضل عنه ويوكد فضل اخفايه قوله عليه الصلوة
واللم سبعة يظلهم الله في ظل عرشه وذكر رجلا تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله
ما تصدقت به يمينه وقوله فنعما هي قرى بكسر النون والعين وكسر النون اتباع لكسر العين
وقرى بفتح النون وكسر العين وقرى بسكون العين وكسر النون وتشديد اللم وتخفيف
اللم ايضا والسكون يعيد لالتقا الساكنين وليس احدهما حرف مد ولين والتخفيف كذلك
لحذف لام الفعل او اللم من ما وادغامها لاسقاس وقوله ويكفر اذا جزم فوطف على موضع الفا
واذا لم يجزم فوطف على موضع الفا واذا لم يرفع فوطف على ما بعد الفا لخو من يضلل الله فلا هادي
له ويذرهم ان قيل لم قال ويكفر عنكم من سياتكم فادخل فيه من قيل قد قال بعضهم من زايدة
وقيل شبهها انه لا يكفر جميع المعاصي لانه يكفر الصغاير بشرط اجتناب الكباير عند قوم
ويكفر الكل عن المسلمين بشرط اجتناب الكفر ان شاء عند قوم ؛ قوله عز وجل **ليس
عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من
خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون** ان قيل ما وجه اتباع هذه الاية لما تقدم
قيل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه والمومنين تحرجوا من مواساة الكافرين
ومواصلة اقاربهم منهم حتى ان النبي صلى الله عليه وسلم سالته سهى فقال لا حتى لك
وان اسماء استفتت من مواساة جدها وامراته ان الانصار استعوا من الانفاق
على اصهارهم من الكفار فانزل الله تعالى ذلك وتنبيها ان ليس عليك هداهم وان تهدي الكافر
وانما عليك ان تهديهم اى تدعوهم الى الهدى على الوجه المامور به وتنبيها انه لا يجب ان تمنع
من مواساتهم لذلك ومن الناس من قال هذا كان عاما في جميع الصدقات فرضها ونفلها ثم

لم طلب خيرا ولا خوف عقاب ويراعد ذلك من الوجوه التي يقصدها اهنا آلدنيا بالانفاق
قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم
بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم العفه حبس النفس عن فضول الشهوات الرديه من المآكل والملبس والاقتصار
على البلغه التي لا بد منها المشار اليها بقوله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وبقول
النبي صلى الله عليه وسلم فمن رواه سفين لربح من حاسبه عن فضيه الحساب حاسد الجوعة وكف
العوطشه وستر العورة واكن البدن ودخل في العفة الجود لانه قد قيل الجود ضربان ان
يكون ما في يدك متبرعا به وان يكون عما في يد غيرك متورعا والزهد يقاربه الا الزهد يقال اعتبارا
بترك عرض الدنيا والعفه يقال اعتبارا بحبس النفس عن الشهوات وتلاقيهما والعفاف يقتضيه
ما في الضرع كانه قد يمكن التعفف به والاحاف استشعار المسالة والاستقصاء فيها وتارة عما
يقال لحفته اي البسته الحافا كلسوته اي البسته كساء والوسم والسيما سقاربان لكن الوسم علامة
محسوسه كسمة البعير والسيما علامة متفرسة واصلها من السوم اي طلب الكلا او طلب المبيع
وسوم الماشيه ان تطلب لها المرعى وان كان قد يستعمل في ارسالها ان قيل يتعلق قوله
للفقراء فعل مدعى ما ذكر سفين بدل من قوله لانفسكم فقد ذكر انه بعني بانفسكم اهل دينكم
فصار الفقراء بعضهم فصح ان يبدل منه بدل البعض من الكل وقيل يتعلق بقوله وما
سفقون الا ابتغاء وجه الله لي ما سفقون لهم الا تقربا الى الله عز وجل فعلوم ان من خص
سفقته هو لا فانه لم يقصد الا وجه الله وقيل ذلك يتعلق بفعل مضمر بدل عليه وما سفقوا
من خير او بقوله يوف اليكم اي يوف اليكم ويوسع لاجل الفقراء اشاره الى ما قال عليه الصلاة
والسلام انما ترزقون بضعفائكم وتمطرون وترزقون وقال بعض الناس اللام تتعلق بقوله وما
سفقوا من خير المذكور من بعد وهذا لا يصح لان ما تعلق بمعمول حرف الشرط لا يتقدم عليه وكذلك



ما تعلق بما بعد حروف العطف وقد تقدم الكلام في الحصر والاحصار وان الاحصار اعم وان الحصر يتعلق
في منع العدو والاحصار يقال فيه وفي منع الذي يكون من ذات الانسان من المرض او الهوى
او المرض او الخوف وكل احصار وليس كل احصار حصرا وانما جعل عموم الاحصار حال قتاده وابن زيد
منعوا انفسهم من التجارة خوفا من الكفار وحال السدي منعهم الكفار بالخوف وقتل منعهم المرض
وقتل حملوا على الحصر وقوله لا يستطيعون ضربا في الجاهل اي ذهابا بالمنع العدو اياهم وقيل
لمنع الله لهم والزامهم انفسهم المرابطة في سبيله ولم ينف عنهم القدره ولكن بين ان ايمانهم و
احوالهم تمنعهم عن الاخلال بما يصدد كقول امرئ الامير بكذا فلا استطيع ان افعل به
وقوله يحسبهم الجاهل اي الجاهل بحالهم وقيل ان ذلك فمن له استغنى في الظاهر وبه فقر في الباطن
او فقر الى الله لمعرفته بحقايق الامور وقوله تعرفهم بسيماهم اي تتفرس فيهم احوالهم وذلك مما يدل
على ان الفراسة حكما صادقا وعليه دل قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقوله سيماهم في
وجوههم وقوله عليه الصلوة والسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ان قيل ما وجه ذكر ما
سفقوا من خير في بيان مواضع مستحقيه وتعلق كل واحد حكم عن حكم الاخر قيل انه بين اولا ان
ما اتى به الانسان وجه الله فنفعه راجع الى نفسه وبين في الثاني انه وان لم يقصد به
وجه الله خالصا بل قصد به طلب ثواب او اتقا من نار او غير ذلك من وجوه المصالح
فله ما قصده واتم الثواب في الثالث حيث ذكر الانفاق للفقراء الذين احصروا فعال وما
سفقوا من خير فان الله به عليم اشاره الى ما قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت قوله عز وجل الذين سفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانيه فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قد تقدم ان انفاق الاموال عند بعضهم لين انفاق
المقتنيات فقط بل كل ما خص الله به الانسان من النفس والبدن في العباده والعلم والجاه
وغير ذلك لكن الاظهر انه انفاق المقتنيات وروي انه لما نزل ذلك كان مع امير المؤمنين

علي رضي الله عنه اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقيل
له في ذلك فقال اردت ان استوجب من الله ما وعد به الذين يفعلون ذلك والانفاق في
سبيل الله ضربان ضرب ظاهر وهو الصدقة على الفقراء وضرب غير ظاهر وهو الانفاق في المباحات
اذا كان متناولا من حيث يجب ومنفقا على ما يجب وكما يجب وقد تقدم ما قال بعضهم ان
مباحات المرء ليا كلها فرايض فعنى بقوله علانية ما عرفها الناس انه صدقة وبالسر ما لم تعرفه صدقة
الا اولوا البصاير والى هذا اشار من قال انها نزلت في النفقة على الخيل فان الانفاق على
الخيل في الظاهر ليس بقربة وقوله بالليل اشارة الى نحو ما روي ان بعض الانصار نزل به ضيف
وكان عنده طعام طفيف فقدمه اليه في الظلمة بالليل يوهمه انه يواكله وهو يوثره حتى
اثنى الله عليه والقصد بالنية في الجملة نفقة من لا يرائي لا يداجي وانما يقصد به مرضاة الله فقط اى جهة
قوله عز وجل الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل
الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الخبط الضرب
على غير استقامة كخبط البعير بيده والرجل الشجر بعصاه وقيل لمس الشيطان الانسان
الخبط والتخبط لكون افعال المتخبط على غير استقامة والخباط سمة على غير استواء والسلف
من الافعال المتضايفة ويراعى فيه معنى التقدم يقال اصم سالفه والسالفة من الانسان
لتقدمها على ما دونها من الاعضاء اذا اعتبر من الاعلى واسلفته في المال وسلافة الخمر صفوها
الذي يتقدم خروجه من العصير والعود الرجوع واصله من العود فعاد رجع الى عوده اي
اصله وسمي البعير المسن عودا لانه لما كان غايته سنها ذلك كانه عاد اليه وسائر ذلك ان
الغرض والغاية بالذات شي واحد لان الغاية هي بلوغ الغرض وكان غرض الانسان ما دام



ثم افناها على ما بدءها عاد لفعله الى غرضه فبناها على ما بدءها الذي كان منه وعلى هذا سمي الثوب
لكونه ثانيا الى ما كان الغرض من الغزل وبهذا النظر قال ومنكم من يرد الى ارذل العمر فسمى انتهائها
الانسان الذي هو الهرم ارذل العمر وعلى هذا قال الى الله مرجعكم سمى ذلك رجوعا لما كان
الغرض من الانسان تلك الغاية وسمي العالم عادة لكونها معادا للانسان فيما يتعاطاه او لكونها
عائدا الى الانسان ولهذا قال ان التخلق يأتي دونه الخلق وهو يقال للبرطعود ود
للمنتجر به عود كما يقال للنبيذ شراب واستعارة اسم الجنس والنوع لبعض منهما من اجل الكنايه
احد ما يجب ان يراعى في الاشتقاق والربوا الزيادة على راس المال من الربوة على ما تقدم لكن
في تعارف العرب هو لرفع دين بزيادة او لزيادة ثمن لزيادة في الاجل وصار في شريعتنا اسما
لذلك ولبيع الاجناس الستة بعضها ببعض متفاضلا ولما يجري مجراه على مقتضى العلة على
حسب اختلاف الايمة الثلثة وقال بعض الفقهاء البيع والربوا لفظان عامان نظرا منهم الى
مقتضى وقال بعضهم هما مجملان نظرا منهم الى اعتبار شرايط فيهما لم تكن العرب تعتبرها فصارت
العرب لا تعرفهما من دون المراجعة الى صاحب الشرع وكلا القولين صحيح نظرا ونظرا فانهما
عامان من وجه ومجملان من وجه ولذلك وصفهما الشافعي بالصفتين وظن كثير من اصحابه
ان قوله اختلف في ذلك وروي في تفسير الاية ان المربي يقوم من قبره يوم القيامة مجنونا
وانه في المحشر يصرع ويوطا بالارجل الى ان يحاسب الله الخلايق ثم يدخل النار وفي قراءة
ابن مسعود لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم وقيل معناه من سوى بينهما يخرج في الاخرة
من حد الابرار الى حد الذين استهواهم الشيطان وكانوا من الغاوين كما قال تعالى ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا وقيل هو تشبيه من لم يعرف بين البيع والربوا مع شدة تضادهما
وتباين ما بينهما حتى ان البيع سبب العدل والعمارة للعالم والربوا سبب الجور وخراب العالم
فمنه ان قبح الربوا امر كون في العقول بحيث ان من سوى بينه وبين البيع فقد بلغ به الجهل
الى حد الجنون وقوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى اي من انتهى بعد الوعظ فما اخذه من قبل

ملكه لا اعتراض عليه ولكن امره في الاخره الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه وقيل بل معناه
لا يوخذ به في الدنيا ولا في الاخره ومعنى امره الى الله على طريق الوعد له والسكون منه وانه مدفوع
من حزب الشيطان الى حزب الله كقوله انما وليكم الله ورسوله وكقوله الصوم لي وانا اجزي به
وقوله من عاد ولي من عاد الى خلله وقيل الى تخليله او الى فعله من غير استحلال وقوله تخبطه
الشيطان من المس ما يدل ان الشيطان تاثيرا في الانسان خلاف ما زعمت المعتزله حيث
قالوا ان لا تاثير في الانسان للشيطان الا بالوسوسة قالوا وهو ان يغلب عليه من المرة السودا
الضعف والفزع وما حدث في المجنون فمن فعل الله او من فعل ذاته وقال الجبائي لو كان
الشيطان يخبط مسه لوجب ان يخبط كل واحد فقد ثبت عداوته للصالحين ولوجب ان يسلب
الانسان ما في داره من اثاثه ومتاعه فكان يحمل متاعهم الى المسجد الخراب وقال ابو هاشم
لو قدر على ذلك لقدر على الصوت الرفيع فكان ينشي سر المومن ويصرف بينهم فتفوت بالله
التوفيق ان اول ما في قولهم هذا ابطالهم لنحو ما حكي عن ايوب مسني الشيطان بنصب وعذاب
وعن موسى هذا من عمل الشيطان ولم يكذبهما تعالى فيما قالوا وقال ان الشيطان للانسان
عدو وقال مخبرا عن الشيطان واضلنهم ولامنينهم واستثنى الله تعالى اولياه بقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان هذا مع غيره من الايات الباهره الظاهره فان قيل على اي وجه
يكون سلطانه قيل على الوجهين اللذين ذكرهما الله احدهما بالوسوسه وهو ان يلقي في روع
الانسان امرا ما يصيره داعيا له الى فعل يريده ويختاره واياه قصد بقوله تعالى من شر الوسواس
الخناس والثاني بدخوله في خيال حسه واياه عنى بقوله الذي يتخبطه الشيطان من المس
وقال عليه الصلوه واللام ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى دمه وما قالوه من ان الشيطان لو قدر
على خبط الانسان لسرق ثيابه فلجهلهم بامر الشيطان وجهة عداوته للانسان وخصايص فعله
الا ان نزيدك ان الحيات والعقارب تعادينا ولا تسرق امتعتنا وقد تقدم في ذكر السحر ان
السحره والشيطان لا يمكنهما ان يفعلا كل فعل كما ظنته المعتزله ولا ان تاثير في كل احد وانما

تقدر على افعال مخصوصه في اقوام ضعاف القلوب مختلي العقول قليلي العباد واذا اثرت
اثرت تاثيرا ضعيفا وقوى ذلك ما روي في قصه خالد بن الوليد انه لما وجهه النبي صلى الله عليه وسلم
لهدم العزى تصور له خيال كان يفزع منه غيره اذا ابصره ويدبر عنه فاقتحم خالد لقوه قلبه
وشده شكيمته في الدين فهدمه واما الخوف الشيطان الانسان فرجع قوله مخبرا عن قوم هود
ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ولو ليس الشيطان عليهم لما اقاموا على عبادة اجسام
اموات واشباح جماد وقد وصف الله سبحانه ضعف سلطان الشيطان على المومن فقال
انما النجوى من الشيطان الايه واستدلال المعتزله تاثير الشيطان انما موطوعهم تخدلهم عن حد
العامه في التزام ما يلزمهم الشريعه الاقرار به وقصورهم بسوء تصورهم وفساد طريقتهم عن ادراك
حقايق ما ورد به الشريعه حسب ما ادركه الحكما الذين وصفهم الله بقوله ومن يوت الحكمه فقد
اوتي خيرا كثيرا فضادوا في كثير من ذلك كما قالوا في المال اهلكت واحرق اتلفت فقوله عز وجل

**يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار**

اثيم المحق بقصان الشي حالا فحالا بحيث يخفى تفاصيله يقال محقه فانمحق ومنه قيل المحاق
لاخر الشهر وتربيه الصدقات في الدنيا ان يثمر مال صاحبها وذلك اما في عين النفس وبحسب
له او احد سبع مايه ثم قد يزيد زيادة بالاضعاف كما وعد وعلى هذا ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ويتقبل منها الا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربي
احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمه لتصير مثل احد قيل ما الفرق بين الربوا والبيع وكل واحد
منهما اخذ رزق على راس المال قيل الفرق بينهما ظاهر وذلك انه قد يتقدم ان الناس مفتقر
بعضهم الى بعض وان كل واحد قد يعلم بامر احوج فلو امروا ان لا ياخذ بعضهم ربحا على راس ماله
لرغبوا عن التجاره لضياع سعيهم وكان يتعذر علينا ان نحصل له في حاله واحده اشيا
محموله من اقاصي متباينه والبايع ياخذها يا خذه من غير عوض ولا سعي بل يضيق
فضلات ماله على المحتاجين من حيث لا يلحقه ضرر فصار ذلك منه اكل مال الناس

بالباطل المنهى عنه بقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وان المواساة واجبة بالشرع و
العقل فلو اباح للناس الربوا مع الشح الذى جبلوا عنه لادى الى سد باب المعروف والى ان
لا يوقى الانسان شح نفسه المذكور فى قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فانه كان
يدعوا الى ان يحل بخله يدعوه الى منع الزكوة وترك المواساة وذلك يودى به الى حرص
على تناول المال من كل وجه كالسرقه والخيانه والغصب وعلى هذا قال جعفر بن محمد انما حرم
الله الربوا ليتقارض الناس وروى عن ابى امامه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب
على باب الجنه القرض بثمنيه عشر والصدقه بعشر امثالها قال جعفر لان المستقرض لا ياتيك وهو
محتاج والصدقه دما وقعت فى يد الغنى ان قيل لم قال والله لا يحب كل كفار اثيم قلنا كل كافر
وهو تعالى لا يحبهم جميعا قيل ليتنبها على معنى لطيف وهو ان الربوا يدعوا الانسان
الى ترك الصدقه والزكوه وترك مواساه الناس والى ان ياخذ مال الغير بالباطل كما ان فعل الصدقه
يدعوا الى الاستكثار من الخير ولهذا قيل عود امرا ما اعتاد ومتى تعود الانسان فعل الشرور
صير ذلك ما نعا له عن الخيرات ومن الصدقه التى يظهر النفس تنبيه بقوله لا يحب كل كفار اثيم
ان المرتبوذ به رباه الى ان يصير كفارا اثيما وبناءان للمبالغه فاذا صار كذلك
فانه لا يكاد يتوب واذا لم يتب لم يجد الله المحبه التى وعد بها التوابين فى قوله ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين فهذا وجه تخصيص هذا المبالغه فى ذلك **قوله عز وجل**
**ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**
قد تقدم ان الايمان فى الاصل هو التصديق الا ان يكون التصديق الا عن تحقق وتحقيق
يقتضى العلم فاذا الايمان مقتض للعلم وهو وان كان فى التعارف للعلم والعمل يحسبه
ففى الاصل للاعتقاد النفسى ولهذا اقل ما جاء فى القرآن الامر فيه بالعمل الصالح وما هو كذلك
غير جبريل لما سال النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان لم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم





فى بعضه شيا من الاعمال فاذا قول من قال ليس الاعمال البدنيه من الايمان فصحيح على
وجه وقول من قال هى من الايمان فصحيح على وجه ولكن لا يفيد تعلم لاضامه العمل وما اصدق
فى ذلك قول الشاعر لا يطمع المرء ان يخاب عمته بالقول له جسر الله العمل
واتبع قوله وعملوا الصالحات باقام الصلوة وآتوا كالما غير خارجين عن عمل الصالحات تخصيصا
لها لكون احدهما اشرف العبادة البدنيه والاخرى العباده الماليه وفايده تعقيب ايه الربوا
بهذه الايه تنبيه على منافاه ما استحق بهذه الاعمال وما استحق بتعاطى الربوا **قوله عز وجل**
**يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان**
**كنتم مومنين** امر تعالى بالاقتصار من الربوا على راس المال بقوله وذروا ما بقى
من الربوا وقتل معناه ذروا العمل به وكلاهما يصح له اللفظ فحمل عليهما وروى ان النبى صلى
الله وسلم قال فى خطبته بمكه الا ان كل ربوا كان فى الجاهليه فهو موضوع واول ربوا اضعه
ربوا العباس بن عبد المطلب وروى ان اهل الطايف صالحوا على ان لهم رباهم فى الناس
فلما اسلموا اشتبه بنو المغيره من دفع الربوا وتدافعوا فى ذلك الى عتاب بن اسيد عامل
النبى صلى الله عليه وسلم على مكه فكتب فى ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فكتب عليه
الصلوه والسلم الايه ونبه تعالى بالاية ان المرتبوذ غير متق الله فان تقواه اتقا معاصيه
من المحظورات العقليه والشرعيه وقد تقدم ان تعاطى الفعل يدعوا الى جنسه خيرا كان او شرا
فمن اتقاه فى شى مما فهو اقرب الى ان تتقيه فى غيره ان قيل كيف قال يا ايها الذين امنوا
ثم قال ان كنتم مومنين قيل سماهم مومنين لاقرارهم بالايمان ثم من بقوله ان كنتم مومنين
ان من شرط الايمان التزام احكامه فان فان كنتم مومنين فلا بد من التزام ذلك وقيل
معناه يا ايها الذين قولا التزموا ذلك ان كنتم مومنين فعلا وهذا يرجع الى الاول وقال مقاتل
معنى ان كنتم مومنين اذ كنتم مومنين ووجه قوله ان متردد فيما تحقق وقوعه وفيما
لم يتحقق واذ قال فيما كان معلوما وقوعه تبين ان ان هاهنا لم يكن لوقوع شبهة فى اتيانهم

**قوله عز وجل فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله و**
**رسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون**
**ولا تظلمون** الحرب معلوم والحرب السلب لكون ذلك واقعا فيها وسمي
بعض آلاتها الحربة والاصل في الحربة اسم الفعلة والتحرب اثارتها والمحراب قيل سمي لكونه
موضع محاربة النفس والشيطان وتسميته اشرف البقاع بالمحراب تشبيه لمحراب الصلوة
بالاضافة الى غيره من الامكنة والحرباوية سلق الشمس كانها تحاربها والحرباء المسمار تشبيها
بالدويبة في الهيئة كقولهم ضبة وكلب تشبيها بالضب والكلب ومعنى الحرب ان لم تقبلوا
امر الله ولم تنقادوا له تعدون للامر كله فانتم في حكم المحاربين قال ابن عباس يقتضي ذلك
ان المرتد يستتاب فان تاب والا قتل ولا يقتضي كفرهم فان المحاربة قد تطلق
على ما دون الكفر كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واتفق الفقهاء ان ذلك حكم المسلمين
ونبه بقوله ان تبتم ان من ترك ذلك فلا بد ان يرد اليه راس المال لا يظلمهم الناس
بان ينقصوا اصول مالهم ولا يظلمونهم بان ياخذوا زيادة على اصل مالهم وقرئ فآذنوا اي
اعلموا ذلك غيركم وذلك يقتضي معنى فاذنوا لانه لا يكون الانسان مؤذنا حتى يكون آذنا
وفي قوله ولا تظلمون ما قال عليه قوله عليه الصلوة والسلم مطل الغني ظلم وقوله لي الواجد
يحل عرضه وعقوبته فاحلال عرضه التغليظ عليه بالمطالبة وعقوبته حبسه **قوله**
**عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان**
**تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون** كان هاهنا معنى وقع اي
وان وقع معسر وقيل هي ناقصة وتقديره وان كان ذو عسرة غريما لكم فحذف
الخبر لكون المعنى مفهوما وهذا اجود فان التامة اكثر ما تعلق بها الاحداث دون
الاشخاص نحو كان الخروج كقولك اتفق الخروج ولا تقول كان زيد واتفق زيد وقيل
قراءة ابي وان كان ذا عسرة وقوله فنظرة الى ميسرة اي فعليكم انتظار وقرا الحسن فناظره



بسكون الظاء وقرئ فناظره نحو فاقرة وكاذبة واختلف هل يجب الانظار في راس مال
الربوا او في كل دين فمنهم من قال النص يقتضي ذلك في كل فانه لما حكم الربوا ثم ذكر اعسار
من عليه دين ربوا كان او غيره وهو قول ابن عباس والضحاك والحسن ويؤكد ذلك قوله
عليه الصلوة والسلم من انظر معسرا كان في ظل الله او في كنف الله يوم القيمة وقال عليه
الصلوة والسلم من شدد على امرئ في التقاضي اذا كان معسرا شدد الله عليه في قبره و
قال شريح وابرهيم وروي عن ابن عباس ان ذلك في الربوا خاصة والتصدق على
المعسر ترك راس المال عليه نحو قوله في القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله الا
ان تصدقوا واصدقوا اي تتصدقوا فادغم وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف احدى
التائين لانه الحركة عليه وقرئ ميسره بضم السين وذلك لغتان نحو مشربة ومشرُبة
وقرأ مجاهد ميسُره ولم يجوزه البصريون لعدم مفعُل في كلامهم وذكر الكوفيون الفاظا
يسيرة من ذلك كيوم روع او فعال مكرم **قوله عز وجل واتقوا يوما ترجعون**
**فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**
قال ابن عباس هي آخر آية نزلت من القران فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
ضعها في راس الثمانين والمائتين من سورة البقرة وقد تقدم الكلام في الفرق بين اتقوا
الله واتقوا ربكم واتقوا يوما ترجعون فيه وما يجري مجراه ومعنى الرجوع وليس على تصور رجوع
الى مكان بعد المفارقة كيف يكون ذلك وقد قال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وانما
ذلك رجوع اما على ما ذكرنا في العود آنفا واما على تصور خلقه ايانا المشار اليه بقوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم وعلى هذا كما بدانا اول خلق نعيده وقوله
الى الله ترجع الامور وقوله اليه يرجع الامر كله وتوفية كل نفس ما كسبت جزاؤها ان
خيرا فخير وان شرا فشر كقوله ونضع الموازين القسط الاية وقوله تعالى وهم لا يظلمون
اي لا ينقص ثوابهم ولا يزاد عقابهم **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا**

اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب
بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب
وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان
الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو
فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم
يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان
تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا
ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم
اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا
فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم

دين الرجل اخذ منه دينا وادانه جعلته دائنا وذلك بان تعطيه دنانير او دراهم
والمداينة تدافع ذلك والخس والنخس متقاربان لكن النخس ان يصيب منه على مكان كان
والخس ان يصيب عينه وعنه استعير خس حقه كقولهم عوروا حقه وتباخسوا في البيع تغابنوا
كان كل واحد يخس صاحبه عما يزنه منه ناحيتا له والسفه خفة في العقل ومنه ثياب سفيهة ولهذا
يقال سفيه الراي وسفيه اللسان ورمام سفيه على التشبيه والسآمة ملل يورث الضجر
والصغر خلاف الكبر واصله ان يستعمل في المقادير ثم يستعمل في الاحوال ومنه صغر صغرا او
صغارا اذا حقر وقوله احتمال ضم والقسط النصيب على سبيل العدالة فان قيل فاذا كان القسط
ما تقول فكيف قيل قسط اذا جار قيل معنى قسط اخذ قسط غيره وذلك عدل ضار وقسط اقسط
في التناول والمناولة كقولهم عطا واعطى ان قيل لم قال تداينتم بدين وتداينتم يغني عن الدين



قيل ليعرف احد الامرين ان التداين يقال في المجازاة فبين بلفظ الدين المراد والمقصود في هذا
الكتاب والشاهد انه لما عقب بقوله فاكتبوه ذكر لفظ الدين ليبين انه هو الذي حث على
كتبه وكتب ذلك واجب عند الرسم واليه ذهب عامة الفقهاء ومنهم من قال هو في السلم خاصة
وحقيقة اكتبوه حث على الاعتراف به بخطه فان الكتاب خليفة اللسان واللسان خليفة
القلب فلما قال فاكتبوه فقد حث على غايه ما يكون في ذلك من الاحتياط وقوله وليكتب
بينكم كاتب بالعدل قيل واجب على كل عالم على كل كاتب وقيل واجب على الكفاية كالجهاد
وهو الصحيح والكفاية من المتابعين وان كانت غير واجبة فقد يجب على الكاتب اذا اتاه
كما ان الصلوة النافلة وان لم تكن واجبة على فاعلها فقد يجب على العالم منها اذا اتاه مستفتي
وقوله كما علمه الله حث على بذل جهده في مراعاة شروطه مما قد لا يعرفه المستكتب وقوله
فليملل الذي عليه الحق اي ليقر ولولا وجوب الحكم بما يمليه لم يكن املاؤه اولى من املاء غيره
ولهذا قال وليتق الله ربه وذلك نظير قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
لما كان قولهن مقبولا وعلى هذا قوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه ان قيل لم جمع بين لفظ
الله ولفظ الرب في قوله وليتق الله ربه قيل ان لفظ الله تعالى اعتبارا بالوله اليه
او الجاء له ولفظ الرب تعالى اعتبارا بكونه تعالى مربيا لعباده ومنعما عليه وقد علم
ان الانسان يعرف الله ربا قبل ان يعرفه معبودا وذلك يعرفه لغة تتوصل الى معرفته فجمع ههنا
بين اللفظين كانه قال ليقوه معتبرين بذاته ومعتبرين بنعمه واما تقديم لفظ الله على الرب
فقد تقدم في بيان قوله الحمد لله رب العالمين وبيان مراقبة ذاته تعالى ابلغ واشرف من
اعتبار نعمه فكانه قيل ان لم تلاحظوه فلاحظوا نعمه اللازمة لكم وقوله فان كان الذي
عليه الحق سفيها اي مبذرا لقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم وقيل عني بالسفيه الناشئ الصغير
والذي لا يستطيع ان يمل هو المغلوب على عقله ومنهم من جعل السفيه والضعيف
على شيء واحد وقال اورد به مرة بعد اخرى وذلك ظاهر الفساد في اللغة وقوله وليه اي ولي احد

هو لا الملتفي ولا يجوز ان يكون ولي الحق كما قال بعضهم لان قوله لا يؤمن اذ هو مدع وقوله
بالعدل حث على تحريه لصاحب الحق والمولى عليه وقوله شهيدين من رجالكم قال بعضهم
تقتضي هذه الاضافة الايمان والحرية والبلوغ لتخصيص الرجال ويقتضي من يرضون من
الشهداء لان المقصود من الاستشهاد اقامة الشهادة واما شهادة العبيد والصبيان
وشهادة النساء في غير الاموال وشهادة الاعمى والفاسق وغير ذلك من احكام الشهادة فكتب
الفقه به اولى وقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان
وقوله فتذكر احديهما الاخرى اذا نسيت وقال سفيان بن عيينة يجعلها كذكر
في الحكم ان قيل ما وجه قوله ان تضل احديهما فتذكر وذلك يقتضي ان يكون القصد با
لاستشهاد الضلال قيل قد قال سيبويه جاز ذلك لما كان الضلال سبب الاذكار
وهو متقدم عليه صار للعلة وكان احدهما بالاخرى في حكم واحد قال ومثل ذلك من قال
اعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فادعمه قال الفراء تقديره فتذكرها ان ضلت لكن لما تقدم
ان فتح فصار متعلقا بالفعل وهذا طريق في مسائل وقرا حمزة ان تضل وروي ان تضل
من اضللت الشيء ضل واضل تقاربت نسبت والنسيت وقيل ان تضل اي تضيع
شهادتها بما لم تضامها الاخرى اشارة الى ما قال عليه الصلوة السلم اما نقصان عقلهن
فشهادة ثنتين على النصف من شهادة الرجال وقوله ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا قال
قتادة والربيع اذا ما دعوا للتحمل للشهادة وقال مجاهد لاقامتها وقيل لهما وهو الصحيح وقال
بعضهم لا يجوز ان تكون للتحمل لانه حينئذ لا يكون شاهدا وهذا سهو تصور منه لانه
قد قال ع واستشهدوا شهيدين من رجالكم فسماهما شهيدين قبل ان استشهدهما وقوله
وقوله ولا تساموا ان قليل الدين وكثيره يستحب كتابته ونبه على ذلك بقوله ذلكم اقسط
عند الله اي اعدل واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا اي ابعد من ان يقع شبهة
ثم استثنى ما كان حاضرة وصفقة الامر فيها عاجلة وما لا يكون له ثبات في كتاب



كالاعيان العقار نحو الطعام والشراب وقوله واشهدوا اذا تبايعتم قيل هو يرجع الى الاول
دون ما يكون تجارة حاضرة وقيل يرجع الى الكل ثم قال بعضهم يشهد على بيع حتى على باقة بقل
وقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قرئ بفتح الراء لا يضار وبكسرها لا يضارر وهو منقول عن ابن مسعود
ومجاهد وقيل هو نهي اي لا يمتنع الكاتب من الكتابة والشهيد من اقامة الشهادة عن الحسن
وقتادة وابن زيد او لا يؤدي الى ابطال الحقوق وقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم خطاب
للجميع على سبيل الوعيد وقوله واتقوا الله اعاد الوصية ابتداء قيل كيف قال واتقوا الله
ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وكرر لفظ الله ثلاث مرات في ثلاث ايات ولم يعدل الى الكناية
وهل ذلك في استقباح اعادة ذكر الاسم فيه نحو تكرار لفظ الله كقول الشاعر
فما للنوى جد النوى قطع النوى حتى قيل سلط الله على هذا البيت شاة ترعى منه النوى
وكقول الاخر جهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مغمد
فاسترذل البيت لاعادة لفظ السيف فيه مرارا قيل ان ذلك بعيد عن الاية فان البيت
الاول استقبح لاعادة النوى فقط بل لانه لان قوله جد النوى قطع النوى بمنزلة
واحد ولهذا الباب قانون يعرف به المستقبح من المستحسن وهو ان كل تكرير على طريق
تعظيم الامر او تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها فذلك غير مستقبح
واذا كان ذلك في جملة واحدة او في جمل في معنى واحد ولم يكن فيه التعظيم او التحقير فذلك
مستقبح وهذا ظاهر في الاية والابيات المذكورة فان قوله واتقوا الله ويعلمكم الله والله
بكل شيء عليم جمل في معان مفترقة فالاول حث على تقوى الله والثاني تذكير نعمه والثالث
تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد فقصد تعظيم كل واحد من هذه الاحكام باعادة لفظ
الله فيها فاما البيت الثاني فهو جملة واحدة بل ان قوله كجهل السيف في موضع لقوله جهل
وكذلك قوله والسيف منتضى حال لقوله الحلم السيف وعلى ذلك الاخر لا ارى الموت يسبق
الموت شيء فان قوله يسبق الموت مفعول ثان لقوله ارى والكلام كله جملة واحدة

وهذا ظاهر قوله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة
فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم الرهن حبس السلعة بحق
ثم يستعمل في غيره على طريق التشبيه والرهن اخص واستوفاه كقولهم الكحل والاغتسال اذا
استوفى ذلك وقيل رهن ورُهُن ورُهْن فرهُن نحو ثمر ورهن على التخفيف
قيل رهان كقولهم ثمار وكلاب وقال بعضهم ليس الرهان الا في المخاطرة وحكم الرهن
ثابت في الحضر والسفر عند عامة الفقهاء وبعضهم خص حكمه بالسفر عند عدم الكاتب وقرا
ابن عباس فلم تجدوا كتابا اي صحيفة ودواة وقوله فرهان اي فليدفع رهان او فليوجد
رهان واشتراط كونها مقبوضة تنبيه ان الرهن لا يثبت حكمه ما لم يكن مقبوضا لامرين
احدهما ان ذلك معطوف على الشهادة فكما ان الشرط في الشهادة معتبر كذلك هاهنا
والثاني ان حكم الرهن ماخوذ من هذه الاية وقد اجازه بهذه الصفة فيجب ان تعتبر الصفة
فيه واما حكم ما يجوز رهنه وما لا يجوز وما يصححه ويفسده فكتب الفقه اولى به وقوله فان
امن بعضكم بعضا حث من يؤتمن على حفظ الامانة كقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها وحذر عاقبه التحرير بقوله وليتق الله ربه وقوله ولا تكتموا الشهادة خطاب لمن
عليه الحق وللشاهد جميعا لان الشهادة اعلام وتعالى لا اقوله شهادة ولهذا قال
تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم وكما ان كتمان الشهادة محرم فالتمويه
سبب محرم كالتاخر عن اقامتها عن محلها في بعض الاحوال وقوله ومن يكتمها فانه
اثم قلبه اي ياثم بذلك قلبه ويجوز ان يكون معناه انما يكتم الشهادة ومن يكتم رانه
قد اثم قلبه قبل فحمله ذلك على ارتكاب المحارم واحتقاب المآثم واضافة الاثم الى
القلب مبالغة في الاثم فالقلب مقر البر والاثم ولهذا قال ومن يؤمن بالله يهد قلبه وقال
بعضهم في اية الدين صلاح للدين في الدنيا والانسان مراعاة ما ارشد الله اليه فيهما



سعي عن جحود الحق الذي هو سبب التنازع والتنازع سبب كل شر ولذلك قال تعالى
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ومن هذا الوجه منع من السعايات المجهولة وحمل الملح
وسائر الاشيا المؤدية الى المنازعة ومن هذا الوجه اوجب الاشهاد من اوجبه لان كل ما
يؤدي الى فساد يجب حسم مادته واجب قوله عز وجل لله ما في السموات وما في الارض
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شيء قدير قد تقدم ما هو جواب عن سؤال من قال لم قال لله
ما في السموات وما في الارض ولم قال خطابه يقتضي ان ليس له السموات والارض
وقال بعض الصوفية في قوله لله ما في السموات وما في الارض تنبيه انه لا يجب الاشتغال
بهما بل يجب الاشتغال بمن اوجدهما وملكهما تنبيها ان من تركهما واقبل عليه ملكه اياهما وما
هو افضل منهما واياه قصد بقوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان
قيل ما وجه نظم هذه الاية مع ما قبلها قيل انه لما فرغ من حكم الايمان والعبادة والاحكام المذكورة
في هذه السورة ختمها بالموعظة ونبه على وجوب تفويض الامر اليه ولما كانت حقيقة
العبادة متعلقة بالقلب ولهذا قال عليه الصلوة والسلم اخلص يكفك القليل من العمل وهو
احدما اراد قوله عليه الصلوة والسلم البر ما اطمأن اليه القلب وقوله وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله كقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به وقوله واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم فاحذروه ان قيل هذه الاية تقتضي ان يكون الانسان مواخذا بما
تحرك به الخواطر وقول النبي عليه الصلوة والسلم ينافيه في الظاهر ان الله تجاوز عن امتي
عما حدثت به انفسها وكذلك قوله من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشر امثالها ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه قيل قد يعلم ان اول ما
يعرض من حديث النفس الساع ثم الخاطر ثم الارادة والهم ثم العزم وان الساع والخاطر
يتجافى عنهما لكونه وصعوبته متى صار به من ذلك عمل ياخذ به وعلى هذا قال تعالى وذروا

ظاهر الاثم وباطنه ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن والنهي كان عن وسوسة الشيطان
وتصرف الانسان لدفعها وفعلها هو المجافى عنها بل هو الموعود بالاثابة على دفاعها
حيث قال عليه الصلوة واللم جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعدائكم ومتى كانت نفس واجماع من
النفس وذلك فعل منه ولذلك قال بعض الصالحين علمنا حفظ الهمة فانها اول ما
تظهر الانسان وهي مقدمة الاشياء وقال عليه الصلوة واللم ليتظر احدكم ما تحنى فانه لا يدري ما كتب
له ومن تصور هذا اجمالا علم ان قول من قال هذه الاية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الا
وجعل علة النسخ ان حدث النفس وما يجري فيها غير مقدور على صرفه فانها استعمال لفظ النسخ في
معنى التخصيص فاما انه امر بما لا يقدر عليه ثم نسخ فمحال وعلى هذا ما روي انه قيل لابن
عباس ان ابن عمر يبكي لقوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فقال ابن عباس
رحم الله ابن عمر لقد وجد المسلمون منها ما وجد حتى نزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه عني بان
هذه الاية مخصصة ومبينة للاولى ونبه بقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب على سعة قدرته وعدله
وفضله ثم من الذي يخطر له والذي لا يخطر له ويقفل من ظاهر الاية قوله عز وجل
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير ان قيل لم لم يذكر هاهنا اليوم الاخر وقد ذكره في قوله ومن
يكفر بالله وملائكته الاية قيل لعمود احدهما انه نبه عليه بذكره في غيرها والثاني ان الايمان
بكتبه ورسله مقتض للايمان باليوم الاخر اظهر عند المؤمنين من ان يحتاج الى ذكره
مفصلا الا ترى انه قال امن الرسول بما انزل اليه من ربه فاقتصر على ذلك ولم يصفه
بما وصف به المؤمنين بقوله والمؤمنون كل امن بالله نبه بها على ان ذلك بحيث
يستغني عن ذكره وهذا الجواب على قراءة من وقف على قوله من ربه والوجه ان في قوله واليك
المصير دلالة على ايمانهم باليوم الاخر وقال بعضهم انما افرد ايمان النبي صلى الله عليه وسلم فقال

والثالث انه هـ

من

امن الرسول ثم قال كل امن بالله نبه بها على شرف ايمانه عليه الصلوة واللم وانه سابق ايمانهم و
ان لا واسطة عند عليه الصلوة واللم ومن الايمان كما ان من ايمان المؤمنين ومن الايمان به
واسطة وقرأ ابن عباس وكتابه فقال وهو ابلغ لقوله وانزل معهم الكتاب والميزان ليقوم
وان الكتاب للجنس وانه ليس مع كل نبي كتاب مفرد بل في الانبياء من استعبد بكتاب الله
من بعده وقوله لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون ذلك ولم يعن انهم يقفون به
فقط بل يعتقدون ويحرون مقتضاه خلاف اليهود والنصارى حيث امنوا ببعض وكفروا
ببعض والمؤمن بالحق والحقيقة هو الذي يعرفه ومن عرفه تبعه حيث وجده فالحق من
حيثما هو حق لا يخالف بعضه بعضا وانما الباطل هو الذي يناقض ويخالف ومن هذا
الوجه قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا كانت الانبياء على
الحق فلا يعاند بعضهم بعضا اذ لا معاندة في الحق ان قيل لم قال لا نفرق بين احد
من رسله وبين يستعمل في شيئين وضاعف الكيف قال بين احد اثنا ول الجنس على طريق
الجملة والتفصيل ولذلك لا يستعمل الا في الاستفهام والنفي ونبه بذكره هاهنا انه لا يفرق
بينهم لا على طريق الجملة ولا على طريق التفصيل وقال في الكفار ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقوله وقالوا سمعنا واطعنا اي سمعنا
قولك واطعنا امرك بخلاف من قال سمعنا وعصينا وقوله غفرانك لي انزل غفرانك
او نسألك غفرانك واغفر لنا غفرانك وكل ذلك مناسب واليك المصير اعتراف
بما وعدهم بقوله واليه يرجع الامر كله وقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين القدرة والجهد والاستطاعة

قد تقدم الكلام فيها وكسبت واكتسبت قد جاءا بمعنى واحد وقال ما اخذته لنفسك
ولغيرك كسبت ولهذا قد يعدى الى مفعولين فيقال كسبت فلانا كذا واستعمل الكسبة
كذا او الكتاب لم يقال الا لما استفدته لنفسك وكل اكتساب كسب وليس كل كسب
اكتسابا ولهذا تطايرى اللغة لخوخبز وطبخ وشوى اذا فعل ذلك لنفسه او فعله لغيره ويقال
اختبز واطبخ واشوى اذا فعل ذلك لنفسه والاصل النقل واصله من اصر اذا عطفه
قيل للعهد والرحم وكل ما يوجب عليك رعايته آصار ولا آصر عاطف لمن مر به والاصار كما
يحمل فيه حشيش مثنى على السنام بين الله تعالى انه كلف عبده دون ما بنوه قدرته فان
الوسع هو القدر على الكثر من قدر المكلف وقوله لها ما كسبت قل عنى بالكسب ما عمله
من الخير وبالاكتساب ما عمله من الشر وقيل عنى بالكسب ما يفعله الانسان من فعل خير وجلب
نفع من حيث يحوز الى غيره وبالاكتساب ما يحصله لنفسه من نفع يحوز تناوله منه ما يفعله
الانسان من نفع غيره فله الثواب وليس عليه فيه الحساب وان ما يحصله لنفسه وان
كان منتاولا من حيث يحوز على الوجه الذى يحوز فعليه فيه الحساب ويدل ما ذكرناه على الفرق
بين الكسب والكتسب وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فانه عنى النسيان الذى هو الترك
* او ما يجب الذكر الذى الانسان سببه لقلة مراعاته وكذا الخطا انما اراد به ما يكون
سبب حصوله وقد تقدم الكلام فى حقيقتهما وقوله ما لا طاقة لنا به يعنى ما تثقل تحمله من الامور
الشاقة التى كلف كثيرا منها بنى اسرائيل كقتل الانفس ومال بعضهم يجوز ان نستجد نا
الله تعالى سواله ان لا يفعل ما علم انه لا يفعله ان قيل ما الفرق بين العفو والغفران
والرحمة وما وجه هذا الترتيب قيل العفو ازالة الذنب بترك عقوبته والغفران
ستر الذنوب وكشف الاحسان الذى يعطى به والرحمة افاضة الاحسان عليه والله اعلم
ان الثانى ابلغ من الاول والثالث ابلغ من الثانى وقوله انت مولانا كقوله الله ولى
الذين امنوا وقوله فانصرنا على القوم الكافرين نصره الله للمؤمنين على خمس امم من



حث الحجة وقد فعل واثنان من المداولة التى قال وتلك الايام نداولها بين الناس وهذا
منوا السؤال ان يجعل لنا عليهم دولة ولا يجعل لهم علينا دولة ووجه ثالث صو ان الله ينصر
المؤمنين كافة بحجة وعلما ومعونة وظهورا على الدين كله لكن قد يلحق المسلم غلبة من جهة كافر
صو المشار اليه بقول امير المؤمنين رضى الله عنه ان الباطل حوله ثم يضمحل فيذهب
الاستعاذة بالله ان نقنط من هذه الجملة من الكفار ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

# سورة آل عمران

## بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان الاصل فى حروف التهجى السكون
وكان حكم الميم حكم غيره لكن حركت لالتقا الساكنين وفتح استثقالا للكسرة فيه من اجل الياء
قبله ومن قال الما فتح همزة الله التى عليه حركة الميم فى ظن ان هذه الهمزة تسقط فى الدرج
الا فى قولهم يا الله والهمزة التى يلقى حركتها على ما قبلها هى الثابتة فى الوصل والوقف
نحو من ابوك اذا قلت من ابوك وروى عن عاصم وغيره سكون الميم وقطع الالف وليس
ذلك بصحيح عند النحويين لكون الالف فيه للوصل واما موضع اعراب الم فمبتدا
وخبره مضمر او خبر مبتدا وهو مضمر ودل على المحذوف منه قوله نزل عليك الكتاب
فصار كقوله الم ذلك الكتاب وقال بعضهم الم مبتدا وخبره نزل عليك الكتاب وسبب
تعالى التنزيل الى الحروف منبها انه منها وان عجزكم عن الاتيان بمثله دليل لكم انه كلام
الله دون كلام الخلق وقد تقدم ان اهل اللغة قالوا الكتاب سمى الكتب لجمع بعضها
الى بعض اى ضمها وقيل سمى المعنى الثابت كتابا تشبيها بالمكتوب وعلى هذا قوله تعالى
ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب وقال لكل موجب كتاب

وروى انه نزل ذلك في وفد نجران الذين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فخاصموا في عيسى
عليه الصلوة والسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون ان الله حي لا يموت وان عيسى
يموت وان الله لا يخفى عليه شيء وقد كان عيسى يخفى عليه اشياء وان عيسى صور في الرحم كيف
شاء الله وهو يدل على انه لا يصح ان يكون عيسى مع كونه بهذه الصفات الها فانزل الله تعالى
الى هنا قوله الله لا اله الا هو ليس بدعوى يحتاج فيها الى دلالة من خارج بل هو في نفسه دلالة
لازمة وحجة واضحة وان معنى قوله الله اي هو الذي يحق له العبادة اي الذي توله الاشياء
اليه وكان الكفار يقولون الاشياء لله عابد غير معبود ومعبود عابد ومعبود غير عابد وهو
الله تعالى فبين تعالى بهذا ان المستحق للعبادة على الاطلاق هو الذي لا اله الا هو والدليل على ذلك
بقوله الحي القيوم والحي في صفات الله معناه الذي لا يجوز عليه الموت وبه جيء كل حي واذا
استعمل في غيره فعلى معنى طول الحياة منه تعالى والقيوم هو القائم بحفظ كل شيء والمعطي له
ما به قوامه وهو المعنى المذكور في قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت والحق اعم من الصدق لان كل صدق حق وليس كل حق صدقا وتناول
الاحكام والواجبات من حقوق الله وحقوق الناس والصدق من اخبار الامم السالفة والانبياء
والحق الذي هو الجد والتوبيخ عند الكوفيين تفعل وليس في كلام العرب تفعل بوجه وانما
هو تفعل نحو تفعله وتفعلة نحو تكرمة وقيل اصله تفعلة فعدل عن الكسرة الى الفتحة وعند
البصريين بني من فعل نحو حوقل وصومعة فابدل من الواو تاء كما ابدل في توصية وتقوى
من الوقار هو والجبل افعيل من النحل والنجل مستعمل في الاصل وفي الولد ان قيل لم قال
نزل عليك الكتاب وانزل التوراة قيل قد يقال نزل وانزل بمعنى كما خص الكتاب بالنزل
لما من احدهما ان هذا الكتاب لما كان جملة موحدا والتنزيل يناسب المبالغة خص به تنبيها على هذا
المعنى وليس ذلك بحكم الكتابين قبل والثاني ان هذا الكتاب انزل شيئا فشيئا والكتاب
انزل كل واحد منهما جملة وقوله مصدقا لما بين يديه يعني الكتب المتقدمة وخص التوراة والانجيل



بالذكر وان كانا قد خلا في عموم ما بين يديه تشريفا لهما ومصدقا حال للمنزل او للمنزل
وقوله وانزل الفرقان اي انزل في كتبه ما يفرق به بين الحق والباطل في الاعتقادات والخير
والشر في الافعال نحو قوله تبيانا لكل شيء وكل كتاب لله فرقان وقيل الفرقان مخصوص بالقرآن
خاصة وتخصيصه بالذكر بعد ما تقدم بنيه على اثبات المعنيين له كقوله تعالى وبينات من
الهدى والفرقان ان قيل كيف يكون القرآن مصدقا لما بين يديه ومناسخا لاحامه له كامه
قيل يصدقه اياه بحقيقته انه من عند الله ومطابقته اياه في كونه داعيا الى التوحيد وفعل الخير
ونحو ذلك والى انواع الجملات دون قدرها وحلها وكيف اتيانها قوله عز وجل
ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز
ذو انتقام يعني بآيات الله كتابه محمد بل كل اية دالة عليه عقلية كانت ام سمعية
في كل ما له عبرة وفيه انه لا ينجيها لاحد منعه من عذاب من اراد قوله تعالى ان الله لا
يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم الصورة من صرته اي املته وهي هيئته
معقوله او محسوسة والصحيح خلافه الا ان اكثر ما يستعمل في المحسوسة ان قيل كيف قال
في موضع وصوركم على لفظ الماضي وقال هاهنا بلفظ المستقبل قيل اما اولا فلا اعتبار
بالمذكور في افعاله تعالى وانما استعمال الالفاظ فيه الدالة على المراد منه بحسب اللغات
وايضا فقوله صوركم انما هو على سبيل التقدير وان فعله تعالى في حكم ما قد فرغ منه كقوله
اتى امر الله وقوله تصور على حسب ما ظهر لنا حالا فحالا ان قيل لم قال لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء ولم يقل هو عالم بكل شيء قيل لان الوصف بانه لا يخفى عليه شيء ابلغ
من قوله يعلم في الاصل وان كان استعمال اللفظتين فيه يفيدان معنى واحدا وتخصيص
الارض والسماء لكون ذكرهما اهول بالاضافة اليهما وفيه دلالة على كل شيء وانما كرر قوله لا اله
الا هو لانه لما ذكر ما تقدم دليلا على كون عيسى محدثا وكونه تعالى مخالفا له بقوله لا اله الا هو ابرز

معبود سواه وانه العزيز في نقمته الحكيم في امره لا حاجة به الى ولد ولا صاحبة تقتضي ذلك قوله
عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا
الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر
الا اولوا الالباب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين ومنه زاغ البصر
وزاغت الشمس عن كبد السماء وزاغ قلبه وزاغ وزال وما يتقارب لكن زاغ لا يقال الا فيما كان
عن حق الى باطل والتاويل اخر الشيء وماله وقد تقدم الفرق بينه وبين التفسير والمحكم قد وصف
به القرآن على وجهين احدهما عام في جميعه نحو كتاب احكمت آياته وقوله تلك آيات الكتاب
الحكيم ويعني بذلك المتقن نحو بناء محكم وعقد محكم والثاني ما وصف به بعض الكتاب المذكور
في قوله منه آيات محكمات وهو ما لا يصعب على العالم معرفته لفظا ومعنى والمتشابه ما يحتاج العالم
في معرفته الى تكلف نظر وعكسه المتشابه والكلام في احوال المحكم والمتشابه مشكل ولا يدرك
امره الا بجملة سنكشف بها ذلك فيقال وبالله التوفيق الكلام من جهة الاحكام والتشابه على
ضربين احدهما ما يرجع الى ذات المحكم والمتشابه في نفسه والثاني ما يرجع الى امر يعرض لهما فالاول
على اربعة اضرب احدها محكم من جهة اللفظ والمعنى نحو قوله تعالى تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الثاني متشابه من جهتيهما نحو قوله فمن يرد الله ان يهديه والثالث متشابه في اللفظ محكم
في المعنى نحو قوله وجاء ربك والرابع متشابه في المعنى محكم في اللفظ نحو الساعة والملائكة
وقد يجعل هذه الاقسام ثلثة احدها محكم على الاطلاق ومتشابه على الاطلاق ومحكم من
وجه والمتشابه ضربان احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى والمتشابه من جهة اللفظ
ضربان احدهما يرجع الى مفردات الالفاظ وذلك اما من جهة غرابة اللفظ نحو الاب ونحو
يزفون واما من تشارك في اللفظ كاليد والعين والوجه الثاني يرجع الى جملة الكلام المركب



وذلك ثلثة اضرب احدها لاختصار الكلام نحو وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء والثاني لبسطه نحو ليس كمثله شيء والثالث لاغلاق نظمه نحو ولم يجعل له عوجا
قيما والمتشابه من جهة المعنى ضربان احدهما دقة المعنى كاوصاف الباري تعالى واوصاف
القيامة والثاني ترك الترتيب نحو قوله ولولا رجال مومنون ونساء مومنات الى قوله
لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا وما يرجع الى اللفظ والمعنى معا فاقسامه بحسب تركيب بعض وجوه
اللفظ مع بعض وجوه المعنى نحو غرابة اللفظ مع دقة المعنى وذلك ستة اقسام واما المتشابه
من جهة ما يعرض للفظ فخمسة اقسام احدها من جهة الكمية كالعموم والخصوص والثاني
من طريق الكيفية كالوجوب والندب والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ
والرابع من جهة المكان كالمواضع والامور التي نزلت فيها نحو قوله وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها وقوله انما النسيء زيادة في الكفر فانه يحتاج في معرفة ذلك الى معرفة عادتهم
في الجاهلية والخامس من جهة الاضافة وهي الشروط التي بها يصح الفعل او يفسد كشروط
العبادات والانكحة وهذه الجملة من المحكم والمتشابه اذا تصورت علم ان جميع ما يذكره
المفسرون لا يخرج منها نحو قول ابن عباس المتشابه نحو الم وما اشبهه وقول مجاهد المحكم ما فيه
الحلال والحرام والمتشابه ما سواه وقول قتادة المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه
المنسوخ وقول الاصم المحكمات ما حجته ظاهرة والمتشابه ما حجته غامضة وقول غيرهم المحكم
ما اجمع على تاويله والمتشابه ما اختلف فيه فكل هذه الاقوال مثالات لبعض ما انطوت
عليه هذه الجملة ثم جميع ما ذكرنا من المتشابه على ثلثة اضرب ضرب لا مرية فيه ان لا سبيل
الى المراد به ولله وهو بعض ما يعرض فيه الشبهة من جهة المعنى نحو الساعة وحقيقة دابة
وضرب لا خلاف ان للانسان سبيلا الى معرفته وذلك ما كان اشتباهه من جهة ما
يعرض له من عموم وخصوص ووجوب وندب ونحو ذلك مما تقدم ذكره وكذا ما يعرض فيه الشبهة
من جهة غرابة اللفظ وما هو متردد بين الامرين نحو ان يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم

نحو علي وابن عباس وغيرهما مما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
وهذه الجملة اذا تصورت علم ان من راى الوقف على قوله وما يعلم تاويله الا الله واستانف
ما بعده فلنظره الى الضرب الاول من المتشابه ومن ذلك وجعل قوله الراسخون عاطفين به فلنظره
الى الضرب الثاني والظاهر من الاية القول الاول وما قال بعضهم انه لو جاز ان نخاطبنا بما لا نعرفه
مراده لجاز ان يخاطبنا بكلام الزنج والروم فالجواب عنه ان كلام الروم والزنج لم نعلم منه المراد
مجملا ولا مفصلا والمتشابه نعلم منه مرادا مجملا وان لم نعلمه مفصلا ان كل اية قد فسرها المفسرون
على اوجه معلوم ان المراد لا يخرج منه ثم نعين مرادا لله تعالى منها غير معلوم وهذا طامر على انه
لم يكن يمتنع ان تكلفنا تعالى تلاوة الحرف لنعرف معناها فيثيبنا على تلاوتها كما تكلفنا افعالا
لنعرف وجه الحكمة فيها لنثيبنا عليها فالتلاوة فعل يختص باللسان ومن جعل قوله والراسخون
موطوفا جعل قوله يقولون في موضع الحال المعطوف دون المعطوف عليه كما ان في قوله
وحاربك والملك صفا صفا حال المعطوف دون المعطوف عليها ان قيل لم خص الراسخين بانهم
يقولون امنا به قيل لان معرفة ما للانسان سبيل الى معرفته ما لا سبيل له الى معرفته ويؤيد
علوم الراسخين بان الحكام يدون من ما لا سبيل عليه وما لا يمكن ان يعلم وما الذي يدرك
ان طلب ادراكه وعلى ان غايته يجب ان يقف طالب العلم واي مكان يجاوزه وهذا
اشرف منزله للحكما ولذلك قالت عايشه رضي الله عنها من رسوخ علمهم الايمان بجملته
متشابهه وان لم يعلموا تاويله ان قيل ما فايده الاتيان بالمتشابه في القران قيل فوايد جمة
منها ان بين تشريف العلما تميزهم عن غيرهم ومنها رياضه العقول في تعرفها ومنها استحقاق
الثواب بتعب الفكر فيه ومنها اظهار شرف الفكر لعلم انه لم يجعل الانسان عبثا ومنها
حث من اخبر الله عنهم انهم قالوا استعوا لهذا القران والغوا فيه على ان تدبره لانهم اذا سمعوا
ما في ظاهر التنافي تاملوه طلبا لرده فيصير ذلك سببا ان يعرفوه لمعرفتهم بامكان ذلك ولزوم الحجه
به ومنها ان يصير سببا لاعتراف الانسان بعجزه ومعرفة نقصه ومنها ان يصير الناس

وصل



شغالا للانبيا داولى الامر الذين حث على اتباعهم بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فذم لهم بانهم لزيغهم يخوضون
طلب الفتنه وقدم ذكر الفتنه منبها ان قصدهم الى ابتغاء الفتنه قبل طلب تاويله وهذا
القصد باتفاق اهل العقول كلهم مذموم فان قيل هب ان ابتاع طلب الفتنه مذموم
فكيف ذما باتفاقنا وما له قيل طلب التاويل من نفس المتشابه مذموم اذ لا سبيل الى تبينه
منه وانما طلب الحق ان يكون رده الى المحكم والى الرسول والى اولى الامر حسب ما بينه
عليه بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم الاية وعلى له حالتان احديهما ان يكون
تابعا على طريق التاكيد فالحذف منه ضمرا اكد به نحو مررت بالقوم كلهم والثاني
ان يجعله مخبرا عنه فيصح الحذف منه الجاز الحوا ناكل منها وفي قوله كل من عند ربنا
على هذا والذكر هاهنا مما لا يحاط ولم يجعل ذلك الا لصفوة الحلايق لما تقدم ان معرفته
ما يصح ان يطلب ويعلم مما لا يصح فيه ذلك اشرف منزله في العلم ثم قوله عز وجل

**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة**
**انك انت الوهاب**

الوهاب قيل معناه لا تزغ قلوبنا عن الثواب في الاخره
وقيل لا تنسبها الى الزيغ ولا تحكم عليها بذلك وقيل لا تفعل بنا من الاكرام ما يودي الى
الزيغ فان الزاعه اعطا الخيرات الدنيويه المشار اليه عن الخيرات الاخرويه المشار اليه
بقوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولهذا قال امير المومنين رضي الله
عنه من وسع عليه دنياه ولم يعلم انه مكر به فهو مخذوع عن عقله وقيل معناه لا تكلفنا امرا
شاقا كقتل النفس والخروج من الديار المذكورين في قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقيل معناه لا تمنعنا التوفيق فجعل
منع التوفيق ازاغة للقلوب من حيث انه مودٍ اليها اشاره الى ما قيل اقطع ما
يكون المجتهد اذا خذله التوفيق واياه قصد الشاعر بقوله

اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

ونحو قوله لا تزغ قلوبنا ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبى على دينك فقالت له عائشه وهل تقلب القلوب فقال ان قلوب العباد
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء والهبه تمليك الشئ غيره من غير عوض
وادن فيه لغات قيل اذن واذن بضمتين واذن بضمتين واذن بالسكون مع فتح الذال
وضمه وقيل بكسر النون وقيل لاحذف النون ولدك ونحه تعالى بقوله هب لنا ان من
حق العبد ان لا يلتفت له الى شئ من العمل وطلب العوض به بل يرى مواهب الله المفاليس
الطالبين للتفضل والهبه لا العوض وانما قال من لدنك لانه لو كان الهبه من غير هبه
عن عوض وهبه لا عن عوض تتم بقوله لدنك ان هذه الهبه اعتراف ان تتفضل بدرك ما
يدرك فى الدنيا والاخره فحو قوله وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله قوله عز وجل
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد
ان قيل كيف قال لا ريب فيه وقد وقع فيه ريب الملحدة والمعطلة حتى حكى الله
تعالى فى ابطالهم اياه ما حكى قيل قد تقدم فى مبتدا سورة البقرة الفرق بين الريب
والريبه وان الذى وقع منهم الريبه لا الريب وقوله ان الله لا يخلف الميعاد يصح ان
يكون استيناف من الله وان يكون من حكاية قولهم والحكايه عنهم والعائده فى العدول
عن الخطاب الى الخبر وتخصيص لفظ الله بذلك تنبيه ان الذى اختصصنا بعبادته
هو افعله ولم يرد بقوله ان الله لا يخلف الميعاد فى جمعنا فقط بل فى كل وعد فان
ذلك كالعلة لما قدمه كانه قيل الله لا يخلف الميعاد وقد وعدنا ان يجمعنا اليوم لا ريب فيه
فاذا امر جامعنا لا محاله ان قيل لم قال اليوم الذى فيه ولم يقل فى قيل لانه اراد بقوله جامع الناس
حافظهم ومحصيهم لذلك اليوم كما قال لقصد احصائهم وعدهم عدا وكقوله انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغنى عنهم

اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود
النار تبين ان اعراض الدنيا وان كانت نافعه فى بعض الامور الدنيا فليست مغنيه عن
الكافرين يوم القيمه كقوله ما اغنى عنى ماليه فان قيل فهل يغنى عن المسلم حتى خص الكافرين
فى هذا المكان قيل لا لانه اذا ذكر فى ذلك لحكامه كان احرى معاونه فى اصوله و
لذلك قال وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره ولا تنس نصيبك من الدنيا وقوله عنهم
لا قتضا الكلام معنى الدفع كانه قال لن تغنى ذلك دافعا عنهم وقوله اولئك هم وقود
النار كقوله وقودها الناس قوله عز وجل كداب ال فرعون والذين
من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب
الداب العاده التى عليها يدوم صاحبها وهو لخص من العاده ومنه اداب فى سيره و
لذلك قال الفراء الداب لزوم الحال التى منها وقال ابن عباس هو الصنع ولا الداب
تقتضى الصنع وقال ابو على الجبائى الداب طول الكون فى الشئ كانه كدأب ال فرعون
فى النار والذنب والجرم واحد لكن الجرم تقال اعتبارا بالاكتساب شبهها باجترام الثمره
والذنب تقال اعتبارا بما يستحق به فى آخره ماخوذ من الذنب وعلى هذا قيل له التبعه و
نحوه سميت العقوبه عقوبه وقيل سمى الذنب اعتبارا بذنوب الانسان منه اى نصيبه
ان قيل لم تعلق قوله كداب ال فرعون قيل فى ذلك لوجه الاول ان تعلق بقوله
اولئك هم وقود النار كحال متقدمى ال فرعون الثانى بقوله لن تغنى عنهم اموالهم الثالث
بقوله ان الذين كفروا تقديره ان داب الذين كفروا كداب ال فرعون ويكون لم يعن عنهم
حال الذين والرابع ان يجعل قوله كذبوا باياتنا غير داخل فى صله والذين من قبلهم متعلق
به كانه كذب ال فرعون والذين من قبلهم الخامس ان يتصل بمحذوف تقديره دابهم
فى كفرهم واستحقاق عذابهم كداب ال فرعون قوله عز وجل قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد

قال ابن عباس وقتادة وابن اسحق لما قتل من قتل يوم بدر جمع النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في
فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش فابوا وقالوا لسنا كقريش الاغمار ان حاربتنا لتعلم
انا الناس فانزل الله عز وجل الاية فقوله الذين كفروا يصلح ان يكون يعني الفريقين اليهود والمشركين
كقوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين فسر الذين كفروا في الاية في
الاستثنين بهما جميعا وقرئ سيغلبون ويغلبون اما بالياء فنحو قل للذين كفروا ان ينتهوا و
قوله قل للذين امنوا يغفروا واما بالتاء فنحو واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة وقيل عني بالذين كفروا اليهود وقوله ستغلبون للمشركين فعلى هذا لا يكون الا بالتاء
ان قيل كيف اطلق هذا الحكم وقد كان منهم من امن قيل ان الحشر الى النار متعلق بوجود
الكفر منهم واذا لم يقع الكفر لم يقع به الحكم وقوله وبئس المهاد يجوز ان يكون من جملة ما امر
ان يقال لهم ويجوز ان يكون استيناف كلام منه تعالى قوله عز وجل
قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره
من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار العبرة ما يعبر به من الجهل
الى العلم ومن الحس الى العقل واصله من عبور النهر ومنه العبارة لانها جعلت كالمعبر
لتاديه المعنى من نفس القايل الى نفس السامع وخص التعبير بتفسير الرؤيا واعتبار
الموزون بالسبح وجعل العبرة للدمعة السايلة واصله فعلة من عبر وقوله فية يجوز رفعه
على الاستيناف على تقدير منهم فية والجر على البدل والنصب على الحال ونحوه مما جوز
فيه الاوجه الثلثة قول الشاعر
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
واما جواز البدل فيما اذا كان بدل تقدر المبدل منه فاما اذا انقص فليس الا الاستيناف
نحو مررت بثلثة صريع وجريح والاية معطوفة على ما تقدم تقديره وقل لهم قد كان لكم اية وقرئ



ترونهم بالتاء على ان يكون خطابا لليهود اي ترون المشركين مثلي المسلمين في العدد
ويرون بالياء اي يرى المسلمون الكافرين مثليهم ان قيل ما وجه ذلك وقد كانوا
ثلثة امثالهم فقد روي ان المشركين كانوا تسعمائة وخمسين الى الف والمسلمين كانوا ثلثمائة
وبضعة عشر قيل في ذلك اقوال احدها ما قاله الفراء وهو ان يقول الرجل وعنده احتاج
الى مثلك اي احتاج اليك والى اخر وعلى هذا احتاج الى مثليك يكون محتاجا الى ثلث
قال فكانه قيل يرونهم ثلثة امثالهم وهذا لا يساعده اللفظ لانه لو كان كما تقول لقال يرونهم
مثليهم والثاني ما قاله ابن عباس ان الله عز وجل اري المسلمين ان المشركين هم ستمائة وكسر وقد كان
قد اخبر ان المائة من المسلمين تغلب المائتين فاراهم المشركين على قدر ما اعلمهم لتقوى قلوبهم
ولترى المشركين ان المسلمين اقل من ذلك ومع ذلك القي في قلوبهم الرعب فكانوا يرون
عددا قليلا ورعبا كثيرا وعلى هذا قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا و
يقللكم في اعينهم والثالث انهم يرونهم مثليهم في الجلادة اي يرى كل واحد منهم انه اجلد
من الاخر مثلين وذلك كقولك رايت فلانا مثلي فلان فيكون المماثلة راجعة الى
الجلادة لا الى العدد وعلى هذا اقترحت قوله عز وجل اذ يريكهم الله في منامك قليلا اي
في القوة والعدد لا في الكثرة والعدد ويرى هاهنا متعد الى مفعول واحد لانه تعليقه
بالعين وقوله والله يؤيد بنصره اي يكثر تاييده يقال ادته ايده ايدا ونحوه يعنى اسبه بيعا و
ايدته على التكثير لكن ايدت اكثر استعمالا ونصر الله على وجهين احدهما بالحجة والثاني
بالغلبة وقوله اولي الابصار فانه يعني به البصاير لا الجارحة المذكورة في قوله عز وجل لا تعمى ح
فانها لا تعمى الابصار ونبه ان في ذلك اعتبارا للذين هم بخلاف من وصفهم بقوله صم
بكم عمي قوله عز وجل زين للناس حب الشهوات من النسا
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله

عنده حسن المآب القنطار من المال مقدار معبر به الحبوة شبهها بالقنطرة
وذلك غير محدود القدر في نفسه وانما هو بحسب الاضافة كالغنى فرب انسان يستغني
بالقليل وآخر لا يستغني بالكثير ولما قلنا اختلفوا في حده فقيل هي اربعون اوقية وقال
الحسن الف ومايتا دينار وقيل ملء مسك ثور ذهبا وعلى ذلك عن ابن عباس وبعضهم
حده بغير كاختلافهم في حد الغنى والمقنطرة المجموعة قناطر اقناطير كقولهم دراهم مدرهمة ود
نانير مدنرة والخيل في الاصل للافراس والفرسان وان كان يستعمل في كل واحد مفردا نحو
يا خيل الله اركبي وذلك للفرسان وقول النبي صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة
الخيل والرقيق فكانه سمي بذلك لما فيه من الخيلاء فقد قيل لا يركب احد فرسا الا وجد
في نفسه خيلا واصل ذلك من خلت وهو ظن يقرب من الكذب ومنه الخيال والاخيل
الشقراق لكونه متلونا تخاله في كل وقت ان له لونا اخر ولذلك قيل كابي براقش
كل يوم لونه يتخيل والمسومة المرسلة في الرعي وقيل المعلمة في الحرب يقال سيما بالقصر
وسيميا بالمد قال تعالى سيماهم في وجوههم وقال الشاعر
له سيميا لا تشق على البصر          وقال مجاهد المسومة المطهمة كانه جعل للتطهير لها التسويم
كما جعل سنا وصنعا في قولهم مسنونة ومصنوعة والنعم اصل الابل فاذا قيل الانعام فقد يتناول
الازواج الثمانية والشهوة يقال تارة للقوة المشتهية نحو فلان خامد الشهوة وتارة لانبعاث
تلك القوة وتارة للطعام المشتهى فيقال هذا شهوتي واختلف في هذا الحب من الذي
زينه مع انه لا خلاف ان الله عز وجل خالق القوة المشتهية وخالق المشتهى فقال
بعضهم الله عز وجل زينه وذلك النظر الى القوة المشتهية او المشتهى ولقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها واليه ذهب عمر فانه روي انه لما سمع هذه الآية قال ربنا الآن زينت هذه
بينت ان ما بعدها خير منها فاجعل لنا في العمر الذي هو خير منها وقال بعضهم زينها الشيطان
والى هذا ذهب الحسن فقال كيف زينها الله وهو يذمها ومنهم من قال زين الله منها ما يحسن

الارض مع



تناوله ومن الشيطان ما يقبح فان الله عز وجل خلق الانسان وقوته المشتهية ومشتهاه ليه
وامره ان يتناول منها على الوجه الذي يجب قدر ما يجب في الوقت الذي يجب وجعل ذلك
ذريعة الى التوصل الى الآخرة وقيض له شيطانا يغره فحذره منه فمن ادى امره وتناول ما امر
له فانه لا يعتدي الى تادية الشيطان وقد تقدم الكلام في بعض ذلك في قوله زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد منتهى المنبأ قيل هو
قوله من ذلكم وقوله هو عند ربهم وقيل هو اخر الآية وهذه الاقوال على قراءة من رفع جنات
فاما من جرها فلا اشكال ان ذلك داخل في جملة الاستفهام لانه بدل من قوله بخير وقال
بعضهم يجوز ان يكون جنات نصبا بدلا من موضع بخير كقولك مررت برجل زيدا
وقوله وازواج مطهرة قد تقدم وقد نبه بهذه الآية على النعم الثلاثة الاولى وهي الادون
وذلك عروض الدنيا والثاني الاوسط وهو الجنة ونعيمها والثالث الاعلى وهو رضوان الله
المشار اليه بقوله وان الى ربك المنتهى وقوله هنالك الولاية لله وقوله ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر والله بصير بالعباد اي بهم وباحوالهم فهو
مجازيهم بحسب ما يستحقونه قوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار الذين جر صفة للعباد او رفع على تقدير هم
الذين او نصب على المدح وقوله يقولون ليس يعني انه ذلك منهم بالقول فقط
بل باعتقادهم وفعلهم ان قيل ما فايدة اغفر لنا ذنوبنا قيل اما على مذهب الوعيدية
فسؤال ما هو من حكمه ان يفعل ما هو للمومنين سئل او لم يسئل وقيل هو فعل ما يقتضي
الغفران والوقاية من النار وهو الاقلاع وان كان متعلقا بالقول وقيل هو مسألة اللطف
الذي يفعله الله بالعبد اذا ساله قوله عز وجل الصابرين والصادقين

والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار قد تقدم وصف الصبر
ومنازله وان كل منزل منه اعلى ثوابا على وان اعلاه صبر العارف الذي هو الرضى
والتسليم والصادقون هم الذين صدقوا في الاعتقاد والقول والعمل وذلك غاية الايمان
والقانتون الدائمو العبادة في السر والجهر والمنفقون عنى به في الفرايض والنوافل
ومن المال والبدن والمستغفرون طالبوا الغفران باتيانهم بالطاعات وتخصيص الاسحار
لكون العبادة فيها اشق والقلوب احضر وارق وروى جعفر بن محمد ان من صلى من
الليل ثم استغفر في اخره سبعين مرة كتب من المستغفرين بالاسحار وروى ان ابن عمر
كان يصلي فاذا اسحر فقد يستغفر وقال زيد بن اسلم المستغفرين بالاسحار هم الذين يشهدون
الصبح في جماعة وذلك داخل في عموم الاية فان شاهد الصبح في جماعة يستحق الصبح
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم الشاهد الذي يقتضي حضوره بعلمه والانباء عنه والحكم بما عليه و
لهذا يعبر بالشهادة تارة بالحضور وتارة بالعلم وتارة بالاعلام وتارة بالحكم ان قيل ما وجه قوله
شهد الله وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك وشهادة المدعي لما يدعيه لا تقتضي
زيادة على دعواه مع ان هذه الشهادة ان كانت للجاحدين فغير مقبولة وان كانت
للمؤمنين به ففضلة وهل يكفي النبي صلى الله عليه وسلم اذا طولب بالدلالة ان يقول
الله شاهدي بذلك قيل الشاهد العالم بالشيء المبين لغيره واصدق شاهد من يعلم
المشهود عند الدلالة المنبئة عن صدقه وعن كون الامر على ما شهد به والباري عز وجل
لما جعل في كل شيء شيئا عن وحدانيته صار له في كل شيء لسان يشهد انه واحد وهذا الاثر
وسن يقوله والملائكة واولوا العلم انهم قد عرفوا ذلك ويبينون عنه بالادلة التي
ذكرها العلماء وبانبيائه الملايكة الانبياء شهادة منهم فختم الله تعالى هذا القول على
التامل ليعرفوا صحة ما شهد به وكذا الاية كانه لتسليه لا يستوحش من تكذيب الكافرين



لك فقد ادرك الله عز وجل من الايات ما بين انه تعالى شاهد لك بصدق دعواك
وقوله قايما بالقسط اي هو تعالى مراع للعدالة في كل شيء وذلك حال مؤكدة لما قبل ما
وجه تكرير لا اله الا هو في الاية قيل لما كان منتهى ادراك الانسان للباري تعالى
ان يعرف الموجودات فيعلم انه ليس اياها ولا يشبهها شيء منها صار صفات التنزيه له اشرف
من صفات التمجيد له اذ كان عامة صفات التمجيد في الفاظها مشاركة يصح وصف العباد
بها ولاجل ذلك عظم ما ورد من صفاته على لفظ النفي نحو لا تاخذه سنة ولا نوم قيل في
سورة الاخلاص انها تعدل ثلث القران لكونها تنزيها محضا فان لفظي الاحد والصمد
وان كانا على صورة الاثبات فنفي للتثنية والتشبيه ثم ابلغ ما يوصف به من التنزيه
لا اله الا هو فتكريره ها هنا لامرين احدهما لكون الثاني قطعا للحكم كقولك اشهد ان
زيدا خارج وهو خارج والثاني لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم الى قلب السامع تشبيه
اذ قد يوصف بهما المخلوق * قوله عز وجل ان الدين عند الله
الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب
قد تقدم وجوه الدين وان للاسلام ثلث منازل الاول الاعتراف الذي يحقن
الدم والثاني ان يكون مع الاعتراف اعتقاد صحيح ووفاء بالفعل والثالث ان
يكون مع ذلك استسلام فيما يجري عليه من قضاء الله وهو المسؤول بقوله
عز وجل توفني مسلما وغاية الانسان في ذلك ان يكون كابراهيم حين قيل له اسلم
قال اسلمت لرب العالمين بين تعالى ان حقيقة طاعة الانسان بحسب ما يكون
منه من الاستسلام في المنازل الثلث وقد قرئ ان الدين بالفتح فيصح ان يكون
بدلا من الاول واستغنى الضمير الراجع الى الله لما كان ذكره ويجوز ان يتعلق بفعل
مضمر دل عليه الاول ومن قرا شهد الله انه فتشهد لها في قوله ان الدين وانه كالعلة و
عن

قوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب كقوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات والكلام
فيه قد تقدم قوله ان الدين عند الله الاسلام وسمى الله دين
مراتبه وقل للذين اوتوا الكتاب والامين ءاسلمتم فان
اسلموا فقد اهتدوا فان تولوا فانما عليك البلاغ والله
بصير بالعباد الوجه المعروف وعبر به عن الكل وقيل هو القصد نحو
وجهي الى فلان والذين اوتوا الكتاب هم قيل هو عام فيمن نزل اليهم الكتاب والامين
من حولهم من اليهود والنصارى ومن العرب ان قيل كيف يصح الحاجه النصارى في الحاجه
على ان يقول تقبل ما اقوله ام نرده فان رددته اعرضت عنك وقيل الحاجه ضربان ضرب
للاستهداء وضرب للعناد ولما كان الله قد بين لهم الادلة ومن اين لهم يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم قال حينئذ ان علموك فعرفهم مخالفتك لهم وهذا كما يقال لمن اوضح له الحجة
ان قبلت والا اعرضنا عنك وقال بعضهم انما تبين هذه الاية على الحجة اللازمة لهم و
وجه ذلك انه قال قل لهم ان توجهت الى الله لعباده فهل يكرون كونه معبودا
فانه لا يمكنهم انكار ذلك اذ كان وجوب عبادة والتوجه له محمودا عند الكل وانما الخلاف لهم
في غيره فمن اين لهم ان اسلموا للحجة فقد اهتدوا فان جحدك الزمة وليس لهم ما يدعونه حجة
وفي ذلك اهتداؤهم ح وان تولوا اك ان ابوا ان ساعدوا للحجة فليس عليك الا البلاغ
كقولك ليس عليك هداهم ونحوه وقدم الذين اوتوا الكتاب لان الحجة تلزمهم من
وجهين من الوجه الذي يلزم الاميين ومن وجه انهم يدعون الايمان بانبيائهم وغيره
وعلى هذا قال ابرهيم يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض وقوله والله بصير بالعباد اي عارف بمقاصدهم وقوله ومن
اتبعن معطوف على التاء اسلمت ولم يحتج الى تاكيد الضمير كما اكد في قولهم جئت انا
وزيد للقصد القائم مقام التاكيد وحذف اليا من قوله اتبعن لان الكسر عليه

قوله عز وجل



ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت
يعني اسرائيل وذلك انه اتى اباعبيدة بن الجراح مائة نبي من اول النهار فقام عابد منهم
يوم اليهم فقال من قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر فقتل به فقام اباعبيدة فقتل
قتل بنو اسرائيل بذلك ثلثة واربعين نبيا في ساعة في صدر النهار فقام عابد واثنا عشر رجلا من عبادهم
فامروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعهم اخر النهار ان قيل لم اعيد يقتلون ولم
قتل ويقتلون النبيين ويقتلون الذين يامرون بقتل امرين احدهما تقطيعا لشانهم والثاني انه
يجوز ان يكون احد القتلين بقوت الروح والاخر بالاهانة والزمانة الذكر وذلك كثير في
كلامهم ان قيل لم قال ويقتلون النبيين بغير حق وقتلهم لم يكون حق على وجه حتى يحتاج الى
تقييده بذلك قيل قوله بغير حق ليس متعلق بقوله يقتلون النبيين بل هو من صفة الذين
يكفرون كانه قال بم يقتلون وهم غير محقين ووصفهم بذلك من انهم غير محقين
في جميع احوالهم وتخصيص لفظ الاستقبال في قوله ويقتلون النبيين لتخصيصه في قوله تعالى
انما الله من قبل وقد تقدم الكلام فيه وكذلك قد تقدم تخصيص لفظ البشارة في العذاب
مع كونه موضوعا لما يسر وان قيل ما فايدة قوله من الناس قيل عنى بذلك وجود الفضيلة
المختصة بالانسان في النبيين والامرين بالقسط وذلك كقولهم فلان هو انسان
وعلى ذلك قول الشاعر اذا الناس ناس والزمان بعربه

قوله عز وجل اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم
من ناصرين الحبوط فساد العمل واصله من الحبط اي فساد بطون الماشية من اكل
الرمث ولذلك قال عليه الصلوة واللم ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم يعني بقوله اولئك
هم الذين يكفرون ويقتلون بغير حق في الدنيا والاخرة احبالهم اما في الدنيا فلانهم لم يحصلوا منها
مجهم واما في الاخرة فلم يحصلوا منها على ثواب وذلك كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه

هبا مستثورا ان قيل لم قال عالمهم من ناصرين ولو قال عالمهم من ناصر كان ذلك عاما لكونه
نكره في سياق النفي قيل لما كان القصد بهذه الآيات تثبيت الوصانية ونفي الكثرات نبه بلفظ
الجمع على ان ناصر الناس في الحقيقة كانه قال ما للناس ناصرون بل لهم ناصر واحد فيجب ان تطلب
مرضاته بترك مرضاتهم وذلك نحو قوله من اله غير الله يأتيكم به وقوله اغير الله يأتيكم بضيا
وما اشبه ذلك من الآيات ثم قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا
من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
فريق منهم وهم معرضون الحكم القضية التي تردع المبطل ومنه حكمة
اللجام والآية تتناول اليهود والنصارى وان كانت واردة في اليهود قال ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود فدعاهم فقالوا على اي ملة انت يا محمد
قال على ملة ابرهيم فقالوا ان ابرهيم كان يهوديا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل كان ذلك في
سبب اليهودين اللذين زنيا فحكم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اليهود ان ذلك ليس في
التوراة فاكذبهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بالتوراة فوجد فيها آية الرجم وقيل كان في
سبب نبوته وكذبهم اياه وقوله الذين اوتوا وان كان لفظه عاما فمعناه خاص لانه ليس كل
فعلوا ذلك الا ترى الى قوله من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل
وهم يسجدون ان قيل لم قال من الكتاب ثم قال كتاب الله وهل الاول هو الثاني
ام غيره قيل قد قال بعضهم الاول والثاني واحد وهما التوراة لقوله تعالى قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها الآية وذكرها باللفظين تعظيما لها وقيل عنى بالاول التوراة وبالثاني القرآن وغيره
من كتبه منها ان كل كتاب يقضي بصحة ما فيه وقيل عنى بالذين اوتوا الكتاب
الذين اعطوا لحظا من المعرفة بكتاب الله اي كتاب كان من كتبه ان قيل هل بين التولي
والاعراض وفرق وهل الموصوفون بهم المتولون ام غيرهم قيل تولي الشيء ان تليه فاذا
عدي بعن صار لترك ذلك والاعراض في الاصل ان تجعل عرضك اليه اي جانبك ومنه قيل



اعرض لك العيد فاردت فجوزان يعني بالتولي تولي وريق من الدين او تواصيا من الكتاب
والاعراض جائز ان يكون التولي والاعراض جميعا للفريق فيكون معنى التولي عنه
ترك موالاته والاعراض يكون بالبدن وذلك ظاهر لاخفاء عليهم اذا حضروا فيلزمهم حجه وعلى ذلك
قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون قوله عز وجل
ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون قد تقدم الكلام فيما حكى عن اهل الكتاب بقولهم لن
يمسنا النار الا اياما معدودات والذي عرفهم ما حكى عنهم من قوله عز وجل لحن ابناء الله واحباؤه
والغرار اثر الطامر من الشيء ومنه الغرة والغرار حد السيف اعتبارا بالاثر ولهذا سمي اثره السيف
وغرار الثوب اثر كسره تقول اطو على غره واستعير للخديعة فقيل غره واغتره كقولهم طواه اذا خدعه
وسمي الدنيا والشيطان غرورا لكونهما غارين للانسان والغر المغرور والغرر الخطر المتقدم كانه
الذي يعتر واما غرار الطائر الفرخ فاستعارة من الصوت الذي يكون منه عند رقة والغرغرة
تردد الصوت من الحلق لجعل لفظه مردد على سبيل الحكاية كحكاية كثير من الاصوات
والفري قطع الاديم واستعير للكذب استعارة الحلق والاختلاق له ان قيل هل علموا انهم
كاذبون فيما يقولون قيل اما انهم علموا واغتروا بآرائهم واعراضهم الدنيوية او يكونوا مرعلى
فلم تخرجه اغترارا بما هم بصدده وعلى كلا الوجهين يستحقون الذم قوله عز وجل
فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون ما سئل عنه كيف محذوف كانه قيل كيف حالهم
او قولهم واقترابهم فحذف لدلالة الكلام عليه كحذفه في قوله فكيف اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم ومعناه كيف حالهم اذا حوزوا بفعلهم ولم يظلموا في جنب ما استوجبوا
من ثواب او زيادة مالا ستحقوا من عقاب ودل بالآية ان الكفار لا تخفف عنهم وعلى
ذلك يدل ان لا يخرجوا من النار وهم خالدون منها الآية وقد تقدم معنى قوله ووفيت

كل نفس في سورة البقرة قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من
تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير اللهم تقديره عند
سيبويه يا الله والميم بدل منها ولم يستعمل ذلك الا في هذه اللفظة فقط وعند الفرا
تقديره يا الله امنا بخير فجعلا بمنزلة لفظ واحد وحذف الهمزة منه كقولهم هلم واصله عنده هل ام
وقال البصريون لو كان كما ذكر الفرا لم يستغني به عن جواب الشرط اذا قيل يا الله امنا بخير لكون
ذلك مكررا والنزع جذب الشيء من الشيء وفصله عنه ومنه المنازعة وسمي السوق نزاعا و
نزوعا لما تصور في ذلك ان المحبوب ينزع قلب المحب منه والنزع ضربان نزع الى الشيء
وهو الاشتياق ونزع عنه وهو الكف وقيل للغريب نزيع لكونه منزوعا عن مسقط راسه
او لكونه نازعا اليه اي مشتاقا وقيل لمن تشبه اعمامه واخواله نزيع لنزع الشبه منهم او
لكونه منزوعا بالشبه عنهم وسمي السهم منزعا والنزعة الموضع من راس الاقرع لكون شعره نزعا
عنه وقد تقدم الكلام في الملك والملك وان الملك كالنوع للملك فان كل ملك مالك فلك
ما وليس كل مالك ملكا وقد عظم الله امره وقرن بالكتاب والنبوة ذكره فقال ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما
وقال اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا وقيل الدين اس والملك حارس لكون احدهما غير
مستغن عن الاخر من وجه وقد سمي المتسلط ملكا وان كان على ضرب من المجاز وعلى هذا
قوله وكان وراءهم ملك فسماه ملكا مع كونه غاصبا واختلف هل يؤتي الملك الفاسق والكافر
فمنهم من قال لا يؤتيهما واليه ذهب البلخي والجبائي وذلك لنظرهم الى الملك الاول ولاعتبار
قوله لا ينال عهدي الظالمين ومنهم من قال يؤتيهما ذلك وذلك لنظرهم الى الثاني الذي
هو التسلط وكون ذلك احد الاعراض الدنيوية ولهذا قال ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة
واموالا والاظهر في الاية انه يعني الملك الحقيقي لقوله والله يؤتي ملكه من يشا فاضافه الى



نفسه تنظيما له فيشمل الملك المطلق الذي لا جور فيه بوجه ولذلك قرنه بالعز
والذل واخراج الحي من الميت والميت من الحي وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل
واعطا الرزق ونبه بقوله مالك الملك ان الملك في الحقيقة له وما لغيره عارية مسترده
ولم يعن بالملك ههنا سياسة العامة فقط بل تملك الانسان على قواه وهواه فقد قيل لا يصلح
لسياسة الناس من لا يصلح لسياسة نفسه وقيل لبعضهم من الملك فقال من ملك هواه
وقهره وقوله تعز من تشا اي تعزه باعطائه الملك وتذل من تشا باسترجاعه منه او حرمانه
اياه وقيل تعز من تشا بان تصونه عن تمكنه من الملك في الدنيا وتذل من تشا باعطائه ذلك
وهذا التفسير على النظر الى ما قال عليه الصلوة والسلام انكم ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة
الى يوم القيامة وما قال ابو بكر رضي الله عنه ان اشقى الناس في الدنيا والاخرة الملوك ان الرجل
اذا ملك زهده الله فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره وتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق
فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير فاذا وجبت نفسه حاسبه الله فاشد حسابه واقل
عفوه وقال بعض المفسرين امر نبيه في هذه الاية ان يدعوه بان يحول عز فارس الى العرب
وخص الملك بالنبوة فقال معناه تؤتي النبوة من تشا وتصرفها عمن تشا وقيل قوله
تعز من تشا وتذل من تشا ليس براجع الى الملك وانما معناه من تشا بطاعته وتذل من تشا
بمعصيته والاظهر ان يكون ذلك عاما في كل عز وذل دنيويا كان او اخرويا ان قيل
كيف قال بيدك الخير والخير والشر بيده قيل في ذلك اجوبة الاول اراد الخير والشر لكن
الاية لما كانت في اجر والشكر اليق بالكلام ذكر الخير اذ هو المشكور عليه وعلى ذلك قوله واذا
مرضت فهو يشفين وفيه تعليمنا كيف يجب اذا جئنا بان نذكر اشرف خصاله والثاني
انه نص على المعظم ليفهم منه الضد الاخر كقوله سرابيل تقيكم الحر وكقول الشاعر
فما ادري اذا يممت وجها اريد الخير ايهما يليني
والثالث انه اراد بالخير الخير والشر وسماهما خيرا لانه ليس في العالم شر خالص كما ان فيه خيرا

خالصا وذلك ان ما هو شر لكذا هو خير لكذا فالخير والشر يصدق عليهما الوصف بالخيرية من هذه الجهة
ولا يصدق عليهما الوصف بالشر فلو قال سبحانه الشر لم يدخل تحت الخير ووصفه بالقدرة على كل شئ
في الآخر الية تنبيه على انه اراد الامرين فان سعة القدرة تقتضيهما قوله عز وجل
**تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت**
**ويخرج الميت من الحي ويرزق من تشاء بغير حساب**
الولوج الدخول في مضيق فهو اخص من الدخول تقال تولج الظبي والولجة تاءين
يريد فنا القوم كالمدخل اليه واستعير الولجة لبطانة الرجل كالدخلة وايلاج الليل في
النهار والنهار في الليل تناول تغالب احدهما الاخر والزيادة من كل واحد منهما في الاخر
وقد فسرهما وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي تناول خروج الانسان
من النطفة نحو انا خلقناه من نطفة وقوله ومن الذي خلق من الماء بشرا ومنه الموالدة
قال الضحاك والسدي وابن زيد الدجاجة من البيض والبيض من الدجاج وقال
الحسن عني اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقال بعضهم تناول ذلك
كل شئ من الاركان اذا استحال الى غيره ولهذا قال السدي يخرج النحلة من النواة
والنواة من النخلة والاظهر في قوله الحي من الميت تصور انسان وقد قتل عنه ذلك
شيئا ولحدا تغيرت به الحال فتكون ميتا ثم تحيى وحيا فيموت كقولك حامل فلان
اسد وليس الحامل هو وقد تقدم الكلام في قوله بغير حساب قوله عز وجل
**لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن**
**يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقاة**
**ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** قد عظم الله موالاة الكافرين
ومعاداتهم واكد الزجر عن ذلك في آيات كقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء وقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقال لا تجد قوما يؤمنون بالله

والليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقال لا تتخذوا بطانة من دونكم وقال ولا تركنوا
الى الذين ظلموا وامرنا بالاعراض عنهم وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقال عليه الصلوة
والسلام لا تتراءى ناراهما وقال انا بريء من كل مسلم مع مشرك الى غير ما وجه جوازا مواصلتهم
والاستعانة بهم والاستعباد وذلك ضرب من الموالاة فالجواب من اوجه الاول
ان هذه الآيات تقتضي المنع من الموالاة المحض وفيما نافيه والثاني ان الموالاة المطلقة
ان تواليهم في جميع الامور فاما في شئ دون شئ فليس ذلك موالاة الثالث ان يكون ذلك مخصوصا
في الموالاة الدينية الرابع ان الموالاة على ضربين موالاة الرفع للاوضع وذلك باستخدامه
اياه ورعايته ولكابه عليه وموالاة الاوضع للارفع وذلك بالخدمة والذي نهي عنه المسلم
جزما هو ان يوالي الكافر موالاة الاوضع للارفع بالخدمة له والاستعانة به استعانة الذليل
بالعزيز ان يستعين به استعانة العزيز بالذليل والمخدوم بالخادم فذلك مرخص فيه وذلك
لما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يعلو ولا يعلى ومن هذا رخص ان تنكح فيهم دون
ان ينكحوا فينا وان تملك ارقاقهم ولا يملكوا ارقاقنا وان نرثهم في قول من يرى ذلك
ولا يرثونا بوجه ثم قد كره لمن لم تتقرر في الاسلام المصاهرة اليهم والاستعانة في الامهن
بهم تفاديا ان يغروه وذلك ما قال عليه الصلوة والسلام لحذيفة لما تزوج نصرانية دعها فانها
لا تحصنك بل لذلك قال مثل الجليس الصالح كمثل العطار كمثل الذي ان لا يحرقك شرره يؤدك بدخانه
يعلمك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل القين ان لا يحرقك شرره يؤدك بدخانه
وقال بعض الحكماء اياك ومخالسة الشرير فان طبعك يسرق من طبعه وانت لا
تدري وقوله ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ ايس من الموالاة التي انتهاها
بقوله الله ولي الذين امنوا ونحوه وقوله الا ان تتقوا منهم تقاة فرخصة في اظهار الموالاة
باللسان دون القلب حيث يحصل تقيه كقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
وراجح في مداراة الكافر حيث يخاف شره او يرجى صلاحه فقد روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه استاذن عليه بعض الناس فقال بئس اخو العشيرة ثم فلما دخل

الرجل هش له ... فقالت له عائشة في ذلك فقال ان شر الناس من يكرم اتقا لسانه والمطلب بالجهر

الافصاح بالحق في حال التقية فاجاز ذلك لبعضهم اشتبه لا لاجابة وروى الحسن ان مسيلمة

الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا

رسول الله قال نعم فخلاه ثم دعا الاخر فقال له ذلك فابى ان يقوله فقتله فقيل ذلك للنبي

صلى الله عليه وسلم فقال اما المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بفضيلة فهنيا له واما

الاخر فاخذ برخصة الله فلا تبعة عليه ... الاعلان الافصاح عند التقية ايضا بالحق

مستحسن حيث كان فيه نفع ديني فاما اذا لم يكن في ذلك نفع ديني بوجه فالعدول الى كلمة

الكفر على وجه التعريض اولى قيل بان تعلق هذه الاية بما قبلها انه لما عرفنا انه مالك الملك

والقادر عليه نهانا عن موالاة من يعاديه وقوله ويحذركم الله نفسه فالحذر الاحتراز من

السطوة وذلك على ضربين احدهما احتراز الانسان اياه برؤية تقصيره في طاعته واياه قصد

بهذه الاية وعلى هذا ذكر التقوى فقال في موضع واتقوا يوما ترجعون فيه وفي موضع

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله قال الحسن من رحمته ان حذرهم نفسه وتحذيره اياهم قال

الله خير الماكرين فانه حذرنا لحلاف ما يفعل الماكر والى مقتضى معناه اشار العرب

بقول اعذر من انذر وفايدة قوله ويحذركم الله في هذا المكان انه لما ذكر قوله الا

ان تتقوا منهم تقية وان اتقيتموهم فاحذروا الله فانه يحذركم ان تتوالوه بقلوبكم

**قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله**

**ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير**

الاصل في الصدر الجارحة فاستعير لصدر المجلس والكتاب والكلام وصدره اذا اصاب

صدره او قصد بخاطره وكتفه واذا عرض لعن اقتضى الانصراف عنه والمصدر يقال

للمصدر اللفظي والموضع الصدر وازمانه والصدار لتغيير لعطي بها الصدر على بنا الدثار والكتاب



... لتغيه ... الله اعلم ...

رتقال له الصدور ... تعالى عن موالاة الكفار وذلك كون القلب محلا ان يكن

بالجوارح محرم ان يعلموا الموم بقلوبهم ... وصفهم بقوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك

بيت طايفة منهم غير الذي ... ووصفهم بقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك

لرسول الله ... الحق عليه ذلك بل لا يخفى عليه ما في السموات والارض وهو قادر عليهم ولذا

كان ... على الاسرار فقيل ان تخزوا ان قيل لم قال قدم الاخفاء على الابداء وقد الباري

يتوصل الى الجاني في قضيه المنهج ان يقول فلان لا يفوتني ستر او علن ولا ... فقال

عدي او سيتى قيل لما كان العلم ظهر في النفس ثم يبرز بالقول او بالكتاب صار الجاني سببا

للبادي فنبه بذلك انه يعلم الشي منا قبل ان نظهره وانه يستوي عنده السر والجهر وعلى هذا

قال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به وقال يعلم سركم وجهركم فقدم السر في هذا الموضع

وقال في موضع ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فقدم الابدا تنبيها انها عنده سوا **قوله**

**عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء**

**تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله**

**رءوف بالعباد** تقديره يحذركم نفسه يوم تجد او اذكر يوم تجد او الله على كل شي قدير

يوم تجد وقوله ما عملت من خير مفعول تجد وما عملت من سوء معطوف عليه كانه قيل وما عملت

من سوء محضرا وتود في موضع الحال وقيل ما عملت من سوء استيناف اما جزاء وتود

جوابه وعلى هذا الوجه تود بالفتح او بالكسر لجاز واما ان يكون بمعنى الذي متضمنا المعنى

وان لم يكن في تقدير الجزم نحو الذي يأتيني له درهم والاولى ان يكون معطوفا كما تقدم ووجود

النفس ما عملت تصوره لها من حيث لا يخفى عليها ونحوه مما دل عليه على ذلك قوله

انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وقوله يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه

فاستنساخه واحصاؤه اذكارهم به حتى يعلموه فان من صفة علم الانسان ان يحصل

صورة المعلوم في قلبه وثبوت الصورة في القلب او الكتابة ولحو ان يكون معنى يجد كل

نفس ما عملت لئن تحوفها عملت من خير وشر ان قيل ما فايده حذف الجزا في هذا المكان
ونحوه من توفى كل نفس ما كسبت وقوله ذوقوا ما كنتم تكسبون وقوله من يعمل مثقال ذره
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره قيل لما اراد ان ينبه ان الانسان لا يبخس لحظه
فيما يفعل من خير ولا يزاد عليه في جزا ما يفعل من شر ذكر نفس الفعل دون الجزا تنبيها
انه فعله مستوفى بالجزا حتى كانه هو كقولك زيد يتوانوه تعيشه اذا اريد المبالغه في التشبيه
به واعاد قوله ويحذركم الله نفسه توكيدا واستظهارا عليهم فان قيل وكيف علقه بالرافه
قيل تنبيها ان المحبوب من حسبه ولهذا قال النبي عليه الصلوه والسلم مخبرا عن الله لا يزال
العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به الخبر قوله عز وجل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
فان الله لا يحب الكافرين هذا لازم كالاول لكنه اعم لان
طاعته اعم من اتباعه اذ قد يكون الانسان مطيعا لغيره ثم لا يكون متبعا له في افعاله
وذكر ها هنا الرسول تنبيها ان كل من كان رسولا من جهة الله فطاعته واجبة ثم
قال فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين اي من تولى فقد خرج عن التحبب
اليه ومن لم يتحبب اليه بطاعته فهو لا يحبه باثابته والكافر غير متحبب اليه فلا يحبه
عنه فمحال ان يحبه فصار تقديره انكم اذا كفرتم بالاعراض عنه وعن رسوله فانه لا يحبكم
وفي ذلك ابطال دعواهم حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقوله لا يحب الكافرين
تنبيه انه ينقطع عنه توفيقه وبانقطاع توفيقه عنهم يضلون ويعمهون قوله عز وجل
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على
العالمين قد تقدم الكلام في معنى الاصطفا وان ذلك منه تعالى على وجهين
احدهما على سبيل الثواب بحسب الاستحقاق والثاني على سبيل التفضل والامتنان
بالترشيح الذي يؤدي الى المطلب المرضي وذلك على ضربين احدهما ان يكون ذلك



على سبيل الاجتبا وهو ان يفيض العنايه الالهيه عليه فيجعله على نهاية الكمال بلا اكتساب
منه ويجعله سببا لتخريج غيره وذلك للانبيا ومن دانا منهم من الاوليا والثاني على سبيل الاهتدا
وهو ان يوفقه ويسهله ليبلغ درجته فهو حيه على سبيل الاكتساب حتى يقرب منه ولا
يلحقه البتة وذلك للحكما ومن دانا منهم من المومنين ويقال فيهما الاصطفا لوجود
هذين الطريقين قال تعالى يجتبي من رسله من يشا ويهدي اليه من ينيب وقول الفرا
اصطفاهم اختارهم دينهم وقول الزجاج والجبائي اجتباهم للنبوة وقول البلخي هو تفضيلهم
على غيرهم بما اراهم من الامور الجليله كل ذلك داخل في الاصطفا وقد تقدم الكلام في
الال وانه اخص من الاهل فان الال يتناول المخصا الذين يكونون من الانسان
بمنزلة ذاته ولهذا يقال لاتباع الانسان وخصايص عشيرته الال ولم يتناول ال محمد
الكافرين من ذويه وعني بالمذكورين في هذه الايه جماعة فضلهم في قوله انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الايه فذكر اثنى عشر نبيا وسنذكر اذا
انتهينا اليه تخصيصهم بالذكر وكيف رتبوا هذا الترتيب ومخالفه ذكرهم في الترتيب
لا زمنتهم ان كيف تعلق هذه الايه بما قبلها قيل تعلقها بها من وجهين احدهما انه لما
امرهم تعالى اتباع نبينا وهم يقرون بوجوب اتباع الذين ذكرهم بين ان جماعتهم في
كونهم منتسبين في النبوه سوا وان الذي دل على وجوب اتباع سايرهم والثاني انه
نبه ان اصطفاه تعالى لهولا لكونهم مطيعين له مستحقين لمحبته بذلك قوله عز وجل
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم الذريه قيل من ذرا الله
الخلق فترك همزه كروية وبرية ونبي وخابية وملك واورد وابنا وخبا وملاك وقيل
بل هو من ذرو الريح واصله ذرويه وقيل هي فعليه من الذر نحو قمرية ويقال ذريه للواحد
والجمع ويقال للاصل والنسل قال تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك لانه اباهم و
يقال للنسا الذراري قال عليه الصلوه والسلم جوا بالذراري ولا تاكلوا امانها ونهدوا

اصله

ارباقها في اعجازها الى النساء فاما الصبيان فلا الرجال في اعجازها اذ لم يجمع عليهم قوله
بعضها من بعض يعني في الموالاة الدينية بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض وقوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ومقوله لنوح انه ليس من
اهلك ردّ اعليه لما قال في الكناية عن نحو الغزو والصنعة الحساسة في مقابلة الرفعة
ولذلك استعير صعود الجبل وبلوغ السما ونحو ذلك للرفعة والوقوع في الشرك ونحو
للضعة والرجم المرجوم والرجم المرمي بالرجام اي الحجارة وقيل ذلك للنبح المنقض لقوله
جعلناها رجوما للشياطين وقيل للظن والكلام المقرع رجم ومنه رجما بالغيب وقوله
والله وضعتها اي وضعت حملها وانها على المعنى وقولها ان وضعتها انثى للكون الانثى
ناقصة العقل والدين ولهذا قالت وليس الذكر كالانثى ورأته روى انه لم يكن يستصلح
للتحرير من قبل الا الذكور وبيّن بقوله والله اعلم بما وضعت ان اخبارها بذلك لم
يكن على سبيل الاعلام بل على معنى ان الله اعلم بما لها وحقيقة احوالها وذلك
يحتمل ان يكون من قولها وان يكون من قوله تعالى واذا فرحوا بما وضعت فاخبار
عن قولها على سبيل التوجع اذ لم يكن ما في بطنها على ما احبت وفايده قوله وان سميتها
مريم قيل هو ان هذا الاسم في نافتهم افضى معنى التحرير وتضرعت امراة عمران الى الله
تعالى ان يحفظها ودريتها من الشيطان الذي قال لاغوينهم اجمعين لكون الانثى
اطوع له وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مولود يولد الا والشيطان
ينال منه طعنة ولها يستهل الصبي الا ما كان من مريم وابنها فانها لما وضعتها قالت
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم تضرب دونها حجاب وبنه بقوله ابك
انت السميع انك تسمع نذرك وتعلم حالي وبنيتي فتقبل مني ما قلت قوله عز وجل
فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل
عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا



قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

القبالة الكفالة فقوله تقبلها قبل تكفل بتربيتها وقيل رضيها وقبل التقبل يقتضيها قال
الحسن قوله فتقبلها انه صانها عن كل اذى وقبول مصدر قبل نحو وضوء وطهور ولما كان تقبل
وقبل يقاربان جمع بين التقبل والقبول وبنبتها انبتها من المرعى النقبل الذي تقضي الرضا
والاثابة وقيل القبول من قولهم فلان على قبول اذا احبه من زاه وقوله وانبتها نباتا
اي انباتا تربيه حسنه وتقدير الكلام انبتها فنبتت نباتا وروي ان امها لما وضعتها
لفتها في خرقة وحملت بها الى مسجد بيت المقدس فقال ذكريا انا احق بها الان خالتها تحتي
وقالت الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي وضعتها فاختصموا فيها
فتقارعوا فقرعهم زكريا واختلف في الرزق فقيل انه كان يوجد عندها طعام الشتا
في الصيف وطعام الصيف في الشتا من غير ان كان يدخل اليها ادمي وقال الحسن
يحوز ان كان رزقا يأتيها به غير زكريا من حيث لا يعلمه ولو كان الامر على ما ذكر
لما اعاد الله ذكره تعجبا من امرها وقوله من عند الله يدل على انه ليس كما ذكروا وقال
بعضهم كان ذلك فيضا من الله يأتيها من العلم والحكمة من غير يعلم ادمي ضمانه
رزقا وهذا اعجب من اتيانها الطعام في غير اوانه لمن عرف فضله العلم واللطف بمحل
ثم بين تعالى ان ذلك ليس بعجيب فرزق الله للعباد على وجوه تقصر عنها معرفة
الناس هـ قوله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا هنالك يقع
على الزمان والمكان وان كان المكان اصله ان يقال هنا وهناك وهنالك
كقولك ذا وذاك وذلك ولما راى زكريا من احوال مريم تلك العجائب وكان
به حاجة الى الولد مع كبر سنه ووهن من عظامه سأله ان يهب له ذرية طيبة اي
صالحة واستعمال الطيب في الصالح كاستعمال الخبث في ضده في نحو قوله الخبيثات

للجنين على ان في الطيب زيادة معنى على الصالح وقوله من لدنك اي من عندك
فضلك الملك وذلك ان ايجاد الشيء وان كان كلها بقدرته وقضاه فعلى ضربين
ابداع ومواتاك لم يجعل لغيره اليه سبيلا كالملائكة والناس وقيل جعل للروحانات
او الجسمانيات اليه سبيلا فبين بقوله من لدنك انه بسبيل ما تفرد بايجاده وقوله انك
سميع الدعاء اي مجيب لمن دعاك على الشرائط التي تهاتدعي وقد تقدم الكلام في
شرائط الدعاء في قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان قوله تعالى فنادته الملئكة
وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك يحيى مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين المحراب قيل
سمي بذلك لانه موضع محاربة الشيطان والهوى وقيل لكون الانسان حريصا
من اشغال الدنيا وقيل الاصل فيه انه موضع حربه الرجل اي ماله وذلك انه
كان اسما لصدر المجلس ثم لما اتخذت المساجد سمي به منها ذلك الموضع وقوله بكلمة
من الله قيل هي كلمة الايمان وهي قول قتاده وقال ابو عبيده كتاب الله وقال غيرهما
عنى به عيسى وتسميه عيسى بالكلمة قيل لكونه موجدا بكن المذكور في قوله ثم قال له كن
فيكون وقيل سمي بذلك لكلامه في صغره والسيد الساسي لسواد الناس اي معظمهم
ولهذا يقال سيد العبد وربما يقال سيد الثوب وقيل ستدراك عالما وتقيا وحليما
وذلك من شرط السياق فمن لم يوجد ذلك فيه لا يسود وقال بعض الصوفية قوله
وهو قائم يصلي في المحراب ينبيه انه قل ما يأتي الانسان توفيق ونهض الهمة
الا ما الى التجا اليه والحصور تقال تارة في المعنى المفعول وتارة في معنى الفاعل فمحور لا يمن
يكون منه الذكر حصر نفسه ولجوز ان يقال حصره عجزه وعقله وقد روي انه كان ممنوعا
من قبل الله تعالى عن النساء وانه كان يعده مثل هدب الملاءة والهول اشبه باستحقاق
المدح وقرئ نادته وناداه لجوز تعرج الملائكة ويعرج وروي ان عبد الله ذكر



الملائكة في نحل القرآن قال ابو عبيده وذلك خلاف لكفار حيث انثوا الملائكة و
قالوا اناث الله ولبين ما ينبغي ان يرب الملائكة وتعتبر الله ايا هم لتانيث اللفظ
انما ذلك لعلمهم اياها له بنات ان قيل ما معنى وبيا من الصالحين وذلك يقتضي جواز
ان يكون بصالح قيل قوله من الصالحين متعلق بصفة اي وهو من الصالحين وذلك
مما اكد به قوله ذيه بعضها من بعض ومعناه من اولاد الصالحين قوله عز وجل
قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر وكذلك
الله يفعل ما يشا الغلام لجوز ان يكون اصلا في بابه وعنه اخذ الاغلام للون المعلم
شبيها به في المعنى المخصوص ولجوز ان يجعل الغلم وهو منبع المآ من ذلك وسمي الغلام لكونه
ذا رونق ولذلك يقال فلان عليه مآ الشباب والعقر اصل البنيه للدار والانسان
وعقرته اي اصبت عقره اي لصل بنيه وذلك يقتضي معنى القتل ثم سمي الجرح
اي جرح كان عقرا وسمي الجمر عقارا لكونها كالعاقر للانسان وجعل ناوه بناوه والهدوا
كالحمار والكباد والعاقره المشارة كانه يطلب كل واحد منهما عقر صاحبه باسكاره واعراة
عاقر كانها تعقره النسل الى فسادها او النخل وجعل العقر اسما للدبه وكني به عن البضع
وقال ها هنا بلغني الكبر وفي موضع اخر قد بلغت من الكبر عتيا وذلك ان اذا بلغ
الكبر فقد بلغك الكبر نحو ادركني الجهد وادركت الجهد ويقال ادركني المكان
ران حقيقته ادراك المكان من الانسان دون المكان وادراك الجهد والكبر مجاز
في الطرفين وصار انشاب كل واحد منهما الى الاخر سوا وقوله ان يكون لي غلام ليس
بانكار لقدرة الله بل لما كانت عادته تعالى في ايجاد الاولاد ان يكونوا من الهرم
والعاقر اراد التعرف ان ذلك هل يحصل معهما باقيان على حالتيهما او يكون باعادة
الشباب اليهما او يكون ذلك من امراة اخرى او يحصل ذلك على سبيل اخر غير العادة
وقال بعضهم انما قال اني يكون له ذلك استعظاما لنعمة الله كقولك من اين لك هذا

فالح

211

Atlamış

Numara

من الكبار وقال الخضر فال ذلك لانه لما سمع نداء الملائكة فتوهم ان ذلك من وسوسة الشيطان
واستبعد بعضهم ذلك وقال ان الرسل لا يشتبه عليهم ما يكون من قبل الملائكة مما يكون من
قبل الشيطان وقوله كذلك يفعل على الجواب الاول اى انه يهب لك الولد وانت على حالك
وعلى الثاني ان تعجبه في خلو ذلك كتعجبه في غيره وعلى الثالث ان تعجب من ذلك فيعجب من سائر
افعاله المبدعة فان لطف الله لك كلطفه بما شاء **قوله عز وجل قال رب اجعل لي
آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار** العشي من لدن غروب الشمس الى انقضاء الليل وخص العشا
بالطعام المتناول فيه والعشي تناول العشاء وعشي صار في عشا الظلمة عينه والايه في وزنها
ثلثة اقوال الاول انها فعلة وحق مثله ان يجعل لامه معتلا كحجوة ونواة ونظيرها رايه و
الثاني فعلة الا انها قلبت كراهية التضعيف نحو طاى في طى والثالث فاعله واصلها اييه
خففت وذلك ضعيف لقولهم في تصغيرها ايية ولو كانت فاعلة لقيل اوية والرمز الاشارة
بالشفة والغمز بالعين والحاجب والابكار مصدر ابكر يقال ابكر وبكر وبكر وابتكر والبكر من
وقت طلوع الفجر الى ضحوة النهار وقوله اجعل لي آية قيل طلب علامة لوقت الحمل فجعل تعالى
ان لا يمكنه مكالمة الناس الا ايام مع تمكنه من ذكر الله وقيل بل ساله ان يبين له قربة
يجعلها شكرا لما خوله فامر ان يجعل شكره الاشتغال بالعبادة وترك مكالمة الناس الا رمزا
ثلثة ايام وهو المذكور في قوله ثلث ليال سويا وفي هذا دليل ان في ذكر اليوم او الليلة
غنى عن ذكر الاخر عند الاطلاق واذا اهل الخلاف من صنف نحو سبع ليال وثمنية وعلى هذا
الايه عبارة عن الفريضة فان زكريا سال ان يعرض عليه فرضا ما جعله شكرا لذلك وتسبيحه
قيل هي الصلوة وسميت الصلوة سبحة وقوله بالعشي والابكار دل على ان في هذه الايام الثلث
ولم يعن التسبيح في طرفي النهار فقط بل اذا اراد ادامة العبادة في هذه الايام وقرئ
الابكار بالرفع والنصب نحو وحسبوا الا تكون بالرفع والنصب **قوله عز وجل**



**واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين** ذكر الاصطفا فقيل كسبيتين الاول قرعها العبادة و... الفاعي
الكسب والثاني ان جعلها اما لعيسى واية له وقيل الاول الاصطفا الذي هو اختيار والثاني
الاصطفا الذي هو على سبيل الهداية وقد تقدم ذكرها القاموا طهرها قيل من الحيض وقيل
من نجاسة الكفر كقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس فقول الملائكة لها قيل كان
بالالهام فانه قد اوحى الله تعالى الى امراة في النبوة فلذلك قال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
وقيل بل قد اوحى اليهن ولكن لم يبعث رسلا وقال الجبائي لا يجوز ان يكون اوحى اليها معجزة
لزكريا او توطيه لنبوة المسيح وقوله هذا انما الناس هيهم ان المعجزات والوحي لا يصح الا
في زمن الانبيا عليهم الصلوة والسلم وذلك دفع منه لكرامة الاوليا وقوله على نساء العالمين
قيل هو على العموم وقيل على اللاتي في زمانها **قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك
واسجدي واركعي مع الراكعين** القنوت ادامة الطاعة صلوة كانت او غيرها
من العبادات ولهذا قال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما فجعل من جملة القنوت
وتقديم السجود على الركوع قيل لكونه كذلك في شرعهم وقيل تنبيها ان الواو لا تقتضي
الترتيب وقيل عنى بالسجود الصلوة لقوله وادبار السجود وعنى بالركوع الشكر لقوله تعالى
في قصة داود وخر راكعا واناب اي شاكرا وهذا تخصيص للركوع بحال مقرونة به وقيل نبه
بقوله واركعي مع الراكعين اي كوني مع العابدين والمصلين وخصها بفضل الخطاب اقتضاه
قوله اقنتي لربك واسجدي ان قيل كيف اخر هذا الذكر لمريم عن ذكر قصتها قيل لما ذكر
ابتداء قصتها الى ذكر زكريا ودعائه ثم اتبعها بحال مريم تمما لقصتها ليلا الحاح الى قطع قصة
زكريا فيكون قد قرن ذكر الايه بالايه والعبادة بالعبادة **قوله عز وجل ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون** قد تقدم انواع الوحي وان اصله

الاشاره وتقال للكنايه وحتى اذا مى اشاره ما وقد يكون الوحى بالالهام كما يكون بضرب من
المنام وعلى ذلك قوله واذا وحيت الى الحواريين ان آمنوا وبرسولى وقد يقال ذلك
للوساوس نحو قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وكثيرا ما يشبه الوساوس
بالالهام فلا يميز بينهما الا اصحاب العقول الراجحه والقلم القص من الصلب كالطرف لكعب
الرمح والقصب وتقال للقلوم قلم كقولهم للمنقوص نقص وخص ذلك بالكتب به والفتح
واكد بقوله وما كنت لديهم ان هذا مما التفت عن الغيب لقوله عز وجل فى قصة موسى
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين وما رعاهم عليها قال
قتاده كانوا من حرصهم على كفالتها يسقارعون عليها فقطعها وقيل لتلقافهم اشفاقا من ان يمه
كانوا اضمناه قوله عز وجل اذ قالت الملائكه يا مريم ان الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والاخره ومن المقربين
تسميه عيسى بالكلمه لقوله ثم قال له كن فيكون ولفظه كن وان كان للامر فموضوعه للابداع
وذاك ان فعل الله ضربان عادى وابداعى فالعادى تسميه قوم الطبيعه وهو الذى
احدث الله تعالى به العالم ان يكون فى زمان ومكان ومن اصل وعلى وجه مخصوص وشبا
يحدث كخلقه الولد من النطفه والزرع من البذر والابداعى ما يوجده دفعه من غير حاجته
الى زمان ولا من اصل كخلق ادم بل كخلق العالم وعبر عن ذلك بكن اذ كان اسرع مفعول
فيما نشاهد كان قولا واعم الالفاظ معنى الكون مع وجازه لفظ وعلى ذلك قال انما قولنا
لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال الاصم سمى عيسى كلمه لانه تعالى خلق كلمه بجعل
منها عيسى كما خلق ادم من تراب وسايرالناس من نطفه وهذا كما ترى وقال الحافظ
وصفه بذلك من حيث انه تقدم الاشاره وبشارته فى الكتب المتقدمه وهذا كما سمى وعده
كلمه بقوله حقت كلمه ربك وقوله سبقت كلمه ربك وقوله وحق عليهم القول وقيل
سمى كلمه لكونه متكلما فى المهد وخص بذلك لفظ الكلمه للمبالغه كوصف الفاعل بالمصدر وقال

النظام جعل ذاك لقبا له لمعنى شار اليه وسمى مسيحا لانه مسح بالبركه وقيل لانه كان
ماسحا للارض بسياحته فيها وقيل لانه مسح بالجمال وعنى بذلك الجمال النفسى والبدنى
جميعا من الاحوال الجميله والفضايل الكثيره نحو قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حق يوسف
ملك وقيل لانه كان ممسوحا بالدهن لما ولد وقيل سمى به لانه كان ممسوح القدمين
لا اخمص لهما وقيل هو فعيل بمعنى فاعل كانه سمى به لانه كان يمسح الاكمه والابرص فيبرا والجاه
مقلوب عن الوجه لكن الوجه يقال فى الحظوه وفى العضو والجاه لا يقال الا فى الحظوه ووجاهته
ما خص به من اوصافه المعلومه والقرب من الله تعالى فى الدنيا التخصيص بالصفات التى
هى من صفاته تعالى كالكرم والعفو والمغفره وفى الاخره ان يصير فى حوله وقد تقدم ذلك

## قوله عز وجل وكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين

كلمه الناس فى المهد ما انبا عنه تعالى بقوله ان عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى
مباركا اينما كنت الى قوله وذلك من افعال الالهيه حيث جعل الطفل عقلا وعلما وكلاما
وقوله وكهلا قيل معناه كلامه فى حال طفوليته وكهولته سوا وقيل كلامهم طفلا ويعيد وله
من السماء كهلا لانه رفع قبل ان يكتهل وقيل كلم الناس فى المهد كلام الكهول عقلا
وقوله ومن الصالحين اى هو من جمله المذكورين فى قوله والشهداء والصالحين وموضع
وكلم نصب لقول الشاعر بقصر مشى ويطول بادكا اى ماشيا

## قوله عز وجل قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون

القضاء الفصل وذلك اما بالتدبير واما بالقول واما بالفعل فالاول لا
يصح على الله عز وجل الا بمعنى الحكم اذ كان التدبير التفكر فى الشئ والتهيا لاصلاح فيه وذلك
لمن كان ناقص العلم فقوله تقضى هاهنا اما للقول او للفعل او لهما جميعا ومعنى قوله كن لما يدعه
على ما تقدم وقال الاصم عاد الله جاريه فيما اخبر عن كونه ان يقول فى وقت ما لحادثه كن لخلقه لادم

كما قال للملائكة اني خالق بشرا قال له كن لما اراد احداثه بنبيها لهم ولذلك لما اخبرانه سيبعث
نبيا حلقة من غير ذكر قال له كن لما اراد احداثه وذلك ليعرف الملائكة انتهاء الاجل وتنزل
وقال ابو الهذيل ان ذلك قوله بقوله عند كل مكون وحكى عنه انه ترك محرك الارادات بقوله
اني اكون ولم يتجب منها لما ذكرها لها من امرها ونهاها وكيف لا تجب وامرها ابدع من امر ذكرها
فاجابها بقوله كذلك فمن وقف عليه جعل ما بعده كالتفسير له وصل فحواه ان الله كذا قضى
او كذا الفعل ان قيل اذا قال ط هنا خلق ما شاء وفي قصة زكريا يفعل ما شاء قيل لما كان الخلق اخص من
الفعل خصه بما هو ابدع وذكر الفعل فيما هو اقرب الى المعتاد في الحاده قوله عز وجل
ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني
اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين الهيئة الحالة
المحسوسة التي تحدث للشيء والهيئة الحسن الهيئة ومنها اخذ الهابا ياه فما يتراءى به على وجه
التحسن والنفخ جعل الريح في الشيء ومنه المنفخة وعنه استعير نفخة الصور والنفخة للورم
تشبيها بما نفخ فيه والنفاخة للحباة والارداح افتعال من الدخر وهو اعداد الشيء كنايته
قال الفراء تدخرون تحفيفه وقال بعض العرب تدخرون تعوقب بين الذال والدال
نحو مذكر ومدكر والاكمه الذي ولد اعمى وقيل الحسن الاكمه الذي صح وكل كمه عمى وان لم يكن
قبل عمى كمها وقيل مجاهدا الاكمه الذي لا يبصر بالليل دون النهار وليس بشيء وقوله
ويعلمه الكتاب يجوز ان يعني بحال طفوليته ان قيل كيف ذكر الكتاب ثم عطف عليه
التوراة والانجيل وهما من جملة الكتاب قيل قالوا عنى بالكتاب القراءة والكتابة وقيل
نخلها الهيا في حال الطفولية وقيل عنى بالكتاب كتب الله المنزلة وخص التوراة و



والانجيل تخصيص ذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تفضيلا لهما وقد يعم العرف بين الكتاب
والحكمة وقرئ ويعلمه عطفا على قوله كذلك الله خلق وبالنون عطفا على قوله كذلك ومن انبا
الغيب نوحيه وقوله ورسولا عطف على قوله وجيها وقيل بتقديره ونجعله رسولا ان قيل
كيف تعلق هذه الاية بما قبلها وما قبلها حكاية عن الله عن نفسه وهو يعلمه الكتاب وهذه
حكاية حكاها عن عيسى عليه الصلوة واللام وهو اني قد جئتكم قيل تقديره ونعثه رسولا فقول
اني قد جئتكم ودل على اضمار القول ذكر الرسول وترك ذكرهم وابتدا باخبار عيسى
فما قال له وذكر معجزاته ان قيل اذكر في الخلق وفي احيا الموتى اذن الله ولم يدر في غيرها
قيل لكون هذين الفعلين اشقين لم يجعل للمخلوقين اليهما سبيلا لاختلاف النفخ والمداواة
والاخبار بعض الغيب فقد جعل للانسان قدرا من المداواة وجعل لهم شيا من الاخبار
بالغيب كالفراسة والالهام ولم يجعل لهم الخلق ولا احيا الموتى فخصه له باذن الله
ان ذلك فعل الحقيقة صادرة منه تعالى وان كان قد يظهر من غيره كالفراسة و
المداواة وان كان ناقدا يحصل ان من سايير البشر فذلك لا يكون اعتمادا على تخريه واعتبار
امور لا تكون في كل وقت وعلى كل حال ولا في دفعة واحدة وما كان يفعله عيسى كان
بخلاف فعل البشر فلهذا كان معجزة وقواه ان كنتم مؤمنين ان المؤمن هو الذي تفكرون
ذلك فتحصل له الاية وقرئ ان على الاستيناف ويكون تفسير الاية كما ان قوله لهم مغفرة
تفسير للوعد واذا قرئ ان بالفتح فعلى تقدير الجر لان اية او على تقدير الرفع خبر
ابتدا مضمر كانه الاية ان قد جئتكم ﴿ قوله عز وجل ومصدقا لما بين يدي
من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم
باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ﴾ قوله ومصدقا معطوف
على ما دل عليه قوله اية من ربكم اني قد جئتكم مستصحبا اياه ومصدقا كقولك جئتك بالحق
ومكرما لك وليس بمعطوف على وجيها ورسولا لقوله لما معك اني اخلق

ما اتت به من النبوة فيكون ذلك معدودا من جملة معجزاته وقال قتادة والربيع وابن جريج
كان المحرم عليهم في شريعة موسى لحوم الابل والاشياء من الطير والحيتان فاحلها عيسى لهم
وقال ابو عبيدة عني ببعض الذي حرم الاكل والصحيح بقوله او يربط بعض النفوس حمامها
وقال الزجاج هذا قاصر ان البعض بمعنى الكل وعني ليبين بعض الهفوات نفسه خاصة فعرض
وان عيسى خلل بعض الحرمات وهو الذي كانوا حرموا على انفسهم وقوله وراحل معطوف على
موضع ومصدقا لان تقديره لاصدق وراحل لقولك جيتك متزودا وراطيب قلبك وعلف
ذلك بتقدير قوله وكذلك نري اراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
وقوله ولابين لكم بعض الذي اختلفتم فيه وانما لم يقل من ربي او ربنا لان ذلك
احض من المخاطبين وقوله فاتقوا الله قيل وحدوا الله وقيل احضوا من توحيده اذ هي سنيه عليه
ودعاه الى طاعته دعا فهما دعاهم اليه من بعوث الله قوله عز وجل ان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم لما وصف عيسى نفسه
بانه عبد الله اتى على ما ذكره وكان قد قال والطيعون خطر له ما فعلته جماعة من النصارى
وهو اتخاذهم اياه معبودهم فقال ان الله ربي وربكم ولم يقل ربنا ليكون ابعد من الباطل في دعوه
وامرهم ان يعبدوا الله وحده وقال هذا صراط مستقيم منبها ان العدول عن ذلك ليس بالمستقيم
قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله و
اشهد بانا مسلمون الاحساس الوجود بالحاسة وحسه قتله كانه اصاب
حسه نحو قلبه وبطنه وقال الفراء يقال حسست وحسست وحسست فاحسست
فاما حسسته فاصبته بحاستي نحو عنته وبهته اي اصبته بهما فاما احسست فنحو
علمت وفهمت فاما حسيت فيقلب احد السينين ياء واما احسست فمحذوف احدهما
نحو ظلت في ظللت وكلا اللغتين تحريا للتخفيف واما قال لما احس دون علم تنبيها

انه ظهر منهم الكفر ظهورا بادئا الذي الحاسة فضلا الذي العقل وقوله الى الله اي متوجها الى
الله وقيل مع الله نحو الذود الى الذود ابل وقل لله نحو امن وهدى للناس الحق والوجه هو
الاول والانصار جمع نصير نحو اشهاد في جمع شهيد والحواريون قيل سموا البياض ثيابهم عن
ابن جبير وقال بعضهم عني ببياض نياتهم نقاء نفوسهم نحو ثيابك فطهر وقولهم فلان طاهر الثوب
وفي صفة دنس الثوب وقيل كانوا قصارين يبيضون الثياب وقال بعضهم عنى انهم كانوا
يطهرون نفوس الناس وقول النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ان عمتي وحواري يشبهها
بهم وقول لي عيسى الحواريون صفوه الاشياء وطرسه الى حواري عيسى عليه السلام والى قول
النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في الايمان والاسلام وعني بالاسلام هاهنا الاستسلام
لله عز وجل لقولهم ابرهيم اسلم لرب العالمين قوله تعالى آمنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الاتباع الاقتداء بالمتبع وهو
اخص من الاجابة اذ قد تكون اجابة من لم يكن تابعا وانما قال ربنا ولم يقل رب العباد
لان الموضع موضع اعتراف وشكر للاخبار عما عليه النبي في نفسه فلذلك خص ربنا
وقد تقدم ان الشاهد هو المخبر عن الشيء شاهده اما حسا او عقلا وانه لا يستعير الا شهاد
في الاحكام والشاهدون هاهنا هم المؤمنون على طريقة من قال فيهم لتكونوا شهداء على الناس
ونبه بقوله فاكتبنا مع الشاهدين انهم منهم وقوله ربنا متصل بالحكاية عنهم واخبرنا
تعالى بذلك ليقتدي بهم وخاطبه النبي صلى الله عليه وسلم والتضرع الى الله في طلب
الثواب لما طلبوه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين المكر في الاصل حلب بها الانسان الى مقصده بالحيلة وقال
فما حلب به الى مصلحة وقد يقال في ذلك المكر والخدعة اعتبارا بظاهر الفعل دون
المقصد والحكيم قد يفعل ما صورته صورة المكر لكن فعله المصلحة لا المفسدة وعلى هذا
سئل بعض المحققين عن مكر الله فانشد وقبح من سواك الشيء عندي وتفعله فحسن كل ذاك
فاذا مكر الله قد يكون تارة فعلا تقصد به مصلحة ويكون تارة جزاء المكر ويكون تارة

ان يرا نقع مكرهم في عينهم وذلك بانقطاع التوفيق عنهم وتزين ذلك في اعينهم حتى كانه
تثبيه في اعينهم ومكرهم ويكون تارة باعطايهم ما يريدون من دنياهم فاذا اعطاهم واستغلوه
على غير ما يجب وكانه مكرهم واستدرجهم من حيث لا يعلمون ومراجله قال ابو
مسلم محال وهذا من المعنى الذي اقتضى الذي قال تعالى ويحذركم الله نفسه وقال
الكلبي مكرهم كان تدبيرهم في قتل عيسى ومكر الله انه القى شبه عيسى على رجل كان
يهود اعهد لقتل عيسى فدخل شبا وظن ان عيسى عليه الصلوة والسلم فيه فتبعه القوم فصلبوه
وقال الاصم مكره بهم ان سلط عليهم فارسا فقتلهم وسبوذراريهم لقوله تعالى عسا عليكم عبادا

قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي
ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون ان قيل كيف قال اني متوفيك وقد قال تعالى وما قتلوه
وما صلبوه قيل حاله الامران ليس في ذلك منافاة اذ ليس كل متوفى يكون متيقنا
وقد قال الفراء معناه ورافعك الي ومتوفيك فقدم واخر وقال الربيع توفاه وفاته
النوم وقال غيرهما اهلكه وانيا لم ينقص منك شيء وقال الحسن وفاه الرفع لا وفاه الموت
وقال ابن عباس ووهب وفاه موت فانه اماته ثم احياه ورفعه وقال بعضهم معنى
متوفيك اهلكك عن شهواتك ورافعك اي عن شهوتك ولم يكن ذلك رفعا مكانيا
وانما يورفعه المحل وان كان قد رفع الى السماء وعلى هذا قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا
وتطهيره من الكافرين اخراجه من بينهم وقيل تخليصه من قتلهم لان ذلك طهرة منه و
قوله فوق الذين كفروا اي قوتهم بالبرهان والحجة وقال ابن زيد عنى انه جعل النصارى
فوق اليهود في الغرة فقد جعل لكم ملكه ولم يجعلها لليهود وقيل عنى بقوله وجاعل
الذين اتبعوك من اتبع دين عيسى عليه الصلوة والسلم منهم فان من اتبعه بعد بعثته فهو في الحقيقة
غير تابع لعيسى وقيل معنى قوله فوقهم لي يوم القيمة في الجنة انتم في الغرفات امنون



والذين كفروا في اسفل السافلين وحينئذ سقط ما تقدم وقد تقدم الكلام في الرجوع الى
الله قوله عز وجل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الاخرة وما لهم من ناصرين تعذيب الله الكفار والمرتدين في الدنيا
ضربان ضرب عرفوه عذابا كالامراض والخسف والمسخ وتسليط المؤمنين عليهم وضرب
حسبوه نفعا وهو في الحقيقة نقمة وذلك كتمكينهم من مال وجاه وسائر اعراض الدنيا الى
حطهم منها الهموم والغموم واياه عنى بقوله انما يريد الله ان يعذبهم في الدنيا قوله عز وجل
واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الايمان فعل ما يقتضي الامن من عذاب
الله والصلاح فعل ما يقتضي الصلح بينه وبين الله عز وجل والتوفية اعطاء ما لا ينقص
عما يقابله والمراد بالزيادة عليه ان قتل حي كان من المقابلة انه لما عاتب ذكر الكافرين
بقوله وما لهم من ناصرين ان يذكرها هنا ما يقابله فيقول والله ولي المؤمنين ونحو ذلك
من الكلام لا قوله والله لا يحب الظالمين قيل ان قوله والله لا يحب الظالمين من
صفة الذين كفروا وانبه بالصفتين جميعا اعني هذه وقوله وما لهم من ناصرين على كون
المؤمنين منصورين ومحبوبين وقد دل على ذلك من فحوى الكلام في هذه الاية وغيرها من
الايات وفي قوله لا يحب الظالمين تنبيه انه لا يظلم خلقه فمن يحب شيئا لا يتعاطاه
مع استغنائه عنه ان قيل ما وجه اعادة ذكر عذاب الكافرين وثواب المؤمن العامل
الصالح في هذا المكان قيل ان ذلك مقترن بمخاطبته عيسى وهو قوله اني متوفيك
وتقديره الذين كفروا بك آمنوا بك لكن حرف ذلك اختصارا قوله عز وجل
ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم التلاوة والقص متقاربان لكن قيل التلاوة اعتبارا بمساوقة بعض الكلام بعضا بالوحي
والنزال اعتبارا باجتماع الاعلى الادنى والرفع للوضع والقص اعتبارا بقطع الخبر

على ما موبه وفصل اثره والحكم الحكم اشاره الى قوله احكمت اياته ويجوز ان يكون بمعنى
فاعل كأنه ناطق بالحكمة وفاعل لها لاختصاصه اياها وقوله ذلك مبتدا وتلوه خبره و
قيل ذلك تقديره الذي تلوه عليك والخبر قوله من الايات وتلاوته لنزاله ويجوز ان يحمل
تلاوه جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم واوليائه تلاوه لما كان بامره فافعال اوليائه قد تنسب الله قوله
عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها وقوله في موضع آخر قل يتوفيكم ملك الموت

**قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون** لما ذكر تعالى مكان عيسى من الفضيله وما اتاه من المنزله
كذب النصارى فيما ادعوه من بنوته وبين كيفيه خلقه من غير ذكر ان مثل كيف يكون
عيسى مثل ادم وادم لم يولد رحم قيل ان ذلك تكذيب للنصارى فيما ادعوه وذلك ان
اصل بحران قالوا ما رأينا ابنا بلا اب فانزل الله ذلك تبيينا ان ليس امر عيسى باعجب من امر ادم
اذ هو لم يخلق من ذكر ولا انثى وعلى نحو ذلك قوله او ليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم ان قيل لم قال عند الله اهو مشتهر عند الله دون غيره قيل
معنى قوله عند الله في حكمه وان ذلك لا يشق عليه كما يشق عليه ان خلق ادم من غير ابوين
ان قيل ما معنى قوله كن بعد ان خلقه من تراب قيل معناه كن انسانا حيا ناطقا وهو
لم يكن كذلك بل كان دهرا جسدا ملقى لا روح فيه على ما روى في الخبر ثم جعل فيه الروح
وجعل كن عباره عن ايجاد الصوره التي بها صار الانسان انسانا وعلى هذا قال انا
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والمقول له الجسد وقد تقدم الكلام في كن
ان قيل لم قال فيكون ولم يقال فكان قيل يكون عباره عن حال كونه وحكايه الحال
هكذا يخرج نحو قولهم فلان ياتي كذا وقد فعل به كذا ان قيل لم رفع يكون ولم ينصب
على جواب الامر قيل جواب الامر يجب ان يكون غيره نحو ائتني اكرمك وتقديره ائتني فانك
ان تاتني اكرمك ولو جعل فيكون جوابا لكان تقديره كن فانك ان تكن تكن وهذا لا يصح



لان معنى الجواب معنى الشرط واذا رفع فتقديره فهو يكون **قوله عز وجل الحق
من ربك فلا تكن من الممترين** الممترا استخراج المراء بالشك
العارض وجعل عبارة عن الشك وانما قال لا تكن من الممترين ولم يقل ممتريا ليكون ضيفهم
من شك في عيسى وقوله الحق خبر مبتدا محذوف او مبتدا وخبره من ربك ويجوز ان الحق في
ذلك بل في الامور كلها فما يكون مصدره من الله تعالى وقوله فلا تكن من الممترين وان كان
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فالمقصد به عام **قوله عز وجل فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله
على الكاذبين** اصل الابتهال ترك الشيء غير مراعى من قولهم بهلت الناقة تركتها
بلا راع والبهل الطرد وقد يستعمل الابتهال بمعنى اللعن وقد تقدم ان لعن الله قد يكون بمعنى
التوقيف عن الكافر وتركه وسومه وهذا نهايه الحذر ان تعالى قال ادعوا الله اصلا ان
يدعوا الى مكان رفيع ثم جعل عاما في الدعا ان كل مكان والاولى ان يدعا الانسان
الى ما فيه علو منزلة اما على الحقيقه واما على سبيل القبول لقولهم هلم الى السعاده وقوله
حاجك فيه اي في كون عيسى عند الله كادم وقيل في قوله الحق من ربك فلا تكن من
الممترين وكلا القولين واحد في التحقيق لان عليها في امر عيسى والاية نزلت في
نصارى نجران ادعارضوا النبي صلى الله عليه وسلم في امر عيسى عليه الصلوه والسلم وقال لما نزلت
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمه ثم دعا النصارى الى المباهله
فاحجموا وقال بعضهم لبعض ان باهلتموه اصطرم الوادي عليكم نارا فلم يبق نصراني على وجه الارض
وقال بعضهم وفي هذا اشاره الى ظهور بطلان الرعاوى الكاذبه عند اهل الحقايق

**قوله عز وجل ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله
وان الله لهو العزيز الحكيم** اي ان ما قص الله عليكم من امر عيسى هو الحق

وان المستحق لما ذكرنا هو الله لا اله عزيز وان لا اعز ولا حكيم ولا احكم الا الله تعالى في
الحقيقة فهو المدرك لا يلحقه ذلة ولا تغير به حاله وكل من حصل له شيء من العز والحكم فمنه مستفاد
والقصص كل خبر مقتطع على وجه من قولهم قصصت اثره وقصصت الظفر ومواقع المقصوص
كالقبض والقبض للمقبوض والنقض للمنقوض وظاهر قوله وما من اله الا الله ابلغ من قولنا وما اله الا
استغراقه ولا يصح جر لفظ الله على البدل من اله لان من هذه لا يدخل الا على كل نكرة غير
موجبة فاذا لا يكون الا مرفوعا ردا على موضع من اله واعاد ذكر الله ظاهرا على طريق التعظيم
وخص العزيز تنبيها انه تعالى مستغن عن التكثر بالولد على ما يقولونه وفيه تنبيه انه قد اظهر
عزته عما ينسب اليه من الولد بما قدمه من الحجج وانه حكيم لا يفعل ما ينافي حكمته واتخاذ
الولد مما ينافي حكمته * **قوله عز وجل فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين**
اي ان اعرضوا عن الاصغاء الى الحق والتزامه وعن الاجابة الى المباهلة فان حالهم في كونهم
مفسدين ظاهر وعقوبتهم واجبة فهو تعالى معاقبهم * **قوله تعالى قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** قال محمد بن جعفر والحسن
والسدي عني باهل الكتاب هاهنا نصارى نجران وقال قتادة والربيع عني يهود المدينة
وقيل عني الفريقين لقوله في ذمهما اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وسواء وسوى
وسط ويعني به العدل وقول ربيع وابي العالية كلمة سواء لا اله الا الله فصحيح لان ابلغ
العدل التوحيد وهي الكلمة التي يجب ان يتساوى الناس فيها وفي ان يكونوا عابدين غير
معبودين خلاف ما ادعته النصارى ونبه بقوله لا نشرك ان قولهم يقتضي الشرك وان
كانوا ينكرون انهم مشركون وموضع الا نعبد خفض بدل من كلمة او رفع على انه خبر ابتدا
مضمر كانه قيل هي الا نعبد ولو رفع سواء لجر قوله سواء محياهم ومماتهم جاز وكذلك يجوز



رفع لا نعبد على معنى انه لا نعبد وقال بعض الصوفية نبهنا الله تعالى بهذه الاية على طريق التعبد
وان لا يقصد بربنا سواه عند عبادته ولا نفزع في شيء من الحالات الى غيره فيكون ملتزما وصف النبي
صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ان قيل ما الحجة في قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا
قيل انه تعالى ادبنا باب المعاند متى لزمته الحجة وبانت له الحجة فليس الا النقض منه وترك محاجته
ان قيل كيف قال لا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله وكلاهما افاد ما افاد قوله
الا نعبد الا الله قيل ليس كذلك فان الشرك بالله قد يكون في غير العبادة الا ترى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الشرك اخفى فيكم من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ومن ذلك قول
القائل لولا الديك لاتانا اللص وقال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله ولا
يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فقد شرط من دون الله وهذا هو الكفر فاما المملوك
اذا اتخذ صاحبه ربا لا انه معبود فليس منهي عنه * **قوله عز وجل يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية و
الانجيل الا من بعده افلا تعقلون** قال ابن عباس والحسن والسدي
اجتمع احبار اليهود ونصارى نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا في ابرهيم
فقالت اليهود ما كان الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فابطل الله دعواهما
وبين ان ذلك محال لان المتقدم لا يكون منسوبا الى المتاخر ومقتديا به ان قيل فان اليهود
والنصارى لم يدعوا اكثر من ان شريعتنا مساوية لشريعة ابرهيم وهذا قد ادعاه المسلمون
فان امكننا ان يلزمهم ذلك امكنهم ان يعارضوا مثله قيل انا لم ندع ان ابرهيم منسوب
في الشريعة الى محمد صلى الله عليه وسلم كما ادعوه وانما قلنا كان حنيفا مسلما والحنيف المستقيم
والمائل الى الحق والمسلم المطيع والمستسلم للحق وهذان من الاسماء التي تخص بها كل
ذي حق ولهذا قال ان الدين عند الله الاسلام واليهود منسوب الى يهودا والنصارى
الى ناصرة وهما نشيئان حصلتا بعد ابرهيم فكذبوا في نسبته اليهما والمسلمون موافقون

لم يرهم في كثير من الاحكام كالبيت والختان والمضمضة وغير ذلك وتم الحاقه
في اكثر ذلك وايضا فقد ورد في القران ان شرعنا موافق لشرعه فما حكي وهذا
ظاهر ونبه بقوله افلا تعقلون ان ما يقولونه ويفعلونه خلاف مقتضى العقل وان
العقل يزجر عن اتباع دعوى بلا حجة **قوله عز وجل ها انتم هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم
وانتم لا تعلمون** ها للتنبيه عما يغفل عنه الانسان او تغفل يقول ها انا
وانبهكم لمن غفل عنك فان قيل فهذا ان الانسان يغفل عن غيره فكيف يغفل عن
نفسه حتى يقال ها انتم قيل فليس حق فقده ها انتم بتنبيه المخاطب على وجود ذاته وانما هو بتنبيه
على احواله التي غفل عنها فالانسان قد يغفل عن كثير من معانيه لشغله بنفسه فيحتاج ان ينبه
عليه ولهذا لم يقتصر على قوله ها انتم حتى يضم اليه حاله ما مما غفلوا عنه وفي الاية تنبيه على حاله
عملوا عنها وهي انهم حاجوا فيما لا علم لهم به ولم يرد به التوبيخ والاجمل فيقول حبذا لكم تحاجون
فيما ورد به كتب الله المتقدمة فلم تحاجون فيما ليس لكم فيه وفيه ان الحاجة اعلام الحجة
ومن لم يعرفها فكيف يعرفها وفي قوله والله يعلم وانتم لا تعلمون استدعاء لان يسمعوا قولك
لمن اخبرته شيئا ليعلمه اسمع فان اعلم ما لا تعلم وهو لطيف هنا جار مجرى الذين وحاججتم صلته
وقيل بل هو تابع لما انتم جار مجرى عطف البيان وحاججتم هو الخبر والمعنى لم تغتروا باطلا
القدرين **قوله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** انكر الله عليهم محاجتهم في
ابراهيم واسحابهم فيما ادعوه وانه كان على احدى الملتين اليهودية والنصرانية ونفى
الحكم على كونه حنيفا مسلما على ما تقدم ثم بين انه لم يكن من المشركين نسبها ان اليهود
والنصارى فيما ابتدعوه وادعوه مشركون **قوله عز وجل ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله**

ولي المؤمنين قد تقدم معنى الولاية والاتباع وانه تارة يكون بالسنن وتارة بالاعتقاد
وهذا الثاني هو المراد ومعنى الاية ان اصدق الناس موالاة لابراهيم من تبعه في اعتقاده و
توحيده وهذا النبي والذين امنوا هم المتبعون له فاذا هم احق به فعلى هذا قوله وهذا النبي والذين
امنوا مبتدا محذوف الخبر وقيل عطف بقوله الذين اتبعوه المتبعون له في زمانه وقوله وهذا النبي
معطوف عليه ان قيل لم افرد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين قيل لانه هو المقصود
بالولاية والمؤمنون غير الذين اتبعوه هم تابعوه وجوز ان يجعل الموصول عاما ويكون افراد
النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما له كما افرد جبريل وميكائيل عن الملائكة وقدم ذكره تشريفا له كقوله
وملائكته وجبريل وميكال وعيسى والنشور فقدم ذكرهما وان كانا من جملة النبيين وانما قال والله
ولي المؤمنين ولم يقل وليهم تنبيها ان موالاة الله تعالى ستحق بالايمان وانها لشرفه ولفضوره
على من تقدم ذكرهم بل ذلك لكل مومن في كل وقت والولي ها هنا يحتمل على وجهين
احدهما ان يكون بمعنى الفاعل ولما ذكر حال ابراهيم ومشاهده الناس في الانتساب اليه نبه
بقوله والله ولي المؤمنين ان ابراهيم استحق منزلته واثنان ان يكون بمعنى الموالي
اي المومنون هم الذين يوالون الله فاما الكفار فيوالون الشيطان كما قال تعالى والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت **قوله عز وجل ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون** الطائفة جمع طايف وهو الذي يطوف وذلك اعتبارا بطوافهم بالبيت وغيره من
متعبداتهم ولطوافهم في اسفارهم ثم سمي كل جمع طائفة طافوا او لم يطوفوا كتسميتهم
بالرهط مرافعوا او لم يترافعوا والاضلال فعل ما يحصل عنده الضلال ويقال ذلك
له القصد الفاعل ذلك او لانه يقال مجازا مضله كما يقال اصلني فضللت ويقال
اضله سواء فعل ذلك بدعا او بغيره كما يقال اضله الشيطان قال تعالى حكاية عنه
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي لكن الاضلال متى كان

معه الضلال لا يصح ان يقع فعل الضلال من المؤمن ويقال تارة الشيطان واذا لم يكن
معه الضلال صح النسبة الى الاثنين جميعا ويقال تارة الشيطان اضل المؤمن واضل
والود ضرب من المحبة ويستعمل في معنى التمني فيقتضيه التمني اشتمل معه ان وتارة
لو يقول وددت لو خرجت وان الجوز ادخال لو فيه اذا اريد معه المحبة واذا كان بمعنى المحبة
يتعلق بالازمنة الثلاثة واذا كان للتمني فليس الا للاستقبال بين تعالى ان طائفة من اليهود
والنصارى يتمنون ان يفعلوا ما يؤدي المسلمين الى ضلالهم وهلاكهم وكل ما يفعلونه
يؤديهم الى هلاك انفسهم ثم بين انهم لا يشعرون انهم يضلون انفسهم وانما قال لا يشعرون
مبالغة في ذمهم وانهم افتقدوا المنفعة بحواسهم كقوله تعالى صم بكم عمي وقول من قال الاية
تدل على ان المعارف مكتسبة بقوله وما يشعرون فبعيد عن تصور الفرق بين نفي لهم الشعور
وبعلم يدرك في سبب نزول هذه الاية ان قوما من اليهود دعوا عمار بن ياسر وحذيفة بن
اليمان الى اليهودية ه قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله وانتم تشهدون الشهادة الاخبار بالشيء عن مشاهدة اما ببصر او ببصيرة
ثم يعبر بها عن المعرفة المقتضية لصحة ما ادعي وان كان المدعى عليه منكرا بلسانه كقولك
لخصمك انت تشهد ان الامر بخلاف ما تذكره فقوله لم تكفرون بايات الله يحتمل من حيث
يقال عني بذلك الايات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال عنى الايات
التي تدل من الكتابين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون يعني بشهادة
القلب دون اللسان او عنى ما يكون من شهادتهم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
وقيل معناه وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل نبههم انهم يفعلون
ذلك حماية على رياستهم وعصبية لملتهم لا جهلا بالحق بل هم يعلمون قوله عز وجل
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم
تعلمون لبس الحق بالباطل على ثلاثة اوجه الاول ان يحرف الحق فيجعل في صورة



الباطل والثاني ان يزين الباطل فيجعل في صورة الحق والثالث ان يلبس احدهما على الاخر
مع الامكان وقد فسرت الاية على الاوجه الثلاثة قال الحسن وابن زيد هو تحريف التورية
والانجيل وقال بعضهم هو الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم المعرفة بصدقه وقيل هو ما ذكره
تعالى من بعد في قول بعضهم لبعض امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واما
كتمانهم الحق فما كتموه من صفات النبي صلى الله عليه وسلم التي دل عليها اشارات التورية
والانجيل وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتمان العلم بقوله من سئل عن علم
فكتمه الخبر وعنى بالاية والخبر كتمانه مع وجوب اظهاره فاما صيانة العلم الحكمة عمن لا يستحقها
اما لقصوره عن الوقوف عليها او خوفا ان يجعلها ذريعة الى فساد فذلك واجب وقوله
وانتم تعلمون اي تعرفون الحق الذي تكتمونه والتلبيس الذي تاتونه ان قيل لم قال
هاهنا وانتم تعلمون وقال فيما قبله وانتم لا تعلمون قيل الذي نفى عنهم ما ادعوه من
كون ابرهيم يهوديا او نصرانيا وليس ذلك في كتابهم وما اثبت لهم هاهنا وقفوا عليه من
كتابهم من امر النبي صلى الله عليه وسلم فجحدوه وهذا غاية الذم اذ جحدوا ما علموا وادعوا
ما جهلوا قوله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون الوجه اصله الجارحة ولما كان هو اول ما يستقبلك واشرف ما في
البدن تارة يستعمل في اشرف الشيء فيقال هذا وجه كذا وتارة في مبدئه نحو وجه النهار
فقوله ليطمئنوا اي اظهروا الايمان وقوله الذين امنوا اي امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والطائفة التي قالت ذلك قال قتادة والربيع هم اليهود بعضهم لبعض وقال الحسن
يهود خيبر قالوا ليهود المدينة وخص في معنى الاية قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى صلوة الفجر الى بيت المقدس ثم نسخ الله ذلك في اخر النهار فقال امنوا بصلاتهم
وجه النهار الى بيت المقدس واكفروا بصلاتهم في اخر النهار الى الكعبة لعلهم يركون

اذا راوا النواكم عليهم وعتبر عما فعله المسلمون بالنزال اليهم لانهم اقروا بان ذلك منزل
ولكن على حسب ما قاله المسلمون واعتقدوه وقيل ليس القصد في الحقيقة الى وجه النهار
واخره بل لما يجري واعني صرف المؤمنين عن موافقة النبي صلى الله عليه وسلم مكاشفة قالوا اذا
نجيئهم بان نبايعهم مرة ونخالفهم مرة ليحملوا على صرفهم عن اتباعه بذلك فحذر الله
المؤمنين منهم ليحترزوا منهم من جهة وجه النهار واخره على مجاز اخر فقال معناه امنوا به في
الظاهر والكفروا به في الحقيقة وذلك هو المعبر عنه بقوله واذا لقوا الذين امنوا الاية وقيل فيه
وجه رابع وهو ان علما اليهود وكانوا قد حدثوا اهل دينهم بان النبي صلى الله عليه وسلم باخبار له
وجدت على ما اخبروا به ثم لما ارادوا ابانتهم نبطل به ذلو افعال بعضهم لبعض قد اخبرنا
اليهود بما اخبرنا فان كذبناه دفعه اتهمونا ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ان يوهمهم اولا
انا نظنه صادقا ثم نكذبه فهذا معنى امنوا وجه النهار واكفروا اخره ولاظهارهم الايمان
طورا والكفر طورا قال تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا
الاية ه قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم في قوله ان يؤتى احد وجهان
احدهما ان يتصل بقوله ولا تؤمنوا والثاني ان يتصل بقوله قل ان الهدى فاذا
جعلته متصلا بقوله ولا تؤمنوا فتقديره ولا تؤمنوا بان يؤتى احد لكن حذف الجار
لكثرة حذفه مع ان فان قيل كيف يصح ان يكون تؤمنوا مفعوله ان يؤتى وقد عدي الى
قوله لمن تبع دينكم ولا يصح ان تعدى الى مفعولين بغير حرف العطف قيل ان اللام
تتعلق به لا على حد المفعول به وتقدير الكلام لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن
تبع وقول من قال اللام زائدة نحو ردف لكم مستبعد لان من هذا لا تتعدى الا بالجار
وفي قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم على هذا امران احدهما لا تقروا ان احدا عرف محمدا كما



قد عرفتموه والثاني ان خص احد من العلوم والكرامات بمثل ما خصصتم وقوله او يحاجوكم
اي او ان يجعل الله للمسلمين حجة يحاجونكم بها عند الله فاكذبهم الله تعالى في الفصلين جميعا
ورد عليهم اما في الاول فبقوله قل ان الهدى هدى الله تنبيها ان ذلك نعطيه من يشا
نحو ان الله يهدي من يشا اما في الثاني وهو قوله او يحاجوكم فبقوله قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشا فقوله قل ان الهدى اعتراض بين بعض الجملة وبعضها سد بها وجه ابا لهم
وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله جواب لهم والاعتراض بين المتصلين من الجملة
بما فيه تحقيق لمقتضاها او رد لها من بلاغات كلامهم وعلى ذلك قوله ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اوليك فقوله انا لا نضيع اجر من احسن
عملا فصل بين اسم ان وخبره لتحقيق مقتضى الكلام والثاني وهو ان يجعل ان متصلا
بقوله قل ان الهدى هدى الله ويكون كلام اليهود قد انقطع عند قوله ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم وفيه اوجه الاول ما قاله الكسائي والفرا وهو ان ههنا بعض معنى لا كما تقتضيه
في قوله يبين الله لكم ان تضلوا ومعناه البيان بيان الله وقد بين ان لا يخص احد من الامم بمثل
ما خصصتم به ايها المؤمنون اذ دين الاسلام اكمل الاديان ومصون عن الافراط والتفريط
وقد تقدم ان شريعة الله قبل نبينا عليه الصلوة السلام كانت في حكم النشو والتكميل وهي
عليه الصلوة والسلام كملت ولهذا قال اليوم اكملت لكم دينكم وقال كذلك جعلناكم امة وسطا
ونفوك ان معنى ان يؤتى لا يؤتى قول الحسن ان معناه لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم
ايها المؤمنون قال المبرد لا يكون ان في كلامهم مقتضيا للا وانما تقديره ذلك كراهة ان
يؤتى احد وجعل المعنى كما تقدم وهذا التقدير بعيد لاجل ان احدا هذا اخص بالنفي وما
في معناه وعلى تقديره يكون مستعملا في الايجاب على ان بعض النحويين ذكر ان احدا
ها هنا هو المستعمل في الاثبات في نحو قوله قل هو الله احد وقوله او يحاجوكم تقديره عند
الفراحتى يحاجوكم او الى ان يحاجوكم وذلك على سبيل التبعيد وعلى قول الكسائي معطوف

على قوله أن يؤتى على تقديره أو أن يحاجوكم وحكى أنه في قراءة عبد الله بأن وذكر بعضهم أن قوله أن يؤتى
متعلق بفعل مضمر وتقدير الكلام قل إن الهدى هدى الله فلا تجحدوا أن يؤتى أحد مثل
ما أوتيتم أو أن يحاجوكم فإن الله عنده الفضل يؤتيه من يشاء وجعله الله أوجه في قوله أن يؤتى أحد إذا لم يجعل
متعلقا بما تقدم وذكر بعض المفسرين أن قوله ولا تؤمنوا كله خطاب الله للمؤمنين لا حكاية عن الكفار
وذكر في تفسيره أوجها الأول أن يكون تقديره ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى ويكون ذلك
تبيينا أن هذه الشريعة أكمل الشرائع على ما تقدم والثاني أن يكون ذلك حثا على موالاة المؤمنين
ونهيا عن مخالطة الصنف الذي قرن بخوف لا تركنوا إلى الذين ظلموا ونحوها من الآيات والثالث أن يكون
فيه مع المعنى المتقدم حث على أن لا يصاحب المؤمن من لا يكون طريقته طريقته فيشغل عما هو
بصدده وقال بعض الصوفية لا تفشوا أسرار الحق إلى غير أهله ولا تصدقوا ظهور كرامة على غير
المحافظين على ظاهر الشريعة إبطالا لمن يدعي الوصول إليه بلا مشقة تحملها وعبادة تكلفها و
في قوله والله واسع عليم تنبيه على سعة غناه وجوده وعلمه بما يأتيه ويدعيه فلا يتهم فيما يفعله
ويريده **قوله عز وجل يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل**
**العظيم** الاختصاص انفراد بعض الشيء بالإيثار كذا فيه لجملة والفضل في الأصل الزيادة
على المستحق الذي هو العدل وهو المعبر عنه بالإحسان في قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإنه من تمام قوله إن الله واسع عليم تنبيها أنه إذا كان واسعا وعالما فسعته تقتضي أن يوسع
على عباده وعلمه يقتضي أن لا يحرم رحمته مستحقها وفضله يقتضي أن يتجاوز بحركة العدالة
إلى حركة الإفضال وهو أن يتفضل على غير مستحقه وإلا لم يكن فضل عظيم وقال الحسن
ومجاهد والربيع أن الرحمة هاهنا النبوة وقول من قال الرحمة معنى القرآن صحيحا لأن كليهما داخلان
في الرحمة ولا شك أن من أعطيها فقد خص برحمة منه وكذلك وكذلك قول من قال عنى
بالرحمة الحسنى المذكورة في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى وقول من قال عنى به التوفيق
على خفا نون كالمه الذي خص به خواص عباده الموصوفين بقوله وتعيها أذن واعية وكل



ذلك داخل في عموم رحمته إن قيل ما فايدة ترك التبيين في نحو قوله يختص برحمته من يشاء وإبهام
القول فيه قيل الفايدة في ذلك أن يبقى رجاء الراجي وخوف الخايف الممدوح بهما في قوله يرجون رحمته
ويخافون عذابه وليقطع بذلك ملاحظات المجاهدات وليبين أن الإنسان وإن بذل غايته
الجهد في العبادة فبرحمته ينال الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام لن يدخل الجنة أحد بعمله قيل ولا أنت
يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته **قوله عز وجل ومن أهل**
**الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه**
**بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس**
**علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب**
**وهم يعلمون** يقال دمت تدوم ودمت تدام وقال بعضهم مت ودمت وكل
تقول تدوم وتموت وقوله قائما قال قتادة قائما بالتقاضي والمطالبة وقال السدي بالاجتماع
معه وقال غيرهما القائم بالشيء المواظب على الشيء المجتهد في حفظه نحو قوله اسعفا به وذلك
يدخل فيه ما تقدم من الأقوال وقد تقدم الكلام في القنطار ولما ذكر الله تعالى اليهود بأنهم أو تواطئوا أن
يؤتى أحد مثل ما آتاهم الله فذكر خيانتهم لكن فصلهم تعالى من جملتهم من له أمانة وقال
عنى بالذين يؤدون الأمانة المسلمين منهم مثل عبد الله بن سلام وأشكاله ورد عليه بعض الناس
وقال إن الآية نزلت بعد إسلام عبد الله وهذا الراد مقصود أن أهل الكتاب لا يطلق على من أسلموا
وليس الأمر كذلك بل حقيقة أهل الكتاب يتناول من أسلم منهم فإنه لا يجحد حقا ولا
يتناول من بقي بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم على دينه ولم يتبعه إلا مجازا وقوله ذلك
بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي حرج ويقولون لنا إصابة أموال العرب
لشركهم وإلى هذا ذهب ابن عباس إذ أمر بأهل الكتاب فأكل من طعامهم ونذبح لهم الدجاج
فقال يقولون كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل لا تحل إلا بطيب النفس
قال الحسن وابن جريج كانت اليهود عاملوا العرب فلما أسلموا استوعوا من ردها لهم وقالوا

اجر لكم بعد ان دخلتم في الاسلام وقيل معناه ليس علينا سبيل لكوننا ابنا الله واحباه وكامن
عدانا غير لنا وما لهم مال فلا حرج علينا في تناوله وهذه اقوال متقاربه وكانوا اقاربهم عوا ان
ذلك دين شرعه الله لهم فاكذبهم بقوله ويقولون على الله الكذب وذكر انهم يعلمون ان الامر
خلاف ما يقولون تعظيما لكذبهم **قوله عز وجل بلى من اوفى بعهده واتقى**
**فان الله يحب المتقين** عهده يصح ان يقدر مضافا الى الفاعل وان يكون مضافا
الى المفعول فالانسان مدعو الى الوفا بهما وقيل وفي لغة تهدا وفي لغة الحجاز وقيل بلى كرد
احد وبلى قيل هو اضراب عن الاول اي بلى عليهم سبيل فيكون وقفا وقيل فيه
الاضراب عن الاول اعتماد على الثاني نحو ان يقال فلان فقول طلب كذا فلا يوقف
عليه ان قيل ما وجه قوله والتقى بعد قوله من اوفى بعهده قيل فيه وجهان احدهما ان تجعل التقوى
عاما واذا جعلت التقوى خاصا فلانها هي المقصود ان قيل يحب المتقين ولم تقل يحبهم
قيل تنبيها ان محبته اياهم لاجل التقوى فانك اذا قلت جا في الزيد الظريف فاكرمه
لم يقتض صريح اللفظ ان اكرمك اياه لظرفه وفي الاتيان بتنبيه على قياس بتحقيقه ان الله تعالى
لا يحب اليهود بوجه وبيانه ان الله يحب المتقين ومن لا يوفي بعهده واليهود غير موفين
فاذا لا يحبهم الله **قوله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم**
**ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله**
**ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم**
عهد الله يتضمن كل عهد عهد اليهم بما ركبه تعالى في عقولهم وما عهد اليهم على لسان
انبيائهم واما اخذه الانسان على نفسه من امر الزمه نذرا ويمين او خلف او عقد مما الزمه
من جهة الشرع بعين الزام وقد تقدم في قوله لتشتروا به ثمنا قليلا انه لا يعني به العلة المعتبرة
بما ضافه بعض الامان الى بعض في ذلك باعتبار منافع الدنيا بمنافع الاخرة فذم الله تعالى من توصل
الى نفع عاجل باضاعة عهد الله ولكون الوفا سببا لعامة الصلاح والغدر سببا لعامة الفساد



عظم الله امرهما واعاد في عدة مواضع ذكرهما فقال واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وقال
والموفون بعهدهم وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال الذين يوفون بعهد الله
ولا ينقضون الميثاق وكذلك عظم امر الايمان لذلك فقال ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
وقال عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه
غضبان وبين تعالى ان من جرت عادته الشريه الحيوة الدنيا فذلك بانه لا خلاق له في
الاخرة اي لا معرفة له بها ولا نصيب له فيها تنبيها على ما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الاخرة هم غافلون قوله ولا يكلمهم الله فمكالمة الله للعبد ضربان مكالمته اياه في الاخرة
وذلك على الضرب الاول مكالمته اياه من غير واسطة وذلك كحال موسى عليه الصلوة والسلم
حيث وصفه بقوله وكلم الله موسى تكليما والثاني مكالمته اياه بواسطة بشر نبي وذلك
لمن وصفهم بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله والناس في سماع كلام الله تعالى على اضرب الاول
من سمع كلامه فعقل معناه وتعاطى مقتضاه وهم الذين ذكرهم بقوله فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله والثاني من سمعه بعقله ولا يعمل به وهم
الذين ذكرهم بقوله يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه والثالث من سمعه ولا يعقله
ولا يعمل به الذين ذكرهم بقوله يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها واكثر
المفسرين حملوا قوله لا يكلمهم الله على الاخرة فقال بعضهم عنى انه لا يكلمهم كلاما يسرهم واما ما
يسوءهم فلا فقد قال فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال بعضهم لا يكلمهم الكفار
بوجه وانما يسايلهم بلسان الملائكه وقال بعض المفسرين قال يتناول ذلك في الدنيا و
الاخرة فانه تعالى لم يكلمهم اولياه في الدنيا لسماعهم ما يسمعونه من كتابه وساير اياته واثار صنايعه
ولم ينتفعوا بعظاته لم يحصل منه لهم مكالمة ولهذا قال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء وقوله ولا ينظر اليهم فنظر الله الى العبد يكون في الدنيا بافاضة النعمة و
في الاخرة بالاثابة ولما كانت نعمة الله الدنيوية عامة للمسلم والكافر نعمة الاخروية محرمة

على الكافر قال لا ينظر اليهم يوم القيمة فخص واما الترك به فقد يكون في الدنيا توفيقه و
ارشاده الى ما يزداد به العبد بصيرة وفي الاخرة بالاثابة به وكل ذلك ممنوع من الكافر ثم قال و
لهم عذاب اليم تنبيها على ان ثمرة منع هذه الاشيا ايجاب العذاب لهم او تنبيها انهم مع منعه اياهم
هذه النعم جعل لهم زيادة في العذاب الاليم **قوله عز وجل وان منهم لفريقا
يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون** اللي من لويت يده وثنيهم لويت الغريم
ليا وليانا فتلته عن حقه مطله ولي الالسنة قيل تحريف اللسان عن حق القلب وهو الكذب
وقيل هو التشدق والتحريف بالكلام لتشبيهه بغيره وقيل ليهم بالسنتهم تحريفهم بالتاويل
الباطل كما ذم تعالى بعضهم بقلة الوفا بعهد الله ذم بعضهم بالكذب على الله تعالى والذي
هو اوقح كذب واشنعه وعني بالكتاب الاول ما كتبوه بايديهم المعني بقوله فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وبالكتاب الثاني التورية ونفى
ان يكون ذلك من الكتاب الذي هو المنزل ويقولون هو من عند الله اي من حكمه
وانزاله ان قيل ما فايدة هو من عند الله بعد قوله لتحسبوه من الكتاب افاد انهم يشيعون
ويرون ذلك وهذا تعريض منهم وقوله ويقولون هو من عند الله تصريح منهم بالكذب
فوصفهم بانهم يكذبون تعريضا وتصريحا ادلاوة ذنا ويلا وفي هذا دلالة ان ايهام الكذب
قبيح كما ان التصريح به قبيح وايضا فان الشي قد يقال هو من عند الله ولا يكون من الكتاب
فان كل صواب وحكمة من عند الله وان لم يكن منزلا في كتاب وعلى ذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم عني حديث يدل على هدى ويكف عن ردى فاقبلوه
قلته اولم اقله فاني قلته وفايدة ويقولون على الله الكذب بعد الذي تقدم ذكره تنبيه
ان كلا الامرين منهم كذب لي الالسنة وقولهم هو من عند الله واعلام ان ليس كذبهم



مخصوصا بهذين فقط بل يعم لذلك تقول لمن حلف تقول على كذا وهو كاذب ثم قال وهم
يعلمون تشنيعا عليهم وانهم غير معذورين بوجه اذ قد يعذر الانسان في بعض ما ينطق به من
كذب عائدا اليه وعا الحاجة وهو يقصد به استجلاب نفع دنيوي فهو مستحق اللوم **قوله عز وجل
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** البشر يستوي فيه الواحد
والجمع لكونه كالخلق والرباني قيل هو منسوب الى الربان وهو المختص بالعلم الذي يربيه
باستفادته وافادته وفعلان اكثر ما يجي انما يجي عن فعل للمبالغة نحو نعسان وقال الزجاج
الرباني منسوب الى الرب لكن يزيد فيه الف ونون للمبالغة في النسبة كما زيد في لحياني
وجماني وقال هو موضع من لفظة في الاصل سريانية واخلق بذلك فقل ما يوجد في كلامهم
القدما والى قدر مبلغ من معناه قال الحسن معناه كونوا علما فقها وقال ابن جبير حكما فقها وقال
ابن زيد مدبري امر الناس في الولاية بالاصلاح وقال الزجاج معلمي الناس وهذا كله الفاظ
مختلفة على معنى واحد بين تعالى انه ان يصطفي علام الغيوب لرسالته من يعلم من حاله
انه يكذب وان يامر الناس ان يعبدوه والى هذا اشار بقوله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالته واما قال ما كان لبشر فذكره باللام لان قولك فلان ليس له ان يفعل كذا لك
ابلغ من قولك هو لا يفعل لان في قولك ليس له انه ممنوع منه اما منعا من خارج كالقهر
واما من داخل من جهة العقل والتزام الشرع وقد نبه تعالى بذلك ان الانبيا ممنوعون
عن ذلك من جهة العقل المسدد والخطر الوارد عليهم من قبله تعالى لا منعا من جهة
عدم التمكن وعلى ذلك قوله تعالى وما كان لنبي ان يغل واما قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد
فانه لما اراد تعالى المبالغة في النفي اخرج الكلام هذا المخرج تنبيها ان الحكمة تمنع من ذلك
وان كان منزها عن ان يوصف بمنع على وجه وقال الجبائي ليس قوله ما كان لبشر على سبيل

التحريم لان هذا محرم على جميع الخلق قال ولو كان ذلك خبرا لم يكن تكذيبا للنصارى
في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على انسان قولا فقال فلان لم يقل له كذا لا يكون
مكذبا لدعواه قال وانما اراد الله بهذا القول تكذيبهم وما قاله فيه وتصوير بطلان النصارى
اقروا ان المسيح لم يكن يدعي ما لم يكن له ان يدعيه فاذا اقروا بذلك وبين تعالى ان ليس له
ولا لاحد من البشر ان يقول ذلك كان فيه الزام واضح وكانه قيل قد ثبت ان المسيح لم
يكن يدعي ما ليس له دعواه وثبت انه كان بشرا كما تقدم في هذه السورة وغيرها ولم يكن لاحد
يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ان يقول للناس اعبدوني من دون الله وان المسيح قد اوتي
الكتاب والنبوة فاذا محال ان يدعو احدا الى عبادته وقوله ثم يقول للناس بالرفع على
الاستيناف وبالنصب على العطف اي لا يجتمع الامران ايتاء النبوة وقوله كونوا عبادا لي
من دون الله وقوله ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقولوا كونوا ربانيين حكماء اولياء لله
فقد قيل ان لم يكن العلماء اولياء الله فليس لله في الارض ولي وقيل كونوا متخصصين بالله
تخصصا تنسبون اليه وتوصفون لعامه او صافه نحو الجواد والودود والرحيم وقيل كونوا
من المتخصصين بالله الذين وصفوا بقوله فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به الخبر وقيل كونوا متخصصين بالله غير ملتفتين الى الوسائط كما كان بكر
لما قال حين موت النبي صلى الله عليه وسلم واضطربت اسره عامة الناس من كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقد قال
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الخ يوتيه وقوله بما كنتم اي بكونكم عالمين او
معلمين على حسب القرائن في تعلمون وتعلمون وراجع لفظه ما هاهنا الى ضميركما
معنى في قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا الكونه في تقديرات ومعنى تعلمون الكتاب
اي تعرفونه كقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت وقوله والله يعلم المفسد من
المصلح واذا قرئ تعلمون فمعناه لعلمون الناس الكتاب وقوله وبما كنتم تدرسون ما يصح

ان يوصف به العلم والمعلم ومعنى ما كنتم اي كونوا معلمي الخير بما علمتم او كونوا حكماء عالمين
بما علمتم فان الحكيم في الحقيقة من عمل بما علم وكان محكما لاعماله احكامه لعلمه واذا قرئ بما كنتم
تعلمون فمعناه كونوا عاملين بما تعلمون غيركم لشارة الى فحوى قوله اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم **قوله عز وجل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين**
**اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون** ولا يامركم قرئ مرفوعا على
الاستيناف ومنصوبا على رده الى قوله ان يوتيه الله وفي قراءة عبد الله ولا ان يامركم
وقوله بعد اذ انتم مسلمون اي بعد ان كنتم على دين ابيهم او بعد ان شعتم النبي فمن دعاكم
اليه وهذا الكلام يقتضي قبحا سابيانه النبي ولا يامر المسلمين بالكفر وهذا مقدمة دل عليها قوله
ايامركم بالكفر لان هذا الانكار يقتضي ابلغ نفي والامر بالجاد النبيين والملائكة ارباب
امرا بالكفر فاذا لم يكون ذلك من الانبياء **قوله عز وجل واذ اخذ**
**الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم**
**رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال**
**اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا**
**وانا معكم من الشاهدين** قوله لما اتيتكم اذا قرئ بالفتح فلفظه ما محتمل وجهين
احدهما ان يكون موصولا وتقديره ما اتيتكموه كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا اي
بعثه الله والراجع اليه من قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم احد شيئين اما محذوف
اي جاءكم رسول به واما ان قوله لما معكم هو في المعنى الكتاب فاستغنى به عن الضمير
كقولك الذي اتاني لا اضرب عمرا اذا كان عمرو ممن اتاه وهذا الحاء الوحشي
وعليه حمل قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي لا يضيع اجرهم
وجاز ذلك لما كان من يتقي ويصبر هم المحسنون والوجه الثاني ان يكون ما للجزاء ويكون مفعولا
من اتيتكم وجاءكم في موضع الجزم معطوف عليه واللام الداخلة على ما هي الموطئة للقسم والتي في

لتؤمنن به ولتنصرنه للمتم كالامين في قوله تعالى ولئن شيئنا لنذهبن بالذي وعلت
هذا حمل سيبويه الاية وقال وسالته يعني الخليل عن قوله واذ اخذ الله فعال ما جاء هنا منزله
الذي وخلتها اللام كما دخلت على ان حين قلت لئن فعلت لافعلن وعنى بقوله
ان ما منزله الذي انه اسم راجع كما هو في قوله لما متاع الحيوة الدنيا ولم يرد انها
موصوله كالذي والما جعله كالذي لعدم الضمير الراجع اليه في قوله ثم جاءكم رسول
فان قيل فمن جعل ما موصولا في قوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة وجب ان يكون ابتدا
فاخبر قيل خبره لتؤمنن به والضمير في به راجع الى ما في قوله لتنصرنه الى الرسول ولا
يجوز ان يرجع من قوله لتؤمنن به الى الرسول ايضا لانه سقى المبتدا بلا عايد اليه فاما من
جعل ما حرفا فلا يحتاج الى ضمير لانه حينئذ مفعول والمفعول لا يحتاج الى ضمير يرجع اليه
ومن قرا لما اتيتكم بالكسر فمعناه اخذ الله الميثاق منهم لاجل الذي اتيتكم وما لا يكون
هاهنا الا موصوله والكلام في رجوع الضمير اليه قد تقدم وروي لما اتيتكم اي اخذ الله
ميثاق النبيين حين اتيكم الكتاب ثم جاءكم رسول ولما ذكر ذلك حكى لفظ الميثاق
الماخوذ عليهم وقوله لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله من الشاهدين واحلف فمن اخذ
عليه هذا الميثاق فقال بعضهم اخذ من الذين منهم الانبيا وتقدير الكلام اخذ ميثاق
امم النبيين وروي ان الرسل قراوا اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وقال هكذا
انزل واحطا الكاتب الا ترى انه قال ثم جاءكم رسول وحكى انه هكذا في قراءة ابن مسعود
وقال بعضهم اخذ ميثاق النبيين ان بشر المتقدم بالمتاخر وتصدق بالمتاخر المتقدم
وان يخبروا قومهم بمحمد خاتم النبيين قال السدي ما بعث نبي من لدن نوح الا اخذ
ميثاقه لئن بعث محمد خاتم النبيين ليؤمنن به ولينصرنه وفي هذا بيان ان كل زمان بالشريعة التي خصه الله
بها اولى وبهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي والصحيح
ان العهد اخذ من الفريقين من الرسل والمرسل اليهم لكن خص الانبيا بالذكر لكونهم الرؤس



ولكون الامة تبعا لهم وكذلك خص النبي في كثير من المخاطبة التي يشاركه فيها امته نحو
يا ايها النبي اذا طلقتم وانه اذا اخذ الميثاق على الانبيا فقد اخذ على امهم لمشاركتهم انبيائهم
في عامة ما شرع لهم واما كيفية اخذ هذا العهد فقد قيل كان ذلك بقول وامر من الله
للانبيا ان خبروا قومهم بذلك وقد قيل ان ذلك بما ضمنه عقولهم ان الحق حيث ما وجب
ان يتبع ولما اخبر الله تعالى في الاية المتقدمة ان ليس لاحد ما ادعاه من قوله ما كان لبشر
ان يوتيه الله الكتاب والحكم ذكر هاهنا انه تعالى لم يحل الانبيا مع كونهم ما ذكروا من
علو الغيب من اخذ ميثاقهم بظاهر البعض البعض وقوله فاشهدوا قيل معناه اعلموا
فان الشاهد وقت التحمل مع العلم وقت الاقامة هو الاخبار وقوله وقوله وانا معكم
من الشاهدين على حد ما تقدم في قوله شهد الله ﴿قوله عز وجل فمن تولى بعد
ذلك فاولئك هم الفاسقون﴾ لما كان الفسق هو الخروج عن
امر الله وطاعته وكان من ادى منزلة ومن اضاع ما يوتمن بعد صار له منازل كثيرة
فاطلق تارة على الذنب الصغير نحو قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا
فانه فسوق بكم وتارة على الكفر والشرك نحو افمن كان مومنا كمن كان فاسقا وقوله
واما الذين فسقوا فماوهم النار وعلى هذا استعمال الفاسقين هاهنا ودخول الفا
في قوله فاولئك لتضمن من معنى الشرط ﴿قوله عز وجل افغير دين الله
يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها واليه يرجعون﴾ جعل اسلم على الاستسلام وعلى الاعتقاد والاقرار
باللسان والتزام الاحكام وقيل في ذلك اقوال الاول له اسلم من في السموات طوعا
ومن اسلم منهم بوحدانية الله وصفاته ضروره لا استدلال وعامة اهل الارض كرها لمعنى
ان الحجة اكرهتهم والجاتهم لقولك لا دار له اكرهتني على القول بهذه المسايل وليس هذا من
الاكراه المذموم الثاني اسلم الموسنون له طوعا والكافرون كرها اذ لم يقدروا على ان يمتنعوا

عليه ما يريده بهم و يقضيه عليهم الثالث عن قتاده اسلم المومنون له طوعا في حال الصحه
والامن والكافرون كرها عند الموت حيث قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
الرابع عن ابن عباس اسلموا بما حوالهم الناطقه عنهم وذلك في الذر الاول حين
قال الست بربكم قالوا بلى وقيل معنى ذلك دلالهم التي فطروا عليها التي هي العقل
والفطره المقتضيان لاسلامهم طوعا او كرها والى هذا اشار بقوله وظلالهم بالغدو
والاصال السابع عن بعض الصوفيه ان من اسلم طمعا مومن طالع المشب والمعاقب
دون الثواب والعقاب فاسلم رغبه ورهبه ونحو هذه الايه قوله ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها وفي هذه الايه حجه بينه ان طاعة الله هي التي تجب ان
يكون المبتغى والمطلوب ان كل ما سواه مما تتقرب اليه فقد اسلم لله طوعا او كرها
قوله عز وجل قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
قد تقدم القول في ذلك في سوره البقره الا انه يقال كيف قال ههنا قل وهناك
قولوا وذكرها ههنا علينا ولم يذكر هناك وما اوتي النبيون وترك ما اوتي
ههنا والجواب ان قل ههنا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتقد ذلك
ويبلغ قومه وهناك خطاب للامه ان يعتقدوا وليس يامرهم ان يقولوا وانما
قال ههنا على ان ذلك لما كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان واصلا اليه
من الملا الاعلى ملا واسطه بشريه كان لفظ على المختص بالعلو اولى به وهناك لما كان
خطابا للامه وقد وصل اليهم بوساطه النبي صلى الله عليه وسلم كان لفظ الى المختص بالايصال



اولى ويجوز ان يقال انزل عليه انما يحمل على ما امر المنزل عليه ان يبلغ غيره وانزل اليه
على ما خص به في نفسه واليه نهايه المنزل وعلى ذلك قال الم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم وقال وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم خص بالذكر هنا
لما كان مخصوصا بالذكر الذي هو بيان المنزل وهذا لم يات في الوجيز واما على لفظ
ما اوتي هناك فلانه لما كان لفظ الخطاب عاما ومن حكم خطاب العامه البسط دون الايجاز
بسط اللفظ ولما كان الخطاب ههنا خاصا للنبي صلى الله عليه وسلم على ما قدمنا الكفى فيه
بالايجاز ان قيل اذا كان ذلك امرا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله فكيف قال ونحن
له مسلمون قيل انما ذكر ذلك تنبيها ان امته غير منفردين عنه في هذا الاعتقاد وغير
مكروه لهم ان يلحقوا ذلك تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم فكيف فتح لهم الفتح بذلك
مع كون الفتح مذموما قيل الفتح هو اظهار الانسان ما يطلب به رفعه عند الناس
وليس هذا من ذلك بل هو اظهار النعم المندوب اليه بقوله واما بنعمه ربك فحدث
واظهار مباينه الكفار بالاعتراف بالاسلام وفضل الاستسلام في الايمان لهم
ومن في الحقيقه لله تعالى لا لغيره قوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخره من الخاسرين في الايه
فوران احدهما ان الاسلام هاهنا الاستسلام الى الله وتفويض الامر اليه وذلك
امر مراد من الناس في كل زمان ومن كل امه وفي كل شريعه وقد تقدم ان الدين في اللغه
الطاعه وفي التعارف وضع الهي يسوق به الناس الى النعيم الدائم فبين تعالى
ان من ترك طاعه واشيا قا الى النعيم من غير الاستسلام له على ما يامره به وصرفه فيه
فلن يقبل منه شي من اعماله وهو في الاخره من الذين خسروا انفسهم والثاني ان المراد
بالاسلام شريعه محمد عليه الصلوه والسلام فبين ان من ترك بعد بعثه شريعه او طاعه
لله من غير متابعته في شريعه فغير مقبول منه وهذا الوجه داخل في الاول فعلم ان

من الاستسلام والانقياد لامر من صحت نبوته وظهر صدقه ۞ قوله عز وجل
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم
الظالمين هذه الاية والثلاث بعدها قيل نزلت في رجل ارتد ثم ارسل الى قومه
سالوا النبي صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فانزل الله تعالى ذلك فعاد الى الاسلام
وحسن اسلامه وقيل نزلت في اليهود الذين اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
قبل بعثته ثم انكروه بعدها ومعنى هذا قوله كفروا بعد ايمانهم اي جحدوا بعد معرفتهم لانهم
لا يهتدون ابعد دخولهم في الاسلام وقد تقدم ان الهداية من الله على اضرب الهداية التي
عم بها كل مكلف وهو اعطاؤه العقل المميز بين الخير والشر وبين الصدق والكذب
وهي المعنية بقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثاني زيادة الهدى
التي ياتي بعد استعمال الاول المعنية بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والثالث
التزكية لاعمالهم او توفيقه في احوالهم وهو المعني بقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم والرابع ادخال الجنة المعني بقوله والذين قتلوا في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة والله تعالى لا يوتي هولاء شيا
من ذلك اما الثاني والثالث والرابع فلانهم لا يستحقونه اذ لم يهتدوا بالاول واما
الاول فلانهم قد اتاهم ما امكنهم الاهتداء به ومن اعرض عن الهداية ما فيه من الكفاية
فلم يهتد به فالزيادة فيه لا تغني ما لم يكن على سبيل القهر المنافي للتكليف ولذلك
قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم الاية ثم قال والله
لا يهدي القوم الظالمين بينها ان الهداية من الله تطلب من العبد سابقا ولا تحتمل
فان الظلم ترك الاهتداء ومن يهدي ويترك الاهتداء عنادا لا سبيل الى هدايته
الا قهرا وعلى هذا قال ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ان قيل



قيل كيف نفى عن الكافر الهداية في هذه المواضع واثبت له في قوله واما ثمود فهديناهم
قيل المثبت لهم ها هنا هو العقل والتمييز دون الاخر التي لا تحصل الا بعد الاهتدا
بهذا وهذه تارة يثبت للكافر اذا اريد انه مطبوع عليها ومعرض لاستعماله اياها وتارة تنفى
عنه بمعنى انه لم يستعملها او لم يحصل قبوله على ما يجب فكانه في حكم ما لم يعط وقوله لا يهدي
القوم الظالمين فهو على لفظ الاستقبال ومعناه لا يفعل به ذلك ثانيا اذ قد اتاه ما فيه
الكفاية ولفظ كيف وان كان استفهاما فالقصد به النفي ها هنا وعلى هذا قول الشاعر
الا هل اخو عيش لذيذ بدائم ۞ فادخل الباء في خبر هل لما اراد معنى ليس ان قيل
على ماذا عطف قوله وشهدوا فان ظاهره من حيث المعنى انه معطوف على قوله بعد ايمانهم
ولا يصح عطف الفعل على الاسم ولا يصح ان يكون معطوفا على قوله بعد ايمانهم ولا يصح عطف
الفعل على الاسم ولا يصح ان يكون معطوفا على قوله يهدي الله لانه لم يرد كيف يهدي
الله قوما هكذا او كيف شهدوا ان الرسول حق قيل في ذلك وجهان احدهما ان يكون
تقديره بعد ان امنوا وان شهدوا فيكون ان مقدرا كما هو في قول الشاعر
للبس عباءة وتقر عيني ۞ الا ان اضمار ان في البيت اظهر لانتصاب تقر والثاني
ان يكون وشهدوا في موضع الحال اي وقد شهدوا نحو قوله او جاؤكم حصرت صدورهم وعلى قول الشاعر
تقول وصكت وجهها بيمينها ۞ وقوله ان الرسول حق اي انه سيبعث وانه منتظر
قوله عز وجل اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون قد تقدم الكلام في ذلك وقوله ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار الا انه ثم الحكم ثم فقال عليهم لعنة لما كان ذلك حكما
على قوم ماتوا على الكفر وقال ها هنا جزاؤهم لما كان حكما على قوم بانهم وصح صلاحهم منهما
على تضمن معنى الشرط لان ذلك لهم ان ماتوا على الكفر ۞ قوله عز وجل

الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم

ان قيل لم اقتصر ههنا على التوبة والاصلاح وقال في البقرة الا الذين تابوا ان يقال المذنب ما تقدم من ذنبه بما لو في عليه فراغا له الخير وكان من ذنب الاحبار الذين ذكرهم في قوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات ان قالوا للناس ليس في التوراة ما يدل على نبوة محمد صار من تمام توبتهم ان يبينوا للناس ما كتموه ولما لم يكن في الموضعين ههنا ذلك اقتصر في توبتهم على الاصلاح وانما اتبع التوبة في عامة المواضع الاصلاح فان التوبة راجعة في الاصل الى الاعتقاد والاصلاح الى الاعمال وكلاهما مرادان وعلى ذلك اتباع عمل الصالحات بعد ما احب ولذلك قيل الجود بالنفس اقصى غاية الجود وقال بعضهم احب الاشياء اليك ادوجلا فالفقها في الوصول الى البر وقيل بر الله لعبده اطلاعه على دقائق حكمته وحقائق المعقولات ولا يكون ذلك الا بترك ما تميل اليه النفوس من المحسوسات من المطعم والمنكح والملبس وقيل اعظم البر مجاوزة البلاد وقربه وذلك بانفاق ما لنا في الدنيا وقوله فان الله به عليم اي مجاريكم ودلالة ذلك على المجازاة جعل جوابا للشرط قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين كان اليهود انكروا تحليل النبي صلى الله عليه وسلم لحوم الابل وقالوا انها كانت محرمة على ابرهيم على ما نطق به التوراة فكذبهم الله تعالى في ذكر انها كانت محللة عليه وعلى اولاده الى ان حرمها اسرائيل على نفسه وهو يعقوب وامرهم باحضار التوراة فامتنعوا ولم يجسروا على ذلك لصدق ما اخبر تعالى به وسبب تحريمه ذلك قيل انما كان مرضا اورثه لحم الابل وتركه وحرمه على نفسه كحرم المريض طعاما لا يوافقه لا كحرم شرع وقال ابن عباس والحسن اصابه عرق النسا فنذر ان يترك ان عافاه الله اشهى طعامه اليه تقربا الى الله تعالى وكحرم اليهود ذلك كان افتاء منهم به وقيل انه لما حرم على نفسه حرم الله عليهم ولذلك قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات في الآية حجة عليهم على هذا

في جواز النسخ لانه حرم عليهم ما كان مباحا في شريعة ابرهيم ان قيل كيف حرم هو على نفسه ما كان مباحا فاقره الله عليه وحرم النبي صلى الله عليه وسلم جاريته فعاتبه ومنعه قيل ان اسرائيل انما انه حرم على نفسه لحم الابل لانه لم يكن يوافقه وكان واجبا عليه تركه فان الله تعالى جعل الطعام ليتوصل به الى صلاح البدن وما يودي الى فساده فواجب عليه تركه واما انه حرم ذلك تقربا الا يمان في كل موضع ذكرا معا ان قيل لم قال ههنا غفور رحيم وقال ثم انا التواب الرحيم قيل كل واحدة من الصفتين اعني التواب والغفور تضمن الاخرى لكن التواب اخص والغفور اعم فذكر حيث ما ذكر اعظم الذنبين الضلال والاضلال التواب حيث ما ذكر اصغرهما وهو الضلال دون الاضلال ذكر الغفران قيل لم قال ههنا من بعد ذلك ولم يقل ثم قيل لما وصف ههنا قوما كان منهم ايمان متقدم ثم حصل منهم كفر بعد ايمانهم قال من بعد ذلك ليبين ان الايمان المتقدم لا ينفعهم اذ قد احبطوه وابطلوه وان الذي يعتد به هو ما يفعلونه من بعد ولما لم يكن ثم كفر بعد ايمان متقدم استغنى عن ذكر بعد ذلك ودخول الفاء في قوله فان الله لتضمن الكلام معنى الجزاء كانه قيل ان تابوا واصلحوا يغفر لهم قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون قيل معناه لن تقبل توبتهم بعد الموت وقيل عند الموت والمعاينة نحو وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقيل توبتهم المتقدمة فان تلك احبطها الكفر المتعقب وقيل نزل في قوم ارتدوا وقالوا انا اذا رجعنا قبل توبتنا وظنوا ان ذلك منهم توبة فبين تعالى ان هذه النية غير مقبولة والها ضلالة وقيل معناه لا تكون منهم توبة مقبولة كقول الشاعر

على لاحب لا يهتدى بمناره ان لا يكون فيه منار فيهتدى به وهذا اخبار عن عملهم تعالى كما علم وقيل ان توبتهم غير مقبولة في حال ما هم ضالون فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان قالوا وفي قوله واولئك على هذا واو الحال قوله تعالى ان الذين كفروا

وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين الفدية بذل شئ اختراسا من اذى
ومنه فداء الاسير وقولهم فديتك وادخال الواو في قوله ولو افتدى به لعموم المعنى ومعناه
لا يقبل منهم ذلك وان اخرجه على وجه القربة في الدنيا اذ كان لا تقبل الله الا من المتقين
ويجوز ان يعني ذلك في الاخرة ومعناه لو ملك ذلك فاخرجه لم يكن نفعه وليست الواو بزايدة
كما ظن بعضهم لانه حينئذ يسقط معنى عموم الحالين وملء الارض قيل هو مقدار ما يملأ الارض
وقيل معناه كل ما يتعامل به في الارض من الذهب في ذلك حسم يطمع من مات على كفره في رحمته
قيل وهذه الاية والتي قبلها كالآيتين في سورة النساء انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب الى اخر الآيتين قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم البر التوسع في فعل الخير وقد
تقدم في قوله الآمرون الناس بالبر ان البر ينسب الى العبد تارة وذلك اذا اطاع الله والى
الله تارة اذا انعم على العبد وقد حمل هنا على الامرين وقيل البر من الله الثواب وقيل الجنة وقيل
الطاعة ومن الناس من اعتبر ذلك في المال فقط والانسان محب للمال بالطبع ولهذا قال تعالى
ويحبون المال حبا جما ثم منهم من قال هذا خطاب للاغنياء ولذلك قال الحسن عنى الزكاة الواجبة
وما فرض في الاموال خاصة ومنهم من قال خطاب للكل وحث لهم على ما قدروا عليه من الانفاق كمن
مدح بقوله ويؤثرون على انفسهم ولذلك لما نزل هذه الاية جاء زيد بن حارثة بفرس فقال هذا
مما احبه الله وقد جعلته في سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ومنهم من اعتبر
ذلك في متاع الحياة الدنيا كله فقال لن تنالوا البر الا بالانفاق وبذل الجاه والبدن
فكل ذلك حث على جمع المحامد فان من تشح وبذل المهجة في طاعة الله فقد انفق مما الى الله
كما يحرم الصائم الطعام وكما يحرم المعتكف على نفسه بعض المتصرفات ولم يكن يحرم النبي صلى الله عليه وسلم
على احد هذين الوجهين بل لما ذكره تعالى تبتغي مرضاة ازواجك ولان في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم

تضمع



تضمع حق متعلق به للغير وهو الحادثة وليس ذلك في فعل اسرائيل وانضاف ان اسرائيل
لما حرم اشهى الطعام اليه قصد بذلك قمع الشهوة ونحو ذلك لهذب الحكيم نفسه والنبي
صلى الله عليه وسلم في تحريم جاريته تبع هوى عمر وهو مرضاة ازواجه وذلك مكروه فلم يقر على ذكر
بعض الصوفية ان في ذلك تفصيلا للنبي صلى الله عليه وسلم من وجهين احدهما انه لما حرم اسرائيل على
نفسه ما احبه امضاه وحرم النبي على نفسه فعافاه والثاني بنو اسرائيل ما كانوا ملزمونه ما لم
يكن قربة في الشريعة يلزمهم الوفاء به تشديدا عليهم وعلى ذلك دل قوله ما كتبناها عليهم الا
ابتغاء رضوان الله وما لهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم ورفع عن هذه الامة ذلك
فضيلة للنبي ص ان قيل ما وجه اتصال هذه الاية بعضها ببعض لانه ذكر اولا ان الذين كفروا
بعد ايمانهم الآتين ثم ذكر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون عقبها بتحريم اسرائيل الطعام وذم اليهود
قيل لما ذكر في الآتين المتقدمتين ذم اليهود وغيرهم من الكفار وبين ان ايمانهم مع كفرهم غير مقبول
منهم وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر ليدل بقرينة ان الانفاق غير معتد على جمع الوجوه فقال وانتم
ايها المؤمنون اذا انفقتم فانما تقبل منكم على هذا الشرط ثم رجع الى ذم اليهود وتعديد ما ارتكبوه
فصار قوله لن تنالوا البر من الآتين من الاعتراض المسمى في كتب البلاغة الالتفات قوله
تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون الافتراء والاختلاق افتعال
للكذب الذي لا اصل له من افتراء الاديم واخلاقه والكذب ضربان اختراع قصة لا اصل لها
وزيادة او تغيير فيما له اصل والاول اعظمهما والمفترى عليه ضربان رفيع ووضيع فالمفترى على
الرفيع اعظم وبالعكس المفترى له ضربان عارف بالقرينة وحاصل بها فالمفترى العارف بالقرينة اوفحهما
اوجبها فبين الله تعالى بالآية انهم اختلقوا الكذب على الله تعالى الذي يعلم السر واخفى وفعلوا
ذلك بعد ان اطلع الله الناس على كذبهم وبين ان مجرى ذلك في نهاية الظلم وعلى ذلك في غير
موضع ومن اظلم ممن افترى كذبا قوله تعالى قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما
كان من المشركين معنى قوله قل اعتقدوا واخبروا ان ذلك من قول الله تعالى وهو صادق وحقيقة
ولما صدق الله اقر بان الله قد اخبر فانه اذا ثبت كونه من جنبه ملة كونه صدقا وبنبه ان ما اخبر
من قوله كل الطعام كان حلا وسائر ما تقدم صدق وانه ملة ابرهيم واوجب عليهم اتباعه في حنفه اي
في استقامته وفي قوله وما كان من المشركين تعريض لهم كانه قيل انتم مشركون في اتخاذ بعضكم بعضا
اربابا وابرهيم لم يكن مشركا فاذا ليس دينكم دين ابرهيم وكالتي في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
انه منهم نفى في هذه الاية كونه مشركا قوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا قيل مكة هي المسجد ومكة الحرم وقيل

بكه هى البيت وقيل هى بطن الحرم وقال مجاهد هما واحد كقوله سبّد راسه وشمّره اى حلقه وضرب
لازم ولازب واصل بكة من التباك اى التزاحم وذلك اعتبار ازدحامهم لقصد الطواف
به وقيل لبكة اعناق الجبابره اذا حدوا فيه ومكة من امتك الفصيل ما فى الضرع كانه يمتص
اهل الاقاليم ولوفضهم ولذلك سمت ام الرحم والبركة ثبوت الخير فى الشى ثبوت الماء
فى البركه وسميت البركه لثبوت الماء واصل الكلمة البروك وبرك البعير القى بركه وبراكاء
القتال ملازمته وتبارك الله تخصص بلزوم فعل الخيرات واختلف فى بنا البيت فقال
مجاهد وقتاده هى اول بيت بنى فى الارض وقال على اول بيت وضع للعبادة وهذا الاحلاف
لاختلاف المفسرين فى الآية لانه على الثانى ان اول بيت وضع للناس مباركا وهدى
للعالمين للذى ببكة ثم اختلفوا فى معنى اول فمنهم من اعتبر ذلك بالشرف والمنزله فكانه قيل
اشرف بيت وعلى ذلك قال مجاهد هو كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس ومنهم من اعتبر اوليته
بالزمان ثم اختلفوا فى معنى اول فمنهم من اعتبر ذلك بالشرف والمنزله قال اول بيت بعد
الطوفان وهو الذى قال واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت ومنهم من قال اول موضع اتخذته
الملائكه قبله فى الارض وروى فى ذلك اخبارا وهذا لا تقتضيه الظاهر لانه قال وضع
للناس فخص بالناس وعلى هذا اعتبروا العتق وقوله بالبيت العتيق ونبه بقوله مباركا
ان فيه ثبوت الخير والهداية وابهم ههنا ثم فسره بما بعده واختلفوا فى المقام والامن فمنهم
من حمل المقام على المحسوس وقال انه اثر قدم ابرهيم على الحجر الصلله ومنهم من حمله على الاحكام وقال
هو موضع الطواف والسعى وسائر اداكان الحج ولهذا قال ايات ثم فسره بمقام وان كان لفظه
مفردا ومنهم من قال الايات هى المعانى المضمنه فيه التى يستدل بها العارف والمقام ما
خصص به ابرهيم من الخلة التى اكتسبها ببذل النفس والمال والولد فعلى هذا قوله ومن دخله
كان امنا من العقوبه وقال بعض الصالحين كنت اطوف فخطر لى قوله ومن دخله كان آمنا ترى
ترى اى شى ما من فسمعت هاتفا يقول من الناس من يلاذ بالدنيا واغراضها التى
تصيب من قال فيهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا ومنهم من حمل ومن دخله كان امنا على
الحكم ثم اختلفوا فمنهم من حمله خبرا وقال معناه ان من دخله كان آمنا وذلك كان فى الجاهلية
لانه لم يكن يعرض لجان يلتجى الى الحرم بوجه حتى يخرج وقال الحسن والاصم من دخله يامن
الاصطلام ومنهم من حمل ذلك على التعبد اى فى حكم الله وان كان فى نفسه وجلا كقولك هذا
مباح وهذا محظور فعلى هذا من جعل الضمير فى قوله ومن دخله للبيت قال لا تعرض له بوجه الى
ان يخرج ومن حمله للحرم منهم من قال من قتل فى غير الحرم ثم دخله لم يقتص منه الى ان يخرج لكن

لا

لا يبايع ولا يواكل حتى يضطر الى الخروج وقال الحسن يقتص من الكل وهذا كان حكما فى
الجاهلية ولم يحلفوا انه اذا جنى فى الحرم كان ماخوذا بجنايته وعلى قوله ومن دخله كان
آمنا يحمل قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا وقوله اجعل هذا البلد آمنا وقرى اية بيّنه وكان قاربه نظر الى لفظ ما
ابدل منه وهو معلم ابرهيم فلما كان مفردا جعل الاية مفرده والصحيح ما عليه الكافة
فالمقام مصدر ويتناول الواحد والجمع فاذا اعتبر بالمحسوس فهى المناسك واذا اعتبر بالمعقول
فافعال ابرهيم المتقدم ذكرها قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ومن كفر فان الله غنى عن العالمين السبيل امكان الوصول اليه كقوله تعالى هل الى خروج من
سبيل والاستطاعة استدعا الطاعة كان النفس بالقدره تستدعى طاعة الشى لها والقدرة
والطاقة فى الاستطاعة والجهد والوسع متقاربة وقد تقدم ذلك وقولهم لا تستطيع كذا
تارة يقال لنفى القدرة وتارة لنفى الخفه فان قوله لا تستطيعون سمعا اى تستثقلونه لا
انهم لا يقدرون عليه وتمام استطاعة العبادة ثلث الاول استطاعته بنفسه وهى
المعرفه بها اذا لمكن من معرفتها والثانى استطاعته ببدنه وهى ان يكون صحيح البدن قادرا
على اقامتها والثالث استطاعة من خارج وهى وجود الآلة التى بها يمكن من فعلها ومتى
اجتمعت الثلاثة فقد حصل تمام الاستطاعة والا فالاستطاعته معدومة او قاصرة
وقول النبى ص الاستطاعة الزاد والراحله متناوله للخارجة دون البدنيه والنفسية
وخصها ص بالذكر لما كان معلوما عندهم ان بافقاد الاولين لا تكلف وكان القوم قد شكوا
ان الفقر الذى سد مسافته ولا يمكن من زاد وراحله هل يلزمه الحج فراجعوه فنص لهم
ذلك ولم يتناول الآلة الجد لانه لا يملك له فى قول جل الفقها وفى قول بعضهم سيده او ولى
بما فى بدن وله ان يمنعه بالعتق وكذا المراة اذا لم يكن لها محرم هذا قول الفقها فاما الصوفيه
فقد قالوا الزاد التقوى لقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والراحلة صحة
البدن وقد عبر عن البدن بذلك فى قوله ان المبلت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقال بعضهم
فيه مع ارادة هذا المعنى تنبيه على معنى ابلغ من ذلك البيت حنه الماوى لقوله ابن لى
عندك بيتا فى الجنه ولما لم يكن للانسان سبيل الى ذلك الا بحسن عبادته صار ذلك حقا
على الناس ولذلك اكد لفظه وخصه بما لم يخص به شيا من العبادات فقال ولله على الناس
وقال بعض الصوفيه فى الحج اشارات افضت بايد لفظ الامر به وذاك ان فى العقد به
اشارة الى معاقده الولاء المعنى بقوله الله ولى الذين امنوا والتلبسة الى الاجابه له فيما دعا اليه

وبالتجرد الى التجرد من الدنيا وانه عماد كما خرج من بطن امه وبالوقوف الى الوقوف بباب
وبالسعي الى السعي اليه وبالطواف الى محل القربه منه قال ولذلك حق على المسلم ان يغير حاله
بعد حجه عما كان عليه قبل ولهذا قال ص من حج فلم يفسق ولم يرفث كان كيوم ولدته امه يعني
لم يفسق ولم يرفث بعد رجوعه من الحج ولم يعن في الحج فان ذلك مدلول عليه بقوله فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج وقوله ومن كفر قال ابن عباس من كفر بوجوب الحج عليه وعلى هذا
فقال ع ماروى ان رجلا سال النبي ص عن ذلك فمن ان حج لم يرج ثوابه وان جلس لم يخف عقابه واما من
تركه ممن يرى وجوبه لم يكن كافرا وان كان عاصيا وقيل الكفر كفران كفر تام وهو انكار
الوحدانيه او ما يجري مجراه وكفر ناقص وهو الاخلال ببعض العبادات التي هي اركان الدين
كالصلاه والزكوه والحج ولهذا قال ص من ترك الصلاه فقد كفر وقال ص من مات وليس في الاسلام
فلا عليه ان يموت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وانما قال غني عن العالمين ينبها ان قوله لله على
الناس ليس لحاجة به وانما ذلك لحاجتهم وبفعهم اذ هو تعالى الغني المطلق وغيره وان استغنى عن
شيء ما فغير غني عنه تعالى في شيء من الاحوال وهو القايم على كل شيء **قوله تعالى** قل يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون الذي اقتضى مخاطبتهم بهذا انكارهم
بنوه محمد ووجوب الحج والايات الماضية لذلك من الكتب المتقدمة ومن القران ومن بقوله والله
شهيد على ما تعملون انكم تستترون ما لا يستتر اذ هو لا يخفى عليه خافيه ان قيل لم قال في موضع
يا اهل الكتاب وههنا قال قل يا اهل الكتاب قيل الاول استدعاء الى الحق فجعل خطابهم منه
استلانه للقول ليكونوا اقرب الى انقيادهم وههنا لما قصد الى الغض منهم ذكر قل بنبيها
انهم غير مستاهلين ان يخاطبهم بنفسه تعالى وان كان كلا الخطابين بوصلا على لسان النبي ص
ان قيل لم صار اهل الكتاب يطلق في القران تارة على سبيل الذم وتارة على سبيل المدح ولا يجري
قولنا اهل القران واهل السنه هذا المجرى قيل الكتاب لما كان قد يراد به ما انتعلوه دون ما
انزل الله نحو الذين يكتبون الكتاب بايديهم وقد يراد به ما انزله الله ويكون على سبيل التهكم نحو قوله
ذق انك انت العزيز الكريم فعلى هذا الوقيل اهل القران واهل السنه على سبيل الذم والتهكم
لجاز وقوله لم وان كان اصله استفهاما فالمقصد به ههنا الانكار والتبيه ان لا جواب لهم
ولا عذر **قوله تعالى** قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن صغوها عوجا وانتم
شهداء وما الله بغافل عما تعملون يقال لغسته كذا اي طلبته له والغيته اغسته على البغايه نحو
لمسته كذا والمسته وعملته كذا واحملته والعوج ما يدرك بالفكر من الاعوجاج والعوج ما
يدرك بالطرف وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا يعني الظلم وما جرى مجراه مما يكون في الدنيا

ونحاه



ومعناه لا تصدوا المومنين طالبين لطريقهم الاعوجاج وقوله وانتم شهداء اي عقلاء
يقال فلان شهد اي حاضر بعقله وتارة بالعقل نحو اوالقى السمع وهو شهيد اي عارف بعقله وتارة بالاعتقاد نحو قوله قال فاشهدوا
وانا معكم من الشاهدين وتارة باقامه ذلك وقد فسر الايه بثلثها فقد قيل وانتم عقلاء
تعرفون ذلك بعقولكم وقيل وانتم قد اخذ عليكم العهد بقوله واذ اخذ الله ميثاق وقيل وانتم
شهدتم بنوته قبل بعثته وكل ذلك مراد فلا منافاة بينها **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال السدي
نزلت في قوم من اليهود سعوا بين اوس وخزرج بالفساد وذكروهم من الاحقاد والاوتار
فانزل الله تعالى ذلك وتلا عليهم النبي ص فاجمعوا عما هموا به والطاعة بذل الانقياد والاجابه
نحوها غير ان الاجابه قد تكون بالقول مرة وبالفعل مرة ومتى كانت بالفعل فهي موافقة
الداعي دون الانقياد له ولهذا يقال اجاب الله عبده ولا يقال اطاعه وانما خص فريقا منهم
لئلا يدخل فيه من قال منهم من اهل الكتاب امة قايمة تتلون آيات الله آناء الليل وعني بالايمان ههنا
الحوض فيه دون استكمال له المعنى بقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فان من
بلغ هذه المنزله فمحال ان يرد على عقبه ولهذا قيل ما رجع من رجع الا من الطريق **قوله**
تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي
الى صراط مستقيم العصم والعصب يقاربان لكن العصم ابلغ فان معه الشد اساكا
والاعصم الوعل المعتصم بالجبل والعصام على بناء الزمام والسخاب وجمعه عصم واعتصمت به
واعتصمته نحو علقت به وتعلقته والعصمة من الله على الله اضرب عامة لكل مكلف وهي ما يفيض له
من العقل وهداه الى الامر والنهي والوعد والوعيد والايه لما هدى الا الى وهي الى يرغب كل
مومن ان يجعل الله له منها حظا واياها قصد بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله
الايمان وكيفيتها محلف فيها والاعتصام والتفويض والتوكل والاسلام اي الاستسلام متقارب
بعضها على بعض فالاعتصام قبل التفويض والتفويض قبل التوكل لان معنى فوضت امري الى فلان اي
جعلت له التفويض فيه ومعنى توكلت عليه اعتزلت وجعلته معتمدي واما الاسلام فغايته ما كان من
ابرهيم عليه السلام حيث قال اسلمت لرب العالمين ولكون الاعتصام اول منزله من هذه المنازل قال بعض
الصوفية الاعتصام للمحقين فاما اهل الحقايق فهم في القبضه واسبعد الله بحولهم مع طهور الايات
التي هي المعجزات العقليه وكون الرسول المشاهد فيما بينهم الذي يظهر من المعجزات المحسوسة
وقيل معنى قوله وفيكم رسوله اي في ايامه لانه فعل هذا خطاب لمن في زمانه ولمن بعده وقوله
فقد هدي الى صراط مستقيم اي الطريق الموصل ان هدينا اليه في قوله اهدنا الصراط المستقيم

والمدعوا اليه بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والمامور به في قوله ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة **قوله** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا
وانتم مسلمون التقوى ان يجعل بينه وبين المعاصي ما يصير واقيا لك عن تعاطيها فصروا قيا لك
في الاخرة عن العذاب وقال بعض الناس التقوى من يليه اوجه تقوى من غرور الدنيا والتقوى من
النفس فالتقوى من الله وكل واحد منها على ثلث منازل اما التقوى من الدنيا فان تتقي محرماتها ثم
شبهاتها ثم الزهد في مباحاتها واما التقوى من النفس فان تتقي اولا عقوبته ثم استدراجه نحو
ان يملي العبد ويوسع عليه فتعرض به ثم محابه بحوان يساله العبد فتباطا اجابته فيخوذ لك
قلبه فمن استكمل هذه المنازل فقد اتقى الله حق تقاته وحرز ذلك بعض الصوفية على وجه احسن
وقال التقوى على ثلث منازل تقوى العقوبة بالصبر عن المعاصي واياه قصد بقوله واتقوا النار
التي اعدت للكافرين وتقواه بشكر آلائه واياه قصد بقوله اتقوا ربكم خص لفظ الرب المنبي
عن تربيته اياه ونعمته عليه وتقواه برؤية وحدانيته من غير تلفت ثواب او عقاب واياه قصد
بقوله اتقوا الله حق تقاته قال ولهذا حيث ما ذكر اتقوا الله خص المومنين بالمخاطبة وحيثما ذكر
اتقوا ربكم خص الناس الذي هو اعم اللفظتين وتسمية التقوى على ثلث منازل هو على حسب الظالم
والمقتصد والسابق وقوله حق تقاته حث ان بلغ الانسان في ذلك مبلغ السابقين قال ابن عبد الله
والحسن وقتادة هو ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال قتادة والربيع الاية
منسوخة بقوله واتقوا الله ما استطعتم وقال غيرهما بل معناهما واحد فان حق التقوى هو التقوى
على حسب الاستطاعة واستدل بما روى معاذ قال اردفني رسول الله ص وقال هل تدري ما
حق الله على العباد قلت الله اعلم ورسوله فقال ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قرء واتقوا الله
حق تقاته ومن قال هذا منسوخ تصور من قوله حق تقاته غاية الجهد من العبد وان ما استطعتم هو قدر
العفو فصار مقتضى ما استطعتم اخف من مقتضى حق تقاته واستقبح ابو علي الجبائي قول من قال
الاية منسوخة وقال هذا اجهل لانه لا يجوز ان يلح الله للناس ان يفعلوا بعض المعاصي وهذا
تصور له وقع من قلة التثبت وقد علم ان فعل ما حظر الله في الشرع معصية ما دام الحظر قايما كتحريم
الاكل والجماع بعد الفجر اليوم في الصوم ثم لما زال الحظر زال كونه معصية فكذلك تقوى الله بغاية ما
بلغه الجهد لا يمنع ان يوجب في وقت فيكون تركها معصية ثم تقتصر من الناس على مقدار الوسع
فلا يكون ترك الجهد معصية وقوله لا تموتن حث على الاستسلام قبل الموت وان كان لفظه
لهيا عن الموت كقولهم لا اريتك ههنا ان قيل هل بين قولك لا تموتن الا مسلما وقولك الا وانت مسلم
فرق قيل قولك مسلما يقتضي ظاهره ان يكون الاسلام مقترنا بالموت لا متقدما عليه ولا متاخرا

عنه



عنه وقولك وانت مسلم الاظهر منه ان يكون ذلك حاصلا من قبل ومستصحبا في تلك الحال
**قوله تعالى** واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك
يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون حبل الله هو الذريعة المتوصل بها اليه من القران والنبي والعقل
والعلم والاعتصام ضربان اعتصام بالله بلا واسطه بشرية وذلك للانبيا واعتصام بواسطه
بشرية وهو كمن له غرض من الناس ثم منهم من يوصل اليه بواسطه واحدة من الوسايط كالصحابه
والاولياء والحكما الذين لم ياخذوا الدين بالتقليد ومنهم من يحتاج مع ذلك الى من يعتمد في كثير من
دينه واليه اشار النبي ص بقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ان قيل لم قال اولا ومن
يعتصم بالله ثم قال واعتصموا بحبل الله وحبل من الكلمتين واتقوا الله قيل لما كان المقصد في عباده
الله الى الاعتصام به ولا سبيل الى ذلك الا بالتقوى عقبه بقوله واتقوا الله ولما كان حقيقة
التقوى فعل الطاعات ولا سبيل للانسان الى معرفة ذلك الا بحبل الله اي كتابه ورسله
امرهم ان يعتصموا بحبله ليتوصلوا به الى تقواه ومن تقواه الى الاعتصام به ومن توصل الى الاعتصام
ثم الى التوكل ثم الى الاسلام استغنى صدره عن الوسايط الذين هم حبل الله ولصدر من قال ص
فيه حكاية عن الله فاذا احببته كنت سمعه الحديث وقوله لا تفرقوا حث على الالفة والاجتماع
الذي هو نظام الايمان واستقامة امور العالم وقد فضل المحبة والالفة على الانصاف والعدالة
لانه يحتاج الى الانصاف حيث تفقد المحبة ولصدق محبة الاب للابن صار موتمنا على ماله
والالفة احد ما شرف الله به الشريعة سيما شريعة الاسلام ولهذا قال لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم وقال ص لا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال من شذ شذ في النار
ولطلب الالفة شرع الاجتماعات في المساجد والجمع والجماعات والاعياد وقوله وكنتم على شفا
حفرة من النار اي على ما يودي بكم الى النار وهذا خطاب عام للمسلمين كافة وان كان قد جعل بعضهم
خاصا للاوس والخزرج على ما تقدم ذكره وبعضهم جعله للعرب وانهم كانوا في شر وغرور وحروب
وبقايل بينهم فازال الله تعالى عنهم ذلك بالاسلام وقد تقدم الكلام في قوله كذلك يبين الله لكم
اياته لعلكم تهتدون **قوله تعالى** ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون المعروف ما استحسنه العقل ويرد به الشرع والمنكر ما
تستقبحه العقل ويحظر الشرع وعلى ذلك يقال للشيا المعروف في نحو قول الشاعر
ولم ار كالمعروف امن ذاقه يحلو واما وجهه فخجيل ويقال لها الحق والباطل والحسن والسوي

والصلاح والفساد والجميل والقبيح وانما اختلفت العبارات في ذلك بحسب اختلاف الاعتبارات
واختلف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هل ذلك واجب على كل انسان او على بعضهم دون بعض
فمنهم من جعله واجبا على العموم وقال ان من في قوله منكم للتبيين كما هو في قوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان وقال لان حق الناس كلهم ان يكونوا خلفا الله في ارضه وسواسا لبعض
خلائقه لكن السياسات تلك سياسة الانسان نفسه وسياسته اهله وما يخصه
وسياسته بلده وصقعه فسياسة البلد والصقع من وجه الى الامة وهو الحكام الناس
بالقصر ومن وجه الى العلماء فقهائهم وعظتهم وهو اخذهم بالوعظ وكل ذلك فرض على الحكام
الكفاية واما سياسة الانسان نفسه فواجب على كل مكلف على التضييق وكذا سياسة الاهل
واجبة على من يملكه ومنهم من جعل ذلك فرضا على الكفاية واستدل عليه من الاية بقوله ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير وذلك يقتضي التبعيض واعتبر ذلك في سياسة الانسان لغيره دون
سياسته لنفسه واجرى ذلك مجرى الجهاد وطلب العلم وهذا اقرب على اعتياد الفقهاء والاول
اعم على اعتياد الحكام والذي يستحق به العقوبة هو ترك ما يلزم من حق غيرهم واياه قصد بقوله تعالى
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل الى قوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وخص تركهم النهي عن المنكر
دون الامر بالمعروف فانه اعظم الامرين ماثما واوكدهما وجوبا فعل المألوف ليس واجبا على
كل احد وترك المنكر واجب على كل حال ثم انكار المنكر على بلثة اضرب انكارا باليد وانكارا باللسان
وانكارا بالقلب على حسب ما روي عن النبي ﷺ من رأى منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فصل ان الاول للسلاطين
والثاني للعلماء والثالث للعوام فان قيل كيف حث ههنا على الامر بالمعروف وقال في غيره
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قيل في قوله عليكم انفسكم قولان احدهما ان ذلك
حث على ان يغلو الانسان على نفسه قبل ان ينكر على غيره وهو خطاب للعامة والثاني ما قال
ابو ثعلبة الخشني وقد سيل عن هذه الاية فقال سألت عنها خبيرا لقد سألت رسول الله ﷺ
فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي
رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك العوام وجعل تعالى الامرين بالمعروف والناهين عن
المنكر هم المفلحون لان من تولى صلاح نفسه ثم صلاح غيره لغاية وسعه فقد زكى نفسه وزكى
غيره وقد قال تعالى فمن يهذب نفسه فقد افلح من زكاها وقد تقدم ان الفلاح الحقيقي هو البقاء
الابدي والنعيم السرمدي **قوله تعالى** ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما
جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم التفرق على بلثة اضرب تفرق الايمان وتفرق الاحوال

والافعال

الحكام



والافعال ويفرق بالاعتقادات وكذلك الاختلاف الا ان الاظهر في الاختلاف ان يكون
بالاقوال والافعال والاعتقاد وفي الفرق ان يكون بالابدان وذكر تعالى القطع ليبين
ان اهل الكتاب بحادلوا بكل ذلك وعلى هذا قال ابن عباس والربيع تفرقوا واختلفوا في احكام
مبتدعة واهوا متبعة بعد ان كانوا اخوانا وان مركان قبلهم هلكوا بالمراء والخصومات ثم
ذكر ما لهم من عظيم العذاب في الاخرة بالنار الدائمة وفي الدنيا بحلها ونولها وبينه بقوله اولئك لهم
عذاب عظيم ان سبب استحقاقهم العذاب افترقهم واختلافهم بينهما انكم تعلمون فعلمهم استحقتم
العذاب استحقاقهم ان قيل كيف قال النبي ﷺ الاختلاف في امتي رحمة مع ما ذكر من ذم
الاختلاف قيل الاختلاف ضربان اختلاف في الاصول الحادثة من الطرق مجرى طرق
الشرك من طريق الغرب وذلك هو المذموم فان ما عدا الجهة المأمور بسلوكها مودي الى الباطل
والى هذا وجه قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله والثاني اختلاف في الفروع الحادثة من الطرق مجرى بنيات طريق الى مقصد واحد
يسلكها كل على حسب اجتهاده ومقصد جمعهم واحد فان اباحة الله سلوك كل واحد من تلك
الطرق فسحة لهم ورحمة واياه قصد بقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج **قوله تعالى**
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون ابيضاض الوجه عبارة عن المسرة واسوداده عن الغم وعلى ذلك
قوله وجهه مسودا ثم قال عن سوء ما بشر به وعلى ذلك قوله وجوه يومئذ عليها غبرة وهذا
الابيضاض والاسوداد ابلغ من المحسوسين وقال بعض المتكلمين يحمل ذلك على المحسوس لكونه
حقيقة فيه وهذا خطأ وذلك لانه لم يعلم ان ذلك حقيقة فيهما جميعا فليس الاسوداد
والابيضاض اكثر من كيفية عارضة ذا الوجه قيل ذلك امر كشف ومعلوم ان من نال منه غم شديد
يعرض لوجهه ليتردده وتكدر اسوداد في وجهه وليس قيله السواد والبياض مما يخرج
اللفظ عن الحقيقة ثم حمل الاية على هذا اولى لان ذلك حاصل لاهل القيمة بالحاق سواء كانوا
في الدنيا سودانا او بيضانا وعلى ذلك وجوه يومئذ ناضرة وقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة واما الكفر بعد ايمانهم فقد قال الحسن بعد اظهارهم الايمان بالنفاق وقال
قتادة كفروا بالارتداد بعد الاسلام وقيل بعد الاقرار الذي اعتناه قوله تعالى الست بربكم
قالوا بلى وقيل كفروا بالنبي ﷺ بعد ان اقروا به قبل بعثه وعموم اللفظ يقتضي كل ذلك ولا تنافي
بينها وقوله اكفرتم تقديره فيقال لهم اكفرتم حذف القول من نحو ذلك كثير نحو ولو ترى اذ
المجرمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم وقوله ولو ترى اذ المجرمون

ما كسوا روسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا اى يقولون ولما حذف الفعل معه الفا الذى
يكون جواب اما ويوم ظرف لقوله عظيم ولا يكون عند البصريين ظرفا لقوله عذاب لان الاسم
اذا وصف لا يعمل عندهم ان قيل لم كرر لفظه ففى رحمه الله هم فيها خالدون قيل قال بعض النحويين
ان ذلك للتاكيد ولكن المعنى فى النفس وقيل فى قوله ففى رحمه الله تمام الكلام وهم فيها خالدون
تبيينها ان ذلك لهم موبدا وقيل قوله هم فيها راجع الى مقتضى قوله اسعدت وجوههم وهو المسرة
نبينها ان تلك المسرة دائمة لا كمسرات الدنيا التى تنقطع وان تعدت اسبابها فاحوال
الدنيا وان كانت سارة فمتى يتم منها بد وامها ولهذا قيل للعافية عمل اكبر مما عمل للبلاء ان
قيل المقابلة فى الاستثناء غير صحيحة فان المقابل الصحيح ان يكون المذكور فى الثانية عكس المذكور
فى الاولى وليس قوله ففى رحمه الله هم فيها خالدون عكسا لقوله اكفرتم بعد ايمانكم قيل
مراعاة المقابل على ضربين يقابل اللفظ ويقابل المعنى وهو افضلهما عند اصحاب المعانى
فالمقابل حاصل من حيث المعنى وعدل عن لفظ الجزء فى قوله اكفرتم وقوله ففى رحمه الله هم
استئناف اجيب به ما يقال لهم وبنيه للمفعول مع العقوبة بالسبكت وقد قيل اعظم العقوبة السكيت ص
وان يقال لهم ذوقوا وذلك دلالة على بالغة الغضب عليهم ان قيل كان الوجه ان
يقال للمسيئ قد كفرتم فلفظ الاستفهام فى القرآن محمول على الانكار والانكار
متى تجرد عن حرف النفى يكون للنفى نحو قوله انت قلت للناس واذا كان للاثبات قرن به حرف
النفى فعل الالف فى الاصل للاستخبار والاستخبار اعم من الاستفهام وكل استفهام استخبار
وليس كل استخبار استفهاما والمستخبر قد يقصد الى احد اقران المستخبر او الى الحاله التى
الاقران يمانكره وقول اكفرتم استخبار على هذا الوجه ويعرفهم وعلى ذلك قوله تعالى اياتون
الذكران من العالمين قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد
ظلما للعالمين قال الفراء معناه هذه ايات الله وقد تقدم الكلام فى قوله ذلك الكتاب
لا ريب فيه وايات الله يصح ان يكون الكتاب وان يكون جميع الايات المسموعه والمعقوله مما يظهر
الله ويكون معنى تلوها يتبعها بوجوه البينات قوله بالحق اى الحق يقارنه او هو الحق وفى قوله وما
الله يريد ظلما تنبيه على اعتماد ما تقدم ذكره لما اقتضى عدله فى معاقبة الكفار قوله تعالى
ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور قد تقدم تفسير ذلك وبنه بقوله والى
الله ترجع الامور على شئين احدهما ابطال قول من زعم ان لا شيا سوى عناصرها فلا تفنى والثانى
على الله يصح ان سوهم ارتفاع الامور كلها مع بقائه تعالى وانه لا تنكر عدمها انتهاها كما لا تنكر ذلك
ابتدا ان قيل ما وجه ايراد هذا القول فى هذا الموضع قيل انه لما بين تعالى ما اقتضى عدالته وعقبه

بذكر

بذكر التبئ من ظلمهم بين بهذا القول استغناءه عن الظلم وان الظلم يتحراه من يروم ما لغيره
ومحال ان يعتقد فى مالك الكل ومن منه البدو والله العود الظلم قوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان
خيرا لهم منهم المومنون واكثرهم الفاسقون ان قيل لم قال كنتم ولم يقل انتم قيل فى ذلك اجوبة
الاول كنتم فيما قضت وقدرت ونبئت عليه الشرائع خير امة شرطه ان تامروا بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتومنون بالله فقد تقدم ان هذه الشريعة اكمل الشرائع ولهذا قال ص انتم تتمون سبعين
امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى والثانى ان الاشارة بذلك الى من آمن بالنبى ص فى ابتداء
الاسلام والى هذا ذهب عمر وقال هذا لاولنا ولو شا الله لجعله لاخرنا ايضا قال انتم فكنا
كلنا اخيارا ولو كان ذلك ما روى عن عبد الله قال جعلنا رسول الله ونحن اربعون رجلا فقال انكم
منصورون ومفتوح لكم فمن ادرك ذلك منكم فليامر بالمعروف ولينه عن المنكر الثالث ان
ما تناول فيه الاحوال الثلث الماضى والحال والمستقبل لا فرق بين ان تقول كنت كذا انت
كذا الان القصد ليس الى تخصيص الزمان بل الى ذكر ثبوت ذلك الشئ وايا من ذلك ذكرت
فانه لا يقتضى من حيث اللفظ بقا الاخر واذا كان كذلك كان اولى الالفاظ عمله كان لانه
يقتضى الحصول ولا يقتضى تغيير ذلك الشئ من حيث اللفظ ولهذا اورد تعالى جل اوصافه
على ذلك نحو وكان الله غفورا رحيما وقل كتب فى اللوح المحفوظ وهذا كالاول ان قيل لاى شئ
وصفهم بانهم خير امة وقد علم ان اشرار الناس فى هذه الامة اكثر من الاخيار وان كفرا
من الامم المتقدمه كانوا خيرا من كفر هذه الامة قيل ليس الاعتبار باستحقاق الناس وانما الاعتبار
بما صارت الامة به امة والشريعة به شريعة وقد تقدم ان هذه الشريعة افضل الشرائع اذا اعتبرت
بها على انه قد قيد فقال تامرون بالمعروف اى انتم خير امة على هذه الشريطة لان قوله تامرون فى
موضع الحال قال ابن عباس ومجاهد وابو هريرة كونهم خير هو ان لم يوجد قبله بالقتال وقهر
الناس على الدخول فيما فيه صلاحهم الاهم الاجمة فان الله تعبدهم بالسلاسل من الكفر الى
الايمان وقال غيرهم لم يكن فى امة من الامم من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر اكثر مما فى هذه الامة
ان قيل لم اخر الايمان بالله عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قيل الايمان ههنا ليس هو الاقرار
بالله فقط بل هو الوفا بشروطه والقيام بشرايعه الذى هو تمام الايمان وكماله على ما ذكرناه فيما تقدم
وقال واكثرهم الفاسقون فقابل به المومنين لان الفسق اعم من الكفر فبين ان المومنين المخلصين قليل
جدا وان اكثرهم فاسق اما كافر واما منافق قوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار ثم لا ينصرون قال ابن عباس والحسن عنى بالاذى الكلام الموذى وجعل بعضهم

الاية مخصوصة فى بنى قريظة قال ووحد المخبر على ما اخبر به تعالى وجعلها بعضهم عامة وقال
ان كل ما ينال المؤمنين من الكفار كلا ما كان اوقتا لا فهو اذى عارض والعاقبة للمتقين كما قال فى غير
موضع وقوله ثم لا ينصرون لم يجزمه لانه اذا جعل جوابا اقتضى ان النصرة عنهم ممنوعة فى حال
المقاتلة فقط واذا رفع اقتضى انهم ممنوعون عنها فى كل حال وقال بعض النحويين رفع ذلك ليكون
كآخر سائر الايات المتقدمة وهذا القول هو بحسب مراعاة اللفظ دون المعنى **قوله تعالى**
ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم
المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون قيل هى مخصوصة فى بنى قريظة على ما تقدم وقيل هو امر وان كان لفظه خبرا فامر بتبذيل
اهل الكتاب واخذ الجزية منهم على ما ذكره الفقها وبينوه وقيل هو خبر عام عن جمعهم فان قيل
كيف يصح ذلك مع انه قد يرى من اهل الكتاب من لا يكون فى مذلة ولا فقر قيل المذلة هى التى يلزمهم
بحب ان يعتبر فى الاشخاص ولا فى الاعراض الدنيوية من الحياة والمال بل يجب ان يعتبر ذلك
بالاحوال الشرعية والعز والذل الحقيقى اللذين يقصدهما الدين واياه قصد بقوله ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وقد قيل كل عز مصيره الى ذل فهو ذل وما يتصوره
بعض الناس عزا من غرور الدنيا فهو المذلة عند المحصول وكذلك المسكنة لستقلة المال وانما هى
الحرص وفقر النفس ولهذا روى عن النبى ص انه قال الغنى غنى النفس وقيل لحكيم هل لفلان غنى فقال
اما الغنى فلا ادرى الا ان له مالا كثيرا وقال الشاعر قد يكثر المال والانسان مفتقر
وقيل انه ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون وقوله قتل الخراصون
وهذا فى الحقيقة يرجع الى الاول فالدعا من الله واجب ان قيل لم قال الا بحبل من الله وحبل
من الناس فاعاد ذكر الحبل وفصل قيل لان الكافر يحتاج الى حبلين اى عهدين عهد من الله وهو
ان يكون من اهل كتاب انزله الله والا لم يكن مقرا على دينه بالذمة ثم يحتاج الى حبل من الناس اى
امان وعهد يبذلونه له على ما يبينه الفقها والناس ههنا خاص للمسلمين وقوله وباؤا بغضب من الله
اى استحقوا عقابا منه وقوله ذلك بانهم اى انما لهم ذلك بكفرهم وقوله من بعد ذلك كما عصوا
قيل هو بدل من الاول فان كفرهم ليس هو الا عصيانهم واعتداؤهم وقيل بل جعل الكفر علة لما
نالهم من الذلة والمسكنة وجعل عصيانهم علة لكفرهم وذلك ان الذنوب الصغاير اذا استمر
عليها الانسان افضت الى الكبائر والكبائر تفضى الى الكفر ولهذا قال تعالى ثم كان عاقبة الذين
اساوا السوأى ان كذبوا بايات الله وقال ص الذنب على الذنب حتى يسود القلب وقوله ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون لما ونبه كانه قال احتنوا المعصية وهى التى ادت بهم الى الكفر المقتضى

لعظم



لعظم العقوبة ان قيل كيف قال الا بحبل من الله ولا يصح فى الاثبات ان يقال اعتصمت الا
بحبل فلان والاستثناء فى الاثبات لا يكون الا من لفظ عام قيل ان قوله انما ثقفوا متضمن
لمعنى العموم كانه قيل بكل حال فصح ان يقال الا بحبل **قوله تعالى** ليسوا سواء من اهل
الكتاب امة قايمة يتلون ايات الله آنا الليل وهم يسجدون الامة الجماعة وقد يعدم وجعلها
الزجاج ههنا الاستقامة وقال يقدر ذو وطريقة مستقيمة والاول اولى لانه لا يحتاج
فيه الى اضمار والقايمة العادلة وقال مقابل مطيعة وقال بعضهم مسلمة وهذا كله واحد فان
العادل لا يكون عادلا حتى يكون مسلما مطيعا والمطيع لا يكون مطيعا حتى يكون مسلما عادلا والاناء
جمع انى كالاناء فى جمع اناء وقيل هو جمع انى نحو معا وامعا وقوله ليسوا سواء كلام تام اى لا
يستوون ثم ابتدا امة قايمة اى منهم امة قايمة وقال بعضهم يقدر اى ليسوا سواء هم وامة قايمة
يعنى امة محمد ص واليه ذهب ابن مسعود وقال لا تستوى اهل الكتاب وامة محمد وقال الفراء ذكر
امة قايمة وحذف الاخرى كقول الشاعر فما ادرى ارشد طلابها ويقدر ام غى وما
قاله انما يصح اذا جعل امة بدلا من الضمير فى ليسوا او جعل الواو فيه كالواو فى الكوفى البراغيث
ويجعل امة اسم ليس ويكون المفاضلة من امة قايمة وامة عسر قايمة وقوله يتلون ايات الله آنا
الليل قيل عنى به صلوة العتمة لانها لم تكن الا لهذه الامة واستدل بما روى ان النبى ص اخر
صلوة العشا ليلة ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرونه فقال انه ليس احد من اهل الاديان
يذكر الله فى هذه الساعة غيركم فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل عنى الصلوة من العشاين وقيل
تلاوة القرآن بينهما والسجود قيل عبارة عن الصلوة وقوله يتلون ايات الله آنا الليل وهم
يسجدون كلاهما فى موضع الصفة لامة قايمة **قوله تعالى** يومنون بالله واليوم الاخر
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين ذكر تعالى حال الامة التى
تقدم ذكرها وابتدا بذكر الايمان بالله وعنى الايمان الذى لا يصح عبادة من دونه والمسارعة
والمبادرة والعجلة بمقاربة لكن السرعة اعمها والمبادرة لا تكاد تستعمل الا فى البدن والعجلة
اكثر ما تستعمل فيما يحدث عن غير فكر ورويه او فى امضاء العزيمة قبل استكمال الروية وهذا
قال العجلة من الشيطان وقال تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فان قيل لو
كانت من عونة لما قال موسى وعجلت اليك رب لترضى قيل موسى عليه السلم اورد ذلك على سبيل
الاعتذار اباينه انه قصد فعلا محمودا وان تحرى العجلة فيه ومن قصد فعلا محمودا فقد تعذر فى
وقوع ما يكره منه والمسارعة عند قوم هى ان تدرج الانسان فى ازدياد المعرفة بفضله واختياره
والسرور بتعاطيه وتقديمه على الامور الدنيوية وان لا تؤخره عن اول وقت امكان فعله وعلى

ذلك قوله تعالى سابقوا اي معفرة من ربكم ومدح تعالى قوما فقال والسابقون اى لا يسابقون
بعضهم وابدا لهم فلذلك كرر ولمراعاة المسارعة وكون بعض المسارعة على اعلى منزلة من بعض قال
تعالى هم درجات عند الله وبنى تعالى خبر آخرا لانه ان فاعل ذلك من الصالحين والاقرب في ان
يكون للتحسين والهم هم الصالحون ولذلك قال في الاول واولئك هم المفلحون قوله تعالى
وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين قوى بالياء ردًا الى قوله امة قائمة وقوى بالتا
لادخال المخاطبين فيهم وتغليبا للخطاب وقوله فلن يكفروه كقوله وما تفعلوا من خير يوف
اليكم وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله كل ذلك بنسبه على ان عمل المحسن لا يضيع المدلول
بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله ان الله لا
يضيع اجر من احسن عملا والهم بخلاف الكفار الذين قال فيهم وقدمنا الى ما عملوا من عمل الاية
وقوله هل ينبئكم بالاخسرين اعمالا الاية وقال الحسائى فلن يكفروه مجاز في هذا الموضع لان
وصف الله بانه شكر مجاز وقوله ذلك لصوق الشكر على وجه واحد والشكر باعتبار الشاكر
والمشكور على المنه اوجه شكر الانسان لمن فوقه وذلك بالخدمة والحمد وشكر لنظيره وذلك
بالمقابلة وشكر لمن دونه وذلك بالاثابة ولذلك يمدح تعالى بانه شكور وقال ومن شكر فانما
يشكر لنفسه بنبهها انه يقابله بالشكر الذى هو الثواب ولعله تصور ان الشكر لا يكون الا
بالقول ومن الادون للاعلى وذلك فاسد لقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل الشكر معمولا
ووصفه بانه شكور وشاكر قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
الاية اغناه اذا جعل له غنى واغنى عنه جعل له مغنى في الدفع ولما ذكر في الاية الاولى ان ما ينفعله
الانسان من الخير لن يكفروه بين ان ما يعدونه خيرا انما ينفع بعد الايمان فما مع افتقاده
فلا ينفع وذكر اجل ما هو عندهم خير وهو الاموال والاولاد وانها لا تغنى عنهم وعلى ذلك ما حكى
عن الكفار ما اغنى عنى ماليه وجعلهم اصحاب النار للازم منهم اياه قوله تعالى مثل ما
ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر الاية الصر البرد كحرق النبات وقال
مجاهد هو النار واصله صوت النار وكانه حكى به كالصئير والصرة ونحوها والاية قيل
نزلت في ابى سفيان واهل مكة لانفاقهم المال في معاداة النبى ص لما بنى في الاية الاولى ان
ما لهم لا يغنى عنهم بين ان انفاق هولاء مع كونه غير نافع ضارهم وداجع بالوبال عليهم فمن المفسرين من
قال القصد الى تشبيه ما لهم المنفق بالحرث المحرق وكفرهم المهلك بريح ذات صر لكن اخرج
المشبه ملفوفا لا مكشوفا على تحقق مطابقه لفظ المشبه والمشبه به وذلك نحو ما تقدم
ومنهم من قال القصد في ذلك تشبيه اموالهم في اهلاكها اياهم بريح ذات صر في كونها مهلكة





لحرث قوم ثم اختلفوا في هذه النفقة فمنهم من حملها على النفقة هولاء اموالهم في معاداة
المسلمين كقوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم يكون
عليهم حسرة ثم يغلبون ومنهم من حملها على كل ما ينفقه الكافر اى شئ انفقه فان الكافر معاقب
في ذلك كله كما ان المؤمن مثاب على ما انفقه على اى مباح انفقه وعلى هذا قال ص لسعد انك لتؤجر
في نفقتك كلها حتى اللقمة تضعها في في امراتك ووجه ذلك ان المؤمن لا ناخذ الا من حيث يحب على
ما يحب وكما يجب ولا يضع الا كذلك والكافر بخلاف ذلك ومنهم من قال ما ينفقون عبارة عن اعمالهم
كلها لكن خص الانفاق لكونه اظهر واكثر وانما خص حرث قوم ظلموا انفسهم من اجل ان الناس فيما
يصيبهم الحاجة ضربان صالح لا يستحق عقوبة فاذا نالته صار ذلك له اجرا مدخرا وكانه لم ينفع
ماله ومسئ يستحق عقوبة فاذا نالته فقد ضاع ماله في الحال وفي المآل ومنهم من قال معنى ظلموا انفسهم
اى زرعوا الحرث في غير وقته بنبهها ان الكفار اساوا فيما كان ينبغى لهم ان يفعلوه اساء هولاء
الحراث في حرثهم من يقدم اوتاخير ان قيل كيف قال ريح فيها صر وقد قيل متى هبت الريح لم يوثر
الصر قيل في ذلك اجوبة الاول ان كل صر لا ينفك من ريح معه لكن الى معها الصر ضعيفة
بحيث لا يحس بحركتها وانما تمنع العواد الحركة حركة شديدة والثانى انه تعالى خص ذلك بنبهها
ان اموالهم بطلت حيث لم يحتسبوا كبطلان حرث هولاء حيث لم يحتسبوا فانهم كانوا ايئسين
من الصر لوجود الريح والثالث انه عنى بالصر صوت الريح وشدة عصوفها وعنى الفاظ اصابته
الريح فطرقته كقوله كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ونحو هذه الاية في بطلان عمل
الكفار قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وقوله وما ظلمهم الله فانما عقب به لانه لما كان
اخذ مال الغير وابطاله قد يتصور من لا يعرف حقيقة الامر بصورة الظلم بين انه لم يظلمهم
بل هم ظلموا انفسهم حيث لم يضعوا مال الله حيث امرهم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم الاية البطانة في الثوب بازاء الظهارة ويستعار
لمن اختصصته كالشعار والدثار ويقال ليست فلانا اذا اختصصته وعلى ذلك قوله
هن لباس لكم والوليت في الحاجة قصرت فلانا الوا اى اولية تقصيرا لجهد فقولك
جهدا لميزا ولا يالونكم اولوا الفضل اى لا تقصروا الى اى طلب هو افعل من ذلك كانه ازال
التقصير بذل ذلك القول وقوله لا يالونكم خبالا اى لا تقصرون في ايصال الخبال اليكم
والخبال الفساد الذى يلحق ذات الحيوان يقال في قوائم الفرس خبل وخبال اى فساد من حمة
الاضطراب وفلان مخبل الراى وقول زهير هنالك ان يستخبل المال يخبلوا
اى ان طلب المال منهم افسد شيئا من اموالهم فعلوا والعنت نحو المشقة يقال عنت فلان

عنا واعنته غيره وعنته قال تعالى ولو شاء الله لاعنتكم والكمة عنوت صعبه المسلك
وعنود والمعانده والمعاسه يتقاربان لكن المعانده هي المانعه والمعانسه تقاربان لكن المعانده
ان تجري مع المانعه مشقه قال ابن عباس سبب نزول هذه الايه ان قوما صافوا جماعه من اليهود
فنهاهم الله تعالى عن ذلك والايه تعضي النهي عن الدخول الى من ومما يجري بك طريقه فساد انسانا
كان او شيطانا او قوه من قوى نفسك يحيدبك عن الحق كالهوى ونحوه وقال ما بعث الله من نبي
ولا استخلف من خليفه الا كانت له بطانتان بطانه تامره بالخير وتحضه عليه وبطانه
تامره بالشر وتحضه عليه ونهي عمر عن الاستعانه بالكفار واضح هذه الايه وقد تقدم
الكلام في انه على اي وجه لا يصح الاستعانه بهم وبنى به الاستدلال بكلامهم على فساد اعتقادهم
وان ذلك لا يخفى منهم كقوله ولتعرفنهم في لحن القول وعلى نحو قال الشاعر

ولاحن ما بعضا والنظر السزد  هم من ان ما لا بد منهم اكثر واخبر

لكم انه اظهر ما يمكنهم الاستدلال به على معاداتهم **قوله تعالى** ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور العض معروف ومنه رجل عض شديد
الخصومه كقولهم انوم وفلان يازم المازم ويثب على كذا والعض علف الامصاد مماله مضع
شديد كالنوى والت الناس والاناسل واصرتها انمله ولم يات افعل مفردا الا قولهم بلغ
اشده وقد كثر ذلك في الجمع نحو اكلب وافلس ويعبر عن التاسف بقرع السن وعض الانامل
وذلك لما شاهد من حال المتاسف قال الشاعر  عضضت انامل وقرعت سني

اكلتُ لدى لما جنته تندما  والغيظ هو العضب والغم فان الغضب يقال فيما معه القدره
على الانتقام والغم فيما ليس معه قدره الانتقام والغيظ فيما ليس معه تمام القدره على
الانتقام ولذلك يستعمل في صفات الله الغضب دون الغيظ والكتاب كله يعني الكتب المنزله
فوضع موضع الجمع اما لكونه بالجنس كقولك كثر الدراهم في ايدي الناس او لكونه في الاصل مصدرا
ولفظ الافراد اولى في هذا الموضع لانه يضمر انهم يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
ويضمر انهم يؤمنون بتفاصيل كل كتاب بخلاف من قال منهم ونقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقوله
اولاء قيل معناه الذين وبحبونهم صلته وقيل معناه هؤلاء وفيه وجهان الاول ان يكون
كقولك ها انا ذا وها انتم هؤلاء فيكون هؤلاء خبرا لابتدا ويحبونهم في موضع الحال والهم راجع الى
ما تقدم ذكره والثاني ان يكون هؤلاء مبتدا اما نا ويحبونهم خبره والجمله جنس للاول كقولك انت
زيد تحبه ويكون الهم راجعا الى هؤلاء ومجتهم لهم ارادة الاسلام لهم لان ثمرة المحبة النصيحة

ارادة



وارادة الخير ومنهم انهم لا يحبون ذلك لكم لانهم لا يودون لكم الاسلام الذي هو الخير المحض
ومنكم انكم تؤمنون بكتب الله وهم لا يؤمنون ببعض الكتاب وقوله واذا لقوكم كقوله واذا لقوا
الذين امنوا وقوله تقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وقوله امنوا بالذي انزل على الذين
امنوا وجه النهار واكفروا آخره وقوله موتوا بغيظكم دعا عليهم والحاب ذلك لهم وان لم
يكن الحانا عليهم وقوله علم بذات الصدور كقوله يعلم السر واخفى وقوله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه وقوله يعلم خائنه الاعين وما تخفي الصدور ونحو ذلك **قوله تعالى** ان
تمسسكم حسنه تسؤهم وان تصبكم سيئه يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيا ان الله بما يعملون محيط الحسنه عباره عن كل ما يستحسنه الانسان مما
يسره من نعمه نالها في بدنه وماله وجاهه والسيئه بضادها والمس والاصابه يستعملان في
الخير والشر الا ان المصيبه اختص بما يسوء ويقال ضره يضره وضاره يضيره وقرئ لا
يضركم والضمه فيه اتباع للضاد كمن مُدَّ ويجوز الفتح والكسر كما يجوز في مُدَّ وقال بعض
النحويين لا يضركم مرفوع رفعا صحيحا وتقدير فلا يضركم وحذف الفا كقول الشاعر
من يفعل الحسنات الله يشكرها  وهذا انما يجوز في ضرورة الشعر والكيد الاحتيال
الغير بمكر ومقاساه وعلى سبيل تصور هذا المعنى قيل فلان يكيد بكيد نفسه والمكر مثله
الا انه اعم لانه قد يقال في اجتلاب المنفعه ان قيل على اي وجه يمنع ضررهم وتقواهم من
ان يضيرهم كيدهم قيل من اوجه الاول من الفضل الالهي والنصره الموعود بها في نحو
قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله ان تتقوا وتصبروا فان الله لا يضيع
اجر المحسنين والثاني ان من عرف منه الحذاق عنه العدو كما قال رجل ضئيل لبسر
رجلا قويا فسأله امير المؤمنين كيف تمكنت منه فقال وقع في قلبي اني آخذه ولا ابالي بالقتل
ووقع في قلبه انه ماخوذ وخاف القتل فنصر عليه خوفه وجراتي والثالث ان المدد
بالصبر والتقوى يحتمل نفسه الشدايد فلا يبالي بمكايد عدوه والرابع ان الثقه بنصر
الله اعظم ناصر والاحاطة بالشي يقال على وجهين احدهما في الاجسام والثاني في العلم
بالشي والقدره عليه فاما العلم فبان يعلم حقيقته المحاط به ووجوده وجنسه واوصافه
والغرض المقصود منه وعلى ذلك احاط بكل شي علما فصار قوله بما تعملون محيط كقوله
لا يخفى عليه شي وقوله سميع عليم ونحو **قوله تعالى** واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال والله سميع عليم التبوؤ التمكن يقال بوأته مكان كذا اوبمكان كذا وصل في حرف

ابن مسعود تبوئ للمؤمنين واذ قيل معطوف على قوله قد كان لكم آية في فئتين اية في غلبتكم
مع قلتكم الكفار مع كثرتهم وانه اذ غدوت ترياد للمؤمنين مكانا للقتال فانكشف
الحال عما كان لهم فيه آية ولما امرهم بالصبر والتقوى ذكرهم ما خولهم ببدر حيث صبروا
واتقوا وباحد حيث كان منهم ما كان وذاكر ان النبي ص شاور اصحابه حيث قصده
المشركون هل نخرج اليهم او نقيم بالمدينة فقالوا لهم فيها وذلك هو معنى تبوئه للقتال
اي موضع المشاورة ولهذا خص القاعدون المقاومة فقال له عبد الله بن ابي نقيم بالمدينة
فان قاتلونا قتلناهم في الازقة والا رجعوا عنا بالمذلة وقال اكثرهم نخرج اليهم فدخل ص
وليس لامته ثم نزعها حتى تقاتل فخرج النبي وقوله والله سميع عليم اي سميع بما تقول به منهم
وما فقهتم عالم بما تنوي كل منهم **قوله تعالى** اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون الهمة قد تكون عزما وقد تكون حديث النفس من غير ان
تصير عزمة والفشل الضعف الذي يكون من تحيره الانسان ظهر او لم يظهر وقد يقال
لما يظهر من الانسان من الاجبام فشل ايضا والطائفتان قال المفسرون هم بنو سلمة وبنو
حارثة لما رجع عبد الله هما بالرجوع ثم لم يفعلا وقوله والله وليهما اي وليهما في ان عصمهما
عن الانصراف وليهما في ان جازاهما اذ لم يفعلا ما هما به وروي انه لما نزل ذلك قالت
الطائفتان ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا وقد اخبر الله انه وليناه فنه بقوله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ان التوكل على الله هو العاصم وهو الغرض الاقصى من العبادة في الدنيا **قوله**
**تعالى** ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون بدر اسم ماء لرجل
يقال له بدر فسمي به فصار ذلك الحرب مسمى به وجعلهم اذلة لا على الحقيقة والمصروفة
فمن نصره الله فعزه ذليل ولكن على اعتقاد الجماعة لقلتهم وقلة عددهم وهذا امام بالغ الله ذكرها
وذكر المسلمين بعظم ما اولاهم فيها تبييتا لقلوبهم وتذكيرا نعمه عليهم وامرهم بالتقوى المؤدية
الى شكرهم لها **قوله تعالى** اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من
الملكة فمن الذين يلي ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملكة
مسومين الكفاية مقدار ما فيه سد الحلة والفرق بين الاكفاء والاستغناء ان الاكفاء ما
فيه سد الحلة وسع او ضاق والاستغناء ما فيه السعة فهو اعم والامداد اتصال الشيء
بالشيء واصله من مد الحبل والمد نقال تارة في المكان ومنه مد آخر وتارة في السير والمدة امتداد
الوقت والمادة زيادة ممتدة والمداد المداد الذي هو المكان منه والفور اصله من فارت
القدر والتنور والفور منهم من تصور منه الوجهة والعجلة واليه ذهب ابن عباس والحسن

كان ع

وجماعة ومنهم من تصور منه فوران الغضب واليه ذهب مجاهد والضحاك والتسويم ترك
الشيء وسومه ومنه قيل اسمت الابل وسومتها والتسويم ايضا اظهار سيما في الشيء وقد
فسر المسومة على الامرين وقوي مسومة اي معلمة لا نفسها وقد روي انه نزل الملكة
يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر قال ابن عباس وغبر عني بذلك يوم بدر وقال وسلم
تقاتل الملكة الا في ذلك اليوم وقال الحسن امدهم بخمسة الاف لانه عني مع المقاتلين
وقال غيره بل خمسة الاف غير الملة الاف وكانوا خمسة الاف وقال بعضهم انما امدهم
بالف لقوله فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم بالف من الملكة ولم يمدهم بخمسة الاف بل
المسلمون قالوا ان كرز بن جابر يمد المشركين فانزل الله ذلك تسكينا للمسلمين ثم لم يمدد
المشركين فلم يمد الله المسلمين بهم ولهذا قال ويأتوكم من فورهم **قوله تعالى** وما جعله
الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم الضمير في قوله
جعله للامداد والوعد وبنه انه انما اراد بوعدهم وامدادهم الملكة نعمه عليهم وهي مسرتهم
وسكون جاشهم فاما النصر في الحقيقة فليس الا منه بلا حاجة الى استعانة وفيه حث
ان لا يبالوا لو ان ما اخر عن نصرتهم وبنبيه انه يعين تارة بالمدد وتارة بغير المدد وانه ناصر
كل منصور انما كان وممن كان اذ هو المسبب لجميعه والفاعل الذي لا يستعين فاعل عنه وصف
نفسه بالعزة والحكمة بنبيها ان كل عز منه وكل حكمه عنه **قوله تعالى** ليقطع طرفا
من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين الكبت الصرع على الوجه والرد والخيبة حرمان
البغية وتحصيص قطع الطرف من حيث ان نقص الاطراف من الشيء تتوصل الى توهينه وازالة
عليائه وعلى ذلك قال ذات الارض ينقصها من اطرافها وقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقيل على الاطراف
اعيانهم وصناديدهم وقوله ليقطع اي نصركم ليقطع او ما النصر الا من عند الله ليقطع **قوله**
**تعالى** ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون هو راجع الى قوله وما النصر
الا من عند الله اي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وهو نحو قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وقال بعضهم ليس للنبي ص امر وانما اليه وبنه انك مأمور لا آمر ومرتسم لا مرسم وقيل بل اراد
النبي ص ان يستغفر للمشركين وقيل بل اراد ان يدعو عليهم بالاستيصال لما كسروا رباعيته
فقال الله ذلك وقوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع وقيل بل معناه الا ان يتوب او
يعذب بتنبيها ان امرك تابع لامر الله **قوله تعالى** لله ما في السموات وما في الارض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم متن بهذه الاية بحتمي ما قدمه بانه هو المالك للكل وله
المشيئة في غفران من شاء وتعذيب من شاء **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا

الربوا اضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون ان قيل ما اتصال هذه الايه بما قبلها قيل
انه لما نهى عن الكفر فيما تقدم وقبح صورته وحذر منه وبين قدرته عليهم حيث قال لله ما في
السموات نهى ههنا عن تعاطي افعال الكفرة وقد تقدم الكلام في قبح الربوا واما اكله اضعافا
فقد قال عطا ومجاهد هو انهم كانوا في الجاهليه اذا باعوا او اقرضوا الى مده ثم تاخر
القضاء زادوا على اصل المال لزياده الاجل المضروب ان قيل لم قال اضعافا مضاعفه جمع بين
اللفظين قيل قال بعضهم ذلك للتاكيد وقيل مضاعفه من الضعف لا من الضعف ومعناه ما
تعدونه ضعفا هو ضعيف اى نقص كقوله وما اوتيتم من ربوا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا
وقوله يمحق الله الربوا ومن هذا اخذ بعض المحدثين زياده شيب وهي نقص زيادتي
وقوه جسمي وهي من قوتي ضعف ثم حث على تقوى الله وذكر ان ببلوغها ترجون الفلاح واستدل
بعض الحنفيه هذه الايه على فساد بعض ما يدعيه الشافعيه من دلاله الخطاب فقال لو
كان ذلك صحيحا لكان يحوز اكل الربوا اذا لم يكن اضعافا وهذا لا يمكن ان يكون دلاله عليهم اولى لانه
لما نهى عن الكثير منه فلان ينهى عن القليل اول على ان الفضيله بذلك على مقتضى العموم فيجب ما تركل
دلاله خطابه في بعض المواضع لا تفسد هذا الاصل كيف لفظ عام تركل عمومه وتكرير النهي عن الربوا
تغليظ لامره وتقبيح لشانه **قوله تعالى** واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون اعداد الشيء تهيئته قبل الحاجة اليه وانما اراد تقديره وايجاده
فلا حاجه به تعالى الى الاعداد واصله من العدد وقولك اعددت كذا لكذا اي اعتبرت قدره بقدره
ان قيل ما وجه ذكر اتقوا النار بعد قوله اتقوا الله قيل وقد تقدم ان قوله اتقوا الله يقال باعتبار ذاته
واتقوا النار باعتبار عقابه فالاول للاولياء والاصفياء ولذلك وصله بالفلاح الذي هو اعلى درجه
الثواب والثاني للمذنبين فلذلك وصله بالرحمة ولما كان المنزله الاولى لا تحصل الا لمن حصلت له
المنزله الثانيه حث كافه الناس على الاستعانه بتقوى عقوبته والطاعه له ولرسوله في ترك
الربوا وغيره من المعاصي ليصلوا الى الرحمة درجه اخرى الفلاح ان قيل الفلاح لا يخرج من ان يكون
رحمه قيل صحيح ولكن الرحمة اعم من الفلاح فكل فلاح رحمه وليس كل رحمه فلاحا ومن قال في قوله اعدت
للكافرين دلاله ان لا فاسق فيها فليس باستدلال يوجب الركون اليه لان ما يصح ان يستركل فيه
اقوام اذا قيل اعد لفلان فليس فيه انه لم يعد لغيره ثم قد ثبت ان النار دركات فما الكثر مانع من ذلك
ان النار المعده للكافر ليست للفاسق **قوله تعالى** وسارعوا الى مغفره من ربكم وجنه
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ان قيل ما الفرق بين الطول والعرض وهل هما على تقدير كل
وضعك كالصعود والحدور ام هما شيئان مختلفان بالذات وذاك ان الطول والعرض من خواص

الجسم



الجسم فالطول معتبر بالجانب الذي منه ينشا واليه منشا والعرض بالجانبين الاخرين وذلك
متصور في الحارط والثوب والبيت وقد يقال ذلك باعتبار الوضع في اشياء كثيره وقد وقع
شبهه على من لم تتمهر في المعقولات ولم يتجاوز منزل المحسوسات وقال اقل ما كانت الجنه في
السماء الرابعه على ما روي في الخبر فكيف يكون عرضها عرض السموات فجاء قوم من اليهود الى الرسول ص
فقالوا اذا كانت الجنه عرضها السموات والارض فاين النار فاجابهم فقال سبحان الله اذا جاء
النهار فاين الليل وهذا من معارضه تقبح العامه بما فيه الطبع ويطلع الخاصه على ما بنيه عليه
بقوله ما لا عين رات ولا اذن سمعت وقد روي عن ابن عباس ان الله عوالم هذا احدها وقال
ابو مسلم بن بحر العرض ههنا من قولهم عرضت الشيء بالشيء اذا وسع وذلك قائم مقام المساواه والمعنى
لو عرضت الجنه بالسموات والارض لكانتا ثمنا لها وذلك يفسده قوله في غير هذه الآيه كعرض
السماء والارض وقال بعضهم هو من قولهم فلان ذو جاه عريض وذو سعه ورحب وقد يقال للكبير
عريض نحو قد دعا عريض والمغفره اصلها ازاله العقوبه وان كان قد يقال لها والاعطاء ولما
امر تعالى بالانتقام من النار والانتقام منها مقتض للمغفره وذلك منزله الباء كان للترتيب امره في هذه
الآيه ان لا يقتصر على التقوى من النار التي مقتضيه للمغفره بل يجاوز الى طلب الجنه فقال وسارعوا
اي مغفره **قوله تعالى** الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين السراء والضراء اشاره الى حالي السعه والضيق كاليسر والعسر والى
حالي السرور والاغتمام وقد فسرناهما واللفظتان هنا وهما فان السراء تقابلها الغم والضراء تقابلها
النفع فاخذ اللفظتان المختلفا التقابل ليدل كل واحد على مقابله وهذا من دقائق المجازات البلاغه
فمن نظر الى معنى السراء قال السرور والغم ومن نظر الى معنى الضراء قال النفع والضر ولما كان
الناس في الانفاق اربعه اضرب ضرب لا ينفق في حالي السعه والضيق وهو البخيل على الاطلاق
وضرب ينفق في حال الضيق دون السعه كما قال الشاعر وكان غنى النفس في حال فقره
فصار فقرا الى الغنى خيفه الفقر وضرب ينفق في السعه دون الضيق وهو من وجه جبان
يخاف الفقر ومن وجه حازم يأخذ بالوثيقه في امور الدنيا وضرب ينفق في الحالين وذلك احد
رجلين اما مشهور لا ينفكر في العواقب ولا يبالي من اين يأخذ واين يضع وذلك هو الموصوف بانه
من اخوان الشياطين واما واثق بكفايه الله ينفق ما يحصل في يده اعتمادا على خزائن ربه لكن لا يتناول
الا من حيث ما يحب وكما يحب ولا يضع الا كذلك وهو الذي يتناول كل آيه مدح فيها المنفقون
وكظم الغيظ هو الحلم فقد قيل الحلم كظم الغيظ وهو العفو من ليان شر لفلان ولهذا قال ص
من كظم الغيظ وهو يقدر على ان ينفذه ملاه الله في اي حور شاء وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا

وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال ص ينادى يوم القيمة مناد من كان له اجر على الله فليقم فيقوم
العافون عن الناس ثم تلا هذه الاية والفرق بين الحلم والعفو ان الحلم راجع الى حال الانسان
في نفسه والعفو الى ما يناله وبين غيره وان كان قلما ينفك احدهما عن الاخر ووجه الاية ان الله تعالى
في الاية الاولى على طلب الجنة المعدة للمتقين بين حالهم وافعالهم فذكر ما دل على جماع مكارم الاخلاق
وهو التخلق في حالي السراء والضراء والحلم والعفو وذلك اشرف ضربي الشرع وذاك ان الشرع
ضربان احكام ومكارم ولن تستكمل الانسانية مكارمه الا بعد ان تستكمل احكامه فان تحرى احكام
الشرع من باب العدل وتحرى العدالة فرض ومكارمه من باب الاحسان اي التفضل وتحرى التفضل
نفل ولا تنال فاقله من اهل الفرض ولا تفضل من ترك العدل بل لا يصح تعاطي التفضل الا بعد العدل
فان العدل فعل ما يجب والتفضل الزيادة على ما يجب وكيف يصور الزيادة على الشيء الذي هو غير حاصل
في ذاته ومن تعالى ان يخصص بمكارم الشرع فهو محسن والله يحب المحسنين واحسان العبد في عبادة الله
اياه هو ان يرى مقصرا بعامة اوصاف الله على غاية وسع البشر فيصدق عليه ان يقال هو جواد
وكريم وحليم وودود الى سائر ما يصح ان يوصف به اولياء الله **قوله تعالى** والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم
اجر العاملين الفاحشة ما يناهي قبحه مما يدرك بالبصر او بالبصيرة ولكونها مستعملة فيهما قيل
فلان فاحش الطول اعتبارا باستقباح البصيرة اياه ويقال للزنى والبخل المتناهي فاحشة اعتبارا
باستقباح البصيرة اياهما ويقال فلان ظلم نفسه على ثلثه او جدا حرها اذا جنى على نفسه جناية
لا تحطاها والمأثم اذا ظلم ذويه الذين هم بمنزلة نفسه وعلى نحو ذلك قال الشاعر فمن ظلم ذويه
وماكث الامثل قاطع كفه بكفه اخرى فاصبح اجذما وعلى هذا الوجه قد يقال ذلك فمن
ظلم واصر فمن كافة الناس اذا كان الناس كنفس واحدة واحادهم كاعضائها والثالث ان ظلم الانسان
غيره لما كان وباله راجعا اليه يقال فيمن ظلم غيره قد ظلم نفسه وعامة ما ذكر تعالى ظلموا انفسهم
ذكره مقرونا بسوء ظلمه تعالى اياهم نحو ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
وقد ذكرت حيث نهى عن ظلم الغير بنفسها على المعنى المتقدم نحو قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ثم
قال ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه والاصرار الاقامة على القبيح ماخوذ من الصرار والصر كان المصر
على الذنب جعل ذنبه مصورا على نفسه اي معقودا لا يجد سبيلا الى حله وقوله وهم يعلمون في موضع
الحال اي لم يكن منهم اصرار مع العلم واشتراط العلم انه قد يعذر الانسان مع الجهل في ازيكابه بعض
المآثم كمن تزوج اخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك وهذه الاية مع الاولى مشكلة يقال هل قوله

والذين



والذين اذا فعلوا صفة للمتقين كقوله الذين ينفقون ام استيناف حكم ولم اعيد ذكر الجنة
منكرا مقرونا بوصف آخر ووجه ذلك ان الله تعالى لما امر الناس بتقواه وتقوى نائبه او لا
وامرهم بالمسارعة الى المغفرة التي يستحقها المتقي من العاد ثم الى
الجنة العريضة التي يستحقها المتقي من الله ذكر قوله الذين ينفقون في السراء والضراء حال
المتقين لله المستحقين لتلك الجنة وقال لهم الذين يحاولون تعاطي احكام الشرع الى تعاطي مكارمه
والذين اقتدوا بالله على غايته جهدهم في اكتساب صفاته ثم ذكر حال المستغفرين لوقوع فاحشة
منهم او ظلم وبين ان لهم جنات اخرى من تلك الجنة فقال الذين اذا فعلوا بعض ما لزم اجتنابه من الواجبات ذكروا
الله فاقلعوا كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ولم
يستمروا على فعل الشر ثم قال ومن يغفر الذنوب الا الله على سبيل الاعتراض بينه وبين تمام الكلام
بنفسها ان الانسان لا يحب ان يلجأ الا الى الله وبين انه فعل ذلك لم يقصر تعالى معه على ترك الذنب
عليه بل يجعل له جنات وجعل هذه الجنات على اوصاف تقصر عنها الوهم ويدرك مثلها الحس وجعل
للفرقة الاولى جنة لا تصورها الوهم ولا يحيط بها الحس فان جنة عرضها السموات والارض مع
كونها في السما اشار اليه ما قال ص ما لا عين رات وذلك مما لا تتصوره الوهم ولما كانت الفرقة
الاولى عاملت انفسهم وعباد الله بضرب عامل الله به عباد الله وهو الجود والحلم والعفو سماهم هو
تعالى استحقه وهو المحسن وقابلهم بمقابله بطلها هو من العباد ان تعاملوه بها وهي المحبة فقال
والله يحب المحسنين والفرقة الثانية عاملت انفسها وعباد الله مما لا يصح ان يوصف الله به بل يوصف
به العبد المتدارك لتقصيره جعلهم من العملة المستحقة للاجر وسمى نفسه حيث ذكر مقابلة الفرقة
الاولى فقال والله يحب المحسنين وهو اعم الاسمين واخصها به نفسها الفهم يراعونه بالالهية وسمى نفسه
حيث ذكر مقابلة الفرقة الثانية ربهم بنفسها الفهم يراعونه بالنعمة الواصلة اليهم التي هي سبب نيلهم
واعلم ان منزلة الفرقة الاولى منزلة الشاكرين الموصوفين بقوله وسنجزي الشاكرين ومنزلة الفرقة
الفرقة الثانية منزلة الصابرين الموصوفين بقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فذكر في
الشاكرين المجازاة الحارة من الاحياء وذكر في الصابرين الاجرة كفاما يجعل للاجراء وان كان قد
جعلها لا حساب وشتان ما بين الاجير والحبيب وهذه من المواضع التي لم ار من تحرى مذهب الحبس اشتغل
به مع صعوبته غير ان ابن بحر لما انتهى الى قوله اولئك جزاؤهم قال ان المغفرة المذكورة هي المذكورة في قوله
سارعوا الى مغفرة من ربكم وكذلك الجنات هي الجنة التي عرضها السموات وان ذلك اجرهم بتلك الافعال
وهي مع انه لم يتدبر الفصل واختلاف المجازاة والجزائين واوصافها لم يفكر في ان النكرة اذا اعيد
ذكرها يعاد معرفة والا كان الثاني غير الاول فلو كانت المغفرة والجنات هي التي تقدم ذكرها لقال المغفرة

والجمات **قوله تعالى** قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
الخلا الحكان الذي لا ساتر فيه من بنيه وغيرها وقد يقال للمكان الذي لا ساكن فيه وخليته تركه بيني
خلا ثم يقال لكل ترك تخلية حتى قيل ناقة خليه مخلاة من الحلب وامراة خليه مخلاة من الزوج وسمت السفينه
المتروكه تمر بذا لها خليه وزمان خالي اي ماض كانه خلا عما كان فيه واصل السنه من السن اي الصب
الجاري على وجه الارض وعلى الشبه به قيل سننت الدرع ووجه مسنون والسنة الطريقه المعموله
للاقتدا بها محسوسة كانت او معقوله وعني بالسنه ههنا ما كان من القرون الاولى اخيارهم
واشرارهم وما كان من مقابلتهم منه تعالى ومجازاته اياهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا في الدنيا
تارة وفي الاخرى تارة على ما بينه تعالى بكلامه وشوهد من احكامه فنبهنا على اعتبار ما جرى به سنته
وامرنا بالسير في الارض والنظر اليه ولم يكتف بالسعي السعي الارجل ولا النظر نظر العين وذلك غير مغن
بانفراده في معرفه سنه الله في الدين خلوا وانما عني اجاله الخاطر فيها والنظر ببصيره للتمرن للحكم
والتبصر على العبر وعلى هذا قوله اولم تسيروا في الارض وقوله فامشوا في مناكبها وقد حمل
بعض الصوفيه قوله ص سافروا تغنموا على هذا النحو **قوله تعالى** هذا بيان للناس وهدى
وموعظه للمتقين جعل تعالى القرآن بيانا للعامة والخاصة فلهذا قال للناس لانه ما فرد في فكره
استمع اليه الاحصل منه بيان ما وجعله هدى وموعظه للمتقين خاصه وقد تقدم الكلام في تخصيصه
هدى لهم في قوله هدى للمتقين والفرق بين الهدى والموعظة ان الهدى يقال باعتبار معرفه
الشريعة وسلوك طرقها الى ثواب الله تعالى والوعظ يقال باعتبار معرفه الثواب والعقاب
ان قيل اراد بذلك انهم يهتدون ويتعظون ام انهم يهدون ويتعظون قيل يحتمل الوجهين ويصح
حمله عليهما فهم في الحقيقه يهتدون به ويتعظون ويهدون به غيرهم ويتعظون **قوله تعالى**
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين الوهن والوهي سعاريان لكن الوهن ضعف والوهي
يقال فيه وفي الخرق فتوا عم والحزن الم موجع للنفس من فوت مطلوب او فقد محبوب ان قيل كيف
امر الانسان بان لا يهن ولا يحزن وليس ذلك باختياره يل هو شي يعرض له بالاضطرار قيل النهي في
الحقيقه متوجه الى تعاطي فعل ما يورث ذلك وان كان في اللفظ مساوا للحزن والوهن وذلك
ان الحزن يعرض بان لا يستشعر الانسان ما عليه جبلت الدنيا ولا يعرف ان اموالها وابدانها
عارية مستردة ولا يحتمل صغار المكاره فيتوصل بها الى احتمال ما هو اعظم منها وعلى هذا قوله
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وقوله وانتم الاعلون قيل عني في الاستقبال ايسار
الى نحو قوله والعاقبه للمتقين فيكون هذا وعدا لهم وقيل اراد في الحال فانهم الاعلون بالحجة ورب المغفره
اشارة الى نحو قوله ان يكونوا ياملون فانهم يالمون كما ياملون وترجون من الله ما لا يرجون فمثله لا يحف

انك



انك انت الاعلى وسبب نزول ذلك قيل هو ان النبي ص امر بطلب القوم بعد يوم احد وقال لا يخرج
معنا الا من شهد نا بالامس فاشتد على المسلمين وقالوا فينا جرحى فانزل الله تعالى ذلك وتبعه
بقوله ان يكتم مومنين ان من شرط الايمان رفض الوهن والحزن وانتم مومنون فواجب ان لا تهنوا ولا
تحزنوا سيما والعلو لكم **قوله تعالى** ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام
نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا والله لا يحب الظالمين الفرق بين المس
واللمس ان اللمس اخص فانه بالحاسه والمس به وبغيره وهو ههنا عبارة عن الاصابه والقرح اعم من
الجرح فان الجرح اصابه الحادثة في الاصل والقرح يقال له ولما الحدث من ذاته كجروح البعير اذا
خرج به قرحه وهي شبيه جرب والقرح مصدر ثم سمي المقروح قرحا والقرح الاسم وقال بعض اهل
اللغة القرح الجراحه والقُرح الهما والدول والدور سعاريان لكن الدور اعم فان الدوله لا
يقال الا في الحظ الدنيوي وكذلك الجد ولهذا قيل لا ينفع ذا الجد منك الجد اي الحظوظ الدنيويه
عبر بالفعه في العبر يوم لا ينفع مال ولا بنون وقوله وليعلم الله قيل ليعرف ولهذا تعدى الى مفعول
واحد وقيل ان مفعوله الثاني محذوف ومتى قيل في الله انه علم كذا اولم يعلمه فليس القصد الى اسناد علمه او
نفيه وانما القصد الى اسناد ذلك الشي او نفيه واذا استعمل في غيره فانه يقال على الوجهين
واما الشهدا فقد قيل هم المذكورون في قوله ليكونوا شهدا على الناس وقال الحسن وقتاده عنى بها المقتولين
في الحرب وسموا بذلك لقوله لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون الايه
لما جعلهم احيا عند ربهم سموا شهدا واصل ذلك ان غايه ما يستحقه الانسان في الاخره القرب من
الله وكونه عنده ولما وعد الله المقتول في سبيله بذلك سمي شهيدا والله تعالى بالانه انه غير انصاف لمن
ساوى العدو في المغالبة الدنيويه ان يحزن فكيف بمن كان غالبا وبين بقوله وتلك الايام نداولها ان من
حق العاقل ان لا يسالم افوته ما لا كان او جاها او قهرا فان الله جعل بنيه الدنيا على ان يكون اعراضها
دولا بين اخيارهم واشرارهم ليصير الاخيار فما يصيبهم من الحزن ويشكروا ما ينيلهم من المخ فيفضلوا
بذلك الى ثوابه وعلى ذلك ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ان قيل هل يصح ان يكون الدوله للكافرين
على المومنين قيل يجوز ذلك اذا كانت الدوله من الخطوط الدنيويه التي قد تعطى الكافر منها اكثر مما يعطى
المومنون قال قتاده لولا ان الدوله ما اوذي المومنون لكن قد نال الكافر من المومن ونال المومن بالكافر
ليتميز المطيع من العاصي وقد حكم تعالى في كل ذلك انا لغلبه للمومنين في الحقيقه بقوله الا ان حزب الله
هم الغالبون وبقوله والله لا يحب الظالمين بنسبه انه لا ينصر الكافرين في الحقيقه وان يصور بعض
الناس ما يعطيهم في بعض الاحوال نصرا منه بنسبه انه لا يظلم فمحال انه مع حكمه بانه لا يحب الظالمين يفعل
فعلهم **قوله تعالى** وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين المحص كالفحص لكن الفحص يقال في ابراز

الشئ عن خلال اشيا منفصلة عنه والمحص في ابدان عن اشيا متصلة به قال الخليل التمحيص التخليص عن العيب يقال محص عنا ذنوبنا والمحق هو ابطال الشئ حالا فحالا والقصد بتمحيص المومنين باذكر في قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقوله ويمحص ما في قلوبكم وعلى معنى المحص ما ورد من لفظ الفتنة والابتلا والقصد يعني الآية ان المومنين والفاسق كسبيكتي ذهب ابر بوكلف وهرج من خوف اذا فتخلص الابريز والمحق البهرج وكما ان السبك سبب لاختبار الابريز واجرادة خلص الخزانة وسبب لاحتوا البهرج وطرحه بالمبعد كذا التكليف سبب لاصطفا المومن لكرم جوار وطرد الكافر الى حرق نار كما قال في المومنين في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال في الكافرين كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين معنى ام حسبتم لا تحسبوا واستعار الام لاستفهام للنفي مبالغة في المعنى وام على وجهين معادلة للالف ولاستئناف استفهام ويفسر كل واحد من الوجهين من قال لاسعك ام من ان تكون رابعا للالف اما ملفوظا به او مقدرا قال وتقدير الكلام ههنا لما ذكر قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا اعلمتم ذلك ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وقد تقدم ان كل موضع نفي فيه علم الله فانما هو نفي لما يعلم به ويدل على صحة ذلك قولهم ما علمت احدا خرج الا زيدا بجاد الرفع في زيد لما كان معناه ما خرج احد فيما علمت الا زيد واما قوله ويعلم فمنصوب على الصرف وقد قرئ في يعلم الصابرين بالجزم والفرق بين العطف والنصب على الصرف هو انه اذا كان عطفا اريد حصول الفعلين مجتمعين كانا او مفترقين واذا نصب فالمراد حصول الفعلين معا وقد يجيء احدهما معا على ذلك قول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله معناه لا يجمع بين الامرين معا ويحتمل ان يكون ويعلم معطوفا على قوله ان تدخلوا الجنة وذلك انه لما علم للصابرين دخول الجنة في غير موضع من ههنا ان لا يدخلوها محكوما لهم بالصبر ولما جاهدوا واذا كان الصبر لا يبين الا بمجاهدة النفس ولم يكن بالمجاهدة الجهاد في حرب الكفار فقط بل اراد ذلك ومجاهدة الشيطان والنفس المدلول عليها بقوله ص جاهدوا اهواكم كما تجاهدون اعداكم ونحو هذا قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون سبب نزولها ان قوما لم يحضروا بدرا كانوا يقولون ليت لنا يوما مثله حتى نجاهد وقيل سببه ان قوما سالوا النبي ص ان ياذن لهم ان ياتوا المشركين في ديارهم ويقاتلوهم فقال ص لهم او مرين بذلك والموت عبارة عن الحرب كقول الشاعر اذا استنزلوا عنهن للطعن ازقلوا الى الموت ازقال الجمال الصعاب واراد انكم تمنيتم الحرب فلما حضرتم وانظر يكنى به عن التحير نحو والموت خزيان ينظر وقيل وانتم تنظرون الى النبي ص لكونه من اظهركم وذلك بسكت لهم وقول الحبس اراد بالموت سببه بحذف المضاف فقريب و

الى



الى على الحماى الله لا يحوز ان يتمنوا لقتل المشركين لهم فان قتل المشركين لهم كفر بالله ولا يحوز للمومن ان يتمنى الكفر بالله وانما تمنوا الموت الذي هو فعل الله في الحال التي يكون فيها بعد مزاحاصي فهذا تخيل طراد القوم انما تمنوا حربا ليبلوا فيها بلاء حسنا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزي الله الشاكرين روى انه لما كان يوم احد نادى منادا قتل محمد فعاد اقوام على اعقابهم فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين بالمعنى اي ما قال ابوبكر لما مات النبي ص من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت الها القوم ان الله قد نعى اليكم نبيكم ثم تلا الآية ولفظ الاستحاء يتناول القتل وقوله فلن يضر الله شيا يعود ضرر ذلك عليهم بانهم يصيرون بانقسامهم ان قتل كيف تعلق قوله وسيجزي الله الشاكرين بما قبله قيل ان ذلك مضمر حذف بعضها تقديرها ومن احسن مجزه الله فانه سيجزي الشاكرين قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا موجلا ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها وسنجزي الشاكرين اللام في قوله وما كان لنفس على سبيل نسبة الانفعال اي المنفعل كقولك الموت للنفس والنسخ للثوب ولما توهم المنافقون ان الفعل عند الموت وان الانسان سيجد سبيلا الى الخلاص منه ولم يتصوروا تقدير الله وان ذلك مقتضى لا انفكاك منه حتى قالوا لو اطاعونا ما قتلوا بين تعالى ان الموت شي بقضي محكوم به وهذا معنى كتابا موجلا فلا ما خير له ودل على ذلك بابات الله نحو قوله تعالى لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل وقوله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله انما تكونوا يدرككم الموت وقوله في هذه السورة يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ههنا وعلى ذلك قول الشاعر ان الفرار لا يزيد في الاجل ولما كان اكبر الاعمال مشتبه الصور وانما يتميز الخبيث من الطيب بالنيات ولهذا قال ص الاعمال بالنيات ولكل امرا ما نوى ثم كانت هجرته الى الله ورسوله الخير والمجاهد في سبيل الله بلته اما قاصد به الاخرة غير ملتفت الى الدنيا واما قاصد عرضا دنيويا من اعيانه فيه حكم الله على ما ورد الامر في قوله واتغوا من فضل الله واما قاصد عرضا دنيويا غير مراعى فيه حكم الله على ما دل عليه قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون وقوله من يرد ثواب الدنيا فسر على الوجهين احدهما ان لفظ الثواب ههنا على التوسع والمراد به على نحو الحرث في قوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب ويكون المعنى على نحو ما بينه في قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والثاني ان الثواب هو الذي يحصل للانسان ولا

لحقه فيه تبعه فالمراد به ما ذكره في قوله وابتغوا من فضل الله وقوله ص من طلب الدنيا استعفافا عن المسئلة وسعيا على اهله لقيه الله وجهه كالقمر وقوله وسنجزي الشاكرين وقدم الكلام فيه **قوله تعالى** وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين كاين بمعنى كم واصله اي دخله الكاف والنون فجرع هو النون فصل واذا وقف يقال كاي على قول من قال مررت بزيد وكاي على قول من قال يريدي وقال بعض النحويين يجوز ان يقال كاين في الوقف لانه لما ركبا صارا للنون لكونه من الكلمة كقولهم وعملي في لعمري والزنى فصل التقى العالم المنسوب الى الرب وكذلك الرباني وعيس في النسبة كقولهم في امس امسي وفي الجمع جماني وقيل الربون الجماعات الكثيرة ومنه قيل للجماعة ربة ولما يجمع فيه القداح ربابة والفرق بين الوهن والضعف ان الوهن اخلال يعتري الانسان ويضاده السرة والضعف اخلال يقتضيه ويضاده القوى والاستكانة الخشوع والتضرع للخوفه وقيل قتل هو فعل مسند الى قوله وكاين من نبي ومعه ربيون استئناف في موضع الحال كانه قيل وقد قتل معه وقال الحسن ما قتل نبي قط في حرب وقال بعضهم ما قال الحسن وان صح فانه لا ينفي انه قتل في غير حرب وقيل ان قوله قتل فعل لقوله ربون اي قتل جماعة منهم فلم يهن الباقون منهم ومن قرأ قاتل يحتمل الوجهين وقوله والله يحب الصابرين فقد جعلهم محبوبيه بعظيم لقدرهم والى معنى الجملة اشار بقوله ان الله مع الصابرين وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال ص الصبر كله وقال الصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد **قوله تعالى** وما كان قولهم الاية الفرق بين الذنب والاسراف من وجهين احدهما ان الاسراف تجاوز الحد في فعل ما يجب والذنب عام فيه وفي التقصير فاذا كل اسراف ذنب وليس كل ذنب اسرافا والثاني ان حقيقة الذنب التقصير وبه سمي الاثر ذنبا والذنب في الاصل مقابل الاسراف وكلاهما مذمومان احدهما من جهة التفريط والاخر من جهة الافراط والمحمود هو العدالة والقصد المتوسط منهما وبنات الندم في الامر للزوم وعلى هذا قوله فتول قديم بعد ثبوتها وتنفيه ثبتت الاقدام قيل بالطاف من جهته وقيل بانزال الملائكة عليهم وذلك عام في كل نصر نصره الله لعباده من وقوع نفسه ومما يعينه من خارج وقيل اشار بذلك الى سؤال الصيانة عما يحبط ما تقدم من الاعمال وهذا السؤال نحو ما روي عن النبي ص يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والاية هي من جملة الحكاية عن الربيين وحسن لما قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية وحث على الاقتداء بمن تقدم في احوالهم التي وصفوا بها وهذه الجملة من التضرع الى الله هو جماع سؤال الخيرات فقد سألوا الله العفو عنهم فما كان منهم من افراط وتفريط والحوائج لهم في انفسهم وتصرهم على اعدائهم

قوله

**قوله تعالى** فاتيهم الله ثواب الدنيا الاية ذكر في ثواب الاخرة الحسن بنفسها ان ثواب الدنيا بالاضافة اليها عرض مستحسن لانقطاعه وبنه بالاية ان من اراد ثواب الدنيا لم يحصل له ثواب الاخرة وان من اراد الاخرة حصلت له الدنيا والاخرة معا وعلى هذا قال ص من كانت همته للدنيا شتت الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يوته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت همته الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وهذا المعنى الذي اقتضاه الخبر ذكره ابن الرومي في قوله وتاجر الاجر لا يزال له امران في كل متجر تجره

اجر وحمد وانما قصد الاجر ولكن كلاهما اعتوره وسئل سفين بن عيينة هل يعطى المعلم ثواب عمله في الدنيا فقال نعم وتلا هذه الاية وقوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقوله في قصة يوسف وكذلك مكنا ليوسف في الارض الاية ثم قال والاجر الاخرة خير للذين امنوا الاية **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا الاية هذا هو المعنى المذكور في قوله ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم لكنه لما ذكرهنا كان باللفظ العام وهو اقل لان الكتاب الواقع على مؤمنهم وكافرهم حض فريقا منهم فان قيل لم غير العبارتان ولم كرر ذلك قيل انه عرض في الاول بالنهي فلما بين احوال المنهي عن طاعتهم وبنه على فساد طريقتهم واراد تهم الشر بالمسلمين اعاد النهي عن طاعتهم مصرحا وهذه الطريقة يسلكها الوعظة المحنكة فنهي الانسان عما يهواه اذا لم يعرف قبحه اغرا بفعله فمن الواعظ ان يوصل اولا الى كشف قبحه وما يعرض فيه من الفساد ثم يصرح بتحريمه والنهي عنه وقول الحسن انه عنى الذين كفروا اليهود والنصارى وقول السدي انه اراد المشركين ابا سفين واصحابه وكلاهما صحيح فالنظم عام ومطاوعتهما تردي الى العقاب وتورث الخسران **قوله تعالى** بل الله مولاكم وهو خير الناصرين لما تقرر في العقول ان المولى يعين بحسب عزه وما اليه وتقرر عند المسلمين ان الله هو العزيز في الحقيقة وان كل عزيز فمنه وبه يعز وقد كان تمام في الاية المتقدمة عن موالاة الكفار والدخول تحت طاعتهم ان الله مولاه فهو غني عنهم فهو خير مولى وناصر وهذا المعنى قرره تعالى عليه في مواضع بالفاظ كثيرة نحو نعم المولى وقوله ذلك بان الله مولى الذين امنوا وفي لفظه بل الله مولاكم وبنصره ان من المحال ان يكون من يحصل تحت ولاية الله وعرف ان الله معتن به ان يعتني غيره او يقصد سواه **قوله تعالى** سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الاية الرعب استرخاء القوى وتقطعها من الخوف ومنه جارية رعبوبة ورعبت السنام قطعته وبهذا النظر قالوا لقطع بناط قلبه والخلع قلبه وتوزع خاطر والسلطان الحجة وقد تقدم والمثوى اطلاقه للملازمة وقوله بما اشركوا اي اشراكهم وقوله ما لم ينزل به بدل من ما الاولى لكن بمعنى المصدر اذ لا ضمير يرجع اليه والثاني بمعنى الذي اذ فيما

بعده ضمير ويكون ان يكون خبرا مبتدا مضمرا وعلى تقدير اعنى شيا لم ينزل به سلطانا والمعنى لا تحلف
وبه انه لم يجعل لهم حجه فيما قالوا وما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولقوله سنلقى فى قلوب
الذين كفروا الرعب ولظهور حكمه وما شوهد من صدقه قال لم نصرت بالرعب ويصدق ذلك
قد شوهد وقد كان المضادون يقصدونه عليه السلم لمكاوحته او الاغتيال عليه فما كانوا الا
ان يحكوا ابصارهم منه فيذلوا ولمشاهده الحالة قال فيه الشاعر لو لم يكن فيه آيات مبينة
كانت بداهته تغنيك عن خبر وهذا احد دلائل للنبوات التى يعتمدها من عرف الحقائق وليس
هذا الرعب للنبى ص فقط بل لاحزابه والمقتدين به حتى يرى من رجح عقله وحسن فى قمع الشهوة حاله
مهيبا وجعل جمعهم مثنى مدموما بالاضافة الى الطباع واعتبارها بكراهتها لها وعلى ذلك قوله
وسات مصيرا **قوله تعالى** ولقد صدقكم الله وعده الاية الحس يقال للاصابه بالحاسه
نحو عسه وبدسه اى اصبته بهما ويقال بان لاصابه الحاس نحو بطسته وظهرته اى اصبتهما ولما
كان اصابه الحاسه قد تتولد منه فقد الروح استعير للقتل واذنه ههنا لصح ان يكون امره وان يكون
تسهيله وتوفيقه والفشل ضعف الخيره وذلك يكون عن الحرب وعن التخابل عن حمل المحض كله وجعل
تعالى ميلهم الى الغنيمه فشلا فان الحرص والبخل من فشل الخيزه وسبب نزول هذه الاية ما روى
ان النبى ص كان قد وعد المؤمنين بقهر الكفار يوم احد ولما صف الصفوف جعل احدا خلف ظهره
واستقبل المدينه وجعل عينين وهو جبل عن يساره ورتب عليه رماة خمسين واستعمل عليهم عبد الله
بن جبير واوعز اليهم ان قوموا فى مصافكم فان رأيتمونا وقد غنمنا فلا تشاركونا وان رأيتمونا نقتل
فلا تنصرونا فما راعهم الا الكفار يهزمون اختلفوا فيما دهم بعض الى المعركه ونظر خالد بن الوليد الى الجبل
وكان كمينا للمشركين فكر بالخيل فقتل من بقى من الرماه واستقبلت صفوف المسلمين حتى كان ما كان فقال
قوم ان الله قد وعدنا نصرنا فعصوا قولهم فسئل تعالى انه قد صدقكم وعده واذ تحسونهم الحان
اعتراكم الفشل ووقع بينكم تنازع فصرفكم عنهم وقوله منكم من يريد الدنيا قيل العينه ومنكم من يريد
الاخرة اى نصرة النبى فى ترك المكان والمبادرة الى القتال وقيل بل عنى من يريد الاخره من اقام
حافظا لما استحفظ وقوله ثم صرفكم عنهم قيل صرفهم اياكم منع النصره وترك انزال الملئكه عليهم والسكينه
واخراج ما فى قلوب الذين كفروا من الرعب وان لم يكن صرفكم عنهم خذلانا لكم بل كان من الله لتبليكم
الى الدنيا وابلائكم كما بلاه بقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وذكر انه عفا
عما كان منهم من مخالفتهم النبى ص واخلالهم بالمركز فقال عفا عنهم اذ لم يستأصلهم فقد قتل منهم الحسن ع
من قتل وكسر رباعيه الرسول ص وقتل عفا عنكم حيث عاقبكم فى عاجل الدنيا وافضل عليكم بذلك
لكونه موعظه لكم فى معاودة مثله ثم بين ان الله ذو فضل فى عفوه عنكم فى انهزامكم وفى صرفكم عنهم الذى صار

سببا



سببا لتهذيبكم ولمحصكم وسببا لان تصبروا مجاهدين فى المستقبل فيعلم الله الذين امنوا
ويتخذ منكم شهدا فكل ما هو سبب خير وان كره بعضكم واختلف فى جواب اذا فقال الفراء
تقديره تنازعتم وافوا وعصيتم قال وذلك يكثر مع اذا نحو حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وقوله
حتى اذا جاؤها وفتحت اى فتحت وقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اى ناديناه وقال ابن
الانبارى صرفكم جواب ولقد عفا عنكم جواب ولقد صرفكم قال وقد دخل ثم فى الكلام لانه فى المعنى مثل اذا
وكانه رد لفظ اذا الى الحال الكلام كقوله فلما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فاعاد لما الحال فكذلك القول فى ثم صرفكم وهذا القول استظرفه فانى اراه تصور
ثم بمعنى ثم على التقديم الذى ذكره وقال البصريون جوابه فى هذه الاية محذوف **قوله**
**تعالى** اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخريكم فاثابكم غما بغم لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون اذ معلق بقوله عفا او بقوله ذو فضل والاصعاد
الابعاد فى الارض سواء كان فى صعود او حدور وان كان اصله من الصعود كقولهم تعال فى ان
صار فى التعارف قد تقال لغير معنى العلو والصعود الذهاب فى صعود وما روى قتاده والربيع
ان من هرب من المؤمنين ذهبوا فى الوادى وروى الحسن انهم صعدوا فى الجبل فرى تصعدون اعتبارا
بالروايه الاولى وتصعدون اعتبارا بالروايه الثانيه وانما ذلك باعتبار علو الانسان فى امر
تحراه كقولك ابعدت فى الدار اربعت فى كذا اذا بلغت اقصى مرتقى وكانه قيل اذ صعدون فى استشعار الخوف
والاستمرار على الهزيمه وقوله ولا تلوون على احد يعرض لهم فى الهزيمه ونحو تحراه حسان بقوله
تزل الاحبه ان نعاتب دونهم ونجا برأس طمرة وثناب وقرأ الحسن ولا تلوون من ملوى وقال بعضهم
هو خطأ ووجهه ان ذلك تبكيت لهم وانهم لم يلووا ما ولو ائل اخلوا وقوله يدعوكم فى اخريكم اى
هو من جماعة المتاخرين منكم وروى ان رسول الله ص كان ينادى لهم يا عباد الله ارجعوا ان قال كف
قال اثابكم غما بغم والاثابه هنا لفظ فى المحبوب دون المكروه قيل وقد قال بعضهم ان ذلك يستعمل فى
المكروه على احد وجهين اما لان الثواب فى الاصل ما يرجع الى الانسان من نفع فعله خيرا كان
او شرا لكن تعورف فى الخير فاذا استعمل فى المكروه فعلى اعتبار ما الاصل والثانى ان ذلك على
الاستعاره وضرب من التهكم فى كلامهم كقوله تحيه بينهم ضرب وجيع وقال بعض المحققين انما ذكر
لفظ الاثابه ههنا فى الغم لان غمهم وان كان مكروها لا يطيع فهو ثواب من الله من وجه لانه كان
سبب هضم نفوسهم الذى بنيه تعالى بقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم وكل امر يودى بالانسان الى
ان يجعله بحيث لا تلحقه فوت مطلوب وفقد محبوب فيناله من ثواب ولهذا قال حكيم جاع الزهاده
فى قوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وقوله عما من المفسرين من اعتبر الغم بالمسلمين وقال

احدهما ما وصل الى ملوهم من الغشل والثانى الخوف وقيل احدهما ما افهم النبى ص والثانى فوت الغنيمة
وقيل ما سمعوا من قتل النبى ص وقيل اشراف الى سفين عليهم والوجه ان كل ذلك مراد لانه ليس بعض ذلك
بعض اولى من بعض ما كثرة مسابعه متواليه كقولهم لبيك وقوله بل يداه مبسوطتان اى نعمه متواليه فيهم من
اعتبر احد الغمين بالمسلمين والاخر بالكافرين فقال انا لهم مثل ما اللقوهم سهما على معنى قوله وتلك
الايام نداولها بين الناس وقوله والله بما تعملون اى عالم به بحركم به تنبيها على ما فيه لكم ترددون الى
عالم الغيب والشهادة فينتكم بما كنتم تعملون **قوله تعالى** ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
تغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم الايه قرئ تغشى ردا الى لفظ امنه وتغشى الى لفظ نعاسا
وقرئ كله على الابتداء وكله على البايد وقيل السبب فى نزولها ان يوم احد تواعد المشركون بالرجوع
وكان المسلمون متحمسين للقتال فانزل الله تعالى على المؤمنين امنة فنام بعضهم ونفى عن المنافقين
الامنه فسهروا منهزمين فمن جعل النوم على الحقيقة قال جعل ذلك رائه لهم تخصيص النعاس بنسبه
على صيانتهم من الحالة المذمومة من الامتلاء من النوم ومنهم من جعله استعارة لطمانينه جاشهم
وزوال خوفهم وذلك لما يرى من حال المطمئن ويوصف المغموم بالسهر ومنهم من جمع وذلك وقال انه
لما ذكر فى الاول قوله فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم منّ ههنا انه تعالى هذب طائفه من المؤمنين
حتى صارت نفوسهم آمنه مطمئنه تحت قضا الله وهذه حاله الرضى وقد قيل الرضى ان يكون
العبد ساكنا تحت قضا الله مطمئنا عند كل وارد سترام سا وهذه الحال ادعاها الشاعر صادقا
او كاذبا فى قوله فسترعلم ايتنا وساء ولم استكن وقوله تعالى وطائفه قد اهمتهم انفسهم يبنيه
على خبث انفسهم وانها امارة بالسوء وذلك ان المنافق شرير والشرير لم يتهذب نفسه والجاله
من الغضب والشهوة والحرص وسايرالرذايل وكان ما معه عدو يودنه ولهذا لا يمكنه ان يخلو بنفسه لانه
لا يجد ساعة لا يكون خلى مع اسود واساود وقوله يظنون بالله غير الحق بنيه على جهلهم وعدم
معرفتهم بحكمه الله ونعمته فى قهر الكفار للمسلمين فى بعض الاحوال وانها نعمه وظنهم غير الحق ظنهم ان النبى ص
لم يصدقهم ويا سهم من نصر الله تعالى وقوله وظن الجاهلية اى ظن الكفار بنفسها ان هولا المسلمين
بعد فى حيز الكفار وفى قله معرفتهم الله بحكمة الله تعالى وانهم لا يعرفون الخير والنعمة الا المال
والجاه والغلبه الدنيوية فاذا فاتهم ذلك ساظنهم وقوله يقولون هل لنا من الامر شى اى هل لنا طمع فى
الغلبة بنبيها انهم استشعروا الياس لما استشعر القوم الكافرون فاكدهم الله تعالى فقال قل
ان الامر كله لله اى الغلبة فى الحقيقة له ولاوليايه فان حزب الله هم الغالبون وقيل غنى بالامر الاول
سيتمارا ى لوشورنا لاشرنا بترك هذا المورد فقال الله تعالى الامر كله لله اى هو اعرف بالمدبر
وقوله يقولون لو كان لنا من الامر شى ما قتلنا ههنا معناه لولا انا اكرهنا لما خرجنا وفصل بين الحكاية

عنهم



عنهم اعنى هل لنا وقوله يقولون بحذف احدهما جواب لهم وهى قوله قل ان الامر كله والمانه بنيه
على ما فى ضمايرهم وهى قوله يخفون فى انفسهم وللفصل بينهما اعيد فى الحكاية عنهم لفظ يقولون لئلا
تشتبه الحكايه عنهم بما هو اجنبى منه تعالى وقال بعض المعتزله على بقوله يقولون هل لنا من الامر شى
انه كقوله لو شا الله ما اشركنا وهذا ان كان كما قاله هذا القايل فقوله قل ان الامر كله لله يصدق
لهم وقوله قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يكذب لهم وانه محال ان لا يقتلوا مع ان قتلهم
بذلك المكان حار فى قضاء الله وتقديره وقد حمل ذلك على وجهين اما من قدر له القتل لو لم يخرج لاتاه
القتل وهو فى مضجعه فى دار والثانى انه لو كتب ايها المؤمنون قعدتم فى بيوتكم ولم تخرجوا للمحاربه لخرج
من قدر له القتل لسبب حتى ايى مضاجعهم فى الحرب اى مصارعهم فيقتلون بنبيها ان قضا الله وتقديره
وعلمه لا تغير وانه لا سبيل لاحد من قدر والى هذا اشار الشاعر بقوله

اذا ما جام المرء كان بيلة دعته اليها حاجه او تطرب وقال الاصم معناه لو كتم ايها المنافقون
فى بيوتكم ولم تخرجوا لبرز المسلمون الذين كتب عليهم اى اوجب ان يقاتلوا محتسبين ويكون هذا شاهدا
من الله تعالى على ما اسلفناه ان قتل ما حقيقه الابتلاء والفصل بينه وبين المحض قبل الابتلاء فى الاصل
هو الاختبار الذى يفصل به بين الخير والشر فهو اسم الفعل مبدا ونهايه فمبدا وه الاختبار ونهايه الفصل
بين الخير والشر اذا استعمل فى الله تعالى فانه يراد به النهايه دون المبدا الذى هو التوصل الى الفصل
واما المحض فاراله ما قد انفصل من الخبث عن الشر وكان المقصود به ما ذكره الله تعالى فى قوله ليميز الله
الخبيث من الطيب ان قيل على ما ذا عطف قوله وليبتلى الله ولم كرر الابتلاء بعد ان ذكر فى قوله
ليبتليكم ولم على الاول بالذات كلها والثانى بما فى الصدور وما الفرق بين قوله ما فى الصدور وبين قوله
ما فى القلوب وخص ما فى القلوب بالمحض قبل الما عطف الابتلاء فعلى قوله لكيلا تحزنوا وفصل بينهما
هو بتكرير الكلام واشباع للمعنى وهذا جايز وقد تقدم الكلام فى نحو وكوزان يعلق بمضمر دل
عليه ما تقدم من قوله ليبرز الذين كتب عليهم القتل واما تكريره وتعليق الاول بالذات والثانى
بما فى الصدور فان لله تعالى بكل شى من الاحكام والمكارم كما تقدم والاحكام قبل المكارم وجبلها
معلق بالضمان وعمل الجوارح فيها قليل فحث ما اراد منهم الحكم وهو الثبات فى الحرب والجد بالجوارح
على الابتلاء بالجمله وحث ما قصد المكارم من اصلاح القلوب من بغض الحزن ونحوه فخص الذى ذكر
الصدور وحيثما ذكر الايمان المحض ذكر القلب وكل موضع يذكر الله فى القران العقل والايمان فانه
نحو ذكرا القلب واذا اراد ذلك وسايرالفضايل والرذايل ذكر الصدور وهذا اذا اعتبر بالاستقرا
الكشف نحو قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقوله فالفها من يقوى القلوب وقوله ازاغ الله قلوبهم
وقوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام وقوله فى

ان م

صدور الناس ولما كان التمحص اخص من الابتلاء كما تقدم خصه بالقلب وهذه الاحوال الثلث
تترتب بعضها على بعض فبا صلاح العمل توصل الى اصلاح ما في الصدور من الشهوة والعجب
وبهما وباصلاح ذلك توصل الى اصلاح ما في القلوب من الاعتبارات التي لا يعتريها شك وريب
وذلك ما يبلغه الجند وبه يستحق اسم الخلافة لله المذكور في قوله ويستخلفكم في الارض قال
والله عليم بذات الصدور اى عالم بجميع ما ينطوى عليه من الضمائر سوا الطيبة والخبيثة وخص الصدور دون
القلب اذ هي اعم قوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية قال السدى هو خاص في
الذين انهزموا الى المدينة وقال عروة قال الربيع وقتادة بل هذا الذنب ولوا المشركين ادبارهم فيكون
عاما ممن بعد ومن لم يبعد وبين ان الشيطان استزلهم بخطية كانت منهم قال الزجاج انما اذكرهم
خطا ما سلف لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل ان يتوبوا وقيل بل كان منهم خطيه صارت مسهلة
لسبيل الشيطان اليهم فان الانسان اذا حصن ثغره بالعمل الصالح والعلم فقد سد طريق
الشيطان على نفسه ومتى اهمل ثغره سهل سبل عدوه اليه وجعل له ثلمة يدخل منها عليه وذلك بان
يفسد ارادته وبين انه تعالى عفا عنهم وقيل ذلك يحمله عن تحميل عقوبتهم وقيل بل بالغفران عنهم
عاجلا واجلا وهو الصحيح لانه جعل علة عفوه الامرين وقال ان الله غفور حليم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا عام وان كان ورد قال السدى عنى به عبد الله بن ابى واصحابه
والضرب في الارض الابعاد في السفر وغزى جمع غاز نحو شهد وقتلى في شاهد وقال واخوانهم
من سلك طريقتهم في الكفر والنفاق والحسرة الغم على ما فات واصلها الاعيا عن ادراك المطلوب
ومنه الحسير البرك اذ لا يعتد الا اعيا وعلى هذا قيل ان ليتا وان لوا عنا ان قيل اذا كان الاخوان
هم المقول لهم فما وجه ان يقال لوكنتم لانه يقال قلت لزيد لو فعلت كذا ولا يقول فعل واسند بعينه
قيل معناه قال بعضهم لبعض لاجل اخوانهم او عنى قالوا لبعض اخوانهم اذا ضربوا في الارض بعضهم في الارض
لو كان الضاربون في الارض عندنا ويقدر الكلام اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا
لو حصلوا عندنا لما حدث ذلك بهم ومن الله تعالى ان ذلك لا يضر لهم الاحسرة في قلوبهم مع العلم بان الله
هو المحيي والمميت وعلى نحو قال ابو ذويب تقولون لي لو كان بالرمل لم يمت ٭ شبيبة والطرا ولكد قتلها
ولو انني استودعته السمس لاربعت ٭ اليه المنايا عينها او رسولها ان قيل لم قال والله بما تعملون
بصير ولو علق ذلك بالسماع لكان اليق لان ما كان منهم قول مسموع لا فعل مرى قيل لما كان قول الكافرين
ذلك قصدا منهم الى عمل الحاد لو لهم حض البصير كقولك لمن يقول شيا وهو يقصد به فعلا حاوله انا ارى
ما تفعله ان قيل اذا للمستقبل وقد جعل ظرفا للقول قالوا ولا يجوز ان يقول حينئذ اذا زرتني فاوجه
ذلك قيل اذا متى لم يقصد به وقت معين كان متضمنا للشرط فيكون الفعل الذي هو نقيض حوابه بمعنى

الاستقبال



الاستقبال وكانه قيل ان ضربتم او كلما ضربتم قالوا واللام لجعل الله لام العاقبة قوله تعالى
ولئن قتلتم في سبيل الله الاية قال همت ومت والضم اقيس والكسر كثير والايمان بضمتا الزاى
هو جار مجرى قسمين شرطيتين اقتضيا الحرض على القتل في سبيل الله وسانه ما اقول ان قتلتم في
سبيل الله او متم فيه حصلت لكم المغفرة والرحمة بسببها انه اوجبهما للثواب ولما عنى بهذا الاية الموت
المطلق والقتل العارض قدم ابيهما عندهم ان لابد منه فكانه قيل ان حصل ما لابد منه بوجه وهو
الموت حتف الانف او ما هو عارض وعندكم انه قد يكون منه خلاص وهو القتل فالحشر لا محالة
حاصل قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال النحويون ما زايدة وعلى هذا عما
قليل ليصبحن نادمين وقوله فبما نقضهم ميثاقهم وافاد التاكيد ووجه تاكيد انه نكرة تدل على
ابهام ما علق به وابهامه لقتضى التعجب فكانه لعظيم من رحمته لنت لهم واللين عبارة عن حسن الخلق
وحسن الكلام بالصفو والزلال حتى قال الشاعر فتى مثل صفو الماء لين باخل استعمل
في ضده الغاظه وغلظ القلب عبارة عن قلة الرحمة وبازائه رقة القلب والانفضاض التفرق
والفض والرفض سقاران الا ان الفض اعتبارا بالكسار بعضهم عن بعض والرفض اعتبارا بترفض بعضهم
بعضا والمشاورة استخراج صاحب الراى عن الغير واستقاقه من شور العسل وشورت الدابة
وشورتها والعزم بتمات الراى على الامر نحو اجماع الراى والتوكل على الله الثقة به والوقوف حيثما
وقف وبين ادنى منزلة له نحو ما قاله الاعرابي اعقلها وتوكل وبين غايته التي هي كحال ابرهيم عليه السلام
بون بعيد وبينه بقوله فبما رحمة من الله لنت لهم على نعمته على النبي ولاصحابه ثانيا كقوله لقد
جاءكم رسول من انفسكم الاية وقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وامر بالعفو عن تقصيرهم
فيما يلزمهم له وان يستغفر لهم من ذلك كقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ثم امر باجرا نفسه
مجرى اهل الراى الذي هو خاص بالانسان ثم قال فاذا عزمت فتوكل على الله اى وان قارن هذه
الحالة ريبة فليكن اعتمادك على الله وتقويتك به كما قال النبي من سنن ان يكون اقوى الناس فليتوكل على
الله واختلف في مشاورة النبي لاصحابه على اى وجه فقال سفيان بن عيينة ليقتدى به غيره وقال
قتادة بطيبا لقلوبهم وحب ان تقدم مقدمة سنن في امر ولا تدخل الاستشارة من استشاد
غيرك فلا قصد يستشير فقال اما ما يستشار فيه فهو الامور الحكمات المتعلقة باجتهاد الفاعل
واما القصد بالاستشارة فثلاث لاستخراج المستشير براى المستشار او ليعلم اذا
استبد بالامر فتفى وقوعه بخلاف المراد وهذا قيل الاستشارة حصن من الندامة وامن من
الملامة وتارة طلبا لهداية المستشار اما الاول سنن له خطا راية ان كان له راى خطا في ذلك
الامر واما ان لا يعتقد هو او غيره ان الاستبداد فضيلة فيستبد برايه فيضار بما يودى اليه

فساد انا لاكراهه ولعظمه فاذا تقرر هذا فاموره ص لا سفك اما ان تكون شيا دنيا
او دنيويا فان كان دينا فمعلوم ان النبي ص غني محتاج الى الاستضاءه برای غيره من الامه لما
امده الله تعالى به من النور الالهي وما كان لتسييرهم في اصول الشريعه لكن ربما كان لتسييرهم
في شئ من فروعها التي هي من مسايل الاجتهاد لنا نحو ما روى ان النبي ص استشار اصحابه في شعاب
برفع للصلاة ومثل ذلك لشرف لهم اولا وبنسبه ان ما سبيله الاجتهاد فجهة الاستعانه
فيه بالاراء الكثيره الصحيحه لسقيح منها الصواب واما ما كان من الامور الدنيويه كالمساحة
والكتابة والحساب فمعلوم انه كان مستغنيا بغيره في كثير منها بل قد صرح في ذلك بقصوره فيما
روى انه عليه السلم لما ورد المدينه ووجد اهلها يابرون نخلهم فقال ما اری ان ذلك ينفع فتركوه
فبدت ذلك في نقص اثمارهم فعاودوه فقال انتم اعلم بامور دنياكم وانا اعلم بامور آخرتكم وعلى هذا
ما كان يعلى بامور الحرب المتعلقه بتهييجها تاره وتسكينها اخرى وبالمن فيها تاره وبالافداء
تاره ولذلك لما هم بمصالحة عيينه بن حصن على ثلث ثمار المدينه قال لبعضهم ابو حي هذا ام برای
راسه قال برای راسه فراجعوه وبينوا له موضع الصواب وترك راسه لرايهم وكذا مراجعته عمر له
بما هم به من كتاب القضيه عام الحديبيه فثبت ان ما سلك بالامور الدنيويه حال الرسول
عليه السلم غير فيه سواء المساوره مستحبه له كما هي مستحبه لغيره **قوله تعالى**
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المومنون
اكثر المفسرين جعلوا نصر الله للعبد في الحقيقه نقويته باعظم السلطانين الذي هو الحجة
القاهرة واعظم التمكينين الذي هو العاقبه المذكوره في قوله والعاقبة للمتقين وفي اشرف
الدارين حيث لا ينفع مال ولا بنون فقالوا معناه ان حصل لكم النصره فلا تعتدوا ما يعرض من
العوارض الدنيويه في بعض الاحوال غلبة وان خذلكم في ذلك فلا تعتدوا ما يحصل لكم من القهر
في الدنيا نصرة فالنصر والخذلان معتبران بالمال ومنهم من اعتبر ذلك في امور الدين فقال
معناه ان نصركم الله في الدنيا بموافقتكم النبي ص فلا غالب لكم وان لم ينصركم فلا ناصر لكم وحمله على
الاول يدخل فيه الثاني فان من نصر في آخرته فهو في الدنيا منصور وان لم يدرك نصرته الا البصيره
دون البصر وحمله على الثاني قد ينسك من نصرة الاخره وقوله وعلى الله فليتوكل المومنون امرهم
عليه كما امر النبي ص في الايه الاولى وان يستجلبوا النصر منه بذلك **قوله تعالى** وما كان
لنبي ان يغل الايه الغلول تناول مال الغير بضرب من الحيلة وكثر استعماله في الخيانه وسبب
نزول ذلك قال ابن عباس هو ان فقد قطيفه حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي ص اخذها
وقال الضحاك هو عتاب لمن استحفظوا النبي يوم احد حيث قال بعضهم ربما تقول النبي ص من

تناول



تناول شيا فهوله فسكتي بلاعنه فعلى هذا يكون هذا القول ساقطا عليه ص وقال بعضهم بل ذلك حث
للنبي على التعفف وان كان معلوما انه لا يغل كقوله لين اشركت ليحبطن عملك ومن قرا يغل فقد
قيل نهي للناس ان ينسبوا ذلك الى النبي ص من قولهم اغللت فلانا كقولهم اكربته وقرئ بفتح الياء
ابن عباس يغل وقال ابي وثقل وكانه حمله على الخبر ولم يرتض قراته وقال الحسن نهي ان يخونوه فان
قيل فلم خصه والخيانه معه ومع غيره مذمومة قيل قد قال بعض الناس ان كصيصه لعظيم له فان
الخيانه وان كانت مستقبحه مع كل احد فهي من رئيس اقبح وقال بعض الناس ان ذلك
في الحقيقه نهي عن الخيانه واسا في كل ما اتى به النبي ص من الاحكام كقوله لا تخونوا الله والرسول
وقال بعض الناس قراته من قرا يغل اولى لان كل ما جاء في الرسول من هذا النحو مستند الى الفاعل دون
المفعول نحو ما كان لنفس ان تموت وقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب وقوله ومن يخلل يعظيم
للغلول وانه لا اله الا هو كالدليل له من جزائه فكان ما قرغله بصحيحه وعلى هذا ما قال ابن النبي صلى الله عليه وسلم
لا اعرفن رجلا ياتي يفرس له حمحمه وعلى هذا ما له ص لا اعرفن رجلا منكم يجي يوم القيامه على رقبته بعير قد غله له رغاء وعلى
هذا ما حكي عن لقمن انه قال لابنه ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
يات بها الله وقد تقدم الكلام في باقي الايه **قوله تعالى** افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من
الله وماواه جهنم وبيس المصير قرئ رضوان وهما مصدران نحو كفران وحسبان وهو غايه الرضا
وبابكر ارجح به ومنه البواء في القصاص اذا كان فيه موجع فبين قال والسخط حصول غضب يقتضي
عقوبه واذا استعمل في الله فمعنى الحابه العقوبه والحيط تقاربه الا انه تعالى اذا كان معه غير
منكر ولا توصف به الله والفرق بين المصير والمرجع ان الرجوع هو انقلاب الشئ الى الحال التي عليها اه
ما هو مقدر بتقديرها والمصير الى حال اخرى فهو اعم من الرجوع والقصد بالايه
سعيد ما بين الفريقين كقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنه **قوله تعالى** هم درجات
عند الله والله بصير بما يعملون قيل هي صفة لمن اتبع رضوانه وبين انه كما ان من باء بسخط من الله ماواه
جهنم فمن اتبع رضوانه هم ذو درجات عند الله اي ثواب كبير والصحيح انه قسيم الناس في الاول فبين
فاز برضوانه وباين باء بسخطه وبين في هذا ان التفاضل كما واقع بين البعض والبعض تفاوت وذلك
ان الناس اذا اعتبروا فمن ملك مقرب كما قال ان هذا الا ملك كريم وبين اخس بهيمة كما قال وجعل
منهم القردة والخنازير وما بينهما بحث لا يمكن احصاءه ولذلك قيل في المثل
الناس اخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بنت الادم ولتفاوت درجاتهم وتقاوت ثوابهم
وعقابهم ما روى ان الجنة درجات والنار دركات وبه بقوله والله بصير بما يعملون انه لا يخفى عليه ما
تجزاه كل واحد فاذن يعف كل موقفه الذي يستحقه **قوله تعالى** لقد من الله على المومنين الاية الذه

استكبارا لنخبة بالفعل اوبا لقول فاما بالفعل فحسن واما بالقول فما لم يكن فيه وعظ فمنزله اللغط
فمستقبح ولذلك قيل المنه تهدم الصنيعه وقوله رسولا من انفسهم وقوله لقد جاءكم رسول من
انفسكم قل عني من اهل بلدتهم ومن العرب وقال بعضهم ليس هذا ببليغ اذ لم يخص اهل بلده به ولا
العرب خاصه بل هو مبعوث الى العالمين فلا وجه في قوله من انفسهم اي من البشر وذاك ان كل ما
اوجد الله في هذا العالم لا تاصد نفعه الا مما بلده ومن الماخوذ منه ملامه ماوذلك حكم مستمر
في كل شي فلما كان كذلك جعل الله تعالى الانبيا المبعوثين الى كافه البشر بشرا مثلهم في الخلقه والصوره
وخصهم بفصل قوه من التميز والمعرفه ياخذون من ملايكه وحيه ويبلونهم ولولا كونهم من جنسهم لما قدروا
على اخذهم منهم ولهذا قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فبين تعالى نعمته عليهم ان رشح لهم من سهل
مناولهم منه وقوله يتلوا عليهم آياته لم يعن بلاوة ايات القران فقط بل عنى ذلك بينهم على ايات الله
في السموات والارض في انفسهم ولهذا حسن عطف قوله ويعلمهم الكتاب عليه وقد يعدم الفصل بين
الكتاب والحكمة ومعنى التركيه **قوله تعالى** اولما اصابتكم مصيبة الاية دخل الف الاستفهام
على واو العطف ليفيد مع الاستفهام تعلق ما بعده بما قبله وكذلك اذا اولت اوكان كما تقول اذا اردت
بنا كلامك على كلام المخاطب كان المسلمون قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين فلما كان
يوم احد وقتل جماعه من المسلمين بغير ولوب قوم فخاطبهم الله بذلك وعنى انكم اذكرتم ان بالكم منهم مظهر
ما نالهم منكم واصرتم تقولون انى يا لنا ذلك فاجابهم الله بان ذلك من عند انفسكم فان الله قد وعدكم ان
ينصركم بشرط ان تصبروا وتتقوا فخالفتم وقد قتل محالفيهم انهم دعوا الى التحصن بالمدينه فابوا
الى الخروج وقيل لاختيارهم الفدا يوم بدر وقيل لمخالفه الرماة والاولى ان يكون عاما في جميعها
وهو اشاره الى ما فصله قبل بقوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر الاية ان قيل ما وجه قوله ان الله
على كل شي قدير عقب هذه الاية قيل به بذلك ان لم يصبكم ما اصابكم لوهن في دينكم او ضعف في
قدره الله فكانه قيل هو من عند انفسكم لا من خلل دخل في امر فان الله على كل شي قدير ومن كان هذه حاله
فهو قادر على دفاعهم **قوله تعالى** وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله الاية دخول الفاء
في قوله فباذن الله لتضمن الذي معنى الشرط كانه قيل ان اصابتكم مصيبه فاصابتها باذن الله وقد
اصابتكم فاذا كان باذن الله فاصل الاذن العلم بالشي من اذنت له اي استمعت اليه فعلمته ثم يقال
في المعارف لمن لا يمنع من فعل شي مع العلم به والقدره عليه على منعه سوا امر به اولم يامر فعل كذا
باذنه فاذا حمل على العلم فنحو قوله وما يسقط من ورقه الا يعلمها واذا حمل على الامر فليس يعني انه امر الكفار
بذلك وانما عنى انه امر الملايكه المذكورين في قوله فالمدبرات امرا ان قيل واذا حمل على الامر فليس معنى العلم
فكيف يصح وقد قال بعده ولنعلم المومنين قيل ليعلم المومنين اي ليحصل ايمان المومنين وقد تقدم حقيقه

ذلك



ذلك منه تعالى ما كان من ذنوبهم فعال ولنعلم الذين نافقوا اي استعملوا النفاق في افعالهم
ولما قيل لهم اما ان حاربوا او حضروا مكثرين للسواد وادفعن عن الحوزه قالوا لو نعلم قتالا
وقول السدي ادفعوا بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا وقول غيره رابطوا بالعتام على الخيل ان لم
تقاتلوا وقول غيرهما احضروا موضع الحرب ليست باقوال مخالفه في المعنى كما قدره بعض النقله
والا ذلك اختلاف عبارات وتعيين امثله لمقصد واحد وحمل بعض الصوفيه ذلك على الجهاد
فيقول معناه اما ان يبلغوا منازل الصديقين في مجاهدة واماته الشهوات اوادفعها عن
ارتكاب المحارم وردوها عن احتقاب المآثم ان لم يقدروا على الاول ثم عيرهم بقولهم لو نعلم قتالا
لاتبعناكم اي لو صادفنا من انفسنا منكرا لارتسمنا مارسختم بنفسها انه خفي عليهم عيوب انفسهم
وقوله هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان تنبيه على نفاقهم وذاك ان المنافق كانه بين الكافر
والمومن فانه من حيث ما يظهر الشهادتين ويلتزم ظواهر الشريعه بالقول وظواهر الاعمال محكوم له
بالايمان ومن حيث تحرى في اعتقاده تحري الكفار كان فوق من اجوال المنافقين بفاوت بين تعالى هذا
القول المهم في هذا القول بالكفار اسنده منهم بالمسلمين واقرب قيل هو من القرب وقيل من القرب في
المآثم بين تعالى علته وهي من الكفر فعال يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم انبه بنفسها ان الاعتداد في الايمان
المستحوذ به الثواب بالنيات والضمائر لا بالاقوال المجرده عن الاعتقاد ولهذا شهد للمنافقين في
قولهم نشهد انك لرسول الله بالكذب فعال والله يشهد انهم لكاذبون وحكم لمن يلفظ بالكفر من غير
مطابقه الاعتقاد له بالايمان وعال الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم حذرهم عن اعتقاد غير
الحق بقوله والله اعلم بما يكتمون كقوله والله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقوله تعالى يعلم السر واخفى وقوله
ويعلم خائنه الاعين وما تخفي الصدور وهذه الاية كالشرح لما اجمله في الاولى حيث قال قل فلم تقتلون انبيا الله من
قبل **قوله تعالى** الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا الاية هذه
الاية من تمام صفه المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه قالوا ان قتلى احد لو اطاعونا في الخروج عن
المدينه ولزموا بيوتهم ما قتلوا واعراب الذين اما نصب على البدل من الذين نافقوا او رفع على خبر الابتدا
المضمر وبدل من الضمير في يكتمون ان قيل لم اخر ذكر القعود عن القول مع كونه متقدما في المعنى قيل
ان قوله وقعدوا في تقدير الحال اي قالوا هم قاعدون كقولك خرج زيد وقد ركب ويكون دلالته قبل
الخروج وقد اكذبهم الله في ذلك بقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت وكانه قال ان القتل ضرب من الموت
فان كان لكم سبيل الى دفعه عن انفسكم بفعل اختياري فادفعوا عنها الموت واذ لم يمكنكم ذلك
دل انكم مبطلون في دعواكم **قوله تعالى** ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اموتا بل احيا عند
ربهم الاية روى عن ابن عباس والحسن ان النبي صلعم قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في

اجواف طيور خضر ترد انهار الجنه وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقه فى ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء فى الجنه نرزق كيلا يتكلوا عن
الجهاد فقال تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل هذه الايه فدل ذلك ان الارواح احياء ثابت وتعاقب
قبل ان تعاد الى الاجسام يوم القيمه وعلى هذا قال فى صفه آل فرعون النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ودل عطف قوله ويوم تقوم الساعه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ان عرضهم على
النار قبل يوم القيمه وروى ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بكره وعشيه فقال هذا مقعدك
حتى يبعث اليه وهذا قول السلف واصحاب الحقائق الذين عرفوا حقيقه الروح المعينه هنا وكونه
جوهرا له بذاته قوام واما متاخروا المعتزله الذين لم يجاوزوا منزل الحس والوهم ولم يروا الروح الا
ريحا او عرضا فبعضهم قال يعنى احياء يوم القيمه ووصفهم بذلك فى الحال لقرب العهد عند الله كقوله
اى آمر الله ومعنى عند الله اى فى علم الله وقال بعضهم قال احياء بالذكر وبعضهم قال احياء
بالايمان وارادة هذه المعانى بالايه غير ممتنعه فان المؤمنين احياء بكل ذلك كما قالوا ولكنهم مع ذلك
احياء بالارواح على ما ورد به الخبر وزعمهم ان ما ورد من الاجبار فى ارواح الشهداء ليس بصحيح فان
العقل لا ينفى ذلك لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وبقوله ان فى ذلك لايات لاولى الالباب
فليس كما ظنوا ومن زعم ان القول بحياه الارواح يؤدى الى القول بالرجعة فوهم فاسد ولئن كان ذلك
يؤدى الى ما قالوه فاحياء الله مرة وصفهم بقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم الايه واحياء عيسى
الاموات اكثر تاديه اليه واما على طريقه المتصوفه المذكور فى قوله قالوا فى سبيل الله او ادفعوا
فانهم قالوا لما كان الانسان مركبا من بدن وروح والعقل يابى للروح والهوى يابى للبدن وبين
احدهما تقويه الاخر نبه تعالى ان جاهد نفسه وقتل هواه فى سبيل الله فلا تحسبنه ميتا وعلى
هذا قيل قتل النفس فى الدنا حيوه الاخره ان قتل لم وصفهم بالفرح وقد قال تعالى ان الله لا يحب
الفرحين قيل الفرح كاوز الحد فى السرور بالملاذ ولما كانت الملاذ الدنيويه عين منافسها فنهاهم الفرح
بها ولما كانت الملاذ الاخرويه منافسا فيها كما قال وفى ذلك فليتنافس المتنافسون اباح لهم الفرح
حتى قال فبذلك فليفرحوا واما استبشارهم بالذين لم يلحقوا بهم فنسبه انهم يعرفون نعمه الله بالموت
والقتل فى سبيله ويسرون اذا اخبروا بقتل او موت اخوانهم بخلاف ابنا الدنا وقوله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون مقتضى لذكر كل شى يكدر الحيوه فان ما يعرض فى الدنا اما خوف لوقوع محذور او حزن لفوت
محبوب والضمير فى عليهم يجوز ان يكون ضميرا للذين لم يلحقوا بهم وان يكون للمستبشرين وان يكون لهما ان قيل

لم رفع احياء ونصب فرحين قيل لان فرحين حال للذين قتلوا فالنصب به اولى واحياء استئناف
ولو نصب لكان معناه بل احسبهم احياء ولم يسد ذلك وانما ارادت الحكم بكونهم احياء
**قوله تعالى** يستبشرون بنعمه من الله وفضل الايه ان قيل ما الفرق بين النعمه والفضل
هنا قيل الاشاره بهما الى المذكورين فى قوله للذين احسنوا الحسنى وزياده فالنعمه هى
الحسنى والزياده ان قيل لم ذكرهما قيل السكوت فى مثله على وجهين احدهما ليدل على بعض غير معين
والثانى قصدا الى ابهام المراد تعظيما لامره وتنبيها انه يصعب ادراك شرحه وكان الكثير
فى هذا اشارة الى نحو ما قال فيهما لا عين رات ولا اذن سمعت ان قيل ما حقيقة لا تضيع
اجر المؤمنين قيل لما كان من الاعمال التى صورتها صورة العبادات التى يستحق لها الثواب
ما هو فى الحقيقه غير عباده تستحق لها الاجر وانما قصد بقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا ان ههنا ان عمل المؤمنين لا يجرى مجرى اعمال هولا ان قيل ما الفرق بين الافضال والاحسان
قيل كلاهما اسم الزياده على فعل العداله ومجاوزه ما يجب الى ما يستحب لكن الاحسان يقال باعتبار جمال
الفعل فى نفسه وتحرى تحسينه والافضال يقال باعتبار فعل يفعل او فاعل فيقال للزائد على الاجزا
فاضل فالاستجابه لله والرسول ان جمع بينهما فى الاخبار فالواجب بالقصد الاول استجابه الله لكن
لما لم يتم استجابته الا باستجابه رسوله صار ذلك واجبا لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب
والاستجابات محلفان فان استجابه الله توحيده وعبادته واستجابه رسوله بتلقى الرساله عنه
وقبول النصح منه **قوله تعالى** الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآيه قيل سبب نزول
ذلك ان ابا سفين واصحابه بعدوا الى نعيم بن مسعود ورضخوا له شيا وقالوا اذا مررت بمحمد
واصحابه فقل انا قد اجمعنا على قصدهم بخيل لا قبل لهم بها فلما اتاهم وقال لهم ذلك قالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل ان قيل لم قال لهم الناس وانما قال ذلك رجل واحد قيل لما كان القايل لنعيم ابا سفين واصحابه
المعبر عنهم بقوله ان الناس قد جمعوا لكم سمى المبلغ عنهم بذلك الناس تنبيها ان المخوفين فى الحقيقه
هم المخوف منهم والايه وان نزلت فى صنم فالمعنى لهم ومن جرى مجراهم وبه تمسكى من جوز ابهم وتعليقهم على نهايه
ما تطلب من ايمان العبد وتوكله لما اظهروا قولا وفعلا وبين انهم عادوا نعمه وفضل فى دينهم واخرهم فى
ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الا انهم لا تعرض لهم فى الدنا ما يحزن ويخوف من سوء لكن لا تؤثر فيهم والمقصود
بهذه النعمه والفضل اعظم مما قال بعض المفسرين من ان المسلمين لما حضروا بدرا الصغرى ولم يحضروا
للموعد حاذوا لها سوقا فاشتروا ما ربحوا فيه وكان ذلك هو الفضل والنعمه فان ابتاح الجهاد الذى سببه
دون من ان يكون مقتصرا عليها فى مقابله المتوكلين على الله الراضين عن الله تعالى المرضى عنهم وقوله
رضوان الله يجوز ان يكون مصدرا حذف بقدر الكلام ان يكون على معنى ان رضى الله عنهم وان يكون على ان رضوا عن الله

بان من رضي عن الله فقد رضي الله عنه ولهذا قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وذكر تعالى
في الايات الثلث فرق بعضهم اخص من بعض وذكر ان المؤمنين المستجيبين لله عام والذين
احسنوا واتقوا اجعل تعالى للمستجيب لله اجرا غير معين وللمحسن المتقي في ذلك اجرا عظيما وهذا
مما تقدم في قوله ونعم اجر العاملين والله يحب المحسنين **قوله تعالى** انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه الاية ان قيل الى ماذا اشار بقوله ذلكم قيل فيه اقوال الاول انه اشارة الى قول
الناس وجمعوا لكم فاخشوهم فسماه شيطانا لمشابهته في فعله والثاني انه اشارة الى الشيطان المتعارف
من الناس اي الشيطان الذي عرفتموه هو الذي يخوف والثالث اشارة الى ما دل عليه قوله ولا يحزنوا
ولا تحزنوا الى ذلك العارض الذي هو الوهن والحزن شيطان كقول الشاعر ما ليلة الفقير الا شيطان
واما اولياءه فقد قال ابن عباس معناه يخوفكم اولياءه فعلى هذا حذف المفعول الاول كقوله لينذر
باسا شديدا وقولهم فلان يعطي الدراهم فالاولياء على هذا هم المخوف لهم وقيل اولياءه هم المخوفون
وذكر ان الناس ضربان ضرب لا سبيل للشيطان عليه وهم المعنيون بقوله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وضرب يحالفهم وهم الذين قال فيهم اولياهم الطاغوت وقد صرح تعالى
بذلك في قوله واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الى قوله انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون وحقيقه خوف الله امتثال امره وعلى هذا قال انما يخشى الله من
عباده العلماء ثم قال ان كنتم مؤمنين يشعر ان من شرط الايمان المحقق ان ليس للشيطان سلطان
على الذين امنوا ومن علم ذلك علم اوامر الله فابتعدها وترك ما ايامر به الشيطان **قوله تعالى**
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية كما نهى تعالى عن الخوف مما سوغ من خوف الشيطان
نهى عن الحزن على ما تفوته منهم ووصف الكفار بالمسارعة في الكفر كما وصف المؤمنين بالمسارعة
في الايمان فقال يسارعون في الخيرات وحقيقه المسارعة في ذلك ان يرقى الانسان
فما تحراه منزلة فمنزله خيرا كان او شرا فيتعوده فيستولي به على المنزلة الدانية لان الشيء
حاصل بعضه عن بعض وحامل بعضه بعضا وكذا الخير وعلى هذا قال امير المؤمنين يبدو نكتة في القلب كلما ازداد الايمان ازداد البياض فاذا استكمل الايمان ابيض القلب كله وان
النفاق يبدو بكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب
كله وسنن ان لا يعود الى الله من مسارعتهم في الكفر مضرة كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ان قيل كيف جعل العلة في قوله لا يحزنك انهم لن يضروا الله شيئا ولم يكن المسلمون يحزنون لاجل ان
خطر لهم ان هؤلاء يضرون الله انما كان حزنهم ان يضروهم قيل معنى ذلك لن يضروا اولياءه
الا ترى انه ص قال ان الله تعالى يقول من آذى لي وليا فقد اذاني وعلى التنبيه على هذا المعنى قال

ان

ان الذين يؤذون الله ورسوله وقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وقوله يريد الله ان
لا يجعل لهم حظا في الاخرة يريد احباط اعمالهم بما استحقوه من الذنوب وقيل يريد الحكم بحرمان
ثوابهم وان لا يجعل لهم ما استحقه المطيعون والفرق بين السرعة والعجلة اذا اعتبرتا بالنفس الفعل
هو ان السرعة ان لا يترك الامر يفوته خير وقته والعجلة فيه ان تقدمه على وقته واذا اعتبرتا
بقوى النفس فالعجلة ما تفعل على مقتضى الشهوة والسرعة يقال فيها وفيما تفعل على مقتضى الراي
والفكر ولذلك ذم العجلة على الاطلاق وقد حمد السرعة في مواضع **قوله تعالى** ان الذين
اشتروا الكفر الاية قد تقدم حقيقه الشرى والبيع اذا استعملا في الكفر والايمان وقال
كثير من المفسرين هذه الاية في معنى الاولى وقد اعيدت تاكيدا والصحيح ان الاول ذم للذين تحروا
الكفر وتمادوا فيه مستمرين عليه وهذا ذم لمن حصل الايمان فافرح عنه واستبدل به كفرا وهم الذين
وصفهم بالارتداد على اعقابهم وذم لمن مكن من الايمان فرغب عنه وآثر الكفر عليه فصار
كالبائع ايمانه بكفره وقوله شيئا في موضع المصدر وتقدير بيئ فحرف الجار ونصبه وجعل لمن
بدل الكفر بالايمان عذابا اليما وهو الذي مما جعله للفرقة الاولى حيث وصفه بالعظم اذ قد
يقال للعظيم اعتبارا بغيره مما هو من جنسه وقد لا يكون شديد الالم والم يقال لما ناهي في الالم
اذ هو بناء المبالغة ويقال هو اليم سواء اعتبر بغيره اولم يعتبر **قوله تعالى** ولا تحسبن
الذين كفروا الاية الاملاء اطالة المدة ومنه ابجرني مليا وتمليت حبيبا واملا الكتاب على
احد القولين والملوان واذا قرئ ما ليا فسهل واذا قرئ بالتاء فصعب فالذين كفروا هو المفعول
الاول ولا يصح ان يجعل انما نملي لهم المفعول الثاني لان هذه الافعال تدخل على مبتدا وخبر وجب ان
يكون المفعول الثاني هو الاول في المعنى وانما نملي لهم ليس في المعنى الذين كفروا ولا يصح ان يجعل بدلا كما
جعل في قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وفي قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
فانه حينئذ يلزم ان ينصب خير حتى يصير المفعول الثاني فحسن ان يكون باليا اجود وقد احلف في تاويل
الاية من حيث ان ظاهرها يقتضي ان الله تعالى يريد املاءهم ان كفروا والله تعالى
منزه عن هذا القصد مع كون هذه الاية منافية لمقتضى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
من قال الا له على العدم والتاخير وتقديرها لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما
بل املاؤنا خير لهم ويكون مفعول لا تحسبن هو انما نملي لهم ليزدادوا اثما وعلق ان وجعل انما نملي
لهم خير كالعلة لما خير هم بنيها ان ذلك او لانهم ليصير معونة لاكتسابهم الخير لانفسهم وهذا
فاسد لان انما يصح ان يعلق حيث ما دخل لام الابتداء في خبره ومنهم من قال الكلام على التاخير والمقدم
هو انما وجعل اللام لام العاقبة وتحقيق لام العاقبة هو ان اللام تاتي تحكي تبيينا لقصد الفاعل بفعله

ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وتارة تبينا لما ادى اليه الفعل لا لقصد الفاعل
نحو ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ان قيل لم قال ههنا عذاب مهين قيل لما ذكر ههنا اعمالا
الانسان نحو لاعراض الدنيوية وذلك قد يكون في الدنيا هوانا وعذابا لصاحبه وهو لفقدان
بصيرته يقدر ان الهوان في فقدانه فلا يفرج عنه ذكر الهوان الذي هو ناجم الالفاظ الدالة من
العظم والاليم والمهين ليعم الدارين وعلى هذا قال انما يريد الله ان يعذبهم في الحيوة الدنيا
**قوله تعالى** ما كان الله ليذر المومنين الاية الخبيث مستعار للعمل البين والطيب للعمل
الصالح تشبيها للذكر المسموع بالشئ المشموم وعلى هذا قال الشاعر نحثت عن اخبار وكانما
بنشت صداه بعد ثالثة الدفن وقال اخر ثنا مثل ريح الحوب وعلى هذا حمل
الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين اى الاعمال في الخبث والطيب جارية مجرى فاعليها
وقيل المومن طيب من عمله والكافر خبث والاجتباء كالاصطفاء واصله الجمع فكان من اجتباه الله
ضمه الى نفسه حتى يكون له باجمعه بخلاف من قال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
والى ذلك الاشارة بقوله واصطنعتك لنفسي وتحقيق الميز من الله لا على سبيل التعرف كل لجعل
الخبث خبثا والطيب طيبا وذلك حقيقة التكليف وقد كرر الله تعالى هذا المعنى مع كل فصل
فقال وليعلم وليبتلي وليمحص وليميز وقال من بعد لبتلون في اموالكم كل ذلك بنبيها على ان التكليف
في الحقيقة هذه الاشياء واما الغيب فكل ما لا يدركه الحواس وبداية العقول وهذا على القول
الجمل بلية اضرب ضرب استبد تعالى به ولم يطلع عليه احدا لا الملائكة المقربين ولا من دونهم
لاستغنائهم عنه وضرب قد يطلع عليه اصفياء عباده وهو ضعفاء العلوم وذلك بحسب ما عرف
من حاجتهم اليه ومصلحتهم فيه واياه عنى بقوله سا صرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير
الحق وبين في الاية ان اطلاع العامة على غيبه واقتضته مناف للحكمة وذلك ان جماعة من الكفار
سالوا النبي ص وقالوا لاهل يثرب ممن نتبع قال فاعلموا بالله ورسله بنبيها على التوكل على الله و
الظن بنبيه والتحقق انه يفعل بعباده ما هو اصلح لهم وان بالايمان والتقوى يسعى الاجر العظيم
**قوله تعالى** ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله الاية قرى بالياء على تقدير لا يحسبن
الباخلون البخل هو خيرا لهم فحذف البخل الذي هو المفعول الاول للدلالة يبخلون عليه كقولك من
كذب كان شرا له واذا قرى بالتاء فقدر لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم فحذف المضاف
لظهور المعنى وبين بالاية انهم جعلوا اعمارهم واموالهم مصروفة الى ما اورثهم اثما او عقوبة يوم
القيمة وتطويقهم ما بخلوا به على طريق التشبيه والتقريب نحو ما ذكرنا في السيما تاتي كنز احدهم يوم
القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيطوق في حلقه فيقول انا الركوة التي منعتني وعلى هذا قوله تعالى

والذين



والذين يكنزون الذهب والفضة الى قوله فتكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم وبنبه بقوله
ولله ميراث السموات والارض على اسقال ما غاير بهم اليه كما قال ولقد جيئتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة وبنبه ان ما خولهم لو انفقوا على ما يجب وكما يجب لاستحقوا ثوابا فلما لم
يفعلوا ذلك اسقل عنهم وصار عقوبة لهم وكانه الى مقتضى معناه اشار مراوصى فقال اكتبوا هذا
ما خلف فلان ليسوه وبنوه اسقل عنه نفعه وحق عليه وزره وبين انه عالم بخلهم وما يوول
اليه حالهم وما يجيرهم به **قوله تعالى** لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية
لما انزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال قوم من اليهود تهكما على النبي ص ان الله فقير
ونحن اغنياء تستقرض منا فانزل الله تعالى ذلك ولم يعيرهم الهم اعتقدوا فقر الله وانما غيظهم
تجاهلهم ونكدهم وصرفهم الكلام الى غير الوجه المقصود به وعلى هذا قوله وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم وبنبه بقوله وقتلهم الانبياء الهم اركبوا من المعاصي ما هو مثل هذا
القول او اكثر منه ولم يقل لغير حق ان في قتل بعض الانبياء حقا ولكن جعل ذلك حالهم على العموم
اى هو في كل حال على غير حق وكيف ذلك قتل هو على الحقيقة وقتل هو على طريق المثل عبارة عن حفظه
وانه لا ينسى واعلم ان الكتابة جعلها الله لنا عونا لحفظنا وذاك ان اللفظ لا يفهم الا
القريب دون البعيد والا الشئ بعد الشئ ويسرع اليه مع ذلك الاضمحلال فربما لا يعيه
السمع واذا وعاه فربما لم يتصوره واذا تصور فربما اخل به الحفظ فاعانه الله بالكتابة لكون
تكلمه لقوة النطق وداعيه لما نصب من الفهم ومدركه جملة في حالة واحدة فعلم من ذلك ان
الكتابة وان كانت شريفة فانما احتجنا اليها للقصاء وبكيل افهامنا فمن جعل الكتابة على الحقيقة
قال كتب الملاء الاعلى اعمالنا لا لحاجتهم بقصهم وضعف فهمهم وخوف نسيانهم ولكن لحرمان
نفيضة البشر وليتذكروا به ما لعله نسي وليرى صورة اعماله المفرقة دفعة ومن حمله على التشبيه
فانه ذكر ان نقص القرحة والسهو والنسيان الموجودة فينا في الدنيا معدومة عنا في الاخرة
فلا حاجة بنا الى الكتابة وجسد قال وعلى ذلك وصف الكتابة بالنطق في قوله هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق وقوله وكتبنا له في الالواح من كل شئ وعلى هذا سمي الوحي كتابا فقال وهذا كتاب انزلناه
ومعلوم ان المنزل لم يكن وقت الانزال مكتوبا قال وعلى هذا معنى قوله تعالى كراما كاتبين يرى حافظين
وقال بايدي سفرة قال وعلى هذا قول الشاعر صحائف غدر للعتاب طويتها
ستنشر يوما والعتاب يطول وهذا القول وان كان له مساغ في محاورات اللغة فاهل الاثر
على الوجه الاول والله اعلم بحقائق احوال القيمة ومعنى نقول ذوقوا اي نذوقهم ذلك ونوجب لهم
**قوله تعالى** ذلك بما قدمت ايديكم الاية اى بكسب ما قدموا واضافته عليه جريا لما اوكبوه ان قيل

لبعض اليد وقد ذكره عنهم افعال بغيرها من الجوارح قيل لما كان اليد هو الاله الصانعه
تختصه بالانسان فانه لما كفى كل واحد من الحيوانات مما احتاج اليه من الاسلحة والملابس
وسخره لاستعماله في الدفع عن نفسه وخلق الانسان عاريا من كل ذلك جعل له الروية
واليد الصانعه ليعلم بروبته وليعمل بيده فوق ما اعطى الحيوانات فلما كان لليد هذه
الخصوصيه صارت تختص باضافه عمل الجملة اليها ان قيل لم خص لفظ ظلام الذي هو للكثير
في نفي الظلم في هذا المكان ولم يقل على ما قال في قوله لا يظلم مثقال ذرة الذي هو
بمعنى نفي الظلم قليله وكثيره قيل انما خص ذلك لانه لما كان في الدنيا قد يظلم من يعذب غيره
عذابا شديدا انه ظلام قبل ان يخص عن حال جريمة بين تعالى ذنبهم وانه اذا عاقبهم عقوبه
شديدة فليس بظلام لهم وان كان قد يظلم في الدنيا من يفعل ذلك انه ظلام تعالى الله عن الظلم
**قوله تعالى** الذين قالوا ان الله عهد الينا الاية القربان اصله مصدر كالشكران
والكفران وفي العارف اسم لما تتقرب به الى الله تعالى وكثر استعماله في النسيكة والعهد
كالعقد ولما تعورف في الوصية والامر كثر استعماله مع الى فقيل عهد اليه ولما ادعى اليهود
على ما اوقع شبهة للجهلة وكان حلها تصعب عليهم على التحقيق وكما كان اليهود مع ذلك
تستحيون فيه سلم دعواهم كتسليم جدل وناقضهم فيها وكانه قيل هب الامر كما قلتم اليس من الحق
ان لا تقتلوا من الانبياء من جاءكم بالبينات وبالذي قلتم واذ قتلتموهم ولم تقتلوا قولهم دل ذلك
انكم كاذبون في دعواكم انه عهد الينا بذلك فهذا معنى قوله فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين هذا
اوضح دلاله واقولها ماخذا واحراها لهم **قوله تعالى** فان كذبوك فقد كذب الاية
ان قيل لم قال الزبر والكتاب والزبور هو الكتاب لقول الشاعر لخط زبور في عسيب يمان
قيل قد قال بعضهم الزبور هو الكتاب المقصور على الحكمة العقليه دون الاحكام الشرعيه
والكتاب في تعارف القرآن ما تضمن الاحكام ولهذا جاء في عامة القرآن كتاب وحكمه ففصل
بينهما لهذا واستعمل الكتابة في معنى الاحكام فعلى هذا استعاره من زبرت الشيء اذا حسنته
وقيل الزبور اسم لما اجمل ولم يفصل والكتاب يقال لما قد فصل قيل واستعاره من الزبرة اي
القطعة من الحديد التي تركت بحالها وعلى هذا قال الشاعر وما السيف الا زبرة لو تركتها
على الحالة الاولى لما كان يقطع وقيل الزبور ههنا اسم للمزاجر من قولهم زبرته اي زجرته
قال وتبين انه تعالى اتاهم بالايات الدالة على الوحدانيه والنبوة وبالمزاجر المعينه بقوله
اخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يضرعون وهذا تسليه للنبي ص وعتاب له فقد روي انه قال
ما لقي احد في الله ما لقيت فبين ان حال الانبياء قبله كحاله وحال قومهم كحال قومه وليس

الشرط



الشرط في نحو هذا الموضع للشك كما تصور بعض المفسرين فاضطرب في جوابه وانما ذلك
للتحقيق ومورده كما سبق شرطي موجب للحكم وسببه ان كذبوك فقد كذبوا من صدقك وقد
صدقك الرسل قبلك فاذا كذبوك فقد كذبوا رسلا من قبلك **قوله تعالى** كل نفس ذائقة
الموت الاية ادراك الامنية والمفازة في قوله فلا تحسبنهم بمفازة مصدر ويقال للمهلكة
مفازة تفاؤلا لمن يخلص الفهم لما رأوها تارة سببا للفوز وتارة سببا للهلاك سموها بالاسم
وذلك بشرطين مختلفين وكذا قولهم هلك وفاز اذا مات كانه رئي الموت في بعض الناس هلاكا
له وفي بعضهم فوزا له اما لكونه مستلغا بذلك الى فوز الاخرة ونعيم الابد واما لخلاصهم من شده
يرى الموت في جنبها فوزا وذكرا المنيه اراها والامنيه من اصل واحد نحو هدر ان الشطرين
وخصص الذوق ههنا من حيث انه ذكر الباطن بالمال وهو قوله ولا يحسن الذين يبخلون بما اتاهم
الله الاية وعظم البخل بالمال لكون حشيه من فقد ان الطعام الذي به قوام الابدان ولهذا ذكر
الاكل في عامة المواضع التي ذكر فيها احجان المال نحو لا تاكلوا اموالهم وقوله ان الذين ياكلون اموال
اليتامى فمن ذا الذوق ان الذي يخالفونه طعام لابد منه والغرور مصدر او جمع غار كرقود وقعود
في جمع راقد وقاعد والمتاع الممتع فنبه ان السكون الى الدنيا والمتع بها غرور وان الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت واقتصر على ذا دليل على ذا **قوله تعالى** لتبلون في اموالكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الاية قيل سبب نزولها ان كعب بن الاشرف كان
يهجو النبي ص ويحرض المشركين عليه حتى قتله محمد بن مسلمة وقيل بل هو ان سمع ابو بكر هودا بالقول
ترك آله محمد فقيرا حتى يستقرض منا فلطمه ابو بكر وجملة الامر ان جمع ما يتسلى به الانسان ويعبد
به بليته اشياء اما متعلق بالمال واما بالنفس واما بمجاهد العدو واعظم المجاهدة الصبر على الاذى
المسموع من الاعداء اذ هو سبب المشهود ولهذا قال الشاعر وان الحرب اولها كلام فنبه تعالى انكم
ان صبرتم واتقيتم في هذه الامور التي تبلون بها فان ذلك من عزم الامور ان قيل ما معنى من عزم الامور
وما الامور التي جعل تعالى هذه الاشياء من عزمها قيل العزم ثبات الشيء على الشيء وامضاؤه والجزم
قاربه الا ان العزم بالامضاء اشبه اذ هو من العزم اي القطع والجزم بجمع الراي اشبه اذ هو من
جزمت الحطب والقصب اي جمعت ولذلك احزم لو اعزم واما الامور التي عناها فنحو الصبر والتقوى
الذي جعل للصابرين والصالحين والمتقين وما اشبه ذلك ويجوز ان يكون الامور اشارة الى ما تقدم
وبنبه ان بالصبر والتقوى سوصل اليه **قوله تعالى** واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
الاية البند طرح الشيء لقلة الاعتداد به وقولهم جعلت كذا خلف ظهري اي اهملته وقيل بقدر الاية
على ما يقرب من فهم العامة واذ بند اهل الكتاب وراظهورهم ما اخذ الله عليهم من الميثاق من تبيين ما

نبوه من الكا[illegible] للناس واشتروا به ثمنا قليلا وقد تقدم الكلام في اخذ الميثاق عليهم وكيفية
ذلك وفي معنى ثمن القليل **قوله تعالى** ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الآية المفازة
من العذاب هي النجاة في قول الشاعر بحل بمنجاة من اللوم بيتها والكلام في تكرير لا تحسبن ودخول
الفاء في الخبر منه صعب وقد قال الزجاج لا تحسبن مكرر لطول القصة قال والعرب تعيد
اذا طالت القصة جئت وما اشبهها اعلما ان الذي جرى متصل بالاول تقول لا تظنن زيدا
انطلق جاءك وكلمك بكذا فلا تظننه صادقا وقيل الفاء زايدة والوجه في ذلك عندي ان قوله لا
تحسبن على الخبر وتقدير الكلام فيه وذلك اشارة الى يوم القيمة بعد ان يدخل الكفار النار
ويقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون والمعنى والله انك لا تحسبهم حسبن انهم بمفازة من العذاب
اي لهم سبيل الى الخلاص فلا تحسبنهم الآن وهذا نهي والاول خبر وحذف مفعول احسن الفاعلين
واذا قرئ يا ايها فالكاف ويكون بتقدير لا تحسبن انفسهم كذلك والآية قيل نزلت في قوم دخلوا
على النبي ص فما فقوه فلما خرجوا اثنى عليهم بعض الناس ففرحوا بذلك وقيل نزلت في الذين كتموا امر النبي ص
وادعوا علما وعبادة اثنى عليهم بها قومهم وقيل نزلت في المنافقين المتخلفين عن الجهاد المدعين دعاوى
يحبون ان يحمدوا عليها وكيف ما كان فالآية عامة في النهي عن الرياء والتشبع والذم لمن فعل خيرا
ففرح به والحاق الوعيد لمن احب ان يحمد بما لم يفعل وقد روي ان ابليس قال اذا ظفرت من ابن ادم
بثلث لم اطالبه بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي بذحه بما لم يفعله ان قيل فكيف
قال عليه السلام من سر بحسنته وساءته سيئته فهو مؤمن قيل السرور بذلك محمود والفرح به
مذموم وقد يعدم الفرق بينهما وبين قوله ولهم عذاب اليم مع انهم لا يحبون فانهم يعذبون عذابا اليما
**قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير اتبع ذلك بهم فيما قالوا ان الله
فقير وبتكسبهم فيما فعلوه وما وعدهم به من العذاب بما ابان عن قدرته عز وجل وسعة ملكه وان لا
سبيل لهم الى النجاة والى الخروج عن ملكه وسلطانه وهذا هو المعنى الذي تحراه النابغة بقوله
فانك كالليل الذي هو مدرك وان خلت ان المنتأى عنك واسع
واضافة الفعل اليه هو جد الليل والنهار **قوله تعالى** ان في خلق السموات والارض الآية
نبه تعالى ان التفكر في ذلك يدل على وحدانية الله تعالى وان جميع هذه الاشياء لا تنفك عن
ثلثة اضرب اما وجود العين قائم الجوهر قابل للاستقال وتبدل الاماكنة باجزائه كالسماء والنجوم
واما قابل للاستحالة والتغير بجملته واجزائه وذلك كالارض وما عليها واما ان يكون مما لا بقاء له
محال بل يعدم ويقابله نظيره كالليل والنهار وقد ذكر تلثها وبنه على حدوثها لان المستقل لا
ثبات له والمستحيل لا بقاء له وما كان هذا حاله يغير منفك من دلالة الحدث وما لم يخل من محدث

فسخر



فمسخر له ومحال ان يكون المسخر للحدث ازليا واجب الوجود فاذا لا بد له من محدث وهو
واجب الوجود وذلك هو الباري تعالى ومن آياته خلق السموات والارض الآية وقوله لآيات
لاولي الالباب ان لم يكن ذا لب قل عناوه في التفكر فيها واللب هو اسم للعقل الذي قد ازيل
عنه الدرن وذاك ان العقل وان كان اشرف مدرك من الانسان فهو في الاصل كذلك حديد لم يطبع
ولم يصقل واذا صقد بالعلم وتعهد بالحكمة صار كسيف طبع فازيل خبثه وشحذ حده وكل موضع ذكر الله
تعالى فيه اجل مدرك لا يمكن ادراكه الا باجل مدرك مال بعض الصوفية هذه المنزلة وان حصلها اولوا
الالباب فمنزلة الانبياء والاولياء اشرف منها لانهم ينظرون من خالق السموات والارض اليها ولهذا قال
لنبيه ص الم تر الى ربك كيف مد الظل وهذا الذي قاله صحيح فان الانسان يمكنه ان يعرف حكمة الصانع
اولا بتدبر مصنوعه ومتى عرف حكمة الصانع حينئذ عرف مصنوعاته به فيضر ما كان دالا ممدلولا
وما كان مدلولا دالا وبهذا النظر قال من سئل بم عرفت الله فقال بما عرف كل ما سواه **قوله تعالى**
الذين يذكرون الله الآية الذكر ذكر بالسان وذكر بالقلب وذكر القلب ذكران ذكر عن نسيان وهو
اعادة ما احفظ وذلك هو المذكور في الحسنة وذكر هو ادامة مراعاة ما ثبت في الحفظ وقوله وعلى جنوبهم
عبارة عن حال الاضطجاع وعلى ذلك قوله واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فمن عمل
الآية على الصلوة وقال معناه لا يخلون بها في شيء من احوالهم قائمين اذا قدروا وقاعدين اذا عجزوا وعلى
جنوبهم اذا مرضوا وقد روي في ذلك ان النبي ص قال لسهل بن حنيف صل قائما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب ثم تلا الآية ومنهم من جعله اعم من ذلك وقال لا تخلون من
ذكر الله في جميع احوالهم كقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومنهم من جعله اعم من ذلك
ايضا وقال معناه لا تحزون بجميع افعالهم الا وجهه وبيان ذلك ان مباحات اوليا الله كلها قربات
يستحق بها الثواب وذاك انهم لا يأكلون ولا ينامون الا وقت الضرورة ومقدار ما يستعينون
به على العبادة وما لا تتم عبادتهم الا به وذلك واجب كوجوبها وفي قوله ويتفكرون في خلق السموات
والارض اشارة الى ما قال ص تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله وقوله ربنا ما خلقت هذا
باطلا اي يقولون ولسن يعني بذلك القول من دون العلم فان ذلك اقامة شهادة ومن شهد بشيء وهو
على ما شهد به لكن لا يعلم كونه كذلك فشهادته مردودة بدلالة قوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون
ومن عرف حقيقة ذلك واقام هذه الشهادة فكانهم شهدوا الله وهو خلق السموات ولهذا قال
تعالى في ذم الكفار حيث تكلموا هذه الفضيلة فقال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم وفي قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا تنبيه انه قصد تعالى بكل هذه الاشياء قصدا صحيحا
وذلك ما قاله الحكماء ان القصد بكل السموات والارض انما هو الانسان وانما خلق النبات والحيوانات قوتا

انحرف عن ص

لكم ما في الارض جميعا والقصد بخلق الانسان ان يستخلفه في الارض فيقوم بحق الخلافة
فيبلغ بها الى اعظم السعادة في جوار وعلى ذلك قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا فلما تحقق المتفكرون ما لاجله خلقت السموات والارض وعرفوا ما لهم سبحوه
واستعاذوا به من النار **قوله تعالى** ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
من انصار ويقال خزي الرجل اذا لحقه انكسار اما من نفسه بافراط ويقال في مصدره الخزاية واما
من غيره ويقال في مصدر الحزي وعلى هذا هان وذل متى كان ذلك من نفسه يقال له الهون والذل
ومتى كان من غيره يقال له الهوان والذل والاهانة من تمام الحكاية عن المتفكرين في خلق السموات والارض
**قوله تعالى** ربنا انا سمعنا منادياً ينادي للايمان الآية الابرار جمع بر وباد بحو جد واجواد
وصاحب واصحاب واصله من البر اي المكان الواسع فبره خوله براً اي سعة ويقال للانسان
اذا اكرم مزدونه واكرمه من فوقه بره كما يقال فيهما احب وفالي والابرار هم الموصوفون بقوله
رضي الله عنهم ورضوا عنه والمنادي للايمان والداعي اليه قد يكون العقل وكتابه المنزل ورسوله المرسل
المرسل وآياته الدالة وان كان الاظهر في هذا الموضع ان يكون الرسول لقوله استجيبوا لله وللرسول
وقوله ان امنوا بمعنى اي آمنوا او بان امنوا ان قيل فعلى اي وجه قال فامنا اعلى طريق الاسهاب الاطلاع
فان كلا مستشنع ايراده على الله تعالى قيل يحمل على طريق الامثال ولنضرب هذا اشارة الى انهم قالوه نطقا
وتطبيلا الى انهم حققوه فعلا ان قيل كيف جعل غفران الذنوب وتكفير السيات قبل التوفي قيل لان تمام
غفران الذنوب وتكفير السيات ان توفى العبد في الدنيا لمرضاته ويحرسه عن تعاطي السيات
ليكتسب ما يتسع به لاستحقاق الثواب وقوله توفنا مع الابرار نحو ما حكي عن عيسى في قوله توفني مسلما
والحقني بالصالحين وفيه بنية انهم لا يكرهون لقاء الله وقد قال ص من احب لقاء الله احب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه **قوله تعالى** ربنا وآتنا ما وعدتنا الآية ان قيل ما فائدة
استنجاز وعده مع العلم بانه لا يخلف قيل ان وعد تعالى عباده على طريق الجملة نحو قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيما وليس هذا السؤال خوفا من
اخلاف وعده ولكن سؤالا ان يرشحه لان يكون من حملة من دخل في الوعد ولهذا قال انك لا تخلف
الميعاد بنيتها الى انا اخشى خلف وعدك لكني اخشى ان لا اكون من حملة الموعودين وقد قيل
ذلك هو على جهة العبادة وقد تقدم ان لبس القصد التفوه بذلك بل بفعل ما يقتضيه وقوله على
رسلك اي على السنتهم وعلى ما وعدت باجابتهم **قوله تعالى** فاستجاب لهم ربهم الآية استجاب
اراد اجابتهم والاستجابة في الحقيقة غير الاجابة وان كان يفهم منه ذلك وقول الشاعر
وداع دعى بعد الهدوء من السرى فلم تستجبه عند ذاك مجيب فهو اللغو من قولك لم تجبه اذ





لبيه انه تعالى لا يضيع عمل من لم يخرج عن الايمان بشيء كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وذكر الذكر والانثى فقد روي ان ام سلمة قالت يا رسول
ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء فانزل الله ذلك ومن للتبيين او للاستغراق الاحسن
لتقدم النفي ان قيل ما معنى قوله بعضكم من بعض في هذا الموضع قيل بينهما ان الاولى هي والمذكور به
لا يقتضي اختلاف الحكم في هذا الباب وانما الاعتبار بالاعمال والنيات فمن قصد فيما اشتراه
وجه الله فله بقدره ثواب ثم من ان المذين هاجروا فضل ربه كما قاله وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة ولم يعن بالمهاجرة
والاخراج من الديار ما كان من الكفار فقط بل غناه ومن هاجر الافعال القبيحة والاخلاق الكريهة
وقاتل نفسه حتى قهرها والظاهر من قوله لاكفرن عنهم سيئاتهم ان ذلك حكم الاخرة وعليه
اهل الاثر وقال بعض الصوفية عنى تكفير سيئاتهم ازاله ذريعتهم في الدنيا قال وهذا
المعنى هو المراد بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذا ظلم
الحسنات التي يجري من جنسها الانهار لتمكن من زهرات العلوم والاطلاع على كثير من الغيوب
التي وصفها جارية في حقيقة الايمان حيث قال وكأني بعرش ربي بارزا قال والانهار هي
انهار الجنة المذكورة في قوله انزل من السماء ماء قال ابن عباس قرأنا ثم قال ثوابا من عند الله بنبها ان
هذا ثوابه عاجلا في الدنيا ثم قال والله عنده حسن الثواب اشار الى ما له في الاخرة من
الثواب والله اعلم بما ادعاه هذا القايل ان قيل ما وجه قوله والله عنده حسن الثواب بعد قوله
ثوابا من عند الله على القول الاول قيل يحتمل ذلك وجهين احدهما انه من تقوله ثوابا من عند الله
ان ما ذكره ثواب لهم ثم اخبر ان هذا الثواب لا يوجد الا عنده فكون قوله الثواب اشارة الى
المذكر قبله والثاني ان يكون حسن الثواب غير المذكور اولا فنبه ان ما ذكرت او لا هو الذي
عرفتم وعند الله حسن الثواب الذي لم يعرفوه لعجزهم عن الوقوف عليه اشار الى المذكور في
قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من اعين وفي قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة **قوله تعالى** لا
يغرنك تقلب الذين كفروا الآية اصل الغرور الطي الذي يكتسي عليه المطوي فجعل عبارة عن
انطوى على اعتقاد ممنوع عن رفع بصيرته ولذلك سمي الاعتقاد طويه ونحو الغي الاستدراج بشبهها
بالمدرج ومن هذا قال شئون صدورهم والتقلب في البلاد ليس يعني المشي فيها وانما يعني التوسع في
اعراض الدنيا والمتاع ما فيه ممتع ما والآية تحتمل وجهين احدهما ان جعل ما يتمتع به في الدنيا وان كثر
قليلا في جنب ثواب الله تعالى فلا يجب ان يعتبر به اذا اعتبر بما يحصل لاربابها في المآل من
العذاب والثاني انه اراد بالقليل قلة العناء واراد بجهنم جهنم الدنيا وجهنم الاخرة بنيتها ان من

حيث لا مال لا يهلك من شغل لا يقضي غناوه وفقر لا يدرك غناوه وحزن على فوت محبوب وخوف
من فقد مطلوب انهم في جهنم من سبب مالهم وفي جهنم عند مآلهم كما قال فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وذكر المهاد على سبيل المثل كقوله لهم من جهنم مهاد
**قوله تعالى** لكن الذين اتقوا ربهم الاية ذكر تعالى للكن لكون حكم ما بعدها منافيا لما
قبله وقد ذكر في قوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار الوجهان اللذان ذكرا في قوله ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار وقيل عنى به انهم من طيب عيشهم في القناعة ورضهم بفضول الدنيا
في جنات صفتها كذلك وذلك على التشبيه واياه قصد بقوله فلنحيينه حيوة طيبة قال والذي
يدل على هذا قوله نزلا والنزل ما يجعل للانسان في طريقه ليستعين به على سفره وانتصابه على انه
مصدر موكد او مفسر كقولك هذا لك هبة وفي قوله وما عند الله خير للابرار الوجهان المذكوران
في قوله والله عنده حسن الثواب وقيل عنى بذلك ما قال ان الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن بئسها
ان المؤمن يتبرم لها شوقا الى ما اعد له والكافر يطمئن اليها ويتساوق اليها عند فراقها معما فيها
من الشوائب لما اعد له من العذاب وقال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها
ثم تلا هذه الاية ذا الابرار وتلا قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما ذا الفجار **قوله تعالى** وان
من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية الخشوع كالخضوع لكن اكثر ما يقال في الخشوع ما اعتبر فيه
حال القلب والخضوع فيما اعتبر فيه حال الجوارح وان كان يستعمل كل واحد منهما في موضع الاخر
وقول الحسن الخشوع ثبات الخوف في القلب وقول غيره هو ما ظهر من الخضوع الدال على الخوف
من عقاب الله واصله في الخشعة والذم فيما تقدم كفار اهل الكتاب بين ههنا ان من خالفهم في
سوء اعتقادهم وافعالهم فحكمهم بخلاف حكمهم وذكر ما فيه بنسه على الايمان والاعمال الصالحة
وترك تتبع دقائق المطامع وذلك احكام الشرع ان صح ما ورد قوله والله سريع الحساب
ههنا قيل الحساب اشارة الى الثواب المجعول لهم في مقابلة فعلهم وسماه حسابا لقوله من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها وسمي بقوله سريع الحساب ان ذلك لانتباه خوفهم لمكافات النفس مولعة
بحب العاجل وبنه على امرين احدهما ما يجعل لهم في الدنيا المدلول عليه بقوله فاثابهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة والثاني ان الموعود به في الاخرة سريع ووقوعه وان كان في ظن الكافرين
بطيا حضوله **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون الصبر اعم من المصابرة اذ كان يقال فيما يتصور فيه فاعل واحد والمصابرة يقال
فيما تتصور فيه فاعلان متقابلان والصبر حبس النفس على ما يحمد وعما يذم ولهذا قيل هو اسم
لاعم الفضائل وله ثلث منازل امساك الجوارح الظاهرة عن الاقدام على ما يكره وامساك





اللسان عن اظهار التالم منه وامساك القوى عن تحركها بالتالم منه وهو امنزلة الصدر
والمصابرة ضربان مصابرة العدو واليه ذهب الحسن ومجاهد في الاية ومصابرة قوى
النفس في مدافعة الحرص والمحل والحسد وسائر الرذائل وهي عظامها والمرابطة كذلك على ضربين
مرابطة في ثغور المسلمين ومرابطة النفس البدن فالها كمن اقيم في ثغر وفوض اليه مراعاته
فحماح ان يراعيه غير مخل به اياي ان يعزل عنه او يسترد منه وقد دخل في عموم ما قلناه
قول من قال اصبروا في انفسكم وصابروا عدوكم ورابطوا التعود وقول من قال اصبروا بجوارحكم
على الطاعة وصابروا بقلوبكم مع الله ورابطوا باسراركم في سبيل النجيه وقد نبه على عموم ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة ان صح كيف اخر ذكر التقوى قيل
يحتمل وجهين ان يكون ذلك اشارة الى غاية التقوى وهي التبرء من كل شيء سوى الله وذلك لا
يكون الا بعد هذه الاشياء كانه قال اذا فعلتم ذلك فاتقوا الله راجين ان تدركوا
الفلاح اشارة الى ما ذكر من الصبر والمصابرة والمرابطة قلما امر تعالى بهذه الثلثة قال
اتقوا الله اي اتركوا الفلاح له فتركها تدرك هذه الثلث ويكون الفلاح عبارة عن
الثلث فعلى هذا التقوى في المعنى مقدم وعلى الاول متاخر والله اعلم **سورة النساء**
**بسم الله الرحمن الرحيم** يا ايها الناس اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة الاية وقد تقدم الكلام في الفرق بين يا ايها الناس ويا ايها
الذين امنوا وانه ذكر مع الناس الرب ومع الذين امنوا الله فيا ايها الناس خطاب عام ويا
ايها الذين امنوا اخص منه وياعبادي اخص منهما وحيث يقصد خاص الخاص قال يا ايها
النبي ويا ايها الرسول وان كان الخطاب له ولغيره نحو يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
وقد تقدم الكلام في ان ادنى منازل التقوى اجتناب الكفر واعلاها ان لا يرى من الدنيا
والاخرة سوى الله وقوله خلقكم من نفس واحدة ذكر عامة المفسرين انه عنى بالنفس آدم وزوجها
حواء وذكر بعضهم انه عنى بالنفس الروح المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الارواح قبل
الاجسام بكذا سنة وعنى بزوجها البدن وقيل عنى به التركب والى نحو اشار بقوله ومن كل
شيء خلقنا زوجين وقوله سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا
يعلمون ولا يصح معنى ذلك في السمات الا على معنى التركب وبنه بذكر الزوجين والازواج في
الاشياء على انها لا تنفك من ترتب ما وان الواحد في الحقيقة ليس الا هو تعالى قال وعلى هذا
بنه بقوله والشفع والوتر وقال معنى الشفع الخلق والوتر الخالق وبهذا القول في الاية وان
كان متجها فاهمل الاثر على ما تقدم ان قيل اي وجه خلق زوجها منها احد جزء فجعل زوجها

قال بعضهم الشيئان قد يقال لاحدهما هو من الاخر اذا كان من عنصره واصله كقولك هذا
القميص من قميصك وقد يقال ذلك اذا كانا مشتركين في صفة نحو بعضكم من بعض وقال بعضهم
اصل جزء من قدم وجعل منه جواعلى ذلك روى خلقت حواء من ضلع من اضلاع وقال بعضهم
بنه بقوله وخلق منها زوجها ان المراة بعض من الرجل بسبها على تقصانها وكمالة وانه نبه صلى الله عليه
بقوله ذلك انها مخلوقة خلقة معوجة لا تنتفع بها الا كذلك فلا يمكنك تقويمها وعلى ذلك
قال ص ان المراة خلقت من ضلع وانك ان اردت ان تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمعت
بها وبهذا القول قيل اخس صفات الرجل الشح والجبن وهما اشرف صفات المراة ان قيل ما
وجه عطف الارحام على الله والتقوى في الجملة من الله ومن عذابه لامر الرحم وقد كان الوجه
ان يقال اتقوا الله في الارحام او للارحام قيل احسب عن ذلك باوجه الاول انه لما كان يقال
اتق الله اي اتق عقوبته عصيانه واتق ذنبك اي عقوبته ذنبك قال ههنا اتقوا الله اي اتقوا
عقوبته على طريق الجملة ثم قال والارحام اي عقوبته في قطع الارحام وخصها بالذكر تعظيما
لامرها وكانه قيل اتقوا عقوبات الله عامة وعقوبته في قطع الارحام خاصة وذلك لعظيم
امر الرحم والوجه الثاني ان تقدره اتقوا الله في الرحم لكن حذف الجار واقيم حرف العطف
مقامه كقولهم نيدك والسكين اي احفظ يدك من السكين والوجه الثالث ان تقدر اتقوا الله
وقوا الارحام فاحدهما متقى والاخر موتى نحو قولهم اعور عينك والجراي قر عينك واتق الجحر
ان قيل ما وجه اعادة التقوى وعطف احدهما على الاخر قيل انه امر في الاول بالتقوى امرا عاما
ولهذا قال بكم بنبها على افضاله واحاطته على ما لا يمكن لاحد انكاره ولما قصد الحث على المحافظة
على الرحم قدم ذكر الموجب باللفظ الذي فيه التنبيه على القدرة التامة ان قيل ما وجه ذكر
تساءلون به قيل زيادة في الترغيب في تقواه وتنبيها على كون تعظيمه منغرسا في قلوبنا حتى انا اليه
نفزع اذا سالنا وبنبه انا كما نقول اسالك بالله نقول اسالك بالرحم وتقديره الكلام اتقوا الله
الذي تساءلون به والارحام التي تساءلون بها لكن نبه بوصف الاول على وصف الثاني والقصد
ايضا هذا المعنى قرئ تسالون به والارحام بالخفض ان قيل ما فايدة قوله وخلق منها زوجها قيل
تنبيها على وجوب مواصلة بعضنا بعضا لكوننا من ذات واحدة وانا كبنيان تشد بعضه بعضا
واما خفض قوله والارحام فقد قيل فيه ضعف من حيث الاعراب ومن حيث المعنى اما من حيث
الاعراب فلان ضمير المجرور لما كان على حرف واحد قايم مقام التنوين والتنوين لا يصح ان يعطف عليه
كذلك الضمير المجرور وايضا فلان كل ما يعطف عليه يصح ان يعطف هو ولما كان ضمير المجرور لا يصح ان
يعطف عليه وبان ذلك ان للمرفوع والمنصوب ضميرا منفصلا نحو هو وهما واياه يصح ان يقال



رايتك وزيدا اورايت زيدا واياك والذي وزيد واتاني زيد وانت ولم يكن للمجرور ضمير
منفصل يقع موقع المتصل فعطف به فلم يجز لذلك ان يعطف عليه انفصاله واما من حيث المعنى
فان اعادة الجار يقوي فلا قتران ذكرها بصفته بحيث سمعها على استعمال التقوى
كقولك اتق الله الذي تحالفه واتق الله الذي بيده الخير فهذه الصفات هي التي تحسن التذكير
واذا نبهت لارحام ففيه هذا المعنى واذا جررته لم يكن في ضمنه من التحذير ما فيه اذا
نصبته وانما قال وخلق منها ولم يقل من نفسها وكل اسم جنس لفظه مخالفة لمعناه الذكير
والتانيث فلك اعتبار اللفظ طورا والمعنى طورا نحو حمامة ونفس واذا كان علما نحو طلحة
او صفة نحو علامة ونسابة فليس الا اعتبار المعنى دون اللفظ والرقيب قال مجاهد
هو الحفيظ وقال ابن زيد عليم وكلاهما صحيح فحافظ الشيء يقتضي ان يكون عالما به ليمكنه ان
يحفظه ومن يقوله كان عليكم رقيبا انه قبل ان خلقكم واوجدكم كان مراعيا لكم منبها انه
لا يخفى عليه امركم في كل حال **قوله تعالى** واتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا
الخبيث الانه الحبث والطيب عبارة عن الحرام والحلال اي ادفعوا اليهم شيأ هو
طيب لكم وتاخذوا من مالهم ما هو خبيث لكم طليا للربح هذا قول الضحاك والسدي وقيل
لا تتبدلوا الهزيل بالسمين وقيل الطيب مقدار ما تبيح مناولة من مال اليتيم والخبيث
ما لم يبح منه وهو المستفاد بقوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا وكل هذه الاقوال
اشارات الى ما تتضمنه عموم الحبث والطيب والحوب الاثم لكونه من حوبا عنه من قولهم حات
حوبا وحوبا وحوبا والاصل فيه حوب لرجز الابل وتحويب تحويبا تم وايتاء اليتامي اموالهم قيل
دفعها اليهم بعد البلوغ وسماهم حينئذ يتامى استصحابا للحالة المتقدمة ويكون ذلك كقوله
حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقيل هو امر لقيامها عليهم
ودفعها شيا بعد شيء على قدر الحاجة والضمير في قوله انه قيل للاكل وقيل للتبديل وقيل
للاموال لكن اعتبر المعنى لما كان المال والاموال في هذا الموضع سواء كقول الشاعر
فان الحوادث اولى بها لما كان معنى الحوادث والحدثان واحدا **قوله تعالى** فان
خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية العول الخروج عن حد الاستقامة والعول في الفريضة
خروج عن حد السهام المسماة والعويل الصياح الخارج عن حد الاستقامة في الكلام وذلك
نحو الالفاظ التي تحراها المصاب وعولت عليه ملت نحوه بالاعتماد والمعول على بنا الآلة كانه
آلة العول والاية تو ولت على وجهين احدهما قيل ان الرجل قبل الاسلام اذا مات كان وليه
يسر في اخذ ماله سيوه غمر واصده ويا كل اموالهم اسرافا وبدارا وكانوا يسيرون في تامي النساء

بضعة باقح سنين فالها متى كانت اليتيمة ذات مال وجمال يتزوجوا بها باقل من مهر مثلها ثم لم
يحسنوا اليها ان كان اصرهم لا يرغب فيها عضلها عن النكاح طمعا فى مالها فلما جاء الاسلام نهوا
عن ذلك بهذه الاية وقوله ان خفتم اى ان خفتم ان لا تعدلوا العرا له اى اذا اردتم ان تتزوجوا
من غير هن والذاهر اذهب ابن عباس وعائشه والثانى انهم يحرجون فى اموال الناس لما عظم الله تعالى
من امرهم فى نحو قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن ولم يكونوا يحرجون من التزوج بعدد من النساء
فقال تعالى ان حرجتم من تناول مال اليتيم خشيتم ان لا تقسطوا فتحرجوا النساء ان لا تعدلوا بينهن
وانكحوا ما قدرتم او ما يمكنكم الوفاء بحقوقهن وقيل معناه ان خفتم ان لا تقسطوا فى حفظ اموال اليتامى
وان تحوروا فى الانفاق على نسائكم فانكحوا عددا مخصوصا لا يحكم ايلى ان تقسطوا ان قيل فما معنى
ذكر هذه الاعداد ان كان الامر على ما وصفت وهلا قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء سواهن قيل
يحوز للحكيم اذا سيل عن حكم ان يجيب عنه ويقرن اليه ما علم ان السائل حاجة اليه فلما سئل عن ذلك
وكان فيهم من لا يبالى ان يتزوج بالعدد الكثير من النساء بين العدد الذى لا يحوز ان يتعداه
الانسان فى وقت واحد ولذلك احيلها على هذه الاية لما استفتوا فى تثانى النساء قال تعالى
يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم الاية وقد اختلف فى العدد الذى يحوز ان
ينتهى اليه فى النكاح فذهب عامة الفقها انه لا يحوز مجاوزة الاربع ومذهب بعض الشيعة انه
يحوز بلا حد كالسرارى وقال الاية ليست توقيفا بل هى اباحه كقولك ساولك ما احببت واعطاك
وبلله وان تخصيص بعض مقتضى العموم على طريق التبيين لا تقتضى الاقتصار عليه وذهب بعضهم ممن لا
يعرف الكلام الى ان الواو فى مثنى تسع وقال الواو تقتضى الجمع فصار كقولك اسرد وبلسا واربعا فذلك
تسع واكد ذلك بان النبى ﷺ مات عن تسع نسوة قال وغير منكر ان يذكر عدد واحد بلفظين كما قال
تلك عشرة كاملة فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كامله وهذا فاسد اما اولا فان العدول عن ذكر
الشئ بلفظه واضافته الى لفظين اما ان يكون لغرض نحو تلك ايام فى الحج وسبعه اذا رجعتم لما خالفت
بين حكميهما اورده بلفظين او يكون ذلك للعى والاستدراك عن نسيان وكلام الله تعالى منزه عن ذلك
ومنهم من رد واحدا الى واحد بتاويل انتزعه من الاسم احدهما هذه والاخرى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء الاية قال فبين انكم لا تستطيعون تحرى العدالة فى النساء وقال ههنا فان خفتم الا تعدلوا
فواحدة فكانه قال فانكحوا واحدة ان لم تستطيعوا ان تعدلوا وقد ثبت ان لا تستطيعوا فاذا
فانكحوا واحدة وهذا القائل خفى عليه الفرق بين العدل فى العدل فى تلك الاية ترك ميل القلب فى ذلك
مرفوع عن الانسان لقوله تعالى لا تكلف الله نفسا الا وسعها وقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
عنى به العدل الذى هو حق القسم والنفقة ولهذا قال فان خفتم فان الخوف يقال فيما فيه رجاء

ولهذا

شرط



ولهذا لا يقال خفت ان لا اقدر على بلوغ السما او نسف الجبل وهذه الاقوال المتقدمة بطلت
ما روى انه لما نزلت هذه الاية كانت تحت قيس بن الحارث ثمان نسوة فقال له ﷺ تخير منهن اربعا
وكذى قال لاخى مسعود الثقفى وكان قد اسلم وتحته تسع نسوة واستدل اهل الظاهر بالاية
على وجوب النكاح واستدل لها بعضهم لفقها على انه غير واجب وبيان هذا ان ما فى قوله فانكحوا
ما طاب لكم اما ان يكون عبارة عن المنكوحة او عن الزمان او العدد فلا يصح الاول لان ما لا يعبر به
عن اعيان العقلا مجردا ولا عن العدد لانه محال ان يعنى بنكاح العدد وان عنى المعدود فالكلام
راجع الى ان يكون عبارة عن العقلا فيجب ان يكون عبارة عن الزمان وكانه قال انكحوا فى وقت
يطيب لكم والمحالف لوجبه طاب لنا او لم يطب فان قيل معناه ما تاقت انفسكم اليه قيل ان عنى
ما تاقت نفسه اليه العقد فليس ذلك مذهبا لاحد وان عنى المحالف ما تاقت نفسه الى الجماع
فلم يجر للجماع ذكر وقد تقدم الكلام فى العول فقول من قال ذلك ادنى ان لا يحاور وا ما فرض الله
وقول من قال ان لا تميلوا ابرحان الى اصل واحد وقول الشافعى معناه ان لا يكثر عيالكم وقد ذهب
الى هذا الاول وسمى بن اسما واجازه الاصمعى وابن الاعرابى ومنه قيل فلان يعول عشرة
وقال ابن داود غلط الشافعى لان صاحب الامانى العيال كصاحب الازواج وابن داود لم
يتصور ما قاله الشافعى وذاك انه لم يرد الا ما اراد غيره من حقيقه المعنى وانما تحرى استيفاء
اللفظ ولم يرد بالعيال الاولاد وانما اراد الشافعى من يسمى كل من تمونه العيال وان لم يكن
اولادا فاراد تعالى ان خفتم ان يكثر نساؤكم فحاجوا الى عقدهن بامور تقصرهن عفيفا
ولا يكون فى مراعاتها افساط وهذا راجع الى ما ذهب اليه الاخرون **قوله تعالى** واتوا
النساء صدقاتهن نحلة الاية فالنحلة العطية التى لا يطلب بها عوض واصله عندى من النحل فكان
نحلته اعطيته عطية النحل وذلك ما قصد الحكما من وصف النحل فى انه لا يضر لسى وينفع اعظم
نفع وكانه اشار بذلك الى قوله واوحى ربك الى النحل الاية والنحلة اخص من الهبة اذ كل هبة
نحلة وليس كل نحلة هبة وسمى الصداق بها من حيث لا يجب فى مقابلته اكثر من ممتع دون
عوض مالى وقول قتاده وابن زيد النحلة الفريضة فظن منهم الى حكم الاية لا الى موضوع
الاسقاق واقتضى الحال ايتاءهن الصداق ثم حكمه وقدره قبل الدخول وبعده وقبل
التسمية وبعدها فاخوذ من غير الاية ودل بقوله تعالى ان طبن ان لا تخرج الانسان من
قبول هبتها عن طيب نفس عنها بها ودلت الاية على انه يحوز لها ان تهب صداقها اذا كانت بالغة
خلافا لما قال مالك ان ذلك الى وليها والاوزاعى حيث قال لا يحوز لها حتى بلد ويحول عليها
الحول فى بنت ذى جهاة والليث بن سعد حيث قال لا يحوز عنها ذات الزوج ولا هبتها الا فى

يسر من غير اذن زوجها وذكر عن شريح ان رجلا اتى بينة ان امراته ابرأته من صداقها
عن طيب نفس وانكرت المرأة ذلك فقال شريح هل رأيتم المال وقد دفع اليها فقالوا لا فقال
لو طابت نفسها لم يرح فيه فلم يجزه ان قيل لم قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فافرد وقال
في الاخرى لا تحسبن اعمالا تجمع قيل المميز على بنية اضرب الاول ان يدل ما قبله على عدد فلا يجمع
نحو عشرون درهما والثاني ان تشتبه فلا يدمن جمع اذا اردت الجمع نحو قولهم افنى القوم عبيدا والملك
ان تستوي الواحد والجمع لكونه معلوما منهما المعنى على حد نحو قولهم فلان احسن القوم عينا لانه
يعلم ان القوم لم تكن لهم عين واحدة والاية على هذا فلا يحتاج فيها الى الجمع والضمير في منه
راجع الى مصدر فاتوهن **قوله تعالى** ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما
وارزقوهم الاية السفهاء قيل النساء وقيل الصبيان ومنهم من اعتبر ذلك في كل من لم يكن حصيفا
في تدبير المال ومنهم من اعتبر ذلك مع الحصافة في الدين وكل واحد اشار الى بعض من يتناوله
الاسم على سبيل المثال فمعلوم انه لا يصح صرفها الى النساء مفردات لقوله وارزقوهم وانهى
عن اسناد المال على سبيل يفوض تدبير الاموال اليهن وقيل على سبيل تمليكهن على وجه التملك لا
على نهي الاعطاء بقدر ما يحاجون اليه وقال ابن جبير معناه لا تعطوهم اموالهم واضافته
الى المخاطبين على اعتياد الجنس نحو قوله لا تقتلوا انفسكم ونطعن بعضهم نطعا اخر فعلى هذا
الوارثين الدين يعلم من حالهم ان يتسفهوا في استعمال ما نالته ايديهم فنهى عن جميع المال الذي يرشد
السفها ونبه بقوله التي جعل الله لكم قياما على الغرض الذي فصله الحكماء من فائدة المال الموصل به
الى السعادة الحقيقية بل قد اباحه النبي ص باوجز لفظ فقال من طلب الدنيا استعفافا عن المسئلة
وسعيا على اهله وتعطفا على جاره بعثه الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلبها مفاخرا مراءيا لقي الله وهو عليه غضبان والقيام يكون مصدرا واسما والقوام لا يكون الا اسما
ان قيل لم قال فيها ولم يقل منها مع كون ذلك اظهر قيل قد ذكر بعضهم ان فيه بنسبها على ما قاله ص
ابتغوا في اموال اليتامى لا ما كلها الزكوة وان المستحب ان يكون الانفاق عليها من فضلاتها
المكتسبة والقول المعروف متضمن للامر بتأديبهم وارشادهم ووعدهم الجميل الذي ذكر ان خرج وقال
هو ان يقال له ان رشدت مكنا كل من مالك وفيه المنع عن قهرهم واليه ذهب مجاهد استدلالا
بقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر **قوله تعالى** وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح الاية
الاناس فيما راى مرة بعد اخرى فانس به وقد فسر ابن عباس بالمعرفة والخليل فسر بالاحساس
والرشد قال الحسن وقتادة وهو الصلاح في الدين والاصلاح للمال وقال مجاهد هو الاصلاح
للمال فقط وامر تعالى بدفع المال اليه اذا بلغ وايناس الرشد منهم وبعد الابتلاء جعل

ذلك

ذلك كله شرطا في تسليم المال اليه فيعلم من الاية ان من دفع اليه المال ثم فقد منه الرشد
ان يعاد الحجر عليه لان العرض بذلك حفظ ماله ولا فرق بين ان يكون المعنى الموجب للحجر ابتداء انتهاء
والاية تقتضي ان كل من حصل في يده مال لغيره لزمه حفظه له بكمال الحفظ ومال الفقراء في
بيت المال واللقطة في يد الملتقط والابتلاء المراد به الاختبار قيل هو بلوغ الصغير بان يدفع اليه
قليل من المال فيرى كيف حفظه له وتصرفه فيه وقيل هو بان يحرب في امور اخر وقيل هو ان يختبر
بعد البلوغ وسماهم يتامى استصحابا للحالة المتقدمة وقوله ولا تأكلوها اسرافا اي متجاوزين
حد القصد المباح لكم ومبادرة ان يكبروا فيمنعوا اموالهم وقوله ومن كان غنيا فليستعفف
قيل لا يتناول منه شيأ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف من مال نفسه لا من مال اليتيم للمحتاج
الى مد اليد الى ماله وقيل فليأكل بالمعروف من مال اليتيم وقيل ذلك منسوخ بقوله ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما لانه وقال الاصم فلما كل من مال اليتيم فرضا واليه ذهب عمر فقال اني انزل
مال الله كولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت
قضيت وقيل يتناول القدر الاقل من قدر حاجته او قدر اجرة مثله وقيل ليس لولي اليتيم ان يتناول
ذلك وان تولى اصلاحه الا بامر من له الامر واليه ينصرف ما روي ان رجلا اتى النبي ص فقال ان
ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال لغير مالك يا رسول الله اي يتخذ منه ذخرا والمعنى نحو صرف
قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن والامر بالاشهاد عليهم عند دفع اموالهم اليهم
على سبيل الاستحباب وقوله وكفى بالله حسيبا بنبه منه تعالى انه رقيب عليهم يعلم اسرارهم
وانه محاسبهم على ما يكون منهم فليس للولي ان يحوز ولا لليتيم ان يدعي ما ليس له **قوله تعالى**
للرجال نصيب مما ترك الوالدان الاية المفروض المقطوع بايجابه والفرض الحز ومنه سمي القوس
والفرضة مقطع الماء اما اعتبارا بقطع الماء او قطع الخشبة فيه وبعض الفقهاء فرق بين الفرض
والواجب فجعل الفرض اخص وقال انه يقتضي فارضا والواجب لا يقتضيه قال ولذلك يقال وجب
المطيعين واجب على الله ولا يقال فرض عليه وروي ان العرب كانوا يورثون الذكور دون
الاناث وقيل كانوا لا يورثون الا من طعن من الرماح دون المستضعفين من الولدان قيل ان اوس
بن ثابت مات وخلف بنات وابن عم فعمدا الى المال واخراه فجاءت امراة اوس بنات الى النبي ص
واعلمته ذلك فاخبرها ان لا شيء لها ولا لهن فانزل الله تعالى الاية فبعث النبي ص الى ابني عم اوس
فامرهما ان لا يحركا من المال شيأ ثم نزلت اية الميراث فقسم المال عليهم فاستدل لهذه الاية
اصحاب الامام ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام وقالوا الاخوال والخالات واولاد البنات
من الاقربين ويتعلق بذلك ايضا من ورث الاخوة مع الجد وكذلك في توريث العامل والمماليك وقوله

نصيبا مفروضا فيقضي خلاف مورث ذوي الارحام اذ ليس لاحد منهم نصيب مفروض فان
قيل لم اعيد ذكر النصيب قيل لما اراد ان يبين كون نصيبهم مفروضا اعاد الموصوف معه
ليتبين ان المفروض هو النصيب لا غير **قوله تعالى** واذا حضر القسمة الاية اراد
بالقسمة المقسوم ولذلك فارز قولهم منه رد اي المعنى واختلف في الاية على اقوال الاول
انه عني من ليس بوارث من اولي القربى وذلك على الاستحباب فاما ان يعطوا او يقال لهم قول
معروف وقيل بجمع لهم بين الامرين والثاني قال مجاهد هو واجب لكن يعطون على قدر ما تطيب
به نفس الورثة اذ كانوا اوارين قال الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يفعلون على الاقارب والثالث
والمساكين من الورق والفضة فاذا صاروا الى الارض والرقيق ونحوها قالوا لهم قولا معروفا
اي قالوا لهم بورك فيكم الثالث ان اولي القربى ضربان وارث يعطى وغير وارث فقال له قول
معروف الرابع يعطى الحاضر البالغ ويحرى في امر الغائب والصغير قول معروف اي مصلحة الخامس
قال زيد بن اسلم هذا شيء امر به الموصي في الوقت الذي يوصي واستدل في ذلك بقوله بعد هذه
الاية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية الاية السادس ان ذلك كان في الورثة واجبا
فنسخته اية المواريث والصحيح انه ليس بمنسوخ وعلى ذلك قوله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ثم قال فاما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا **قوله**
**تعالى** وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الاية اصل السداد ازالة الخلل
يقال سددت الخرق اذا رددته والسهم اذا قومته والفقر اذا ازلته والسداد ما يسد
به والسداد بالكسر في معنى الفاعل وفي معنى المفعول ورجل سديد متردد بين المحسن فانه
مسدد من قبل ميوله ومسدد لما بعده وفي الاية اقوال الاول انه نهي للحاضرين عند الموصي ان
يأمروه بما لا يجوز الوصية به والثاني انه نهي لهم ان يأمروه بترك الوصية والثالث ما روي
عن ابن عباس ان ذلك وارد في الحث على حفظ مال اليتيم وان عليهم ان يعاملوا فيه بمثل ما يحبون
في ذرياتهم بعد موتهم الرابع انه نهي للموصي ان يوصي بما لا يجوز وكل هذه الاقوال يصح ان يكون مرادا بالاية
لانه واجب ان لا يوصي باكثر من الثلث وواجب على من يحضره ان يحثه على ذلك وان لا يوصي باكثر من الثلث
وان لا يحل بالوصية ان قيل لم قال لخش الذين لو تركوا ثم قال فليتقوا الله وهل بين الخشية والتقوى
فرق قيل الخشية الاحضار من الشيء بمقتضى العلم ولذلك وصف به العلماء في قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء والتقوى جعل العبد نفسه في وقاية مما يخشاه ولذلك قال يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الى قوله لعلكم تتقون فالخشية مبدأ التقوى والتقوى غاية الخشية فامر الله تعالى
بمراعاة المبدأ والنهاية اذ لا يبلغ الاول دون الثاني ولا يحصل الثاني من دون الاول ثم امر تعالى

مع

مع ذلك بتحري القول السديد وذلك متناول لكل قول مأمور به وقول من قال هو تلقين للمحتضر
الشهادة وقول من قال هو ترك الرفث في تولي القسمة وقول من قال هو الصدق في الشهادة
داخل في عموم الاية **قوله تعالى** ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا الصلا النار وصلي فلان بها وصليته اذا كويته منها
وصليت اللحم شويته وقوله سيصلون من صلي ويصلون من أصليت نحو فسوف نصليه نارا
والسعير المسعور واستعرت النار والحرب تشبيها بذلك وهذه الاية موكدة لما قبلها
من الامر بالحسنة والتقوى ووعيد لمن يعدى وذكر الاكل لكونه اكثر ما يراد له المال وقيل
انه لما نزل هذه الاية تحرج الناس من طعام اليتيم حتى انزل الله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم
والله يعلم المفسد من المصلح وليس هذا ناسخا للاول كما طنه قوم لانه ليس في قوله وان تخالطوهم
اباحة لاكل مال اليتامى ظلما فيكون هذا ناسخة لها في قوله يأكلون في بطونهم نارا وجهان
احدهما ان ذلك تشبيه اذ كان ذلك مؤديا اليه كقول الشاعر

اذا صبت ما في الوطب فاعلم بانه ... دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ او دعا

فسمى اللبن دما لكونه بدلا منه والثاني ما روي ان النار يجعل في بطنه يوم القيمة والقولان
صحيحان وسيان فانه مركان حاله في الاخرة هذا هو الذي حاله في الدنيا كما قاله الاولون
**قوله تعالى** يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الاية الوصية
بمعنى ما كان حتما كقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم قال ذلكم وصيكم
به وقال ابن عباس كان المال للولد في الجاهلية والوصية للوالدين والاقربين فنسخ هذا
الاية واستدل بما روي انه لما نزلت هذه الاية قال ص ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية لوارث وقال عمر الاية عمومات سخة بل هي تفسير لقوله للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون واختلف هل يدخل ولد الابن في اطلاق لفظ الولد منهم من قال يدخل فيه
لقولهم اولاد آدم ولان جميع ما علق بالولد من الاحكام فابن الابن داخل فيه كحرمت عليكم
ثم قال وحلائل ابنائكم وقوله او ابنا بعولتهن ولا خلاف ان حكم ولد الابن اذا لم يكن ولد صلب
حكمه وقد استثنى من ظاهر قوله للذكر مثل حظ الانثيين الكافر والمملوك والقاتل واهل
ملتين لاختلاف معاذ فانه تورث المسلم من الكافر وقوله فان كن نساء فوق اثنتين فان الله
جعل للبنات اذا كن فوق اثنين الثلثين وللواحدة النصف ولم يذكر فرض الثنتين قال ابن عباس
حكمهما حكم الواحدة وقال سائر الفقهاء حكمهما حكم ما فوقهما ثم اختلف مرادهم وجه صاد
حكم الاثنتين حكم ما فوقهما فعلى بعضهم ان ذلك اجري مجرى الثلث بالعباس لانه به اشبه

وقال بعضهم بل اللفظ اقتضى ذلك وهو الصحيح وبيان ذلك انه قال للذكر مثل حظ الانثيين
ولا فرق بين ان يقال ذلك او يقال للانثى نصف حظ الذكر وقد بينت ان حظ الذكر اذا كان
مع انثى للسدس فاقتضى ذلك ان فرض الانثى للسدس فصار ذلك بمنزلة لو علم ان
الكلام دون الصريح وفرض الواحدة وما زاد على البنتين فيما الصريح قال وتقوى ذلك ان
القسمة العددية ضربان مركب ومفرد وقد ذكر حكم المركب بقوله فان كن نساء وحكم
المفرد بقوله وان كانت واحدة فلها النصف والانسان بدء المركب من الاعداد صح ان يكون
حكمه ملحقا به ويدل على ذلك ما قاله في اخر السورة قوله وله اخت فلها نصف ما ترك ثم قال
وان كانا اثنتين فلهما الثلثان فجعل حظ البنتين الثلثين ولم يبين حكم ما زاد عليهما ومن فرض
البنات حكم ما فوق الاثنين لعلم من نطق كل واحد من الاثنين حكم المسكوت عنه في الاخرى
فان قيل متى جعل حكم الاثنتين حكم الثلثين فصار عدا سقط فائدة قوله فوق اثنتين قيل مثل هذا
راجع الى المحالف لانه يقال له متى جعلت حكم الاثنين حكم الواحدة سقط فائدة قوله
وان كانت واحدة فلها النصف وجوابه في ذلك جوابنا عما سأل على ان ذكر ذلك على النزل
لا بد منه لانه لا بد من ذكر ما فوق الاثنين بقوله للذكر مثل حظ الانثيين ثم من حكم
ما فوق الاثنين ثم حكم الواحدة ومن قال بمقدر الكلام فان كن نساء اثنتين وان قوله فوق
زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق لانه اراد فاضربوا الاعناق فنغني موافق في ادعاء
الزيادة في الموضعين ونحن موافق في باب الانثيين وكلام الله تعالى منزه عن ذكر لفظ خلو
عن قصد معنى صحيح اذا كان ذلك لغوا تعالى الله عنه ان قيل لم ذكر فرض البنت اذا انفردت ولم
يذكر الابن على الانفراد قيل لان العرب كانوا يورثون البنين دون البنات فاصح الى
تبيين ذلك دون ما بقوا على ما كانوا عليه وقوله لابويه الى كل واحد منهما السدس ظاهره
يقتضي ان يكون للاب السدس مع الولد ذكرا كان او انثى كما ان فرض الام كذلك لانه لا
خلاف متى كان الولد بنتا لا تستحق اكثر من النصف لقوله وان كانت واحدة فلها النصف
فيعطى الابوان السدسين تمام النصف وتبقى سدس يتناوله الاب بما بنه عليه بقوله وورثه
ابواه فلامه الثلث لما جمع نصيبهما ثم افرز نصيب الام على ان الباقي للاب





وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس فالاخوة هنا مساوله للاخ والاخوات لكن
غلب الذكور وسنبين ان شاء الله تعالى ميراث الاب عند وجود الاخوة والظاهر يقتضي ان الاب يستحق
السدس اذا كانت الميت له اخوة فصاعدا فاما اذا كان اخوان فالظاهر لا يقتضي ذلك
وقال ابن عباس ان الاب لا يتناول ذلك فلم يحجب الام عن الثلث بدون البنين ولا الاخوات
بمفردات وخالفه سائر الصحابة وحجبوها باثنين من الاخوة والاخوات كما حجبوها
باكثر من ذلك وقالوا المراد بالاخوة حصول من له الاخوة دون العدد ودون الذكورية
والانوثية ولا خلاف ان الواحد لا يحجب الام وقوله من بعد وصية يوصى بها او دين قال
امير المؤمنين علي عليه السلام الوصية مقدمة في اللفظ فوخر في المعنى فان مراعاة الدين
قبل مراعاة الوصية وانما قيل او دين ولم يقل ودين لتقتضيهما محو عن ومفردين وقوله
اباؤكم وابناؤكم قيل القصد بذلك ان المنفعة بهما متعاونة فان المنفعة بالاباء في
الصغر وبالابناء في الكبر وقيل معناه تحروا ما امركم ولا يعتبروا نفع الولد والوالد فان
ذلك كحلف عند اعتياد الاحلاف وقيل معناه لا يدري احدكم اهو اقرب وفاء فينفع
ولده بماله ام الولد اقرب وفاء فينفع الوالد ان بماله والى هذا المعنى اشار الشاعر
ما علم ذي ولد اثكله ام الولد التم وهذا الذكر في الاية كالاستطراد والقصد
به ان يحرى في ماله الوجه الذي جعل له الحال فلا تمنع ذاجر من حقه شفقته على
ورثته ولا يضعه في غير حقه تعاديا من استقلال ماله الى ورثته بل يجب ان يحرى القصد
في ذلك فليس يدري عواقب الامور وجملة ذلك ان في الاية حثا على تفويض الامر الى الله
والرضا بحكمه وقوله فريضة من الله اسم موضوع موضع المصدر نحو قوله كتاب
الله عليكم ومعناه قسمة مقدرة وقيل معناه حتما لازما وكلا المعنيين تقتضيه لفظ
الفريضة **قوله تعالى** ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن الاية الكلالة اسم لمن عدا الولد والوالد وقال ابن عباس اسم لمن عدا الولد
وورث الاخوة مع الاب واليه ذهب كان ان عمر ثم رجع عنه ويدل ان الاب ليس بكلالة
قول الشاعر وان ابا المرء احمى له ومولى الكلالة لا يغضب وروى ان النبي ﷺ سئل عن
ذلك فقال من مات وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة وقال بعضهم الكلالة من لا ولد له ولا والد
فجعله اسم الميت وكلا القولين صحيح فان الكلالة مصدر وهو اسم للمعنى الذي يحمهما فسمي به الوارث
تارة والموروث تارة ويسمتهما بذلك اما لان النسب قد حف به من طرفيه او لانه كل عن الوصول
به وذلك ان الانتساب ضربان احدهما بالعين كنسبة الاب والابن والثاني بالعرض كنسبة الاخ

والعم وقال قطرب الكلالة من عدا الابوين والاخ ليس بشئ وقال بعضهم هو اسم لكل وارث
لقول الشاعر وللكلالة ما تسيم ولم يقصد الشاعر ما ظنه هذا القائل فانه انما حص
الكلالة ليزهد الانسان في جمع المال لان تخليف المال لهم اشد من تركه الاولاد واذا
قرئ يورث فكلالة مفعول واذا قرئ يورث فحال للميت فرض الله تعالى للزوج النصف
اذا لم يكن للميته ولد ودخل بها اولم يدخل وجعل له الربع اذا كان لها ولد سواء كان منه او
من غيره وفرض الربع للزوجات اذا لم يكن للميت ولد او لم اذا كان له ولد واجمعوا ان
ولد الابن يقوم مقام ولد الصلب في حجب الزوج الاحكاية عن بعض المتقدمين واجمعوا
ان للزوجة الواحدة اذا انفردت ما للزوجات اذا اجتمعن وذهبت طايفة الى ان
من لا يرث من مملوك وقاتل يحجب الزوجين والام لان اسم الولد يتناولهم كما يحجب الاخوة الام
مع الولد وان لم يرثوا وقوله وله اخ او اخت جعل لواحدهم السدس واشتركوا بين
جماعتهم في الثلث ولم يفضل ذكرهم على انثاهم وعنى بذلك ولد الام بدليل قوله في قوله الاب
والام وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين وروى ان سعد بن مالك
قرء ولد اخ او اخت من ام وقال بعضهم لعله فسر الاخوة بذلك فظن السامع انه قراءة في القرآن
كما روى عن عمر فامضوا الى ذكر الله على معنى التفسير للسعي فظن انه قران وقوله فهم شركاء
في الثلث فذلك لغلبة المذكر وقرئ يوصى بما فاذا قرئ يوصى بالفتح فصفة الوصية
واذا قرئ بكسر الصاد احتمل ان تكون صفة للوصية وان يكون حالا كالموصى وقرأ الحسن
غير مضار وصية بالاضافة والباقون بالتنوين ونصب وصيه على المصدر او على المعمول
به والاضرار ان تقر بمال لاجنبي ربا للميت او تبيع ماله او شيئا منه محاباة او تهب
او تعتق او توصي لوارثه قصد الاضرار بغيره **قوله تعالى** تلك حدود الله الاية
سمي ذلك الحدود لان ذلك يودي بالانسان الى العصيان وبنبه بقوله ومن يطع الله ورسوله
على وجوب مراعاة ما بينه تعالى في الكتاب من احكام المواريث وما بينه صلى الله عليه وسلم من نحو
قوله لا وصية لوارث وقوله لك الثلث والثلث قال ابن عباس الضمائر في الوصية من الكبائر
ثم قرء تلك حدود الله وقد روى في ذلك عن النبي ص وقال ص ان احدكم يعمل بعمل اهل الجنة
سبعين سنة فاذا اوصى حاف في وصيته فيختم له بسوء عمله ووصف الفوز بالعظم اعتبارا
بفوز الدنيا الموصوف بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والقليل والصغير في وصفهما متقاربان
**قوله تعالى** ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الاية كما وصف في مراعاة الحدود
ثواب مراعيها وصف في تضييعها عقاب متعديها واطلق القول فيهما ليكون عاما في ذلك





وفي عنف من الحدود التي بينها وذكر في العذاب الهوان كما ذكر في غير الحرى لما عرف من عاده
كثير من الناس ان تقل مبالاتهم بالشدايد ما لم يضامها الهوان حتى قالوا الميتة ولا الدنية
والنار ولا العار فبين انه يجمع لهم الامران **قوله تعالى** واللاتي يأتين الفاحشة
الاية فايدة الاضافة في قوله من نسائكم بيانه على الحرائر وقيل بنسبة على المحصنات دون
الابكار وقيل على الموجودات ابكارا كن او ثيبات قال ابن عباس في هذه الاية وفي قوله واللذان
يأتيانها منكم ان الرجال كانوا يوذيان بالتعيير والتعزير والمراة كانت تحبس في البيت الى
ان انزل الله قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مايه جلدة الاية وقيل المراد بالاية
البكران وقوله او يجعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مايه وتغريب عام والثيب بالثيب جلد
مايه والرجم وهذا مما استدل به من ادعى جواز نسخ القران بالسنة ومن انكر ذلك فله من ذلك
اجوبة احدها ان هذا كان حكما مقيدا بوقت لقوله او يجعل الله لهن سبيلا وتقديره امسكوهن
الى ان يبين لكم حكمهن فصار ذلك بالكتاب معلوما وانما حط السنة فيه بيان قدر الذي
وقته الكتاب مجملا والثاني ان الاذى كان في الابكار اللاتي لم يتزوجن والحبس في المزوجات
منهن قبل الدخول بدلالة قوله من نسائكم ثم نسخ حكم الحبس والاذى في الابكار باية الجلد واما الرجم
فقد اخذ حكمه من السنة وهذا قال على عليه السلام حد جلد محصنا ورجمه فسئل عن ذلك فقال
اجلد بكتاب الله وارجمه بسنة رسوله ص فدل انه لم يعلم من سنته التي نسخ الاية الثالث ان حكم
النسخ وقع بقرآن قد رفع تلاوته وبقي حكمه وهو ما روى عن عمر رضه كان مما يقرأ في القران نسخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فهذه اقوال عامة المفسرين واما ابن
كرفانة قال المراد بقوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم وبقوله واللذان يأتيانها منكم ما تعاطى
الرجال بعضهم من بعض والنساء بعضهم مع بعض وبقوله الزانية والزاني ما تعاطى الرجل مع المراة قال
ولا نسخ في ذلك قال ويدل على ذلك ان اللاتي يأتين متضمنة للاناث فقط واللذان يتضمن المذكرين قال
ولا يصح ان يقال ان المذكر والمونث اذا اجتمعا غلب المذكر لان ذلك انما يكون حيث يقدم لهما
ذكر نحو قوله ان المسلمين والمسلمات قال وقد روى عنه ص مباشرة الرجل الرجل زنى ومباشرة المراة
المراة زنى وهذا الذي قاله وان ساعده اللفظ فبعدول عن سنن السلف **قوله تعالى**
واللذان يأتيانها منكم فاذوهما الاية وذكر بعضهم في الاية المتقدمة وقال مجاهد هما الرجلان
الزانيان يعني المتعاطيان من اللواطة عبر عنهما بالفاحشة وقد روى عن النبي ص ان اللواطة الزنى
الصغير وظاهر قوله فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما تقتضي ان التوبة تسقط الحبس والاذى عن
الزانين وقد قيل الاعراض عنهما هو ترك الشتم المذكور في قوله ص اذا زنت امة احدكم فتبين الحبل

قوله فلينبعها ولو بصفير ولا يشرب عليها قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السيآت الاية يعني ان قبول التوبة قد اخذ الله على نفسه تفضلا من رتب من قريب اذا يبدو منه سوء وقوله بجهالة فيه اقوال الاول بالنية سهوا من عبر قصد الى الفاحشة الثاني عن جهل بكونه ذنبا الثالث ان يعلمه لكن لا يعلم كونه كبيرة ولا قدر عقوبته الرابع ان يعلمه ويعلم عقوبته لكن يتبع شهوته ومرتكب الذنب وان كان يعلم كونه ذنبا يقال له جاهل ومن هذا الوجه قال مجاهد الجهالة العمد وقول من قال الجهالة المعصية فعلى هذا لان كل معصية جهالة وان لم يكن كل جهالة معصية وقوله من قريب اي قبل الموت بدلالة قوله ص ان الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قيل يا رسول الله وما وقوع الحجاب قال موت الغرغرة وروى من باب قبل موته بساعة تاب الله عليه وسمي مدة قريبا لقوله قل متاع الدنيا قليل والقريب القليل في نحو ذلك سقاربان وقال بعضهم بنى بقوله ثم يتوبون من قريب على لطيفة وهي ان الانسان اذا ارتكب ذنبا صدى قلبه وان اقلع زال صداه وان استمر رين على قلبه وان لم ينزع طبع عليه واقفل ثم سعز عليه الرجوع وعلى ذلك بنى بقوله في قصة المنافقين انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين فاذا كان كذلك فحق لمن بدرت منه بادرة ان يتداركها قبل ان تصير السهوة مستولية عليه فنافى الطباع على الناقل قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما قيل اصله اعددنا فابدل من احد الدالين تاء وقيل هو افتعلنا من العتاد اي العدة وهو ما يعد لشيء قبل الحاجة اليه والله تعالى منزه عن الاعداد وانما القصد انه لا يعجزه عذابهم حيث شاء والسيات ههنا عبارة عن الشرك والكفر وحضور الموت معاينة ملك الموت من تعالى ان التوبة تفوت اذا اخرت الى ذلك ولذلك لم ينفع ايمان من آمن عند رؤية العذاب حيث قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقال يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت الاية وقوله حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي اعمل صالحا الاية وجعل الناس قسمين مقتصرين في العمل غير تاركين للايمان وهم الذين عناهم الله بقوله الذين يعملون السوء بجهالة وتاركين للعمل والايمان وهم المعنيون بقوله وهم كفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها الاية العضل التضييق عليها بالمنع من الزواج وعضل الرجل امرأته حملها او البغاء بها ودا عضال منه ومعنى قوله ان ترثوا النساء كرها ما روي ان الرجل اذا مات في الجاهلية ورث امرأته ورثته اخا كان او ابنا من غيرها فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها واخذ مهرها وقوله كرها وقرئ كرها قال الفراء اكره عليه الانسان فكره وما كان من قبل نفسه فكره وقوله ولا تعضلوهن قيل هو نصب معطوف على قوله ان ترثوا وذكر ان في قراءة عبد الله

ولا

ولا ان تعضلوهن وقيل هو جزم على النهي قال ابن عباس وقتادة المنهي عنه العضل للزوج اذا لم يجئ الى المرأة فيمسكها وعبثه في مالها وقيل بل الوارث المانع لها من الزوج على سنة الجاهلية وقيل بل الاول وكل هؤلاء منهيون في الشرع عن العضل فصح ان يكون خطابا لجماعتهم والفاحشة المذكورة ههنا قال الحسن هي الزنا وللزوج اخذ الفدية اذا اطلع منها على ذلك وقال ابن عباس هي نشوزها وقد تقدم الكلام في الخلع وجواز اخذ الفدية عن البضع وقال الرسي الاستدامة من العضل وكان للزوج منعها على ما امر به تعالى في قوله فامسكوهن في البيوت وذلك قبل نزول الحدود وقوله وعاشروهن بالمعروف اي حسب ما تعرفه العقل والشرع وقيل هو النصفة والنفقة والاجمال في القول وفي قوله فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا الاية اي رب شيء تكرهه ويكون في ذلك خير تنبيها على امرين احدهما ان لا يحب للانسان ان تتبع الهوى بل يفعل ما يعضده العقل في الشرع والثاني الحث على كراهية الطلاق المدلول عليه بقوله ص ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق وروى عنه ص تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين والذواقات وقال بعضهم ذلك منسوخ انه ربما كانت الكراهة لغرض المصلحة قال وذلك حث على معاودتها حيث عدم موافقتها وان كانت النفس تكره ذلك وعلى هذا بنى قوله تعالى وان سفرقا يغن الله كلا من سعته قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج الاية البهتان الكذب الذي سمت سامعه لعظاعته ويستعمل في الفعل استعمال الصدق والكذب ولذلك قال ابن عباس لتهتانا ظلما كبيرا وانما سمي ذلك ظاهرا لان الله تعالى بين انه لا يحل لكم الرجوع فيما اعطيتموهن طلقتموهن او امسكتموهن وخص حال الاستبدال ليدخل فيه الحالة الاخرى وذلك توكيد لقوله ولا تعضلوهن وقد استثنى من ذلك المطلقات قبل الدخول لهن لقوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون واستثنى منه ايضا حال الامتداد المذكور في قوله ولا جناح عليكم فيما افدت به الاية منسوخة بقوله الا ان يخافا الا ان يخاف الصحيح انها ليست منسوخة وقد تقدم ذلك في سورة البقرة وروي ان رجلا كان عليه لامرأته من صداقها الف دينار فوضعتها له فطلقها وتزوج غيرها فاربعا الى عبد الملك فقال رد عليها فقال ابن الله يقول فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه فقال اقرأ الاية الاخرى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية قوله تعالى وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض الاية يقال افضى الى فلان اي وصل الى فضاء منه اي سعة غير محظور فمن الفقها من جعل ذلك عبارة عن الخلوة حصل معها المسيس او لم يحصل ومنهم من جعله كناية عن المسيس وبه ذهب ابن عباس ومجاهد والسدي في ان المهر يأتي ذلك المعنى وقد بلغوه منهن فلا حق لكم اذا عليهن والميثاق الغليظ قيل هو ما قال ص اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال مجاهد الميثاق كلمة النكاح وقال الحسن هو قول

امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هو قول الذين من قبلها وكل ذلك يصح ارادته بالميثاق

**قوله تعالى** ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الآية اختلفوا في النكاح ههنا فحمله اصحاب ابي حنيفة على الجماع وقال هو حقيقة فيه فحرموا كل امراة باضعها الاب حلالا او حراما على الابن وحمله الشافعي على العقد وقال هو حقيقة فيه ولم يحرم من النسا على الابن الا ما تزوج بها ابوه دون من زنى بها والصحيح انه للعقد لان اسما الجماع والفرج والغائط في لسانهم كنايات وذلك انهم لما عنوا باخفا هذه الاشيا اخفوا ايضا اسماوها فعدلوا عن التصريح الى الكنايات حتى انهم متى عرف فيما بينهم كناية في شي من ذلك عدلوا الى كناية اخرى ومن تتبع كلامهم عرف ما قلته فكيف يستعيرون لفظ الجماع لما هو احسن عندهم منه ثم لا خلاف ان العقد فيه مراد ولا خلاف ايضا ان الوطي بملك اليمين يجري مجرى العقد في العقد بها وقوله ما نكح اباؤكم قيل هو في موضع المفعول فوضع ما الذي هو للجنس موضع من الذي هو للنوع وقيل معناه لا تنكحوا كنكاح اباؤكم فما في موضع المصدر وقوله الا ما قد سلف قال بعضهم معناه بعد ما قد سلف كقولك لا ابتغي من متاعي الا ما قد بعت وقول الشاعر يحاول الا الان ما كان قد مضى على كأثواب الحرام المهيم وقيل هو بمعنى لكن على الاستئناف كانه قيل لكن ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وقال بعضهم تقديره ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا الا ما قد سلف اي ما قد سلف ليس بفاحشة وهذا لا يصح من اجل اللفظ فان ما يتصل بما بعد ان لا يتقدم عليه لا تقول عمروًا ان زيدا يضرب وتعني ان زيدا يضرب عمروا وتحقيق هذا الاستثنا ان قوله لا تنكحوا دل على انه محرم وتعاطي المحرم يقتضي العقوبة فكانه قيل تستحقون العقوبة بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف فان ذلك متجافى عن عقوبته عنكم ولا يجوز ان يكون معناه متجافى عن الاقرار عليه فانه مجمع ان لا انقادوا عليه احدا الا حكاية عمن لا يعتد به وقوله انه كان فاحشة قيل معناه نكاحهن بعد النهي فاحشة وكان زايدة وقيل عنى انه كان فاحشة وقيل نبه بها ان ذلك لم يكن من الاشيا التي وردها الشرع ثم نسخ كثير من الاحكام بل كان ذلك من المستشنع الممقوت ولذلك كان يسمى ولد الرجل من امراة ابيه المقتي وقوله انه اي ان ذلك النكاح ودل عليه بذكر الفعل كما دل على السفه بلفظ السفيه في قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه

**قوله تعالى** حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم الآية قال ابن عباس حرم الله اربع عشرة امراة سبعة من جهة النسب وسبعا من جهة السبب فالمحرمات من جهة النسب الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت ومن جهة السبب امهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم وحلايل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين

وقد



وقد قال قبل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم فقوله امهاتكم تناولهن والجدات وان علون وكذا البنات يتناولهن وبنات الاولاد وان سفلن وكذلك الاخوات تتناول التي للاب والتي للام والتي لهما وكذلك بنات الاخ وبنات الاخت تتناول بناتهما على ذلك الحد سائهما وان سفلن وخص تحريم العمات والخالات دون اولادهن وجاز ان يكون بنات الاخ وبنات الاخت مفردين لان الاخ والاخت يتناول كل واحد منهما وكان لفظ الواحد ههنا اخص لاضافة الجمع اليهما وانما قال امهاتكم اللاتي ارضعنكم تنبيها على ما كان يحرم الرضاع انها يجري مجرى النسب ولان في ذكر امهاتكم اللاتي تنبيها ان ليس كل رضاع يحرم اشارة الى ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم الاملاجة والاملاجتان وقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن لا خلاف انه صفة لربائبكم وانه لا يحرم التزوج بهن الا بالدخول بامهاتهن واختلف هل يرجع الى قوله وامهات نسائكم مع كونه شرطا في الربائب فروي عن امير المومنين علي عليه السلام انه يرجع اليهما وان من طلق امراته قبل الدخول بها فله ان يتزوج بامها وقال عمر وابنه وابن مسعود ليس يرجع الا الى الربائب وذكروا ان ام المراة تحرم بنفس العقد واكد ذلك بما روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة فدخل بها او لم يدخل بها فلا يحل له نكاح امها وحكي عن زيد انه فصل بين ان يطلقها قبل الدخول او يموت عنه ولم يحرم بالطلاق وحرم بالموت واجرى الموت مجرى الدخول كما جعل الفقهاء في استقرار المهر وذهب عامة الفقها الى ان لا فرق في تحريم ربيبتك في حجرك كانت او لم تكن الا ما حكي اسمعيل بن اسحق ان امراتي توفيت فلقيت عليا عليه السلام فقال الها ابنة فقلت نعم وهي بالطائف فقال اكانت في حجرك فقلت لا فقال انكحها فقلت فان قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم فقال انما ذلك اذا كان في حجرك وما قاله فهو ظاهر الآية واختلف في قوله اللاتي دخلتم بهن هل يقتضي الزنا فمنهم من قال يتناوله وعليه تأول ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ومن قال لا يتناوله وقد يعم ذلك وقوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم انما خص ذلك ليخرج منه المتبنى وذلك في معنى قوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها الآية والحلائل ههنا كالازواج ثم وفي قوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف تنبيه انه لا يصح العقد عليهما معا في الاسلام ومتى فعل فعقدهما باطل ومتى عقد على احدهما فعقد الثانية باطل وعند ابي حنيفة لا يجوز التزوج باحدى الاختين اذا كانت الاخرى منه في عدة ولا يجوز وطيهما بملك اليمين عند عامة الفقها ومتى وطي احديهما لا يكون وطي الاخرى الا باخراج الاولى من ملكه وقال امير المومنين احلتهما آية وحرمتهما آية اي عموم قوله او ما ملكت ايمانكم يقتضي تحليلهما وعموم قوله وان تجمعوا بين الاختين يقتضي تحريمهما قال واما انا فاحرم ذلك وروي عن ابن عباس انه اجاز ذلك وقوله الا ما قد سلف يراد به ما

يراد بقوله ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف **قوله تعالى** والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم
الايه اصل الاحصان والحصن من الحصن ومنه درع حصينه لكونها حصنا للبدن وكذلك
فرس حصان وبهذا النظر قال الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى والحصان في
الجمله المحصنه اى الممنوعة اما بعفتها او بزوجها او بمانع من شرفها او حريتها ولما كان الحصن
في اكثر المواضع يصح ان يكون من جهة الانسان لنفسه وان يكون من جهة غيره صح ان يقال محصن
ومحصن وهذا الموضع لما كان المقصود به التزوج قرى المحصنات لا غير اذ كان سبب احصانها
الزوج والسفاح الزنا وسمى بذلك لكون ذلك الما مضيعا اذ وضع في غير الموضع الذى يجب ان يوضع
فيه وقوله والمحصنات من النسا منهم من اجرى على العموم وقال حدوث الملك في الامه يفرق
بين الامه وزوجها وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وروى في ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بيع الامة
طلاقها ومنهم من حصر ذلك في المشركات وجعل قوله الا ما ملكت ايمانكم استثنا منها وقال
كل امراه سبيت فقد حلت لسابيها واستدل في ذلك بما روى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم
بعث جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لها ازواج من المشركين فتحرجوا من غشيانهن فانزل الله
والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم وظاهر ذلك يقتضى ان الزوجين اذا سبيا معا او متفرقين
ان النكاح يبطل كما قال مالك بخلاف ما قال ابو حنيفه حيث قال اذا سبيا معا لا يبطل النكاح
وظاهر الايه يقتضى انه يصح وطيها على كل حال وانما علم وجوب استبرائها بالسنه وقال طاوس وابن
المسيب القصد بالايه نهى عن الزنا والمحصنات محرمة على كل واحد منكم الا امراته المعقود عليها
بالنكاح او ملك اليمين فهذا معنى الا ما ملكت ايمانكم ويكون هذا امرا بما مدح به في قوله والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقوله كتاب الله عليكم قيل هو مصدر موكد من
غير لفظ الاول وقيل هو اغرا وحث والعامل فيه فعل مضمر وقال الكوفيون هو اغرا والعامل فيه
عليكم كانه قيل عليكم كتاب الله وعلى ذلك حملوا قوله يا ايها المايح دلوى دونكا انى رايت الناس يحمدونكا
وقوله واحل لكم ما ورا ذلكم قال السدى ما ورا المذكورات وقال عطا ما ورا ذات المحارم قيل والصحيح
ان المراد ما ورا كل ما حرم الله كتابا وسنه واختلف هل في قوله ما ورا ذلكم نسخ فقال بعضهم نسخ منه
بعضه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها لا الصغرى على الكبرى ولا الكبرى على
الصغرى وقال بعضهم لا نسخ فيه وانما ذلك تخصيص للايه قيل ولانه لما حرم الجمع بين الاختين للنسب
الذى بينهما نبه على تحريم ذلك لان احدهما لو كانت ذكرا لم تحل له الاخرى من قبل النسب ولا ينتقض
ذلك بان يجمع الرجل بين المراه وبين ابنة زوجها الاول وان كانت احدهما لو كانت ذكرا لم تحل له
الاخرى لان ذلك التحريم ليس من جهة النسب وقوله ان تبتغوا باموالكم يقتضى ان لا بد من المهر مسمى

او



اولم يسم في العقد واستدل اصحاب ابى حنيفه في ان لا يصح ان يجعل مهرا الا ما وقع عليه
اسم المال وعلى ذلك قوله واتوا النسا صدقاتهن نحله وقوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن
كنايه عن الدخول واصله الانتفاع به وقوله فاتوهن اجورهن اى مهورهن وروى عن ابن عباس
انه حمل ذلك على متعه النسا وروى عنه انه قال انزل فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وقال
قتادة كذلك هو في قراه ابى وحمل ذلك عامه الصحابة على النكاح وقد ورد في تحريم المتعه اخبار
كثيره ذكرها الفقها في كتبهم ونبه بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضه ان لا
جناح في وضع بعض التسميه واعطايه اياها والزياده فيه **قوله تعالى** ومن لم
يستطع منكم طولا الايه الطول سعة في العطيه وهو اخص من النيل فان النيل يقال في
القليل والكثير والطول لا يقال الا فيما يزيد على غيره كالطول في انه يقال اعتبارا بغيره
وقال ابن عباس وعامه الصحابه هو الغنى وذلك ان يجد من المال ما يجعله صداق حره واليه ذهب
الثورى والشافعى وقوى ذلك بما رواه جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجد ما يتزوج به حره فلا ينكح امة
وقال ابو حنيفه هو ان يكون تحته حره وقال بعض الصحابه هو ان يجد في قلبه غنى عنها بان
لا يهواها وحكى عن مالك لا باس ان يتزوج الحرة على الامة والامه على الحرة واصل العنت الشدة
نحو الجهد لكن العنت الم من الفساد لانه هو المودى الى الهلاك وقال تعالى ولو شا الله
لاعنتكم ومنه قيل اكمة عنوت وقد فسر بالزنا تفسير عموم بخصوص اذ هو المقصود منه وهو
المودى الى هلاك الاخره ولما بين الله تعالى المحرمات واحل ما ورا ذلك بشروط ذكرها عقب
ذلك بمن لا يستطيع مهر الحراير ونفقتهن فاباح لهم تزوج الامة اذ هى اخف مهرا ونفقه
وشرط في جواز التزوج لها شرطين عدم الطول وخوف العنت وفصل بين بعض هذا الحكم وبعضه
بفصلين احدهما قوله والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض والثانى حكم الامه كيف ينبغى ان يكون صفتها
حتى يجوز التزوج بها ومثل هذا الاعتراض يسمى في البلاغه الالتفات وقوله ان ينكح المحصنات
المومنات فمنهم من جعل الايمان شرطا وقال لا يجوز للرجل ان يتزوج بالامة وان وجد طول
الامة الحرة وقوى بقوله ولامة مومنه خير من مشركه ومنهم من قال ذكر المومنات على طريق
الفضل ولا يجوز التزوج بالامه مع طول الذميه قال لان العله التى لاجلها منع من التزوج
بالامة تعريض الولد للاسترقاق وذلك معدوم في الكتابيات الحراير فيجب ان يكون التزوج بها
اولى من الامه وقوله فمما ملكت ايمانكم قال الاصم اجمعوا انه اريد به التزوج وشرط الايمان في
الامة وقال الحسن ومجاهد والثورى وابو حنيفه هو على الاستحباب واجازوا التزوج بالامة
الكتابيه وقال مالك والشافعى والاوزاعى لا يجوز نكاح الامة الكتابية المومنه لان ما ابيح بشرط

ولا يحون ذلك على عمر ذلك الشرط سيما اذا كان الشروط بيانا للحكم وقوله والله اعلم بما يكم بنسه
على ان الاعتماد بالمواصلات في الاحكام الدنيوية بظاهر الايمان لا بحقائقه فان الله
تولى السرائر وقوله لبعضكم من بعض بنسه على امور منها معنى ما قال تعالى والله جعل لكم من
انفسكم ازواجا ومنها ما دل عليه السبب بقوله مولى القوم ومنها الهم كانوا يعيّرون
بالهجنة فاراد ان يزيل هذا الاعتقاد عنهم وقوله فانكحوهن باذن اهلهن اى اربابهن
وذلك يقتضي ان لا يصح تزويج الامة الا باذن اهلها وتقوى ذلك قوله ص اذا تزوج العبد
بغير اذن سيده فهو عاص وقال عطاء اذنه على الاستحباب لا على الوجوب وقوله تعالى
واتوهن اجورهن قيل تقديره باذن اهلهن لكن حذف كقوله والحافظين فروجهم والحافظات
وقال بعضهم اجورهن ونفقاتهن والاول هو الوجه لان النفقة تسقط بالتمكين لا بالعقد
وقال مالك تستحق الامة المهر واستدل بهذه الاية على ان الرضى بملك وقوله بالمعروف
اى على ما عرف من حكم الشرع وقيل على سبيل الهبة فان المعروف يعبّر عن العطية وذلك
كقوله نحله وقوله محصنات غير مسافحات امر بان يكون وطيها لازما ولا على سبيل التخادن
واشتراط الامرين ان قوما كانوا يبيحون اتخاذ الخادنة خدنا وقرئ الحسن بحصنات وقال
بعضها عفائف ولم يجز نكاح الامة الزانية التي اقيم عليها الحد وقوله فاذا احصن اى زوجن
وقرئ أحصن اى تزوجن وقيل اسلمن والاول اصح وعلى التفسير الثاني يقتضي ان الامة اذا
زنت وان لم يكن مزوجة تحد بخمسين الاية وان الكتابية لا تحصن وان كانت مزوجة وقوله ذلك
لمن خشي العنت منكم تقدم الله سبحانه بما قبله وقوله وان تصبروا خير لكم ابانة ان الاختيار
تزوج الامة راسا ليلا يكون ولده رقيقا لغيره وبنى بقوله والله غفور رحيم ان هذا
وان كان مكروها فقد غفر لكم ورحمكم في اباحته فالاول هو بنى العادة والثاني وهو قوله
تصبروا خير لكم حث على مكرمة كقوله ص اياكم وخضراء الدمن وكثيرا ما يجمع تعالى بين الحكم
المرموز بالفصل ليكون قد ادب عباده بالامر **قوله تعالى** يريد الله ليبين لكم الاية
السنن جمع السنة اى الطريقة المستقيمة واصلها من سن الماء عنه استعير من السيف
لما كان يشبه عند صقله بالماء واستعير منه سن الفرس كما يقال صقل الفرس واللام في
قوله ليبين فيه قولان قال الفراء اردت ان تكون كرا واردت ليكون وامرت لاكون اول
المسلمين وامرت ان اعدل قال ويعزى هذان القولان بالام تارة لكي نهما طالبتان للفعل
المستقبل وقال بعضهم بل الفعل محذوف واللام للعلة على تقدير يريد الله ما يريد لان سن وقوله
سنن الذين من قبلكم منهم من خص وقال اراد ان يحرم علينا ما حرم عليهم بالنسب والرضاع والمصاهرة

ويقبل

وقيل عنى به ما ذكره في قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم ومنهم من اخره اتم من ذلك
فقال ان الله تعالى شرع لكل امة عبادة ومكارم ولم يكلف حكم اصولها وان اختلفت فروعها
وعلى ذلك قال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فمن اراد ان يكون هذه الامة
خارجة مجرى هؤلاء ذلك وقيل عنى انه سن لكم طرق من قبلكم الى الجنة وهو المسؤل
في قوله تعالى والحقني بالصالحين ومن انه اراد به ذلك لعلمه وحكمته **قوله تعالى**
والله يريد ان يتوب عليكم الاية الميل وان كان عاما في الميل الى الخير والشر فالمقصود
به ههنا الجور عن قصد السبيل ولما كان جمع عبادة الله بالعقول المحمودين جعل
العقل وقمع الشهوة وكل امر ونهي فذريعة اليهما صار اتباع الشهوة سبب كل مذمة
فلذلك عبر بتتبيع الشهوات عن الفاسق والكافر وعلى هذا قوله اضاعوا الصلوة واتبعوا
الشهوات فان قيل وليس اتباع الشهوات مذموما في كل حال بل منها ما هو محمود قيل قد
قال بعض المتكلمين وبعض المفسرين عنى بذلك بعض الشهوات وقال بعضهم عنى من يتبع
الشهوات كلها والصحيح ان اتباع الشهوة في كل حال مذموم لان ذلك هو الايتمار لها
من حيث ما دعت وما يتبع من يعاطي ذلك فليس حوان يعاطيه من حيث دعت الشهوة اليه
بل من حيث يتبع العقل او الشرع فذلك هو اتباع لهما ويؤكد ذلك قوله ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل عبّد الشهوة اذل
من عبد الرق ان قيل كيف ادخل اللام في قوله يريد الله ليبين لكم ولم يدخله في قوله والله
يريد ان يتوب عليكم وكيف اعاد ذكر ارادته التوبة ولم قال والله يريد فقدم ذكر
المخبر عنه ثم قال ويريد الذين يتبعون الشهوات فاخر المخبر عنه قيل اما ادخال
اللام في الاول فلانه عنى انه يريد ما يريد لاجل التوبة عليهم واراد بقوله ان يتوب انه
كما اراد ما هو سبب التوبة عليهم فقد اراد التوبة عليهم اذ قد يصح اراده سبب الفعل دون
الفعل نفسه ففي هذا ظهور فائدة اللام وحسن اعادته واما عدم اعادته ايضا كقوله ويريد
الذين يتبعون الشهوات ليبين ان اراده الله لكم مضادة لما يريدونه واما اخر المخبر عنه
في قوله ويريد الذين يحوز انه جعل الواو للحال لا العطف بنبسها انه يريد التوبة عليكم
في حال ما يريدون ان تميلوا فخالف بين الاخبارين ليبين ان الثاني ليس على العطف ويخصص
الميل العظيم هو ان الانسان قد يترك تحري الخيرات من الايمان والاعمال الصالحة اما لعارض
شغل واما لكسل واما لضلالة وهو ان ينتبه الى اعتقاد باطل فينشغل عليه واما لفسق وهو

ان تكون مع الاعتماد بسنان تعالى الشر ومن تركه للبخل فهو اسهل معالجه ممن تركه للكسل
ومن تركه للكسل فهو اسهل ممن تركه للضلال وكذا ما بعده وكانه قال افهم اراد وا ان يجوروا
جورا عظيما ليكونوا ابعد من الرشاد وا لاشارة بالمعنى الى قوله تعالى ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء وعلى ذلك قوله ويريدون ان تضلوا السبيل وان قيل فلا حص الميل لئلا يزيل
الاشكال اذ الميل تارة الى الحق وتارة الى الباطل قيل لما كانت العداله وسطا وكان اطرافها
كلها جورا ولذلك سميت وسطا وسواء وعدلا وصراطا مستقيما بنه باطلاق لفظ الميل
ان الكفار يريدون منكم الميل عن العداله على اى وجه كان افراطا كان او تفريطا اذ كل ذلك
ضلال وهذا وصى الله تعالى بقوله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
ففرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به **قوله تعالى** يريد الله ان يخفف عنكم الاية قوله
يريد الله فى موضع الحال كانه قال والله يريد ان يتوب عليكم مريدا ان يخفف عنكم وفى الاية
اقوال الاول قول من خصصها وحملها على ما تقدم وقال غنى انه اباح نكاح الامة تخفيفا عنكم
فالانسان ضعيف فى حيرته عن امساك نفسه عن مشتهاه الثانى انه خفف عنكم بكلف النظر
وازال الحيرة فيما تبين لكم مما كون من النكاح الثالث انه قصد به ما قال صلى الله عليه جئتكم بالحنيفيه
السمحة وما ذكره فى قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم الرابع انه بين لكم مقصودكم وما دعيتم اليه من الثواب
العظيم لتعرفوه فيخف عليكم الصبر فى حربه فالانسان لا يمكنه الصبر فيما لا يعرف ثمرة الصبر
ولهذا قال وكيف تصبر على ما لم تحط به علما الخامس يريد الله ان يخفف عنكم بما حملكم من التعب فان
كل تعب يفضى الى راحة عظيمة فذلك فى الحقيقه راحه ولهذا قيل الرجل تحمل تعبا عظيما فى عبادة
الاثرخ نفسك فيقال راحتها اريد السادس انه لم يعزم لتخفيف ما استحقه الطبع ومال اليه النفس
وانما عنى ما تحمل به تحمل ما يبلغنا الى نوايه وعلى نحو هذه الاية قوله تريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وقوله ما جعل عليكم فى الدين من حرج ووصف الانسان بانه مخلوق ضعيفا انه هو باعتباره
بالملاء الاعلى نحو أأنتم اشد خلقا ام السما او باعتباره بنفسه دون ما تقويه من فيض الله ومعونته او
اعتبار الكثره حاجاته وافتقاره بعضهم الى بعض او اعتبار اجبراه ومشتهاه كما قال تعالى الله الذى
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوه ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فاما اذا اعتبر بعقله
وما اعطاه الله من القوة التى يتمكن بها من خلافه الله فى ارضه ويتبلغ بها الى الاخرة الى جوار تعالى
فهو اقوى ما فى هذا العالم ولهذا قال تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية روى انه لما نزلت هذه الاية امسك بعضهم عن
ان ياكل عند غيره حتى نزل قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم الى آخر الاية ولم يكن نسخا

لكن



لكن تبيينا وقوله بالباطل اشاره الى الوجوه التى حظر تناول المال منها ووضعه فيها واستثنى
التجاره بنبيها على اباحة الكسب اذا كان من وجهه فمن نظر نظرا فقهيا قال ظاهرها يقتضى ان
لا يجوز تناول الغير منها كالصلوة والزكوة والميراث وغير ذلك وقال بعضهم لم يعن بالتجاره المبايعه
فقط بل عنى كل معامله مباحه من قرض وفرض كما قال لم لا تاكل مال امرى مسلم الا بطيب نفس منه قام
من عنى بذلك المنع من وضع المال والنفقه فى غير الوجه المباح وقال عنى بالتجاره الوجه المباحة
الى تحل صرف المال اليها واما من نظر نظرا ادق من ذلك فانه جعل اكل المال بالباطل بنا وله
من حيث لا تسوغه العقل ولا يجوز الشرع من استنزال الناس عما فى ايديهم بالخدع والمساعدتهم
على الباطل طعما فى نفع وجعل من ذلك ايضا وضعه حيث لا يجوز وانفاقه رياء كما قال تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رياء الناس وجعل هذه التجاره هى التجاره
المذكوره بقوله تعالى هل ادلكم على تجاره تنجيكم من عذاب اليم الاية وفى قوله ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه الاية وشرط فيها التراضى بنفسها انه يحمد ذلك
متى انفق الانسان فى سبيل الله من طيب نفس على الوجه الذى ينبغى وبمقدار ما ينبغى حسب
ما بينه الله تعالى ودل على رضاه فى صرفه اليه وقوله ولا تقتلوا انفسكم نظر اليه بنظرا
محلفه فنفسر بحسبها الاول لا تقتل بعضكم بعضا قال والنهى لا يصح الا على هذا فان
الانسان مضطر الى ان لا تقتل نفسه ما لم يعرض له شبهه كشبهه اهل الخندق فى قتلهم
انفسهم قال واستعار لفظ الخطاب فى قوله انفسكم بنبها انه يجب ان يكون نفس كل واحد
منكم عند صاحبه كنفسه قال وعلى ذلك بنه بقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده قال
وعلى هذا قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الثانى من حمل الخطاب على ذلك لكن خصص وقال
لا ياكل بعضكم مال بعض الذى به قوامه فيكون فيه قتله الثالث لا تقتل بعضكم بعضا فتقص منه
فيكون كمن قتل نفسه الرابع لا تقتلوا انفسكم بفجور وغضب الخامس لا تركبوا ما تودى بكم الى القتل
فتكونوا قد قتلتم انفسكم وهذا كالرابع الا انه اخص منه السادس قول من نظر نظرا اسرف
فعال لا تفعلوا ما تودى بكم الى هلاك الابد فتكونوا قد قتلتم انفسكم وذلك بتصريف النفس
فى غير ما خلقت له ومن الناس من العلم والعمل الصالح المدلول عليه بقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وذلك سمى من صرف نفسه فى غير ذلك خاسرا حيث قال ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم الاية قال وقتل النفس فى الحقيقه تنقيصها فى الدنيا
وباعتبار الدنيا والاخره اعم الانسان تارة بقتل نفسه الى قمعها وتذليلها وتارة عن قتلها
ومثل هذه الاية قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ويجرى مجراها فى احتمال

المضطرين قوله وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **قوله تعالى** ومن يفعل
ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا العدوان تجاوز العدالة
بافراط وذلك ان العدل هو الوسط الذي تجاوزه الافراط والتقصير عنه جميعا فمن حاد عنه بقليل
جان ومن بالغ في الجود قيل طغى ومن تخطاه بافراط قيل تعدى وقيل لجميع ذلك الظلم فالظلم اعم
الاسماء ان قيل كيف جمع بين الظلم والعدوان وقدم العدوان مع كونه اخص من الظلم وحكم العام
والخاص اذا اجتمعا ان تقدم العام على الخاص نحو قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكائيل قيل في ذلك جوابان الاول ان يكون العدوان اشارة الى الظلم الذي يتجاوز الانسان
الى غيره وعنى بالظلم ظلم النفس المعني في قوله ظلموا انفسهم وهو الاثم المذكور في قوله تعالى ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان فبين ان من جمع بين الامرين فقد ظلم نفسه وظلم غيره فهو مستوجب
للنار وعلى هذا يكون المعنى بالظلم غير المعنى بالعدوان الثاني انه قدم العدوان الذي هو اخص
من الظلم تنبيها ان من ارتكب صغيرة ولم يقمع نفسه عنها جرته الى ما هو اعظم منها فنبه ان
حق الانسان ان يحفظ نفسه عن الصغير خشية ان تقع فيما هو اعظم منها ومعنى الاية ان من يفعل
ما نهي عنه من قتل النفس واكل المال بالباطل وسائر ما تقدم النهي عنه فسوف نجعله صلاء
كما قال وقودها الناس والحجارة ونبه بقوله وكان ذلك على الله يسيرا انه لا يتعذر عليه عقابهم
**قوله تعالى** ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما
من المفسرين وهو اكثرهم من حمل السيئات على الصغائر وقال معنى الاية ان تجتنبوا كبائر الذنوب
نكفر عنكم صغائرها ثم اختلفوا على اي وجه اعتبار الصغيرة والكبيرة وذاك ان الصغيرة والكبيرة
من الاسماء المتضايفة التي لا يعرف احدهما الا باعتبار الاخر وقال بعضهم في الذنوب كبيرة لا اكبر
منها كالشرك وصغيرة لا اصغر منها كحديث النفس او همة سيئة ونحو ذلك وبينهما وسائط كل واحد
بالاضافة الى ما فوقه صغير وبالاضافة الى ما دونه كبير وقال ومعنى الاية ان من عرض له امران فيهما مأثم
واضطر الى ارتكاب احدهما فارتكب اصغرهما وترك اكبرهما كمن اكره على ان يقتل مسلما او يشرب قدح
خمر فارتكب اصغرهما كفر عنه ما ارتكبه وقال بعضهم الذنوب كلها ضربان ضرب كبيرة كالشرك وقتل
النفس بغير حق والزنا وضرب صغيرة وهؤلاء اختلفوا فمنهم من قال الصغيرة غير معلومة وهي كل ما
علق به وعيد في الاخرة او جعل له عقوبة في الدنيا وبعضها غير معلوم قالوا والصغائر كلها يجب ان
يكون غير معلومة والا كان اغراء بالمعصية وذلك ان الله تعالى وعد ان يغفر بتجنب الكبائر الصغائر فلو بينها الكبائر
جميعا لكان المكلف لا يبالي بارتكاب الصغائر مع تجنب الكبائر فكان يؤدي ذلك الى مفسدة ومنهم
من قال يجب ان يكونا معلومين والا لم يصح ان يكون الكبيرة معلومة من حيث ما هي كبيرة لما تقدم ان ذلك

من



من الاسماء المتضايفة التي لا يعرف احدها الا بالاخر قال فالكبائر هي محارم الله التي علم كونها
محظورة والصغائر ما هو متشكك فيه المعنى بقوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك وعليها دل
النبي ص بقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات وسأضرب لكم مثلا ان لله
حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه فمرتكب الكبائر جار مجرى داخل
الحمى ومرتكب الصغائر جار مجرى حوله والانسان منهي عن الدنو منه ومن لا يعرف ذلك فهو بعرض
الوقوع فيه ثم كما قد بين تعالى في كتابه ان تغتفر الصغائر بشرط اجتناب الكبائر فقد بين ع
ان الصغيرة انما تكون صغيرة ما لم يكن عليها اصرار فقال لا صغيرة مع اصرار وقال ان
المحرمات تجتمع على الرجل فتهلكه واذا كانت الصغيرة منهيا عنها مجردا منها فلا يغير سعي نفيها
بل يجب تحري نفيها فالانسان بتجنب الكبيرة يصير مطيعا غير فاسق وبتجنب الصغيرة وهي المتشكك
فيها يصير ورعا ولذلك قيل لبعض الصحابة ما اشد الورع فقال ما ايسر الورع اذا شككت في شيء فدعه
وقال بعض الصوفية اعتبار الصغيرة والكبيرة بمرتكب الذنب فقد يكون الذنب من زيد صغيرا
ومن عمرو كبيرا وذلك بحسب مراتبهم في المعارف والاحوال فالاولياء الذين بلغوا المنازل قد
يستعظم منهم ما لا يستعظم ممن لم يتسنح منازلهم وذلك معروف في السياسة الدنيوية
قال ولهذا عاتب الله تعالى نبيه في كثير من خطراته التي قد تجاوزها عن غيره وقال بعض المفسرين
معنى الاية ان تجتنبوا هذه الكبائر التي نهيتم عنها في الايات المتقدمة كفرنا عنكم ما قد اسلفتم
فيه من قبل والمدخل الكريم ما وعدتم من الثواب العظيم واشار به الى جميع منازله على اختلاف
مراتبها ونبه ان كل مدخل لا يخرج عن كونه كريما اي مكرما **قوله تعالى** ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض الاية التمني تشهي الانسان ان يهيأ له شيء اي يقدر وذلك مذموم
فان تمنيه ان كان لشيء ياتيه بغير طلب فتشهيه محال وان كان لشيء لم يقدر ففي تشهيه
معارضة حكمة الله فيما قدر ولذلك قيل من تمنى فقد اساء الظن بالله ويكون ذلك غير معول السائر
ان ليتساوان لو اعنا وقال وما يغني عن الحدثان ليت وهو مع ذلك ذريعة الى التحاسد
والبخل والظلم وقد روي في الاية ان ام سلمة قالت ليتنا كنا رجالا فجاهدنا فانزل الله تعالى ذلك
وقوله للرجال نصيب قيل القائلات ليتنا لم يجعل ثوابنا في الاخرة على نصف ثواب الرجل كما جعل
نصيبنا من الميراث فانزل الله تعالى تنبيها على ان لا اعتبار في مجازاة الاعمال بالذكورية
والانوثة وقيل هو تبيين لفضل الرجال كقوله وللرجال عليهن درجة وقيل هو تبيين ان الحسد
لا يغني وان الله لا يغير لحسد حاسد وقيل هو حث على طلب منزلة المحسود بالعمل الصالح دون
الحسد والتمني كما قال ص ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي وقال محمد بن يحيى معناه ليس كل ما تمنيت واحببت

للورثه بل له نصيب يوصى به مال و ذلك نحو ما ذكر الله تعالى في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصيه للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين وبين بقوله ان الله كان بكل
شي عليما انه اعلم بما يستحق كل انسان كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته **قوله تعالى**
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان الايه المولى من الولا وهو تتابع الشي من غير حايل وجعل
المولى لمن تولى حفظ الشي وتعورف في المعتِق والمعتَق وابن العم والحليف وولي الامر والعصبه قال
ابن عباس هم الورثه ههنا وقال مجاهد وقتاده العصبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم من مات وترك مالا فماله
للموالي العصبه ومن ترك كلا فانا وليه بين ان لكل مال تركه الوالدان والاقربون موالي يرثونه
وقوله والذين عاقدت ايمانكم قيل عنى به عقد الحلف وكانت العرب تتوارث به ثم نسخ بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وذلك عن ابن عباس والحسن وسعيد وقتاده وقال اصحاب
ابي حنيفه الايه تقتضي ان المعاقد يستحق بها الارث ما لم يوجد اقوى ذلك قوله واولو الارحام
بعضهم اولى ببعض فجعل ذوي الارحام اولى من المعاقد فدل ذلك ان المعاقد فيه حقا قالوا
وروى تميم الداري انه قال يا رسول الله ما السنه في الرجل يسلم على يد مسلم فقال هو اولى
بمحياه ومماته وقيل عنى الذين عقدت ايمانهم في الجاهليه فجعل تعالى لهم نصيبا كنصيب الاخ
من الام وسقط حكمهم بوقتهم وقيل جعل لهم النصيب من النصرة دون الارث وقد روي ذلك
عن ابن عباس ومجاهد وعطا ما لم يحكم الاول فيهم بقوله والاقربون واستونف قوله والذين
عاقدت ايمانكم قال ابن الحسن عنى بالذين عاقدت ايمانكم الازواج لقوله تعالى ولا تعزموا عقدة
النكاح قال وصار المذكور في هذه الايه جمله ما فصله في ايات المواريث فصار هذه الايه
كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه قال والايمان جمع اليمين التي هي الجارحه وسمي الحلف بها
اعتبارا بالصفقه في المبايعه **قوله تعالى** الرجال قوامون على النسا بما فضل الله
بعضهم على بعض الايه القنوت قيام على وجه الطاعة ويستعمل في كل واحد منهما والنشوز بغض
المراه للزوج واصله من النشز وكانها هي المرتفعه بنفسها او بطرفها عن التزام ما يلزمها للزوج
ولهذا النطر قال الشاعر اذا جلست عند الامام كانما يرى رفقة من ساعة يستحيلها
بين تعالى ان السياسة للرجل دون المراة وان لكل واحد من الرجل والمراه فضيلتين احدهما
بتسخير من الله تعالى والاخرى من كسبه فاحدى فضيلتي الرجل ما خصه به من علو على المراة
والثاني بانفاق المال واحدى فضيلتي المراة قيامها بما يلزمها من طاعة الازواج وحفظ غيبهم
وتحصين ما سلموه اليها ونبه بقوله بما حفظ الله ستر رحمته عليها وحفظها بوصيه الزوج
لها وتسخيره للقيام بمراعاتها وقرا ابو جعفر المدني بما حفظ الله بالنصب اي بفعل ذلك بهن

بحفظ



بحفظ الله وجعل بما بمنزلة المصدر وقوله واللاتي تخافون قال بعض اهل اللغه اي تعلمون
وانشد ولا تدفنني في الفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها وارى
قال هذا تصور الظن بصورة العلم فاطلق عليه اسمه فاكثر الخوف مضى بالظن وقوله
فعظوهن تنبيه على انها توعظ اولا ثم تهجر ثم تضرب وهذا مقتضى حكمة السياسه وعليه
بني قول الشاعر اناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم تغن اغنت عواليه
وقوله واهجروهن في المضاجع كالتصريح في الكنايه عن الجماع وقول من قال بهجر الكلام فليس
بشي وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تهجروا النسا الا في بيوتهن ولا تهجروهن الا في المضاجع ثم قال فاضربوهن
ضربا غير مبرح وقوله فان اطعنكم تنبيه على ان الذي يلزمهن هو بذل الطاعة في الظاهر
فاما المحبة بالقلب فليس من فعلها فتوخذ به ونبه بقوله ان الله كان عليا كبيرا على ان الله تعالى
مع هذه الحاله يقتصر من عباده في كثير من عبادتهم على الظاهر وقيل نبه ان لا يطلق احد
الزوجين ان كلفه الا الحق وانه تعالى متكبر عن الظلم **قوله تعالى** وان خفتم
شقاق بينهما الايه الشقاق التعادي ومنه قيل شق فلان العصى اذا تباعد في الخروج عن
الطاعة ومنه المشقه وشق على فلان كذا والتوفيق كالمساواه ومنه توفيق الله تعالى فانه
موافقه قضايه فعل العبد فيما يقصده ويقال الاتفاق في كل متطابقين على بعض الوجوه
ولما بين تعالى من حال نشوزها ما يمكن للزوج اصلاحه بين ههنا ما اشتبه الحال فيه واحتيج
الى ناظر فيما بينهما واكثر العلما على ان المامور بعث الحكمين الحكام او صاحبه والبيه
ذهب ابن عباس ومن الفقها من لم يجوز لهما الخلع والطلاق فان ظاهر الايه لم يقتضيهما
ولا فرق بين ان يكون الحكمان من اقاربهما او من قبلهما وقال ابن عباس ارادتهما الاصلاح ان
يخلو كل واحد من الحكمين باحد الزوجين فيعرف حاله في السر ليبني الامر عليه وفي الايه دلالة
على ان كل امر وقع فيه تنازع يجوز فيه التحكيم وهذه الايه استدل في امر الحكمين ونبه
بقوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان من اصلح نيته في امر يتحراه اصلح الله مبتغاه
كما روي في الخبر ان من اصلح سريرته اصلح الله علانيته وقيل اذا فسدت النيه وقعت
البليه **قوله تعالى** واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا الايه الجار اعتبارا
بكونه في ناحيته دار كل من قولهم جار عن الطريق ثم جعل اصلا في بابه فقيل استجرت فلانا
واجرته اذا رعيته من رعاة الجار والجنب اصله في الجارحه ثم قيل في المكان اعتبارا
به فقيل جنبته اذا اخذته في ناحية الجنب واجتنب عنه اذا تركه وتباعد عنه والاجنبي
الغريب والجنابه الاعتزال والتباعد ومنه قيل للحالة المقتضيه لترك الصلاة جنابه

ذهب مالك والاوزاعي واسحاق الى ان للحكمين الطلاق والخلع جميعا دون العمو

والجار ذي القربى والجار الجنب قيل عنى به قرب الرحم وبعده وقيل عنى به قرب المسافة
وبعدها والصاحب بالجنب قيل حارا لبيت دائما كان نسيبا اوناتيا وقيل هو
الرفيق في السفر وقيل هو المنقطع اليك رجاء خيرك وقيل المراة وما ملكت ايمانهم قيل
وقد امروا بالاحسان اليهم وان لا يكلفوا ما لا يطيقون ان قيل لم قدم الامر بالايمان على
النهي عن الشرك ومعلوم ان حب الشرك مقدم على حقيقة الايمان بالايمان قيل ان
الشرك نوعان على ضربين احدهما الشرك الاكبر وهو اثبات صانع غير الله والثاني الرياء
واياه عنى النبي ص فيما روى شداد بن اوس ان النبي ص قال اخوف ما اخاف على امتي من
بعدي الشرك والشهوة الخفية الا انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولكنهم يراؤون
فقلت اشرك ذاك قال نعم واياه عنى تعالى بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
الآية ان قيل لم ذكر ههنا تسعة اصناف وامر بالتوفر عليهم وذكر في سورة البقرة
وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وقال بعده واتى المال على حبه
ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب قيل ان المذكور اولا في
سورة البقرة ما امر به بني اسرائيل واما قوله واتى المال على حبه فهو امر بايتاء المال
الذي يقتضيه البر لانه قال ولكن البر من آمن بالله وهذه الآية حث على فعل الاحسان
كله نصرة كان اووصلة وقيل ان قوله واتى المال على حبه عنى المال كله على سبيل التوسع
وذلك اذا طالب الانسان غاية البر وهذا قال الشعبي ما بقي بعد قول الله واتى المال على
حبه ذوي القربى على احد شيا من المال ولا ارادة اخراج المال كله على الندب خص
الزكوة بعد بالركن فقال واقام الصلوة واتى الزكوة واراد بهذه الآية ما يحصل للانسان
به تمام العبادة وفعل الاحسان وذلك لعبادة الله المتعرية عن الرياء ومراعاة هو لا بالاحسان
فان قيل لم قدم الجار على ابن السبيل وله حق واجب في المال قيل ان السبيل الذي له حق
في المال هو الفقير ولم يقصد بهذه الآية وانما المقصود بفقد المذكورين على سبيل
التبرع وحق الجار اوكد من حق الفقير الا ترى ان النبي ص قال ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه يورثه ان قيل كيف قال ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا قيل المختال
هو الذي يطن ان له ما له كرما من قولهم خلت وكانما اي معناه اشاد تعالى بقوله الذي
جمع ما لا وعدده يحسب ان ماله اخلده والفخور من يتبجح بالقنيات الزائلة فنبه تعالى
ان من امسك ماله وصرفه عن الوجوه المذكورة فذلك لظنه ان له بما له خيلاء وفخرا فيضن به
ويتبين ان هذين سبب البخل ما روى اهلك الناس شيئان حب الفخر وخوف الفقر

ولهذا



ولهذا عقبه بقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الآية فجعل نفس
الاحتيال والفخر البخل بالمال والانفاق على وجه الرياء **قوله تعالى** الذين
يبخلون ويامرون الآية البخل اعظم المعايب لقوله ص اي داء ادوى من البخل واعظم
منه حث الغير عليه وكان الشاعر لهذه الآية الم في قوله

وان امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لجميل وقالوا فلان يمنع درّه ودرّ
غيره والحر يعطي والعبد بالمن قلبه ولم سود تعالى بالبخل البخل بالمال فقط بل الجمع مافيه منع
الغير من نصره وعلم ودخل في عموم الامر بالبخل من يرى شكر من احسن اليه او اخل
بقضاء دين فصير سببا لمنع الاسداء الى الغير ولهذا قيل لعن الله قاطع المعروف
وقال بعضهم معناه يبخلون ويتامرون على الناس ويامروهم بسكوتهم مع بخلهم
فيكون قوله بالبخل في موضع الحال والى هذا المعنى اشار الشاعر بقوله

جمعت امورا ضاع الحزم منهما تيه الملوك وافعال المماليك وقوله يكتمون ما آتيهم
الله من فضله يدخل فيه من يستحقر ما اتاه الله من نعمته ما لا كان او عاقه ومن خول علما
ولم يفده مقبسه منه ومن ينسى كثيرا انعم الله عليه ويتذكر قليل ما نال له من ما به كقوله
تعالى ان الانسان لربه لكنود وفي نفسه من ينسى النعم ويتذكر المحن وبنه بقوله
واعتدنا للكافرين ان من فعل ذلك فهو كافر للنعمة ومن كفر نعمة الله فقد اعد له عذابا
**قوله تعالى** والذين ينفقون اموالهم رياء الناس الآية ذم في هذه الآية السرف كما
ذم في الاولى البخل فمن السرف ان تشبع الانسان بانفاقه فلا ينفقه على ما يجب وكما يحب
فصاد الآيتان كقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وليس يعني بقوله ولا يؤمنون بالله جحود ذلك بالسان فقط بل عنى به ترك ما يقتضيه
هذه المعرفة بنفسها ان المنفق رياء لو كان له حقيقة ايمان لتفكر في تناول ما تناوله ولاداه
ذلك الى ان يفكر ان بضعه فان قيل فاي تعلق لقوله ومن يكن الشيطان له قرينا قيل
هذا كلام فيه اخاذ كانه قيل الذين ينفقون اموالهم رياء الناس زين لهم الشيطان الذين هم
قرناؤهم ومن يكن الشيطان له قرينا كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وعلى ذلك قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ولم يعن بالشيطان
ابليس فقط بل عناه والهوى وكل ما دعاه الى باطل وصرفه عن حق وقوله وماذا عليهم في قوله
ماذا عليهم استدعا لطيف الى جزاء الايمان والانفاق على ما يجب لان لفظه استفهام
يستدعى جوابا ولا يمكن جواب المستخبر عنه المشتبه الا بعد التفكر فيه والتفكر فيما

ذكره تعالى يودى الى ان لبس على متحرى ذلك ضير بل له كل خير ان قيل لم قدم الاعراق
في الاية الاولى واخره ههنا قيل لما قصد في الاولى الى ذمهم بالاعراق بما لكونهم
غير مومنين وقدم ذكرهن وجعل قوله ولا يومنون في موضع الحال بنبها ان ذلك منهم
لكونهم غير مومنين ولما حثهم في هذه الاية على ما يجب ان يتحروه ابتدا بذكر الايمان بنبها
ان اعراضهم غير معتد به الا بعد الايمان بهما **قوله تعالى** ان الله لا يظلم
مثقال ذرة الاية عنى بالظلم ههنا بخس الحق ومثقال مفعال من الثقل وضرب تعالى
الذرة مثلا للشئ الصغير تقريبا على المخاطب واستعمل لفظ المثقال بنبها ان ذلك
يعظم جزاوه وان صغر قدر ونحو قراه ابن مسعود مثقال نملة واذا قرى حسنة بالنصب
فتقديره ان يكن الذرة حسنة ورد الضمير الى المضاف اليه دون المضاف واذا
رفع فمعناه ان يقع حسنة ولا يحتاج كان ههنا الى خبر وتضاعف وتضعف سيان
وقال القتيبي يضاعف للمرة والضعف للكثير وقد قال تعالى من جآ بالحسنة فله
عشر امثالها وقال اضعافا كثيرة واضعافا مضاعفة وفائدة قوله من لدنه ان كل ما اريد
تعظيمه ينسب الى الله فيقال من عند الله ومن لدنه وله ويلك الله وناقة الله وعلى
هذا قوله تعالى هب لي من لدنك وليا ووصف الاجر بالعظيم اعتبارا بالاجور الدنيوية
**قوله تعالى** فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد الاية تقديره كيف حالهم في ذلك
الوقت استعظاما لاجرهم وقوله وجينا بك على هولا شهيدا فيه اقوال احدها انه اشارة
الى امته ويكون قوله من كل امة يشهد عاما وخص النبي ص وامته بالذكر تعظيما لهم
والثاني ما قاله ابن عباس ان هذه الامة تشهد للانبيآ والنبي ص يشهد لامته تزكيه
لهم واستدل بقوله ص لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والثالث
ان قوله على هولا اشارة الى الانبيا الذين هم المشهد على امهم ان قيل كيف يصح ان يكون
النبي ص شاهدا للانبيا الذين قبله وهو لم يحضرهم واي فائدة لشهادته وشهادتهم قيل ان
الانبيآ لم يخلفوا في اصول ما دعوا اليه بل كلهم لسان واحد في الدعآ الى التوحيد واصول
الاعتقادات والعبادات وسائر حمل الشريعة وعلى ذلك نبه بقوله تعالى شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا والذي اليه فكل واحد منهم معتقد لما اعتقده الاخر ومبلغ ذلك مثل ما بلغه
الاخر ثم شريعة النبي ص جامعة لاصول شرايع من تقدمه ولذلك قيل له خاتم الانبيا وعليه نبه ص
بقوله مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنا بيتا وتوكل موضع لبنة منه فكنت موضع اللبنة وبهذا
المعنى الم بعض المحدثين فقال نسقوا لنا نسق الحساب مقدما والى فذلك اذا انيت موخرا

واما



واما فايدة اقامتها عليهم فتبكيت العاصين وتشنيع عليهم وتركه للمومنين على ما ذكرنى
قوله بل الله يزكي من يشا وقوله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول منهم من جعل
الصفتين لفريق واحد اى الذين جمعوا بين الكفر ومخالفة الامر ومنهم من جعلهما وصفين
لفريقين اى الذين كفروا وعصوا الرسول فالاول للكفار والثاني لاهل الكبار وقوله لو تسوى بهم
الارض اى بموتهم ان لم يبعثوا من القبور وقيل ان جعلوا ترابا كما يبهائم وقيل ان لم يخلقوا راسا وعجوة قوله
تعالى وتقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقوله لو تسوى بتشديد السين على ادغام التاني في السين
وتسوى بالتخفيف على حذف احدى التاين وقوله ولا يكتمون الله حديثا فيه اقوال احدها
ما روى عن ابن عباس وقد سئل عن هذه الاية وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال ان المشركين
يوم القيمة لما راوا ان لا يدخل الجنة الا من كان مسلما قال بعضهم لبعض تعالوا نجحد لعل
ما كنا مشركين فلما قالوا ذلك ختم الله على السنتهم وتكلمت جوارحهم فشهدت عليهم فودوا
لو ساخت بهم الارض ولا يكتمون الله والثاني ما قاله الحسن ان الاخرة مواقف وفي بعضها
يظهرون وروى عنه ان في بعضها لا يتكلمون والثالث انهم لا يكتمون الله حديثا لنطق
جوارحهم بدنوبهم فعلى هذا لا يكون قوله ولا يكتمون داخلا في اليمين بل هو استيناف كلام
والرابع انه لم يقصد بقوله لا يكتمون انهم لا يقصدون كتمانه بل عنى انه لا يكتم وذلك كقولك
لم اكتم عنك شيئا فاطلعت عليه لم يكتم اسرارك عني والحاصل ان ذلك داخل في اليمين ولكن
اشارة الى ظلمهم في الدنيا وجحودهم فان كفرهم يجحود لما دكى الله تعالى في وصفهم وبعض لما
اخذ عليهم من الميثاق الدليل عليه بقوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الاية
**قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية السكر هو من
السكر اى سد مجرى الماء وذلك لسد الخار الصاعد من المعدة قوة الفهم وسكرت الريح اى
سكنت تشبيها بسكون الماء اذا سد مجراه وكذلك سكرت ابصارنا اى سد مجراها والسكر
قد يقال لما يعرض من الهوى والشباب والغنى قال الشاعر سكران سكر هوى وسكر شراب
ويقال سكارى وسكرى والغايط المنهبط من الارض فكنى به عن الحدث كالغنى في كونه
للمرتفع من الارض والعدوة للقفا والحش للبستان والكثيف للحظيرة والصعيد كالصعود لكن
الصعيد يقال لوجه الارض والصعود للعقبة ولما كان الصعيد يقال لوجه الارض وللسالم منه
اختلف الفقها الاحناف نظرهم في انه هل يجب ان يعلق باليد شئ من التراب ام لا فخوز الكوفيون ان لا
يعلق باليد شئ من الارض لكون الصعيد اسما لوجه الارض ولم يجوز المحاربون ذلك اعتبارا بالصعود
ولقوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكذلك اختلفوا في انه هل يجوز التيمم بما يخرج من الارض سوى

التراب كالحل والزرنيخ نحو ذلك بعضهم ومنع منه اخرون فمن جوزه قال لان الصعيد اسم لما
تصاعد من الارض والتيمم والتامم التعمد وفي قراءة عبد الله فاموا وعابري سبيل قال علي
وابن عباس هم المسافرون والواو بجوزهم التيمم عند الجنابة والصلوة عندهما اسم الفعل وقال
الحسن وسعيد عابروا السبيل المجتازون والصلوة يريد به موضعها كقوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات
والمريض الذي يجوز له التيمم الجريح والعريح دون المحموم والمصدوع والملامسة الجماع عن علي وعن
ابن عباس وقيل اللمس باليد وما دون الجماع عن ابن مسعود وابي عمرو قري لمستم والاول في الجماع
اكثر وقوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ليس بنهي للسكران عن قربان الصلوة كما تصوره بعض
الناس فاطال فيه الكلام وقال كيف يصح نهي من لا يعقل ما تقول وانما ذلك نهي المومنين عن السكر
المانع من الصلوة كقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقيل ان ذلك نهي عن الشرب وكان هذا
تعريضا بالتحريم فلما انزل الله ذلك تحرج فتركوها وشربه قوم في غير اوقات الصلوات الى ان ورد
تصريح التحريم وقال بعض اهل الورع ليس النهي عن تعاطي الخمر بل ذلك عنه وعن مقتضى سكر الهوى
وسكر الاستغال بالدنيا وامر بان يجمع الانسان نفسه ويفرغ للعبادة همه قال وليس الجنابه
للحالة المعروفه فقط بل هي عبارة عن نجاسة النفس بالذنوب وحث على تجنبها وتطهير النفس منها
بقوله ليطهركم فان قيل فما وجه تعلق هذه الايه بما قبلها والاتيان بحكم التيمم عقيب ما تقدم قيل
لما امر فيما تقدم بالعبادة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا واعظم العبادة الصلوة
ولا يصح بغير طهارة بين عقيبها حكم ما يطهر وحكم ما ينوب مناب اذا فقد **قوله تعالى**
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الايه رايت يتعدى بالى بنيها على معنى النظر والاعتبار
وذلك في روية القلب دون الحاسه واشترا الضلاله بالهدى استبدالها به بعد حصوله
والرغبه في الضلالة بعد التمكن من الهدى وقد اعاد تعالى هذا المعنى في مواضع تحذيرا
منهم ونحو يغا من الاعتماد لهم وعلى ذلك قوله من قبل ويريدون الذين يتبعون الشهوات ان
تميلوا ميلا عظيما ونحوه قوله ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوا
السبيل وقوله والله اعلم باعدائكم ظاهر كالبعيد من الاول وكذلك قوله وكفى بالله وذلك لتحرك
الاقتصاد فيه وتقدير الكلام يريدون ان يضلوا السبيل واذا ارادوا ذلك فهم اعداوكم والله
اعلم منكم بعداوتهم لكم وهو تعالى وليكم ونصيركم فاذا الواجب عليكم ان تتركوا موالاتهم
واستنصارهم وتستكفوا بولاية الله ونصرته وكفى به وليا ونصيرا **قوله تعالى** من
الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الايه التي اصله الفتل ثم استعير لصرف الانسان عما يريده
وصرف الكلام من وجه الى وجه استعارة الحرف في الحال ومنه لي الغريم ولواء الجيش لكونه

في الاصل خيطا ملويا واللوى الملتوي من الرمل لا تصحه البشر وقولهم بالسنتهم
اي طرحتهم او كلامهم وكلاهما في الحقيقه واحد وطعنا في الدين اي يطعنون بالسنتهم
في الدين وقوله غير مسمع يقال على وجهين احدهما دعا على الانسان بالصمم والثاني
دعا له فقد يعرف قوله اسمعته في السب وروي ان اهل الكتاب كانوا يقولون
ذلك بدون الفهم يعظمون النبي والهم يدعون له لان قولهم سمعنا وعصينا يقتضي
ظاهره انا قد عصينا من امرتنا بعصيانه واسمع غير مشتوم وحافظنا وهم يقصدون
بقولهم عصينا انا عصيناك واسمع لا سمعت وراعنا اي راعنا وذلك شتم فما تبهم فذكر
تعالى ان ذلك لي وطعن في الدين بالسنتهم اي لعنهم ولو عدلوا عن هذه الالفاظ الى
ما امروا به لكان انفع لهم ولكن لما كفروا لعنهم الله اي منعهم التوفيق وشرح الصدر وقد
تقدم معنى اللعنه وتفسير قوله فلا يومنون الا قليلا وقوله ومن الذين هادوا فيه قولان
الاول انه متعلق بما تقدم كانه قال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا
فيكون من للجنس او للتبيين ويكون الوقف على قوله من الذين هادوا فريق كقوله وما منا
الا له مقام معلوم واستقبح المبرد هذا الوجه لحذف الموصول وترك الصلة
**قوله تعالى** يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما انزلنا الايه الطمس والطلس
والدرس متقارب ولكن الطمس زوال الاعلام المماثلة قال وبلدة طامسة اعلامها
والطلس زوال الصورة ومنه قيل درهم مطلس اذا لم يكن عليه نقش والدرس قد يقال في
الاثر الخفي وطمس الوجوه منهم من اخذه محسوسا ثم اختلفوا فمنهم من قال عنى ذلك في
الدنيا وهو ان ينبت الشعر على وجوههم فيصير صورتهم كصورة القردة والحمار وتكون
وجوههم الى اقفائهم ومنهم من قال عنى ذلك في الاخرة وعلى ذلك قوله فاما من اوتي كتابه وراء ظهره لان
وجوههم التي فيها العيون الى ظهورهم ومنهم من اخذه معقولا ثم اختلفوا كيف يكون ذلك فمنهم
من قال عنى انا نردهم عن الهداية الى الضلالة لما ارتكبوه من المعاصي نحو قوله واضله الله على علم وختم
على قلبه وسمعه الايه والثاني ان يكون الوجوه الاعيان والروساء والمعنى قبل ان نجعل الروساء منكم
ادنانا وعلى ذلك قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم الايه وقيل ان ذلك في الاخرة
وهو ان قوما من الكفار كانوا يسخرون في الدنيا من المومنين فيعرضون على الجنة ثم يردون على اعقابهم فيدخلون
النار وقوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اشارة الى ما تقدم ذكره في قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت في سورة البقرة وكان امر الله مفعولا اي نافذا في حكم المفروغ منه وقيل هو اشارة الى ما قال
اول ما خلق الله القلم فقال له اجر بما هو كائن يوم القيمة وقيل الامر هاهنا اشارة الى الابداع وهو اختراع

والثاني ان يكون استئنافا على تقدير
من الذين هادوا قوم

السي من غير اصل لانه زنا ولانه مكان ولا بأ له وذلك يعبر عنه بالامر على ذلك قوله الا له الخلق
والامر **قوله تعالى** ان الله لا يغفر ان يشرك به الا يه معنى ان يشرك به ان يدم الانسان
الشرك ولا حلاف ان من لم يدم ذلك بل اقلع عنه بالتوبة على الوجه الذى يجب يغفر له لكن اختلف
فى قوله لمن يشا لكونه مجملا فقال بعضهم عنى به غير المشركين فكانه قيل يغفر ما دون ذلك لغير المشركين
وفيه توعد ان المشرك ماخود بكل ذنب مع الشرك بخلاف المومنين الذين قال لهم ان يجتنبوا كبائر
ما ينهون عنه نكفر عنكم سيآتكم ومنهم من قال عنى به التائب بدلالة قوله تعالى ان رحمة الله
قريب من المحسنين وقوله من قال لمن يشا يقتضى ذلك ان فيما دون الكفر ما يغفر وهو الصغائر
وفيه ما لا يغفر وهو الكبائر والاظهر لكن لقوله لمن يشا فاين فليس بصحيح لان قوله ما دون ذلك عام
للذنوب صغائرها وكبائرها والمغفور له هو الذى جعله خاصا منهما فيقتضى ان ما دون الشرك
كله يغفر لكن يغفر لبعض دون بعض واشتراط لمن يشا لا يفيد ان ذلك عام للمشرك على المشرك
فصار قوله لمن يشا عبارة عن غير المشركين وقولهم ان الكبائر دون الشرك لو صح غفرانها لم يثب عليها
- اللغو ولا الحد على وجه النكال ليس بشى فليس فى ذكر اللغو ما يقتضى ان لا يعفر لصاحبه واما النكال
فى الدنيا فيعلمهم به جهل او تجاهل لان موضوع النكال ليكون قمعا للمنكل به عن معاودته وقمع غيره
عن ان يحذو حذوه وليس ذلك عن عقوبة الاخرة فى شى بل قد قيل هو مسقط لعقوبه الاخرة لقوله ﷺ
الحدود كفارات لاهلها الا ترى انه قد يحد الشاب مع ان العقوبه فى الاخره قد سقطت عنه
بالتوبة وما رواه جابر انا كنا نمسك عن الاستغفار لاهل الكبائر حتى نزل قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به الا يه دلالة على فساد قولهم وما قالوه بان هذا من اخبار الاحاد فلا تقبل فيما هو من
باب الدين والعلم فان اخبار الاحاد ترد فيما تعافه العقول الصحيحة وقد علم ان العفو من باب
الاحسان الذى حثنا عليه العقل والشرع وتحريه يصير العبد من الصديقين والشهداء والصالحين الا فترا
يقال فى القول والفعل كالصدق والكذب بل الافتراء ان يعرف فى القول فهو بالفعل اولى وكذا الاحلاف
لانها من فريت الاديم وخلقه ومعنى الاثم العظيم هو الذى اذا اعتبر بالاثام كان اكثرها عقوبة
**قوله تعالى** الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا ان لهذه الاية
احدها بالفعل وهو ان يجرى الانسان ما فيه تطهير بدنه وذلك يصح ان ينسب الى العبد تارة نحو قوله قد افلح
من زكيها واتى من ربه فصلى نحو قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والثانى بالقول وذلك بالاخبار عنه
بذلك ومدحه به والمحظور على الانسان ان يفعل ذلك بنفسه لا بالشرع فقط بل بمقتضى العقل من غير داع اليه
ذلك مما قالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
الله تعالى بذلك وذم من يفعل فعلهم وحظر ان يمدح الانسان نفسه بل ان يزكى عن الاعلى وجه مخصوص فالتزكية فى



فى الاخبار عما ينطوى عليه الانسان ولا يعرف ذلك الا الله تعالى ولهذا قال بل الله يزكى من يشاء
وبه بقوله ولا يظلمون فتيلا ان تزكيته ليست لضرب من الميل فهو منزه عن كبير الظلم وصغيره والفتيل
هو الخيطة الذى فى شق النواة وقيل هو ما فتل من الوسخ من الاصبع شبهها بالفتيلة هذه وصغر قدر
**قوله** تعالى انظر كيف يفترون الا يه ذكر ذلك تعظما لزعمهم كما اشاء والله وبه بقوله وكفى به اثما مبينا
انه لا كفى كونه ماثما **قوله** تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا الا يه الجبت والطاغوت فى الاصل
اسمان لصنمين ثم صارا يستعملان فى كل باطل ولذلك قيل ما عبد من دون الله فهو طاغوت ولذلك فسر مرة
بالصنم ومرة بالشيطان ومرة بالسحر ومن بكل معظم من دون الله وانما ذكرهم بايتا نصيب من الكتاب
تعجيبا لفعلهم فمن حمد الحق مع معرفته به فهو اقبح فعلا واعظم ماثما وعنى بالذين كفروا مشركى العرب حيث
زعموا انهم اهدى سبيلا من المسلمين ومعنى قوله الذين اى لاجلهم وفيهم ولهذا قال هولاء ولم يقل انتم
وباقى الاية مفهوم **قوله** تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس نقيرا النقير النقطه
فى ظهر النواة وقيل حبته فيها وقيل ما انتقر بالاصبع من الحصى وكيف ما كان فذلك كالفتيل والقطمير فيما
يضرب به المثل فى الشى الحقير واذا متى يقدمه حرف عطف فقد يزل اعماله نحو قوله واذا لا يلبثون
خلفك الا قليلا وعطف بالجملة على ما قبله تام على تقدير كلام قبله كانه قيل اهم اولى بالنبوة ام لهم نصيب
من الملك فيلزم الناس طاعتهم وقيل ام بدل على معنى بل وكذلك قيل فى قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب
فيه منزل من رب العالمين ام يقولون افتريه وبنى على تخالفهم مع تمكنهم من الحال **قوله** تعالى ام يحسدون
الناس على ما آتيهم الله من فضله الا يه الحسد ثم يحمى الانسان نسب خير نا له مستحقه قال ابن عباس عنى
بالناس ههنا النبى ﷺ وقال قتادة عنى به العرب وقيل عنى به المسلمين والفضل ما خصهم به من النبوة وانما ذكر
الناس وان قصد به مخصوصا لانهم اذا كرهوا ما انزل على النبى ﷺ فقد حسدوا الناس اما اولا هم كمال
الانسانية وفيه تنبيه انهم خارجون عن جملتهم وبنبه انه كما اتاهم الفضل قد اتى آل ابرهيم ما ذكره وانه
ان كان ما اتى محمدا يقتضى ان يحسد عليه فما اتى آل ابرهيم اولى بذلك فيكون الكتاب والحكمة راجعا الى ما
اوتى موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما ويجوز ان يكون الكتاب والحكمة اشارة الى ما اوتى النبى ﷺ ويكون فيه تنبيه
ان ما انعم الله عليه هو انعام عليهم اذا كان معرضا لانتفاعهم به والملك العظيم قيل ملك سليمان والاصح انه
عام وانه لم يعن به ملكا لغير بل هو عام فى ذلك وفيما اقتضى ذلك الانسان على نفسه وقمعه لحرصه وسابق
شهوته فذلك هو اعظم الملكين وقوله فمنهم قال مجاهد اى من اهل الكتاب من آمن بمحمد ﷺ وقيل منهم من آمن
بابرهيم من امته كما انكم فى امر محمد كذلك بنبهما انه ليس فى صد بعضهم عن محمد ﷺ وهن لامره كما لم يكن فى صد
بعضهم عن ابرهيم وهن لامره وفى قوله وكفى بجهنم سعيرا تنبيه الهم وان لم تلحقهم العقوبة محلة فقد
كفاهم ما اعدلهم من سعيرجهنم **قوله تعالى** ان الذين كفروا بايا تنا الاية اصلاهم بالنار جعلهم

صلاها كقوله وقودها الناس والحجارة وقولهم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فقد قولان احدهما
انه لعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا اذا خالفت بين الصورتين والثاني
انه خلق لهم جلودا اذا نضجت لهم جلود فالعذاب والالم يصل الى ما تحت الجلود من الروح وغيرها بوساطة
الجلود كوصول النار اليه بوساطة سراويل القطران المذكور في قوله سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم
النار وسر ذلك ان الجلد واللحم متى تعريا عن الروح لم نعلم ان المقصود بالالم ما يعانيه الروح دون
الجلود والاعشمة ولكون البدن للروح كالثياب للبدن تعبر بالثياب عن البدن كقوله وثيابك
فطهر وقول الشاعر ثياب بني عوف طهارى نقية وقوله تعالى ليذوقوا العذاب استعارة منتاهية في
وصول الالم الى الباطن وعلى ذلك استعير لهم الطعام في قوله طعامه اذاغصه وعذابا اليما وذكر
الروق الحس في قوله ذوقوا مس سقر ننبها ان ذلك استعارة وبنى بقوله ان الله كان عزيزا حكيما ان لا
سبيل الى الامساع عليه والفرار من عذابه ولقوله حكيما ان ذلك تقتضيه الحكمة **قوله تعالى**
والذين امنوا وعملوا الصالحات الآية قد تقدم الكلام في ذكر الايمان والاعمال الصالحة ومعنى الجنات
التي تجري من تحتها الانهار وذكر الخلود فيها ابدا والازواج المطهرة فاما قوله ظلا ظليلا فاشارة الى
النعمة والنعمة الدائمة كما قال انا في ظلك وكما روي في الخبر سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم
لا ظل الا ظله والظليل اشارة الى تمام وجود معنى الظلية منه كقولهم شمس شامس وليل ليل **قوله**
تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية قال ابن جريج نزل ذلك في عثمن بن طلحة لما
اخذ منه رسول الله ص مفتاح الكعبة فلما اراد الله ان يرده اليه وقال زندوه مكول بل في ولاة الامر
قال ابن عباس في كل مؤتمن على شيء وهو اصح فانه عام وقد عظم الله امر الامانة وبين انه من خصائص الانسان
حيث قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وقال صلى الله عليه وسلم ادوا الامانة الى البر والفاجر
الامانة والعهد وصلة الرحم وتاونة الامانة استحفاظ المستودع ووضعه حيث ما امر بوضعه فيه
وليس ذلك في رد الوديعة فقط بل في جميع ما خص الله تعالى به الانسان من ماله ونفسه فكل ذلك امانة
من الله عليه يحفظه حيث ما امر بحفظه ويضعه حيث ما امر بوضعه ولذلك قال تعالى ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولهذا قال ص كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقد دخل في
عمومه النهي عن كتمان العلم عن اهله وحفظه عن غير اهله ولهذا قيل لا تضع الحكمة في غير اهلها
فتظلمها ولا تمنعها اهلها فتظلمهم وقد حث الله تعالى على حفظ جميع العبادات لفظه وبيانه
ان العبادة في شيئين احدهما في حكم يحكم به الانسان في نفسه او فيما بينه وبين غيره وقد تناول ذلك قوله
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها والثاني في حكم يتولاه الانسان بين اثنين وذلك قد تناوله
قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ثم قال ان الله نعما يعظكم به بنفسها ان من سمع وعظه واستعمله

فقد



فقد فاز فوزا عظيما وبنه بذكر السمع على حكم الاول على عمله بما حث الانسان به نفسه وبالبصر
على حكم مشاهدته لما يتعاطاه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول الآية قيل اولوا الامر الامراء على عهد رسول الله ص ولذلك قال فردوه الى الله والرسول
وقيل الامراء في زمانه وبعده ورده اليهما انما هو الى حكمهما وعلى الشيعة ذلك على الائمة من
اهل البيت وقال ابو هريرة اولوا الامر امراء السرايا وقد روي ان النبي ص قال من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله وقال ابن عباس هم اهل الفقه والدين واهل طاعة الله
الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكل هذه الاقوال صحيح ومراد بالآية ووجه ذلك
ان اولى الامر الذين سترتبع لهم الناس اوجه الاول الانبياء وحكمهم على ظواهر الخاصة والعامة
وبواطنهم والثاني الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والثالث الحكماء
وحكمهم على بواطن الخاص والرابع الوعاظ وحكمهم على بواطن العامة وعلى ذلك قوله ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وقوله فان سارعتم في شيء قل هو خطاب للكافة
وقيل بل لاولي الامر منهم اذا وقع سارع فيما بينهم في حكم وقوله فردوه الى الله
والرسول اي راجعوه بالسؤال في زمانه والى كتاب الله وسنته بعده وقال
الاصم معناه ما لا تعلمونه فقولوا الله ورسوله اعلم وهذا ان اراد به فيما لا سبيل
للبشر الى معرفته او فيما لا يبلغ الى مرتبته صحيح وان اراد به نقص على ذلك مع وجود
سبيل اليه او احتياجه اليه فرضي باخس منزله وقد يعلق بذلك مثبتوه ايضا
وقالوا جعل الله احكامه ثلثة اقسام مثبتا بالكتاب ومثبتا بالسنة وعليهما دل
قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومثبتا بالاجتهاد والاستنباط وهو ما يرد اليه
الكتاب وسنته بنيته قال فالرد اليهما هو البناء على حكمهما وهذا هو القياس الشرعي
والرد على هذا محمول على فائدة غير مستفادة من قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
وقوله ان كنتم تومنون بالله اي من شرط الايمان ان لا يتخطى مرسوم الله تعالى ومرسوم نبيه ص
فمن ترك ذلك فقد ترك الايمان وقوله واحسن تاويلا قال مجاهد احسن جزاء وعاقبة وقال
قتادة والسدي عاقبة وقال الزجاج احسن من تاويلكم من غير رد الى كتاب الله والسنة **قوله**
تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا الآية قد تقدم ان الزعم مطية الكذب والطاغوت
مبني من طغى كالجالوت من جال وقيل كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت وقيل هو اسم لكل ما شغل عن
الله من نحو الهوى ونحوه وعليه بنى قوله ص الهوى آلهة معبودة ثم تلا افرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم وروي ان ذلك نزل في رجل من المنافقين دعا يهودي في خصومة الى حكم النبي ص فقال المنافق

بل تحاكم الى الكاهن وقيل بل قال الى الصنم وهو انهم كانوا يحضرونه ويضربون بالقداح فمن خرج قدحه
حكم له وبنه بقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ابعد قوله يريدون ان تحاكموا الى
الطاغوت ان ارادتهم بهذا الفعل مقرونه بارادة الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا او ان
يعلمهم ذلك بجد الشيطان الى اضلالهم سبيلا وهذا ينبه انه لولا اتباعهم الشهوات واخلالهم
بالعبادات لما وجد الشيطان اليهم سبيلا كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني الآية والضلال
البعد هو الذي يصعب الرجوع عنه وهو المشار اليه بقوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد

**قوله تعالى** واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول الآية الصد كالسد الا
ان السد كالمحسوس والصد كالمتخيل في النفس من اراده او كراهة ونحو ذلك قوله من الحوايل
والاعراض تمام القصة الاولى ومن الاشياء التي دعوا اليها فصدوا عنها ايات القتال كقوله تعالى
واذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك الآية
والكاف يكون بالمصدر كقوله يصدون عنك صدودا وكلم الله موسى تكليما هو ان الفعل له حقيقة
ومجاز به كاستعماله في بعض ما وضع له اولى من غير ما وضع له واذا اريد ان من انه مستعمل على
وجهه وحقيقته ضم اليه مصدره هذا فائدته **قوله تعالى** فكيف اذا اصابتهم مصيبة
الآية روى ان ذلك المنافق مع اليهودي لما تحاكما الى النبي ﷺ حكم لليهودي قال المنافق لا
ارضى بذلك ثم تحاكما الى ابي بكر وكان كذلك ثم تحاكما الى عمر فقال المنافق كان من الامر كذا
فقال له عمر قف لاخرج اليك فدخل واخذ السيف فخرج وقتله فشكوا الى النبي ﷺ فلما سأله
قال عمر قتله لانه رد حكمك فقال ما انت الفاروق ثم جاء اصحابه الى النبي ﷺ يحلفون كذبا
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ان قيل ما المسؤول عنه بقوله كيف وما الذي تعلق به اذا وعلى
ما اذا عطف قوله ثم اذا جاؤك واي مصيبة اريدت بذلك التي نالتهم في الدنيا قتل صاحبهم
ام شيء منتظر قيل اما المسؤول عنه فمحذوف كما حذف في قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وبقوله فكيف اذا احصناهم وبقدره كيف حالهم ومقالهم واما اذا فانه تعلق
بذلك المضمر واما قوله ثم جاؤك معطوف على قوله اصابتهم مصيبة وبقدر كيف حالهم
اذا اصابتهم مصيبة عاقبتهم بارتكابهم ومجيئهم من بعد اليك حالفين كذبا انا ما
اردنا الا احسانا وتوفيقا واما المراد بالمصيبة المذكورة فانا لم نعلم في الآخرة من العذاب
والحسرة والندامة ما نعلم ان نالوا من هذه فكيف نالتهم اذا اصابتهم مصيبة في
الآخرة وقد تقدم ان الاحسان هو الفضل الملوح على العدل والتوفيق موافقة امر
الله والرضا بقضائه وهما غايتا مراد الانسان فنبه انهم يدعون هاتين الحالتين كذبا

وله اولئك الذين يعلم

ايديهم



**قوله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** القول البليغ اعتبر بنفسه فهو ما نجع او وصفا بانه ان يكون صوابا في موضع لغته وطبقا للمعنى المقصود به واذا عليه وانا فضا عنه وصدقا في نفسه واذا اعتبر بالمقول له والعامل فهو الذي يقصد به قابله الحق ويحذر من المقول له قبوله او يكون وردوده في الموضع الذي يحذر ان يولد فيه فكل قول اجتمع فيه هذه الاوصاف فهو البليغ من كل وجه وقول العرب احمق بلغ وبلغ اذا بلغ مراد حامله حاجته وقد يقال في ذلك للمتباين في حماقته وقول من قال القول البليغ هو ان تقال لهم اظهرهم ما في انفسكم بتعليم ووبل من بال حوضهم بكاره تنزل بهم في الدنيا والآخرة فاشاره الى بعض مقتضى الآية ونبه بقوله اولئك الذين الذين يعلم الله ما في قلوبهم على امرين احدهما ان الحاكم ان يحذر ما في انفسهم عن الحق والثاني ان يعتقد من كل واحد في احكام الدنيا على ما ظهر وترك البحث عما ضمره وفي قوله تعالى فاعرض عنهم الآية قولان احدهما انه امر ان يقابل جنايتهم بهذه المعاملة البالغة من الاعراض عنهم والتجافي عن تعليم وقول المعروف لهم والقول الثاني ان كل واحد من الاحكام المذكورة الى فرقة على حدة فالاعراض عمن ظهر اسلامه لقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون والوعظ للاوساط والقول البليغ للخواص وهو الفرق الثالث من المذكورين بقوله فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين الى آخر القصة

**قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** استغفار الانسان وتوبته لكن ان يقال ما في الحقيقة

واحد لكن اختلافهما بحسب اعتبارهما بغيرهما فالاستغفار يقال اذا اعتبر في الفزع الى الله
تعالى وطلب الغفران منه والتوبة يقال اذا اعتبر ترك العبد ما لا يجوز فعله وفعل ما يجب
ولا يكون الانسان طالبا في الحقيقة لغفران الله الا باتيان الواجبات وترك المحظورات
ولا يكون تائبا الا اذا حصل على هذه الحالة ويمكن ان يقال الاستغفار مبدأ التوبة والتوبة
تمام الاستغفار ولهذا قال تعالى استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واما استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم
لهم فهو الدعاء لهم وهو ضرب من الشفاعة في الدنيا وعلى ذلك حث تعالى بقوله وصل
عليهم ان صلوتك سكن لهم والقصد بالاية انه لما قتل عمر ذلك المنافق وكان ظاهره
الاسلام ووقع شبهة على من لم يتصور حاله جعل تعالى جواز قتله باللطف حجة
دل عليه بقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وبيانه ان خصوصية الرسول
على الكل طاعته فمتى لم يحكم به فيما ان لم يطعه لم يؤمن به وهذا المقتول لم يطعه
ما دام لم يؤمن به ومن لم يؤمن برسوله من غير مانع مستحق للقتل فاذا هذا المنافق
مستحق للقتل ان قيل لم قال جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
ولم يقل فاستغفرت قيل تنبيها على مقتضى فضيلة الرسالة وان بفضيلتها
يستحق قبول شفاعته وموقع استغفاره **قوله تعالى فلا وربك**
**لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في**
**انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** المشاجرة المنازعة
واصلها من اختلاط الاشجار وتشجيه رفعه بالشجر والشجار اسم ما رفع به من الشجر
ومصدر شاجره اي نازعه والتشاجر يكون بالابدان بالحرب وباللسان
في القول والحرج الضيق واصله الحرجة الملتفة من الاشجار وسال عمر
رضي الله عنه اعرابيا عن الحرج فقال شجر يلتف بالشجر ولا يشب فلا
تصل اليه شي قال فكذلك قلب الكافر محظور عليه الايمان ممتنع امتناع



هذه الحجة وقوله لا في اول الكلام يرد ان زعمهم انا امنا فقال لا اي ما امنوا
ولفظة لا قد تنفي به الفعل الماضي اذا لم يذكر معه الفعل كقوله اخرجت فيقول لا
ويجوز ان يقيد الثاني لكن حذف معه الفعل اكتفاء بما ذكر من بعد وعلى الوجهين قول الشاعر
فلا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر
والاية من تمام القصة المتقدمة وقيل من قال نزل في حاطب بن ابي بلتعة حيث
اختصم مع الزبير بن العوام في سبب الماء الى النبي عليه الصلوة والسلام فحكم للزبير فسخط
حاطب فانه يجوز ان شأن نزولها هذه الحال ويجوز ان يكون قد نزل فيهما وبين
تعالى ان التوقف في الزام حكمك عما وقع بينهم من المشاجرة مخرج لهم عن
الايمان وانما يكون حصول الايمان الحقيقي بعد ان لا يروا اجنبيا صدر في جميع ما حكم
به ويسلموا تسليما اي يسلموا ظواهرهم وبواطنهم والتسليم منا هو الاسلام المأمور به في قوله
واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون وهو المسؤول في قوله توفني مسلما
**قوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا**
**من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به**
**لكان خيرا لهم واشد تثبيتا** نبه تعالى على عقيدتهم ووهن ايمانهم وان المؤمن
في الحقيقة من يسلم تسليما كما تقدم ذكره وبين ان هؤلاء لو كتب او وجب عليهم
قتل انفسهم او الاخلال بدورهم لكان اكثرهم ممتنعين ثم اخبر انهم لو قبلوا الموعظة
لكان ذلك خيرا لهم واشد تثبيتا اي لتشدد لتحصيل علمهم ونفي جهلهم وقيل اثبت
لاعمالهم واحتسابا ثم الحافظا لهم وان يكونوا الخلاف من قبل فيهم وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وروي ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الاية قالوا لو ان ربنا تعالى فعل كفعلنا فالحمد لله الذي عافانا فعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك منهم حق والذي يستحر به الايمان اثبت في

وقلوب المومنين من الجبال الرواسى وروى انه اشار الى عبد الله بن رواحه
وقال انه من القليل وروى انه قال ان ثابت بن قيس من القليل الذى استثنا ٥
الله تعالى **قوله عز وجل واذا اتيناهم من لدنا اجرا عظيما**
**ولهديناهم صراطا مستقيما** بين انهم لو قبلوا الموعظة لجمع لهم من خير
الدنيا والاخرة وذلك هو المعنى بقوله والذى اهتدوا زادهم هدى والصراط
المستقيم الذى عرفهم هو الذى حرض على سواله فى قوله اهدنا الصراط المستقيم
واما قال من لدنا الله تعالى لما كان لا يسبب الى نفسه من النعم الا ما كان اجلها
قدرا واعظمها خطرا لحونا ورضا **قوله عز وجل ومن يطع الله**
**والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين**
**والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا**
اصل الرفق التفكر فى الامر والثبت ونقيضه الخرق وقيل ذلك للمعاونة
ومنه المرفق والمرفق والرفقة للجماعة المعاونة فى السفر والرفق الصدق
وقال ان الموصول الجمع والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط لخص فى رسول
لغة وليس كل نبى رسولا فان الرسول لخص بمن جعله واسطة بينه وبين عباده لتبيين
احكام يوحى مسموع عن ملك والنبى وقال لمن يجرد على الناس شريعة من تقدمه و
ان كان يوحى اليه بالهام او منام ولخص من الرهط اولوا العزم من الرسل وقد
تقدم ذكر ذلك وقد قسم الله تعالى المومنين فى هذه الاية اربعة اقسام وجعل
لهم اربعة منازل بعضها دون بعض وحث كافة الناس ان يتأخروا عن مرتبة واحد
منهم الاول هم الانبيا الذين بعدهم قومه اليه ومثلهم كمن رأى شيئا عيانا من قرب ولذلك
قال تعالى فى صفة سيدنا عليه الصلوة والسلام اخبارونه على ما رأى والثانى الصديقون وهم الذين
يناجون الانبيا فى المعرفة ومثلهم كمن رأى الشيء عيانا من بعيد واناه عن امر المومنين



حيث قيل هل رايت الله فقال ما كنت لاعبد شيا لم اره ثم قال لم تره العيون
بمشاهدة المعاينة ولكن رايته القلوب بحقايق الايمان والثالث الشهداء وهم الذين
يعرفون الشيء بالبراهين وعلمهم كمن رأى الشيء فى المراة من مكان قريب لكمال حاسته حيث
قال كان الى عرش ربى واياه قصد النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال اعبد الله
كانك تراه والرابع الصالحون وهم الذين يعلمون الشيء بامعان وتقليبات
للبراهين فى العلم وعلمهم كمن رأى الشيء من بعيد فى مراة واياه قصد النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك اى كن من الشهداء بما اكتسبه من
العلم والعمل الصالح فان لم تكن منهم فكن من الصالحين ويعبر الاية على وجهين احدهما من
اطاع الله ورسوله منكم الحقه الله بالذين يعدهم ممن انعم عليهم من الفرق الاربع فى
المراتب والثواب التى بالنبى والصديق بالصديق والشهيد بالشهيد والصالح والثانى
ان قوله من النبيين يعلن بقوله ومن يطع الله والرسول وقوله الذين انعم الله عليهم اشارة
الى الملا الاعلى ثم قال وحسن اولئك رفيقا ومن ذلك قول النبى عليه الصلوة والسلام فى خيرة
الموت اللهم الحقنى بالرفيق الاعلى وهذا ظاهر وهذه الاية كالتمام لما تقدم من
قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول فلما تم القصة عن ما لطيعهم من الثواب نبه الاية
وروى ان رجلا من الانصار جا الى النبى صلى الله عليه وسلم كيبا فقال يا رسول الله لخن
نغدوا وعليك ونروح ننظر فى وجهك ونجالسك وغدا ترفع الى النبيين فلا نصل اليك
فمكث النبى صلى الله عليه وسلم فجاه جبريل عليه السلام بهذه الاية **قوله عز وجل**
**ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما** لما مات نعم الله تعالى
على دينه دنيويا واخرويا يصل البنا من الله اما بواسطة او وسائط كالمال والجاه وغير ذلك
واخرويا يصل الينا اما بواسطة من الله تعالى ان ذلك الفضل الذى ذكره بقوله انعم
الله عليهم مومن الله على الاطلاق منسوب الى نفسه تفخيما لامره كما قال مالك يوم الدين

وقوله ونحنا فيه من روحنا ونحو ذلك مخبر المبتدا على هذا من الله ونحو ان يكون
مبتدا والفضل خبره كقولك ذاك هو الرجل وهذا هو المال ينبهها على كماله وان الذى اذا
عظم امره وصف باسم جنسه كقوله وان الدار الاخرة لهى الحيوان ويكون قوله من الله
فى موضع الحال او خبر اسم اضمر ثم قال وكفى بالله عليما ينبهها انه مما عرف بقادير
الفضل وقد حكم بان الفضل المعتد به هو ذاك **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا**
حذر كم قيل معناه اسلحتكم وقيل معناه احذروا والثبة للجماعة المتفرقة قال الشاعر

وقد اعدوا على ثبة كرام ٭ ومنه ثبت على فلان اذا ذكرت مثالبه وتصغر ثبة على ثبيه وجمع على ثبات وثبين واما ثبة الحوض فوسطه الذى يثوب اليه
الماء واصل البقر الاسراع وذلك على ضربين ابتداء عن الشئ وابتداء اليه وعلى ذلك
الفزع فزع عن الشئ وفزع اليه قال ٭ اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم
والنفر للجماعة الذين ينفرون الى حرب والمنافرة فى الحكم اصله ان تحاكم اثنان اليهما
اصل نفرا قال ابن عباس هذه الاية نسخها قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا
كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وانما عنى بذلك التخصيص والتنبيه ان ليس يلزم
النفر جماعتهم ونحو ذلك قوله انفروا خفافا وثقالا الاية انها فى الحرب وفى الحقيقة منها
وفى المبادرة الى جميع ثواب الله وقوله حذروا حذركم نحو اتقوا الله وقوله ولا تخشوا
الناس واخشون ولا تخافوهم وخافون ونحو قوله فانفروا ما بقوا الى مفوف من ربكم
جنه عرضها السموات والارض وفى قوله ثبات او جميعا ينبهه انه يجب ان يعتبر
طالب الحق كثرة مصاحبيه وقلتهم نحو قوله يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم **قوله تعالى وان منكم لمن ليطئن فان اصابتكم
مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولين اصابكم فضل**



من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم
فافوز فوزا عظيما البطو والرث والابطاء والتثاقل والتثاقل يقارب
لكن الثاقل يقتضى الزوال ويقال ابطأ عنى عن بطوء يقولبطئ اى يثبط غيره
وقيل كثر هو التثبط فى نفسه من تعالى لئن قعوا فيكم ومنكم اى يتاخرون عن الحرب
او يوخرون غيرهم فان اصابكم جهد وبلا من الدنيا سروا بتاخرهم عنكم ويريدون ان
ذلك نعمة لانهم ينبهها لانهم لا يعدون النعمة الا من اعراض الدنيا وان اصابكم فضل اى غنيمة
وظفر تحسروا على تاخرهم عنكم وحسدوكم على الفضل الذى اوتيتم وفى قوله كان لم تكن
بينكم وبينه مودة احوال الاول ان يكون حكاية عنهم اى ليقولن لمن ينتظم كان لم تكن
منكم ومن محمد مودة حيث لم تسمعوا كلمة ثم يقولون يا ليتنى كنت معهم فيكون القول
الاول منهم اثارة للشر والقول الثانى منهم اظهار الحسد والثانى ان ذلك اعتراض
متعلق بالجملة الاولى وتقديره يقولون قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا كان
لم تكن بينكم وبينهم مودة فاخرد لك وذلك مستفتح فى العربية فانه ارفق بين بعض
الجملة التى دخل فى اثباتها وتقديره يقول يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما كان لم تكن
اى قوله لهم ذلك قول من ليس بينكم وبينهم مواصلة دينية وذلك ينبيه على ضعف
عقيدتهم وسوء نيتهم وقيل فى قوله قال قد انعم الله على منة منه على قوم من المنافقين
ادسطهم عن الخروج وانه قد ظهر منه صحته فى قوله يا ليتنى اياهم للذين قالوا لهم
ان ذلك كان ناشا ان الرسول لمن اخرجهم من دونه وفى الاثنين ينبه ان عامة
الناس لا يعدون الا اعراض الدنيا مفرحون بما نالهم منها وبرا من المحن الا مضابها
فيتالمون بما اصيبهم فيها وذلك قوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه
فيقول ربى اكرمن الاية **قوله تعالى فليقاتل فى سبيل الله الذين
يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله**

الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل
الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما
الذين يشرون اى يبيعون وهو المعنى بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة وقوله الذين هو فاعل يقاتل والمفعول محذوف وقيل قوله فليقاتل لفر لمن
سطق وهم الذين يشرون ومعناه يشرون يحثوا على ترك ما حكى عنهم فى الاية المتقدمة
وان لجاهدوا فى سبيل فان قيل لم اقتصر على قوله ومن يقاتل فى سبيل الله بل عقبه
بقوله فيقتل او يغلب قيل تنبيها ان من حرك القتال سواء قتل او صار غالبا او مغلوبا
فقد وقع اجره على الله وتدبر الكلام يقتل او يقتل او يغلب لما ليتوهم السامع ان الزام
الغلبة والراحة من المعركة فى كل حال سابع الى ترك انه قد عظم التولى عن القتال
بقوله ولا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الاية ومنهم من جعل المقاتلة فى سبيل
مجاهدة النفس بخو ما روى عنه عليه الصلوة واللام جاهدوا اهواءكم وجعل سبيل الله من
المذكور فى قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والاجر العظيم ثواب
الاخرة ووصفه بالعظيم اعتبارا بعرض الدنيا كما وصف الثمن بالقليل **قوله تعالى**
**وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال**
**والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه**
**القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا**
**من لدنك نصيرا** قال ابن عباس القرية الظالم اهلها مكة وقال كنت من
الولدان وان من المستضعفين فيها فكان قنت ما الفرق بين المولى والنصير قيل المولى من يلى
شؤنك حفظا لشئ فى كل حال والنصير من يقيره اذا حزبه امر فكان الاولى ان يقال المولى
فى كل حال والنصير هو المولى فى حال دون حال ومن هذا الوجه قال بعض المفسرين
اريد بالولى النبى والنصير الملائكة وقال بعضهم جعل الله وليهم النبى عليه الصلوة والسلام



وتضييعهم التابع الذى وراءهم عليهم وتنبيه بعطف المستضعفين على ان الحماية عليهم
من المقاتلة فى سبيل الله وان تضررهم تضرة تعالى وعطف قوله المستضعفين
على الله تعالى تعظيما كما مال تعالى واتقوا الله الذى تسالون به والارحام فعطف
الارحام على لفظ الله تعظيما لامره **قوله تعالى الذين امنوا يقاتلون فى**
**سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا**
**اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا** المقاتل فى سبيل
الله تشاول المحارب والمدافع بالسيف عن الدين بالقول والمتارع لهوى النفس
ولوساوس الشيطان وقد تقدم ان الطاغوت عام فى كل عن الله والمراد به والشيطان
واحد وتنبيه ان من قاتل فى سبيل الله فهو وليه ومن قاتل فى سبيل الطاغوت فهو ولى الشيطان
وتنبيه بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا على ضعف اولياءه ووصف كيده بالضعف
ادراسه لانه من باطل والضعف فى الحقيقة قال تعالى حاكيا عنه وما كان
لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى الاية قال بعض المفسرين ووصف كيد
الشيطان بالضعف عند مقاتلة الانسان فى سبيل الله فكانه قيل ان كيد الشيطان
كان ضعيفا على من يقاتل فى سبيل الله وقال بعضهم ووصف كيد الشيطان بالضعف لضعف
ضره اولياءه بالاضافة الى ضره الله المؤمنين وقال بعضهم الذين يقاتلون فى سبيل
الطاغوت هم الذين يحرون بما يدعوا اليه الخ **قوله تعالى الم تر الى الذين**
**قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب**
**عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد**
**خشية** قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
**قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا** روى
ان قوما استاذنوا النبى صلى الله عليه وسلم فى قتال المشركين قبل ان فرض عليهم القتال

فلم يأذن لهم الرسول عليه الصلوة والسلام فلما فرض ذلك عليهم وهم بالمدينة صعب على قوم
منهم ذلك فقالوا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب اى هلا وهذا الحرف
ان يكون قد صوابه وجوز انهم اعتقدوه وقالوه في انفسهم لحكي الله تعالى عنهم
شبهها انهم لما استصعبوا ذلك دل على استصغارهم الم عيش والثمن ناجيل والمعدن
لما يعقدونه من حسن اعمالهم ومن لحوه هذا الثمن حيث قال في قوله وانفقوا مما رزقناكم من
قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين قال الحسن هذا من صفة المؤمنين وما طبع عليه البشر من المخافة واعلن
اظهار العصيان وكراهة الحق وقال غيره بل هو من صفة المنافقين الحراص على البقاء
في الدنيا ومن انهم يخشون القتل منهم لخشية الموت من الله وفيه بينة على حبهم
والم يخشون حبسهم الذين هم امثالهم وذلك بهاية الخوف وعلى هذا قال الشاعر
يدم قوم وصمهم حيث قال القوم امثالكم لم شرى الراس لم يشرون ان قتلوا

قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا

البروج بيوت في قصور وهي شبه بروج السما وسميت بها والمشيدة المبنية
بالشيد والمزينة بها ومن قال المشيدة المطولة فظر منه الى صفتها لا الى حقيقة
لفظها وفقهت كذا اى علمته بالفكر ومنه سمي الفقه وقد جعل البروج في الآية على القصور
فيكون معناه لقول الاسود بن يعفر

ولو كنت في عدان حمير بابه اراحيل احبس واسن دالف



اذ الموتى حيث كنت منيتي يجب به حاد لها ثرك قائف
وحمل على بروج السما فيكون كقول زهير

ومن هاب اسباب المنية يلقها ولو نال اسباب السما بسلم

فعلى هذا وصف البروج بالمشيدة على طريق التشبيه وباعتبار ذلك فسرت بالمطولة
والقصد بذلك الى نحو ما قيل والموت خطم في رقاب العباد والى نحو معناه
قصد بقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا اى لا يفهمون ما يوعظون به وقيل عني بالحديث الحادثة من صروف الزمان
والمعنى فالهم لا يتدبرون فاحدث حالا فحالا من صروف الزمن كقوله تعالى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقوله وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله الآية قد طعن في ذلك قوم من الملحدة وزعموا ان الآيتين
متناقضتان قالوا ويدل على تناقضهما على وهم موردها ونسيانه في الوقت ما قد سبق
من كلامه والموفق ذي سلم من العقل لقول كل من عند الله ثم يقول منكرا على
من قال ذلك ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ويثبت
ما قد نفاه وينقض ما قد اباه هذا من طعن الملحدة فاما اهل الشرع فقد تعلق بالآية
الاولى الفرقة التي لقبها المعتزلة بالجبر فقالوا ان قوله كل من عند الله عام يدل
على ان الافعال الظاهرة من العباد من الله تعالى وتأولوا قوله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك بمقتضى ان لا تنسب فعل السيئة الى الله تعالى بوجه وجعلوا
الحسنة والسيئة في الآية الاولى بمعنى الخصب والجدب والفقر والغنى فاما
طعن الملحدة فظاهر الوهن وذلك ان الحسنة والسيئة من الالفاظ المشتركة
كالحيوان الذي يقع على الانسان والفرس والحمار ومن الاسما المختلفة كالعين والجارية
فاذا قال الحيوان متكلم والحيوان غير متكلم واراد بالاول الانسان وبالثاني الفرس والحمار

لم يكن مناقضا وكذا اذا قيل العين في الوجه والعين ليس في الوجه واراد بالاولى
الجارحه وبالثانيه عين الميزان او السحاب فكذلك الايه اذا اريد بالحسنه والسيئه
في الايه الثانيه غير الذي اريد بهما في الايه الاولى وفي هذا قناعه لمن مال هذا
المعترض ثم اذا تؤمل مورد الكلام وسبب نزول الايه بان لايليق حاله الا بتعيين
الايه على وجه يشرح صدرا او يزيل شكا وسبب نزول ذلك ان قوما لسلوا ادرعة
الى عني يبالونه وحسب بحرونه وطفر يحملونه فكان اذا ناب احدهم نائبه او فاته محبوب
او ناله مكروه اضاف سيئه الى التي عليه الام متطيرا به فقال تعالى ان حسنه تك
خصب وسعه يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئه اى جدب وفقر يقولوا لبك
ونسبوها اليك والحسنه والسيئه هاهنا ما المذكورتان في قوله وبلوناهم
بالحسنات والسيآت وفي قوله ثم بدلنا مكان السيئه الحسنه ولهذه الايه
قوله في قصه موسى عليه الصلوه والام فاذا جاتهم الحسنه قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئه
يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وفي قوله في صالح قالوا اطيرنا بك وبمن
معك قال طائركم عند الله ان قيل ما الفرق بين قولك هذا من عند الله وهذا
من الله حتى قال في الاول قل كل من عند الله وقال في الثاني قل من الله قيل قد قال
بعضهم ان قوله هذا من عند الله اعم فانه قد يقال فيما كان مرضاه وسخطه وفيما
حصل وقدامره ونهيه وراقال من الله الا ما كان مرضاه ويامره وهذا الاطراد قال
عمران اصبت فمن الله وان اخطات فمن الشيطان ثم ذكر تعالى ما يصيب الانسان
من ثواب وعقاب ومحاب ومكاره مما في سنه صنع بشر وقال ما اصابك من حسنه
فمن الله وما اصابك من سيئه فمن نفسك وعنى بالنفس المذكوره هاهنا المذكوره في قوله
ان النفس لامارة بالسوء ومقتضى الايه كقوله من جاء بالحسنه فله خير منها ومن جاء بالسيئه
فكبت وجوههم في النار وكقوله ما اصابكم من مصيبه فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير



وعلى قول ابن عباس فقال ما اصابك من حسنه يوم بدر فمن الله وما اصابك من
سيئه يوم حنين فمن نفسك ان قيل كيف جعل العقاب سيئه ومعلوم انه في
الحقيقه ليس بسيئه قيل ان ذلك كقوله وجزاء سيئه سيئه مثلها وقد تقدم مثل ذلك
ان قيل اذا كان معنى الايه الثانيه على ما ذكرت في انه اريد به الثواب والعقاب
فهلا قال ما اصابك من حسنه وسيئه فمن نفسك اذا كان مقتضى ثوابه وعقابه
فعل العبد قيل انما نسب الله تعالى الحسنه الى نفسه في الثواب بينها انه سبب
الخير ولولاه لما حصل بوجه فانه يكسبه للعبد بارادته من الله وامره وحثه وتوفيقه
واما السيئه وان كانت بارادته من الله عند قوم فليس بامره منه ورضاه وتوفيقه
ومع ذلك ادب نذكر ذلك عباده ليراعوا فيما يالهم نعمته عليهم وينسبوا الحسنات
اليه ويعلموا انه سبب كل خير وانه لولاه لما حصل منها شيء وعلى هذا قوله عليه الصلوه
والام ما احد يدخل الجنه الا برحمه الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وقال
امر المؤمن عليه السلام لاحبش الذي نبك ورائح الويك ان قيل ما الفرق بين
الحسن والحسنه والحسنى والسنى والسيئه والسوء مثل الحسن والحسنه هما ان
في الاعيان والاحداث لكن الحسنه اذا استعملت اسما فتتعارف في الاحداث
دون الاعيان والحسنى لا تقال الا في الاحداث ومتى قيل رجل سنى فانما يعنى
به المسن ان قيل كيف قوبل الحسنه بالسيئه وحقها ان تقابل بما يقتضي معنى
المسره كما قال حسنه وسره وساءه وسره وراقال في مقابله ساءتني من لفظ حسن
قيل الحسن لفظ عام كما تقدم والحسنه والحسنى المقابل بها السيئه والسوء مخصوصين
في الافعال ولما كان كل فعل حسن يسر صاحبه وكل فعل قبيح يسوء صاحبه صار القبيح
والسوء في الافعال مثلا ومن قبيح ان يقال الحسنه بالسيئه ان قيل من المخاطب
في قوله ما اصابك قيل قال بعضهم موجه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه للقوم

الذين يكلمهم وفي هذا النوع من الخطاب ضرب من التعريض ولأجل قصد التعريض
في نحوه مثل إياك أعني واسمعي يا جارة ويدل على كونه خطابا له قوله من بعده وأرسلناك وقيل
هو خطاب لكل إنسان وذلك نحو قول القائل أيها الإنسان وكلكم ذلك الإنسان وقال
آخر هو خطاب للفريق المذكور في قوله إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله قال
ولما كان لفظ الفريق والحي والجند مفردا أن خاطب وخبر عنه بلفظ الواحد تارة وبلفظ
الجمع تارة كلفظ كل ونحوه من الألفاظ وعلى هذا قول الشاعر

تفرق أهلانا بثين فمنهم فريق أقام واستقل فريق

وكل هذا الكلام في مقتضى حكم اللفظ فأما من حيث المعنى فالناس خاصهم وعامهم مراد بقوله
ما أصابك من حسنة فمن الله إن قيل ما وجه قوله وأرسلناك للناس رسولا بعد ذلك الكلام
قيل لما كان قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك إنذارا لهم نبه بذلك أنه قد أزاح
عللهم به وأتاهم من عصوا فلا حجة لهم لسانه إلى قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وقوله وكفى بالله شهيدا أي يشهد تعالى بما تفعله ويفعلونه ويشهد يوم القيامة
وكفى به مشاهدا وشاهدا قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع
الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا نبه بذلك
على حجة ظاهرة في وجوب طاعته وبيانه أنه إذا كان طاعة الله واجبة وطاعته
لا تتم إلا بطاعته إن عامة أو لا سبيل إلى الوقوف عليها إلا من جهته وما لا يتم
الواجب إلا به فهو واجب كوجوبه اقتضى ذلك أن من أطاع رسول الله فقد أطاع الله فنبه
بذلك على مقابله وهو أن من عصى رسوله فقد عصى الله وكما أمر بطاعة الله
ورسوله الأمر بالإيمان بهما في نحو قوله يؤمنون بالله ورسوله وكذلك الأمر بالاستجابة
في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ثم قال وما
أرسلناك عليهم حفيظا حثا على إبلاغ ما ندب إليه من المأمور به في قوله يا أيها الرسول

بلغ ما أنزل إليك من ربك ومنبها أن ليس يعود عليك مضرة ما يفعلونه في أنفسهم
المدلول عليه بقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله إن عليك إلا البلاغ قوله عز وجل
ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير
الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا المعني بقوله ويقولون الذين يخشون الناس وقد تقدم
أن ذلك قيل من صفة المنافقين وقيل من صفة الناس كافة والتبييت كل فعل
أو قول دبر بالليل ولأجله قيل دع الرأي يغب قال الشاعر

أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتوني بأمر نكر

وقيل اشتقاقه من بيت الشعر أو البيت المبني وهو الذي سوي من القول أو الفعل
تسوية بيت شعر أو بيت شعر ونحو قوله بيت طائفة قوله إذ يبيتون ما لا يرضى من القول
قال الكلبي التبييت في لغة طي التبديل ومعنى الآية أنهم يبدلون من أنفسهم الطاعة
فورا فإذا خرجوا من عنده عليه الصلاة والسلام دبروا أن يفعلوا خلاف ما قالوا والله
يكتب ما يبيتون أي يعلمه ويحفظ مجازاتهم به والكتابة ههنا كالاستنساخ في قوله
إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ونسب ذلك إلى نفسه هنا وإلى ملائكته في قوله بلى
ورسلنا لديهم يكتبون وفي قوله إن رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد ينسب الله تعالى
فعل سبب فعل أوليائه إلى نفسه تنبيها على ارتضائه وكونه أمرا نحو قوله يتوفاكم
ملك الموت الذي وكل بكم وقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها وقوله فأعرض عنهم
ثم أمره بالتوكل عليه وقد تقدم أن من التوكل ملازمة أوامره والانتهاء عن نواهيه
وأن لا يرجى ولا يخاف سواه ونحو قوله وكفى بالله وكيلا وقوله ومن يتوكل على
الله فهو حسبه قوله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا التدبر النظر في دبر

الامور وتاملها وقد يقال ذلك في تامل الشي بعد حصوله ومعرفة خيره من شره و
صلاحه من فساده كقولك تدبرت ما فعل فلان فوجدته سديدا واصل التدبر من الدبر
ومنه الدبور والدبر المال الكثير الذي يخلفه الانسان ويجعله عدة اما لنفسه في مستانف
عمره او لعقبه ان قيل كيف قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
وثم من كلام لعل فيه من الاختلاف ما في القران فما من اية الا وقد اختلف فيه الناس
قيل لم يعن بالاختلاف ما يرجع الى احوال المختلفين لاختلاف تصورهم لمعناه او اختلاف
نظرهم ولا الاختلاف الذي يرجع الى تباين الالفاظ والمعنى والايجاز والبسط و
انما قصد الى معنى التناقض وهو اثبات ما نفي او نفي ما اثبت نحو ان يقال زيد خارج زيد ليس
خارج والمخبر عنه والخبر والزمان والمكان فيهما واحد واعادت الملحدة لعنهم الله فيه
التناقض من نحو قوله فلنسئلنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا
جان فذلك غير ان قد اختلفا اما في الزمان او في المكان او في المخبر عنه او في الخبر
وهذا ظاهر وقيل معنى قوله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ان للانسان هاديين الشرع
والعقل كالاصل للشرع فبين تعالى ان الذي اتاكم به من الشرع لو كان من
عند غير الله لكان يقتضي العقل بخلافه فلما وجد بينه وبين العقل مشابهة علم انه من عند الله
فان قيل فقد ورد في الشرع اشيا يقتضي العقل خلافها قيل كلا فان جميع ما ورد به
الشرع لا ينفك من وجهين اما شي يحكم به العقل لكونه حسنا مثل اشكر الله
في احسانه وعبادة الرب او يكون غير مهتد الى معرفته لا انه يستقبحه فيبين الشرع حسنه
وذلك كاعداد الصلوة وهياتها واركانها في كونها عبادة على وجه دون وجه
واما ان ياتي الشرع بشي يقتضي العقل بكونه قبيحا فليس ذلك بموجود وبعض الناس
تصور اشيا ينفر الطبع منها لعادات جارية او اعتقادات فاسدة ولم يعرفوا انه
من جهل العقل وظنوا ان العقل حكم بضد الشرع كذبح البهائم ان قيل ما وجه تعلق



هذه الاية بما تقدم لما ذكر فيما تقدم احوال الذين يتحاكمون الى الطاغوت ويتركون كتاب
الله ورسوله ويقاتلون في سبيل الطاغوت وذكر الذين يخشون الناس ومقالهم عند ما
نالهم من حسنة او سيئة ومخالفتهم في الطاعة وكان ذلك منهم لقلة تاملهم كتاب الله
وتدبرهم ان ما امروا به في باب الحال من القتال مناقض لما امروا به قبل من كف اليد و
غير ذلك بما يختلف لاختلاف الاحوال نبههم تعالى في هذه الاية ان كل ذلك لعله
لقلة تدبرهم وانهم لو تدبروا لعلموا ان ذلك حق نزل عليهم من الله لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا الاستنباط استخراج الشي
من اصله كاستنباط الماء من البير والجوهر من المعدن وذلك كالاثارة في اخراج
التراب واستعير للحديث قال الشاعر
بكفيك انزف القول استنباطي
قال الفراء يقال نبطه قال ومنه النبط لاستنباطهم الارض عمارتها والذين يستنبطونه
منهم قيل هم اولوا الامر الذين لهم معرفة استنباطه فيكون ذلك حثا على ترك من
لا يعلم لمن يعلم ليستنبط هو لمعرفته فاذا عرف عرفهم ما يجب تعريفه وقيل عني بالذين
يستنبطونه الذين يبثونه ويكون ذلك نهيا لهم عن الاستنباط بالتخمين والظن
وحثا على رده الى الرسول والى اولي الامر منهم وقد تقدم الكلام انفا في اولي الامر منهم
وقيل سبب ذلك ان قوما كانوا اذا سمعوا من افعال المومنين او الكافرين
ما فيه امن او خوف بادروا الى اشاعته قبل ان يحققوا معناه قال الفراء يراد بها
النبي عليه الصلوة والسلم وانه كان اذا انفذ سرية تحدث المنافقون عنها ما شاعوا حديثها

قال الحسن قد كان يفعل ذلك ضعفا المسلمين ويقولون اقوالا نحمينا فنهوا عن ذلك
والآية تقتضي ان يراقدم الانسان على ما لا يحقق جواز الاقدام عليه ويراقول الاعن بصيرة
وعلى ذلك قوله تعالى ويراقف ما ليس لك به علم الآية وقوله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اختلف في قوله الا قليلا عما استثنى وذلك
لاختلاف تصورهم لمعنى الفضل فالاول عن الحسن وقتادة تقديره يستنبطونه منهم الا
قليلا الرابع لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم الخامس لاتبعتم الشيطان الا اتباعا قليلا
ان قيل كيف القول الرابع والخامس وقد علمنا انه لولا فضله لاتبع الشيطان بل
ما كانوا يوحدون لهم معرفة استنباطه فيكون ذلك حثا على ترك من لا يعلم لمن يعلم
ليستنبط ما لم يعرفه فاذا عرفهم ما يجب تعريفه وقيل عنى بالذين يستنبطونه
الذين سمعوه ويكون ذلك نهيا لهم عن الاستنباط بالتخمين والظن وحثا على رده
الى الرسول والى اولي الامر منهم وقد تقدم الكلام انفا في اولي الامر من هم وسبب ذلك
ان قوما كانوا اذا سمعوا من افعال المؤمنين او الكافرين ما فيه امن او خوف اذاعوا
الى اشاعته قبل ان يحققوا امضاءه قال الغزالي سرايا النبي عليه الصلوة والسلام وانه كان
اذا انفذ سرية تحدث المنافقون عنها فاذا شاعوا حدثوا بها قال الحسن وقد كان يفعل
ذلك ضعفا المسلمين ويقولون اقوالا تخمينا فنهوا عن ذلك والآية تقتضي ان
لا يقدم الانسان على ما لا يحقق جواز الاقدام عليه ويراقول الا عن بصيرة وعلى ذلك قوله
تعالى ويراقف ما ليس لك به علم الآية وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشيطان الا قليلا اختلف في قوله الا قليلا عما استثنى وذلك لاختلاف تصورهم
لمعنى الفضل فالاول عن الحسن وقتادة تقديره يستنبطونه منهم الا قليلا الرابع لاتبعتم
الشيطان الا قليلا منكم الخامس لاتبعتم الشيطان الا اتباعا قليلا ان قيل كيف يصح
القول الرابع والخامس وقد علمنا انه لولا فضله لاتبع الشيطان بل ما كانوا يوحدون فضلا

فضلا عن ان يفعلوا فانا لو تصورنا فضله مرتفعا لارتفع وجود الناس لوجود العالم
قيل اذا جرى الفضل على العموم فهو كما يقول ومن اجله حاشى من استثنى من ان
يكون ذلك استثناء من قوله لاتبعتم فاما اذا اعملت فضله خاصا في هذا الموضع فمعناه
صحيح وبيان ذلك ان فضل الله وان كان لا يحصى بعضيلاته فالذي به هدانا الى
البلوغ الى ثوابه فضلان فضل العقل وفضل الشرع وعني هاهنا بالفضل الشرع دون
العقل وبين انه لولا ما انعم به على الناس من رسوله وكتابه لما اهتدى من خذله بالعقل
المجرد الا قليل من الناس والقليل الذين لم يكونوا متبعوا الشيطان لولا فضلهم
الحكماء والاولياء الذين نالوا منزلهم منزلة الانبياء عليهم السلام وهذا ظاهر **قوله عز وجل**
**فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين**
**عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد**
**تنكيلا** التنكيل مصدر نكلت به والنكال العقوبة التي ينكل المعاقب وعن المعاقب
عن اتيان مثله واصله من النكل وهو ضرب من القيد ومنه نكل عن الشيء ان قعد كف
قال لا تكلف الا نفسك وقد بعثت النبي صلى الله عليه وسلم لا تكلف الناس فعل الامر
بالتكليف المستدعى الكف وترك له الباقي انه قال وحرض المؤمنين على القتال
وهذه الآية تقتضي ان على الانسان ان لا يأتي في نصرة الحق وان يفرد بعد ان يراجع
في فعله وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لو خالفني بيمني جاهدتها بشمالي وتلا هذه الآية
وقال بعض الحكماء من طلب رفيقا في سلوك طريق الحق فلقلة يقينه وسوء معرفته فالمحق
للسداد والعارف بالطريق اليها لا يفرح على رفيق ويراه بك طول طريق من خطب
الحسناء لم يغلها مهرا والفاء في قوله فقاتل قال الزجاج هو جواب لقوله ومن يقاتل ووجه
ذلك انه محمول على المعنى كأنه قال ان اردت الفوز بذلك فقاتل وقال بعضهم هو متصل
بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقوله عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي كرت

راجيا في دفع اذلهم وقول المفسرين عسى من الله واجب اى الكريم اذا رجى حقق وقوله
والله اشد بأسا واشد تنكيلا منه اى لا يحتاج ان يقصر عن مرامه فالله معك وهو
لشد باسا من عداك فلا جب ان يكادك من تأخر عنك **وقوله عز وجل**
**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع**
**شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء**
**مقيتا** الشفاعة من الشفع اى ضم الشئ الى غيره وصد قولهم شفعه افرده
ولهذا قال الشاعر

ومن يزد الاخوان فما تنوبهم نصيبه الليالى مرة ومن معرد

والشفعة متعارفه فى ضم ملك مع الى ملك والشفاعة فى انضمام انسان الى اخر
فما طلبه والشفاعة المذكورة فى نحو قوله لتقبل منها شفاعة سمى فى الاخر معروفة ولهذا
فى الدنيا ان يهدك الانسان عنه فيمن هدى عنه الى طريق خير فقد شفع له واصل
الكفل الكفل لجعل اسما لمركب من خرق وكساء يوضع على الكفل وقد يسمى بالكسر العصر
باسمه كقولهم يد القميص ويده ورجل السراويل والساق والساعد لما الفوا هذين
العضوين ثم استعمى الكفل تارة ان سار كونه شبيها بذلك المركب قال الشاعر

عز هيل وراعوا وين فى الهجا وراعزل ورا الكفال

ثم سمى الفاجر فى اى امر كان كفلا ولما كان ذلك الكفل يجعل على ظهر الكفل يصور
منه الحمالة فقيل للمتحمل فى العرف كفل فان قيل فلم فرق بينهما فقال فى الحسنة نصيب
وفى السيئة كفل قيل لعل ذلك انه لما كان النصيب يقال فيما يقل ويكثر والكفل لا يقال
الا فى المثل حاز فى السيئة لفظ الكفل تنبيها على معنى الحمالة واشاره الى
ما قال من السيئة فلا يحرك الا مثلها وقد قيل الكفل المذكور هاهنا الكفر وبه قال
فى التى الردى وبنبه لفظه على ذلك تنبيها على قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فان قيل

فقد قال يؤتكم كفلين من رحمته وليس ذلك بمذموم قيل انه عنى بالكفلين
هاهنا اى له كفيلان من رحمته تكفلان به من العذاب فيضارع اللوطان و
مختلفان ولما حث الله تعالى فى الاية المتقدمة على تكلف ما امر ورخص المؤمنين
ورجاه الظفر بالكفار من هاهنا ان من اعان غيره فى فعل حسن فله نصيب فى ثوابه
وان اعانه فى فعل سيئ فله كفل منه وذلك عباره عما بينه النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخبر وقال بعضهم القصد
بذلك ان من يدعو الغزو دعا حسنا فله فيه نصيب ومن فعل بخلاف ذلك فعليه كفل
قال والسبب فى هذا ان اليهود والمنافقين كانوا اذا دخلوا على النبى صلى الله
عليه وسلم يقولون السام عليكم يوهمون انهم يقولون السلام عليكم فانزل الله
ذلك واستدل قابل هذا بقوله تعالى بعد ذلك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها وقوله وكان الله على كل شئ مقيتا قال السدى المقيت المقتدر
واشد الكساى فيه وكنت على مسانه مقيتا

وقال ابن عباس الحفيظ وقواه الزجاج وقال مجاهد الشهيد وروى عنه الحسيب
وقال الضحاك الرازق وقال عنهم المجازى وحقيقته الذى يجعل للانسان قوتا
وفى الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ويقيت كان الله تعالى يجعل
لكل انسان قوتا من الجزا بقدر فعله ويجعل له فى الدنيا والاخرة قدر ما يستوجبه
وما قالوه فصحيح من حيث المقصد لان ما قدره الله تعالى للعبد فقد حف طه
وشهده وروى ان رجلا سال عبد الله بن رواحه عن المقيت فقال قوت
كل انسان كل انسان يقدر عليه كانه اشاره الى ما قال عليه الصلوة والسلام ان الله يحاسب
عباده بقدر عقولهم **قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا**
**باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شئ حسيبا**

التحية من قولهم حيا الله فلانا اى جعل له حيوة وذلك اخبار ثم جعل دعاء ثم قال
وحيا فلان فلانا اذا قال له ذلك وحكم به كما يقال اضلك فلانا واراشدته
اذا حكمت له بذلك واصل التحية من الحيوة ثم نقل الى دعا تحيه لكون جميعه غير
خارج عن كونه حيوة او سبب حيوة اما دنيوية واما اخروية ان قيل على اى وجه جعل
ان قيل على اى وجه جعل قولهم السلام تحيه الملتقين قيل السلام والسلم واحد
بدليل قوله قالوا سلاما قال سلم والمكان الملتقيان من الاجانب قد يحذر
احدهما الاخر ليتقوا هذه اللفظة بينهما من المخاطب اى يذلك لك ذلك و
طلبته منك وبه اجيب اذا قال وعليك السلام على نحو ذلك ثم صار ذلك مستعملا
في الاجانب والاقارب والاعارك والاصدقاء تنبيها ان اسئل الله ذلك لك
واكثر المفسرين حملوا الاية على التحية الجارية فقالوا معناه من حياكم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها اى قابلوه مثلها قالوا ورد ذلك انه متى قال قائل السلام عليكم فانه
يقول وعليكم السلام او يقول وعليكم وهذا مردود بدليل انه اذا قال وعليكم فقد
رد ان رجلا دخل على عمر وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال عمر وعليكم
فظن الرجل انه لم يسمع عمر فاعاد عليه فاعاد عمر مثل ما قال فقال الرجل يا امير المؤمنين
الم ترد على كما اقول قال الم افعل واما الحسن منها فان تقول له اكثر من ذلك
ما لم يستوف السلم الفاظ التحية وذلك ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال السلم عليكم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عليكم السلام ورحمة الله ثم اتى
اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته فجا ثالث فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال صلى الله عليه وسلم
وعليكم فقيل له فى ذلك فقال ان الاول والثانى ابقيا من التحية شيا فرددت
عليهما باحسن مما سلما والثالث جاء بالتحية كلها فرددت عليه مثلها ومن المفسرين

من قال له ادن من حياكم بعض التحية فحيوا بها انتم ومن حياكم بالتحية تامة فردوا
مثلها ومنهم من قال بل حيز كلهم بين الامرين وقال قتادة باحسن منها للمسلمين ومثلها
اهل الكتاب ومعنى ان تقول وعليكم وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله
فارددت عليه وان كان مجوسيا ومن المفسرين من حمل ذلك على الهدايا واللطف
وقال حق من ولى شيا ان يولى مثله واحسن منه ومنهم من قال السلام هاهنا السلم
ومعناه قال وهذا امر منه ان من بذل لكم السلم من الكفار بان يردوا الاقوال
في الشرع فابذلوا له كقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قال وامره بان يرد على
ما ذلها مثلها او اكثر منها قال ومثله ان يبذل له الامان مما خافه واكثر منه ان
يبذل ان له مالهم وعليه ما عليهم من النصرة والموالاة وذلك ومثله مما قد بينه
في قوله والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض قال وذلك ومعناه الذى بسطه من بعد
في قوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مومنا وقوله وكان الله على كل شيء حسيبا اى محاسبكم على
كل شيء قل او كثر فلا تعتدوا عن صغيره وكبيره وقوله عطا حفيظا وقوله ان
حسيبا شهيدا فاشار الى هذا المعنى وقيل حسيبا اى كافيا من قولهم احسبنى هذا
الشيء اى كفانى حتى قلت حسبى ومن قال ذلك جعله من باب الداعى السمع اى المجيب
ومنهم عطا حسابا اى كافيا والمعنى ان الله يعطى كل شيء من المعرفة والحفظ
والرزق ما يكفيه او نحو ذلك **قوله تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى**
**يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا سمى يوم القيمة**
لقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا
ان قيل ما وجه هذه بعد تلك الاية قيل لما امر المسلمين ان يقولوا من بدا لهم السلام
بين لهم بهذه الاية ان ذلك حكم الظاهر فاما السرائر فان الله يتولاها يوم القيمة

تنبيها ان الله لم يحب للمنافق ان يمس بهذا بل يحقق ان الله له بالمرصاد ان صدق
قال ومن اصدق من الله حديثا ومن كان صدقا من الحديث لم يتعارب فيكون من بعض
قال لله اكثر صدقا من قائل اخر قبل ان الصدق من صفة القائل لا من القول والقائلون
اذا اعتبروا انما قالوا لم فمنهم من يكون صادقا في احاديثه اكثر فكانه قيل اذا اعتبر الصادقون
في اقوالهم وليس فيهم اكثر صدقا من الله فانه لا يقع في خبره كذب بوجه قوله عز وجل
**فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون**
**ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن**
**تجد له سبيلا** الركس والنكس الرذل والركس الخ ران النكس ما جعل اسفله
اعلاه والركس اصله من جعل طوقا بعد ان كان طعاما فهو كالرجيع وقد وصف اعمالهم به
كما قال تعالى انما المشركون نجس وقال ركسه وانكسه وارکس ابلغ كان
اسفاد ابلغ من قولهم سفادان قيل كيف قال فلن تجد له سبيلا فنفى بعنيا مطلقا وقد
انث للكفار سبيلا قال تعالى في سبيل الطاغوت وقال ولن يروا سبيل الغي
تخذوه سبيلا قيل اسم الجنس اذا طلق فليس بمتناول الا الصحيح وكهذا قال لم يصلوه الا
كذا وقالوا ما ان ليس برجل لما كان اختلاف الرجال متناول للكامل فكذلك لم يعد
قائل ذلك كاذبا واختلف في سبب نزول هذه الاية على اوجه الاول قال زيد في الدين
حلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الثاني قال الحسن ومجاهد في قوم قدموا المدينة
واظهروا الاسلام ثم رجعوا الى مكة فاظهروا الشرك الثالث قال ابن عباس وقتادة
في قوم اسلموا بمكة اعانوا المشركين على المسلمين قال السدي في قوم بالمدينة ارادوا
الخروج منها الخامس قال ابن زيد في قوم من اهل الافك وما بعده نزل انه في شان الهجرة
وحمله الاكثرون ان الناس كانوا اختلفوا في فئة من المنافقين حتى بين امنهم بعضهم وهو الاظهر
بعضهم قال تعالى مالكم قد صرتم فئتين مختلفتين فيهم وقد خذلهم الله حتى ان لا سبيل لهم

بعد ان يصلهم الله كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
وقوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا الفاعل
الضلال ما جعله الله كاهدى الهدى وقيل اتريدون ان تسموهم مهتدين وقد سماهم الله
ضالين وقيل اتريدون ان تهدوهم كرها وقد جعلهم الله بما اكتسبوه حالا فحالا ضالين
وذلك ليشاره الى الخوقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقوله بل طبع
الله عليها بكفرهم وقوله بل طبع الله على قلوبهم فقد بين ان الله تعالى لما اجرى العادة
ان من يجري الحرام فحالا فحالا اراد اهدايه سبب ذلك نفسه اذ كان فاعل اسباب الشيء
قد يقال انه فاعل الشيء بان يسمى فاعلا وقد تعدم الكلام في الهداية والضلالة
بما فيه كفاية واستصاب قوله فئتين على الحال عند البصريين وعلى تقدير كانوا عند الكوفيين
وعلى هذا القولين قد لهم مالك فحالها قوله تعالى **ودوا لو تكفرون كما كفروا**
**فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في**
**سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم**
**ولا نصيرا** الهجرة ترك الشيء والاعراض عنه مكانا
كان او خلطا وسمي القبح من الكلام هجرا لكونه مقتضيا للهجر والرفث هاجره لكونه
حاملا على ان يهجر واسمي المهاجر لتركه وطنه وصار اسم مدح في الاسلام وسمي من وصف
بفضولات شهواته مهاجرا عن تعالى ان الذين تقدم ذكرهم ممن يقول امنا وادعوا الاسلام
انهم كفار ويودون لكم الكفر الذي هم عليه ومن اراد لكم الكفر فمحال موالاتهم فلا تتخذوهم
اولياء حتى يسلموا ويحققوا اسلامهم بالهجرة قال فان تولوا اي ان كشفوا القناع
فقد صاروا مرتدين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تكونن بينكم وبينهم موالاة
ونصرة بوجه ان قيل فما فايدة قوله ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا بعد ان قال فلا تتخذوا منهم
اولياء قيل قد قال بعضهم ذلك على التوكيد والصحيح ان الذين دخلوا في الاسلام من الاعراب

فرقتان فرقة هاجروا وفرقة اقاموا وبين الله تعالى ان من اقام ولم يهاجر فلا ولاية
له الى ان يسلم ويكون له على قومهم منصرهم وذلك في قوله ما لكم من ولايتهم من شئ
حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فمنع
تعالى عن موالاتهم بقوله فلا تتخذوا منهم اولياء كما منع من ذلك الآية ولم يمنعهم من نصرتهم
ثم بين انهم ان تولوا الى ارتدادا عما اظهروه من الاسلام وكشفوا الغطاء بالكفر فلا
يجوز ان تتوالوهم وزاد ان ينصروهم بوجه **قوله تعالى الا الذين يصلون**
**الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم**
**ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم**
**فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم**
**السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** الحصر حبس في ضنك وعبر
عن البخل والجبن بانحصار النفس وكذلك عبر عنهما بضيق الصدر وعن ضدهما
بسعة الصدر وبالبر المشتق عن البر الذي السعة والحصور الممنوع عن النكاح بحبس
شهوته وعن الشراب بحبس ماله لنحله وفي اتصال هذه الآية بما قبلها وحكمتها صعوبة
ووجه ذلك انه لما امر تعالى الناس فيما تقدم بالهجرة ونهى عن موالاة من لم يهاجر استثنى
هذه الآية من حصل له احدى حالتين اما ان يصلوا الى قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه
وسلم عهد لعجز لحوقهم به فيقيموا الى وقت الامكان به واما ان يهاجروا ويأتوا النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين فحصر صدورهم ان يقاتلوا المسلمين لعلمهم بكونهم على
الحق وان يقاتلوا قومهم لكونهم غير امنين على مالهم ودونهم فهذا معنى قوله حصرت
صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم وقوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اظهار من الله
تعالى لنعمته على المسلمين وانه لو لم يهدهم لكانوا في جملة المتسلطين عليكم ثم بين انهم
اذا اعتزلوا واظهروا الاسلام فانتزكوهم فهذا على ما ذكر هذا العائد بهم الذين اسلموا



ولم يستحكم ايمانهم ولم يبلغوا الحد الذي لا يرجعون في نصرة الدين الى اهل وقال قتادة وقد
روي عن ابن عباس ان قوله الا الذين يصلون الى قوم هم قوم من الكفار اعتزلوا
المسلمين يوم فتح مكة فلم يكونوا مع الكافرين ولا مع المسلمين قال وهذا معنى اوجاءوكم
حصرت صدورهم قال ثم نسخ ذلك بآية القتال والقول الاول اظهر والحصر وقوله
حصرت صدورهم في موضع الحال عند القراء وبقدره قد حصرت صدورهم وتقول ذلك
بقراءة الحسن اوجاءوكم حصرت صدورهم وقال بعضهم هو خبر بعد خبر كانه قيل او حصرت
صدورهم وقال الرجاني في كتاب النظم تقديره وان جاءوكم حصرت صدورهم فحذف ان
قال والفعل الماضي يقع في الشرط موقع المستقبل وفي ادخاله اضمار ان عهد فما ادري
اهل اللغة يطابقونه عليه وقال المبرد هو دعاء عليهم ورد ذلك لبعد على النسق وقال
قد امرنا ان نقول اللهم اوقع بين الكفار العداوة والبغضاء والجواب ان يحمل على الدعاء
فيكون في قوله ان قاتلوكم نفي ما اقتضاه دعاء المسلمين عليهم وهذا القول من المبرد
ومن المراد عليه مبني على ان الآية في الكفار على ما تقدم من القول الباني فيه ولقائل
ان يقول كما يجوز ان يدعى عليهم بايقاع العداوة يجوز ان يدعى عليهم بان يحملهم الله
حيث لا يقاتلون اعداءهم وراء قومهم ويكون ذلك سوالا لهم ويدل لك على جواز
ذلك انه لو جمع بين المقاتلتين لم يمتنع فكان يقال اوقع بينهم العداوة والبغضاء
واوهن كيدهم واجبلهم حتى لا يقاتلون المسلمين وراء بعضهم بعضا على ان قوله
فقد منهم قد يعبر به عن ليس منهم بل هم من معاديهم كقولك والان صاحبك وهم قوم لك
اي المناصبون لك **قوله تعالى ستجدون آخرين يريدون**
**ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان**
**لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم**
**حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا**

الركس والرجس سواء ان لكن الرجس الحس وقيل ركسه وركره بمعنى الا ان الركس
يقال في مكروه وقيل الفتنه ها هنا الكفر وقيل الاختيار والسلطان الحجه والبطش
وقد تقدم حقيقته والايه قيل نزلت في خمسة من سعود وكان بقل حديث النبي
صلى الله عليه وسلم الى كفار مكه وقال ابن عباس نزلت في قتيلي اسد وغطفان
وقال قتاده في حي من تهامة وحمله الزمرانه لما ذكر فيما تقدم من له عذر باحد الامرين اللذين
ذكرهما ذكر ها هنا فرقه لا عذر لهم كانوا يظهرون الاسلام ثم يرجعون الى عبادة الاصنام
لكن ذكرهم في قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم فذكر ان لم يعتزلوكم ويطلبوا بدخولهم الاسلام ويكفوا ايديهم عنكم فقد اباح لكم
قتلهم وقد جعل الله لكم عليهم حجه بينه وقوله كلما ردوا الى الفتنه اى اذا ردوا
الى الكفر عادوا اليه فتحسوا به وقيل اذا ردوا الى الاختبار اى الاسلام وجدوا بركسون
فيها ويكون قوله اركسوا وجدوا كقولهم احمدوا وادموا وقيل الفتنه الاختبار انما اراد
به ما قصد بقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
ومعناه انه اذا ابتلاهم محنه ارتدوا كما قال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنه انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخره الايه
قوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا ومن قتل مومنا
خطا فتحرير رقبه مومنه ودیه مسلمه الى اهله الا ان يصدقوا فان
كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبه مومنه وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فديه مسلمه الى اهله وتحرير رقبه مومنه
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبه من الله وكان
الله عليما حكيما ان قتل الحر ان يقتل المومن خطا حتى قال وما كان لمومن
ان يقتل مومنا الا خطا قتل ان قوله كان يجوز او لا يجوز انما يقال في الافعال الاختيارية



المقصوده فاما الخطا فلا يقال فيه ذلك وقولك ما كان لك ان تفعل كذا وقولك
ما كنت لتفعل كذا امثاريان وهما تفيدان معنى وان كان اكثر ما يقال للاول ما كان
الاحجام عنه من قبل نفسه ويدل على انه قد يقال ما كان لك ان تفعل كذا لما ذكرنا
قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ان معناه ما كان لله ليتخذ ولدا على انه لو اراد
وعلى هذا قوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فقوله ما كان لمومن ان يقتل مومنا اى
ما كان المومن ليقتل مومنا الا خطا وهذا ظاهر وهذا المعنى اراد من قال معناه ما سعى
للمومن ان يقتل مومنا متعمدا ولكن يقع ذلك منه خطا وكذا من قال ليس في حكم الله
ان يقتل المومن مومنا الا خطا وقال الاصم معناه ليس القتل لمومن متروك له فعقتضى له
الا ان يكون قتله خطا وهذا يرجع الى الاول وقول بعض النحويين ان هذا استثنا
خارج فليس على التقدير الذي ذكرناه كذلك بل هو واجب وذكر علي بن عيسى الفرق
ان معنى ذلك ليس للمومن ان يقتل مومنا الا ان يراه في دار الحرب فيظنه كافرا فيقتله
خطا فيكون الخطا راجعا الى الفاعل في كونه غير عالم بحال المقتول واما من قال معنى
الا خطا وراخطا واستدراله بقول الشاعر

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

اى ورا الفرقدان فذلك تشبيه منه ما ذكرنا ان محققي النحويين يوافقونه
وقيل الخطائي الاصل على وجوه منها ان يقع بلا قصد من الفاعل الى الفعل ولا
الى الاصل به بوجه كمن سقط من يده شئ فاصاب نفسه فقتله ومنها ان يقصد
اصابه الشئ غير المقتول فاتفق اصابته فقتله كمن يرمي صيدا فاصاب انسانا
فقتله ويقصده ولكن لا بسلاح يقتل مثله او يقصده بسلاح لكن لا يريد قتله او يقصده
بسلاح ويريد قتله لكن لا بعلمه محظور القتل كمن يرمي مسلما في صف المشركين
او يقصده بسلاح ويريد قتله في دار الحرب لكن القاصد غير مكلف كالصبي والمجنون

وعلى ذلك يقال له قتل الخطا لكن ذلك يعارف الشرع هو المراعى وقد بين ذلك
فى كتب الفقه والرقبة المؤمنة ان يكون مولودا فى دار الاسلام صغيرا كان او كبيرا
او سباه من دار الحرب مسلم قبل البلوغ او اسلم بعد البلوغ وهذا الايمان هو الاسلام
دون كمال الايمان المتقدم ذكره فى غير هذا الموضع قال الحسن ما فى القران مومنة فلا
يجزئ الا من صام وصلى وحسن اسلامه وما عدا ذلك يجزئ فيه الصغير وقال ابرهيم
لا يجزئ فى ذلك الا البالغ وقدر الاية يختلف فيه والمفروض فيه الى السنه وظاهر
الاية يقتضى شيأ مقدرا او التتابع فى صيام الشهرين مشروط والظاهر بالاكثر الاجزاء
منه لا يبطل التتابع كالحيض والمرض الطارئ والاغماء اما مصادفة الايام التى حظر
فيها الصوم كيوم العيد وايام التشريق والافطار فى السفر او الشهر الذى يستحق صومه
بالشرع كشهر رمضان فان ذلك يقطع التتابع ويوجب الاستيناف وحكى عن مسروق
ان من لم يجد صيام شهرين عتق من لم يجد الديه والرقبة وهذا يخالف اجماع العلم
يخالفه فالديه حق المقتول والكفاره حق الله فلا اسقط احدهما عن الاخرى وقال
الاصم ظاهر الكتاب يدل على ان الديه تلزم القاتل لانه قال فديه مسلمه الى اهله فعطفها
على الكفاره ومعناه عليه ذلك وانما بين النبى صلى الله عليه وسلم ان ديه الخطا
تحمل العاقله عن القاتل على سبيل المواساة لانه نسخ الكتاب بالسنه وقوله الا ان
يصدقوا اى يعفوا عن الديه فجعل العفو عنها صدقه منهم بينها على فضله العفو وحثا
عليه وانه حاز محرك الصدقه فى استحقاق الثواب الجزيل به دون طلب العوض العاجل
وهذا حكم من قتل فى دار الاسلام خطا وقتله فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن
اى من اهل الحرب فى الدار والمعركه وفى فقد التمييز له فى معنى القرابه وبراوف
من ان يكون مسلما دخل دار الحرب او اسلم هناك ولم يهاجر وقيل قد دخل فى
ذلك من اسلم فى دار الاسلام من المشركين ولم يعلم القاتل به وخبر الحرث يدل



على ذلك لانه قتل بالمدينه وقد كان اسلم وقتل انما اسقط الديه فيه اذا كان اولياؤه
كفارا او موتى فان ديته راجعه الى المومنين فلا معنى لالزامهم وقوله وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق اى كان المقتول خطا من قوم كذلك واهل ذلك
الايمان شرط فيه وقال الحسن ومالك هو شرط لقدره ان كان المقتول خطا مومنا وقال
مالك وبراكفاره فى قتل الامن ومنهم من قال الديه ولورثه ممن كان بينه وبين النبى
صلى الله عليه وسلم عهد فاسلم ثم قتله مسلم من غير حرب قالوا وكان هذا فى زمن
الرسول صلى الله عليه وسلم فاما بعد فقد ظهروا على اهلهم ومنهم من قال عنى بالميثاق الديه
اما بالجهد او الاستيمان والظاهر ان كل قتل فى عهد جايز من المسلمين فعليه الديه
والكفاره وتعلق هذه الاية بما قبلها من اول ما ذكر فيها قتلها هو انما ذكر فيها حكم و
بين حكم من اسلم فمنعه عذر من مقابله اهل المسلمين وحكم من لم يسلم وانما يريد ان يسلم
على الريبه فامر فى الاولى بالتحامى وفى الثانيه بقبولهم من ظاهر حال المومن
وجعلهم صنفين مقتولا خطا ومقصودا عمدا فبين حكم الخطا وجعل المقتولين ثلثه
اصناف على ما فسرناه ثم بين حكم قتل العمد فقال تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا
فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما العمد
فعل الشئ عن اراده واختيار وبضاده الخطا وصفه قتل العمد ان يقصد حديده
او محدد يقتل غالبا او يتوجه عليه حتف او سوط متوالى عليه حتى يموت والديه
قيل نزلت فى رجل قتله الكفار وذاك انه خرج سريه فنزلوا فخرج من اصحابه
على اللم رجل فحمل عليه فقتله وقيل هى فى رجل راى اخوه مصورا فى الجاهليه
مشركا الى النبى صلى الله عليه وسلم فامر ان يدفع اليه الديه فدفعت اليه ثم حمل
على مسلم فقتله فهرب الى مكه وارتد فامر النبى عليه السلام ان يقتل ان ظفر به ثم
من هذا الحكم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء فقال قال القاتل

توبة فقال نعم ثم جاءه آخر فسأله عن ذلك فقال لا توبة له فراجعه بعض أصحابه في ذلك
فقال إن الأول كان قد قتل فكرهت أن أويسه من رحمة الله فيهلكه الشيطان
فيهلكه وأما الثاني فرأيته عازمًا على قتل رجل اعتمادًا على أن يتوب من بعد فكرهت
أن يمضي عزيمته وأهل الوعيد يجرون الآية على العموم ويخصصون به قوله إن
الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومخالفوهم يخصصون
قوله ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا بقوله إن الله لا يغفر الآية ويجرون ذلك على العموم
والمفزع لمن يريد تحقيق ذلك إلى علم المتين والله أعلم وقد تقدم أن الغضب
تعالى إلى إنزال عقابه دون تغير حال يعتري ذاته تعالى الله عن التغير
ولعنته في الدنيا إبعاده من لعنه عن الصفات النفيسة التي يخص بها أولياءه
وفي الآخرة عقابه وبعده عن ثوابه **قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى
إليكم السلم لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند
الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم
فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرًا** قرئ فتثبتوا
وتبينوا وقيل التبين أبلغ لأنه قد لا يكون إلا بعد التثبت وقد يكون
التثبت ولا تبين وقد قوبل بالعجلة في قولهم التبين من الله والعجلة من
الشيطان فتبينوا وقرئ السلم والسلم والسلام قيل التحية وقيل الاستسلام والسلم
والسلم الصلح وقيل هو بمعنى الإسلام ويقال للصلح السلم فلا يكون مرادًا هاهنا
لأن المسلم مخير إذا طلب الكافر منه السلم بين أن يبذله له وبين أن يمنعه
وروي أنه خرج مقداد في سرية فمر برجل في غنيمات فقال إني مسلم فلم يلتفت
إلى قوله فقتله وأخذ غنيمته فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنكره فقال هلا شققت



عن قلبه والآية تدل أن خطأ المجتهد في مسائل الاجتهاد معذور ولولا ذلك لما قاده
النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو جعفر لست مؤمنًا أي مبذولًا له الأمان **قوله عز وجل
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد
الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين
أجرًا عظيمًا درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله
غفورًا رحيمًا** الدرجة معروفة ومنها الدرجة الكتاب طويته طيًا تشبيه
الإدراج وغير يوصف به النكرة وما فيه الألف واللام إذا دل على الجنس وقد
يستثنى به فإذا قرئ منصوبًا فعلى الاستثناء أو على الحال وإذا جر فصفة للمؤمنين
وإذا رفع فصفة للقاعدين والضرر اسم عام لكل ما يضر بالإنسان في بدنه ونفسه وعلى
سبيل الكناية عبر عن العمى بالضرر فإن قيل كيف يصح حمله على الأمراض النفسية وقد
قال في ذم الكفار في قلوبهم مرض إن ذلك عذرهم الله تعالى فيه قيل لما لم يكن الإنسان
نفسه سببه وما كانوا به من المرض إلى الجهل الذي يكونون هو سببًا سحلاله من
ترك إصغائه إلى الحق وإهمال نفسه من العادات الجميلة ولذلك قال ابن عباس
أولي الضرر هم أهل العذر فهم وقد ذكر عامة ما أجمله هاهنا في قوله ليس على الأعمى حرج
الآية إن قيل لم كرر الفضل وأوجب في الأول درجة وفي الثاني درجات وقيدها
بقوله منه وجعل معها المغفرة والرحمة قيل في ذلك أجوبة الأول أنه عنى بالدرجة ما يوتيه
في الدنيا من الغنيمة ومن السرور بالظفر وجميل الذكر وبالثاني ما يخولهم في الآخرة ونبه
بإفراد الأول وجمع الثاني أن ثواب الدنيا في جنب ثواب الآخرة يسير والثاني
أن المجاهدين في ثواب الدنيا فيها شيئًا ولونه كمن يأخذ سلب مقتوله وكتساوي نصب

كل واحد من الفريقين وتصيب كل واحد من الرجاله وهم في الاخره متفاوتون بحسب ايمانهم
فلهم درجات حسب استحقاقه ومنهم من يكون له الغفران ومنهم من يكون له الرحمه فقط وكان
الرحمة ادنى المنازل والمغفره فوق الرحمه ثم بعده الدرجات على الطبقات وعلى هذا
نبه بقوله هم درجات عند الله ومنازل الاخره متفاوته وقد نبه على ذلك بقوله السابقون
الاولون الى قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والثالث ان الجهاد جهادان
صغير وكبير فالصغير مجاهده الكفار والكبير مجاهده النفس وعلى ذلك دل قوله عليه الصلوه
والسلم رجعنا من جهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وبقوله جهادك يمينك واتخاذ
مجاهده النفس اعظم لان من جاهد نفسه فقد جاهد الدنيا ومن غلب الدنيا هان عليه مجاهده
العدو فخص مجاهده النفس بالدرجات تعظيما لها والراجح ان الاول عنى به الجهاد
بالمال والثاني الجهاد بالنفس ان قيل لم ذكر مع الدرجات المغفره والرحمه معا وما
الفرق بينهما قيل ان المغفره بمعنى اعتبار اما ازاله الذنوب والرحمه بمعنى اعتبار الاثاب
بالتوبه وادخال الجنه والدرجات هي المنازل الرفيعه بعد ادخال الجنه وقيل ان الرحمه
هي ان تثوب عليه الذنب وان كان بعد سكنت وعقاب والمغفره هي ان يستر
ذنوبه فلا شكت به والدرجات هو ان يجعل لكل واحد درجه تقدر ما يليق به وهي المعبر
عنها بالدرجات وقد قال عليه الصلوه والسلم ان في الجنه مائة درجه ما بين كل درجتين
كما بين السماء والارض اعد الله اعلاها للمجاهدين في سبيل فعال رجل ما الدرجه
فقال عليه الصلوه والسلم اما انها ليست لعتبه ان قيل كيف قال وكلا وعد الله الحسنى
والكفار من جمله الكل قيل ان كلامها هنا لم يتناول الا من تقدم ذكره من المؤمنين والمجاهدين
والقاعدين قوله ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم
قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم



جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا توفاهم قيل يوماض وقيل بدره تتوفاهم الملائكه وذلك في وصف
قوم اظهروا الاسلام ولم يهاجروا بل كثروا سواد المشركين يوم بدر فقتلوا فادعوا لما
سالهم الملائكه الذين توفوهم انهم كانوا مستضعفين فكذبهم الله وقيل هم الذين عذروا
انفسهم بقوله والذين امنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ان
قيل كيف لم يعذرهم لما اعتذروا بالاستضعاف وقد قال من قتل الا المستضعفين
قيل لانهم كذبوا في دعواهم والذين عذرهم هم الذين سلبهم الله القوى والقدره او لم يعلم
ذلك منهم الصبي وقال بعض المحققين ظلم النفس في الحقيقه هو التقصير في تهذيبها
وسياستها المذكوره في قوله وقد خاب من دساها وذلك كل انسان ساس نفسه
فمتى لم يوف حق السياسه فقد ظلمها ظلم الوالي رعيته قال وخاطب بذلك من اعطاه
القوه ومكنه ان سلك الدرجات الرفيعه فرضي لنفسه باحسن منزله وكذبهم فيما
ادعوه من استضعافهم بنبهها ان من الممكنه استفاده ما به تقدر فهو في حكم القادر فلا عذر
ثم استثنى الاصناف الثلثه فقال الا ليك عسى الله ان يعفو عنهم فذكر لفظ عسى
ليلا يركنوا كل الركون وليكونوا من قال فيهم يرجون رحمته ويخافون عذابه وقوله
الله عفوا غفورا الخ ذكرا العفران اذ هو ابلغ وقد تقدم ان الوصفين اذا اجتمعا تقدم
الاعم وتوخر وادخال سينه على ان مثل هذه الصفه ليس على وجه المقابله واعتبارا
لحصول المعفو عنه والمعفور له بل ذلك له على وجه اشرف من ذلك والله اعلم
قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا وسعه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله

ورسوله الى البيت ثم يدركه الموت فقد وقع
اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
المراغم المتحول اما من الرغام اى التراب وقيل هو من رغم انفه اذا عضب
والمراد به قريب من قول الشاعر
اذا كنت في دار يهينك اهلها ولم تك ممنوعا بها فتحول
وقيل نزل ذلك في رجل من بني ضمره كان مريضا فقال لاهله اخرجوني فاشرف في الطريق
وقيل انه اخذ يمينه بشماله وقال قد بايعتك يا رسول الله فبلغ تعالى ان المهاجر
ان لم يبلغ المقصد فله من الله تعالى ثواب وكذا من ترك خيرا وعاقه عائق عن اتمامه
قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا الضرب في الارض
من قولهم ضرب في الارض اذا اسرع التحرك والفتنه المحنه وذلك مشعب
لذلك استعمل في القتل والاحراق واجل عمومها قال والفتنه اشد من القتل وان
الفتنه قد يكون قتلا وما هو اعظم من القتل واهل الحجاز يقولون فتنته واهل نجد
يقولون افتنته ففتن فتونا قال ابو عبيده يقال قصرت الصلوة وقصرتها واقصرتها
والعدو يقال للواحد وللجمع كقوله فانهم عدو لي واشترط في القصر السفر والخوف
وقيل انه لما سال عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم ما بالنا نقصر وقد امنا قال
صدقه تصدق الله عليكم بها فاقبلوا صدقته والقصر نقل عن به البيان وان
صلوة المسافر ركعتان تامتان وذلك عن عمر وعايشه ونقل عن قصر الكفار
عما عليه في الحضر قال ابن عباس وجابر ان صلوا الحضر لربع والسفر ركعتان والخوف
ركعة والضرب في الارض يعضهم على التعارف ولعنبره ما سمي سفرا وحد الخلاف

ان الحاج الذي قربه بظاهر البلد لا يجوز له القصر وبعضهم قيده بمسيره ثلثة ايام بنا
على تحديد مسح المسافر وتحريم سفر المراه بغير ذي محرم وبعضهم حده بثمنيه ولربعين ميلا
اعتبارا بسفر النبي عليه الصلوة والسلم وظاهر الاية يقتضي ان لا فرق بين الحج والجهاد وغيره
من الاسفار وبين المطيع والقاصي قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم
فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة
اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم
وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان
تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا قد علمنا تعالى كيف نصلي صلوة
الخوف وظاهر الاية يقتضي ما قال ابن عباس ان الامام يصلي بكل طايفه
صلوة تامه وهم يصلون صلوتهم في سائر الاوقات وقيل كانت الرخصه في ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقط لفضل الجماعة معه ومذهب عامة الفقها على
خلاف ذلك وكيفيه صلوة الخوف وكيفيه صلوة الخوف والخلاف فيها
مبينه في كتب الفقه وقال من ذهب الى وجوب الجماعه ان في شرع
صلوة الخوف تنبيها على وجوب الجماعة وقيل في صلوة الخوف تنبيه على ان
العمل القليل لا يبطل الصلوة وان تاخير اذا الصلوة عن وقتها لا يجوز وان
اقامه الصلوة كانت الى النبي صلى الله وسلم ما دام فيهم وبه تعالى يقوله ود
الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم لا تتناول الاسلحة للتحرز وان في حال المرض والمطر يجوز

وضع الحمد قوله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قيل ان قوله فاذكروا الله واردفي
صلوة المريض والاية تقتضي غير ذلك لانه قال فاذا قضيتم الصلوة اللهم الا ان يقال
تاويل ذلك هو مثل قوله فاذا قرأت القران فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القران
وقيل هو حث على ذكر الله تسبيحا وتعظيما كقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وقوله موقوتا اي موديا في اوقاته وقيل منجما في اوقاته قال ابن عباس في هذه الاية وفي قوله
اقم الصلوة لدلوك الشمس الى الايتين متضمنان لاوقات الصلوة مجملة وان السنة
شرحتها قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما
حكيما لما كان بناء الكلام على فرض الجهاد وكان ذكر الصلوة كالاعتراض عاد الى ما كان
في ذكره فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم والوهن ضعف مع فتور وعانهم فكانه قال
اذا اشتد بكم في الالم وقد دهم عليهم في ان يحصل لكم من الرجاء ما لم يحصل لهم وعرفتم كون
الله عليما بما يفعلونه حكيما فيما امركم به فامركم اذا على ما يجب ان يكون قلوبكم اقوى والاية
يقاربها قول الشاعر وان كان في الجمع

فان تك القوم باخراج ولا تحلكم من ما لهم فشل
القوم امثالكم لهم شعر في الراس لا يشرون ان قتلوا

قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله
ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا
رحيما قيل نزل ذلك في انصاري سرق درعا لعمه فاتهم بها فرك في دار يهودي فاتهم
القوم ان اليهودي سرقها فاعان قوم من المسلمين هذا الانصاري فاعتذر النبي



النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فاطلعه الله على الامر وعاتبه وامره بالاستغفار مما هم به قال
ان يجوز ان يكون هذه الاية راجعة الى قوله الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما
انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا
به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا مبينا انهم مع اظهارهم
الايمان بما انزل على الانبياء يصدون عما يدعون اليه من حكم الكتاب قال ومعنى ولا تكن
للخائنين خصيما راجع الى قوله فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا فنهى
عن حسن الظن بامثالهم ونهى في هذه الاية عن الدفع عنهم قوله تعالى ولا تجادل
عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون
ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا اعاد النهي عن الذب
عنهم بقوله ولا تجادل والجادلة المفاتلة من قولهم جدلت الحبل وقيل المنازعة
من الالقاء على الجدالة والجدال المطلق مذموم ولهذا لم يطلقه للنبي صلى الله عليه وسلم
حتى قيده فقال وجادلهم بالتي هي احسن والاختيان افتعال من الخيانة واختيانهم
انفسهم جعلهم اياها خائنة بما يفعلونه كقولك ظلم نفسه ان قيل لم خص لفظ الخوان
بنفي المحبة عنه وهو لا يحب الخائن ايضا قيل تخصيصه هاهنا تعريض بهم وتعظيم
لفعلهم وتنبيه ان من يحرك خيانة ولا يستمر عليها فهو بعرض ان يقلع فتصحبه ومتى
استمر عليها صار مطبوعا على قلبه لا يقلع فيرجى له المحبة فاذا الخائن قد يكون
محبوبا على وجه والخوان لا يكون محبوبا بوجه وقوله تعالى يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله اي الخونة لهم يستترون على انفسهم خياناتهم لكون قبحها مركوزا
في نفوسهم وتنبيها انهم ان يستروها على الناس فليست تستتر على الله وانهم لنقصهم
وجهلهم بالله اعون الناس اكثر من مراعاتهم لوعظه الله والى نحو هذا اشار النبي عليه

عليه الصلوة واللام بقوله استحيوا من الله كما يستحيون من احدكم وهذا قريب من قوله
ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طايفه منهم غير الذى يقول الايه و
قوله ويستخفون من الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قال ابن مسعود مثل
صلوة عند الناس لا يصلى مثلها اذا خلى فقد استهان بالله ثم تلا هذه الايه قوله عز وجل
**هانتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة**
**ام من يكون عليهم وكيلا** خاطب الناس عن هذا الجانب وتنبه لهم وان
اعتقدتم الذب عنه فى الدنيا وستر خيانته فالشان فى يوم القيمة عند من لا يخفى
عليه خافيه وحيث لا ينفع الى من اتى الله بقلب سليم ومن فسر الوكيل بالكفيل ففسير
عام لخاص فان الكفيل وكيل ولا عكس كل وكيل كفيلا **قوله تعالى ومن يعمل**
**سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** عامل السوء
وظالم النفس وان كانا يعودان الى معنى واحد فذكرهما اعتبار الحالتين وقيل
عمل السوء اشاره الى فعل الصغاير وظلم النفس الى الكباير وقوله ثم يستغفر الله
راجع اليهما دون الاول فمن تاب قبل من فعل صغيره او استغفر من كبيره وجد الله
غفورا رحيما وقيل عمل السوء اشاره ما يفعل بالغير وظلم النفس ما يختص به الانسان من ذنب
لا يتعداه وقد تقدم الكلام فى السوء والسيات ومقابلتها بالحسنات **قوله عز وجل**
**ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما**
**حكيما** الاصل فى الاكتساب ما جر به نفع فاستعاره لما يجلب ضرا منها ان صاحبه
تقدر فيما تحراه انه يكسب خيرا وهو يكسب شرا ونحوه معنى قوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وتنبه بقوله
وكان الله عليما حكيما على نحو قوله يعلم ما يكسب كل نفس ويعلم الكفار لمن عقبى الدار
**قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا**

وانما مبينا عنى بالخطيه ما لا يكون عن عمد وبالاثم ما كان عن عمد ونبه
ان من رمى باحدهما بريا فهو فى استحقاق العقاب سواء كان فى ارتكاب
احدهما خلاف الاخر وبين انه يحصل له بذلك معاقبة مرتكب البهتان ومعاقبة
مرتكب الاثم وذلك تعظيم لبسته الانسان ما ارتكبه الى غيره عمدا كان او خطا
قال ابن عباس ذلك يرجع الى المنافقين الذين حكى ان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فقال تعالى فى رد قول كل
من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقال تعالى فى آل عمران
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد
عفا الله عنهم فبين بالآيتين ان الذى اصابهم عفو به لما كان منهم وانه عفا عنهم وبين
هاهنا ان من اضاف ما اصابه من سوء فى متوجهاته الى النبى فقد اتى بهتان
واثم **قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت**
**طايفه منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما**
**يضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب**
**والحكمه وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله**
**عليك عظيما** كان همهم ان يضلوه شهادتهم للاضداد انه ترك
ما قرب به ومسئلتهم اياه ان يقوم لعذره وقد تقدم الكلام فى الفرق بين الكتاب
والحكمه وذكر ان كروحين احدهما لولا فضل الله بما انزله من الكتاب والحكمه
لهم الكافرون باضلاله وادخاله معهم فى عباده الاصنام لكن لما هداه صاروا الى ضلو
بل يضلون انفسهم والثانى ان الاضلال عباره عن الهلاك كقول الشاعر
فاب مضلوه بغير جليه وغودر بالجولان حزم وناىل
اى لولا ان الله حرسك لهم طايفه باهلاكك وما يهلكون بما يفعلون الا انفسهم بما

بما كسبوا لهم من العذاب الدائم ان قيل فقد كانوا هموا بذلك فكيف قال لولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة قيل في ذلك جوابان احدهما ان القوم كانوا مسلمين ولم
يهموا باضلال النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان عندهم على الصواب والثاني ان القصد
الى نفي تأثير ما هموا به كقولك فلان شتمك واهانك لولا اني تداركت بنبهها ان اثر
فعله لم يظهر **قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغا
مرضاه الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما** يقال لكل ما تستحسنه
العقل ويعترف به معروف ولكل ما يستقبحه وينكره منكر ووجه ذلك ان الله ركز
في العقول معرفة الخير والشر واليه اشار بقوله صبغة وفطرة الله وعلى ذلك البر
ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس واطمأننا اليه لمعرفتها به والنجوى
للحديث الذي تفرد به اثنان فصاعدا وللقوم المتناجين لقوله تعالى واذ هم نجوى
واصل ذلك من النجوة والنجا اي الخلاص منها لكون المتنجي الهاجا عن السبيل
وتقال هو في هضبة ونلغة من الذنوب ولما كان المتناجيان كثيرا ما تنبذان في
نجوة قيل انجيا والنجا السرعة كقولهم ارتفع في السير وجوف الجلد كقولهم رفعت عنه الجلد
واذا جعل النجوى للقوم فمن مجرور على البدل ومنصوب على الاستثنا وان جعلتها
للحديث فتقديره الا نجوى من امر بصدقته ولما كان التناجي مكروها في الاصل حتى قال
انما النجوى من الشيطان صار ذلك من الافعال التي تقبح ما لم يقصد به وجه محمود
كالمكر والخديعة فبين تعالى ان النجوى لا تحسن ما لم يحصل بها هذه الوجوه المستثناه
فان قيل فههنا افعال اخر حسن فلم خص هذه الثلاثة قيل هذه الثلاثة متضمنة للافعال
الحسنة كلها وذلك انه نبه بالصدقة على الافعال الواجبة وحض الصدقة لكونها اكثر
نفعا في ايصال الخير الى الغير ونبه بالمعروف على النوافل التي هي الاحسان والتفضل



وبالاصلاح بين الناس على سياستهم وما يؤدي الى نظم شملهم وانقطاع الالفة بينهم
ذلك افضل الافعال لقول النبي عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة الصلوة
والصيام والصدقة قيل بلى يا رسول الله قال صلاح ذات البين فان قيل فلم
خص من امر هذه الاشيا دون من تولاها بنفسه وتوليها ابلغ من الامر بها قيل في ضمن
ذلك توليها وذلك انه اذا كان الامر بالمعروف يستحق الاجر فمتوليه معلوم انه
يستحق لذلك فكانه قيل الا من تولى ذلك وامر به ونبه بقوله ومن يفعل ذلك ابتغا
مرضاة الله ان افعال الخير يستحق بها الاجر العظيم اذا قصد بها وجه الله لا ان
يفعل ريا وسمعة واستجلاب منفعة او محمدة من الناس ووصف الاجر بالعظيم تنبيها
على حقارة ما يفوت في جنبه من اعراض الدنيا **قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** الشق القطع طولا
ومنه استعير الاشتقاق وشق العصا وشق عليه الامر كقولهم هشمه الامر
وشق اعصاه ومشاقة الرسول ان يصير في شق غير شقه كقوله ان الذين
يحادون الله ورسوله اي يصيرون في حد غير حده وذلك باشد بالاعتقاد والرياسة
واصل الصلا الملازمة ومنه الصلوة للدعا ومن اجله قول النبي عليه الصلوة والسلم
الظوا بياذا الجلال والاكرام اي الزموا مراعاة ذلك والصلا ملازمة قرب
النار للاصطلا بها فجعل عبارة عن ملازمتها للعذاب والصلوان العرقان
المكتنفان لجانبي الوركين لجوزانه اعتبر فيهما الاصطلا كتسمية اليد الرجل
المصطلي والاية قيل نزلت في سارق الدرع حيث اظهر النبي صلى الله عليه وسلم
حاله فانكر وكذب وقيل في طعمة بن ابيرق لما عبد الاوثان ولما ذكر قبل ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله ذكر هنا من عمل ذلك ولم يستغفر وعظم تعالى

وعظم تعالى ومن يشاقق الرسول بعد تبين الحق له وعلى هذا قال بعض الحكما صغاير
الاولياء اعظم من كبايرا العامه وذلك انه لا يعذر العالم فما يرتكبه كما يعذر الجاهل فان قتل
ولم كان العالم اكبر جرما قتل قتل لان من يرا لعرف الحق يستحق العقوبه بترك المعرفه
لان العقل يلزمه حتى يعرفه او يعرفه من يصدقه والعالم يستحق بترك معرفته وترك
استعماله فاذا مواعظم جرما وقصر تعالى بقوله نوله ما تولى ونصله جهنم ان من لم يتمسك
له الهدى فقد جعل الله له نورا يهتدي به ومن صار معاندا قطع عنه التوفيق وترك معه
ومواه وانقطاع التوفيق هو المعنى باللعن والطرد والله الشار الشاعر بقوله

اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

وبين بقوله وساءت مصيرا عظم حالها في العقاب واستدل بالايه على ثبوت الاجماع
وقيل ان الله علم وعيد من شق غير سبيل المومنين ولا حجه في ذلك بان المراد بقوله
المومنين الايمان برادويه فكل موصوف بوصف علق به حكم جوان يقال اسلك سبيل
الصالحين والمصلين يعني بذلك الحث على الاقتداء بهم في الصلوة والصيام لا في فعل الغير فكما
اذا قيل سبل المومنين يعني به سبيلهم في الايمان لا غير ه قوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان قيل لم يشترط فيه التوبه قيل
ان المشرك انما يلزمه الاسم ما دام يلزمه الوصف فاذا زال وصفه زال اسم الشرك
عنه فاذا كان كذلك فالمشرك ما دام مشركا لا يغفر له ومتى تاب زال عنه اسم
الشرك فاذا التائب الذي يغفر له ليس هو المشرك بل هو المومن في الحقيقه ومتى
اطلق عليه اسم المشرك فعلى اعتبار الماضي وقوله ان يشرك به موضعه النصب
كانه قال لا يغفر الشرك وقيل لا يغفر من اجل ان يشرك به اي لا يغفر من اجل
الشرك شيا من الذنوب منها ان الذنوب قد تغفر مع اسفا الشرك كما قال

ان رحمه الله قرب من المحسنين وقوله ضلالا بعيدا فقد تقدم ان الحق والصواب
والعداله وغيرها من وجوه البر يحرك تحرك النطفه من الدايره ومحرك المفرطس في
المرمى وان ما عداه كله باطل وضلال لكن منه ما هو قريب ومنه ما هو بعيد كما ان العدول
عن المفرطس قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا كذلك العدول عن الحق يكون قريبا و
بعيدا ولهذا قيل عسى الله ذنوب الانبيا وفجور الكفار جميعا الضلال وان كان منها
بعيدا ولما كان كذلك وكان اقطع الضلال الشرك بالله نبه بقوله ضلالا
بعيدا ان الشرك اذا اعتبر بساير الضلالات فهو اكبرهن واعظمهن وان محربه
قد ضل عن الطريق المستقيم ضلالا يصعب رجوعه اليه فان مرتكب الذنب الصغير
يحرك محرك الضال عن الطريق القريب يرجى عوده اليه ومن قال ان هذه الايه مجمله
فانه يجب ان يبنى على قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم
مدخلا كريما وان بناءه على ذلك يقتضي ان تغفر دونها من الصغاير فهذا اشبه منه
وترك للظاهر فانه تعالى بين انه لا يغفر الشرك دانه يغفر دون الشرك لكن الاهم
المغفور له وعلقه بمشيته فظاهر يقتضي ان الشرك لا يغفر له محاله لكن الشبهة
في اعيان المغفور لهم لا في الذنب المغفور وهذا ظاهر ه قوله تعالى ان يدعون من
دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم
ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن
خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد
خسر خسرانا مبينا يعدهم ومنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
من المفسرين من اعتبر التانيث فيما في اللفظ دون المعنى وقال ولما كان
اسما مقصودا انهم يعبدونه لحوا اللات والعزى ولحوا الملايكه سماها مونا كتسميتهم الاوثان

والخصيتين والانثيين حتى قال الشاعر ضربناه تحت الاتنين على الكرد
اى تحت الاتنين وقال اخر وما ذكر فان يمن فانثى شديد رانم ليس له مرؤس
وعنى بذلك الفرار انه مادام صغيرا يقال له الفرار وذلك لغط مذكر واذا كبر يقال له حجله
وذلك لغط مونث فجعله موشا مذكرا ومنهم من اعتبر الماينث من حيث المعنى وقال
الموجودات باضافة بعضها الى بعض بالله اضرب فاعل غير منفعل وذلك هو البارى تعالى
فقط ومنفعل غير فاعل وذلك هو الجمادات ومنفعل من وجه فاعل من وجه وهو
الانسان فانه بالاضافة الى الله منفعل وبالاضافة الى مصنوعاته فاعل وعلى هذا الوجه دل اعتبر
العرب الماينث والتذكير فقالوا احد ذكر وحد لبنى قال وقد علم ان اكثر ما عبدته العرب
من الاصنام كانت اشيا منفعله غير فاعله فبكتهم الله تعالى انهم مع كونهم فاعلين مرؤسه
يعبدون ما ليس هو الا منفعلا من كل وجه وعلى هذا بنى ابرهيم بقوله ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا وقوله السلف يقتضى الامرين فقد اس بالك والسدك وابن
زيد الاناث اللات والعزى وقال ابن عباس والحسن وقتاده هى الموات وهذا
القول يقتضى انهم اعتبروا الماينث فى المعنى وقال الضحاك هى الملايكة لزعمهم انها بنات
الله وقرا ابن عباس الا اثنا اى وثنا وهى جمع الوثن والمارد والمريد الذى لا يعلق بشى من
الفضايل وصرخ ممرد اى ملس لا يعلق به شى لملاسته وسحر مرد اعتبارا لتعريها عن
الورق وغلام امرد لتعريه عن الشعر يسرك السحر عن الورق ان ينال كيف قال
ان يدعون من دونه الا اناثا ثم قال وان يدعون الا شيطانا مريدا فاقتضى نفى ما اثبت
قيل ليس فى ذلك نفى فان دعاءهم للاوثان دعاءهم للشيطان وكل باطل فعال
له نار الشيطان وبارة الهوى وتارة الصنم لما كانت هذه الاشيا سلازمه ومشاركه
فى انها تدعوا الى باطل ولما كان عباد الشيطان فى نفوسهم قطعه تين لهم ان ما يدعونه
ويزعمون انكم تقصدون به عباد الله وتقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعبدون



به الشيطان ثم قال لعنه الله انفا وصرف الكلام الى وصف الشيطان وقوله وقال
لاتخذن من عبادك وذلك اما حكاية عما اوردن نطقا او عما اتاه فعلا فيكون نحوا مما
الحوض وقال قطنى ومعنى قوله مفروضا معلوما مفسوما وقيل مقطوعا منهم ومنهم الذين سبايع
الشيطان ووصفهم بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه والبتك القطع على سبل التفريق
وبتك الاذان قيل هو ان كانوا يبحرونه بالبحيره عن السرك وقتاده وعكرمه وقيل فيه
لبتكنه الى كل ما جعله الله كاملا بفطرته فجعله الانسان ناقصا بسوء تدبيره وذلك ان
الانسان بالقوه مخلوق خلقه كامله فاذا شحه الله لن يزكى نفسه وسعى دساها فقد خسسها
وتغيير خلق الله هو ان كل ما اوجده الله لفضيله فاستعان الانسان به فى رذيله فقد
غير خلقه وقد دخل فى عمومه جعل الله للانسان من شهوه الجماع ليكون سببا للتناسل
على وجه مخصوص فاستعان به فى السفاح واللواط وذلك تغيير خلق الله تعالى وكذا المخنث
اذا استف لحيته وقنع تشبها بالنسا والفتاه اذا ترجلت مشبهه بالفتيان وفعل
فى عمومه ايضا كل ما حلله الله تعالى فحرموه او حرمه فحللوه وعلى ذلك قوله قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون
والى هذه الجمله اشار المفسرون وقد روى عن الحسن انه قال هو تغيير احكام الله
ومن قال مره هو الوسم اشاره الى ضرب العمرات ليتبين به العرض وكذا من قال
الخصا وقوله لا تبديل لخلق الله ذلك الامر الغم لفظا خبر ومعناه نهى وقوله ومن
يتخذ الشيطان وليا من دون الله فموالاه الانسان غيره يكون على وجهين احدهما ان
يقصد موالاته والثانى ان لا يقصد موالاته لكن يقع منه ما يرجع الى صاحبه نفع فهو موال له
فعلا وانه لم يكن موالاته قصدا على هذا المعنى اراه فقد تعادى الانسان غيره فقصدا او
قد يقصد موالاته لكن يقع منه ما يرجع اليه ضرره فهو معاد له هذا ان لم يكن معاداته قصدا
وعلى هذا ان من اراد احكم واوراكم عدوا لكم فاحترزوا منهم فاتخاذ الانسان الشيطان

مولى بمعنى الوجه الثانى فان الانسان لا يقصد بفعله موالاة الشيطان فان قيل كيف
قال من دون الله واتخاذ الشيطان وليا مع ان الله مذموم كاتخاذه من دون الله قيل لم يقصد
بالآية هذا المقصد وانما ابدى من ترك يحرى موالاة وفعل ما ادى به الى موالاة الشيطان
فخسرانه ظاهر لم يتكلم على ذلك بصيرة وقوله يعدهم ومنيهم تحذير وهذا الوعد من الشيطان
تارة بالارادات الرديه والخواطر الفاسدة حسب ما ذكر فى كتاب الاربعة الى مكارم
الشريعة وتارة بلسان اوليا الشيطان وسبب امكان وصول ذلك اليه كون القوة
المفكرة عيا عن تدبر بنور الله وقد تقدم الكلام فى حقيقة الامنية وانها سبب الحسد
الفيه والظلم وساير الرذايل والغرور اظهار ما تقدر من ظاهر فيه نفع واصله ان يترك
الشئ عرة حسنه مخالفة باطنه ومن هذه مى الدنيا غرور اعنين ان الشيطان لعدم
الى الدنيا وزخارفها وقد قال تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وقوله
تعالى اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا
المحيص المعدل على سبيل الهرب من ان هو راصاروا فى اسر الشيطان وكالم تفكروا لمن
موالاته فى الدنيا لم تفكروا من مصاحبته فى سقره فى الاخره كما قال تعالى احشروا الذين
ظلموا وازواجهم وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا قد تقدم
الكلام فى لفظه ومعناه انه قد وعد بذلك فى غير موضع من كتاب بل فى غير كتاب
واذا كان هذا وعدا والوعد ضرب من القول وقد ثبت انه اصدق قيلا
فلا احد اصدق وعدا ولفظه ومن اصدق من الله حديثا وقوله ان الله لا يخلف الميعاد
قوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات

من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون نقيرا قد تقدم الكلام فى حقيقة الامنية ولما كان
اكثر ذلك قولا صادرا عن تخمين لا عن تحقيق جعل عبارة عما تخمن قال الضحاك
كما اخذ كل فرقة تقول قولا الا على مقتضى العلم كما قال تعالى وقالت اليهود ليست
النصارى على شئ الايه وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقوله فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر
لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه خاطبهم مستجهلا لهم كما دوك ليس الايمان بالتمنى
ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
قال الحسن وابن زيد هو فى الكفار لانهم مواخذون بصغايرهم وكبايرهم وقيل هو
الكباير وقيل هو عام فى جميع الناس قال من يعمل منه سى جزى به اما فى الدنيا و
اما فى الاخرة وقد روى انه لما نزلت هذه الايه قال ابو بكر رضى الله عنه فمن يجوا
مع هذا يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلم اما تحزن اما تمرض اما تصيبك اللاواء قال
بلى يا رسول الله قال هو ذاك وقد روى ان الامراض تحيص وكانه نبه ان
شيا من السيات لا يبقى غير مجازى به ايضا وذكر الذكر والانثى على التوكيد
وقيل نبه بذكرهما على سبيل المثل للسايس والمسوس فسمى المسوس انثى كما
سماه الله تعالى روحا فى قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم ونبه بقوله ولا يظلمون
نقيرا انهم كانوا حوزوا بالشر فانهم يحازون بالخير فانهم ان لم يحازوا بذلك فقد ظلموا
ظلما عظيما والله تعالى منزه عن صغير الظلم فكيف عن كبيره ان قيل لم اطلق
فى الاول فقال من يعمل سوءا يجز به وقيد فى الثانى فقال صالحا من قبل نبهنا ان
عمل السوء يضر على كل حال وان يحرك للصالحات لا اعتداد به الا مع مضامة الايمان
قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن

**واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا**
الدين والملة والاسلام واحد من وجه لكن يقال باعتبارات مختلفة فان الدين هو الانقياد للحق وذلك معتبر بالعبد والملة القود الى الحق من املك عليه الكتاب وذلك معتبر بالله تعالى وعلى نحوه قالوا هي الله عليه فكره واصيلا وقال ابن بحر هو من مل الثوب وامثاله اعراضا من العدو وجعله اسما معتبرا اضافة بالعبد كالدين كانه من نحو قوله اني ذاهب الى ربي وقوله وعجلت اليك رب لترضى ويراد به الوجه والاسلام يقال للاسلام للحق والدخول في السلم والسلامة من جهة الله تعالى والحنيف قيل هو المستقيم الطريقة ومنه الاحنف للمائل الرجل على سبيل التفاؤل وقيل حنف اي مال ومعنى ابرهيم حنيفا من حيث مال عما عليه جمهور قومه من المذاهب الباطلة ولهذا قال تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ونبه بقوله ولم يك من المشركين ان عدوله عنهم لم يكن على وجه مذموم والاسلام الوجه لله الاخلاص للعبادة كما قال تعالى واخلصوا دينهم لله والذي مدح به ابرهيم عليه الصلوة والسلام هاهنا هو الذي حكى عنه في قوله عند اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وهذا هو الاخلاص الذي هو اعظم مرتبة الايمان كما المذكور في قوله عليه الصلوة والسلام الايمان بضع وسبعون درجة ومنتهاها هذه المرتبة هم المستثنون في قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون بين تعالى في هذه الايات تمام حسن الانقياد لله الاخلاص له مع الاحسان اي تعاطي مكارم الشريعة فضلا عن الاحكام التي هي العدالة وقيل معنى وهو محسن اي حسن ان يسلم وجهه لله ينبهها على فضيلة العلم ونبه بلفظ الاستخبار في قوله ومن احسن دينا ان ذلك غاية ما يبلغه قوة البشر ثم قال واتبع ملة ابرهيم حنيفا اي اذا فعل

هذا فقد اتبعه وتخصيصه ان كلا من الامم ادعى على ملة ابرهيم فبين انه بهذا يصير على ملته وقيل معنى واتبع ملة ابرهيم اي اذا فعل ذلك فقد قام مقام ابرهيم واستحق ما استحقه واتخذ الله ابرهيم خليلا اي انما اصطفاه لما كان منه لا لحاجة اليه فلله ما في السموات وما في الارض منبها انه غني عن عباده ومالك محيط بكل شيء والواو في قوله ولله واو الحال وان كان كثير يقصدون انه كلام مستانف ان قيل كيف اعاد ذكر ابرهيم ولم يقل واتخذه قيل لما كان ذلك كلاما مستانفا كان اعادة ذكره افخم وادل على موضع المدح قال ابو الهيثم الليثي الخليل من الخلة اي الفقر لا من الخلة قال ومن قاسه بالحبيب فقد اخطا لان الله تعالى يجوز ان يحب عبده فالمحبة منه الثناء ولا يجوز ان يخاله بالتين تخننه وهذا منه تشبه تحقيقه موضوع المحبة لا يصح عليه كما لا يصح عليه الخلة فان الخلة من تخلل الود نفسه وخالطه كقوله لهم تاح دوحنا ولهذا قال قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا والمحبة البلوغ بالود الى حبة القلب من قولهم حبته اي اصبت حبة قلبه لكن اذا استعمله وما نكرات يقال حبك الله او حببني الله فاذا جاز في احد اللفظين الاستعارة فقيما دونه اولى على معنى الثناء كما ذكر ابو علي معنى الاصطفاء كما ذكر غيره قوله عز وجل **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** قوله وما يتلى قيل هو استيناف على تقدير ما يتلى عليكم بين لكم وقيل هو معطوف على الله اي يفتيكم الله ويفتيكم ما يتلى عليكم وقد تقدم في صدر الكتاب ان فعلا واحدا يصح ان ينسب الى فاعلين باعتبارات مختلفة وما يتلى هو ما تقدم من الكتاب قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى والى قوله يوصيكم الله في اولادكم وذلك الذي

في الآيتين حكم المستفتى فيه بسبب نزول الآية ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له جئنا انك تعطي الصبي المال وتعطل الناقة الا النصف والرحف النصف
وانا كما تورث من شهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلوة واللم كذا امرت فانزل
الله تعالى الآية قوله وترغبون ان تنكحوهن قيل تقديره في ان تنكحوهن وقيل عن ان
تنكحوهن قال ابو عبيدة كلا القولين يصح لانك تقول رغبت ان اصحبك في المعنيين
وكانوا يرغبون في الحسان من اليتامى فيتزوجونهن وعن الفتاح فيعضلونهن وما كتب
الله لهن قيل المهر وقيل الميراث الذي لها ومن اجله يرغبون فيها او يعضلونها
واستدل من الآية على انه يجوز التزوج باليتيمة الصغيرة وانه يجوز ان يزوجها غير
الاب والجد وزاد ابو حنيفة في الآية لانه قال وترغبون ان تنكحوهن وذلك للاستقبال
ولم يذكر الآية متى يتزوجها ومتى يزوجها وزاد الشافعي للآية الى ذلك وبين حكمه
فيها قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا
فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير و
احضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان
الله كان بما تعملون خبيرا النشوز اصله من النشز وهو
كالطمح والكثر ما يستعلي في بعض المرأة والرجل الاظهر هنا انه بعض الفعل للمرأة
وتحتمل انها ان خافت ان يشز على البعل لبداره عنها فاباح تعالى ان يتصالحا
على ترك بعض حقها قال ابن عباس بئس ما تكون قد طعنت في السن وبدت
الزوج استبدال عنها بها فتقول ارضى منك بغير نفقة او بغير قسمة وقيل نزلت
في سودة وكانت قد وهبت يومها لعائشة ان قيل لم قال واعراضا والنشوز منطو
على ذلك قيل الاعراض اعم فبين ان الاعراض يمكن ان يكون النشوز او ما دون
النشوز ثم قال والصلح خير بل خير من النشوز وقيل خير من الفرقة والاجود ان يكون

ذلك عاما فيهما وفي غيرهما فان الناس مدعوون الى التآلف والتحاب ولهذا قال
عليه الصلوة والسلم لتعاطفوا وتراحموا وتوادوا وكونوا عباد الله اخوانا وكل موضع يمكن فيه
الصلح لجري الصلاح على ما يقتضيه العقل والشرع فالصلح خير فصار ذلك اعتراضا عاما
تنبيها ان هذا الموضع منه فهو ادون خير وكذا قوله واحضرت الانفس الشح اعتراض تنبيها
على ما في ذات الانسان والشح ابلغ من البخل او نوع منه فان قيل فلم ذم الانسان
عليه قيل ذم الانسان انما هو باتباعه اكثر ما يحب كما يذم باتباع الشهوة ووجود في
الانسان محمود كوجود الشهوة واتباعه هو المكروه ولهذا قال عليه الصلوة واللم ثلث
مهلكات شح مطاع فذم طاعة الشح اذا تم حرض على الاحسان والتقوى وضمن ان
يجازي بهما بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا قوله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل
فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله
كان غفورا رحيما نبه تعالى على قصور الانسان عن ترك الميل من
نسائه وان حرص على تركها بسبب الحب وهي عن كل الميل عن ولده
فتكون معلقة لا زوج ولا مطلقة وزاد ان يعدل لا يعضده نبه الله تعالى على صعوبة
ترك الحق وان الانسان اذا لم يستطع العدل بينه وبين امرأته مع ان حقها
معلوم فكيف يستطيع ان يعدل بينه وبين رب العزة ونعمه لا تحصى وحقوقه
لا تقضى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولهذا قال عليه
الصلوة واللم اسمعوا واطيعوا حتى لو تحصوا ثم قال وان تصلحوا وتتقوا اي ان تحرموا
الصلاح واستعملوا التقوى بقدر وسعكم لهما كان منكم ان قيل اذا كان الله
لا يكلف الله الا الوسع وقد علم انكم لا تستطيعون ان تعدلوا فلا ادن فما
لا يستطاع فكيف يعرف ذلك والعرف ان لا يكون الا الذي قيل الانسان وان

كان لا يستطيع ان يعدل بين نسائه فانه يكفيه ان يجتنب من ذلك بان لا يتزوج
بعده منهن وكل من دخل فيما لا يستطيعه فهو ماخوذ بدخوله فيه كمن شرب فسكر ثم
جنى جنايه فانه ماخوذ بجنايته لما كان هو سبب سكره وروى ان النبى عليه الصلوة والسلم
كان يقول اللهم انى اعدك فيما اعدك اسعفرك فيما لا املك وكان يطاف
به بين نسائه ليقسم بينهن ثم استاذنهن ان تمرضه عايشه **قوله تعالى وان
يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا
حكيما** هو كقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقولهم ان لم يكن وفاق
فطلاق كما ان لهما ان يصالحا بالوفاق ومن انه وان خلقهم خلقهم يضطر كل واحد
منهما الى صاحبه فقد اغنى كل واحد منهما عن الاخر فهذا معنى الغنى
وفيه ايضا اشاره الى الغنى المالى وقد روى عن الحسن بن على انه كان طلقه
ذوقه فقيل فى ذلك فقال انى رايت الله تعالى علق الامر عنى فقال
واتكم الا يامى منكم الايه وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته والواسع عام
فى الغنى والقدره والعلم وعقبه بالحكيم تنبيها ان السعة ما لم تكن معها الحكمة
والعلم كانت الى الفساد اقرب منها الى الصلاح **قوله تعالى ولله
ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا
فان لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا
حميدا** لما قال يغن الله كلا من سعته نبه على قدرته على ما ذكر بقوله
ولله ما فى السموات وما فى الارض وساله عما يفوته من اغراض الدنيا او اخراه
عليه تعالى واكد ما قدمه من الامر بالاصلاح بقوله ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب تنبيها انه لم يزل يوصى بفعل الخير وبين ان ذلك لرحمته لا لحاجته



منه عنى وقوله وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا اى توكلت بكفايتكم
وكفى به وكيلا واعاد قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض ثلث مرات كلمة
معان الاول تسليه الانسان عما فاته والثانى ان وصيته لرحمته لا لحاجته
والثالث ان كفره لا يضره شيا والرابع قدره على كونه غنيا **قوله عز وجل
ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله على
ذلك قديرا** اى هو غنى عن طاعتكم ومع غناه قادر على افنائكم والاتيان باخرين
كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وكما قال ويستخلف من بعدكم ما يشا
وقال الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز وقال لما نزلت الايه ضرب بيده عليه الصلوة والسلام على ظهر
سلمان وقال هم من قوم هذا وقوله يذهبكم على هذا ليس بشر الى الاعيان فقط
بل الى الانواع الذين هم العرب والعجم **قوله تعالى من كان يريد
ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخره
وكان الله سميعا بصيرا** لما بين ان له ما فى السموات وما فى
بين انه يعطى منهما ما يشا من شا ثواب الدنيا يرجع الى ملك الاخره
وهو العقبه وغيرها من الاغراض الدنيويه وثواب الاخره يرجع الى
ملك السموات وهو الثواب الاخروى ونبه ان كليهما منه كقوله من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الايه وكقوله من كان يريد
حرث الدنيا نوته منها الايه وبين بقوله وكان الله سميعا بصيرا انه عارف
بالاغراض والمقاصد فهو مجازيك كلا بحسب مقصده فاعمال بالنيات
وفيه ايضا انه يوتى كل احد من اعراض الدنيا ما يراه اصلح له كمن قال فى كان
يريد العاجله عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد وفى قوله فضل الله ثواب الدنيا

والاخره تكليف للانسان حيث اقتصر على اذى السوالين مع كون المسول
مالكا له وراشرف منه وحث على ان يطلب منه ما هو اعلى وافضل من مطلوبه
وان من طلب حسيسا مع انه يمكنه ان يطلب نفيسا فهو فى الله قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلوا او
تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا امر تعالى كل
انسان بمراعاة العداله ونبه بلفظ قوامين على ان ذلك لا يكفى مرة ومرتين بل يجب
ان يكون على الدوام فالامور الشديده لا اعتبار بها ما لم يكن على الدوام ومن عدل
مره ومرتين ربما كون فى الحقيقه عدلا ومن ان العداله التامة ان يكون حكم
الانسان على نفسه وذويه كحكمه على الاجانب والى ذلك اشار النبى صلى الله
عليه وسلم بقوله ان تشهد لاخيك ما تشهد لنفسك وبه على انه لا يحل ان يشفع
من اصحاب الحقوق صاحبه لفقر من عليه الحق او ميلا لغنى فالله اولى بهما
وقوله ولو على انفسكم حث على اقامه الشهاده على نفسه بالاقرار وعلى ذويه ونحو قوله
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
وبصد بعض الناس ان ذلك شهاده لهم وقال فى صدر الاسلام كان يسمى شهاده
الانسان لاخيه ثم نسخ ولست الاخيه بعضى الا اقامة الشهاده عليهم الا لهم وذلك
مقبول بكل حال ونهى عن الام الحق الزامه اتباعا للهوى وبعد ان تعدلوا
كراهيه ان تعدلوا وقيل لا تتبعوا الهوى لتعدلوا اى لتكونوا فى اتباعكم عدولا
ومنها ان اتباع الهوى ومجرى العداله متنافيان لاختلافهما وقوله وان تلوا
اى تلووا الشهاده الى التكلم عن صول الحق بحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله



لووا رؤوسهم الايه وانما قال بما وانت تقول رايت زيدا او عمرا فاكرمته ورا
تقول فاكرمتهما فان الاكرام يتعلق باحدهما ورايه تتعلق بالناس كلهم غنيهم وفقيرهم
وجعلهم شهداء لله تنبيها على مراعاة العداله وانه بالحفظ لها اصير من شهداء الله وانتصابها
على الحال لقوله قوامين او صفة لها او كونوا قوامين حال وشهداء خبر كان ومن قرا
تلووا اى ولاة لان كانه قال ان تقلوا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ومن
قرا تلوا واحد قيل جعله من الى اذا مطل وفى ذلك محاطبه لمن عليه الحق فى
ترك المطل وللحاكم اذا تقدم اليه الخصمان ان لا يدفع المطالب عن حقه والشاهدان لا
يدفع الشهاده بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله
والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل
من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا قيل معناه يا ايها الذين
امنوا بقلوبهم ادموا الايمان وقيل معناه يا ايها الذين امنوا بالسنتهم امنوا بقلوبهم
وقال الزجاج خاطب بذلك المنافقين الذين اظهروا الايمان وتقديره على ما قال
ان الايمان صنفان ضرب بمجرد الحكم به وهو الظاهر وهو الاتيان بالشهادتين والتزام
احكام الشريعه وهو الذى يحصن دم الانسان وماله الا بحقه وضرب مع التخصص
بحقايقه الذى اشار اليها قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقد بينت فى نظام الشريعه
ان الايمان كما قال عليه الصلوه واللام اثنان وسبعون درجه وبينت الفانون الذى
اقتضى ذلك وان تلك المراتب يترتب بعضها على بعض فالانسان الى ان
يحصل فى اخر درجه منها ماموربالترقى الى ما فوق منزلته فالايه خطاب متوجه
على كافه المومنين ان يترقوا الى تلك الدرجات وقد ذكر تعالى فى هذه الايه

امنوا الايمان الاعتقادى وذلك الخمسه وذلك هو الايمان بالله والملائكه والكتاب
والرسول واليوم الاخر على المذكوراث فى حق اهل الصلوه والام حيث اتى النبى
عليه الصلوه والام فى صوره اعرابى فعال لهم ما الايمان وذكر ان الكفر هذا هو الضلال البعيد
منبها ان الانسلاخ من الهدايه والضلال الذى قلما يرجى عود صاحبه وقد ذكرت
كيفيه الضلال عن الطريق فى مكارم الشريعه **قوله تعالى ان الذين امنوا
ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** قال قتاده يعنى اهل الكتاب من اليهود
امنوا بموسى ثم كفروا من بعده والنصارى امنوا بعيسى وكفروا من بعده ثم ازدادوا
كلهم كفرا بمحمد وقبل امنوا بموسى ثم كفروا به لانهم لم يومنوا من بعده فهم فى حكم من لم يومن
وقال مجاهد هم فى المنافقين المذكورين فى قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وقيل هى فى الذين
قال فيهم وقالت طائفه من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار
واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولم يردانهم امنوا مرتين وكفروا مرتين وانما ذلك لبشاره
الى احوال كثيره كقولك فلان فعل ثم استمر الى هذا كان دابه وقيل كان الانسان
مندرج الى غايه الفضايل بثلث درجات وهو ان حصل فى اولها ثم فى اوسطها ثم فى
منتهاها كذلك يتسلح فى الرذايل ثلث درجات ولذلك جعل الله لهذه عقوبات
الدين والعشاره والطبع ومن ترك الايمان مره بعد مره ثم ازداد تماديا فى الغى فقد
صار من الذين وصفهم بقوله اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ثم قال
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها مبينا ان من انتهى فى الكفر
الى هذا المنزل فقد صار حقيقا لان لا يتوب واذا لم يتب لم يغفر له ولا يهديه اذ هو يتحرى
لكونه مطبوعا على قلبه لما ارتكبه وقال بعض الفقها ان المرتد يقتل توبته سرا واسرا لكفر

اولم يبين انه جعلهم مومنين بعد دخولهم فى الكفر **قوله تعالى بشر المنافقين
بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزه فان العزه
لله جميعا** العزه حاله مانعه للانسان من ان يغلب وهو من قولهم ارض عزاز اى
صلبه وتعزز اللحم اشتد وعز كانه حصل فى عزاز اى صعب الوصول اليه كقولهم تطلف
كانه حصل فى طلف من الارض وعز المطر الارض صلبها وشاه عوز ذات درها وو
البشاره الخبر الذى يظهر اثره فى بشر الوجه واكثر ما يستعمل فى السرور ويجوز ان يكون
فى مثل هذا الموضع رد الى اصله كالطرب الذى هو خفه من الفرح والفرح فى الاصل
ثم كثر فى الفرح فرد الشاعر الى اصله فى قوله

وارانى طربا فى اثر هم طرب الواله او كالمختبل

ويجوز انه استعمل البشاره فى ضده على سبيل التهكم كقول الشاعر

تحيه بينهم ضرب وجيع ووصف المنافقين بانهم يوالون الكفار كما قال تعالى
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم
لنخرجن معكم الايه ثم قال ايبتغون عندهم العزه بينها ان لا عزه لهم وانما العزه لله ولرسوله
وللمومنين فقد ذكر من بيده العزه ومن جعل له العزه فى الاولى ذكر من بيده العزه
فقط دون من جعلت له ونفى ذلك عن الكفار تنبيها انه وان حصل لهم حوله يسيرا
الجهله عرا فليس ذلك فى الحقيقه بعز اذا اعتبرت العواقب **قوله تعالى
وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله
يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث
غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين
فى جهنم جميعا** نهى تعالى المومنين من مجالسته من يقصد العناد والهزو وليس له قصد

الى سماع الصدق ولا فيه رجاء ان يستجر الى حق فاما من يرجى ان يقبل عن ذلك جائز
مجالسته بل واجب ولهذا قال الحسن ان كان في ذا ابنا باطلا اتركها حقا اسرع ذلك
في دينا وقول ابن عباس لم يكن يجوز ان يقعد معهم بوجه حتى نزل قوله تعالى وما على
الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون نسخ ذلك فليس يقصد حقيقة
النسخ وانما يعني ان الاية كانت تحمل على العموم فعلم بهذه الاية تخصيصها وانه يجوز مجالستهم
اذا رجي منهم رشد ولا يجوز فيما يودي بهم الى فساد ولهذا قال تعالى فلا تقعد بعد
الذكرى مع القوم الظالمين ونبه بقوله انكم اذا مثلهم على ان الاستماع الى الباطل
مكروه كما ان التفوه به مكروه وبهذا الم الشاعر فقال

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به

والسامع الذم شريك له والمطعم المأكول كالآكل ونحو الاية قوله تعالى واذا
رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وبين ان المنافق
ان المنافق الذي يظهر بلسانه الايمان دون قلبه والكافر الذي يصرح بالكفر سيان
في استحقاق النار فان الاعتبار باخلاص النية كما قال عليه الصلوة والسلم ولكل امرئ
ما نوى **قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من
الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا
الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا** الاستحواذ الاستيلاء واصله
من استحوذ العير على الاتان اذا استولى على حاذيها اي جانبي ظهرها وقال استحاذ
وهو القياس جعل تعالى ما للمومنين فتحا وما للكافرين نصيبا منبها ان الذي يحصل للكافر
مومن الدولة من اهل الدنيا وذمهم لانهم يراودون الفرص بعد وقد قال عليه الصلوة والسلم
شر الناس ذو الوجهين يلقى هولا بوجه وهولا بوجه ومن هذا قيل ان ذا الوجهين



خلق ان لا يكون عند الله وجيها وقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين
سبيلا فان امر المومنين جعله معتبرا بقوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة وقال ولن يجعل الله
لهم سبيلا في القيمة وقال غيره لن يجعل الله له سبيلا في الفتح الذي جعله للمومنين اي النصب
الذي قد يجعله للكافرين من الاعراض الدنيوية وقال السدي السبيل الحجة ولم يجعل
ذلك للكافرين وحمل الفقهاء ذلك على الحكم فقالت الشافعية الاسلام يعلو ولا يعلى
ما لو اد يقتضي ذلك ان لا يملك الكافر عبدا مسلما ولا يصح شراه ولا يقتضي ان لا يقتل
مومن بكافر واستدلت الحنفية على من ارتد انقطعت العصمة بينه وبين امراته قبل
انقضاء العدة فلا يكون له اليها سبيل **قوله تعالى ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا** قد تقدم
في مخادعة الله وبين انهم متشبعون بفعل الخير وان كسلهم يدل على تشبعهم والذكر
ههنا الاولى ان يراد به ما يكون باللسان دون ما يكون بالقلب ونفى ذلك عنهم
يقتضي ان ذلك ليس عن نية وطوية صحيحة والرياء النفاق الا انه اعم **قوله عز وجل
مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا** التذبذب الاضطراب قال النابغة
ترى كل ملك دونها يتذبذب وصفهم بانهم مدفوعون من الجانبين لا يوبه لهم ثم بين
ان لا رشاد ولا ارشد لهم كما قال ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد تقدم الكلام
في الاضلال **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المومنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا** نهى عن اتخاذ الكافرين اولياء من دون المومنين وذلك
ان يستعان بهم استعانة المرؤوس بالرئيس والمستنصر بالناصر لا استعانة المستخدم بالخادم

وعلى ذلك قوله لا تحدوا ابطانه من دونكم لا يالونكم خبالا وبين انكم ان فعلتم ذلك جعلتم
على انفسكم سلطانا للعقاب وجعل الحجة سلطانا لخوام انزلنا عليهم سلطانا ملوا
ما نون عليهم سلطان بن قال بعضهم يصح ان يعال السلطان لله على المومنين المحاصر
معنى انه لا عذر لهم قوله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المومنين وسوف
يوت الله المومنين اجرا عظيما الدرجات والطبقات يعال
في العقاب كالدرجات في الثواب وفيه هذه الاية على نهاية رداءة المنافقين
وانه شرهن الكافر لانه يساويه في اعتقاده ويزيد عليه في كذبه لانه يدعي ما ليس له والمنافق
والمنافق وهو لي من انه تعالى لا ينصرهم ولا احد من ينصرهم عليه كقوله وما للظالمين
من انصار واستثنى ممن يحلون في النار للتائبين وجعل من تمام التوبة اصلاح العمل
والاعتصام بالله واخلاص الدين وهذه الشرائط الثلث من تمام التوبة كان الاعمال
الصالحة من تمام الايمان ومن لم يات بذلك فانه يقال له تاب على المجاز وحذف
الباء في الخط في قوله يوت الله اتباع اللفظ لان الساكنين كقوله ويدع الانسان
وكقوله سندع الزبانية وحذف فيهما من قوله ذلك مما كانوا يخففون وقوله يسير لكونه
راس الاية قوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم وكان الله شاكرا عليما اي ما يفعل الله عن عذابكم ان
بعذبكم اذا عرفتم ووفيتم حقها ان قيل لم اخر الايمان عن الشكر قيل لانه عنى به معرفة
النعمة التي بها يتوصل الى معرفة المنعم ومعرفة المنعم هي الايمان فاذا الشكر على هذا
الوجه مقدم على الايمان لانه ابرز منه وهو وسيلة اليه من الايمان والايمان وسيلة
عنه ووصف نفسه بالشكر بمعنى انه يقابلهم بما يكون منهم حد يعلم ان الشكر قد يكون



من المولى للعبد بمعنى مقابلته بما يكون من جزائه وبه يقوله عليهم انه لا يحب عليه ما يتجاوزه
العبد فقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وكان الله سميعا عليما قوله ومن ظلم رفع على تقدير الا من ظلم
ان يجهر بالسوء من القول الا المظلوم او على تقدير ان يسوء في المعال الا المظلوم وسمى المجازاة
بالسوء سواء بينهما انه لو لم يكن ذلك على سبيل المقابلة لكان سواء لفظه خبر ومعناه الامر
كانه قال لا تجهروا بذلك الا المظلوم وذلك كقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل وقوله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاسق بما فيه رخصة لمن يادي بغيره
ان يذكر فعله لا رخصة في اغتياب الناس من غير حاجة الى قوله ذكرهم ومثل قوله
الا من ظلم تقديره لكن من ظلم فانه لا ان يذكر ظالمه بان يدعو عليه او يغتابه بما فعل على
سبيل الشكاية قال مجاهد قد دخل في ذلك من ضاف رجلا فلم يودحق الضيافة
قوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء
فان الله كان عفوا قديرا جميع ما يفعله الانسان مع غيره من الاحسان
اما احسان يبديه او احسان يخفيه او يحاف عليه لسوء يحتمله قد ذكره تعالى
ومن انه حاز بعفوه بقوله عفوا قديرا على مجازاة المتعافي بالعفو عنه وقدرته
عليه قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
الايمان بالله لا يتم الا بتصديقه بقاله وبقال رسوله والرسل كلهم يجرون مجرى واحد
فمن كفر بعضهم فكانما كفر بكلهم من حيث انه لم يات الحق فالحق من حيث ما هو حق
لا مناقاة بينه ان قيل لم اعاد ذكر الرسل ولم يقل بين الله وبينهم فيكون اوجز

قيل لما عنى انهم يفرقون بين الله ورسله وبعض رسله وعنى بقوله يكفرون بالله
ورسله كل رسله لان كل من كفر بعضهم كفر بكلهم فلو لم يعد ذكرهم لاقتضى ان يكون
معناه يفرقون بين الله وبين جماعة الرسل فان المضمر لا يعيد الا ما يفيد مظهر فاعاد
ذكرهم لما كان الاول عاما والثاني خاصا وقوله عز وجل ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اى يتخيرون لطلب رياستهم سبيلا ليس بحق وقوله اولئك هم الكافرون حقا ان امنوا
ببعض الانبياء وهذا الكلام منبه على قياس كانه قيل لكل من فرق بين الانبياء فهو
كافر حقا والكافر حقا اعددنا له عذابا مهينا وهو راجع الى كفرهم ببعض الانبياء فاذا اعددنا
لهم عذابا مهينا فقوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم
يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم
وكان الله غفورا رحيما كالمانع من ذهاب الوهم الى حكم من فرق
بين بعض الانبياء وبعضهم بين حكم من خالفه وقالوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى و
عيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وذكرهم
كما ذكرهم الاولى عقاب من فرق بينهم ونبه بذكر الغفران على عفوان وقعوا
وما اراده على مجاراتهم بالاحسان قوله عز وجل يسئلك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا
عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا

نبه تعالى على ما كان من تحكمهم واقتراحهم على ما ياتي السياسة الالهية وبين
ان ذلك ليس بادئ جهالاتهم وعصياناتهم فقد اقترحوا على موسى ما هو ابعد
واشنع مما سالوك وذلك انهم سالوا ادراك الباري بالحاسة في الدنيا وجهروا
بالصاعقة لما ارتكبوه من الظلم في طلب ذلك وثانيا انهم عبدوا العجل بعد اتيانهم
الحق وعاينتهم للعجل بعد اتيان الحق اشنع واقطع معاندة في كل حال اشنع وقوله
واتينا موسى سلطانا مبينا يحوز ان يكون ذكر منة تالية ويحوز ان يكون اعترضا
توكيدا لما قبله وانهم مع ما اوتي من المعجزات يرتكبون ما يرتكبون ورفع الطور
قيل كان على سبيل تخويفهم وقيل اظهارا للمعجزة وثالثا من كان محالفتهم فيها الهروا
من دخول باب من ابواب بيت المقدس وان يقولوا احط عنا ذنوبنا وقال
بعض الناس معنى ذلك خذوا الحق من حيث ما جب اخذه ولا تطلبوه من غير وجهه
قال وهذا استعارة لحو قول الشاعر

ايت المروة من بابها

ومعنى سجدا اى متواضعين لقبول الحق ومرابعا ما كان من تعديهم في السبت
فاعاد ذكر اخذ الميثاق منبها انه اخذ عليهم ذلك مرة بعد اخرى قوله عز وجل
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء
بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما ما في قوله فبما ايده مؤكده ومعنى توكيدها انها تقتضي تكثير
معنى الفعل الذي تدخل عليه كما ان التشديد وزيادة الحروف في فعيل وفعال
فعال يقتضي ذلك وقيل بل ما ها هنا اسم نكرة اقتضى حالا مجملا وقوله نقضهم وكفرهم
وما بعدها بدل منه كانه قيل عقيب ما العوامل ثم فصل ذلك الشيء وخص ما كان منهم في
قاتين الاثنين سبعة اشياء نقض الميثاق المذكور في قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين

او ثنوا الكتاب وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
وكفرهم المطلق وقولهم على مريم البهتان وادعايهم قتل عيسى وقولهم قلوبنا غلف
اي انهم ادعوا ان قلوبهم اوعية العلوم فكذبهم الله بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم
وقيل معناه قلوبنا محجوبة عن العلم كقوله وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر واثبت لهم هاهنا ايمانا قليلا اعتبارا بظاهر اقوالهم حيث قالوا امن
بعض ونفى عنهم في اول الايمان اعتبارا بالحقايق وان ذلك المقدار غير معتد به
ووجه ذلك ان من فعل بعض ما امر به فانه يصح ان يقال لم يفعل ما امر به اعتبارا
بالفعل كله ويصح ان يقال قد فعل بعض ما امر به اعتبارا بما ظهر منه اعتد به او لم
يعتد وقوله وبكفرهم فانه اعاد ذلك تنبيها انهم كفروا بالمسيح وامه عليهما الصلوة
والسلام وقيل لم يزدادوا مرة بعد اخرى والبهتان الكذب الذي يبهت منه سامعه
وقطاعه وشناعه والباء في قوله فبما قيل هو متعلق بقوله حرمنا وقوله فبظلم بدل منه
وادخل الفاء لما تباعد ما بينهما وقيل هو متعلق بمضمر كانه قيل بسبب هذه الاشيا
سلك اهل الكتاب ان نزل المعنى ارتكابهم لهذه القبايح افضى بهم الى هذا
الاقتراح قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه
يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما
ان قيل كيف حكى عنهم انهم قالوا قتلنا رسول الله ولم يقروا بكونه رسولا قيل يجوز
ان يكون ذلك من جملة الحكاية وذكروه على سبيل التهكم زعما منهم انه لو كان رسولا
لما قدرنا على قتله ويجوز ان يكون ذلك من قول الله تشريفا له لا حكاية عنهم كانه قال
اعني رسول الله ونفى قتله وذكر ان ذلك شبه لهم واختلفوا في حال عيسى فقيل القي



شبهه على رجل فقدر انه هو فصلب قالوا فهذا معنى شبه لهم فاعترض على ذلك وقيل
انهم يدعون صحة ذلك ويقولون ان هذا جائز في الامور الالهية ولا يرضيه النبوة كيف
يصح ان يفعل ذلك فيرى الناس بعيونهم صورة رجل هو يصلب ثم يذمهم حيث
قالوا انه صلب وهل يمكن الانسان مع ذلك ان يرى امراة بعدها انها امراته فيدنوا
منها ثم يعاقبه الله بذلك قيل ان ذلك شي يفعله الله منه بعد فتنة لحكمة يتعلق به
فليس يجب للانسان ان يظن ذلك في كل وقت وانما ذمهم تعالى لحكمهم بقتل الانبيا
الا ان الامر شبه لهم وقال بعضهم انما كان واحد واثنان انسانا من بعيد وهو يخايل
من عيسى فلما فقدوه من بعد ظنوه اياه فصار هذا الخبر خاصا فيما بينهم فانه يستند الى
من يصح عليه الخطا والكذب وبين ان المختلفين فيه يقولون عن تخمين واتباع
ظن ان قيل كيف جعل اتباع الظن مستثنى من العلم وليس من جنسه قيل حقيقته في
كل اعتقاد ظنا كان او وهما او تخيلا او حسا الا ترى ان النابغة في صفة الطير
جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب
فاستعمل في الظنون اليقين وهو اشرف العلم وقد يقول لمن يدعي العلم وهو في العلم
علمك ظن فعلى هذين يصح ان يستعمل العلم في الاعتقاد وان لم يكن معه سكون النفس
فلما ادعى القوم انهم علموا قال ما لهم به من علم فادخل عليه من تنبيها على استغراق
جنس المعارف التي يحصل منها الاعتقادات ثم قال الا اتباع الظن فذكر اضعف
وجه يحصل منه الاعتقاد ولهذا قال تعالى ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
فجعل اتباع الظن سبب الخرص اي الكذب وقوله وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا ذلك
الاعتقاد من قولهم قتلت كذا علما اي حققته كانه قيل ما حققوا معرفته ذلك وقيل
اراد به القتل الحقيقي وانما قال يقينا لانه يقال فلان فعل كذا ظنا اذا توهم انه فعله
وفعله يقينا اذا تحقق انه قد فعله وقوله تعالى بل رفعه الله اليه قيل معناه رفع بشخصه

كأنه رُفع إلى السماء وإليه ذهب جماعة من أصحاب الحديث وقيل معناه مع ذلك أنه شرّف ومكّنه
من بين الأنام كقوله ورفعناه مكانًا عليًا وكقول الشاعر
بلغنا السما حسابنا ولولا السما لجزنا السما وقول الآخر
قناة على تلك الثريا وذكر قوله إليه تنبيهًا على تعظيم المرفوع له إلى المكان
إلى حد محدود تنبيهًا على أنه حصل له سرًّا على الشرف وإلى نحوه أشار إلى ربك المنتهى وإليه
المصير ومثل هذا أشار إليه وإن أمكن الكشف عن حقائقه باللفظ وإنما يدرك الإنسان
حسب ما جعله له من نوره قوله تعالى وإن من أهل الكتاب
إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدًا
قيل ما أحد من الكتاب إلا يؤمن بعيسى عليه السلم قبل موت عيسى إذا نزل من السماء
يكون أهل الكتاب خاصًا لمن كان في زمان نزوله وقيل بل ذلك عام والضمير
في قوله قبل موته راجع إلى أحد المضمر في قوله من أهل الكتاب ويعني به وقت المعاينة
حيث تصير العلوم بالآخرة ضرورية ولا ينفع التكليف فإن قيل فأي تشريف لعيسى
إذا قيل إن الحقائق كلها تظهر في تلك الحال قيل تشريفه أنه جعله من جملة
الحقائق التي من أجل ما في الدنيا معرفتها لم يجعل لعله كمعرفة الله ومعرفة الملائكة
والقيمة وإلى نحو هذه المعرفة أشار تعالى بقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وعلى هذا حكى
عن فرعون حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت
به بنو إسرائيل وقوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدًا أي شاهدًا أنه بلغهم رسالة ربهم
كقوله من كل أمة شهيد وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء وهو الذي قال وكنت عليهم
شهيدًا ما دمت فيهم فهو يشهد على نفسه بالعبودية وعليهم ببلاغ الرسالة فإن قيل
فأي تعلق لقوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدًا بما تقدمه قيل فيه ما تقدم أنهم اعترفوا



يصدقه في الدنيا قبل خروجهم منها فيقتضي هذا تنبيهًا أنه يخبرهم بشهادته عليهم يوم القيمة
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا وأخذهم الربوا
وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين
منهم عذابًا أليمًا ظلمهم عام في جميع ما ارتكبوه من الجور وتخصيص الأشياء الثلثة
المذكورة بعده تعظيمًا لها واعلم أن تحريم الله على ثلثة أضرب الأول تحريم الخبائث
وكل ما ليس له غذاء وجه والبدن يعافه كالذباب والخنافس والأشياء المخلوقة
من فضول البدن وهذا الجنس حرم عقلًا وشرعًا والثاني ما يعلم ضرره أكثر من نفعه
وقد يظن بعض الناس فيه نفعًا كثيرًا فهو متردد من التحريم والتحليل في العقل وضرب
نافع في الأحوال الدنيوية جدًا إلا أن نفعه ليس بضروري والعقل لا يقتضي تحريمه والشرع
قد حرمه في حال دون حال تهذيبًا للنفوس عبادة وقدعًا لسلطان شهوتهم كتحريم الشحم
على بني إسرائيل وهو ما قال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الآية فنبه تعالى أنهم
لما أجرموا وصاروا ظالمين ويصدون عن سبيل الله حرم عليهم بعض المطعم ليكون
في ذلك عقوبة لهم من وجه وتهذيب لقمع شهوتهم من وجه فقلة الطعم سبب
لتوهين الشهوة ولتوهينها أمر تعالى في كل شرع بصوم ليكون ذلك سببًا لمنعها عما
تدعو إليه فلا يكون كالبهائم التي تأكل ما تشتهي وإلى نحو هذا أشار قوله عليه
الصلوة والسلم صوموا تصحوا فإن في الصوم صحة البدن وصحة النفس وقوله وأعتدنا
للكافرين لما بينه بما تقدم أنهم كفروا ذكر ما أعد للكافرين ليكون فيه [illegible]
سيلقون ذلك الغد أنهم من جملتهم قوله تعالى لكن الراسخون في
العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله

والیوم الاخر اولئك سنوتيهم اجرا عظيما الراسخ في العلم هو الذي لم يعترضه شبهة لتمكنه في معرفته وتحققه بها وكونه من الذين والفهيم الذين امنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا فنبه ان الراسخين في العلم يعرفون معنى النبوة ويعتبرونه بحيث ما وجدوه بعده فالحق لا ينافي بعضه بعضا ان قيل ما وجه لكن هاهنا وهو ابطال النفي واثبات اخر فما الذي ابطل هاهنا قيل لكن وان كان كما قلت فتارة يجي بعد نفي ما جاني زيد لكن عمرو وتارة يجي بعد الايجاب والابطال فيه مقدر نحو جاني زيد لكن اخوه لم يحسن الي والتقدير اخوه لم يحسن لكن احسن الي ما عني عن الابطال بذكر الايجاب ولما افض عن اليهود ما كان منهم والزمهم المذمة بين ان الراسخين لم يذهبوا مذهبهم لكن يومنون بكل ذلك ويستحقون به الثواب علی اضيف هو الا الذين يستحقون العقاب وقوله والمقيمين الصلوة قيل هو عطف على قوله بما انزل اليك اي بالنبيين الذين يقيمون الصلوة وقيل الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين وهذا اذا جعله عطفا لم يجوزه سيبويه لعطف الظاهر على المضمر المجرور وان يعلقه على تقدير من حذفه لدلالة ما قبله عليه جوزه كقولهم ما كل بيضا شحمة ولا سودا تمرة على تقدير ولا كل سودا تمرة وحكى ان عائشة قالت ان لحنا في كتاب الله لحنا من جهة الكاتب وستقيمه العرب بالسنتها وقوله والمقيمين ولسيبويه باب في كتابه يذكر فيه ان كل وصف نحو على المدح والذم يصح فيه الاستيناف مرفوعا ومنصوبا ويجوز فيه اتباع الموصوف وعلى هذا حمل قول الشاعر النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الازر وقد ذكر تعالى عامة الايمان الاعتقادات فان جماعة ذلك هي المذكورة في قوله ومن يكفر بالله وكتبه ورسله الاية ولم يذكر الملائكة هاهنا في ضمن الايمان بما انزل الله اما بالملائكة الذين نزلوا به وانا قدموا الايمان بالنبي على الايمان بالله هاهنا لان الفضل

٢٠٩

من الانبياء اليه والمذكور بعده على سبيل النسخ وذكر من الايمان العملي امام الصلوة وايتا الزكوة اذ هما ركنا العبادة وعلى هذا خصهما في عامة الايات من بين العبادات قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ذكر تعالى في هذه الاية اثني عشر نبيا باسمائهم واجمل ذكر باقيهم وذكر بعض اولي العزم وبعضا من غيرهم وذكر بعضهم على الترتيب وذلك انه لما اراد ان يبين انه اوحى اليه كما اوحى اليهم وخصه بما خص كل واحد منهم به تفضيلا له وتشريفا وانه جرى معهم مجرى فذلك من الحساب المبني جملته عن تفصيل ما تقدم فذكر نوحا الذي هو اول اولي العزم من الرسل والنبيين من بعده مجملا ثم فصل النبيين فذكر ابرهيم الذي كان اول النبيين من اولي العزم بعد نوح وذكر معه من جرى منه مجرى الابعاض في كونهم تابعين له وهم اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ثم ذكر الطرف الاخر من اولي العزم وهو عيسى ثم الاوساط ايوب ويونس وهرون ثم ذكر من اوتي الكتاب مجملا وهو داود فان الزبور هو اسم الكتاب اذ كتبه كتابة غير مفصلة وافرد موسى من حيث انه خص بالتكليم وكل هذه الفضايل كان للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما نبه ان بعثه الانبيا الى الناس ما لم يستغنوا عنه لقصورهم كلهم عن ادراك جزئيات مصالحهم وقصور اكثرهم عن كلياتها وجزئياتها وبعث الانبيا مبشرين ومنذرين لئلا يكون قد ازاح عللهم

سبيل الله قوله تعالى لن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا قيل عنى الذين كفروا وظلموا
الكفر الذى هو اعظم الظلم وان من ظلم العباد وصل بقدره ان الذين كفروا وظلموا
الذين ظلموا كقول الشاعر

امن يجير رسول الله منكم ونصره سواء

اى يجير رسول الله منكم ونصره ومن لم يجره فحذف من وقوله الا طريق جهنم اى لا يوافقهم لغير ذلك اذ ليس
بل لا يقبلون وقوله وكان ذلك على الله يسيرا اى لا يصعب عليه لعذبهم ولا
يستعظمه فالحكمة تقضى ذلك قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان
لله ما فى السموات والارض وكان الله عليما حكيما الباقى
قوله بالحق التقدير كقوله سكارى وما هم بسكارى قد ذهب بالابصار حر الخوف اى هو خيرا لكم
وتقديره امنوا ايتوا خيرا لكم فحذف بلفظ الايمان على ايتاء الخير وقال الكسائى
تقديره يكن الايمان خيرا لكم فحذف بلفظ الايمان على لفظ الخبر وقال الكسائى تقديره
يكن الايمان خيرا لكم ولكان الكسائى مثله فى الخير وقال سعت لبعض من حر الكلام واسند
قواعده سرحتى مالك او الزمن منها اسهلا

وقوله وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض اى نفع ايمانكم عائد عليكم ولا
ينقص غناكم وتنبه بقوله لله ما فى السموات والارض على غناه ولم يعن الموضع
منها فقط بل يعنى مع ذلك ما ركب منه السماء والارض كقوله لهذا ان ما فى هذا
الثوب اى غزله ونسجه فنبه بذلك ان له السموات والارض كما ان له ما فيهما
قوله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على



[illegible] لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما [illegible]
[illegible] فى امرها رسولا ومالوها معذبين حتى نبعث رسولا ونوالا [illegible]
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا [illegible] قوله تعالى
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا نصب دليل بما قبله اتصال اثبات الحق
بعد انكار من انكره ومعنى شهادة الله اقامة البينة الدالة على نبوته وعلى هذا قوله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو اى اقام البينة الواضحة على وحدانيته واعظم
الشهادة ما تضمن علم المشهود عنده فالشهادة من الناس قد لا توقع العلم وشهادة
الله باقامة البراهين المنتجة للصدور موقعة للعلم مزيلة للشك فمن اعظم شهادة
ابنائه بمعجزاته كالقرآن الذى هو كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله انزله
بعلمه قيل بعلمه بك وانك مستحق للنبوة كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقيل انزله بعلمه بالعلم الذى يختلجون اليه اى هو متضمن للعلم وذكر شهادة الملائكة
منها ان العقول الصحيحة تعرف صحة نبوتك وانكم لو استعملتم العقول لاطلعتم
على ذلك اطلاعهم ووقوفهم عليه لمشاركتكم ايام وراءهم انتهى بالاسبيل الى معرفته
الا من جهة الملأ الاعلى فهذا معنى شهادة الملائكة ثم قال وكفى بالله شهيدا
اى بما اقام من الادلة على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره قوله عز وجل
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا
ضلالا بعيدا الضلال اعم من الكفر فكل كفر ضلال وليس كل ضلال كفرا
والناس فى الضلال فرقان ضال غير مضل وضال مضل وهو اعظم اجراما والبعيد
عقابا والمضل بالاضافة الى غيره فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الذى كفر وصد عن

كلمته
لله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و
القيها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا
الغلو الخروج عن القصد ومفارقة العدل من قولهم غلا السعر وغلت القدر خاطب
بذلك النصارى فنهاهم عن الافتراء على الله وعيسى وقد يعلم الكلام فى معناه
الربوبية للمولد وسماه كلمة الله لقوله ثم قال له كن وقيل لانشاء الله وقيل له لانه يهدى
كلمة الله وسماه روحا لقوله ونفخنا فيه من روحنا وقيل لانه كان حى الناس احيا الارواح
وقيل لانه سبب للحيوة الاخرويه كما ان الروح سبب الحيوة وقيل انتهوا خيرا لكم
قيل فيه الوجهان المتقدمان وقيل انتهوا انتهاء خيرا لكم بقوله له ما فى السموات وما فى
الارض على غناه عن الاولاد وبقوله وكفى بالله انه القائم بحفظ الاشياء والولد انما
اليه لتكونوا وكلا اليه وتعالى مستغن اذ هو الحافظ لكل شئ قوله عز وجل
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
الاستنكاف الانفة من قولهم نكفت الدمع اى لحيته بالاصبع حتى سال الدمع نكف
وقيل مكفوف بمرح وقيل مبنى من النكفة اى محفة وطيف بالعنق وقيل من
النكفتين وهما لحمتان متدليتان من العنق واستعمال التكبر كالصعر فى العنق
والرثم بالانف وعلى ذلك قال الشاعر

ان الكرام من بلغت خوله وان اللئيم دائم الطرف اقود

والعبودية وان كان مضمنه بالمذلة اذا اعتبرت بعز الله فانها مقر الشرف
اذا اعتبرت به تعالى فلهذا لا استنكاف منها والاستكبار طلب التكبر بغير

استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق وذلك اذا اراد طلب الترفع النفس والتطلف
عن الاغراض الدنيوية به تعالى ان لا استنكاف لاحد عن عبادته وان المستنكف
منها لا بد وان يحشر اليه فجاز به والضمير فى قوله تعالى فسيحشرهم راجع
الى كل من يعلم فلهذا افصل من لعدو استدل بعض المتكلمين بالاية على تفضل
الملائكة على الانبياء وقال مثل هذا الكلام اذا ذكر على طريق التهكم بعد الاشراف
فالاشراف فقال لا يستنكف الحاجب من خدمتى فلان ولا الوزير ولا الامير ولا
يقال على عكس ذلك فاعترض على ذلك باشياء احدها انه قد ذكر فى مثل هذا الموضع فى
مرتبة واحدة فقال الرشيد لا يستنكف من ذلك ولا المامون وايضا فقد خص الله
تعالى عيسى من دون غيره من الانبياء فلا دلالة له انها افضل من كلهم وايضا فقد قال
ولا الملائكة المقربون واراد له ان عز المقربين افضل من الانبياء فاجاب هذا
المجيب ان المتكلمين اختلفوا على وجهين فمن قائل قال الانبياء افضل وقائل قال
الملائكة افضل ولم يقل انهما سواء وكذا قالوا الفرق بين عيسى وغيره فى كونهم
فوق الملائكة او دونهم وكذا لم يفرقوا بين المقربين وغير المقربين فى هذا المعنى
وهذا الجواب كما ترى وقد اعترض على ذلك ايضا فقيل اذا ذكرت من قولك
لن يستنكف الحاجب من خدمتى ولا الوزير انا نكون ناسين مفردين كما
تقول به فاما اذا ذكرت مفردا وحمله فليس يقتضى ما ذكرت كقولك لن
يستنكف الحاجب ان يخدمنى ولا الصغير ولا الكبير من اصحاب الامير
قال فهذا يقتضى ان يكون الصغير والكبير افضل من الحاجب فاجاب
عن ذلك بوجهين احدهما ان هذا الموضع قصد به الكثير الى الكبير والى
قصد بها التكبير والثانى ان ما ذكرت انما يكون فى حمله يدخل الموطوف
عليه فى عمومه كقولك والصغير وليس عيسى ممن يدخل فى حمله الملائكة واعترض

على ذلك أنه لا يعجزه ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة واستدل
على تفضيل الملائكة بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين فاستبعوا إيمانه لهذه بقوله لا أنهم فوقهما لما اعتزا بذلك وكذا أيضا استدل
بقوله ولا أقول إني ملك فبين أنه لا ادعي لنفسه مرتبة ولا يليق به فهذا يسوء إلا من
حيث الظاهر قوله تعالى فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا
واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا الفرق بين الاستنكاف والاستكبار أن الاستنكاف
تكبر في تركه أنفة وليس في الاستكبار ذلك والولاية تقتضي خلاص المودة والنصرة معونة
كان معها الولاية أو لم تكن وقوله ويزيدهم من فضله إشارة إلى ما قال صلى الله عليه وسلم
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إنما ذكر من دون الله تنبيها أن كل ولاية ونصرة
فمنه مبدؤها حتى لو تصورناه مرتفعا لما صح ذلك يوجد تعالى الله علوا كبيرا قوله عز وجل
يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة
منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما عنى بالبرهان الدلالة
القاهرة المنبئة عن المعجزات وما لنور القرآن لأنه به يعرف الطريق إلى الله
خاطب بذلك الكافة وبين أنه أزاح عللهم بالعقل والشرع كما قال نور على نور
بين أن من عرف ذلك واعتصم به أدخل في رحمته التي يستحقها التائبون وفضله
أي الإحسان الزائد على ما يستحقه وأنه يهديهم إلى الصراط المستقيم الذي هو الطاعة في
الدنيا ودخول الجنة في الآخرة قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك



وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان
مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ
الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم
الاستفتاء طلب الفتيا للحكم وقد تقدم معنى الكلالة وقوله وله أخت أي أخت من
أبيه وأمه أو من أبيه وقد ذكر الحكم في أول السورة وقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي
لئلا ترجعوا إلى كتابه إذا جهلتم فتعلموا منه وتقديره يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم أن تخوضوه
إذا تركتم ومن بين له الضلال بين له الحق فإن معرفة أحدهما يتضمن معرفة الآخر ولا يتم من دونه
وقد قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال فهو الزجر عن القبائح والإنسان إذا ترك
عن المزاجر والنواهي ولم يوجد بمقتضى العقل صار بالطبع بهيمة ولذلك قال للكفار
إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فقال وهذا أبلغ من قوله يبين الله
لكم أن لا تضلوا لأن في معرفة الشر معرفة الخير وليس في معرفة الخير المعرفتان جميعا وقال
الكسائي تقديره لئلا يضلوا فحذف لا وقال البصريون تقديره حذر أن يضلوا وتحقيق ذلك ما تقدم قبله

## السورة التي تذكر فيها المائدة

## بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام
إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم
ما يريد أصل العقد في الحبل ونحوه كالربط فاستعير للعهد المؤكد ولاستعارته
من ذلك قال الشاعر

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وعلى ذلك قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان والعقود باعتبار المعقود
ثلاثة أضرب عقد بين الله وبين العبد وعقد بين العبد ونفسه وعقد بينه وبين غيره من البشر وكل واحد

كل واحد باعتبار الموجب له ضربان ضرب اوجبه العقل وهو ما ركزه الله تعالى
في الانسان فيتوصل اليه اما بديهة العقل واما بادنى نظر عليه دل قوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم الاية وضرب اوجبه الشرع وهو ما دلنا عليه كتاب الله
وسنته من ذلك شيء الضرب وكل واحد من ذلك اما ان يلزم ابتدا او يلتزم
بالتزام الانسان اياه فاما اللازم بالالتزام فاربعة اضرب فالاول واجب الوفا
به كالنذور المعلقة بالقرب كقوان يقول علي ان اصوم ان عافاني الله والثاني
مستحب الوفا به ويجوز تركه لكن حلف على تركه فعل مباح فان له ان يكفر عن يمينه
ويفعل ذلك والثالث مستحب تركه الوفا به وهو ما قال عليه الصلوة واللام اذا حلف
احدكم على شيء فراى غيره خيرا منه فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه والرابع
واجب تركه الوفا به كقوان يقول علي ان اقتل فلانا المسلم وذلك
سته في اربعة وعشرين ضربا من العقود فظاهر ما ذكره بعضهم كل عقد سوى ما كان منزلة
واجبا او قربة ومن المستثنين من جملة ذلك على حلف الجاهلية دون حلف الاسلام
وقد قال عليه الصلوة واللام لا حلف في الاسلام والصحيح ان ذلك عام وان معنى قوله
لا حلف في الاسلام والصحيح ان ذلك عام وان معنى قوله لا حلف في الاسلام ان
الاسلام قد سن ما يجب الوفا به وما يجب وان كان يحتاج اليه في الجاهلية من المحالفة
للحماية قد كفوا في الاسلام فقد قال تعالى المومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر مبينين ان حمايته بعضهم على بعض لان من حالفوا اولم يتحالفوا
وكقوله هذه الاية قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وهم المحل بذلك حيث قال في بعضهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله ليصدقن ولنكونن
من الصالحين وقوله بهيمة الانعام فالبهيمة ما لا نطق له من الحيوان كالعجماء لكن يخص
في التعارف ما عدا السباع والطير والانعام واصلها في الابل ثم استعملت في الازواج



الثمانية اذا كانت معرا الاب ويدخل في ذلك الجمل والبعال والحمير فان قيل ما وجه اضافة
البهيمة الى الانعام قيل كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل لما كانت الانعام
في اصل اللغة تقع على كل ما يعقر حرث محرك الصفات اضيفت البهيمة اليها اضافة اليوم
الى النجم كانه قال البهيمة التي هي من جملة ما انعم الله عليكم به وقيل لما كان قد تقدم
تحليل الله النعم في سورة الانعام لان سورة المايدة تاخر نزولها عن الانعام فما روى نبه
بقوله بهيمة الانعام على تحليل البهيمة الحادثة محرمات الانعام في كونها محللة فتكون
لهذه الاية دلالة على تحليل البهيمة وتحليل الانعام وما في سورة الانعام دال على تحليل
الانعام فقط ودل على ذلك قول من قال من السلف بهيمة الانعام هي بقر الوحش
والظبي ران المخاطبة للمسافرين اذا كانوا محلا ولا تخصيص المومنين بالخطاب
قيل ليتنبه ان المباحات محظورة على من ليس بمومن وقيل بل ذلك تشريف
لهم اعتبارا بالسياسات الدنيوية ان الملك يخص بالخطاب الشريف الامثل
فالامثل ويراتفرح بلفظ الخطاب على الاياب وان كانوا في الحكم شيئا الا اماثل
قال وعلى ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات وحكم الكتابيات
حكمهن وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي تلك سوى ما حرمته ما تلى واعتبر بعضهم لفظ
الاستقبال وقال اراد ما سيحرمه وذلك مجهول لا يعرف فالاية مجملة وليس كل
ظن وان قوله ما يتلى ينبيء على تلاوة القران على التاييد وقد تناول ذلك ما يعدم
ذكر الله اياه وما ذكره في هذه الاية وقوله غير محلي الصيد معناه كلوا ذلك على ان
لا يكون صيدا في حال الاحرام وقوله تعالى ان الله يحكم ما يريد الحكم والحكم من اصل
الاتقان اذا كان في القول قيل له حكم وقد حكم واذا كان في الفعل قيل حكم وحكم وله
حكم فاذا قلت حكمت بكذا افتضاه وصيت فيه بانه حكم وان كان يقال حكم فلان
بالباطل يعني لجري الباطل مجرى الحكم فحكم الله تعالى يقتضي الحكم لاحاله فنبه بقوله

ان الله يحكم ما يريد ان ما يريد يجعله حكمة حثا للعباد على الرضا به كما قال عليه الصلاة والسلام
حاكيا عن الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سواي فالله
يحكم ما يريد وحكمه ماض ومن رضي بحكمه استراح في نفسه وهدي لرشده ومن سخط نفذ
حكمه واكتسب بسخطه سخط الله وانتقامه ۞ **قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا**
**لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا**
**القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من**
**ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن**
**قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا**
**على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**
**واتقوا الله ان الله شديد العقاب** الشعائر جمع شعيرة
اي العلامة واصلها اصابة الشعر كقولك فادته وكبدته نحو قال للحواس المشاعر
قال الحسن شعائر الله دينه وفرائضه وقول عطاء مناسك الحج فما اشارة الى
نحو ما قال الحسن وقوله ولا الشهر الحرام اي القتال فيه وقيل هو تحريم النسيء المذكور
في قوله انما النسيء زيادة في الكفر والهدي اصله فيما يهدى من النعم وقد يستعمل في كل
ما يتقرب به الى الله وعلى ذلك قال عليه الصلاة والسلام المبكر للجمعة كالمهدي بدنة
الى ان قال ثم الذي يليه كالمهدي بيضة فجعل البيضة هديا والقلائد ما يطوق
به الهدي شعارا له وقيل نبه بذلك على تحريم كل ما يختص بالهدي ونص على ادناه
الذي لا قدر له تنبيها على ما فوقه كقوله تعالى مثقال حبة من خردل وقيل اراد
به المقلدات فنبه بتحريم المقلد وغير المقلد وقال بعضهم معنى لا تحلوا شعائر الله اي
لا تمنعوا الكفار من التنسك بشعائره فقد كانوا يحجون مع المؤمنين في اقامة المناسك
ثم قال هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين وعلى الاول خطاب للمسلمين [illegible]



احكام الدين عاما او احكام الحج ولا يكون فيه نسخ وقوله يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا اي يبتغون الفضل الدنيوي المطلوب بالمكاسب المباحة وقيل بل الفضل
الاخروي واذا حللتم فاصطادوا رخصة كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في
الارض والجرم القطاف مكروه ولا يقال ذلك للكسب المحمود في عامة كلامهم وقول الشاعر
جريمة ناهض في راس نيق على طريق التشبيه والتنبيه ان العقاب
يرتكب الجرائم لاجل اولاده كما ذكر بعض الحكماء ان الولد وان كان عليه الويل والذنب
اجبن ولده وعلى هذا المعنى قيل فلان يجترم لاهله وقوله تعالى ان صدوكم اي لاجل
ان صدوكم وقوله ان تعتدوا اي على ان تعتدوا ونهي المسلمين عن الاعتداء على
من ظلمهم فاقتصوا بظلمه اياه وقرئ ان صدوكم ويكون في تقدير المستقبل
ان قيل كيف قال هاهنا هذا وقد قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم قيل المامور به في قوله فاعتدوا عليه اباحة المجازاة للظالم بمثل
فعله فسماه باسم الاول وقوله تعالى ان تعتدوا نهي عما هو اكثر من المجازاة او حث
على العفو وقوله شنآن اذا قرئ بفتح النون مصدر نحو نزوان وطيران واذا
قرئ بسكونها فاسم نحو عطشان اي لا يحملكم بغض قوم اي من يبغضونهم
وقيل شنآن وشنئان بمعنى والبر يقال في الاقوال الصادقة والافعال الجميلة والتقوى
في هذا الموضع اسم لغاية ما يبلغه الانسان وهي المذكورة في قوله لعلكم تتقون فكانه قال
تعاونوا على ادنى المنازل من الخير واقصاها وقيل بل الى اعلى المنزلتين فانه ما [illegible]
اليه القلب من عزان نكره حرمة او سبب والتقوى اجتناب المآثم فكانه قيل
تعاونوا على فعل الخير وترك الشر وقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
فالاثم يتناول جنايات العبد بينه وبين الله وما بينه وبين العباد والعدوان
ما بينه وبين غيره وهو اخص وعقب ذلك بقوله واتقوا الله ان الله شديد العقاب

وجراحاتك عنه قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب
وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين
كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان
الله غفور رحيم الميتة هاهنا ما فارقته الروح من غير تذكيته والدم
سايله وقد يقال ذلك لما ليس له نفس سايلة كقوله عليه الصلوة والسلام احل لنا
ميتتان ودمان والدم هاهنا هو الدم المسفوح بدليل قوله قل لا اجد فيما
اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير يعرف
في الآية الدم ولحم الخنزير اشارة الى ما ذكره هاهنا ولخصوص لحم الخنزير اقتضى
تحليل شحمه وسايرما فيه ان ذلك نص على افضل ما فيه ليدل على ما دونه وقال
بعض الفقهاء يجوز الانتفاع بشحمه وربا باستعمال شيء منه في غير الاكل والاهلاك
التكبير من قولهم اهل الصبي كان الصبي يكبر الله فعلا وان لم يكبر قولا
بدليل انه على الآية كتسبيح الشجر والمدر فعلا وان لم يكن تسبيحه قولا لحرم ما سمي عند
ذبحه الاصنام والمنخنقة ما وقع في حلقه ما خنقه حبلا كان او غيره والموقوذة
المقتولة بضرب يقال وقذته ضربا ويدخل فيه كل مقتول بغير ذكوة فاما
المتردية من الصيد ما تخرج لحده فغير داخل في الموقوذة بدليل قوله عليه الصلوة والسلام
اذا رميت بالمعراض وذكرت اسم الله فاصاب وخرق فكل وان اصابه
بعرضه فلا تاكل فانه وقيذ والمتردية الساقطة من سطح او جبل او في بير ونحوه

سقوطها الى الارض او النطيحة المقتولة بالنطاح ناطحة كانت او منطوحة وما
اكل السبع ما افترسه سبع فاكل وقوله الا ما ذكيتم راجع الى المنخنقة وما بعدها والذكاة
ذكرته هو ان توحذه عين متطرف او ذبح تحرك على ما روي عن امير المومنين
والذكاة تقطع الحلقوم والمرئ ويستحب ان تقطع معها الودجان والنصب حجر
كانوا ينصبونه ويعبدونه ويذبحون له والاستقسام بالازلام مر مما كانوا يفعلونه في
الميسر كقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
ان قيل ذكر ما في قوله ما اكل وما ذبح وذكرها هاهنا ان يستقسموا دون ما قيل لان المحرم
في الاول نفس المذبوح والمحرم هاهنا هو الاستقسام فاما المذبوح على الشرائط المشروطة
في الشرع فانه وان قسم بالازلام لا يحرم عينه وقيل الازلام قداح كتب على بعضها
امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا اراد امرا ضرب واذلك فاعتبر والمخرج
منه الفسق والفجور هو الخروج من امر الله والفسق من قولهم فسقت الرطبة
من قشرها والفجور من فجر الماء وقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اي ان لا
يحققوا ان لهم ان يمحوا ما امروا من دين الحق وقوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم قيل لما كان الاسلام شرع شيئا فشيئا بين تعالى بهذه الآية كماله وقيل ان
الاديان الحق كلها جاءت من عند دين واحد وكان قليل الاسلام في الشيء بين او اواسط
وتقريرها اضافة الى شرعها وذلك على حسب ما كان يصفي حكمة الله في كل زمان
فكمله الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم جعله وسطا مصونا عن الافراط والتفريط
كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وكمله وتممه به كما قال عليه الصلوة والسلام بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق وقال ان مثل الانبياء كمثل بيت بني فترك فيه موضع لبنة فكملت اللبنة
وهذا معنى قوله اليوم اكملت لكم دينكم وهذا هو الذي اقتضى ان يكون شرعه
مؤبدا لا منسوخا وبالغير فالاشياء في التغير والتنقل ما لم تكمل فاذا اكملت فتغيرها

فساد لها ولهذا قال فماذا بعد الحق الا الضلال وثانيها قوله ورضيت لكم الاسلام
دينا على الوجهين احدهما ان الاسلام هو الدين المرتضى على الاطلاق لا يتبدل ابدا ولا
يتغير وساير الاديان فانه كان مرتضى دون وقت وعلى وجه دون وجه ولقوم
دون قوم وهذا الدين بعد ان شرع مرتضى في كل وقت ولهذا قال عليه الصلوة
والسلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي ومن اجل ذلك قال تعالى ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وقال هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية فقوله تعالى اليوم اشارة على زمان
النبي صلى الله عليه وسلم او اشارة الى اليوم الذي انزلت هذه السورة فقد كان في الشيء
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اضافا الى اخر ايامه حتى تكامل وصار بحيث لا يعتبر
فيه ولا تبديل ولا نسخ والثاني ان قيل ذلك الدين النبي صلى الله عليه وسلم وقد حكم تعالى
ان دينه هو دين ابرهيم حيث قال ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا
قيل انه تعالى ان هذا الدين الذي هو دين ابرهيم من حيث انهما داعيان الى
الحق ومشتركان في اصول الشريعة لكن ما شرع على لسان ابرهيم كان مبدأ الاسلام
وما شرع على لسان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الاسلام من حيث ان هذا مويد
ناسخ لفروع ما تقدم قال ليظهره على الدين كله ومن حيث انه شاركه دين ابرهيم
في الاصول صار هو اياه وهذا ظاهر لمن عرف قول ابن الاسلام ان قيل ان ذلك يقتضي
ان يكون الاديان كلها ناقصة وان يكون دينه عليه الصلوة والسلام قبل ذلك اليوم
ناقصا قيل الكامل والناقص من الاسماء المتضايفة التي يقال باعتبار بعضها ببعض
فالصبي اذا اعتبر بالرجل فهو غير كامل واذا اعتبر بمن هو على سنه فهو كامل اذا
لم يكن موفا فكذلك دين الانبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتبر بما قبل زمانهم كان
كاملا واذا اعتبر بدين النبي صلى الله عليه وسلم وبزمانه لم يكن كاملا وليس النقصان المستهاب



هو النقص الذي هو موهوم فلو لم يطلع ناقص يستعمل على وجهين ان قيل ما وجه فايدة قوله تعالى
رضيت لكم الاسلام دينا بعد قوله اليوم اكملت لكم دينكم قيل لما بين تعالى انه اكمل
دينهم بين بعده ان ذلك الدين هو الاسلام وقد رضيه كما قال تعالى ان الدين عند الله
الاسلام وقوله واتممت عليكم نعمتي اضاف النعمة الى نفسه تشريفا لها وقوله فلا تخشوهم
واخشوني نبه ان الخشية في الحقيقة يجب ان يكون ممن منه مبدأ النفع والضر دون
الوسايط فقد قيل احمق الناس من خشي من لا يسعده ولا يضره دون الذي بيده الخير وقوله
تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم اي من ناله ضرورة ولم يجنف اي لم يمل
الى اثم بل داعي الحق وقصد دفع اذى الجوع فالله تعالى لا يواخذه به فانه كان
غفور الذنوب عباده رحيما بهم فهو كما قال ان الله يواخذهم بما فسح لهم فيه وعلى نحو هذه
الاية دل قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه قوله عز وجل
**يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما
علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا
مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان
الله سريع الحساب** الطيب التام هو الذي يستلذ عاجلا
واجلا وذلك هو الحلال الذي لا يعقب ماثما وقوله وما علمتم من الجوارح مبتدأ
وقوله فكلوا في موضع الخبر وقال بعضهم هو معطوف على الطيبات وتقديره صيد
ما علمتم والاول اجود والجوارح الصائدات الكاسبات من الكلاب والفهود
ونحوها بالجرح ناب او مخلب ومنها قيل جرح فلان واجترح اذا اكتسب والمكلب
المضري على الصيد سواء اضريت كلبا او غيره وبعض المفسرين خص ذلك بالكلب
وكره صيد جوارح الطير اذا قتلت وقال ان ذلك لا يستعمل فيه التكليب ومن شرط
المعلم انه اذا دعي اجاب وان لا ياكل من الصيد ومتى كان كذلك فانه يوكل

وان قتله وقال الكوفيون صيد جوارح الطير يؤكل منه وان اكل وقول النبي صلى
الله عليه وسلم اذا اصبت فكل وان اكل منه فلا تاكل يقتضي حلال ما قاله وتعين وكلوا
مما امسكن عليكم اشاره بقوله امسكن ان لا ياكل وظاهر الاية ان لا فرق بين كلب المجوسي
والمسلم اذا ارسله المسلم خلافا لما قال الثوري انه يكره الاصطياد بكلب المجوسي واجمعوا
انه اذا قدر على ذبح ما امسكه الكلب فلم يذبح فلا يؤكل وقوله ان الله سريع الحساب
قال ابن عباس يعني يراد لوليه وعجل ذلك امتالهم وقال بل ذلك لخوف
لمن حالف امره قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم
والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا
اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي
اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة
من الخاسرين يعني باليوم ما تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا
وفي قوله اليوم اكملت لكم دينكم وذلك اشاره الى عام الوداع والذين اوتوا
الكتاب عند الشافعي هم من دان باصل من اليهود والنصارى دون من دخل في دينهم
بعد الاسلام لقوله ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة وقال ابن عباس
فيهم الصابئون وروي عن علي انه لا يحل ذباح نصارى العرب وعند ابي حنيفه
ان ذلك شامل لهم ان دخل بعد بعثة الاسلام في دينهم لاحتجاجه بقوله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون
والرد ذلك بقوله لا تجد قوما يوادون من حاد الله ورسوله والنكاح يقتضي المودة
لقوله خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال من
حرم التزوج بهن ان المودة المنهية عنها هي المودة الدينية فاما المودة الزوجية فلا
البتة وذلك غير محظور وقوله ومن يكفر بالايمان اي بالدين الحق والحبط اصله
الحبط وهو داء يأخذ الابل في احوافها من كلا يستوبله وقيل معناه من لم يشكر الله
بالايمان اي بهذه الايمان فقد حبط عمله بيانه ان الاعتقاد لا يكفي بالم يضامه شكر
فمن لم يعامله عباداته وقيل معناه من لم يراع حقيقة الايمان بالاعتقاد لم ينفعه
اعماله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم
وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قال اصحاب ابي حنيفه



وقال الشافعي عني الحرائر منهم ومنع الحر من التزوج بالاماء بهن وتقوى قوله ومن لم
يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكره التزوج بالكتابيات واذا سئل عن ذلك قرا
هذه الاية وقوله ولا تنكحوا المشركات يقول في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اي من الذين كانوا منهم فاسلموا كقوله من اهل الكتاب امة قائمة وغيره حمل قوله
ولا تنكحوا المشركات على اهل الاوثان والمجوس وقال ابن عباس لا تحل نساء الحربيات
منهن لقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون
والرد ذلك بقوله لا تجد قوما يوادون من حاد الله ورسوله والنكاح يقتضي المودة
لقوله خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال من
حرم التزوج بهن ان المودة المنهية عنها هي المودة الدينية فاما المودة الزوجية فلا
البتة وذلك غير محظور وقوله ومن يكفر بالايمان اي بالدين الحق والحبط اصله
الحبط وهو داء يأخذ الابل في احوافها من كلا يستوبله وقيل معناه من لم يشكر الله
بالايمان اي بهذه الايمان فقد حبط عمله بيانه ان الاعتقاد لا يكفي بالم يضامه شكر
فمن لم يعامله عباداته وقيل معناه من لم يراع حقيقة الايمان بالاعتقاد لم ينفعه
اعماله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم
وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قال اصحاب ابي حنيفه

ظاهر الآية يقتضي ان يراد الحدث في الوضوء الذي هو وجوبه يقتضي ذلك في النفس
والزيادة في النص يسمى النسخ ونسخ القرآن لا يجوز الا فيما خبر الواحد والقياس
فلا يصح اذا اثبات النية وقال بعض الشافعية بل الآية تقتضي ايجاب النية
لان معنى قوله اذا قمتم اذا اردتم ولم يكن معناه ذلك لم يكن لذكره فايدة وقال بعضهم
الآية تقتضي الترتيب لان الفاء في قوله فاغسلوا تقتضي ترتيب غسل الوجه على
القيام فاذا ثبت ترتيب الوجه على القيام ثبت في غيره لان احدا لم يفصل وليس
ذلك بشيء فان الفاء وان اقتضى الترتيب فانما اقتضى ذلك في الجملة لا في البعض
ولم يقتض ترتيب الاعضاء المامور بغسلها بعضها على بعض والظاهر ان الترتيب
اقتضاه قول النبي صلى الله عليه وسلم ابدوا بما بدا الله به وفعله الذي فعله بيانا للاية
وقد ريث ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به والمرفقان داخلان في الغسل
بدر اله ما روى من الاخبار وظاهر الآية يقتضي مسح الرجل لولا ما روى في ذلك
من الاخبار سوا قرئت بالنصب او بالجر وذاك انه اذا نصب فهو كقولك مررت
بزيد وعمرو اهروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلوة فلما كان
يوم فتح مكة مسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقيل له في ذلك فقال عمدا
فعلت وظاهر اول الآية ان كل صلوة تقتضي طهارة لكن بما شرط في البدن وهو
التيمم فقال او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء علم ان ذلك شرط في المبدل ايضا
وان الاجماع على انه لا يجب الوضوء لكل صلوة ما لم يحصل حدث وقد استحب خالد
الوضوء لكل صلوة من اجل ظاهر اللفظ وان النبي صلى الله عليه وسلم قال الوضوء
على الوضوء نور على نور وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم في كل صلوة بالوضوء
وقوله وان كنتم جنبا فاطهروا وهو كقوله وان اجنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا
والجنابة ما نزال الماء او التقاء الختانين وقوله اطهروا اي تطهروا فادغم فسكن فالفعل



وادخل عليه الف الوصل وقوله وان كنتم مرضى اي مرضا منع من استعمال الماء او على
سفر اي سفرا بعيدا فيه الماء وطاهر اللفظ يقتضي قليل السفر وكثيره لكن الاخبار خصته
وملامسة النساء كناية عن الجماع عند عامة الصحابة وذكر عن ابن عمر انه اللمس باليد
موضع كان من البدن واليه ذهب الشافعي وقال قوله فلم تجدوا ما يقتضي ان
الطلب وان عدم الوجود يقتضي الطلب وظاهر الآية يقتضي ان الجواز التيمم الا بعد
عدم قليل الماء وكثيره ومستعمله وغير مستعمله لكن استثنى المستعمل بدر اله واجاز
ان ذلك يقتضي الماء المطلق الا عند الاصم فانه اجاز التوضي بالماء ورد وما حرك مجراه
في الرقة وقوله فتيمموا صعيدا طيبا اي ترابا وقيل وجه الارض وان لم يكن عليه
التراب وقوله منه يقتضي ما قاله الشافعي انه يجب ان يعلق باليد منه شيء وقوله
طيبا اي طاهرا والطيب في وصف الارض ما لم تسخ بدر اله قوله والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج منهم من اعتبر ذلك
في الدنيا وقال طاهره يقتضي انه لا يريد ان تتطهروا او تغتسلوا مع الحرف على النفس
من المشقة والضنى وقال ذلك بعض طلان قول من اوجب الغسل من
الجنابة مع المرض ومنهم من قال معنى ذلك على العسر واحمل المشقة في هذه الحالات
على الحال الظاهرة واعتبروا بالمال فان ذلك ذريعة الى تطهير نفوسكم وما قضى بكم
الى النعم المعدة لكم لتعلموا انه لم يرد حرجا ما اوجبه عليكم فانكم اذا اعتبرتم ذلك تذكرتم
الله على ما طلعكم وعلمتم ان ذلك ليس بحرج ومشقة حملكموها وخرد ذلك قوله
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله ولكن يريد ليطهركم يعني الطهارة من
الذنوب وقد قال عليه الصلوة والسلام اذا توضا العبد فغسل وجهه خرجت ذنوبه
من وجهه واذا غسل يده خرجت ذنوبه من يده وذلك قوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد حمل على ذلك قوله وثيابك فطهر

قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور الميثاق العهد المستوثق منه وميثاق الله تعالى الماخوذ من عباده على ضربين الاول ما اخذه عليهم بالفطرة وبما ركزه فيهم من المعارف الثاني ما اخذه عليهم بما افادهم من العلوم المكتسبة الثالث ما اخذه عليهم بعثة الانبياء والزامهم بالشرائع الرابع ما يلزمهم بعضهم عن بعض ما اخذ عليهم الوفاء به وقد جعل الله على كل ذلك وقوله اذ قلتم سمعنا تفسير للميثاق الذي اخذه ووجه ذكر النعمة والميثاق بعد اصحاب الطهارة تذكير للنعمة وتاكيد لوجوب طاعته ان قيل لم قال اذكروا نعمة الله ولم يقل نعم الله قيل لفظ الواحد في هذا الموضع ابلغ ففيه تنبيه ان في كل نعمة واحدة شغل عظيم مع ان لفظ الواحد في نحو بعض الحسن وذكر نعمته من شكرها وقوله عليم بذات الصدور اي بقوى الانسان من العقل والفكر والتخيل والغضب والشهوة وذكر اللذات للمبالغة وعلى ذلك قوله تعالى الا انهم تثنوي صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون قوامين لله اي خلفاؤه شهداء بالعدالة كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين وذلك يقتضي التهاك لحقوق الناس كما قال الحسن وعلى قومهم فيما لهم وعليهم لقرابة الله فيه كما قال غيره وزاد الله انه حق كما قال الزجاج وقيل معنى الشهداء الحضور اي كونوا في جمع ما تجرون مشاهدين لله



كما قال عليه الصلوة والسلام ان لم تكن تراه فانه يراك وعلى قوله لا يجرمنكم بعلى حملا على معنى يراجمنكم وقوله على ان لا تعدلوا اي على ترك العدالة وذلك قريب من قوله لا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الاعتداء قريب من قوله ان لا تعدلوا لكن قوله ان لا تعدلوا ابلغ وقوله هو اي العدل فاصمر المصدر لدلالة الفعل عليه كقولهم من كذب كان شرا له اي الكذب شر اله ان قيل كيف قال اقرب للتقوى وافعل انما يقال في شيئين اشتركا في معنى واحد احدهما ازيد وقد علمنا ان لا شيء من التقوى ومن فعل الخير الا وهو من حيث العدالة فما معنى قوله هو اقرب للتقوى قيل ان افعل وان كان كما ذكرت فقد يستعمل على تقدير بناء الكلام على اعتقاد المخاطب في الشيء لا على ما عليه حقيقة الشيء في نفسه قطعا لكلامه واظهارا لتبكيته فيقال لمن اعتقد شلاء اي زيد فضلا وان لم يكن فيه فضل ولكن لا بأس ان يكون ان عمرا افضل منه فيقال لعلم عمرا فهو افضل من زيد وعلى ذلك قوله تعالى الله خير اما تشركون وقد علم ان لا خير فيما تشركون بوجه والآية نزلت في يهود اغتالوا النبي صلى الله عليه وسلم وقتل في قريش لما اصدوا المسلمين عام الله تعالى المسلمين الجهر بكراهتهم مع ذلك استعمال العدالة ان قتل كيف تصور الظلم وقد اباح للمسلمين ان يقاتلوهم ويسبوهم ويسلبوهم قيل كل ذلك اباح لهم على وجه دون وجه ومتى اخل بما راعاه الحكم المسنون في شيء من ذلك فهو ظلم بل متى فعل الانسان بالكافر مع القدرة ان يفعل قصدا الى الشفي منه لا لحرمة امر الله في ذلك لقدرنا فاوجب الله تعالى حرى العدالة مع كل محق ومبطل واقامة الشهادة بالحق في كل امر ومن الله انه تعالى عالم بما تخفونه وبما تحفى عليه خافية قوله عز وجل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم

في قوله مغفرة وجهان أحدهما أن يكون في موضع مفعول وعد الله كقول الشاعر
وجدنا الصالحين لهم جزاء وجنات عينا سلسبيلا
فجعل قوله لهم جزاء في موضع المفعول به وعطف على موضعه قوله جنات بالنصب والثاني
أن مفعول وعد محذوف وقوله لهم مغفرة تفسير له وعلى كلا القولين لا يختلف
المعنى قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك
أصحاب الجحيم ذلك استئناف كلام متضمن للوعيد بعقب الآية المتضمنة
للوعد قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون قيل عنى قوما من اليهود هموا بقتل
النبي عليه الصلاة والسلام وروي أن يهوديا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسل سيفه
وقال من يمنعك مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله فشام سيفه وأذعن له
وذكر نعمة الله شكره وقد يعلم ذلك وفيه تنبيه لقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون
أنه لا يجوز للمؤمن أن يفزع إلى غير الله في شيء من أموره قوله عز وجل ولقد
أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال
الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم
سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر
بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل النقيب كالنقب لأن
النقب يقال لما ينقب من الجانب الآخر والنقب قد يقال له ولغيره وباعتباره
قيل النقبة لأول ما يبدو من الجرب وقيل لضرب من السراويل نقبة وكلب نقيب
مثقوب الحنجرة لئلا يرفع صوته والمناقب ما ينقب عنه من المفاخر والنقيب كالعريف



يقال نقب وعرف وهو الذي يبحث عن أحوال الجيش قال أبو عبيدة هو الضامن على القوم
قال قتادة هو الشاهد وقيل هو فعيل في معنى مفعول وهو المختار وذلك إشارة
إلى ما قال ولقد اخترناهم على علم على العالمين والمذكور في قوله تعالى وقطعناهم اثنتي
عشرة أسباطا وأصل التعزير النصرة إما بأن يزال ظلم أو يزال ظلم كما قال عليه الصلاة والسلام
انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال بعضهم أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما فقال تمنعه
من الظلم وتعزير السلطان سمي بذلك كما سمي التأديب وإقراض الله عبارة عن كل
إنفاق محمود واجبا أو ندبا إليه وسمي ذلك قرضا تلطفا بعباده وأن ما يطلبه منهم مع
كونه في الحقيقة ملكا له تعالى إنما أخذه ليرد عوضه خيرا منه وعلى ذلك من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا والقرض اسم للمقرض كالعطاء في كونه اسم للمعطى وقيل هو
موضوع موضع الإقراض كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا وقال الله إني معكم
أي ضمن نصرتكم وقوله ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل يتصل به قوله لئن أقمتم الصلاة
وقوله وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم جملتان فصل بهما بين الكلامين مبين
المتصلين على سبيل الاعتراض المؤكد للكلام وقال لئن أقمتم الصلاة أي أديتم
الفرائض ونصرتم الحق وأنفقتم في سبيل المكارم لأكفرن عن ذنوبكم ومكنتكم من الجنة
ومن كفر بعد أخذ الميثاق فقد ضل عن الصراط المستقيم قوله عز وجل
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال
تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
إن الله يحب المحسنين قد تقدم ذكر نقض الميثاق وقلوبهم
قاسية هي كقوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقرئ قسية وقيل هي فعيلة
منه وقيل معناه ليست بخالصة الإيمان من قولهم درهم قسي إذا خالطه غش وخائنة

قيل مصدر كالخيانة بخوعوفى عاينه والموتفكات بالخاطيه واهلكوا بالطاغيه وقابله
بمعنى قبالوله وقيل معناه تطلع على جماعة خاينه وقيل على رجل خاين كقوله راوده وداعبه
وباقعه قال الشاعر

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خاينه معل الاصبع

ان قيل لم قال وسواحظا فنكر قيل للانسان حظان حظ دنيوى وحظ اخروى
فاشار بقوله حظا الى الاخروى وبه بقوله مما ذكروا به على ان الله قد ذكرهم ذلك بما
وضع فيهم من العقل وبما انزل عليهم من الكتب فنسوه اى تركوه واستعاره لفظ النسيان
لترك الايه مبالغه فى ذمهم وتمام القصه عند قوله وسواحظا مما ذكروا ثم استانف على
سبيل الذم لهم وبرا زال تطلع وقوله فاعف عنهم واصفح امر بالعفو عما يضرونه وقيل امر
بالعفو عمن دخل فى العهد وقال قتاده ذلك منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله
ولا باليوم الاخر وقال عكرمه لم يقله فما تخاف من قوم خيانه فاسذ اليهم على سواء الوجه
ان يكون امر بالعفو عن المستبطن وعن دخل فى العهد فلا يكون منسوخه قوله عز وجل
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوه والبغضا الى يوم
القيمه وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون

ذم النصارى بنقض الميثاق كما ذم اليهود وجعل عقوبتهم ايقاع العداوة و
البغضا بينهم واصل الغرا من اغراه اى لصق وكنيه ايقاع الله العداوه بينهم على
ما تقدم من نسبته تعالى لخود لك الفعل الى نفسه قوله عز وجل يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام



ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى
صراط مستقيم اشار بالعفو عن الكتاب الى مثل اخفا نبوة النبى صلى الله
عليه وسلم وحكم رجم الزانى واحدهم الرشى وقوله ويعفوا عن كثير اى تخافى عن
اظهار كثير مما يخفونه ومن فى هذه الايه النعم الثلث التى خص بها العباد وهى النبوه
والعقل والكتاب وذكر فى الايه الثانيه ثلثه احكام يرجع كل واحد الى لغه مما تقدم
فقوله يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام راجع الى قوله قد جاءكم رسولنا الى
هذا البيان الى طريق السلامه من التبعه ممن يحرك مرضاه الله قوله تعالى ويخرجهم
من الظلمات الى النور راجع الى قوله قد جاءكم من الله نور وقوله يهديهم الى صراط
مستقيم راجع الى قوله وكتاب مبين كقوله هدى للمتقين والسلام قيل هو اسم الله
تعالى كخو السلام المومن وقيل هو السلامه كخو الحسار والحساره والصلال والضلال
سبل السلام هى المشار اليها بقوله ادع الى سبيل ربك قوله عز وجل لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شى قدير

ان قيل ان احدا لم يقل الله هو المسيح وان قالوا المسيح هو الله وذلك ان عندهم
المسيح من ناسوت وناسوت ويقولون يصح ان يقال المسيح هو اللاهوت
وهو ناسوت كما يصح ان يقال الانسان هو حيوان وهو ناطق لما كان مركبا منهما
قالوا او لا يصح ان يقال اللاهوت هو المسيح كما يصح ان يقال الحيوان هو الانسان
قيل انهم قالوا هو المسيح على وجه اخر غير ما ذكرت وهو ما روى عن محمد بن كعب القرظى
انه لما رفع عيسى عليه الصلوة والسلم اجتمع طايفه من علمائى اسرائيل فقالوا ما يقولون

في عيسى قال احييهم فقال لهم لا تعلمون احدا يحيي الموتى الا الله فقالوا لا فقال اتعلمون
ان احدا يعلم الغيب الا الله فقالوا لا فقال اتعلمون ان احدا يبرئ الاكمه والابرص
الا الله قالوا لا قال فما الله الا من هذا وصفه اي حقيقة الالهية فيه وهذا كقولك
الكريم زيد اي حقيقة الكرم في زيد وعلى هذا قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ان قيل فما
في قوله قل فمن يملك من الله شيئا مما يقتضي تكذيبهم فيما ادعوه قيل ذكر تعالى بذلك تنبيهين
احدهما تكذيبهم وذلك انهم مقرون ان الله تعالى هو سبب وجود عيسى وامه وانه
تعالى غاية الموجودات وسببها ومالكها والثاني هو سبب لوجود الله تعالى وانه عز وجل
قادر على اهلاك كل ذلك فنبه تعالى بقوله فمن يملك من الله شيئا انه لو ارتفع كل ذلك
لصح مع بقائه ولو توهم هو تعالى مرتفعا لما صح وجودهم وهذا اوضح دلالة ان لا يصح ما ادعوه
في عيسى ثم ولله ملك السموات والارض تنبيها ان الانسان يحتاج الى الاسباب
ليتقوى بها ايام حيوته ويخلفه بعد وفاته والله تعالى غني عن ذلك اذ هو مالك السموات
وما بينهما وموجدها وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا اي اعتقدوا اعتقادا باطلا عن
ظن كاذب لان هذا هو حقيقة الكفر وقيل معناه جحدوا نعمة الله وهذا على اعتبار
معنى الكفر في الاصل قوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم
بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله
ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير
ادعى كل واحد من اليهود والنصارى انهم ابناء الله واحباؤه وقد روي انهم قالوا
ذلك لما حذرهم النبي عليه الصلوة والسلام نقمة الله فقالوا لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه
وزعم اليهود ان الله تعالى اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكري من الولد واما النصارى
فقد قيل انهم تأولوا ذلك لما حكي من قول المسيح انا ذاهب الى ابي وابيكم وروي انهم



قالوا اما نقتضي معناه هذا القول وان لم يتفوهوا بذلك تفوها كقولك فمن عني
خصيصا بسلطان فلان تقول انا ابن السلطان ولسانه قيل وكانوا يقولون
انما غضب الله علينا كما يغضب الانسان على ابنه وحبيبه فكذبهم الله فيما ادعوه
من محبتهم له ومحبته لهم فان المحبة تقتضي ترك المخالفة ومن احب الله لم يخالفه ولهذا قال الشاعر

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ولو انه احبهم لما عذبهم فقد روي انه اذا احب الله عبدا تعهده واحسن اليه وروي
عنه عليه الصلوة والسلام ان الله قال ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ان قيل كيف احتج عليهم
بهذا ولم يقولوا انا لا نعذب بل قالوا انا لا نعذب الا اياما معدودة ما عبدنا فيها العجل
قيل انه اشار الى ما تقدم من تعذيب الله اياهم فكانه قيل فلم عذب من كان قبلكم
الذين كانوا امثالكم ثم قال بل انتم بشر ممن خلق اي نسبتكم اليه نسبة العبودية
كساير الناس وانما تفضل من يفضل بالتقوى كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكرر
مع هذه الاية قوله ولله ملك السموات والارض توكيدا لكونهم ملكا له ونبه بقوله
واليه المصير على معنى قوله ثم الى مرجعكم ونحوه من الايات قوله عز وجل
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة
من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم
بشير ونذير والله على كل شيء قدير قوله ان تقولوا اي كيلا
تقولوا ويبين الله لكم ان تضلوا والفترة السكون والبطؤ يقال فتر الشيء فتورا وقد تقدم
ان تعلم الاشياء من ضرورات العباد التي لا يستغنى عنها فعامة الناس يجهلون جزئيات
مصالحهم وكلياتهم وخاصتهم يعرفون كلياتها دون جزئياتها ولا يمكنهم ان يعرفوا الكليات

على التحقيق الا بعد انقضاء كثير من عمرهم فسهل الله السبيل على جماعتهم من هدايتهم
الى مصالحهم وعلى ذلك قوله وعلى ذلك قوله وما كان ربك ليهلك القرى حتى
يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا فبين انه تعالى ازاح علتهم ممن بعث اليهم
من المبشر والنذير قوله تعالى **واذ قال موسى لقومه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء و
جعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين**
قيل ملوكا اي احرارا امن رزق المطامع الدنيوية وروي عن ابن عباس ان من
كان له زوجة وخادم ودار فهو ملك وقيل من له ما يستغني به عن تكلف الاعمال
فهو ملك وقيل جعلكم ملوكا من حيث ملكوا انفسهم بالتخلص من القبط بعد ان
استعبدوهم وقيل عني بقوله ملوكا اي جعلكم بالقوة التي آتاكم مستصلحين لذلك فان
من له المعرفة بالسياسات الثلث سياسة لنفسه وسياسة لداره وسياسة لصقعه
فهو ملك وان لم يتول سياسة غيره فجعل النبوة فيهم خاصا وجعل الملوكية فيهم عاما
للمعنى الذي ذكرنا وقوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ممن تقدمهم وانما قال
ذلك بالاضافة الى الاديان فان الله خلق الانسان وجعل لهم دينا يتشوا حالا
فحالا فكل يوم هو في كمال فدين موسى كان اكمل من دين من قبله ودين عيسى
اكمل من دين موسى ودين محمد اكمل الاديان اذ كان به كمل كما قال تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم وقيل اراد انكم ما لم يؤت احدا من العالمين ما عدا الانسان فان قيل هذا
لا يصح لامرين احدهما ان سقط تخصيص بني اسرائيل والثاني انه لا يعتد احسن العقلاء
احدا قيل اما كون هذه النعمة على غير بني اسرائيل فليس يقتضي ان لا يختصوا بالخطاب
فقد يقال لكل واحد ممن ينبهه على نعمة الله عليه اليس قد من الله عليك بان اعطاك
نطقا ولسانا تتكلم به وليس يقتضي مشاركة غيره في هذه النعمة ان لا يكون للمخاطب



فائدة واما قولنا وان كان يختص به جنس العقلاء فقد يقال ذلك لغيره اذا اجمع منه من
جنس العقلاء كالقطعة من قوله ومنهم من يمشي على اربع فاطلق من على البهائم لما كان
بعضها لا جملة فيها العقلاء قوله عز وجل **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا
خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن
ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون**
الارض المقدسة بيت المقدس وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال مجاهد
هي ارض الطور وقال قتادة هي الشام ان قيل كيف قال كتب الله لكم ثم قال
فانها محرمة عليهم قيل قال بعضهم وهب الله ذلك لهم ثم حرمها عليهم لما لقوا النعمة
بالرد والكفران وقيل كتب لهم انهم ان دخلوها هي لهم وقيل معنى كتب الله لكم
اي اوجبها عليكم ان قيل فقد كان يجب ان يقول كتب الله عليكم على هذا قيل
انما ذكر لكم لمعنى لطيف وهو انه نبه انه اوجب عليهم وجوبا يستحقون به ثوابا
يحصل لهم وذلك كقولك لمن يرى تاديا بشيء اوجب فيقال هذا لك لا عليك
تنبيها على الغاية التي هي الثواب واذا قيل كتب عليه فليس اللفظ يقتضي
معنى الغاية التي هي الثواب بل يقتضي مجرد الايجاب فذكر انهم امتنعوا من دخولها
لكون قوم جبارين منها واشترطوا ان لا يدخلوها الا ان خلوا لهم وقولهم انا لن ندخلها
فقد قال بعضهم ان ذلك ليس بعصيان منهم بل باظهار العجز عن دخولها وروي
ان هؤلاء الجبارين كانوا قوما لهم بسطة في الجسم حتى ان رجلين من النقباء ذهبا
يتجسسان فرآهما رجل منهم في بستانه فجعلهما في الكم من الفواكه ونثرهما بين يدي
ملكهم فقال انتم تريدون قتالنا ارجعا الى قومكما فاخبراهم بخبرنا وقال بعض الناس
الارض المقدسة عبارة عن الدين الحق الذي رسمه الله لهم فامتنعوا من حربه تفاديا

من قوم كانوا على ذلك الدين كانوا مستخفون وهذا بعيد على ما تقتضيه سرد الكلام
قوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله
عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم
غالبون وعلى الله فليتوكلوا ان كنتم مؤمنين
قال قتادة يعني رجلين من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم وقيل من الذين
كانوا يخافون الله من الجبارين فانعم الله عليهما بالاسلام فامنهما وقيل كان يوشع يرون
وكالوب من يوفا وكانا من النقباء وقالا ان الله تعالى نزل النصرة لقد ليجهد وا انكم
اذا بذلتم من انفسكم الجهاد في الدخول عليهم الباب وجدتم من الله النصرة
وجعل الغلبة لكم ولهم بالتوكل فكانه قال ان كنتم متوكلين على الله يكفكم على
ما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قوله عز وجل قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت
وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ذكر جهلهم وقلة معرفتهم بالله
وانهم ما قدروا الله حق قدره حيث امروه ان يستصحبه الى الحرب استصحاب
الجبابرة ولكنهم امتناعهم من الدخول اما جبنا واما قصدا الى العصيان وايهما كان
فجهلوا موم ان ميل فما فائدة الجمع بين قوله ابدا وقوله ما داموا فيها قيل ان امتناعهم
من دخولها لكون هوراً فيها وان اعتبار ذلك ليس في وقت دون وقت بل في
كل وقت ما يدخلونها مع كونهم فيها ورد ان مقدادا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
من نافر الله ما نقول لك ما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك وقاتلا انا
ها هنا قاعدون ولكن نقتل حيث شئت قوله عز وجل قال رب
اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين اظهر موسى تبرما به وبمن عذره في تثبيطه وان ذلك لقلة انقيادهم

له ان قيل كيف يصح ان يقول لا املك الا نفسي والانسان في الحقيقة لا يملك نفسه
واخاه اذ الملك هو التصرف في الشيء بالبيع والشراء قيل هذا سؤال من يبعد عن
متصرفات كلامهم مهما يمكن عن معرفة حقايق الانسان فان الانسان اذا انقاد له قواه
فيما سوهما من فعل الخير يقال هو مالك لنفسه واذا امتنعت عليه قواه يقال هو غير مالك
لها وليس تصرف الملك في الملك على وجه واحد واعراب قوله واخي يحتمل له يعطاوجه
الاول رفع عطف على موضع ان الثاني على الضمير في املك الثاني نصب على الضمير
في ان الرابع نصب على قوله نفسي وقوله فافرق بيننا اي بين من سكننا في الدنيا وقيل
بين منزليتنا في الاخرة ولم يقل بيننا وبينهم بل قال وبين القوم الفاسقين لكون دعاوه
ابلغ واقرب الى استعمال الادب في مخاطبة الله تعالى ورأينا من يجوز ان يصلح
منهم بعضهم فحب ان لا يعين بل يذكر الوصف الذي هو الفسق فيعلق به
الحكم وذكر الفسق دون الكفر ادمواعم منه قوله عز وجل قال فانها محرمة
عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم
الفاسقين قال الربيع حرم عليهم اربعين سنة وقال الحسن وقتادة بل حرم عليهم
على التابيد وانما كانوا يتيهون اربعين سنة فقوله اربعين يتعلق بقوله يتيهون
على هذا وتحريم ذلك عليهم قيل انه كان تحريم تعبد فانهم امروا ان يدخلوها وقيل
منعوا منها من جهة اضلالهم عنها فانهم كانوا اذا امسوا رديهم الله بقوة الهيبة
الى حيث ما ارتحلوا عنه فقوله محرمة عليهم كقوله وحرمنا عليه المراضع وانهم ماتوا
من التيه حتى مات هرون واسفل امرهم الى ابنائهم وروي ان قدر الارض الذي امروا
فيها ستة فراسخ وقد قيل لم يكن موسى وهرون معهم في التيه وان ذلك كان عذابا
عليهم دونهما ومن لفظ التيه استتيه اذا وان وتوهه فلا تاس على القوم الفاسقين
قيل هو خطاب للنبي خاصة تسلية له ان المخالفة على الانبياء عادة الفسقة في

كل زمان وقيل بل يعم من جمله ما خوطب به موسى وان كان فيه تسليه للنبى صلى الله
عليه وسلم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق اذ قربا
قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين القربان اختص
فى العارف بالذبح المتقرب بها وان كان فى الاصل غالبا فى كل ما يتقرب وهو
فعلان كالغفران والشكران والكفران قيل انا آدم كانا هابيل وقابيل وكان
من قصتهما ان حواء ولدت مع كل واحد منهما بنتا فالتى ولدت مع قابيل سميت اقليميا
والتى مع هابيل لبوخ ثم ان حوا قالت ليتزوج كل واحد منكما اخت المولود مع اخيه و
كانت اقليميا احسن من ابوخ فقال هابيل سمعت و اطعت وقال قابيل لا ارضى بل اريد
اقليميا التى ولدت معى وكان عرضه جمالها فلما تخالفا قال لهما لتقرب كل واحد
منكما قربانا فمن قبل الله قربانه تزوج اقليميا وكان قابيل صاحب غنم وعمد الى كبش
سمين فذبحه وكان هابيل صاحب زرع وعمد الى شئ من الغوم ردئ وقربه فنزلت
نار من السما واحذت الكبش وكان ذلك علامة قبول القربان ورد فى
الخبر ان هذا الكبش حمله الله فى الجنة الى ان فدى به ذبح ابرهيم عليه الصلوة والسلم
وقيل رعى الجنة ثمانين خريفا وقيل اربعين وقيل ان ذلك فى رجلين من بنى اسرائيل قال
لها انا آدم فان اهل البر للفراش كان فى بنى اسرائيل واستدل هذا القائل بقوله الآن
قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار وروى اصحاب الحديث
روى مسروق عن عبد الله عن النبى عليه الصلوة والسلم لم تقتل نفس ظلما الا كان على ابن
آدم كفل من دمها والنبى لم يقبل من القربان اما لكونه على غير الوجه الذى كان يجب
ان يكون عليه ولما لكون صاحبه مقصرا فى سائر عباداته ولما قال لاخوه حسدا لاقتلنك
قال انما يتقبل الله من المتقين حثاله على التقوى اى لو اقتلنى فانه انما يقبل منك

لو انك لست بمتق والله يقبل من المتقين وفى الآية تعظيم امر الحسد وانه حمل الانسان
على اعظم الكبائر وقد قيل اثنان فى الشرور وهما الحرص والكبر والحسد عام اول من الحرص
وابليس من الكبر وقابيل من الحسد قوله عز وجل لئن بسطت الى يدك
لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب
العالمين قال ابن عباس يعنى ان بدأنى بالقتل لم ابدا بقتلك ولم يعن
انى لم امنعك عن منع الانسان القاتل عن نفسه بقدر وسعه واجب وقيل ان
من تعرض لقتاله فله ان يدفع عن نفسه وله ان يستسلم وعن ايوب قال اول
من احدث هذه الآية فى هذه الامة عثمان وقيل فذاك حينئذ احب ان لا ادفع احدا عن نفسه
كما روى ان عيسى عليه الصلوة والسلم قال لاصحابه من لطم منكم على خده اليمنى فليمكن من ناحية
شماله وذلك عن الحسن ومجاهد قوله عز وجل انى اريد ان تبوا
باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين اى باثم قتلى واثمك الذى كان منك فلم تقتل من اجله
فان قيل كيف جاز ان يريد لغيره ان يفعل الشر وان يكون من اصحاب النار
قيل اراد ذلك بشرط القتل اى اريد ان قتلتنى ان تبوا باثمى واثمك وان
تكون من اصحاب النار وهذه الارادة ليست بقبيحة والبوا الرجوع والمباءة المنزل
الذى يرجع فيه الانسان وهم فى هذا الامر بوا اى سوا يرجع اليه كل واحد مثل رجوع
الآخر ومنه قولهم بوا ملان فى القيد قوله عز وجل فطوعت له
نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين
قوله طوعت له نفسه كقولهم استحمت مروته واقادت نفسه وسولت له يقال طاعت نفسه
وطوعت وتطوعت والنفس توصف تارة بانها طوعت فما لحقت من الشر لهذه
الآية وتارة بانها امرت بالشر كقوله ان النفس لامارة بالسوء وبه يقول فقتله اى فتابعته نفسه

الداعي الى ذلك ونبههما ان متابعه الشيطان والهوى سبب كل شر ولهذا قال
ولا تتبع الهوى فيضلك وقال افرايت من اتخذ الهه هواه وقوله فاصبح من الخاسرين
لاشاره الى نحو قوله خسروا انفسهم واهليهم قال ابن عباس اما في الدنيا فاتخذا والديه
وبقي بلا اخ واما في الاخره فاخطا ربه تعالى وامره الى النار وقال وذلك قوله ربنا ارنا
اللذين اضلانا من الجن والانس قال يريد من الانس قابيل ومن الجن ابليس فقد درك
انه لم يكن بشريك فاسل كيف قتل اخاه فاخذ يحمل راسه فجا ابليس وقال خذ هذه الصخره
فاشدخه بها فقوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال
يا ويلتى لعجزتى ان اكون مثل هذا الغراب
فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين
قال ابن عباس لما قتل اخاه حمله لم يدر كيف يفعل به فبعث الله تعالى غرابين
فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر فدفنه فتنبه قابيل لدفن اخيه ووجد ذلك انه مامن
صنعه ابتعاطاها الانسان بالتعلم الا وقد سخر الله لمثل ذلك الصنعه حيوانا يتعاطاه
وجعل الله تعالى ذلك سببا لتعلم الناس ذلك منه فمن الحيوان ماسبح ومنها ماسبخ
ومن سبان الغراب دفن الموتى فلما راى قابيل ذلك ندم على ما احب ان يفعل فاستحجر
نفسه لقصوره عن معرفه ما اهتدى اليه الغراب فاخذ يحسر ويهول ويلم ندما على ما فعله
والحمد لله كما قال الشاعر

وما يعين من الحدثان ليث ولبست هذه الندامه بندامه التوبه

قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا

# بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون

الاجل قطع الماء واجل وقت مقطوع يقطع من وقته والاجل يقتضي العاجل وهو
الذي جعل له اجل ما والاجل قطيع من الغنم وذلك لقولهم الصرمه والقطيعه و
الفرقه وكونهما مما اشتق من الاسما المضيفه لمعنى القطع والاجل والان على والان خفي عليهم
جنايه اجله حضر وقوله من اجل ذلك اي من جنايه ذلك وقتيل من سبب ذلك كقولهم
من اجله وبين بقوله من اجل ذلك انه كان من اول من سن القتل وعنه شرع هذا الحكم
وذلك كقولك من اجل ما عز شرع النبي صلى الله عليه وسلم حكم الرجم اي عنده شرع وانما
خص اسرائيل دون غيرهم لان كتابه اول الكتاب من فيه الاحكام وقيل لانه كثر منهم
القتل وبين ان الساعي في قتل نفس لم يلزمها قتل ما يقتضي الاقتصاص او فساد وذلك
الى نحو ما قال عليه الصلوه والسلم كفر بعد اسلام وزنا بعد احصان وقوله كما انا اصل الناس جميعا
فان الناس لما كانوا كجسم واحد ونسبة احادهم اليه كنسبه اعضا الجسم الواحد اليه
صار الساعي في اهلاك بعض الجسم كالساعي في اهلاكهم فكان الساعي في اهلاك
بعض الجسم كالساعي في اهلاك كله صار قتل الواحد كقتل الناس ولهذا جا في التفسير
ان المومن حضما للقاتل ولهذا قال ومن قتل مومنا متعمدا جزاوه جهنم خالدا فيها وقال
غضب الله عليه وقال مجاهد فلو قتل الناس جميعا لم يزد في جزايه على جزا وقوله
ومن احياها اي من نجاها من الهلاك اما باطلاعه عليها واما بالعفو عنها اذ الزمها
قصاص يجب فيه العفو قال مجاهد من احيا ما اي من ترك قتلها قال الحسن
من قتل نفسا اي من اضلها عن طريق الهلاك ومن احياها اي من دعا مشركا الى
الايمان فهداه ولم يرشد فكانما احيا الناس علم الصلوه والسلم وولده الى الفتره

قوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان
كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون بنبيه ان الله

ان الله لم يخليهم من بشير ونذير على عبادته في الامم والاسراف الاعلاء في الخروج عن
الحق وعن الاستقامة التي هي العدالة في كل شي هذا اصله وان تعورف في الخروج
عن العدالة في انفاق المال وقد وصف قوم لوط بالاسراف لخروجهم عما ابيح
لهم الى ما حظر عليهم فبين تعالى ان كثيرا منهم بعد مجي رسلهم بالبينات يخلون
بالعدالة وما شرع لهم وابدوا في التعديات **انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا
او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا
من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في
الاخرة عذاب عظيم** محاربة الله ورسوله هو السعي في الارض
بالفساد وسمي ذلك محاربة الله ومحاربة رسوله تعظيما والسعي في الارض قيل هو
في الصحراء وقيل هو في البلد ايضا وهو الاصح قال الحسن الاية نزلت في المشركين
المحاربين والحكم مختص بهم وقيل نزلت في العرنيين وذلك ان قوما من عرينة
اتوا المدينة واسلموا واقاموا ما شا الله ثم شكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم اجتوا
المدينة واستاذنوه في الخروج الى لقاح الصدقة ليشربوا من البانها الى ان يصحوا واذن لهم فنالوا
من البان اللقاح وثابت قوتهم ثم ارتدوا وقتلوا الرعاة وساقوا اللقاح فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم فاحضروا وقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم ولم يحسم
دماوهم حتى ماتوا وقيل الاية في اهل العهد واكثر الفقها حملوا على المسلمين ايضا وجعل
مالك الامام مخيرا فيمن سعى بالفساد من الاحكام الثلثة وقد روي عن ذلك عن ابن عباس
وجعل غيره الحكم مرتبا وقال من قتل واخذ المال قتل وصلب ومن قتل وقطع قتل ولم
يصلب ومن اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف يده اليمنى ورجله اليسرى
ومن لم يقتل ولم ياخذ المال واخاف سعي نفي من الارض وذلك بان يطلب



فان تاب قبل القدرة عليه عفي عنه والا اخذ فحبس وقيل نفيه طرده من بلد الى بلد
عن ابن الزبير وعن ابن عبد العزيز وقيل الصلب قبل القتل وقيل بعد القتل ودعا
لغيره وشنع على تعظيم ما ارتكبه انه يجمع عليه حد الدنيا وعقوبة الاخرة **قوله عز وجل
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا
ان الله غفور رحيم** الاستثنا راجع الى كل ما تقدم ذكره وهو في العذاب
وفي اقامة الحدود وقال بعض الفقها كل حق لله يختص بقاطع الطريق والتوبة
قبل القدرة يزيل عليه ان كان من حقوق الله وان كان من حقوق الادميين
لا يزول اذا طالب به صاحبه **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله
لعلكم تفلحون** الوسيلة القربة وهي دون الوصيلة وقوله يا ايها الذين
امنوا خطاب لكل من اظهر الايمان سوا كان في مبداه او في وسطه او في
منتهاه وتقوى الله هو الامتناع من المحارم وترك الواجبات وابتغا الوسيلة قال
عليه الصلوة والسلم حكاية عن الله عز وجل ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل الخبر
والجاهد في سبيله هو بذل الجهد فيما تقدم من اقامة الفرايض وسنن الكلم اذا فعلتم
ذلك كنتم راجين للفلاح المذكور في قوله قد افلح المومنون والفلاح التام هو البقا
بلا فنا والغنى بلا فقر والعزة بلا عجز والعز بلا ذل ونبه باختصاص لفظ الابتغا
على بذل الجهد **قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم
القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم** اي لو حصل لكل واحد ما في
الارض ومثله قاصدا احرازه ان يجعل ذلك وقاية لنفسه لم ينفعه وذلك حث
على المبادرة بالامتناع عن الاثام وترك الاعتمام عن المال في المعاد وروي ابن عمر النبي

صلى الله عليه وسلم انه تعالى للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك يوم القيامة ملء الارض
ذهبا لكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له كذبت قد سئلت ما هو اهون من ذلك
فابيت وقوله ولهم عذاب الواو عطف او تكون بمعنى الحال قوله عز وجل
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب
مقيم اي يسالون ان يخرجوا منها وذلك هو المذكور في قوله ربنا اخرجنا نعمل صالحا والمقيم
الذي لا يزول ولا يحول قال ابن عباس كل شيء من امر الدنيا يبلى ويفنى وكل شيء من امر
الاخرة يبقى ويتجدد قوله تعالى يريدون ان يخرجوا اي يتمنون ذلك لانهم يعلمون ان ذلك
لا ينفعهم قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم السارق
المتناول مال غيره مستترا وقد يقال للخائن سارق على التشبيه وقول النبي صلى الله
عليه وسلم اسوء الناس سرقة الذي يسرق من صلواته فعلى التشبيه واختلف في الاية
فمنهم من قال هو مجمل كقوله اقيموا الصلوة واحل من حيث يحتاج الى شرائط
الاستثنى الظاهر عنها ومنهم من قال هو غير مجمل الخصم من حيث انه يتناول كل
سارق وما لم يرد منه فهو مخصوص وقال بعضهم الالف واللام في السارق والسارقة
للعهد لايه واردة في سارق المجن وامراة سرقت لكن الحكم عام من حيث انه قد ثبت
ان حكم الشريعة في الواحد حكمها في الجماعة متى شرطهم شرطه وقال بعضهم هي للجنس وبعضهم
جعلها بمعنى الذي وذلك يتضمن معنى الشرط ويكون مبتدا العموم وقراءة عامة القراء والسارق
بالرفع وكان عيسى ينصب نحو قولهم زيدا اضربه والوجه الرفع لان النصب مختار حيث
لا معنى للشرط نحو زيدا فاضربه فاما كل لفظ متضمن لمعنى الشرط فالرفع نحو الزانية والزاني
ونحو واللذان ياتيانها منكم ان قيل لم قدم فقدم المذكر في قوله والسارق والسارقة
واخر في قوله الزانية والزاني قيل لان السرقة اكثر ما توجد بالرجال والزنا اكثر



ما توجد سببه من النساء تونيما امتناع افتقار المراة لعل وجود الزنا وبين ان
الله تعالى عزيز في استقامة حكيم في حكمه واختلف في قدر ما يقطع به فروي عن عمر وعلي
انه يقطع في خمسة وعن ابي سعيد الخدري في اربعة وعن ابي هريرة وعن ابن عباس
في عشرة وعن عائشة في ربع دينار واليه ذهب الشافعي ومالك في الحسن في درهم وقال
ابو حنيفة لا يقطع من سرق طعاما يسرع اليه الفساد او ثيابا او صيدا او قصبا او زرنيخا
ونورة وقد روي لا قطع في ثمر ولا كثر وقال الشافعي ما لم يحرز فاما اذا احرز ولم قيمته
ما يقطع فيه قطع واما قدر القطع من اليد فعند الخوارج من المنكب وعند غيرهم من الزند
وقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع سارقا من الكوع ولان المقصد
بقطعه ان لا يبطش ولا يتناول بها وبذلك يحصل الغرض ولا يقطع الا يمينها
بدلالة قراءة ابن مسعود فاقطعوا ايمانهما فذلك يوجد به حكما وان لم يوجد به تلاوة
وانما ذكر المبدل بلفظ الجمع وتارة بلفظ الاثنين وتارة بلفظ الواحد كقول الشاعر
ظهراهما مثل ظهور الترسين
فذكر في موضع مثنى وفي موضع مجموعا وقال كلوا في بعض بطنكم تعفوا فانه بلفظ
المفرد ومتى كان شيئا لاثنين يصح اشتراكهما في احدهما لا يصح ان يذكر الا بلفظ
التثنية لئلا يشتبه نحو رايت عبديكما ولا يصح اذا اردت الاثنين ان تقول
عبدكما او عبيدكما قوله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه واصلح
فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم متى ان تاب في الدنيا
قبل القدرة عليه واصلح سقط عنه الحد ورجي له الغفران وان تاب بعد
القدرة عليه رجي له الغفران ولم يسقط عنه الحد بدلالة ما روى ابن عمر ان امراة
سرقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقطعها فقال قومها نحن نفديها
بخمس مائة دينار فقال اقطعوها فقطعوا يمناها فقالت المراة هل لي من توبة يا رسول الله

فقال نعم أنت اليوم في خطيئتك كيوم ولدتك أمك فأنزل الله فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ولم يقل بعد سرقته ليكون عاما في هذا الحكم وفي غيره واشترط إصلاح العمل ينبههما أن التوبة بالألفاظ غير مغنية ما لم يضامها ما يحققها من العمل وجعل علة قبول توبته كونه تعالى غفورا رحيما قوله عز وجل **ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله غفور رحيم** لما أمر بالتقوى وابتغاء الوسيلة إليه بالجهاد في سبيله ووعدهم الفلاح ومن قبل ما يلزم المحاربين وبعدما يلزم السراق وذكر قبول توبتهما ذكر قدرته على تعذيب من يشاء وغفران من يشاء في الدنيا بما شرعه وفي الآخرة بما قدره وقال ابن عباس يعذب من يشاء على الذنب الصغير ويغفر لمن يشاء على الذنب الكبير وفي هذا النحو قال الشاعر

يعفو الملوك عن الكبير من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في الصغير وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

وإنما قال يعذب من يشاء فقدم ذكر العقوبة على الغفران لأن القصد بما تقدم على الردع عن ارتكاب ما يقتضي عقوبة الدارين فكان تقديم ما يقتضي ذلك أولى قوله عز وجل **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر**



**قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم** قيل نزلت في أبي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيدين سيد الأوس وسيد الخزرج سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشار قريظة أبا لبابة أننزل على حكم محمد فأشار إليه بأنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله والآية عني بها أبو لبابة والمنافقون الذين وصفهم في قوله ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب إلى قوله لكاذبون وقوله يسارعون في الكفر يكتسبونه عاجلا شيئا بعد شيء على خلاف ما قال فيه يسارعون في الخيرات وقوله وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وقوله سماعون للكذب أي قابلون له وقيل سماعون كلامك لأجل أن يكذبوا عليك ويسمعون ذلك لأجل قوم آخرين وقوله يحرفون الكلم أي كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ويكذبون عليه وقيل يحرفون حكم التوراة وذلك كقوله في البقرة أفتطمعون أن يؤمنوا لكم إلى قوله وهم يعلمون وقوله في آل عمران وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا إلى قوله لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقوله هذا أي الحكم الذي قلناه وقيل الدية وقوله من بعد مواضعه أي من بعد أن وضعه الله موضعه وبين أحكامه وقوله وإن لم تؤتوه فاحذروا أي إن أفتاكم محمد بغير ذلك فاحذروه وقوله ومن يرد الله فتنته قال الحسن عذابه كقوله يوم هم على النار يفتنون وقال السدي ضلالته وقال الزجاج فضيحته وقوله لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي من الكفر عقوبة لهم وقيل لم يحكم بطهارة قلوبهم والقرآن وارد على نحو ما تقدم من أمثال هذه الآية وذلك خلاف من وصفهم بقوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقوله إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا وقد قال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله لهم في الدنيا

حزك اى ما يستحى منه من السبى والقتل والجلا قوله عز وجل سماعون
**للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين**
السحت والسحق يقاربان معنى تقاربت لفظتهما لكن السحت اغلب استعماله
شيا فشيا يقال سحته واسحته وسمى الحرام والمستقبح من الكسب والوضع للعاقبة منه سحتا
كما سمى الحرام نارا فى قوله انما يأكلون فى بطونهم نارا وضر السحت هاهنا بالرشوة بتفسير العلم
بالخاص وقد قال عليه الصلاة والسلام هدايا الامراء من السحت والمقصود من الآية مثل ما قاله
يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وقيل عنى
بالسحت الرشا المذكور فى قوله وظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم ويصدهم عن سبل الله كثيرا واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واختلف فى قوله
فاحكم بينهم او اعرض عنهم فقال ابن عباس نسخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله
فجعل حكم التخيير منسوخا بالحكم بينهم وقال الشعبى بل حكمه ثابت وقوله
وان احكم بينهم بما انزل الله حث على استعمال العدالة عند تولى الحكم لا الحاب
وعلى هذا قال الحسن خلوا بين اهل الكتاب وحاكمهم ولا تزافعوا اليكم فاحكموا
بينهم بما فى كتابكم وقال بعضهم التخيير قبل ان عقد لهم الذمة بالجزية والحاب
وان احكم بينهم لعقد عقد الذمة لهم بالجزية وقد روى ذلك عن ابن عباس قال وذلك
ان الآية نزلت فى بنى قريظة والنضير ولم يكن لهم ذمة قوله عز وجل
**وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم
يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين**
انكر تعالى تحكيمهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم يرون ان عندهم الحكم فى التوراة

والمعنى ما تتن الحالتين مستنكر تحكيمهم اياك وقوله وما اولئك بالمؤمنين اى لا يصدقونك
فيما يحكم به والواو واو الحال قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون
والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء
فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الهدى والنور
لتشاركا فى معنى واحد ذكر الهدى فقال اعتبارا بالادلة المنصوصة والنور مالا اعتبارا
بما يعين على معرفة الادلة تشبيها بنور البصر ونور الشمس وقيل الهدى اشارة الى ما فيه
من الحكم الشرعى والنور اشارة الى ما فيه من الحكم العقلى وقد يسمى كل واحد من المعقول
والمشروع تارة نورا وتارة هدى ان قيل ما معنى قوله النبيون الذين اسلموا
والنبى لا يكون غير مسلم قيل الاسلام هاهنا الاخلاص لله فى التوكل عليه ونحو ص
الامر اليه نحو قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقوله من نسلم وجهه
الى الله وهو محسن وقوله حكاية عن ابرهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وقوله الذين اسلموا صفة لهم على سبل المدح لا على سبل التخصيص
او بدل من قوله النبيون او اللام فى قوله للذين هادوا متعلق بقوله انا انزلنا التوراة
للذين هادوا وقيل متعلق بقوله فيها هدى ومعنى هادوا اى تابوا من قوله انا هدنا
اليك وقيل تقديره يحكم به النبيون الذين هادوا والمعنى يحكم لهم وعليهم لكن اسعنى بذكرهم
عن ذكر عليهم وعلى هذا قال بعضهم حكم منهم ان قولك فيهم بعضهم معنى وعليهم وقوله
بما استحفظوا متعلق بالاحبار اى العلماء بما استحفظوا وقيل متعلق بقوله يحكم بها الحل
بما استحفوا اى لما استودعوا وقوله وكانوا عليه شهداء اى هم من جملة من قال فيهم ومن
النبيين والشهداء وقيل له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون يتعلق به الحوارج

وزعموا ان التارك لحكم الله على كل حال كافر وقال غيرهم ومن لم يحكم بما انزله جاحدا فهو كافر
وقيل معناه من لم يحكم بان ذلك بما انزله فهو كافر وقيل الكافر هاهنا جاحد النعمة من الكفران
لا من الكفر وقيل الكفر يقال على ضربين كفر كبير وهو المذكور في قوله ومن يكفر بالله وملائكته
الاية وكفر صغير وهو المذكور في قوله عليه الصلوة والسلم من ترك الصلوة فقد كفر وعلى هذا
قال ابن جريج كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق قال الحسن ان الله تعالى اوجب
على الحكام ثلثا ان لا يتبعوا الهوى وان يخشوه وان لا يخشوا الناس وان لا يشتروا
باياته ثمنا قليلا قال وعلى هذا قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق وقد استدل بهذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم متعبد باحكام من قبله

قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق
به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون

اخبر تعالى بما اوجب عليهم من القصاص واتفق الفقهاء ان ذلك واجب علينا
لوجوبه عليهم لكن منهم من قال لم يكن في شريعتهم الدية وقد جعلها في شريعتنا تخفيفا
على هذه الامة وقوله والعين بالعين يقتضي القود فيه فقا كان او ذهاب ضوء ومن
قال لا يقتل من ذلك الا الفقا فليس بشيء فالعين ليست في العين في الحقيقة
اذا لم تكن مبصرة بل الاعضاء كلها اذا بطلت منفعتها خرجت عن ان تكون في الحقيقة
اياها الا باعتبار الصورة المخطوطة وذلك غير متعديه ما لم يكن فيه النفع واختلف
الصحابة في عين الاعور وهل يلزم فيها القود ودية كاملة فمنهم من اوجب ذلك فيها
لكونها سادة مسد العينين والانف يلزم فيها القصاص بالقطع وقال ابو حنيفة اذا قطع
الانف من اصله فلا قصاص لانه لا يمكن استيفاؤه فيه كما لو قطع يده من نصف الساعد
وقوله والجروح قصاص ايجاب للقصاص في ساير الجراحات وقرئ والعين بالعين بالرفع كقولك



ان زيدا منطلق وعمرو ذاهب وقوله الجروح اذا قرئ بالنصب فعلى العطف واذا قرئ
بالرفع فعلى الاستيناف وقوله فمن تصدق به خطاب لولي القتيل وللمجروح حث لهم على
العفو وذكر لفظ التصدق تنبيها على ان عفوه جار مجرى صدقة يستحق بها ثواب وللصبر كفارة
له وذكر هاهنا ان تارك الحكم بما انزله ظالم والظلم اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس
كل ظالم كافرا ولذلك قال ان الشرك لظلم عظيم قوله عز وجل وقفينا
على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه
الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى
وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون قفيناه بشيء خلفه تقفوه اي تتبع قفاه ومنه قافية الشعر
والقفي الضيف الذي يبعث خلفه تكرمة له والاثر ما ظهر للحاسة والاثار الاخبار
واستثاره اختاره لنفسه والهدى يقال لما يستدل به والموعظة لما يوعظ به
الفسق اعظم من الكفر والظلم واصله الخروج عن حظر الله من قولهم فسقت الرطبة
اذا خرجت عن طلعها ان قيل لم كرر قوله مصدقا لما بين يديه من التورية قيل يجوز انه
اراد بالاول مصدقا بما في التورية وبالثاني نفس التورية ويبين ان عيسى عليه السلم
والسلم اي ما يصدق به موسى وكتابه اي بالصدق كتاب موسى قوله عز وجل
وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك
من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون المهيمن قيل الحفيظ
وقيل الرقيب وقيل الامين وقيل الشاهد قال ابو عبيدة الحاذق في علمه وقال ابن عيسى

اصله مامن فعلت بهمزه ها كما قالوا هرقت في قولهم ارقت وقد قيل مهيمن مهيمنه و
حقيقة المعنى انه جعل هذا الكتاب حافظا ومستوليا للساير ما تقدم من كتبه يحكم عليها ولا
يحكم عليه وينسخها وهي لا ينسخه وصح على هذا ما ننسخ من ايه او ننسها نات بخير منها او
مثلها يعني ما نسخ من الكتب المتقدمة نات بخير منها يعني من الكتاب العربي والشرعة و
الشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل الى الماء وهي الدين الذي يوصل الى الحيوة الابديه
كما سمي كتابه الماء على ما تقدم ومن اصله اشرعت القنا وشرعت في الماء وهم شرع والمنهاج
الطريق المستقيم يقال طريق نهج ومنهج ان قيل ما الفرق بين الشرعة والمنهاج قيل
قال بعضهم الشرعة اشاره الى الدين وهو الشرع والمنهاج اشاره الى الدليل الذي يوصل
الى معرفته والتخصص به وقد روي عن ابن عباس انه قال شرعة ومنهاجا دينا وسبيلا
ان قيل كيف قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فاقتضى ذلك ان لكل واحد من الانبيا
شريعة غير شريعة الاخر وقال في موضع شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فذكر انه
شرع لجميعهم شريعة واحدة قيل الذي اشترك فيه شريعة جامعة هو اصول الايمان
والاسلام اعني التوحيد والصلوة والزكوة والصوم والفرايض فان اصول هذه
الاشيا لا ينفك منها شرع بوجه واما الذي ذكر انه تفرد به كل واحد من الانبيا ففروع
العبادات من كيفياتها وكمياتها فان ذلك مشروع على حسب مصالح كل امة وعلى مقتضى
الحكمة من الازمنة المختلفة ووجه اخر ان الشرايع اذا اعتبرت بالشارع ومقتضى حكمته
يصح ان كلها واحدة وكذا اذا اعتبرت بالغرض والقصد الذي هو مصلحة المشروع
له واذا اعتبرت بذوات الافعال فهي شرايع كثيرة وعلى هذين النظرين قال
الله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال في موضع اخر كل يوم هو في شان وقوله
ولا تتبع اهواءهم كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع



الهوى فيضلك عن سبيل الله قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
وان كثيرا من الناس لفاسقون قوله وان احكم فهو معطوف
على معنى الكتاب وقوله مصدقا الى قوله فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي انزلنا بان
احكم وقيل من الواجب ان احكم والاول الوجه لانه لا يمنع ان يفعل اذا كان بعده
الامر موضع المصدر ويقارب فتنه عن كذا وفتنه ولكن فتنه يقال في الصرف عن الخير
والشر وفتنه يقال في الصرف عن الخير ان قيل لم قال انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم بخص البعض قيل في ذلك اوجه الاول انه عني بذلك الكفر والنفاق الذي
لا غفران فيه لكن ذكر البعض منهما ليكون اردع للعباد والثاني انه ذكر البعض للمبالغة
تنبيها على انه اذا اخذهم ببعض الذنوب فما ظنك اولى ان قيل لم كرر وان احكم بينهم
بما انزل قيل قال بعضهم ان ذلك في حكمين حكم في المحصن وحكم في القتل فان فيهم فرق
كل واحد منهما نهى عن الهوى تنبيها ان الهوى لا يسفر عن نجاح ورأي صالح وقال
بعضهم وقال بعضهم تقدير الكلام انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم بما انزل
وبان لا تتبع الهوى فاحكم بما انزل الله ولا تتبع الهوى فاحذر بما انزل ذلك او لان امره
لغرا وحرما وقدم الامر على الاخبار عن الامر به تاكيدا وتقدير الكلام فقد اوجبت عليك
الحكم بذلك وترك اتباع الهوى فاحكم بذلك قوله عز وجل افحكم
الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
انكر عليهم تحريهم الجاهلية وتركهم لحكم الله ثم قال ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
تنبيها ان ذلك يعلمه الموقن وقوله لقوم قيل عند قوم وقيل اراد القوم يوقنون وعليهم
فدل بالهم على ما عليهم ان قيل كيف يكون حكم احسن من حكم اذا كانا حقين قد يحكم

احد الحاكمين بعلم وحكم الاخر بغلبة ظن وكلاهما حسنان والاول احسن وقد يجتهدان
في حكمين واحدهما اقرب الى الحكم نحو اجتهاد داود وسليمن **قوله تعالى يا ايها الذين**
**امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض**
**ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم**
**الظالمين** الاتخاذ الاعتناد ههنا واصله افتعال من الاخذ والاخذ حوز
الشي وذلك تارة بالتناول وتارة بالاستيلا عليه وتارة بالاهلاك نحو فاخذهم الله نكال
الاخرة والاولى نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابي لما تبرا عبادة من موالاة
اليهود وتمسك عبد الله بها وقال اخاف الدوائر وقيل نزلت في ابي لبابة بن المنذر
لما نصح لليهود واشار بانه الذبح وقال ابن عباس والحسن انها نزلت في نصارى
بني تغلب قال قوم اهل الكتاب لا تحل ذبائحهم لانه قال فانه منهم
**قوله عز وجل فترى الذين في قلوبهم مرض**
**يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة**
**فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا**
**على ما اسروا في انفسهم نادمين** اي ترى المنافقين يسارعون
في الدخول في جملتهم وقيل يسارعون في مرضاتهم والدائرة دوران الامر من قولهم الدهر
بالانسان دوار والدورة والدولة متقاربان والفتح قيل فتح مكة وقيل القضا
باتي من الله والامر ههنا واحد الامور باتي بامر لا يعرفون سببه ووجه الالزام
ذلك ان الامور ضربان واجب وممكن وما وعد الله تعالى من نصرة المومنين من الواجب
كونه اي صادق الوعد وقال هب ان ذلك ليس من الواجب اما جعلتموه من
الممكنات التي عسى ان يكون فاحذروا المنافقين يميلون الى الكفار ويقولون لا نامن
ان يكون لهم دولة على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فذلك لعله لما انهم بما ضمن الله



من نصرة المومنين وقال تعالى فعسى ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيندمون
على ما فعلوه ونبه انه يا تيهم بذلك فان عسى منه واجب **قوله تعالى ويقول**
**الذين امنوا اهولا الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم**
**حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين** اي اقسموا انهم تولوكم ايها الكفار
ولم يفعلوا وقوله جهد ايمانهم اي ابلغ الايمان واقصاها من قولهم جهد في الامر ونصبه
على المصدر وقوله حبطت اعمالهم يصح ان يكون معطوفا على ما حكى عن الذين امنوا
ويصح ان يكون استيناف كلام من الله على طريق الاخبار وعلى طريق الدعا عليهم واذا
قرئ ويقول الذين امنوا فتقديره عسى الله ان ياتي بالفتح وان يقول الذين امنوا وقرا
اهل المدينة يقول الذين امنوا بغير الواو وانما قال فاصبحوا خاسرين فخص لفظ الاصباح
لامرين احدهما انه لما كان اكثر محارباتهم وغاراتهم وقت الصباح كثر عاداتهم عن
التغيرات وعلى هذا على قول الشاعر

يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

والثاني انه لما كان بالاصباح انجلا الظلمة وانتشار الاشعة وظهور ما كان بالليل مستترا
احض فاصبحوا اشبهها على زوال غمة الجهالة وظهور الخفا كقولهم في المثل لما يطرح
الخفا وبدا الصبح لذي العينين ونحو ذلك **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا**
**من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة**
**على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا**
**يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله واسع**
**عليم** قرا اهل المدينة من يرتدد وذلك لغة قوله اذلة على المومنين اي لين الجانب
على المومنين كما قال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة والاية قيل نزلت
في زمن ابي بكر رضي الله عنه وقيل فيمن كانوا مع النبي عليه الصلوة والسلام والاظهر انه منهم وفي غيرهم

وانه وعد تعالى انه يحفظ دينهم بقوم رضى الله عنهم ورضوا عنه وحرك مرضاتهم وخرجوا
مرضاته وذلك كقوله يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى
الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل
الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شي
قدير وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وقد تقدم حقيقة محبة الله
للعباد ومحبتهم له وجعل من حقيقة محبتهم الله ان وصفهم انهم اذلة على المومنين اي
متواضعين فالتواضع الانقياد لما يورث رقته والتعزز على من يورث صعبه
وفي وصفهم بذلك وصف سهل لنيل عنهم وحصول العلم لهم وبهذا تعلم ان التواضع
ثمرة العلم وبهذب النفس وقد تقدم ان للجهاد مرتبان مجاهدة العدو وذلك اما باليد واما باللسان
واما بالجنان ومجاهدة النفس وذلك باصلاح القوة العلمية واصلاح القوة العملية
المجاهد اما النفس واما شياطين الانس والجن قال بعضهم جهاد النفس ان لا تتركها تفتر
عن الطاعة وجهاد الشيطان ان لا تحدثك نفسك بمعصية فياخذ منك حظا وجهاد العدو ان
تدب عن ضعفة المسلمين وقوله ذلك فضل الله اي الجهاد في سبيل الله وما ذكر فيه
المعنى الذين يجاهدون ويحبونه يوثره اي المستحقين **قوله عز وجل** **انما وليكم
الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة
ويوتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون** الولي والمولى
يجيئان بمعنى واحد لكن الولي من الاسماء المضافة وتقتضي ان من والاه يوالي بمثله
وقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت وقال في موضع ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى
لهم وقال يوم لا يغني مولى عن مولى شيا وقال مأويكم النار هي مولاكم لما نهى عن

موالاة الكافرين خاطب المومنين بان لا يغتروا بهم وان يعلموا انهم والوا الله ورسوله
والمومنون ثم وصف المومنين الذين والوهم وقال يقيمون الصلوة اي يوفون
حقها الذين وصفهم بقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى الا به ومن يتول الله
ورسوله بقدره من يتول هو لا محالة من حزب الله وحزب الله غالب فان من يتول
الله ورسوله غالب وهم راكعون قيل اي خاشعون كقوله ومن اتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وقيل عنى بركوع الصلوة وذلك نزلت
على رضى الله عنه فانه تصدق خاتمه وهو في الصلوة فالراكع يريد به الركوع الذي هو
احد اركان الصلوة واستدل بالخبر والاية على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها
وفيه دلالة على ان الصدقة النافلة تسمى زكوة **قوله عز وجل** **يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا
الله ان كنتم مومنين واذا ناديتم الى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون**
الذين امنوا هم المخاطبون في قوله يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه والمذكورون
في قوله الذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ونهاهم عن موالاة المتهاونين بدين
الحق لئلا يغتروا بالمستهزئين والمشركين وقد روي ان قوما من اليهود اتوه ليحرجوا معه
وقال عليه الصلوة والسلام انا لا نستعين بمشرك وقد تقدم ان الاستعانة بهم لا تجوز على وجه
يكونون بهم الغالبون فاما ان يستخدموا في المهن ومانودتهم المهانة لا تجوز
قرئ والكفار بالنصب معطوفا على قوله الذين اتخذوا دينكم هزوا وبالجر معطوفا
على قوله من الذين اوتوا الكتاب وعنى بالكفار من عدا اهل الكتاب من ملحد
وعابد وثن وقوله واتقوا الله ان كنتم مومنين ينبه ان من شرط الايمان مضادة

النفوس ومن شرط التقوى التعصب لدين الله وترك موالاة من اتخذ دينكم هزوا
ولعبا ومن لم يتعصب لدينه فليس من حقيقته وقوله واذا ناديتم الى الصلوة
معطوف على قوله اتخذوا دينكم هزوا ولعبا وداخل في صلة الذين ومن تمام وصفهم
كانه قيل اتخذوا دينكم هزوا ولعبا واتخذوا الصلوة هزوا ولعبا اذا ناديتم الى الصلوة
وهذا التخصيص لعدم عموم ان يتخذون الدين جملة هزوا ولعبا ويتخذون النداء الى الصلوة
كذلك ونحوه قوله واذا علم من اباناشا احدهما هزوا ومن في قوله من الذين اوتوا
الكتاب للتبعيض واظهار ذلك من بعض ذلك وليس هو التخصيص **قوله عز وجل**
**قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله**
**وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون**
يقال نقم ونقم عليه ينقمه اذا انكر ما فعله ويسخط عليه وليضمن النقمة السخط و
الانكار استعمل في كل واحد منهما على الانفراد والسبب في نزول هذه الاية ان نفرا
من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه عن يومن بالله فقال امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق والاية فلما سمعوا ذكر عيسى كفروا فقال
الله ذلك تنبيها انكم انكرتم عن منكر وهو ايماننا مع فسقكم وفحوى هذا الكلام
كقول الشاعر ج وما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون اذا ان غضبوا
**قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند**
**الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم**
**القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك**
**شر مكانا واضل عن سواء السبيل** المثوبة في الخير كالعقوبة في الشر
واستعارتها للعقوبة نحو قول الشاعر تحيه منهم ضرب وجيع
وقول عنترة يعلفها اللجام والاجلم ج وكان ايمانا بالله وما انزل الينا وكان

شر اعندكم فانبئكم بما هو شر عاقبة عند الله منه وهو من ابعده الله من رحمته وسخط
عليهم ومسخهم القردة والخنازير وقوله شر مكانا اي متصرفا واضل عن الطريق المستقيم
وقوله وعبد الطاغوت معطوف على قوله لعنه الله اي من لعنه الله ومن عبد الطاغوت
اي الشيطان وعبادته السيطان طاعته اياه فما سؤل له وقرا ان مسعودا وعدوا ردا الى
المعنى صوله جود وبرك وعبد الطاغوت وعبد الطاغوت ومن قرا عبد فليس وجهه
عند اهل العربية لانه ليس من امثلة الجمع وقد فسرنا به خدم الطاغوت واما عبد فجمع عبيد
نحو عنف وعنف وسرو وسرر وتقدير ذلك وجعل منهم عبد الطاغوت كقولك هلك
زيد اخاك اي خلت ذلك ولما عبد فاما انه واحد وفتح موضع الجمع او جعل جمع
عامر نحو خادم او اصله عبد فسكن نحو عضد وعضد **قوله عز وجل واذا**
**جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا**
**به والله اعلم بما كانوا يكتمون** اي يظهرون الايمان ويدخلون
كافرين ويخرجون كافرين بينها انهم كانوا يظهرون من الايمان واذا اشاله
الجمع نحو قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم انما نحن مستهزؤن والى نحو قوله نقتلون امنا من لهم ولم يومنوا بهم
**قوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم**
**والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون**
في ذلك مسابقتهم اليه ودلك في السوق كقوله في الخير يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون وحث لها وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم والاثم اشاره
الى نحو الكذب قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون واكلهم السحت
الى قوله واولئك هم الفاسقون الاثم اعم من العدوان والعدوان اخص منه
واعم من اكل السحت واكل السحت اخص منهما لان كل اكل السحت عدوان

وليس كل عدوان يكون اكلا للسحت **قوله عز وجل لولا ينهاهم**
**الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت**
**لبئس ما كانوا يصنعون** لولا اذا دخل على فعل ماض فللتحضيض والربانى منسوب الى الرب
وهو الذى تولى الله تربيتهم بالعلم وبرى عباده وزيادة الالف والنون فيه كقولهم
شعرانى وقال بعضهم الربانى ليس فى كلامهم فى الاصل والاحبار الذين يراعون الاعمال
واصله من حبر اى حسن وكانه عبارة عن المحسنين ان قيل لم ذكر فى الاول
يعملون وفى الثانية يصنعون وقيل بينهما فرق قيل الصنع اخص من العمل كما ان العمل
اخص من الفعل وذاك ان الفعل يقال فيما كان من الحيوان وغير الحيوان وبقصد و
عن غير قصد والعمل لا يقال الا ما كان من الحيوان وبقصد والصنع لا يقال الا ما كان
من الانسان بقصد واختيار وبعد فكر وتحرك اعضاء ولهذا يقال فى صناعة اك
حاذق وثوب صنيع اى مجاد لحيثما ذكر كافتهم قال بئس ما كانوا يعملون وحيثما
ذكر خاصتهم وحفظة العلم والعمل ذكره بئس ما كانوا يصنعون ؟ **قوله عز وجل**
**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا**
**بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**
**وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا**
**وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة**
**كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون**
**فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين**
قوله يد الله مغلولة اى منحيل ممسك كقوله لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
وقيل قالوا انه فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن

معناه يده مقبوضة عن عذابنا وقوله غلت ايديهم دعا عليهم وقيل هو خبر و
الدعاء والخبر اذا كانا من الله واحد وقول من قال لو كان هذا اخبار الوجدوا
كذلك فلعمرى انهم قد وجدوا كذلك فقد روى ان اليهود اول خلق الله وقوله
بل يداه مبسوطتان نفى منه متكاثرة وتثنيه اليد على طريقة كلام العرب فى استعارة
هذه اللفظة وقيل سنها لانه اراد عطيه الدنيا والاخرة وقيل بل قصد الى ثوابه
وعقابه وقيل بل قصد الى كثرة نعمه فالتثنيه تعبر بها عن كل كثرة منسوبة اليه
نحو قولهم لبيك وسعديك وقوله ينفق كيف يشاء اى انفاقه على مقتضى الحكمة
لا على حسب شهواتكم وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
يسوءون من القرآن ووجه ذلك ما علم ان القرآن بمنزلة الغداء والمعقورات
بمنزلة الدواء الذى يعافيه الصحيح والكافر والمنافق مريضان كما قال فى قلوبهم مرض
فكما ان المرض لا يوافقه الغذاء بل يزيده مرضا كذلك المنافق يزداد بسماع
القرآن طغيانا وكفرا والفاء العداوة منهم من تعريف لليهود فتح اتحاد النصارى
المسيح رباه وتعريف النصارى فتح نسبة اليهود المسيح الى ما رموه به ودخل فى ذلك
معاداة النصارى بعضهم لبعض وقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اى اذا هموا باثارة
شر اوقع الله بينهم منازعة تكف شرهم وتدفع مكرهم فمنازعة بعض يورث
فسادا فما قال لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب الحكم وقال فى الكفار لجمعهم جميعا وقلوبهم
شتى وقال بأسهم بينهم شديد قوله ويسعون فى الارض فسادا اى مساعيهم الطلب
الشر فلا يحبهم الله فان الله لا يحب المفسدين اى لا يثيبهم على تخريبهم الفساد **قوله**
**عز وجل ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم**
**سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم** التكفير ستر الذنوب
حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل ويصح ان يكون اصله ازالة الكفر كقولهم مرضت فلان

وقدت عينه ذكر انهم لو اصلحوا اعتقادهم وافعالهم لعفروا واثبوا كقوله قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قوله عز وجل ولو انهم اقاموا
التوريه والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء
ما يعملون كما جعل تعالى جزا انهاهم بكف السيات وجزا قولهم ادخال الجنات
جعل جزا توفيه احكام كتب الله سعة الرزق وذلك انهم لما اشتروا بايات
الله ثمنا قليلا وكتموا ما انزل الله سحت دانو الحرزونه من تعالى ان ذلك العرض
بل اكثر منه واطيب لم يكن ليفوتهم لو دوا كتب الله حقها والاكل من فوقهم
اشاره الى الثمار ومن تحت ارجلهم الى الزروع وقيل بل الاشاره بقوله من فوقهم
الى المطر وبقوله من تحت ارجلهم الى الثمار والحبوب جميعا كقوله ونزلنا من السما ما
مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد وقيل
ذلك اشاره الى انهم كانوا سالون ما حال فيكلوا منها حتى يشبعوا رغدا وعلى هذا اسفروا
لكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقوله وان لو استقاموا على الطريقه لاسقيناهم
ماء غدقا وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله منهم
امه مقتصده اى عادله غير عابره ولا مقصره وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك كقوله ليسوا سوا من اهل الكتاب امه قائمه يتلون ايات الله انا الليل
وقوله ساما يعملون نحو ساء مثلا القوم الذين كذبوا بايانا وقوله ساء مستقرا ومقاما
قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم
تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس
ان الله لا يهدي القوم الكافرين قيل السبب في نزول



هذه الايه ان النبي عليه الصلوه والسلم كان يهاب قريشا فانزل الله ذلك وروي ان
اعرابيا سل النبي صلى الله عليه وسلم صقيل السيف من يده فجعل يضرب براسه
حتى انتشر دعاءه ان قتل كيف مال ان لم تقتل فما بلغت رسالته وذلك كقوله ان
لم تبلغ فما بلغت قيل معناه وان لم تبلغ كل ما انزل اليك يكون في علم من لم يبلغ شيا
منها ان تقصرك في بعض ما امرت به يحبط عملك وقيل عني بقوله ما انزل
اليك ما ذكره بعد هذه الايه وهو قوله قل يا اهل الكتاب الايه وقوله والله يعصمك
من الناس اى يمنعك من ان يقتلوك يسوء من قتل او اسر او قهر واصل العصم
من عصم الفرسه اى شدها وعصمه الله للعبد حفظ سره بما يرد عليه من موارد الشر وقيل
معنى يعصمك من الناس اى من يتهم العصمه مختصه بالنبوه ونحو قوله فاصدع بما
تومر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزين وقوله ان الله لا يهدي القوم
الكافرين ليس يعني انه لا يبدل لهم بعصمه الله وتوفيقه وتسديده مبذوله لكل من
يرغب فيها ويترشح لقبولها ولكن الكفر يمنع منه فانه يعانده ويناقضه كما ناداه المعاد
واستدل بهذه الايه على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتم شيا مما انزل الله بخلاف
ما قالت الرافضه انه قد كتم اشيا على سبيل التقيه قال بعض الصوفيه ما سعلق به
مصالح العباد وامر باطلاعهم عليه فمنزه عن كتمانه واما ما خص به من العلم ولم
يتعلق به مصالح امته فله ان يخص عليه كتمانه قوله عز وجل قل يا اهل
الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوريه والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم
الكافرين ان قيل قوله ما انزل اليكم من ربكم داخل فيه التوريه والانجيل
اذ كل ذلك منزل من الله فلم افرد اقيل انه افردهما بالذكر على سبيل التفضيل

وخص ما انزل بالقران فان قيل كيف امرهم ان يقيموا الكتب وقد علم ان القران
قد نسخ التورية والانجيل ولا يصح اقامة جميعها قيل يجوز انه عنى الاقرار بصحة تلاوتها
ويجوز انه اراد احكام اصولها فان ملتها تشترك في ذلك وانما الاختلاف في الفروع
بحسب مصالح الازمنة وقيل اراد اقامة هذه الكتب باظهار ما فيه من وصف النبي صلى الله
عليه وسلم وتصديق بعضها بعضا **قوله عز وجل ان الذين امنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى من
امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون** ان قيل كيف قال من امن منهم بالله وهم
بوصف الايمان وتقديره من امن من المؤمنين ومن الذين هادوا وذلك حذف من الكلام
قيل في ذلك وجهان احدهما ان معنى قوله ان الذين امنوا المظهرون الايمان والمنافقون
القتل والسبي وهم الموصوفون بقوله الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وعنى بقوله
من امن منهم اي من تحقق بالايمان وبين ان المظهر للايمان والذين هادوا وغيرهم
ممن ذكرهم لا يسقط عنهم الخوف والحزن في الدارين ما لم يحققوا بصدق الله
والايمان بالمعاد والتحري لصالح الاعمال والثاني ان من قوله من امن بالله
راجع الى قوله والذين هادوا والصابئون دون قوله ان الذين امنوا ان قيل ما وجه
قوله والصابئون وقد ذكر النحويون ان المعطوف على ان قبل الخبر لا يصح فيه
الرفع قيل ان ذلك لا يصح فيه الرفع اذا عطف على موضع ان وخبرهما خبر واحد
نحو ان تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فاما اذا جعل الثاني مرتفعا بالابتدا وجعل
خبر احدهما مضمرا يصح قول الشاعر      فاني وقيار بها لغريب
وتقدير الكلام ان الذين امنوا لا خوف عليهم والذين هادوا والصابئون والنصارى
من امن بالله لا خوف عليهم واستغنى بخبر احدهما عن خبر الاخر وعلى هذا قول الشاعر



والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق
وقيل قوله والذين هادوا والصابئون معطوف على الضمير في قوله امنوا كانه قال
ان الذين امنوا هم والذين هادوا والصابئون وقال الفراء الرفع يصح بعد ان يصح في كل
معطوف ولا يتغير فيه الاعراب نحو الذي واخواته وهذا وهذه **قوله عز وجل
ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا
كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا و
فريقا يقتلون** قد تقدم حقيقة اخذ الميثاق منهم وان ذلك اشارة الى عقولهم
على ما دل عليه قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية وبعضه بما
انزل اليهم من الايات وبعضه بالايمان المؤكدة وكل ذلك مما ذكره المفسرون وانما قال
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون فعطف المستقبل على الماضي تنبيها على ان ذلك عادتهم
ماضيا ومستقبلا ونبه بقوله بما لا تهوى انفسهم انهم يتبعون الهوى فيما يتحرونه فلا
يستحيون جدا وان طابقوا الحق اذ ليس لهم الا سلوك سبل الهوى واصل الهوى
والهواء واحد وهو ما لا امساك له ومنه استهوته الشياطين في الارض حيران وسمي النار
هاوية لذلك **قوله عز وجل وحسبوا الا تكون فتنة فعموا
وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم
والله بصير بما يعملون** الفتنة العذاب والبلية واصلها ادخال
الذهب والفضة النار للاختبار ولذلك قال تعالى يوم هم على النار يفتنون
وتارة تعتبر بما يحصل من العذاب فيستعمل فيه نحو فتناك فتونا وقرئ الا تكون
بالرفع والنصب فالرفع على تقدير انه لا تكون فتنة وذلك ابلغ في ذمهم وقد تقدم ان
الطمع والحسبان يشعران بان ما يتوقع في النفس تارة لما ضعف ومتى ذكر بعدهما
ان المشددة والمخففة منها فقصد الى تقوية الاعتقاد ومتى ذكر بعدهما ان الناصبة

الفعل وبصحة الاعتقاد وارتفاع قوله كثير على البدل من الضمير في عموا وصموا
وعلى تقدير التفسير اي العمى والصم كثير منهم ثم بين انه تعالى لعلمه بما يعملون بالمرصاد
جازيهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما للظالمين
من انصار قالوا ان الله هو المسيح وذلك حكاية عن اليعقوبية الذين قالوا ان
المسيح ابن مريم هو الله وبين ان المسيح نهاهم ان يعتقدوا ذلك حيث قال اعبدوا
الله ربي وربكم وانه بين ان من يشرك به منعه الجنة وجعله النار ما لاحد ناصرا واصل
التحريم جعل الشيء ممنوعا منه اما بالحكم كتحريم الله الخمر واما بالمنع القهري كتحريم الله الجنة
على الكافر قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم اخبر عن النسطورية والملكية
منهم الذين يقولون اب وابن وروح القدس فيجعلون الله احد الاقانيم الثلثة وبين
ان الله هو واحد هو سبب الموجودات وهددهم ان لم ينتهوا عما يقولون ان قيل
لم قال ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم وذلك يقتضي ان يكون بعض منهم كافرين
وقد قال لقد كفر الذين قالوا الحكم بكفر جميعهم قيل لما قال الذين كفروا منهم نبه ان العذاب
متوجه على من دام به الكفر ولم يقلع ولهذا اعقبه بقوله افلا يتوبون ان قيل لم قال
ليمسن فذكر المس وذلك يقتضي تقليل العذاب قيل بل المس يقتضي مبالغة
في وصف عذابهم لان المس يقتضي اللمس وذلك اعم الحواس واكثرها وجودا اذ لا
حيوان الا وله اللمس ولانه اعرف الحواس عند الخاص والعام قوله عز وجل



ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر انى يؤفكون الصديقة الكثيرة الصدق وقيل
انها لم تكذب قط وقيل لتصديقها جبريل لما قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما
زكيا والخلو تعري الزمان او المكان مما فيه او تعري الشيء من زمان ومكان واذا قيل
لا يخلو الامر من كذا فمعناه لا يتعرى ولا ينفك احتج تعالى على من ادعى الربوبية
لعيسى بما يزيل الشبهة في ذلك وبين ان غايتهما لعيسى صلى الله عليه وسلم كونه رسولا
ذا معجزات قد شاركه في مثلها غيره من الانبيا كابرهيم حيث القي في النار فسلم
منها وموسى حيث القى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وفلق البحر له في تسع ايات
وانه في كونه من غير اب لم يكن باعجب من ادم الذي كان من غير اب ولا ام ونبه
على قصوره عن ادم بكونه من ام وان كونها صديقة لا يقتضي لها ولا لابنها
الربوبية بل اكثر ما في ذلك ان يكون من جملة الصديقين ثم نبه على نقصهما بافتقارهما
الى الطعام المقتضي لقضا الحاجة فكنى تعالى عن ذلك باحسن كناية ثم عجب منهم
بقوله انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون اذ كان حالهما لا يخفى
ثم مع ذلك يصرفون عن الحق وتفهمه وقيل معنى يؤفكون اي يصادون كانهم
يتباعدون عنه قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ان قيل لم قال ما لا يملك
ولم يقل من وقد قصد بذلك نفي الالهية عن عيسى وكيف قال لا يملك ضرا ولا نفعا و
قد كان عيسى يملك ذلك وان كان بتمليك الله اياه ولم قدم الضر على النفع ولم اتبع
ذلك قوله والله هو السميع العليم وقد كان من حق المقابلة ان يقال والله هو القادر
النافع قيل اما ذكر ما فلكونه للجنس والنوع المقتضيين لمعنى عام مقصود ذكره ان ذلك

ان ذلك يقتضى المشاركة والمشابهة وتنزه الالهية عن ذلك فاكد تعالى بذكر ما يعلم
كل ما اقتضى مشابهة ما وانما قال له ملك ضرا ولا نفعا ولانه لو كان له شئ على سبيله
اضرب عن ملك الضر والنفع بوجه وملك لبعض ذلك عليك كالانسان وملكه لها
لا تمليك وهو الله تعالى وصار ملك لذلك بالتمليك في حكم من له ذلك ومن هذا الوجه
قال المسلمون لا ملك احد شيا غير الله وقالوا الاشياء في يد الناس عارية مسترده واما تقديم
الضر على النفع فلان الانسان يحدس غيره اما لدفع ضرر او لجر نفع والناس يراعون دفع
الضر وجر النفع ولذلك كان الاحتراز من المضار كلها واجبا وليس طلب المنافع
كلها واجبا فلذلك قدم هاهنا الضر فان قيل فقد قال الا ملك لنفسي نفعا ولا ضرا
الا ما شاء الله وقدم ذكر النفع قيل يقدم النفع في هذا المكان اولى لانه لما ذكر تحريهم عن
اصنامهم فما يجرون لها والانسان لنفسه اتبع لا الضر بين انهم لا يملكون ما يجلب نفعا
بل لا يملكون انتفاء الحقيقة الضر فضلا عن النفع واما اتباعه بقوله والله هو
السميع العليم فهو انه لما ذكر وان الله مالك الضر والنفع وبرانه قادر على مجازاة
من استحق المجازاة بل اشركوا اسنده وبين غيره عقيبه بما اقتضى معنى ملكه للضر والنفع
وقدرته على المجازاة وذكر انه هو المجازي فانه قوله السميع العليم اقتضى انه مجازي
بما سمعه وعلمه وادخال هو في قوله ان الله هو اقتضى ان هذا الحكم خاص له
لا يشاركه فيه غيره صار مقتضى الكلام انه يملك النفع والضر وانه مجازي كل احد
لعز استحقاقه **قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء
السبيل** الغلو تجاوز الحد من قولهم غلا السهم وغلا السعر ويستعمل
في الافراط دون التفريط والخطاب قيل هو للنصارى حيث تجاوزوا



والقصد في عيسى عليه الصلوة والسلام فادعوا له الربوبية وقيل هو خطاب لهم و
لليهود فالنصارى غلوا في رفعه واليهود في وضعه وقوله غير الحق استئناف باصرار
لا يقولوا الا قوله وبراقولوا على الله الا الحق وبان الذي عليه قوم ممن
مضى الهوى فنهاهم عن اتباعهم فيه كما قال تعالى فاستقم كما امرت ولا تتبع اهوائهم
واتباع الهوى شبيها انهم مفسدون المراد في باطلهم ان قيل لم كرر قوله
ضلوا قيل في ذلك اوجه الاول انه اراد قد ضلوا من قبل عن سواء السبيل فلما فصل
عنه وبين ما تعلق به اعاد ذكره كقوله وبر الحسن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اعاد قوله فلا تحسبنهم
الثاني انه اراد ضلوا وا ضلوا عن سواء السبيل ضلوا كون ذلك تبيينا لما
ضلوا عنه والثالث ان يراد بقوله ضلوا من قبل الى ضلالهم في شريعتهم
قبل اتيان نبينا صلى الله عليه وسلم وبقوله ضلوا عن سواء السبيل الى ما اتى
به النبي صلى الله عليه وسلم والرابع ان الانسان قد يعتقد ان ضل عنه ومن ضال
عن ذلك فمن الله تعالى ان هو اضلوا الى انفسهم وضلوا انا ضلالهم غيرهم ليشاركه
الى نحو قوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
والخامس ان الله تعالى جاد بين العقل والرسول والعقل متقدم على الرسول
من حيث انه بالعقل يهتدي الى معرفة الرسول فقوله ضلوا اشارة الى ضلالهم
عن مقتضى العقل وضلوا عن سواء السبيل الى ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم
**قوله عز وجل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**
الاعتداء والعدوان خروج عما حد ورسم ان قيل على اي وجه لعنوا على
السنتهما قيل في ذلك اوجه الاول انهم فعلوا ما استحقوا به اللعن فلعنا هم

باسمائهم وذلك راجع الى ابائهم فهذه رواية ان داود بلغه ان قوما اجتمعوا على
منكر فقصدهم ليعظهم فاستفتحهم الباب فلم يفتحوا وقالوا نحن قردة فقال اللهم كونوا
فمسخهم قردة وان قوما ادوا عيسى عليه الصلوة والسلم فلعنهم الثاني انهما ما الامر لهم
بفعل الا ما لعنه الله عليه فعصى فصاروا ملعونين من هذا الوجه الثالث ان
الله تعالى لما انزل على كل واحد منهما كتابا اقتضى ان من خالفه فهو ملعون فخالف
هؤلا فصاروا من هذا الوجه ملعونين قوله عز وجل **كانوا لا**
**يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** التناهي
ان ينهى بعضهم بعضا والانتهاء الانزجار وهو ابلغ من الانتهاء والمعنى لم يكونوا
ينتهون ولا يتناهون عن القبيح الذي تعاطوه ثم ذم فعلهم **قوله عز وجل**
**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت**
**لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون**
اي ترى كثيرا من الذين لم يؤمنوا يوالين الكفار في معاداة الرسول وذلك مما
سخط الله وبه حرم لهم وبين المدح بسخطه تعالى وما نشر لهم الخلود في العذاب
ونحو قوله بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا الاية **قوله عز وجل**
**ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما**
**اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون**
النبي يجوز ان يكون اشارة الى نبينا عليه الصلوة والسلم ويجوز ان يكون
اشارة الى نبيهم ونبه انهم لو امنوا لمن ادعوا الايمان به لما فعلوا ما فعلوا
فان دينهم لا يقتضي ما يرتكبونه ويفعلونه ويجوز ان يكون النبي اشارة
الى الحسن اي الايمان بالله وبالنبوة والكتاب لا يقتضي ما تحروه من موالاة
الكفار ان قيل كيف قال ولكن كثيرا منهم فاسقون بل كافرون قيل الاشارة بقوله



ولكن كثيرا منهم اي اخبارهم وعلمائهم واما ظلمهم فمشير الى ان فسق هؤلاء الذين
اقتضى ان يرتكب جماعتهم ما يرتكبونه وذلك لما انبا بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه قوله عز وجل **لتجدن اشد الناس عداوة**
**للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن**
**اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك**
**بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون** اصل العداوة
التباعد ومنه تعدى والعدا للمكان المتفاوت والقس والقسيس العابد الكثير
الذكر والرهبان جمع راهب كالركبان والفرسان جمع راكب وفارس بين انه كما بين
الاخيار تفاوت كذلك بين الاشرار تفاوت وكما ان من اتى من الطاعة بامر
ادنى كان ثوابه اقل كذلك من اتى من المعصية اكثر كان عقابه اكثر ولهذا جعل
في الجنة درجات وفي النار دركات فالله لا يبخس عاملا عمله ولا يسوي بين من يجحده
وبين من يؤمن ببعض ويكفر باسبابه ولا بين من يجحد جميع اسبابه وبين من يجحد بعض اسبابه
فالمشركون به ابعد من الله من اليهود واليهود ابعد من النصارى وان ابعد الناس عن
الاسلام اليهود والمشركون اما اليهود فلانهم بعدوا عن المسلمين بدرجتين اذ قد كفروا
بعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم واما المشركون فلانهم بعدوا بدرجات اذ قد جحدوا
التوحيد والنبوات ان قيل فلم قدم ذكر اليهود والمشركون شر منهم قيل لان الاية
المتقدمة في ذكرهم والقصد كان اليهم فكان تقديمهم لذلك اولى وبين ان اقرب الناس
اليهم قوم ادعوا النصرانية وليس ذلك اشارة الى جماعة النصارى بل الى قوم منهم
ولهذا قال الذين قالوا انا نصارى ويدل على ذلك ما روي في التفسير ان ذلك
اشارة الى النجاشي واصحابه الذين امنوا من بعد ثم بين ان منهم القسيسين والرهبان
وانهم يتحرون الحق ولا يستكبرون عن قبوله والصفة في انهم راجع الى القسيسين و

الرهبان وقيل راجع الى المعنيين الذين كانوا قوله عز وجل واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين
الفيض سيلان عن امتلاء واقتضاء السيلان وقد ضمنه هنا اذا امتلأت العين
ثم سالت في عنه استعين حتى مستفيض وافاض القوم من عرفة فذكر تعالى انهم
يبكون ويؤمنون بالنبي عليه الصلوة والسلم ويتضرعون الى الله ان يجعلهم من جملة
من وصفهم بقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ومعنى اكتبنا
اي اجعلنا منهم واثبتنا في جملتهم قوله عز وجل وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
كانه قيل لهم لم آمنتم به فقالوا وما لنا لا نؤمن اي نصدق بالله وبالحق الذي جاءنا وقوله
ونطمع من جملة قوله وما لنا ويجوز ان يكون استئنافا وان يكون في موضع الحال اي لم
لا نؤمن طامعين في ان يجعلنا ربنا من الصالحين وفي ذلك اشارة الى قوله اولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
قوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
قد تقدم ما هو تفسير لهذا او دل في قوله وذلك جزاء المحسنين انهم محسنون واستحقوا
ذلك تنبيها ان ذلك وان قيل فمن المحسنين من له جارك وهو الذي اثابه
اكثر فلم الحسن المطلق هو الذي استحق ان يوصف بضده ويكون وصفه بالمحسن
مطلقا ووصفه بالاساءة مقيدا فاما من اساءته موفية على احسانه فلا يطلق عليه اسم المحسن
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين



لما ذكر حال الذين قالوا انا نصارى وذكر ان منهم قسيسين ورهبانا ومدحهم بذلك
وكانت الرهبانية قد حرموا على انفسهم طيبات قد احل الله لهم ورأى تعالى قوما تشوقوا
الى حالهم وهموا ان يقتدوا بهم حتى رأوا ان قوما من اصحابه عليه الصلوة والسلم هموا باخصائها
هم ان يفعلوا فعلهم وبين ما دل على ما قال بعثت بالحنيفية السهلة وقوله ولا تعتدوا
يجوز ان يكون حكما لما دل عليه قوله لا تحرموا الطيبات وان لا تعتدوا التناول
المحظورات ويكون الايه نهيا عن الطرفين في التفريط والافراط وحملا على القصد
المذكور في قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا ونحو ذلك من الايات وبين انه لا يحب
المعتدين اي المعتد اثنان لمرضاة الله فان قيل ولم يقل والله يبغض المعتدين
ليكون ابلغ قيل بل قوله لا يحب ابلغ من وجه لان من المعتدين من لا يوصف
بان الله يبغضه ويوصف بانه لا يحبه وهو من لم يكن اعتداؤه كبيرة وكل مبغض
غير محبوب وليس كل من لا يكون محبوبا عليه مبغضا قال بعضهم معنى لا تحرموا طيبات
اي لا تخلطوا اما لكم من الحلال بمغصوب ولا تفعلوا فيه فعلا يصير به حراما
فتكونوا قد جعلتم الحلال حراما قوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
الرزق يقال لما يجعل غذاء ويقال للعطية جميعا وقوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها اي ما يتغذى به وقوله ومما رزقناهم ينفقون
اي مما اعطيناهم ولتردد هذه اللفظة بين المعنيين اختلفوا ان ما رزق
الله العبد هل يصح ان يكون حراما قال بعضهم هذه الايه تقتضي ان الرزق
يقع على الحرام ايضا لانه حض فقال مما رزقكم الله حلالا طيبا فلولا انه يتناولهما
لما كان لتخصيصه فائدة ومن خالفه قوله حلالا طيبا انتصابه على انه حال مؤكدة
كانه قيل كلوا مما رزقكم الله فهو حلال طيب وبين ان الله الذي انتم به حكم ان

يقوله ومنهم الايمان الفورية قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام
ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك
يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون اللغو واللغى ما لا يعتد به من
المقال والفعال ومن هذا قيل لصوت العصافير اللغو وقيل العيث كل ما
طرحته لقلة الاعتداد به واللغو عن اليمين روت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه
قال هو قول الرجل لا والله وبلى والله موقوفا عليه وقال ابن عباس هو ان يحلف
على امر يراه كذلك وليس على ما يراه وروى عنه انه قال هو ان يحلف انت على شي
وانت غضبان وقال بعضهم هو ان يحلف الرجل على معصية بان يفعلها فينبغي
ان لا يفعلها ولا يجب الكفارة فيه لقوله عليه الصلوة والسلم من حلف على يمين وراى
غيرها خيرا منها فليتركها فان تركها كفارتها وقيل بل لا اثم في تركها وعليه الكفارة
لقوله عليه الصلوة والسلم من حلف على شي فراى غيره خيرا منه فليات الذي هو خير وليكفر
عن يمينه والقسم ضربان قسم على ماض وقسم على مستقبل فالماضي اما لغو واما غموس
ولا كفارة فيهما عند ابي حنيفة واما عند الشافعي ففي الغموس الكفارة دون اللغو
قوله يواخذكم بما كسبت قلوبكم يعني عند الشافعي مواخذة الاخرة اي العقاب
والمواخذة بالكفارة وعند ابي حنيفة مواخذة العقاب دون الكفارة واختلف
في الكفارة على اوجه اما في الاطعام فقد اختلف فيه هل الاولى ان يجمعوا على الطعام
او يدفع اليهم فاذا جمعوا عليه فهل يطعمون وجبة او يطعمون غداء وعشاء واذا اعطوا
كم يعطون قال الحسن يعطى كل مسكين نصف صاع من بر وقال بعضهم نصف صاع من بر



وصاع من تمر وقال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما لكل مد من بر وهو قول مالك
والشافعي وقال سعيد بن جبير مدان مد لطعامه ومد لادامه ولا اختلاف ان الذكر
والانثى في ذلك سوا وذكر اللفظ عشرة تغليبا للمذكر وقوله من اوسط ما تطعمون
اهليكم قيل هو راجع الى مقدار الطعام وقيل راجع الى جنس الطعام وقيل راجع
الى قدر ما يطعمون ان اطعم اهله مدا فمد وان اطعمهم صاعا فصاع واما الكسوة
فقد قيل لكل مسكين ثوب ازار ورداء وقال مالك يكسوا الرجل ثوبا والمراة
درعا وخمارا فذلك اقل ما تجوز فيه الصلوة وقال الشافعي يجزئ فيها قطعة من سراويل
وعمامة ومقنعة واما تحرير الرقبة فايقاع الحرية عليه وخص لفظ الرقبة فقد قيل
ذلك لانهم كانوا اذا اسروا اسيرا شدوه الى عنقه فاذا اخلي قيل حرر رقبته فصار
ذلك عبارة عن العتق وحق المعتق ان لا يكون به عيب يضر بعمله كالعمى والشلل
فاما العور فانه لا يضر وقيل يكره عتق الحمل ولا يجوز عتق الصبي الصغير وقال سليمان
بن موسى الرقبة لا يقع الا على الكبير فاما الصغير فيقال له النسمة وقال ابرهيم
كل موضع في الشرع ذكر فيه رقبة مومنة فانه لا يجزي الا الذي صام وصلى اي بلغ
وقوله فمن لم يجد اي لم يجد فضلا عن قوت عياله في يومه وليلته فان له ان
يكفر بالصيام وقال قوم اذا لم يكن عنده ما يبلغ درهم واما الصوم فقد قيل متتابعات
وقد قرا ابي رضي الله عنه فصيام ثلثة ايام متتابعات واعتبر ذلك ابو حنيفة
في الحكم وان كانت التلاوة منسوخة وقال بعض الشافعية قوله ذلك كفارة
ايمانكم اذا حلفتم يدل على ان له يكفر اذا حلف قبل ان يحنث ولم يقل اذا
حنثتم وقوله واحفظوا ايمانكم اي اقلوا منها ولا تبذلوها لا تعوها ولا تواخذ
بها فان اللغو وان لم يواخذ به فيعود ذلك بالانسان الى ان يتعود اكثار اليمين
وقيل معناه اذا حلفتم فلا تنقضوها كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقوله اوفوا

او فوا انا العفو ز و الصحيح ان الطيب يتناول الامرين جميعا وعلى هذا قال الشاعر
قليل الالا يا حافظ اليمين وان سبقت منه الالية برت
وجملة الامران الاشارة مندوب الى ان لا الحلف ومتى حلف على ان لا يفعل فعلا
يجب او يستحب ان يفعل فحقه عليه ان لا يحنث ومتى حلف على ما يجب ان لا يفعل
او يستحب ان يحنث في يمينه ويكفر ومتى حلف على ما يجب ان لا يفعل او يستحب ان يفعل
ما يستوي فعله وتركه فان شاء حنث وكفر وان شاء حفظ اليمين وقوله كذلك يبين الله
لكم اياته اي اعلام دينه واحكامه الموضوعة لمن اعرف بها رجاء ان تعرفوه حق المعرفة
فاذا عرفتموه فعلمتم ما امرتم به علمتم انه اقرب الى ان تؤدوا حق شكره قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
النجس والرجس والرجز متقارب لكن النجس يقال فيما يستقذر بالطبع والطبع والرجس
اكثر ما يقال فيما يستقذر بالعقل ولهذا فسر بالاثم والسخط والخمر بالاتفاق هو عصير
العنب المشتد وقد يسمى نقيع البسر والتمر خمرا قال ابن عباس نزل تحريم الخمر
وهي الفضيخ وروى نعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من الحنطة خمرا ومن
الشعير خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا وهذا ادل على خلاف
ما قال ابو حنيفة وقوله عليه الصلوة والسلام الخمر من هاتين الشجرتين من النخل والعنب
فانه لا يقتضي ان لا يكون من غيرهما وقوله عليه الصلوة والسلام كل مسكر حرام يقتضي تحريم
ذلك جميعا سوا اسكر او من شانه ان يسكر لان اسم الفاعل حقيقته في الماضي
والحال والمستقبل وقد تقدم الكلام في تحريم الخمر في سورة البقرة والميسر الضرب بالقداح
على الجزور وسمي بذلك لاعتقادهم انه سبب يسار الفقرا لما نالهم من لحمه وقال امير
المومنين الشطرنج من الميسر وقيل القمار كله منه اي حكمه حكمه والانصاب ما نصب للعبادة



من الاوثان وقيل كان حجرا بين يدي الصنم يذبح عليه على هذا قال الشاعر
وما هريق على الانصاب من جسد
والازلام قداح يكتب على بعضها افعل وعلى بعضها لا تفعل او يكتب عليها لحسب او ...
فكانوا اذا ارادوا امرا ضربوه واعتمدوه فيما يفعلونه وقوله من عمل الشيطان اي من
تزيينه قوله عز وجل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلوة فهل انتم منتهون لما كان هذان يتولد منهما العداوة
خصهما بالذكر فاما الانصاب فانها سبب الكفر المحض وهذه العلة في الخمر
تقتضي مشاركة النبيذ اياها لان القليل الذي يصد عن ذكر الله من شرب الكثير دون
القليل فيجب ان يكون منه المحرم قيل بل ذلك فيهما لان القليل داع من شربه
الى الكثير وشرب الكثير داع الى ذلك بلا واسطة وقوله فهل انتم منتهون
نهاية الردع والزجر قوله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا و
عملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا و
احسنوا والله يحب المحسنين روي انه لما نزلت الاية
الاولى قال قد مات مناعدة يشربون الخمر فما حالهم فانزل هذه الاية وروي انها
نزلت في قوم كانوا قد حرموا على انفسهم المباحات وروي ان قدامه بن مظعون
شرب الخمر فاراد عمر ان يجلده فتلا قدامه هذه الاية فقال عمر اخطات التاويل
اذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك ان قيل ما الفرق بين الايمان والتقوى والحسن
قيل الايمان من الاذعان للحق على سبيل التصديق له بالتيقن هذا وان كان
في التعارف صار اسما للتخصيص بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم والتقوى جعل النفس

وقايه من يحفظ بالمشتبهات عما نهى والاتيان بالامر والاحسان تحري الافعال الجميله
في الايمان والتقوى ولهذا قال عليه الصلوة والسلم لما قيل له ما الاحسان قال ان تعبد
الله كانك تراه وللشبهات منزلته وان كان لكل واحد مراتب ان قيل ظاهر الايه
يقتضي ان المومن المتقي المحسن يجوز له ان يتناول ما يريد تناوله والجناح عنه مرفوع
قيل بين رفع الجناح عنه لا انه ابيح له ما خطر على غيره بل لانه امن ان ياتي بامر محظور
وهذا كقولك لمن امنت شره طوعه لا باس عليك فيما صنعته ولا حجر عليك
فيما اردته وانك تعني انك مامون الغايله ان تعدى طورك فبين بالايه
ان من صار بهذه المنزله من الايمان احجم عن المحظور وعف عنه وعلى هذا قوله
قل من حرم زينه الله التي اخرج لعباده الايه ان قيل ما وجه تكرير ذكر الايمان
والتقوى قيل في ذلك اوجه الاول ليس من امن واتقى فيما كان قد حرم عليه
وقت اباحه الخمر وادام الايمان واستعمل التقوى الا ان من ترك شربها ثم اتقى في غير
ذلك واستعمل الحسنى جناح فيما شربه من الخمر وتعاطاه من الميسر قبل ان حرم ذلك
الثاني لا جناح في تناول المباح من امن واتقى فيما مضى وفي الحال وفي المستقبل
فاما من ترك ذلك في احد الحالين لم تقبل توبته فله الاثم الثالث ان المراد استعمال
الانسان الايمان والتقوى فيما بينه وبين نفسه وبين الناس وبينه وبين الله الرابع
ان للايمان والتقوى على القول المجمل ثلث منازل اولا ان يكون الاسلام ادنى ثم
وسطه ثم منتهاه وكذلك الفسق ثلث منازل كما قال ان الذين امنوا ثم كفروا
ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا فبين ان الانسان اذا استوعب المنازل الثلث
فقد كمل وصار بحيث لا يتناول الا المباح فلا جناح عليه لذلك فيما طعم الخامس
ان للتقوى ثلث منازل الاول ترك المحرمات والثاني ترك الشبهات والثالث
ترك بعض الحلالات تهذيبا لنفسه عن الحرام ومن بلغ هذا المبلغ فلا جناح عليه فيما



يتناوله بعد ذلك وبين بقوله والله يحب المحسنين ان من فعل ذلك فقد صار
محسنا واذا صار محسنا صار لله محبوبا فان الله يحب المحسنين قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله
ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم الابتلا استخراج ما عند الانسان
من البلا اي الفعل كالاختبار في كونه استخراج خبر الانسان وقوله بشيء من الصيد
قيل من للجنس اي بصيد البر دون البحر وصيد الحلال دون الاحرام وقيل للتبيين
كقوله اجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل للتبعيض اي من اجزا الصيد ما يمكن
اصطياده وقوله تناله ايديكم اي ما كان مستانسا منه ومثل فراخ الطيور وصغار الوحش
والبيض فقد روي انه اتي النبي صلى الله عليه وسلم ببيضات فامتنع منها وقال
انا محرمون وقضى عليه الصلوة والسلم في بيض نعام اصابها محرم بثمنه وما تناله وما
حكمه من الممتنعات ولم يعن الرماح فقط بل عناها وساير الاسلحة اي جعل تعالى
ذلك ليكون ذريعة الى ظهور افعالكم وما تستحقون به الجزا وقيل ان قوله
ليبلونكم اي يوجب الله تعالى ذلك عليكم لترضوا به انفسكم وتتوصلوا الى
الامتناع من محارمه الحقيقيه ليعلم بذلك كيف تضبطوا انفسكم حتى لا يطلع
عليكم غيركم وانما يطلع عليه رب العزه وذلك اشاره الى خفيات القلوب
والسراير وقوله فمن اعتدى بعد ذلك اي من تعدى في هذه الظواهر بعد ما حظر
عليه ولا يراعي فهو فاولئك هم الذين يتعدون ويستحقون العذاب الاليم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
ومن قتله منكم متعمدا فجزا مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا
عدل منكم هديا بالغ الكعبه او كفارة طعام مساكين

او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا
الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله
عزيز ذو انتقام ذكر لفظ القتل دون الذبح والذكوة لامرين احدهما انه
اعم الالفاظ فى ذلك والثانى تنبيه ان ما يصيبه غير مذكى والصيد هاهنا مخصوص
فى كل متوحش يوكل لحمه عند اكثر الفقهاء بدليل النبى عليه الصلوة والسلام خمس يقتلن
المحرم فى الحل والحرم الحيه والفاره والعقرب والكلب العقور وفى خبر اخر الذئب
والفاره والغراب والحداة وقيل نبه بقوله العقور على ما يودى وانما يختلف فى الصيد
مذكيه المحرم هل يأكله الحلال فاجراه بعضهم مجرى ذبح المجوسى والوثنى واجراه بعضهم
مجرى ذبح الشاه المغصوبه والذبح بالسكين المغصوب واثم حرم اى محرمون بصيد
او غيره او داخلون فى الحرم واجمعوا انه لم يرد انهم فى الشهر الحرام وان كان اللفظ
يحتمله وقوله ومن قتله منكم متعمدا فقد بلغه اقوال الاول ما روى عن ابن عباس
ان الكفاره والغرم المحكى لتخصيص العمد الثانى ما روى عن مجاهد انه اذا كان ناسيا
لقتله ناسيا لاحرامه فعليه الجزاء وان كان ذاكرا لاحرامه عامدا لقتله فلا جزاء عليه
الثالث وهو الاكثر ان عليه الكفاره على كل حال وخصص العمد بالذكر لقوله
ومن عاد ينتقم الله منه وذلك تخصيص بالعامد دون المخطى والاصل فيه ان
الاصول يقتضى المساواه بين العمد والخطا فما خص بالاثم فى العمد
مثل ما قتل من النعم قد علم ان المثل يقع على الذى هو مماثل فى الجنس
وعلى الشبيه الذى هو مماثله فى الكيفيه وعلى المساواه التى هى مماثله فى القيمه
وعلى المشاكله التى هى المماثله فى الهيئه فلما كانت المماثله الخاصه صادقه اللفظ مشتركا
فاختلف فيه فاعتبر ابن عباس المماثله فى الخلقه والهيئه وذهب سعيد بن جبير
وقتاده ومالك والشافعى واعتبر عطا ومجاهد المماثله فى القيمه والهيه ذهب ابو حنيفه

وابو يوسف وقالوا ان شاء اشترى طعاما فاعطى كل مسكين مدا وان شاء صام عن
كل نصف صاع يوما واللفظ للاول الذى لفظه من النعم والذى الهيه قرآن جزاء
مثل ما قتل من النعم بالتنوين وجزاء مثل بالاضافه فاذا قرئ بالتنوين فالمراد جعل
الجزاء اسما للمجازى به مثل اى مماثل لما قتل وقوله من النعم فى موضع الوصف للجزاء قبل
ان يوصف بالاضافه فان الواجب هو جزاء المقتول من الصيد لا جزاء المقتول
فان مثل المقتول ليس بمقتول فيكون للجزاء واذا اضيف جزاء الى مثل فذكر المثل هاهنا
كما من فى قوله انا اكرمناك وجعلنا الكرمك وقوله يحكم به ذوا عدل اى يجب ان يحكم بذلك
عدلان وروى منصور عن جابر قال اتدرون انا وصاحب لى طبنا فاصبنا ظبيا فاتينا
عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له فاقبل على رجل الى جنبه فنظر اوفى ذلك فاتينا
صاحبى وقلت ان عمر لا يدرى حكم حتى يسمع صاحباله فسمع ذلك عمر فاقبل على ضربا
بالدره وقال اما سمعت حكم به ذوا عدل وهذا ابن عوف وانا ابن الخطاب وقوله
او عدل ذلك صياما قال الشافعى عنى عدل الهدى وذاك انه يقوم الهدى وقال
ابو حنيفه عنى عدل الصيد فانه يقوم الصيد وقوله هديا بالغ الكعبه اختيارا انه
لا يجوز نحر الهدى الا فى الحرم واختلف فى الطعام هل يجوز فى غير الحرم وقوله
عفا الله عما سلف اى عن قتل الصيد وقتل عن المره الاولى وقوله ومن عاد
ينتقم الله منه روى عن جماعه انهم كانوا لا يحكمون على المحرم اذا عاد الى الفعل
الصيد وكان اذا استفتوا يقولون هل صيد شيا قبل فان قال نعم لم يحكموا
عليه وان قال لا حكموا عليه وقول فقهاء الامصار انه يحكم عليه فى كل حال قوله عز وجل
احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى
اليه تحشرون البحر يتناول كل ما يملح كان او عذبا فى جزول كان او فى نهر

قال تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات وقوله وطعامه اى ما قذف به البحر
ميتا وعلى ذلك قوله عليه الصلوة والسلام فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته والصيد هاهنا
قيل هو المصيد وقيل هو المصدر فعلى الاول قال بعض العلماء اكل المصيد على كل
حال محظور واستدل بما روى عن ابى قتادة انه اصيبت حمار وحش فقلت يا رسول الله
اصبت حمار وحش وعندى فضله فقال كلوا فنحن حرم وعلى الثانى قال بعضهم الاصطياد
محرم فاما اكل ما صيد لغيره فنحن واستدل على ذلك بما روى انه قال عليه الصلوة والسلام
وقد سئل عن الصيد فقال حلال لكم وانتم حرام ما لم تصيدوا او يصاد لكم وقال بعض
العلماء وطعامه اى ما يصاد له قال وهذا يدل على ان ما اصطاد المحرم او صيد له من صيد
البحر يحرم عليه قال الحسن طعامه يعنى البر والشعر ولحومها ما لم تذك يا لما وقيل عنى ما مات
فيه وعليه دل قوله عليه الصلوة والسلام فى البحر الطهور ماؤه الحل ميتته وقيل سأول
ذلك كل ما فى البحر الا ما استثناه السنة وقال بعضهم يملك ذلك بتناول السمك فقط
وقوله متاعا مصدره موكده كقوله كتاب الله عليكم بعد قوله حرمت عليكم امهاتكم قوله
عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر
الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما
فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم
الكعبة بيت مربع شبيها بالكعب ومنه قيل كعبت ثدى المرأة وقوله البيت الحرام
يصح ان يكون بدلا من قوله الكعبة وقوله قياما فى موضع الحال والحرى ان يكون
مفعولا ثانيا ويصح ان يجعل البيت الحرام مفعولا ثانيا ويجعل قياما حالا والقيام
والقوام ما يقوم به الامر فى معاشهم وصلاح امرائهم وقال بعضهم وتبعه تعالى ان
الانسان اذا تفكر فيها خص الله لهم من تعظيم الشهر الحرام والهدى والقلائد تنبه
ذلك ان الله تعالى احاط علمه بالاشياء قبل كونها ومعرفته لمصالح العباد جعل



جعل ذلك سببا لعبادتهم لله تعالى قال الاصم قياما للناس اى دايما لهم لاستحكامه
وقال الحسن يعنى بالشهر الحرام الشهر الحرم فاخرج اللفظ مخرج الواحد فان قيل ما فائدة
قوله وان الله بكل شئ عليم بعد قوله ما فى السموات وما فى الارض قيل ان لفظ قوله
يعلم اخبار عن المستقبل وان الله بكل شئ علم ان ليس علمه مقصورا على ما يعلم بل هو
عالم الغيب والشهادة ان قيل كيف جعل قياما علة لعلمنا ان الله يعلم ما فى السموات
والارض قيل ليس هذا متعلق بل هو متعلق به وبما قبله وبه انه تعالى وضع اما
شاء من خارج او شاء من داخل على تحريم القتال فى الشهر الحرام وتعظيم الكعبة
ليكون ذلك سببا لمصالح الناس التى من يفكر فيها علم ان الله فعله لعلمه بالخفيات
قوله عز وجل اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله
غفور رحيم نبه بذلك انه تعالى حث بحرمة هذه الامور وسهل ذلك
انه فعل ذلك لما اراده من عباده لنيل الحسنى وعاقب المسى وذلك يقتضى
ان يعلموا انه يعاقب قوما ويرحم قوما كقاما يقتضيه حكمته قوله تعالى
ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
الرسول المبعوث فى امر واصله السابر على رسل ومنه تراسل فى القراءة اذا امر فيه
بلا تكلف والرسل اللبن وكانه اسم للرسل من الضرع كقولهم النفض والنكث
والبلاغ وصول المعنى الى المقصود به والبلاغة رابع تنقل به المعنى الى النفس
وفى هذا بلاغ كفاية سلغ بها مقدار الحاجة اى الرسول قد بلغ ما امر وليس عليه
اكثر من ذلك فى امر الرسالة ثم الله يتولى السرايد كما قال عليه الصلوة والسلام انا
اقضى بينكم بالظاهر ويتولى الله السرايد قوله تعالى قل لا يستوى الخبيث
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله
يا اولى الالباب لعلكم تفلحون الخبيث هو الباطل فى الاعتقاد

والكذب في المقال والطالح في الفعال واصله الردي الذي لا دخله الذي يظهر
رداءته في الاختبار ولهذا قال الشاعر

سكاه وتحسبه لجينا فاندك الكير عن خبث الحديد

ومتى اعتبر الطيب بالخبيث فهو كالدايرة من النقطة بل كالشي الذي لا قدر
له بالمراك من الله تعالى الطيب وان استقللته خير من الخبيث وان
استكثرته حتى يعجبك كثرته وفيه ان الاعتبار في الاشيا ليس بالقلة والكثرة وانما
ذلك بالجودة والرداءة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير ولهذا قيل القليل
واطيب ان قيل كيف جعل الخبيث هاهنا كثيرا وقد قال لا يغرنك الذين كفروا في
البلاد متاع قليل فجعله قليلا وقال قل متاع الدنيا قليل قيل استكثاره للخبث
هو على نظر المغترين بالدنيا واستقلاله هو على ما عليه حقيقة الامر وقوله ولو
اعجبك ليس بخطاب للنبي فقط بل هو خطاب لكل معتبر كقول الشاعر

تراه اذا ما جيته متهللا كانك تعطيه الذي انت سايله

وراجل ان الخطاب عام من حيث المعنى وقال فاتقوا الله يا اولي الالباب بلفظ
الجمع والمعنى استظهروا التقوى راجين ان تبلغوا الفلاح بينها ان التقوى
التي تبلغ **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسلوا عن
اشيا ان تبد لكم تسوكم وان تسلوا عنها حين ينزل
القران تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم**
البدو في القول يقال تاره لظهوره وتاره يقال لظهور ما ويليه وحقيقته والعفو
يقال تاره لما يفضل عن الكفايه كقوله ماذا ينفقون قل العفو اي ما فضل
عن القوت وتاره يقال لترك الشي فيقال وجوه كقوله عليه الصلوة والسلم
عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وتاره يقال لترك ما لزم فيمحو عنه نحو



فاعف عنهم واصفح وروي عن النبي عليه الصلوة والسلم انه خرج يوما غضبان
وجلس على المنبر فقال لا اسيل عن شي الا اجبت فقام رجل فقال اين انا
فقال في النار فقام اخر فقال من ابي فقال حذافة فقام عمر فقال رضينا بالله ربا
وبالاسلام دينا وبالقران اماما والله يعلم من اباونا فنزلت هذه الايه وقيل انه كان
الحج لما قال سراقة بن جعشم له عليه الصلوة والسلم ألعامنا فقال عليه السلم لو قلت نعم
لوجب الخبر وقيل كان سوالان في مجلس وعلى هذا قال تعالى حكاية لا تسئلني عن شي
حتى احدث لك منه ذكرا وهذا في سوال دون سوال وقوله اشيا عند الكساي
بناها افعال وانه لم يصرف تشبيها بحمرا وهذا يلزمه ان لا يصرف ابنا وعند الاخفش
والفرا انها افعلا ويلزمهما ان يصغر على شييات وقد اشتهر ذلك وعند الخليل
انها لفعا قلبوها كما قلبوا اينق عن انوق وقسي عن قووس وقوله عفا الله عنها
اي عن الاشيا المسيول عنها وقيل عن المسئلة المقدران في التحصول وان
قيل ما موضع قوله عفا الله عنها وما فايدته الاتيان بذلك قيل هو وصف لقوله
اشيا كانه قيل لا تسئلوا عن اشيا عفا الله عنها اي لم يكلفكم السوال
عنها كقوله عليه الصلوة والسلم عفوت عن صدقة الخيل اي لم اوجبها وذلك
ان الاشيا في البحث عنها وسوالها ثلثة اضرب ضرب يجب السوال عنه
وهو ما كلف الانسان وفيه امر اياه نوجه ان افتى لجريح بالاغتسال فقال
قتلتموه هلا سالتم عنه شفا العي السوال وضرب يحرم او يحظر السوال عنه
واياه نوجه قوله عليه الصلوة والسلم اتركوني ما تركتكم انما هلك من كان
قبلكم بكثرة سوالهم الانبيا وضرب يجوز السوال عنه والسكوت عنه وهو ما
يستحب ان يحروا الا يوخذ به الانسان ان يحث عنه واستكشف ثم قال والله
غفور حليم اي عفو عنكم ما سبق منكم حليم لا يبطش بكم فيما ارتكبتم **قوله**

عز وجل قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها
كافرين الطلب والسوال والاستخبار والاستفهام والاستعلام متقاربة
ومترتب بعضها على بعض فالطلب اعمها لانه قد يقال فيما تسأله من غيرك وفيما
تطلبه بنفسك والسوال لا يقال الا فيما تطلبه من غيرك فكل سوال طلب وليس
كل طلب سوالا والسوال يقال في الاستعطا فيقال سالت فلانا كذا ويقال في الاستخبار
فيقال سالته عن كذا واما الاستخبار فاستدعا الخبر وذلك اخص من السوال
وكل استخبار سوال وليس كل سوال استخبارا والاستفهام طلب الافهام وهو
اخص من الاستخبار فان قول الله تعالى انك قلت للناس استخبار وليس
باستفهام وكل استفهام استخبار وليس كل استخبار استفهاما والاستعلام طلب
العلم فهو اخص من الاستفهام اذ ليس كل ما نفهم يعلم بل قد يظن ويخمن وكل
استعلام استفهام وليس كل استفهام استعلاما وقوله قد سالها بينه على وجهين
احدهما انه استخبار اشاره الى نحو قوله اصحاب البقره حيث سالوا عن اوصافها
فعلى هذا الحرف من قوله قد سالها ومن قوله قد سال عنها والثاني انه
استعطا اشاره الى نحو المستكثرين للايه من عيسى والسايلين من صالح
الناقه فعلى هذا يصح ان يقال سال عنها وقوله ثم اصبحوا بها كافرين اي
كفروا ولم يعترفوا او يعني كفروا تشبيها **قوله عز وجل ما جعل الله**
**من بحيره ولا سايبه ولا وصيله ولا حام ولكن الذين**
**كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم**
**لا يعقلون** الجعل عام فيما يكون قولا وحكما وفيما يكون عملا وصنعا ويكون
تارة بمعنى صار ولا تشعر كقولك جعل فلان يقول كذا وتارة بمعنى
صير وتشعر الى مفعولين كقولك جعل الطين خزفا وجعلت الرجل

اعد ولا اي حكمت بذلك وتارة بمعنى فعل وتشعر الى مفعول واحد وعلى
ذلك هذه الايه وجعل بالجعل هنا الحكم ولا ايجاد العين فان الله تعالى موجد
هذه الاعيان ولكنه غير حاكم فيها باحكامهم فبين ان الله تعالى ما حكم بهذه
الاحكام ولكن الذين كفروا احكموا بذلك وحكمهم بذلك ولا افترايهم على الله
وافترايهم على الله من حيث ان اكثرهم لا يعقلون فجعل علة حكمهم بذلك
افترايهم على الله وجعل علة افترايهم على الله كون اكثرهم لا يعقلون ان قيل
ما خص اكثرهم بانهم لا يعقلون قيل انه اشار بذلك الى رؤسايهم المقلدين دون الذين
علموا بطلان فعلهم لكن منعهم لرياستهم ان يقلعوا عن ذلك مع معرفتهم ببطلانه
ويجوز ان يكون ذلك اشاره الى اماثلهم الذين لا يتبعون العقل وان كانوا
يعلمون بطلان ما يفعلون البحيره الناقه المشقوقه الاذن ومنى كل ناقه بتحت
خمسة ابطن متى كان الخامس انثى سقوا اذنها فلا تجز ولا تركب ولا يذكر اسم الله
عليها ان ذكيت وحرم على النسا لبنها وان ماتت اشترك الرجال والنسا
في اكلها والسايبه المسيبه وكان لهم بذر انه يخلص ناقته شبهها والوصيله
الانثى من الغنم اذا ولدت مع ذكر تقال وصلت لاخاها فيذبحونه لاصنامهم والحامي
الفحل الذي ينتج من صلبه عشر اناث وكان تقال حمى ظهره فيسيب ولا
يركب **قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله**
**والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا**
**اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون**
قال اهل اللغه اصل تعال دعا الى العلو ثم استعمل في كل مكان علو اكان
او سفلا وقيل ان ذلك يقال اعتبارا بالعلو الذي هو المرتبه الرفيعه
فاذا قيل تعال فكانه قيل اطلب بفعلك هذا علوا وشرفا كقولك

من دعوته بفضل اى تطلب بذلك الفضل وانتم وحدكم تكثر وصار
كانه موضع المجرد والمعنى اذا دعوا الى الكتاب والسنة اعرضوا ودعوا
انهم مكتفون بما شاهدوا عليه ابائهم كقوله انا وجدنا ابانا على امة وانا
على اثارهم مقتدون وقوله اولو كان ابائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
اى اوتكفيهم ذلك وان كان ابائهم لا يعلمون فيفعلون ما تقتضيه علمهم ولا
يهتدون لمن له علم واشير بانهم من جملة الفرقة الثالثة الذين وصفوا فيما ورد
الناس عالم ومتعلم وحائر بائر لا يطيع مرشدا وقال على رضى الله عنه الناس ثلثة
عالم ربانى ومتعلم على سبل نجاة ومج رعاع واتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح
لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق ممتنعوا وقوله لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون اشارة الى انهم مع الرعاع اتباع قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
قيل لا يضركم ولا يضركم من قرأه بنصبه وتصوره وجعل جوابا ولا
يضركم الجزم ان يكون رفعا لما جوابا وان جاز ان يكون فى موضع الجزم
على الجواب على معنى ايكم ان اصلحتم انفسكم ولم تحرصوا فيه فسادكم واشاركم
غيركم لم يضركم ضلال من ضل منهم لتحملوا اثقالهم واثقالا مع اثقالكم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين ولست فى الاية حث على ترك النهى
عن المنكر كما ظنه قوم فقد بعثهم حث الله على ذلك فى ايات كثيرة نحو ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال حاكيا عن
لقمان يا بنى اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان
ذلك من عزم الامور ومدح القائمين بذلك وقال الامرون بالمعروف والناهون

النهى

عن المنكر والحافظون لحدود الله وقال عليه الصلوة والسلام من راى منكرا واستطاع
ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
ودلك على ذلك انه قال لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ومن الهدى ان ينكر
المنكر وقال ابو بكر رضى الله عنه انى اراكم تتاولون هذه الاية وانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عمهم الله بعقابه وما ينكم
من ان تعلم بعقابه الا ان تتاولوا هذه الاية على غير تاويلها وانا المعنى بها فلا تعتدوا
بابائكم واحفظوا انفسكم ان ضل كما ضل غيركم واذا اهتديتم فليس عليكم ضلال
من ضل فلم شئ كقوله ليس عليك هداهم وقوله ولا تسئل عن اصحاب الجحيم
قيل وفيها حث على ان نظر الانسان لنفسه ان يهذب نفسه قبل ان يهذب
غيره وان يعتبر حال نفسه قبل اعتبار حال غيره وعلى هذا قوا انفسكم واهليكم
نارا فامر ان يبدا بنفسه وقيل ان ذلك اشارة الى ترك النهى باليد واللسان
حيث علم انه لا يعنى ويراحرك كما روى فى الخبر اذا رايتم هوى متبعا وشحا مطاعا واعجاب
المرء بنفسه فعليكم انفسكم وقيل عنى من ضل من اهل الكتاب اذا ادوا الجزية
فعقول دعوتهم وشاهم ويرايرك منهم شئ وقيل ان ذلك لاشارة
الى وقت مخصوص فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك النهى
اذا هدم كنيسة دمشق فجعل مسجدا واذا رات الكاسيات العاريات
قيل وهذا كان فى زمن الوليد بن عبد الملك وهو الذى هدم الكنيسة
وضمها الى المسجد وقال مكحول وعبد الله بن مسعود عليكم انفسكم انما هو اذا
هاب الواعظ وانكر الموعوظ وقيل عنى بقوله عليكم انفسكم اى ارشدوا
بالناس فيما تفعلونه من الشر وتوكل بالهم وتسحر لنفسك ما تسحر لغيرك

كما تفعله كثير من الناس في أيمانهم يحلفون برخصهم فيودي ذلك بهم الى هلاكهم
وهذا القول لهم كل شاة تناط برجليها وقيل ان في ذلك توكيدا لقوله لا تسألوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم اي عليكم في اموالكم بالعود منافعكم الى مضاركم وبالخير كم كقولهم
الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت وقيل معناه عليك بنفسك فاشغلها قبل
ان تشغلك فالك لم تخلقها افتدتك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان
ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في
الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد
الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو
كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين
هذه الاية تتعلق بها حكم التقدير والاعراب والفقه فاما تقديرها فهو اذا حضر
احدكم الموت فشهادة بينكم اثنان ذوا عدل او اخران من غيركم ان ضربتم في الارض فاصابتكم
مصيبة الموت فاخران من غيركم ان لم يكن ذوا عدل منكم فان ارتبتم تحبسونهما
من بعد الصلوة فيقسمان بالله لا نشتري به ثمنا واستغنى عن جواب اذا حضر بقوله
شهادة بينكم وعن جواب ان ضربتم بقوله او اخران من غيركم وعن جواب ان ارتبتم
بقوله تحبسونهما من بعد الصلوة وقوله بالله يصح ان يكون استينافا فيكون موالاة
بعوده به المقسم على تقدير فيقسمان فيقولان بالله لا نشتري ويجوز ان يكون متصلة
بيقسمان فيكون قوله لا نشتري على تقدير والله لا نشتري فهذا تقدير الاية
فاما اعرابها فقوله شهادة بينكم يجوز ان يكون مبتدا وخبره قوله اثنان كانه قيل
شهادة بينكم شهادة اثنين ويجوز ان يكون تقديره عليكم ان تشهدوا اثنان فيكون
قوله شهادة ابتدا محذوف الخبر واثنان مرتفع بقوله شهادة وقيل يكون شهادة بينكم



مبتدا وقوله اثنان فاعل وارتفع به ويستغنى عن خبر المبتدا لقولهم قائم الزيدان
وقوله اذا حضر ظرف لقوله شهادة وقوله حين الوصية بدل من قوله واذا حضر
وقيل هو ظرف لقوله اذا حضر وحضور الموت حضور اسبابه من المرض ونحوه وقوله
او اخران ليس على التخيير بل معناه انا تقبل الاخران في السفر خاصة اذا عدم
العدلان واما فعلها فقد اختلف في قوله او اخران من غيركم فقال بعض الفقهاء
اراد من غير قبيلتكم ولم يعن من غير المسلمين لان شهادتهم لا تقبل على اليهود
وحكى ذلك بقوله تحبسونهما من بعد الصلوة وقال انما يفعل بمن في قلبه استظام
الصلوة فيتزجر عن اليمين مخافة العقوبة والى هذا ذهب الحسن فقوله انه اريد من غير
قبيلتكم وقال بعضهم عنى من غير المسلمين قال والقصة التي نزلت الاية في سببها تدل
على ذلك وهو ان تميما الداري وعديا كانا جميعا نصرانيين يختلفان بتجارة معهما
مولى لعمرو بن العاص يقال له بديل ومعه متاع فلما قدموا الشام مرض المولى وكان مسلما
فكتب وصيته ولم يعلم بذلك تميم وعدي وقدما المدينة ودفعا المتاع الى عمرو بن
العاص واخبراه موت بديل فقال عمرو لقد توجه من عندنا باكثر من هذا المتاع
فهل باع شيئا مما لا نحصي بها الى النبي عليه الصلوة والسلام فاحلفهما ان بديلا ما ترك
غير هذا ثم ان عمرو بن العاص ظهر على اناية فضة عند تميم فقال هذه الاناية لي وبين
لهما كان مع بديل فقالا كنا اشتريناها منه فقال عمرو لقد سألتكما هل باع شيئا
فقلتما لا فقالا لا سئلنا فذهبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا انا كنا
ابتعنا الاناية ولم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقربها فنزلت الاية على النبي صلى الله
عليه وسلم فعلى هذا شهادة اهل الذمة في الوصية في السفر جوازا اذا لم يوجد العدلان
وقد حكم ابو موسى في مثله بذلك وقال هذا حكم ثابت غير منسوخ وقال بعضهم
ذلك في الكافر وكان في اول الاسلام ثم نسخ بآية الشهادة والاحوط الان شهادة

الذمي على المسلم بوجه وقد مت ان يمين على الشاهد بوجه ويجوز الارتياب
على الشاهد لمكان اليمين ويجوز ايضا ان يجعل يمين الورثه معارضه ليمين الشاهد
ان يكون ذلك منسوخا بقوله واشهد ذوي عدل منكم ومن قال بالاول فقال قوله
فقسمان ليس بالحاب وانما معنى ان يشهد الشاهد فيحلف من غير ان يحلف فيذكر
انه يراعي على يمينه ويراعتد به وانما كان منسوخا ان لو كان ذلك واجبا ان قيل
لم قال لا نشتري به ثمنا والثمن هو الذي يشترى به ويشترى هو قتل فقال
بعض اهل اللغه اراد ذا ثمن فحذف المضاف وقيل ان كل شيء يباع وكل شيء
يشترى وذلك يختلف باعتقادي الثمن والمثمن ولهذا قيل بعت واشتريت من
الاضداد وعلى هذا كانه جعل الثمن مصورا بصورة المبيع فلهذا قيل ذلك وقد قال
في موضع آخر اشتروا بآياتي الله ثمنا قليلا وقوله ولو كان ذا قربى اي الحيف
ولو كان المشهود قريبا وذلك لما في طبع الانسان من ميله الى اقاربه ومن هذا
الوجه رد شهاده الاب للابن والابن للاب واضاف الشهاده الى الله تعظيما
لها كقوله واقيموا الشهاده لله وقرا الشعبي ولا نكتم شهاده بالتنوين وجعل الله مجرورا
ومنصوبا على تقدير القسم ﴿قوله عز وجل فان عثر على انهما استحقا
اثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم
الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من
شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين﴾
قوله الاوليان يحتمل اعرابه اوجها الاول ان يكون مبتدا وقوله اخران خبره
وتقديره ان عثر لانهما استحقا اثما اي ان اطلع وقف على ان الشاهدين بما
الاخران من غير ما جفا في شهادتهما فاستحقا اثما فالاوليان اخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم اي من اهل الميت ويجوز ان يكون قوله اخران

مبتدا والاوليان خبره ويجوز ان يكون قوله اخران مبتدا ويقومان خبره والاوليان
بدل اما من قوله اخران او من الضمير في قوله يقومان او يكون خبر ابتدا مضمر
فهذه ستة اوجه في اعرابه وقد اجاز ابو الحسن وجها سابعا وهو ان يكون الاوليان
صفه لقوله اخران قال ويجوز ذلك وان كان قوله اخران والاوليان معرفه
لان ذلك لتعريفه للجنس وقوله اخران قد وصف والذكر الموصوفه قريبه من
المعرفه بالالف واللام الدالة على الجنس ولهذا صح ان يوصف بها الذي فيه الالف
واللام بغير ومثل في خصوص الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وحكى مررت
بالرجل مثلك وذكر لهما الاوليان اي بما اولى من غيرهما لانهما اعرف باحوال
الميت ولانهما من المسلمين فان الخطاب من اول الايه مصروف اليهم وقوله عليهما
يحتمل ثلثة اوجه الاول ان يكون على بابه ظاهرا كقولهم استحق على فلان مال اي لزمه
ووجب عليه الخروج منه الثاني ان يكون قوله على بمنزله من كقوله اذا اكتالوا
على الناس اي منهم الثالث ان يكون بمنزله في فوضع على مقام في كما وضع في مكان
على في قوله ولاصلبنكم في جذوع النخل وقرا استحق عليهما الاوليان بضم التاء
على هذا ترتفع قوله الاوليان بقوله استحق والمفعول الذي هو المستحق محذوف
وقرى من الذين استحق عليهم الاولين بالجمع اي من الاولين الذين استحق عليهم
هذا المعنى فيكون قوله الاولين بدلا من الذين وقرا ابن سيرين من الذين
استحق عليهم الاولين بتثنيه الاول وليس ذلك بالوجه فقد قال فاخران
يقومان مقامهما فكيف يقول بعد الاولين ﴿قوله عز وجل ذلك ادنى
ان يأتوا بالشهاده على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾
اي تحرك هذا الفعل واعانه اقرب الى الانسان اما لصلاحه في نفسه واما

لخوفه ان ترد ايمان بعلى اولى الميت فالبدا لهم فحلفوا على خيانتهم فيفتضحوا
فيتحملون الشهادة على وجهها بناء بانه ذلك ادنى ... فلم مالك واتقوا الله واسمعوا ما توصون
به فانكم ان لم تنتهوا او لم تشهدوا الصدق فاسقين فاذا فسقتم لم يهدكم الله والله لا
يهدي القوم الفاسقين الى ... لم قال ... اقرب لفظ الجمع وما تقدم بيه شبهه
قيل لانه لم يعنها فقط بل عني الناس كلهم اي ذلك ادنى ان يصير الناس مكلفوا

**قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب**

قيل يهديهم الى ... والله لا يهدي القوم
الفاسقين يوم يجمع الله الرسل ... وانما المعنى لا يهديهم الى طريق الجنة في
ذلك اليوم وقيل معناه اذكروا يوم ويكون اليوم مفعولا لفعل مضمر لا ظرفا لانه
لم يرد اذكروا في ذلك اليوم ان قيل كيف قالوا لا علم لنا فنفوا العلم كله عن
انفسهم وذلك كذب قيل في ذلك اوجه الاول قال الحسن من هول ذلك اليوم
نسوا اكثر ما علموه فان قيل وكيف يصح ذلك وقد قال لا خوف عليهم وقال لا
يحزنهم الفزع الاكبر قيل ان معنى لا يحزنهم ولا خوف عليهم انه لا يصيبهم ما ينقضه
الخوف الا انه لا يعتريهم وهذا كقولك لمن تراه قد خوف لا خوف عليك لكن لا
يلحق خوفك الثاني قال ابن عباس لا علم لنا الا ما اضافه الى علمك وهذا الكن
استخبر من هو اعلم بالخبر منه فيقول لا علم لي الثالث ان السوال وقع على
ما اعتقدوا لا على ما اظهروه وذلك لا علم للانبيا به انما يعلمه المطلع على السرائر و
الضماير جل وعز الرابع ان قوله ماذا اجبتم سوال عن كل ما اجيبوا لا عن بعضه
وهم عرفوا بعض ذلك ولم يعرفوا الكثير فقالوا لا علم لنا بكل ذلك ووجه هذا السوال
توبيخ الكفار كقوله انت قلت للناس اتخذوني وعلام لمن يكذب عليه دام سوق
بعلمه وهو في هذا الموضع لهاهوله عز وجل **اذ قال الله يا عيسى ابن**



**مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين**

قوله اذ قال الله قيل مفعول بفعل مضمر كانه قيل اذكر
وقت ما قال الله يا عيسى اذكر نعمتي عليك يعني اذكر يوم القيمه وقيل تقديره
ماذا اجبتم اذ قال الله وايدتك فعلت من الايد القوه وقرئ ايدتك وهو
افعلت منه وقال الزجاج يجوز ان يكون فاعلت منه نحو عاونت ومن نعمة الله ان
اصطفاها على نساء العالمين وان جعل لها النخل حيث قال وهزي اليك بجذع
النخلة وغير ذلك وروح القدس جبريل وقيل هو تقديسه وروحه هو نفخه فيها من روحه
والكتاب قيل هو الكتابة وقيل هو اسم كل كتاب انزله تعالى ثم خص التورية
والانجيل تعظيما لهما وقوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي تهدي الناس في حالة الصغر
والكبر بخلاف ما كان عامة الانبيا والحكما وذكر الاذن في الامور الالهية التي
خصه تعالى بها تنبيها ان ذلك لم يكن للالهية فيه بل كان ذلك باذنه ومن
فضله عليه وتخصيصه به ولم يذكر في قوله واذ علمتك وفي قوله واذ كففت فان قيل
هذه قد شارك المسيح غيره وكيف ذلك له بل عنه فقد كان من بعضهم بالعصمة ومن
بعضهم بالحجة ومن بعضهم بتسخيرهم له وانقيادهم الى غير ذلك من الوجوه وقوله ان هذا
الا سحر اي فعالك سحر وقرئ ان هذا الا ساحر اي عيسى عليه الصلوة والسلام قوله عز وجل

**واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا**

آمنا واشهد بانا مسلمون الحواريون روى انهم كانوا فقراء
وروى انهم كانوا صيادين وقد قال بعض المحققين يعنى انهم كانوا فقراء
اى كانوا يغسلون نفوس البشر عن النجاسات النفسيه ويعنى انهم صيادون انهم
يصيدون الناس عن الباطل ويجعلونهم فى شبكة الحق وقد شرح ذلك فى كتاب مكاتيب
الشريعه وسمى جماعة الرجل حواريه تشبيها باصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام والوحى هاهنا
قيل هو على سبيل الالهام والتوفيق نحو اوحى ربك الى النحل وقيل هو على سبيل ما اظهر
لهم من اية الباهره وقيل على لسان نبيهم فالوحى قد يقال فى كل ذلك نحو ما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا اى على لسان نبى وقوله واوحى ربك الى النحل يعنى بالالهام وقوله
فاوحى اليهما ان سبحوا بكره وعشيا قال بعض الحكماء ان كل ساكت ناطق من جهة
الدلالة وكل دال على معنى من الله فهو وحى منه وعلى هذا قال اولم يسيروا فى الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور وهذا معطوف على ما ذكر تعالى من نعمه عليه وقوله
واشهد خطاب منهم لعيسى على سبيل الاستشهاد منهم والاسلام هاهنا ابلغ من الايمان
فانه يقتضى الاستسلام المذكور فى قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين قوله عز وجل اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن
قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين
قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا وآية منك وارزقنا
وانت خير الرازقين قال الله انى منزلها عليكم فمن



يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا
من العالمين اذ هاهنا لم تجعله معطوفا بل جعله داخلا فى صلة قوله اذ اوحيت
اليهم فى وقت ما قالوا كذا واستفهامهم عن استطاعة الله قيل فيه اقوال الاول
انهم قالوا ذلك قبل ان استحكم معرفتهم بالله الثانى قال الحسن هل ترك ان تفعل
كقولك للقادر المتمكن هل يمكنك ان تفعل كذا وهذه الاستطاعة على ما يقتضيه الراى
والحكمة لا على ما يقتضيه القدرة انه قد يقال فلان لا يستطيع كذا وليس يعنى ان
القدرة كذلك وانما المعنى ان رايه لم يتوجه اليه الثالث ان استطاع واطاع بمعنى
كقولهم استجاب واجاب ومعنى هل يستطيع اى هل يستطيع ان يجيب كقوله ما لهذا
جميع وقرا الكسائى هل تستطيع بالتاء ونصب ربك
اى هل يستطيع سوالك ربك والمائدة قيل اصله من ماد الماد عيدا اذا تحرك
وقيل من ماده اعطاه وافاده استعطاه قال ابو عبيدة لفظها فاعلة ومعناه
مفعولة كعيشة راضية وقيل بل هو بمعنى الفاعل فوصف بذلك كما قال
شجره مطعمه اضافها الى ما هو معطيه وعلى ذلك مطعم سالوه مائدة من الطعام فقال عيسى
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اى احذروا من سوال ذلك ان كان لكم ايمان فلما قالوا
عن السوال بل ذكروا علة سوالهم فقالوا نريد ان ناكل منها وان يكون سبب اطمينان
قلوبنا كما قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فحينئذ سال الله عيسى ذلك
فضمن ان يحقق ذلك اليوم يوم عيد وقوله وارزقنا قيل ارزقناه وقيل ارزقنا
شكره فضمن الله ذلك ان بين لها شرطا ان من يكفرها عذبه اعظم تعذيب فقيل
انه اراد ان يسخهم قرده وخنازير وقيل بل عنى عذاب الاخره المعنى بقوله
ولعذاب الاخره اكبر فاحلفوا اهل ان الله ذلك فقال الحسن ان ذلك
استفزاف من الله تعالى ووعد بشرط انهم ان ارادوا ما هذه الشرطه انزلها فرغبوا

عنها فانزلها الله تعالى وقال عنزه بل ذلك وعد من الله تعالى ووعيد مفروض
به راشرط في الوعد وقد انزلها فمن قال بذلك قال كانت تلك المايده طعاما من الورق
والسمك وان عيسى قال لهم صوموا الذا يوما ثم سالوه فصاموا فانزل الله سبعه اخوات
وسبعه ارغفه وقال ابن جبير كان على المايده كل شئ الا اللحم وانزل الله ذلك يوم الاحد
فجعلوه عيدا وقيل اكل منها اربعه الف رجل وبقيت على حالها ثم كفرها قوم فمسخهم
الله قردة وخنازير وحمل بعض المتصوفه المايده على المثل والاشاره وقال المايده هاهنا
عبارة عن حقايق المعارف وعن هذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم القران مادبه وقال
فقال القران مادبه الله في ارضه وهذا النظر جعل الادب والمادبه من اصل فان
الطعام غذا البدن والعلم غذا الروح وعلى هذا قيل ان متعلما قرب من باب عالم
وقال الطعن فاعطاه لقمة فقال لبني لم اسال ياحسن النفس لما يتعب الضرس فقال
هذا العايل وانما القوم رغبوا في تحقيق لهم بان وقف اطلاعهم عليه ولم يكتفوا
الحاله التي يمكنهم الوقوف عليه فقول عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين حث منهم
على اكتساب القوى واستعمالها فيقول ان حصلتم الايمان وهو العلم الحقيقي
فاستعملوا القوى فيما نال هذه المنزله ولهذا قال تعالى والذين اهتدوا زادهم
هدى واتاهم تقويهم فلما الحواري السوال سال عيسى فقال انزل علينا مايده من السما
الايه قال وهذا كما سال سال ابرهيم فقال رب ارني كيف تحيي الموتى وقال موسى
رب ارني انظر اليك وانما سال حاله لم يجعل الا للانبيا والاولياء في الاخره فتبين
الله تعالى ان ذلك غير سهل ما دامت على هذه الحاله ومن تعالى ان من تخصيص
هذه الحاله وكان منه حال ينافي الايمان عذب اشد العذاب وقد قتل صغاير
العامه كبايد الاولياء والعليل دونهم بعظم عقابه فاذا العذب لما كان من كفره عذابا
لا يعذب احدا من العالمين ممن لم يبلغ مبلغهم ولم يوتى اما اوتوا والله اعلم بالحقايق



١

قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و
لا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
وانت على كل شئ شهيد ان قيل الا ما اخبار عما مضى فكيف ذلك
السوال قيل في ذلك جوابان احدهما ان ذلك اخبار عما يكون يوم القيمه فذكر لفظ
الماضي تقريبا للفعل واخبارا بانه في علم ما قد كان كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ذلك والثاني ان ذلك قاله له حين رفعه الى السما وقد علم
سوء المعاد عليه تعالى ان لم يكن من عيسى ذلك تكبيت للكفره وتكذيب لهم ان قيل ما وجه
قوله من دون الله وهم لم يتخذوهما من دونه وانما اتخذوهما معه وايضا فان هذا يقتضي
انهم لو اتخذوهما الهين معه لكان ذلك جايزا لانك اذا قلت اتخذت فلانا دونك صديقا
فانما انكرت افراده باتخاذه قيل ان قوله من دوني يحتمل وجهين احدهما انكر اتخذتموهما
معبودين ولم تتخذوه معبودا وذلك انهم لما عبدوهما معه كان عبادتهم له غير معتد
بها من الله تعالى كما يرضى ان يعبد معه غيره فلهذا قال من دون الله والثاني ان
دون هاهنا للقاصر عن الشي وهم عبدوا المسيح وامه فما توصلا الى عباد الله
كما عبد الكفار الاصنام حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانه
قيل اانت قلت الخلق الهين متوصلين بنا الى الله قالوا سبحانك منزهين عن
ذلك وانكر ان يقول ما الحق ان يقوله تعالى ومن انه علام الغيوب لا يخفى
عليه خافيه ان قيل ما وجه قوله لا اعلم ما في نفسك فاثبت الله نفسا قيل النفس

عبارة عن الذات يقال جاءني فلان نفسه وقيل غيبي وقيل يقابل النفس بالنفس
وقيل غيبي نفس العالم اضافته اليه على وجه الملك لا على وجه التبعيض تعالى الله عن
التبعيض وهذا كما روى الروح من نفس الرحمن ونحو ذلك وقيل القصد الى نفي النفس
عنه فكأنه قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم لك قصدا الى نفي التركيب قال وعلى هذا

قول الشاعر لا ترى الضب بها ينجحر

قصدا الى ان لا ضب ولا جحر هاهنا فيكون من الضب الانجحار وقيل غيبي تعلم
ما انا عليه ولا اعلم ما انت عليه لي وقوله ان اعبدوا الله قيل ان بدل من الها وقيل
ان بدل من ما وقيل خبر ابتدا مضمر وقيل ان هو بمعنى اي وهو تفسير لما الغريب والرقيب
المطلع على الشي الحافظ له ان قيل كيف قال فلما توفيتني وقد قلتم ان عيسى عليه السلام
لم يمت قيل معنى التوفي اخذ الشي وافيا وليس هو الموت وانما الموت بعض الذي يقتضيه
لفظ التوفي المشترك الى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فجعل النائم متوفى فقوله توفاه ورفعه بمعنى وقيل ان الله تعالى توفاه انه صلب كما
زعموا فانه تعالى رفعه ثم اماته وبين في الجواب انه كان رقيبهم ما كان فيهم فلما توفى
لم يخف عليه تعالى حالهم وذلك مذكور على طريق التعظيم لا على طريق التعريف

قوله عز وجل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم ان قيل كيف قال عبادك والعبد اكثر
ما يقال فيمن عبد لا فيمن ملك وهم لم يعبدوا الله في الحقيقة اذ قد عبدوا عيسى
وامه قيل بل العباد يستعمل مع الله فيقال الناس عباد الله ولا يقال عباد الامير
الا على التشبيه والعبيد يقال في الله وفي غيره ثم الناس كلهم يعبدون الله تسخيرا
وقهرا وان لم يعبدوه طوعا فانهم اذا عبدوا غيره على انه المنعم عليهم فهم يعبدون
الله لانه هو المنعم وعلى هذا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا



وقال تعالى وظلالهم بالغدو والآصال فان قيل لو كان يعبدون الله فعلام
لا ادموا قيل انما يذمون لقصدهم فيما يفعلون لانهم يقصدون عبادة غير الله والعبادات
مثاب ومعاقب عليها ولهذا ان الاعمال بالنيات ولما قال لا يستحق ان ايمانه
منعها ثم ابا استحقاق الانسان من الملائكة والجزاء ان قيل كيف قال ان تعذبهم
فانهم عبادك وجواب الشرط انما يصح فيما يقع بوقوع الشرط وقد علم ان هو لا عبادك
عذبهم او لم يعذبهم قيل هذا الكلام فيه ايجاز وتقديره ان تعذبهم فانك تعذب عبادك
اي من لا يرتهم بعبادتك منها انهم لا يعبدونك فاستحقوا عقابك ان قيل كيف جاز
ان يقول وان تغفر لهم معرض يسوال العفو عنهم مع علمه انه تعالى قد حكم بانه
من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة قيل قال ابو العباس المبرد رحمه الله ان
تعفو كهم على حسب ما ارى عيسى ابن اياد لك فانهم عبادك اي انت املك لهم
ما لديك سال العفو عنهم والغفران لهم بما هو حق لمن قبل ان هذا السوال والجواب
كلام على طريق اظهار قدرته تعالى على كل ما يريد وعلى مقتضى حكمته وحكمته بينه
انه تعالى جمع القدرة والحكمة فهو قادر على ان يفعل اي المقتضيين اراد و
لهذا قال انت العزيز الحكيم بينهما انه لا امتناع لاحد من عزته ولا اعتراض في
حكمته ولهذا قال انت العزيز ولم يقل الغفور والى هذا اشار الحسن رضي الله
عنه حيث قال ان تعذبهم فبا قامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة كانت منهم
فان قيل فكيف قال وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فالاليق بهذا الموضع
الغفور قيل العزيز هاهنا اولى فهي بينه انك جمع القدرة والحكمة ولم يقصد سوال
الغفران لكفرهم منهم والى نحو هذا قصد الشاعر في قوله

اذ نبت ذنبا عظيما وانت للعفو اهل
فان عفوت فبفضل وان جزيت فعدل

قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
الآية اى من صدق فى الدنيا نفعه صدقه اليوم ولم يرد انه ينفعهم ما صدقوا فيه دلالة
اليوم ولم يعن صدق المقال فقط بل عناه والصدق فى الفعال ويتوتك الرياء و
الاخلاص المشار اليه بقول النبى عليه الصلوة واللام ان الله يوتى يوم القيمة بقارئ القرآن
فيقال له ماكنت تفعل فيقول كنت اقرأ القرآن فيقول له كنت تقرأ لئلا يقال انك
قارئ وقد قيل ذلك فيومره الى النار وقرئ يوم بالرفع وهو الاكثر فيكون الاشارة
الى اليوم الذى انصب فاشاره الى ما فى اليوم اى هذا الحكم وهذا القول الذى ذكرت
يكون فى يوم ينفع الصادقين صدقهم والخلود يقتضى اللزوم والدوام يقال خلد كذا فى
الديوان واخلد فلان الى الارض كقوله ركن اليها ولزمها على الدوام ولمعنى اللزوم
لم يصح ان يوصف الله تعالى بالخلود كما يوصف بالدوام قوله عز وجل
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على
كل شئ قدير ينبه على تكذيب النصارى فيما ادعوه من ربوبية عيسى
وامه عليهما السلم وقد تقدم وجه تكذيبهم نحو هذا الكلام ٥

رايت فيه بحارا امواجها تتلاطم
وافواج فوايدها تتصادم اودعت سمعى
من دقايق معانيه الفايقة ورقايق الفاظه
الرايقة ما انستانى سماع الاغانى من المطربات الغوانى ٥